



جامعة محمد خنصر – بسكرة  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية



### الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

بتقنية التحاضر عن بعد والحضور : يومي: 09 – 10 ماي 2022

اليوم الأول: 09-05-2022.

الفترة الصباحية.

الجلسة الافتتاحية:

### • التوقيت: 9:30 سا إلى 10:00 سا

• كلمة مدير مخبر اللسانيات واللغة العربية :أ.د محمد خان
• كلمة رئيس الملتقى : د. ليلي جغام
• كلمة رئيس اللجنة العلمية:أ.د. نعيمة سعدية
• كلمة الافتتاح

### الجلسة الأولى الصباحية

### التوقيت: 10:30 إلى 11:20

مقرر الجلسة : كريمة ترغيني ( ط.د )		رئيس الجلسة : أ.د . نعيمة سعدية	
التوقيت	جامعة الانتماء	عنوان المداخلة	اسم المتدخل
10:30 – 10:40	جامعة محمد خنصر بسكرة	بلاغة الجمهور – التأسيس والامتداد	د/تومي غنية
10:40 – 10:50	جامعة نيسمسيلت	البلاغة الجديدة بين الحجاج المنطقي والحجاج اللساني – جهود جابر عصفور أنموذجا	د/ سهيلة بوطيّب
10:50 – 11:00	جامعة معسكر	بلاغة السرد بين جمالية التلقي وشعرية الخطاب (قراءة في المفاهيم النظرية للبلاغة القديمة والجديدة )	د/ مجاهد بوسكين
11:00 – 11:10	جامعة محمد خنصر بسكرة	نظرية البلاغة في الدراسات العربية بين التراث والمعاصرة	د/ آسيا جريوي
11:10 – 11:20	جامعة محمد خنصر بسكرة	أثر نمط النص في تشكيل طبيعة البلاغة العربية – مقارنة تأصيلية	د/ بشّار إبراهيم

## الجلسة الثانية : من 11:20 إلى 12:10

مقرر الجلسة: حياة بوسعدة ( ط.د )		رئيس الجلسة: د.صليحة سبقاق	
التوقيت	جامعة الانتماء	عنوان المداخلة	اسم المتدخل
11:30 – 11:20	جامعة تيارت	الحجاج في الموروث البلاغي العربي	ط.د/ زينة جهاد
11:40 – 11:30	جامعة محمد خيضر بسكرة	الحجاج بين الخطابة والتداول	د/ جودي حمدي منصور
11:50 – 11:40	جامعة يحي فارس المدية	بلاغة الحجاج من مثالية أرسطو إلى حوارية بيرلمان	ط.د/ عبد المطلب عبد الجي
12:00 – 11:50	جامعة محمد خيضر بسكرة	أثر كتاب بيرلمان ( رسالة في الحجاج ) في التأسيس لنظرية الحجاج في الفكر اللغوي الغربي الحديث	ط.د/ زينب علاوة د/ راوية حمزة
12:10 – 12:00	جامعة محمد خيضر بسكرة	الكلمة في التراث النحوي والبلاغي بين التوصيف والتوظيف	د/ أحمد تاويليت

مناقشة عامة ( 10 دقائق )

## الجلسة الثالثة: من 13:30 إلى 14:20

مقرر الجلسة: منيرة قليل ( ط.د )		رئيس الجلسة: د/ شهيرة برياري	
التوقيت	جامعة الانتماء	عنوان المداخلة	اسم المتدخل
13:40 – 13:30	جامعة محمد خيضر بسكرة	قراءة في كتاب ( التشبيه والاستعارة ) – منظور مستأنف ليويسف أبو العدّوس	د/ سامية بوعجاجة
13:50 – 13:40	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	المكوّن الحجاجي للكناية في البلاغة العربية	د/ اليزيد بلعمش
14:00 – 13:50	جامعة محمد خيضر بسكرة	حجاجية المجاز عند عبد القاهر الجرجاني	ط.د/ فاطنة سويح ط.د/ أميرة حناشي
14:10 – 14:00	جامعة أم البواقي	الاستعارة بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة - دراسة في المفهوم وآليات التحليل	د/ خديجة كلاتمة
14:20 - 14:10	جامعة محمد خيضر بسكرة	الاستلزام الحوارية بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة	ط.د/ عيدة زريق

مناقشة عامة ( 10 دقائق )



الجلسة الرابعة : من 14:30 إلى 15:10

مقرر الجلسة: أحلام علية (دكتوراه)		رئيس الجلسة: د/وهيبة عجيري	
اسم المتدخّل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
ط.د/ بثينة بهلالي	تحولات الخطاب الاستعاري: مقارنة بينية المداخل في "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" لمحمد بازي	جامعة محمد خيضر بسكرة	14:30 – 14:40
د/ بلال معي الدين ط.د/ نجوى جدي	تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة	جامعة العربي التبسي تيسة	14:40 – 14:50
ط.د/ عمر بهليل	البلاغة الجديدة . بحث في التراث وكشف عن التوجّهات .	جامعة يحي فارس المدية	14:50 – 15:00
د/ نغار محمد	الدرس الأسلوبي ومنظورات البلاغة الجديدة	جامعة تيارت	15:00 – 15:10

مناقشة عامة ( 10 دقائق )

اليوم الثاني: 10-05-2022

الجلسة الأولى : 08:30 – 09:20

مقرر الجلسة: نور الهدى صوطي ( ط.د )		رئيس الجلسة : أ/ نعيمة بن ترابو	
اسم المتدخّل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
د/ صفية طبني	البعد الإقناعي للبلاغة العربية ( أساليبه وتقنياته ) من منظور محمد العمري	جامعة محمد خيضر بسكرة	08:30 – 08:40
د/ وهيبة عجيري	التصور الحجاجي عند محمد العمري	جامعة محمد خيضر بسكرة	08:40 – 08:50
ط.د/ كريمة ترغيني	الفكر الحجاجي عند صابر الجباشة من خلال مقارنة بين التراث والحديث	جامعة محمد خيضر بسكرة	08:50 – 09:00
د/ وسيلة داودي	البلاغة الجديدة وخلفيات القراءة في مشروع محمد مشبال	جامعة سطيف	09:00 – 09:10
د/ جراد يعب	رهانات البلاغة العربية المعاصرة بين ضرورات التلقي ودوافع التجديد	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	09:10 – 09:20

مناقشة عامة ( 10 دقائق )

## الجلسة الثانية : 09:30 – 10:20

مقرر الجلسة : سليمة دحيري ( ط.د )		رئيس الجلسة : د/ فطيمة دخية	
اسم المتدخل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
د/ ليلي غضبان	بلاغة الارتياب عند إبراهيم بن سيار النظام	جامعة الجلفة	09:30 – 09:40
د/ سامية شودار	البلاغة الجديدة في التراث الأصولي – حجاجية القياس أنموذجا	جامعة محمد خيضر بسكرة	09:40 – 09:50
ط.د/ عز الدين لخضر الزين	الحجاج ودوره في إثراء البلاغة العربية – فن الخطابة أنموذجا	جامعة البليدة 02	09:50 – 10:00
د/ عباس حشاني	جهاز المتكلم لدى الجاحظ – دراسة تداولية اجتماعية	جامعة جيجل	10:00 – 10:10
ط.د/ محمد علاوة	تجليات البلاغة الجديدة في التراث العربي – من خلال آراء الجاحظ	جامعة الجزائر 02	10:10 – 10:20

### مناقشة عامة ( 10 دقائق )

## الجلسة الثالثة : 10:30 – 11:10

مقرر الجلسة : زينب علاوة ( ط.د )		رئيس الجلسة : د/ غنية بوضياف	
اسم المتدخل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
ط.د/ هاجر عاشور	البلاغة الجديدة من التنظير الغربي إلى التلقي العربي – مقارنة وصفية للملابسات التلقي	جامعة يحي فارس المدية	10:30 – 10:40
ط.د/ نور الهدى صوطي ط.د/ نجاة كعبوش	البلاغة الجديدة ضمن المنجز العربي الحديث - الأصول المعرفية والامتدادات اللسانية العربية- محمد العمري نموذجا-	جامعة محمد خيضر بسكرة	10:40 – 10:50
نادية ويدير	البلاغة الجديدة ( المفهوم وإشكالية المصطلح )	جامعة بومرداس	10:50 – 11:00
د/ ليلي جغام	المفاهيم المحددة للبلاغة الجديدة – قراءة في كتاب ( الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ) لأمنية الدهري	جامعة محمد خيضر بسكرة	11:00 – 11:10

### مناقشة عامة ( 10 دقائق )

#### توصيات الملتقى :

أ.د/ نعيمة سعدية	جامعة بسكرة
د/ ليلي جغام	جامعة بسكرة
د/ بشار ابراهيم	جامعة بسكرة
د/ زينب مزارى	جامعة بسكرة
د/ يعرب جرادي	جامعة قسنطينة
د/ عباس حشاني	جامعة جيجل

#### مراسيم اختتام الملتقى

جامعة محمد خيضر – بسكرة  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية  
الملتقى الوطني :  
البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي  
الحديث

يومي: 09 – 10 ماي 2022

الديباجة :

البلاغة الجديدة، مصطلح ظهر في الحقبة المعاصرة في الدراسات الأوربية خصوصا ( الفرنسية والانجليزية ..)، ويقصد من خلاله الخلفيات النظرية والآليات التي تمت العودة إليها من خلال بلاغة أرسطو واليونان والرومان، وغيرهم، ونظر إليها الدارسون برؤية جديدة، لأنّ البلاغة كانت قد أهملت في العصر الحديث، ووجّهت نحوها اتهامات عديدة، والبلاغة الجديدة بلاغات تسهم، وتمدّ النقد باستراتيجيات التحليل والتأويل .

وقد ازدهرت الدراسات البلاغية الغربية عبر اتجاهات ، تأسست على مباحث: نظرية الحجاج ( بلاغة الحجاج والإقناع ) بنظرياتها وتوجهاتها المختلفة / والبلاغة العامة . وبلاغة السرد والبلاغة الشعرية، وبلاغة القراءة والتلقي، وبلاغة الجمهور، وغير ذلك، فجاءت البحوث العربية بين هذا وذاك .

فوجب البحث عن مدى أصالة وعمق هذه الدراسات، مراجعة ونقدا، لنحاول في هذا الملتقى، بحث إمكانية تأسيس نموذج بديل للبلاغة العربية الجديدة، يمكن أن يعتمد في مقاربة الخطابات مهما كان نوعها.

وسنركّز في هذا الملتقى على أهم قضايا البلاغة الجديدة، لنحاول فتح آفاق البحث والدراسة؛ كون البلاغة الجديدة بلاغة الحجاج والإقناع، بمختلف النظريات والرؤى، وهذا ما تحدّث عنه العرب، خاصة في المغرب وتونس والجزائر، كل من محمد مشبال والعمرى ومحمد الولي وحمادي صمّود وعبد الله صولة وعماد عبد اللطيف ومحمد مفتاح في فهم الأعمال الغربية في البلاغة الجديدة من جهة، وإعادة النظر في التراث البلاغي العربي من هذه الزوايا للكشف عن النماذج المخفية فيه .

**أهداف الملتقى :**

- فتح مجال معرفي جديد لإسهام الأقاليم العلمية للأساتذة وطلبة الدكتوراه .

- التعريف بعلم جديد قليل التداول في المحيط العلمي محل اليوم الدراسي .
- تشكيل لبنات علمية جديدة في قسم الآداب واللغة العربية .
- تعريف الطلبة بمصطلحات ومفاهيم جديدة .
- فتح أطر معرفية جديدة لبحوث جادة ورصينة للطلبة في مرحلتي : الماستر والدكتوراه .

### **محاوَر الملتقى :**

المحور الأول : بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة .

المحور الثاني: البلاغة الجديدة في التراث

المحور الثالث : البلاغة الجديدة في الدرس اللغوي العربي الحديث

المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

المحور الخامس: البلاغة العربية الجديدة - نظرية وتأسيس.

الرئيس الشرفي للملقى : أ.د/ محمد خان

رئيس الملتقى : د/ ليلي جغام

رئيس اللجنة العلمية : أ.د/ نعيمة سعدية

أعضاء اللجنة العلمية :

- أ.د/ عمّار ربيح جامعة بسكرة
- أ.د/ عمّار شلواي جامعة بسكرة
- د/ ليلي جغام جامعة بسكرة .
- أ.د/ عزيز كعواش جامعة بسكرة
- أ.د/ ليلي كادة جامعة بسكرة .
- د/ جودي حمدي منصور جامعة بسكرة .
- د/ عبّاس حشاني جامعة جيجل .
- د/ باديس لهويمل جامعة بسكرة .
- د/ صفية طبني جامعة بسكرة .

- أ.د/ ليلي سهل جامعة بسكرة .
- د/ جرادي يعرب جامعة الأمير – قسنطينة .
- د/ مهدي مشتة جامعة قسنطينة 1 .
- د/ العربي بومسحة جامعة تيسمسيلت .
- د/ سورية بوصوار جامعة تيسمسيلت .
- د/ سليم حمدان جامعة الوادي .
- د/ هشام فرّوم جامعة الطارف .
- د/ محمد رضا بركاني جامعة الطارف .
- د/ زكريا مخلوفي جامعة الطارف .
- أ.د/ فوزية دندوقة جامعة بسكرة .
- د/ بشار إبراهيم جامعة بسكرة .
- د/ أبو بكر زروقي جامعة بسكرة .
- د/ غنية تومي جامعة بسكرة .
- د/ شهيرة زرناجي جامعة بسكرة .
- د/ زينب مزاري جامعة بسكرة .
- د/ نورة بن حمزة جامعة بسكرة .

#### أعضاء اللجنة التنظيمية :

أولا : الأساتذة :

- د/ ليلي جغام .
- د/ سبقاق صليحة .
- د/ فطيمة دخية .
- د/ وهيبة عجيري .
- د/ غنية بوضياف .
- د/ شهيرة برباري .

• د/ سميحة كفالي .

• أ/ نعيمة بن ترابو .

### ثانيا : طلبية الدكتوراه :

• زينب علاوة .

• راوية حمزة .

• أحلام علية .

• نور الهدى صوطي .

• نور الهدى غرابة .

• حياة بوسعدة .

• منيرة قلّيل .

• هاجر ماصري

• عبد الله بوعزيز

• برينيس ربيع.

• أحمد ياسين عزوز .

• سليمة دحيري .

• كريمة ترغيني .

• دلال حوحو .

### شروط المشاركة :

• التزام المشارك بأحد محاور الملتقى .

• أن تكون المشاركة أصيلة غير منشورة ولا مستلّة .

• الالتزام التام بشروط البحث العلمي .

• التهميش في آخر المداخلة . الخط Traditional Arabic حجم 16، الهامش 12 .

• ترسل الملخصات باللغة العربية، ولا يتجاوز الملخص عشرة أسطر .

• لا يزيد عدد صفحات المداخلة عن 15 صفحة .

ترسل الملخصات على البريد الالكتروني : balagha2022@gmail.com

**مواعيد مهمة :**

- آخر أجل لإرسال الملخصات : 2022/03/20

- الرد على الملخصات : 2022/03/27

- آخر أجل لإرسال المداخلات : 2022/04/20

- تاريخ انعقاد الملتقى : 09 – 2022/05/10

- للتواصل والاستفسار : 0655807739

- بريد الملتقى : balagha2022@gmail.com

جامعة محمد خيضر\_بسكرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

مخبر اللسانيات و اللغة العربية

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة(المصطلح و المفهوم)بين التراث العربي و الفكر اللغوي الحديث

يومي 09\_10 ماي 2002

استمارة المشاركة

الاسم و اللقب: نور الهدى صوطي<sup>1</sup>/نجاه كعبوش<sup>2</sup>

الصفة: طالبة دكتوراه

مؤسسة الإنتماء: جامعة محمد خيضر\_بسكرة<sup>1</sup>/جامعة محمد لمين دباغين\_ سطيف الهضاب<sup>2</sup>

الهاتف و البريد الالكتروني:

<sup>1</sup> [nourelhouda.saouthi@univ-biskra.dz](mailto:nourelhouda.saouthi@univ-biskra.dz) / 0666037649

<sup>2</sup> [fadwa7238@gmail.com](mailto:fadwa7238@gmail.com) / 0671470778

محور المداخلة: المحور الثالث:البلاغة الجديدة في الدرس اللغوي العربي الحديث.

عنوان المداخلة: البلاغة الجديدة ضمن المنجز العربي الحديث: الأصول المعرفية و

الامتدادات اللسانية العربية- محمد العمري نموذجاً-



## الملخص:

ترتكز هذه الدراسة على محاولة إعادة قراءة في الموروث البلاغي القديم لتحديد مظاهر التجديد في البلاغة العربية، والتي شهدت حركة مستمرة وواسعة مما أدى بها إلى تعدد وجهات النظر في ضبط مفهوماً وتحديد مرتكزاتها.

وقد كان الهدف في أسطر هذه الدراسة البحث في الأصول المعرفية للبلاغة العربية والتي بدت واضحة في أعمال باحثيها أمثال عبد الله صولة و محمد العمري و حمادي صمود. وعليه سنحاول الإجابة على إشكالات مهمة منها: ما البلاغة الجديدة؟ وفيما تتمثل مظاهرها التجديدية في المنجز العربي الحديث خاصة ما ذهب إليه محمد العمري؟

الكلمات المفتاحية: البلاغة القديمة، البلاغة الجديدة، التجديد البلاغي، الاتجاهات، المنجز العربي.

## أولاً/مقدمة:

لا تزال البلاغة محل نقاش واستفسار حول مكوناتها ومفهومها وطبيعتها، وهذا نظراً لتعدد التوجهات التي جعلت مفهومها لا يستقر على مرسى واحد، سواء على الصعيد العالمي أو العربي، حيث نجد أن هناك من حاول إعادة البعث في فيها و إبراز معالم جديدة لها من خلال إعادة قراءة التراث مع ما يوافق تحديات العصر والمستقبل، هذه الدراسة تقوم بإمطاة اللثام على البلاغة من خلال تتبع أهم الدارسين الذين ساهموا في هذا التجديد البلاغي "محمد العمري" الذي حاول من خلال إنجازاته قراءة التراث البلاغي، والذي جاء نتيجة دراسات حول مصطلح الإقناع في الخطابة العربية القديمة.

## ثانياً: دعوات للتجديد البلاغي :

سعى اللغويون لإعادة البعث في الدرس البلاغي، إذ أنهم أعادوا قراءة التراث البلاغي وفق أسس و مناهج مضبوطة نظراً للمكانة التي تحتلها البلاغة في الدراسات الأدبية و اللغوية على حدٍ سواء، وقد كانت بدايات التجديد في البلاغة العربية منذ القديم عند العلماء و الباحثين العرب إذ نجد ابن قتيبة يدعو إلى التجديد في علوم اللغة و البلاغة حيث قال: "إن الله لم يقصر العلم و الشعر و البلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره"

<sup>1</sup> ليحاول من بعده لفييف من العلماء لتوسع في علوم البلاغة و النظر فيها، إلا أن ما ذهب إليه الجرجاني وصل لمرحلة النضوج و الاكتمال على حد قول الباحثين و شهادتهم في أن علم البلاغة قد استقرت أركانها، ورسخت دعائمها، ووصلت إلى ذروة نضجها وازدهارها على يديه، وبخاصة في كتابه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) لتكتمل فيهما مباحثها و تستقر ملامحها.<sup>2</sup> ليأتي بعده في عصر النهضة عدد من الباحثين وجهوا اهتمامهم في دعوة لقراءة البلاغة العربية من خلال تتبع الكتب و المؤلفات فركزوا على الجانب التطبيقي من أجل إقناع المتلقين بمصداقية

هذه الدعوة وموضوعية المشروع البلاغي و التدليل على فهم الدعاة لما ينادون<sup>3</sup> والتجديد البلاغي أو إعادة كتابة البلاغة مرّ بمرحلتين متميزتين أوضحهما العمري كالآتي: <sup>4</sup>

أ/مرحلة السرد التاريخي وتلخيص محتويات الكتب و أفضل ما يمثلها شوقي في كتابه (البلاغة تطور و تاريخ).

ب/مرحلة الكتابة من منظور حدائي لساني واع باختياره ملخص له: ويمثل هذه المرحلة طرح حمادي صمود في مؤلفه(التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة)

وقد كان الهدف من مشروع القراءة و دعواتهم التجديدية في البلاغة العربية من اجل تحقيق غايات متمثلة في: <sup>5</sup>

\_التجديد في دراسة علوم البلاغة وفي الربط بينها تحت اسم الصورة البلاغية أو الصورة الفنية أو الصورة الأدبية أو الصورة الجمالية.

\_التجديد في درس تاريخ البلاغة من حيث ظواهرها و صلة هذه الظواهر بالأعلام والتيار البلاغي ،وفي دراسة تيار قضايا البلاغة من خلال العصور أو من خلال الأعلام.

\_التجديد في دراسة علوم البلاغة وصلتها بالعلوم الحديثة مثل علوم الإنسان و النفس...

\_التجديد في دراسة المصطلحات البلاغية وتدرجها،وقضايا البلاغة من خلال عصورها .

\_السعي إلى تخليص البلاغة من تلك الزيادات الحواشي ومن الفلسفة و المنطق و غيرها من العلوم ،والاقتصار على المستوى البلاغي و الفني فحسب، و لم يؤثر عن أحد أنه سعى لتلخيص البلاغة من القواعد التعريفات ،إدراكاً من الباحثين و المعلمين لأهمية القاعدة و الذوق معاً.

وقد مست الدعوات التجديدية في العصر الحديث الساحة اللغوية و الأدبية نظير سعي الدارسين لمحاولة قراءة جديدة للبلاغة ،إلا أن محاولاتهم و إنجازاتهم كانت بشكل و جيز وقد كانت دراساتهم استكشافية و صفية أو تفسيرية ،وقد كانت دراساتهم جزئية تتناول ظواهر أو قضايا لها أهمية أحيانا و لكنها ليست أكثر لبنات من بناء تجب إقامته على قاعدة واسعة<sup>6</sup> وقد كانت دراساتهم تسعى للمحافظة على التراث و إعادة إحياءه و التعريف به و تقريبه من القراء ،إضافةً لكونها لم تهتم بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب ،ومن بين هؤلاء الذين حاولوا النهوض بالبلاغة و ضع معالم جديدة لها نجد أمين الخولي(فن القول) و علي العماري( البلاغة العربية و حاجتنا إلى التجديد)مصطفى الجويني(الفكر البلاغي الحديث) مصطفى الصاوي الجويني(البلاغة العربية تأصيل و تجديد).<sup>7</sup> هذه الدعوات التجديدية التي صبّت اهتمامها بالموروث القديم و إعادة النظر في المنجزات الماضي في الحقيقة هي البوابة الرئيسية لتأسيس بلاغات جديدة، والتي لا تتحقق إلا بالرؤية للماضي من أجل الفهم العميق لاحتياجات المستقبل

سواء كان ذلك في مستوى الصعيد العالمي أو الصعيد العربي.<sup>8</sup> وإذا نظرنا لكل ذلك نخلص إلى وجود بلاغتين أساسيتين: بلاغة كلاسيكية تتسم بطابعها المعياري التعليمي، وبلاغة جديدة علمية لسانية حجاجية تعنى بوصف الخطاب البلاغي، مع تبيان قواعده المضمرة، و استخلاص بنياته و دلالاته ووظائفه التداولية و الحجاجية.<sup>9</sup> حيث يرى الدارسين أن التداولية مدخلاً مناسباً لدراسة التراث البلاغي العربي لما توفره من آليات في الكشف عن المعنى و مكوناته، بحيث أنها طريقة للنظر من جديد في مادة اللسانيات و مناهجها.<sup>10</sup>

### ثالثاً: مفهوم البلاغة الجديدة:

اتجهت أغلب التيارات النقدية الحديثة إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللسانيات<sup>11</sup> وكان هذا نظراً لما شهدته الدراسات الغربية تزامناً والأعمال التي قام بها بيرلمان من خلال تعرضه لنظرية الحجاج سنة 1958م والذي يرمي في دراسته إلى استمالة عقل المتلقي و التأثير في سلوكه و إقناعه، فكان على إثرها ميلاد مصطلح البلاغة الجديدة.<sup>12</sup> حيث يعد هذا المصطلح من أهم المصطلحات التي تم تداولها في الدراسات المعاصرة لبلاغة الإقناع، وهو مصطلح اضطرب مفهومه في التراث الذي انطلق منه و المفهوم الذي وصل إليه، إذ يعد عند أرسطو من وجهة نظر المعاصرين \_ مراعاة المقام والحال من خلال العلاقة القائمة بين الخطيب و المستمع من الناحية النفسية و الأخلاقية، وموجب هذه العلاقة ودراسة أحوال المخاطب قام أرسطو بتقسيم الخطابة على أساسها، على عكس العرب لم يهتموا بهذه العلاقة فحاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليها أو يراعيها من أحوال المستمعين، وبذلك غياب للمستمع و حضورٌ كبير لجهد المتكلم، في حين أنّ شخصيّة السامع تكون واضحة وله دوره الإيجابي في الحوار في البلاغة الغربية القديمة والمعاصرة أيضاً.<sup>13</sup>

إن الحجاج من خلال ما ذهب إليه أرسطو عملية إتصالية قوامها الحجة المنطقية وغايتها إقناع الآخر و التأثير في حياته السلوكية، ويعتبر هذا التحديد امتداداً لمفهوم الخطابة عند أرسطو والتي أطلق عليها (الريطورية) هذه الأخيرة تعنى: قوة تتكلف الإقناع في كل واحد من الأمور المنفردة.<sup>14</sup> وبذلك يعتبر الحجاج هو البلاغة الجديدة على حد ما ذهب إليه بيرلمان إذ أنه يطابق بين البلاغة و الحجاج فلا تخرج البلاغة في نظره عن دائرة الحجاج، وهذا ما ذهب إليه أوليفي برول حيث نجده يصرح أن البلاغة لم تعد لباساً خارجياً للحجاج، بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصة، وقد أكد أن القدماء لم يخطئوا حين وحدوا في مجموع واحد بين البلاغة و العناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية و الجمالية، لا مفر للبلاغة لأي حجاج دون أن يؤدي ذلك حتماً إلى التحريض.<sup>15</sup> ومنه يمكن القول أن البلاغة الجديدة هي مصطلح آخر للحجاج أو هي الحجاج نفسه بقضايا و تقنياته و أسسه و مبادئه وهذا ما أكده عبد الله صولة إذ أنه يوازي بين المصطلحين و يعتبرهما واحد البلاغة الجديدة أو نظريات الحجاج فيقول: "البلاغة الجديدة في العصر الحديث "بلاغات" كما يقول روبول، لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها برلمان و تيتكا هي هذه

البلاغة الجديدة كما نص على ذلك عنوان كتابهما الفرعي مصنف في الحجاج \_ البلاغة الجديدة<sup>16</sup> إذ عبر العنوان الفرعي ((البلاغة الجديدة)) لكتاب بيرلمان ((مصنف في الحجاج)) عن هذا التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة علماً مستقبلياً هدفه تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسفة عليها.<sup>17</sup> وقد سعى الباحثان إلى تخلص الحجاج من التهمة المغالطة و المناورة و التلاعب بعواطف الجمهور و بعقله أيضاً ،فالحجاج عندهما معقولة و حرية ، فموضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم .<sup>18</sup>ولذلك أخذت البلاغة الجديدة (الحجاج) على عاتقها مهمات عدة منه تخلص الدرس البلاغي مما لحق به من تشويه يعود أساساً على التبسيطات ، وذلك من أجل التوجه إلى آفاق القراء و حُججهم من جهة ، و التخلي عن النزعة المعيارية من جهة ثانية .<sup>19</sup>

#### رابعاً: اتجاهات البلاغة الجديدة :

-الاتجاه اللساني: "ظهرت اللسانيات البنوية نظراً لتضافر عدة تيارات من الشكلائية الروسية ومدرسة براغ والانثروبولوجيا، والبنوية نظرية نقدية اتخذت من اللغة أساساً لها في البروز على الساحة النقدية"<sup>20</sup>.

يقول "جاكسون" أن اللسانيات هي " العلم الذي يشمل كل الأنساق والبنى اللفظية، ولكي تستوعب مختلف البنيات كان لزاماً عليها ألا تختزل في الجملة أو أن تكون مرادفة للنحو في لسانيات الخطاب أو لسانيات فعل القول"<sup>21</sup>

ويرى جاكسون أن الشعرية متصلة بجذرها اللساني، فهي بنية نصية بإمكانها تحقيق المعاني والانزياحات ، وقد اكتسبت الشعرية قيمتها من الدراسات اللسانية خاصة التحليل البنوي والتحليل الأسلوبي فالشعرية هي الأدبية موضوعها علم الأدب الذي يعنى بآليات الصاغة والتركيب بكل ما يجعل من كلام ما عملاً أدبياً، فالشعرية هي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق رسالة لسانية وتحكمه دون أن تثير انتباهنا.<sup>22</sup>

وقد ظهرت مجموعة دراسات لسانية تحاول تصنيف الصور البلاغية في ضوء معايير منهجية محدودة ومنها:-

تصنيفها حسب المعيار الصوتي أو الخطي وأخرى في ضوء المورفيم ( الزوائد واللواحق والمقاطع) أو حسب طبيعة الكلمة أو المركب أو التركيب، و أخرى حسب طبيعة الدلالة أو السياق التداولي وبعضها صنف حسب المحاور اللسانية ومنها

المحور الاستبدال مثل صورة السخرية ،وهناك صور المحور التأليفي مثل الاستعارة .وقد صنف (رومان جاكسون) الصور البلاغية في قطبي الاستعارة و المجاز المرسل أو المشابهة و المجاورة ، فقد وجد الشعر مرتبطاً بالاستعارة في حين يتميز النثر بالمجاورة.وقد عنى ( جيران

جينيت) كما الآخرين بالصور البلاغية كما في مقالة ( البلاغة المقصدة أو المحدودة) فقد درس فيها الصور البلاغية لاسيما الاستعارة والكناية والمجاز المرسل في ضوء رؤية بلاغية جديدة.<sup>23</sup>

### الاتجاه الأسلوبى:

وتعد الأسلوبية أيضا فرعا حديثا من فروع اللسانيات إلى جانب الشعرية والسيميائية والتداوليات وتهتم بوصف الأسلوب بنية ودلالة ومقصدية وهي بهذا تختلف عن البلاغة الكلاسيكية ذات الطابع المعيارى التعليمي التي كانت تهتم بالكتابة والخلق والابداع وتجويد الأسلوب بيانا ودلالة وسياقا وزخرفة، وتقدم للكتاب الناشئ مجموعة من الصفات الجاهزة في عملية الكتابة. وتنمى الأسلوب بلاغة وفصاحة وتأثيراً.<sup>24</sup>

" فالأسلوبية دراسة الأسلوب على المستويات الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبية والتداولية. دراسة الأسلوب دراسة علمية في مختلف تمثلاته اللسانية والبنوية والسيميائية ومستوياته الصوتية والدلالية والتركيبية وهي تهتم بخصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي وتحديد مواصفاته ومميزاته الفردية واستخلاص مقوماته الجمالية وبيان ذلك على المتلقي ذهنياً ووجدانياً وحركياً. ومن القضايا التي تكرحها الأسلوبية للدراسة: موضوع الكتابة والصياغة، قضية الانزياح، قضية المسافة الجمالية، أدبية النص الأدبي ودراسة الوظيفة الشعرية، ورصد الصور البلاغية، العناية باللفظ والمعنى.<sup>25</sup>

فالأسلوبية مقارنة منهجية نظرية وتطبيقية يمكن تمثلها في الحقل الأدبي والنقدي لمقاربة الظواهر الأسلوبية البارزة التي تميز المبدع وتفرده عن غيره، تدرس الأجناس الأدبية، سرادبية النصوص والخطابات والمؤلفات، دراسة الوظيفة الشعرية، التمييز بين الأساليب حقيقة ومجازاً، وتعييننا وتضميننا، مع رصد الأشكال والبنى الأدبية والسيميائية، واستكشاف بلاغة النص، وتحديد المستويات اللسانية للخطاب من: صوت ومقطع وكلمة ودلالة وتركيب وسياق ومقصدية، وربط ذلك بالفرد المبدع وموهبته او العمل على دراسة / الأسلوب/ وفق المعطيات النفسية او الاجتماعية.

أما الأسلوبية باعتبارها بلاغة علمية جديدة نشأت في احضان الشكلانية الروسية والنقد الجديد فاستلهمت؛ حيث بحث الشكلانيون الروس في أدبية العمل الإبداعي مركزين على العبارة الشعرية نفسها، كرد فعل على الاهتمام بمكونات خارج أدبية، حيث اختزلت البلاغة (الشعرية) في صور دلالية خاصة ثم صورة واحدة (الاستعارة).<sup>26</sup>

يقول (ميشل جوكي) : " إذا تعلق الأمر بإفصاح نوع من الأنواع لجنس ما، فإن الاستعارة أو صورة الصور هي المؤهلة للعب دور الجنس... الاستعارة والكناية رغم اختلافهما الثانوي إلى بعد واحد هذا البعد الذي يمكن التعبير عنه عامة بعبارة استعارية"<sup>27</sup>

ومن هنا نلاحظ أن البلاغة وقعت أسيرة الشعرية وأعطيت للاستعارة مفهوماً واسعاً وعموماً لتستوعب كل صور التغيير الدلالي والانزياحات .

من هذا يتبين أن الأسلوبية قد ارتبطت بالتفكير حول الأسلوب، اقترنت بمقولة (بوفون) (الأسلوب هو (الكاتب نفسه) وهذا يدل على أن المبدع لابد من أن يمتاز بأسلوب شخصي أصيل يكون علامة عليه...<sup>28</sup>

### الاتجاه الحجاجي: البلاغة الحجاجية:

ارتبطت البلاغة الجديدة حسب (بيرلمان) بالحجاج ارتباطاً وثيقاً فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الافهام والاقناع والتأثير ، وقد اهتم (بيرلمان وتيتيكا) على مبدئين أساسيين: القصد، المقام. فهما لا يعتبران الحجاج تلاعباً بعقل المخاطب؛ بل يؤكدان على أن موضوع الحجاج هو : " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم"<sup>29</sup> و"دراسة التقنيات البلاغية الحجاجية التي تسمح بتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تطرح عليهم هي موضوع الحجاج، ذلك أن التخاطب إنما يتم من أجل ربط علاقات مع الغير بهدف التأثير فيه أو الاتفاق معه، وذلك عن طريق تبرير موقف أو الدفع إلى عمل"<sup>30</sup>

أضفى بيرلمان (berelman) في نظرية البلاغة الجديدة بعداً عقلياً على الحجاج؛ ورأى أن " الفعل المترتب على الحجاج ليس موصلاً إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو فعل هياً له العقل والتدبر والنظر"<sup>31</sup>

وبذلك بيرلمان و تيتكه يسعيان في كتابهما المشترك إلى ضبط العلاقة بين الحجاج والبلاغة ويعطي إمكانية قراءتين:<sup>32</sup>

أ/ الحجاج هو البلاغة الجديدة.

ب/الحجاج من البلاغة الجديدة.

فالبلاغة الجديدة عندهما حجاجية بامتياز، ذلك أن هدفها الوحيد هو الإقناع والتأثير، فنظرية الحجاج البلاغي ترى أن الحجاج هو البلاغة أما ما ليس حجاجاً فهو إما سفسطة أو برهان.<sup>33</sup> فقد حرص بيرلمان على إبعاد الأحكام الانفعالية والاعتباطية عن البلاغة، وكان منطلقه البحث عن منطق للقيم يقول: « لا يوجد منطق للقيم وما نبحت عنه عولج قديماً عبر البلاغة أي « فن الإقناع والاقناع» وهي نظرية أثرت في مسار البلاغة.<sup>34</sup>

-الاتجاه السيميائي: ويعد ( رولان بارت) خير من يمثل هذا الاتجاه، لان البحث السيميولوجي لديه هو (دراسة الانظمة الدالة) عناصر سيميائية الدلالة لدى بارت،<sup>35</sup> وقد حاول (بارت) بوساطة هذه الثنائيات اللسانية البنيوية: ثنائية (الدال والمدلول)، وثنائية (التعيين والتضمين)، وثنائيات (اللسان والكلام)، وثنائية (المحور الاستبدالي والمحور التركيبي).مقاربة الظواهر السيميولوجية، كأنظمة الموضوعة، والاساطير، والطبخ ، والازياء، والصور، والإشهار، والنصوص الأدبية، والعمارة، الخ .... واخيراً، يمكن للمقاربة النصية والخطابية في بعدها

السيميوطقي ان تستعين بثنائيات بارت اللسانية والبلاغية بغية البحث عن دلالة الأنساق اللفظية وغير اللفظية في الأنشطة البشرية والنصوص الإبداعية الأدبية والفنية.<sup>36</sup> ويعني هذا أن رولات بارت من الدارسين الغربيين الأوائل الذين سارعوا الى تطبيق البلاغة وخاصة ثنائية التقرير والايحاء، على الانظمة السيميولوجية غير اللفظية مثل: الموضة، والطبخ والإشهار، والازياء، والصور، والموضة ... بل بعد من أهم الدارسين للصورة الإشهارية في الغرب على المستوى السيميائي والبلاغي سيما في دراسته ( بلاغة الصورة الإشهارية) وقد ارتأى أن دراسة الصورة تستوجب التركيز على دراسة الرسالة اللغوية، والصورة التقريرية، وبلاغة الصورة. والبلاغة السيميائية استخدمت البلاغة في التعامل مع الأنظمة السيميائية والاجتماعية كالموضة والصورة والأزياء والاشهار...<sup>37</sup>

و جماعة مو (mu) فتستند على السيميائ والبلاغة معًا، وعدم إغفال آراء دوسوسير، وبيرس، ورولان بارت، وغريماس، وإيكو وغيرهم، مع العلم أن السيميائية تهتم بالعلامة في المستويات الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية والتداولية والجمالية. والبعد البلاغي أحد أسس الدراسات السيميائية القائمة على البحث عن العلامة، وقد اشغلت جماعة (مو) على البنيات التركيبية والدلالية والسياقية من خلال الجمع بين المستويات المنهجية، والانفتاح على اللسانيات اللغوية والبصرية، ودراسة علاقة النص بالصورة، والتركيز على الصورة البيانية والمحسنات البديعية والحجاج التأثيري والإقناعي وخاصة عند جاكسون، ومن هنا ندرك أن جماعة مو (mu) عملت على تأسيس سيميائ بلاغة عامة وخاصة، لمعرفة أنظمة اللغة معرفياً وسياقياً<sup>38</sup>.

ومما سبق نستنتج أن جماعة (مو) ربطت المنهج السيميائي بالبلاغة، واستثمرت العلامة السيميائية في الدراسات الحجاجية والأسلوبية، واستفادت من إشارات ورموز علم البيان، والمحسنات اللفظية والمعنوية، ودلالات علم المعاني، مثل: الاستفهام، والنفي، والتوكيد، والقصر، والنداء.<sup>39</sup>

#### -الاتجاه التداولي : البلاغة هي التداولية

التداولية " علم يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم وهذا ما كان يسمى في البلاغة القديمة بمقتضى الحال"<sup>40</sup>

يرى ليتش أن " البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما"<sup>41</sup>

"فالبلاغة وثيقة الصلة بالتداولية كونها تشترك معها في الاهتمام بفن الإقناع والتأثير وتدرسان كل ما له علاقة باستعمال اللغة في التواصل قصد التبليغ وتعديل رأي المتلقي، فتقوم البلاغة التداولية على دراسة مقاصد المتخاطبين هدفها دراسة الخبر والإنشاء وفق رؤية لغوية تداولية وظيفية قائمة على نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحوارية، وذلك عبر تصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات صريحة المعنى مع تحديد أفعالها القضوية وتبيان قوتها الإنجازية الحرفية ثم استكشاف المعاني الضمنية التي يستلزمها السياق، ثم الانتقال إلى الاستلزام الحوارية للكشف عن المعاني الإنجازية السياقية و المقامية مع التركيز على الدور الدلالي والدور التركيبي والدور التداولي، وتصنيف الأقوال حسب أغراضها الإنجازية البلاغية.<sup>42</sup>

فالبلاغة تشترك مع التداولية في كثير من الاهتمامات، مثل الاهتمام بالعناصر التواصلية: المتكلم، والمتلقي والخطاب والمقام قصد التأثير والإقناع، كما تهتمان بالإنجاز الكلامي و مقصدية المتكلم من خلال خطابه ومراعاة ظروف المتخاطبين الثقافية والاجتماعية والنفسية.<sup>43</sup>

### خامساً: البلاغة الجديدة عند العمري:

يعتبر محمد العمري من البلاغيين الذي أسهموا في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي وتبين معالمه بصورة جديدة توازي إلى ما ذهب إليه الدرس الغربي من أجل تحقيق آفاق جديدة ومحاولة النهوض بالبلاغة القديمة التي ظلت مهملة لسنوات طويلة وذلك وفق منهجية جديدة، وقد أسهمت إنجازاته في تطوير آليات النظر للبلاغة، وذلك استناداً إلى ما ذهب إليه الدرس الغربي على رأسهم أرسطو الذي ربط البلاغة بالخطابة أو ما أطلق عليه (ريطورية). هذا المصطلح الذي عانت منه الدراسات العربية من أجل وضع مقابل له. فالريطورية نجدها تدل على معنيين اثنين أساسيين، وقد تدل على معان ثانوية وعارضة، وهذا ما نجده في معجم ألفاظ الأسلوبية لجون ماز اليغا و جورج مولينيي تعتبر عن ثلاث معانٍ ثالثها ثانوي و عارض :

\_ البلاغة مبحث قديم يهتم بفن الإقناع في مكوناته و تقنياته، واستنباط الحجج و معالجتها و بثها، ومن هذه الزاوية نجد البلاغة اليوم في ارتباط بالتداولية.

\_ البلاغة مجموعة من صور التعبير منفصلة عن نوع الخطاب الذي استعملت فيه.

\_ وقد تعني الكلمة أحياناً المقاييس المعيارية لفن الكتابة.

وعليه فإن للبلاغة معنيين كبيرين المعنى الحجاجي الإقناعي: الذي يصب في التداولية الحديثة، والمعنى التعبيري الذي يصب في الأسلوبية، وهي ثنائية تغرى باسترجاع ثنائية البيان و البديع في نشأة البلاغة العربية، فالمعنى الأول مرتبط بنشأة البلاغة في الغرب، والثاني مرتبط بعملية اختزال التي تعرضت لها البلاغة في التاريخ.<sup>44</sup> وهذا المصطلح ترجم إلى عدد من المفاهيم في الساحة العربية و التي انقسمت على إزائها إلى أربع مجامع: منهم من ذهب إلى ترجمتها بمصطلح البلاغة ومنهم صلاح فضل، رضوان الرقيبي... ومنهم من ترجمها بالخطابة أمثال علي الشعبان، و عبد العالي قادا، وآخرون ذهبوا إلى دمج المصطلحين (البلاغة و الخطابة معاً) وعلى رأسهم حافظ إسماعيل علوي ومحمد الولي، في حين ذهب فريق آخر إلى الخلط بين المصطلحين تارة البلاغة و تارة أخرى الخطابة إلا أنهم اتفقوا على أنها جديدة منهم محمد العمري، و عبد الله صولة...<sup>45</sup>

أما من الناحية المفهومية لهذا المصطلح في الدراسات العربية نجد أن محمد العمري قد عرف البلاغة بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال.<sup>46</sup> والبلاغة عنده تنصرف حسب السياق إلى أحد معنيين أو إليهما معاً:<sup>47</sup>



**أولهما :** الكفاءة التعبيرية ، أو حسن الكلام و هما يتضمنان الفاعلية و الإعجاب ،فالكلام البليغ هو الكلام الفعّال أو المعجّب ،أ،هما معاً بزيادة أو نقصان

**و ثانيهما:** العلم الذي يصف هذه الكفاءة وهذا الحسن، وحديثنا ينصرف إلى المعنى الثاني ، لكنه يستجلب من حين لآخر المعنى الأول و يتضمنه تضمّن المنهج لموضوعه.

كما نجده أيضاً يوضح أن الخطاب نوعان :خطاب تداولي حجاجي /وخطاب تخييلي شعري والذي يمكن أن يتداخل من حيث الممارسة وذلك حسب النصوص و التيارات الخطابية عبر الأزمنة و الحضارات هذا التداخل من شأنه أن يثري الساحة الفكرية و النقدية.<sup>48</sup>

ونجد العمري يضع مقابل لمصطلح ريطورية أو البلاغة الجديدة ثلاث مفاهيم كبرى ممثلة في :<sup>49</sup>

المفهوم الأرسطي:والذي يخصصها لمجال الإقناع و آلياته،حيث أنها تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاوره و المشاجرة والمفاضلة).

المفهوم الأدبي :والذي يبحث في صور الأسلوب .

المفهوم النسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علماً أعلى يشمل التخيل و الحجاج معاً.

وقد أقدم العمري على ترجمة العديد من الأعمال التي تصب التي تدور في فلك البلاغة و التداولية المعاصرة، حيث ترجم لجان كوهين (1581) و هنريش بليت(1585) و كيبيدي فاركا(1553) و مارسيلو داسكال(1551)، كم أنه اهتم بإحياء البلاغة العربية القديمة، وذلك بمحاولة قراءتها بالانفتاح على العلوم المعرفية الحديثة و المعاصر(اللسانيات البنيوية ،علم الاجتماع الأدبي، مباحث البلاغة الجديدة،وكذلك آليات التواصل و تقنياته المتغيرة بسرعة فائقة في هذا العصر.وهي تقنيات عملت فعلا على تغيير موقع الإنسان (المخاطب ، المشاهد ، السامع، القارئ)...وتغيير علاقته بمحيطه وبمن حوله وذلك من خلال إعادة تشكيل الأسس و المعايير التي كانت تقوم عليها تلك العلاقات.<sup>50</sup>

وتتبع العمري لبلاغة الجديدة أفرزت ثلاث تيارات كبرى،وهي:<sup>51</sup>

1/تيار شعري بديعي: يقوم أساسا على دراسة الصورة البديعية ويمثله مجموعة ليبيج

2/ تيار خطابي منطقي : يركز اهتمامه على طرائق الإقناع وبناء الحجج في الخطاب يمثله بيرلمان الذي اختزل الخطابة في البعد العقلاني الحجاجي مسيطرة للمناخ الثقافي و السياسي السائد.

3/ تيار خطابي (البلاغة العامة) :وهو عبارة عن دمج معطيات التيارين السابقين وأبرز من يمثله هنريش بليت في دراسته البلاغة و الأسلوبية الذي أعاد من خلالها الواجهة للبعد التداولي الحجاجي للبلاغة القديمة .

ليتوصل في الأخير إلى تعريف شامل للبلاغة الجديدة بقوله: البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال... و الخطاب الاحتمال كما قال ريكور، وهو الخطاب الذي يمتد بين الاعتباط (أو الهذر) ،في أسفل السلم،وبين الاستدلال البرهاني في أعلاه.الخطاب الذي تستوعبه الصيغة القديمة التي انشغل بها الفلاسفة المسلمون في حديثهم عن التصديق الشعري و التخيل الخطابى.فهذا المفهوم الحديث ينسجم مع التصور العربي للبلاغة ،فقد كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر و الخطابة<sup>52</sup>

سادساً: خاتمة:

وصفوة القول أن ا لدرس البلاغي دائم التجدد والتطور مع حركة الأدبية، وفق تفرضها روح العصر، وتهتدي إليها مواهب الأدباء،وهذا ما جعل البلاغة تنتقل من كونها بلاغة تقليدية كلاسيكية تتسم بطابعها المعياري التعليمي ،إلى بلاغة جديدة علمية لسانية حجاجية تعنى بوصف الخطاب البلاغي، مع تبيان قواعده المضمرة، و استخلاص بنياته و دلالاته ووظائفه التداولية و الحجاجية، والتي كانت نتاج تراكم عديد من التصورات،حيث أن في إطار الاهتمام بالبلاغة و إعادة قراءة التراث و صياغة نظرية بلاغية جديدة له برزت ثلاث اتجاهات ،هذه الاتجاهات عكست خلفية أصحابها،والعمري أحد البلاغيين الذي سعوا إلى التجديد البلاغي حيث أنه يقرّ أن البلاغة تحمل معنيين كبيرين المعنى الحجاجي الإقناعي :الذي يصب في التداولية الحديثة ،والمعنى التعبيري الذي يصب في الأسلوبية ،وهي ثنائية تغرى باسترجاع ثنائية البيان و البديع في نشأة البلاغة العربية،فالمعنى الأول مرتبط بنشأة البلاغة في الغرب،و الثاني مرتبط بعملية اختزال التي تعرضت لها البلاغة في التاريخ.

الحواشي:

- 1 \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم، 2016، ع 16، ص 97.
- 2 \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية،ص 98،99.
- 3 \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية،ص99.
- 4 \_محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ،أفريقيا الشرق ،لبنان،1999،ص8.
- 5 \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية،ص99.
- 6 \_هدى بن عزوز، إبستمولوجيا البلاغة العربية \_المقاييس العلمية و الأصول المعرفية \_ مجلة المقال،ماي 2018، ع 7، ص 341،
- 7 \_هدى بن عزوز، إبستمولوجيا البلاغة العربية \_المقاييس العلمية و الأصول المعرفية \_،ص342.
- 8 \_ ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة مسارات و مقاربات، دار كنوز المعرفة ،عمّان، ط2، 2021، ص 37.
- 9 \_جميل حمداوي، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، شبكة الألوكة،www.alukah.net
- 10 \_هدى بن عزوز، إبستمولوجيا البلاغة العربية \_المقاييس العلمية و الأصول المعرفية \_، ص342.
- 11 \_محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها و امتداداتها،ص9.
- 12 \_رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، مجلة التعليمية، جانفي 2017، مج4، ع9، ص2.

- 13 \_ هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، البلاغة الجديدة \_ مشروع التجديد المعاصر ثوابت و متغيرات ،مجلة الخطاب، مج14، ع2، ص89.
- 14 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص2.
- 15 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص2
- 16 \_ عبد الله صولة ، نظرية في الحجاج دراسات و تطبيقات، دار الجنوب للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 2011، ص71.
- 17 \_ محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدي، ط1، 2008 ، ص 102.
- 18 \_ ينظر، عبد الله صولة :الحجاج أطره و منطلقاته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، (د،ت)، ص 289، 299.
- 19 \_ ينظر : محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008 ، ص101 و 102.
- 20 \_ ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء المغرب، ط5، 200، ص 71 .
- 21 \_ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، المغرب، 1988 ، ص78
- 22 \_ ينظر:بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الجديدة، مجلة الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مج:21، ع:1، ص 9 .
- 23 \_ شيماء محمد كاظم الزبيدي، علاقة البلاغة بالاتجاه اللساني، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية <http://humanities.uobabylon.edu.iq> 17:36:562022/04/21
- 24 \_ جميل حمداوي ، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، ص 13.
- 25 \_ جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 78 – 79
- 26 \_ جميل حمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014 ، ص 78 .
- 27 \_ محمد العمري ، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، إفريقيا الشرق، المغرب ، ط1، 2014 ص 74 .
- 28 \_ شيماء محمد كاظم الزبيدي، البلاغة والاتجاه الاسلوبي، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية 2022/04/21، 05:40:39 .
- 29 \_ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 107
- 30 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الجديدة، مجلة الآداب واللغات، ص 12
- 31 \_ عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم تونس ، 1998 ص 299.
- 32 \_ سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي و التلقي العربي، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات ، جوان 2013، ع7، ص11.
- 33 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الجديدة، ص11.
- 34 \_ سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي و التلقي العربي، ص12.
- 35 \_ جميل حمداوي ، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، ص22.
- 36 \_ ينظر: جميل حمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014، ص 85 .
- 37 \_ سلوم النفيعي ، على ناصية الأدب ، السيمياء والبلاغة (جماعة مو mu) ، <https://alhtoon.com> ، 2022/04/21.
- 38 \_ سلوم النفيعي ، على ناصية الأدب ، السيمياء والبلاغة (جماعة مو mu) .
- 39 \_ سلوم النفيعي ، على ناصية الأدب ، السيمياء والبلاغة (جماعة مو mu)
- 40 \_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت ، 1413هـ / 1992م، 1992 ص 21

- 
- 41 \_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 97 . 98
- 42 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الحديثة، ص 15.
- 43 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الحديثة، ص 15.
- 44 \_ سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي و التلقي العربي، ص 10، 11. وينظر : محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص 62.
- 45 \_ هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، البلاغة الجديدة \_ مشروع التجديد المعاصر ثوابت و متغيرات، ص 89، 90.
- 46 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 18.
- 47 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص 18.
- 48 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص 19.
- 49 \_ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص 11، 12.
- 50 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 8.
- 51 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 9.
- 52 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 10.

# أثر نمط النص في تشكيل طبيعة البلاغة العربية مقاربة تأصيلية

د. إبراهيم بشار- جامعة محمد خيضر - بسكرة

## الملخص:

نسعى في هذه الورقة البحثية إلى تتبع الشروط السياقية والنصية التي تقود إلى هيمنة بلاغة خاصة دون سواها أو انتشار بلاغة معممة؛ لأن هذه الشروط قد تختلف فيأفل معها ذلك الطابع ويتوارى، كما قد يظهر بصيغ مختلفة. وهذا ما سنتبينه من خلال الوقوف عند الأصول التي حدّدت أطر الإبداع والإقناع عند البلاغيين؛ والأسس التي تفضي إلى التحول في النظر للأسلوب الواحد من الاستحسان إلى الاستهجان، ومن الحكم عليه إلى محاولة تفسيره.

- فما طبيعة النصوص التي يشتغل عليها البلاغيون؟
- وما المسوّغات الأساسية التي تفرز بلاغة خاصة أو نوعية تهيمن على ثقافة محددة وفي عصر بعينه؟

للإجابة عن هذه الإشكالية استلزم منا ذلك التطرق إلى العناصر الآتية:

- البلاغة بين هاجس التغييرية وحاجز التقنين.
- المهيمن البلاغي والنص المهيمن.
- عمود الشعر (النص القديم).
- البديع (النص الحديث).

## تمهيد

عُدَّت البلاغة العربية عند علمائنا الأوّل من أشرف العلوم وأكثرها خدمة للدين الإسلامي، ويكفينا دليلاً ما ذكره أبو هلال العسكري في قوله: «إن أحق العلوم بالتعلّم وأولاها بالتحفّظ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرَف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشده، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حُجُب الشكّ بيقينها»(1).

فهذه المقولة تشي بعظم شأن هذا العلم وقداسته، ثم إن من يتتبع كتب الإعجاز والبلاغة عموماً يلحظ كيف تجمّعت في وظيفة البلاغة عدة عناصر تتفق في شروط نجاح القول، من حيث تأديته للغرض. ويروى أن القرطاجني قد شبّه

حال من يظن إمكان تحصيل البلاغة والاستفادة منها، في وقت وجيز، بحال الصديق الذي قضى ليلته في تصفح كتب الطب، ثم أصبح وهو يحرق وصفة طبية لإسعاف صديقه المريض، فعجل بنهايته. إن بوسع إنسان ذكي، كما قال، أن يحصل بالاجتهاد في علم من العلوم خلال شهر أو عام، شيئاً يعتد به في ذلك العلم، وليس ذلك ممكناً في علم البلاغة، “إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع”. فالبلاغة كما قال في موضع آخر علم كلي يقتضي ضبطه الإحاطة بعلوم اللسان وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب.(2)

لهذا تباينت زوايا النظر وتعددت مدارك الفكر في تحديد مكنن البلاغة؛ فكان من التعليقات ما يؤكد على دقة الاستعمال القرآني في هذا الموضع، وجمالية الاستعارة الشعرية في ذلك السياق، وبلاغة البديع في تلك الخطبة، وأهمية الوضوح في مخاطبة العامة وما إلى ذلك، مما يوضح أن البلاغة خضعت لسياق النص الذي اشتغلت عليه وليس إلى نموذج مسبق وقاعدة مطردة.

## 1- البلاغة بين التغيرية والتقنين:

تعود قيمة أعمال البلاغيين إلى أنها، وهي تدافع عن شعرية النص، لا تلغي تداوليته، وحين تستحسن الوضوح لا تتكرر بلاغة الغرابة في مواضعها، وتتباهى بالبيت المستقل دون أن تستهجن ارتباط أجزاء القصيدة في أنماط خاضعة... فهم يدرسون النص من جهة عناصره وبنياته الداخلية، وفعالية هذه العناصر ووظيفتها، ولا يكتفون بدراسة النص من جهة قدرته على أن يمثل خارجاً أو سياقاً يقع خارجه، بل يدرسونه من جهة قدرته على توفير الشروط التي تحوله إلى فعل لغوي مناسب للتأثير في سياق خاص.(3) وهذا ما يؤكد قول علمائنا إن البلاغة لم تنضج ولم تحترق، خلافاً لأكثر فروع العربية، التي تمّ على أيديهم نضجها واحتراقها، فهي لم تحترق لحاجة الإنسان إليها، ولم تنضج لكون وسائلها تظل بحاجة إلى تجديد يواكب ثقافة العصر الذي نحن نعيش فيه. لهذا لا بد أن تعود البلاغة إلى اعتبارها فناً يتطور بتطور الذوق وبتوسع اللغة وبتوسع ضروب التعبير وتنوع آفاق الثقافة العصرية.(4)

يجد الباحث في التراث البلاغي الأقاليم البلاغية متوزعة على علوم القرآن والنقد وتاريخ الأدب والنحو وعلم الكلام، وهذا يعكس المرونة المنهجية التي اتّسم بها البحث البلاغي من جهة، وشساعة الأراضي التي مُنحت للبلاغة، وهي أولى بها من جهة أخرى. لقد أثار فينا هذا التنوع في الشاهد وفي الهدف وفي آليات التحليل والتفسير، الذي شهدته البلاغة العربية، رغبةً قوية في استنباط طبيعة النص الذي يريد البلاغيون البحث عنه أو فيه، النص الذي يمكن أن

يكون كلمة ويمكن أن لا يكفيه مجلّد، النص الذي يرحل إلى ما قبل منتجته وينتهي إلى ما بعد متلقّيه. ولهذا فمحاولة تسوير الذوق ونمذجة الإبداع بقدر ما تترجم النزعة العلمية التقنيّة إلا أنها تفضي إلى الشكلية والمعياريّة؛ لأنّ الأصل في البلاغة أن تتعامل مع كل استعمال على حدة، وكلما استسلمنا إلى القاعدة والنموذج المسبق وقعنا في الابتذال. ولعل هذا هو ما وقعت فيه البلاغة الغربيّة، حيث أفضى التقليد وقياس نص على نص، وسياق على سياق إلى الوقوع في المعياريّة والجفاء.

إنّ الدعوى إلى اتّهام البلاغة العربيّة في عصر من عصورها بالمعياريّة نابع من تقليد الغربيين في تقويمهم للتراث اليوناني؛ إذ على الرغم من رسوخ منهج التقييد في عهد السكاكي، لكن ظلّ هذا الرجل يفتح مجال الإبداع ويوسّع دائرة الاحتمال. على حين يقرر هنريش بليت (Heinrich Blett) أن البلاغة الغربيّة القديمة قد صدرت عن تصوّر معياري، فتنسب للمقاصد البلاغيّة الثلاثة: "المقصديّة الفكرية، المقصديّة العاطفيّة المعتدلة، مقصديّة التهييج" وتفريعاتها بعض أجزاء الخطاب وبعض الأجناس وبعض مستويات الأسلوب. (5) أما في بلاغتنا العربيّة فقد نتحدث عن التقليد والوقوع في المعياريّة مع شروح التلخيص ومن تقفى أثرهم تقنيّا واستشهادا. وقد لاحظ بعض الدارسين أن العديد من دراسات البلاغيين العرب المحدثين والمعاصرين لأبيات شعريّة تمس علم البيان عامّة ومباحث علم البديع خاصّة، وما بنته قراءاتهم لها لم تخرج في نماذجها النهائيّة ومحصلتها التأويلية عن استنساخ ما ثبتته وأقرته أجهزة قراء سابقين هي في أصل تكوينها، فحاولت تحيين المعاني بغية الاستيعاب الأكبر لمعطيات الحاضر في أسئلة الماضي. (6)

من هذه الزاوية اتّهمت البلاغة بالمعياريّة، والحقيقة أنه اتهام للبلاغة التقليديّة وليس للبلاغة العربيّة الأصليّة، فما ذنب بلاغتنا من دارس عاش العصرنة بكلّ معانيها، وتواصل بأجهزة الاتصال الحديثة وتناوحت الخطابات الكثيفة من كل جهة، أن يرمي بكل ذلك جانبا ويقع يجتر بيتا للشنفرى لو عاش وقتنا لمنه استنفر، أو يكرر خطبة للحجاج مكتفيا بها ليرسخ في زمن الديمقراطيّة سطوة القوة على كلّ حوار أو حرية.

## 2- المهيمن البلاغي والنص المهيمن:

استعرنا مصطلح الهيمنة من مصطلح المهيمن البلاغي الذي اقترحه محمد العمري، وهو مصطلح ارتجالي لما يُكتب له الشيوع، وقصد به السمة البارزة أو القيمة المعنوية في مرحلة من مراحل تطور الأدب، أو عند اتجاه من اتجاهاته. وهي تتجسّد من خلال حضور صور معينة متكافئة أو مترتبة أو من

خلال تأليفات خاصة للصور. ومعيار الهيمنة في نظره التميّز قبل الكم والكثافة، وقد فسّم عصور الأدب بحسب المهيمنات على النحو الآتي:

■ زمن التشبيه والكناية والتسجيع/الشعر القديم (من البداية إلى نهاية القرن الأول الهجري).

■ زمن الاستعارة والتقابل(الطباق)/الشعر المحدث أو المولّد (العصر العباسي).

■ زمن التورية والتجنيس/ شعر المتأخرين (بعد القرن السادس الهجري).

■ زمن الرمز والتناص والتطريز (الإيقاعي والفضائي) (الشعر الحديث). (7)

ففي الوقت الذي اتّجه الباحث الكبير محمد العمري نحو السمة البلاغية فضلنا أن تكون سمة الهيمنة مرتبطة بالنص؛ لأن البلاغة العربية تعاقبت عليها أجناس متباينة وأنماط متعددة، حتى لا يمكن أن نجزم بأن النص الشعري أو النثري أو القرآني أو النص المبتذل العامي هو الميدان الذي تكتفي به البلاغة، وتبحث في انسجامه الداخلي والخارجي. إنها ترافق النص في رحلته عن هويته ونصّيته، النصّية التي قد يحققها تناسب شكلي في سطح الشاهد، أو انسجام دلالي بين قضاياها، وقد تتحقّق بناء على فعل تواصل يسهّم في نصّيته طرفاه، وربّما اصطبغت النصّية بنمط النص وهويته الجنوسية والأجناسية حتى يتحقّق له الانسجام.

فقد أورد لنا أبو حيان التوحيدي أقوالاً تثبت إدراك بعض العلماء لاختلاف البلاغات بين الأجناس الأدبية وبحسب النص المهين، قال أبو سليمان: "فأما بلاغة الشعر، فأن يكون نحوه مقبولاً، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً، واللفظ من الغريب بريئاً، والكناية لطيفة، والتصريح احتجاجاً، والمؤاخاة موجودة، والمواءمة ظاهرة".

"وأما بلاغة الخطابة فأن يكون اللفظ قريباً، والإشارة فيه عالية، والسجع عليها مستولياً، والوهم في أضعافها سابحاً، وتكون فقرها قصاراً، ويكون ركابها شوارد إبل".

"وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً والمعنى مشهوراً والتهذيب مستعملاً والتأليف سهلاً والمراد سليماً، والرونق عالياً والحواشي رقيقة والصفائح مصقولة والأمثلة خفيفة المأخذ والهوادي متصلة والأعجاز مفصّلة".

بلاغة العقل: "أن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن، وتكون الفائدة عن طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ وتقفية الحروف، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب".



بلاغة البديهة: وفيها "يقع التعجب للسامع، لأنه يهجم بفهمه على ما يظن أنه يظفر به كمن يعثر بمأموه على غفلة من تأمله، والبديهة قدرة روحانية في جبلة بشرية، كما أن الروية جبلة بشرية في قدرة روحانية".

بلاغة التأويل: "وأما بلاغة التأويل فهي التي تحوج لغموضها إلى التدبر والتصنع، وهذان يفيدان من المسموع وجوها مختلفة كثيرة نافعة". (8)

لقد كانت المدونات التي اشتغل عليها البلاغيون العرب ترقى في عمومها عن مستوى الابتذال، وتسمو عن لغة العامة والدهماء، فالقرآن المبين وشعر العرب وخطابهم المستبين أثرت المقولات اللغوية البلاغية بمفاهيم جمالية. حيث لم يكن غريبا عن الجرجاني أن يصدر كتابه دلائل الإعجاز بحديث مفصل عن أهمية الشعر ومكانته وبلاغته، ليستشرف القارئ وظيفة النص الشعري في تحديد أطر المنهج البلاغي. لكن مع ذلك لم يفت علماءنا الإشارة إلى تنوع المستويات البلاغية.

### 3- البلاغة ومجاز القرآن وإعجازه:

كان البحث في مجاز القرآن الكريم وإعجازه دافعا قويا لبلورة الكثير من الفنون والمصطلحات البلاغية وصياغتها وتجميعها. وقد اتسع مفهوم المجاز في هذه المرحلة من تاريخ التفكير البلاغي، ليشمل مظاهر عديدة وطرائق متنوعة للتعبير بما فيها من تجاوز تركيبي ودلالي خصوصا التي مثلها القرآن الكريم.

وقد عُدَّت كتب مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وتحرير التحرير وبديع القرآن لابن أبي الاصبع المصري من المصنّفات الأولى التي جسّدت هذا المنحى من التأليف. وتشبّع أغلبها بعلم الكلام الذي مثل الأس المتين الذي ألزم البلاغيين الخوض في هذه المسائل، فربما يفهم القارئ العربي البسيط الآية على ظاهرها، لكن أبي المتخصصون في العقيدة خصوصا في مسائل الذات الإلهية كلامها وصفاتها وأفعالها، على ضوء قانون الإسلام إلا أن يكشفوا المعنى القرآني فهمهم أمر الحقيقة والمجاز.

وبعد أن حفر محمد العمري في أصول البلاغة رأى أن مصطلح المجاز ارتبط في بدايته بعملية معيرة اللغة ومحاولة عقلنة الدين، حيث ظهر أن هناك قطبين: قطب النسق والإطلاق وقطب الشذوذ والنسبية، هناك الله والإنسان من جهة، وهناك الإنسان والكلام من جهة أخرى؛ فحيث يفلت الكلام من معايير اللسان "النحو بمعناه الضيق"، وحيث يلتبس الفعل بين الله والإنسان "من الفاعل حقا؟" ينبثق المجاز. (9)

ويرى البخيتاوي أن ما قدّمه أبو عبيدة والفراء والجاحظ وابن قتيبة ومن بعدهم الشريف الرضي في إطار المجاز لا يتعدى المعنى اللغوي للكلمة، لكن مع ذلك يعترف بأن تلك النظرات أسّست للمفهوم المتأخر للمجاز، حتى جاء الجرجاني فاستنبط مفهوما دقيقا للمجاز قائلا: «أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير

ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول (...). وإن شئت قلت: كل كلمة جُزّت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تُجُوز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضعت له في وضع واضعها فهو مجاز» (10). وهذا الفارق الدقيق بين أصل الوضع وعدم أصليته كان إيذانا باتضاح نسبي لمفهوم المجاز، قاد إلى موازنة أسلوبية أكثر منها عقديّة لأساليب القرآن والشعر العربي.

وبهذا اتجهت البلاغة نحو الخصوصية التعبيرية التي جسدها القرآن الكريم والنصوص الأدبية الرفيعة، بعد أن أسال الحديث عن الخلافات العقديّة الكلامية انطلاقا من المجاز الحبر الكثير.

فعموما كانت المقارنة بين الحقيقة والمجاز تنتهي إلى نتيجة واحدة هي أن المجاز أبلغ من الحقيقة. (11)

#### 4- هيمنة النص القديم (التقليد):

لقد تساءل العرب منذ بداية نظرهم للعمل الشعري عن طبيعة هذا النص، وعن المزية التي تؤهل الشاعر حتى يسمو كلامه إلى مصاف الشعرية، وانبروا يفسرونه في البداية تفسيراً ميتافيزيقياً بأن ربطوه بشياطين توحى إلى الشعراء في وادي عبقر، ثم رُبط بالسحر. لكن هذه التفسيرات لم يُكتَب لها الذبوغ مع رقي العقل النقدي العربي وتلعثم الشعراء أمام بلاغة القرآن الكريم، فأفألت تلك التفسيرات الغيبية وأفل معها مبدأ الصرفة؛ الذي يُرجع إعجاز القرآن إلى صرف الله عز وجل عقول العرب وأسنتهم عن الإتيان بمثله، لتنبثق بعد ذلك أصول أكثر منطقية في وصف العملية الإبداعية وتفسيرها.

وبعبارة موجزة تفرّع البحث عن الأدبية إلى محورين كبيرين، لم يسألما من التداخل هما:

- عمود الشعر الذي تجمّعت فيه ثوابت القصيدة القديمة المطبوعة
- الإبداع أو البديع الذي تبنى المتغيرات الفنية التي تطبّع بها جملة من الشعراء المجددين.

يرى محمد مندور أن اتصال الشعر بالدين شكّل الدافع الأكبر في الانتصار للقديم، خصوصا أن الشعر القديم مثل المعين الذي أخذت منه اللغة العربية بعد أن تسللت العجمة بعد الفتوحات، فعلى سلامة تلك اللغة يتوقف فهمهم لمصادر دينهم وهو أعز ما يملكون، وامتد هذا الأمر إلى الشعراء أنفسهم، الذين ما وجدوا سبيلا لرواية شعرهم من العلماء غير أن يحاكو القدماء أسلوبا وبناء فنيا. (12)

لقد مثل الصراع بين القديم والجديد ركنا ركينا في توجيه البلاغة التطبيقية؛ ورأى عموم البلاغيين أن الشعر القديم هو النموذج الأرقى والمثال الذي به يُحتذى، فاستنبطوا الجماليات التي تُعبّر عن عصر أولئك الشعراء، ثم حاولوا أن يعيّموا نفعها وانسجامها مع العصور المتأخرة، واستجاب لتلك النظرة عديد الشعراء فاقتفوا آثار السلف فبلغوا مبلغهم في الجودة والجزالة. وكان من نتائج الوصف الشامل للشعر العربي واحتدام الصراع بين القديم والجديد، وبخاصة بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام "انبثاق عمود الشعر"، الذي يعد مصطلحا استراتيجيا، تلتقي عنده ثوابت القصيدة شكلا ومضمونا ووظيفةً.

كما أن قضية إنتاج النص والحكم عليه أخلاقيا بالسرقة والاستحسان والقبح يؤكد هيمنة الانموذج القديم؛ ففي باب إنتاج النص، يقول القاضي الجرجاني: «ما تتسع له أمة وتضيق عنه أخرى، ويسبق إليه قوم دون قوم لعادة أو عهد أو مشاهدة أو مراس؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريكة [بمعنى بيضة] النعامة ولعل في الأمم من لم يرها، وحمرة الخدود بالورد والتفاح وكثير من الأعراب من لم يعرفهما، وكأوصاف الفلاة ومن الناس من لم يصحر، وسير الإبل وكثير منهم لم يركب» (13).

فمن هذا الجانب تتوارد الصور وتتداخل العبر حتى ترتسم في الذهن الجمعي عند أمة من الأمم، وربما اتسعت لغيرها من الأمم فتكون شعورا إنسانيا كلما ساعدت على ذلك أجهزة الاتصال، وربما ضاقت حتى انحصرت في نظر بعض المبدعين حتى تُكتب باسمه على نحو ما سجّل النقاد بعض إبداعات امرئ القيس في التشبيه. ولهذا نرجح أن قول نقادنا بمصطلح السرقة مبني أساسا على استئثار النحل والانتحال في بيئة الرواة والشعراء من جهة، وتأثر منهج البلاغيين والنقاد بمنهج علماء الحديث واللغة في الجرح والتعديل والأمانة العلمية من جهة أخرى.

من هذه الزاوية تبدأ الخصوصية التعبيرية التي تصدّى لها عمود الشعر قديما واصطلاح عليها المعاصرون، مع بعض الاختلاف وكثير من التجوّز، بالبلاغة الأدبية المتضمّنة في البلاغات النوعية. فبالنسبة للشعراء العرب في العصر الجاهلي قد أنتجوا نصوصا، تعبّر عن حالهم (أطلال، ذكرى الدار والتغزل بالمحبوبة/كثير الترحال، وصف الناقة والرحلة/الصراع بين القبائل، الذات والآخر، الخير والشر...). فتحقق لهم من شروط النصية سلامة المعنى ودقته، ثم اختاروا لتلك المعاني قوالب موسيقية صوتية، مبنية على التشاكل والتباين والتوازي.

ولكون الإنشاد مثل قناة الاتصال في الشعرية العربية، فقد ضبط النقاد الإيقاع الشعري على أساس التكرارات الواضحة المتوالية، خصوصا الوزن

والروي والقافية. على حين لم يقيموا وزنا للتجانسات الصوتية المتوزعة على أماكن متنوعة في ثنايا القصيدة العربية.

من أجل ذلك تتبّع النقاد سقطات الوزن في هذا الباب وتقبلها الشعراء، ولم يروا بدءًا من تقبله. يقول الأمدى بعد أن أورد شواهد كثيرة للاستدلال على اضطراب الوزن وكثرة الزحاف في شعر أبي تمام: «ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تتبّعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً» (14). فبهذه المقولة يتضح أن مرجعهم الوحيد هنا النص القديم الفصيح الذي عليه تُقاس النصوص وبه يُعرّف الملحون من الموزون، وليس ما أثبتته العروضيون.

لكن هذا الأمر لم يسر على جميع البيئات، فكلّ أمة ترتجل أنماطاً معينة للتعبير عن أحاسيسها وتطلعاتها، فيمكن أن تميل إلى الشعر الغنائي، أو النص الخطابى الإقناعى، أو الشعر التصويرى الإبداعى. لذلك تراها تنزع ربما إلى الألفاظ المناسبة للمعاني التي تريد، والمعاني المناسبة للأنماط التي تؤم مع الإصابة في الوصف.

إذ نتحسّس من شعر الموشّحات والأزجال رغبة مضمرة في إبراز خصوصية المغاربة والأندلسيين، الذين برزوا في هذين النمطين الإيقاعيين كما برزوا في الشعر العمودي. ولا يمكن أن نحكم عليهم إلا بمناسبة اللفظ للمعنى والمعنى للفظ؛ لأن اختلاف المغاربة عن المشاركة في بعض المعاني: (الاهتمام بالطبيعة، الفلسفة، التفاعل مع أوروبا، الميل إلى الطرب...) كان من نتائجه انبثاق أوزان تتناسب مع ذلك. على حين ظلّ المشرقي وفيها للأوزان الخيلية ليس فقط لغلبة الطابع العربى في العصر الأموى، ولكن كذلك لوظيفة الشعر الخطيرة في فهم القرآن وفهم الحياة والثقافة.

وإذا كان هذا حال الوزن والقافية، حيث ضبط الخليل رياضياً أوزان الشعر العربى، فالأمر بدأ مختلفاً في مسألة الاختيارات اللغوية والأسلوبية؛ إذ إن حصر المبدع في ألفاظ بعينها أو صور مكرورة تجعله يقبع في التقليد وتُقبّر عنده الأصالة وروح التجديد.

فمع إصرار النقاد على محاكاة المحدثين في العصر العباسى للقدمات من الشعراء المُفلقين ظلّ باباً سهلاً الفتح، وحاجزاً ليس صعب التجاوز؛ فلا يحيط بلغة العرب إلا نبي، ولا يمتلك إيقاف تطوّر اللغة وتعبيرها عن المستجدات إلا باتفاق سلفى للمجتمع العربى. وهي فرضية غير قابلة للتحقق بعد ما حدث في القرن الثانى للهجرة من تفاعل حضارى وتدقّق.

لأجل ذلك طفق التجاوز يشيع نسبياً في المعانى والبناء مع شعراء النقائض، حين نهضوا بفن الهجاء، بشعر تماثل في الأداء وتشاكل في الصور

تقاذفوا فيها المفخر والنقائص. كما تزعم أبو نوّاس دعوة علنية إلى أن يعيش الشعراء عصرهم، فكانت ثورته على الأطلال. ثم جاء المتنبّي وشغل الناس به، وأثار بين النقاد جدلاً لما ينته عن عملية إنتاجية النص لا يقل عمقا عما أثارته الخصومة بين الطائيين في مسألة الطبع والصنعة. (15)

وهذه المسائل مبنوثة بتفاصيلها في كتب البلاغة التطبيقية مثل كتاب عيار الشعر لابن طباطبا وكتاب الموازنة بين الطائيين للأمدي وكتاب الوساطة بين المتنبّي وخصومه للقاضي الجرجاني.

يطلعنا صاحب الوساطة، مثلاً، عن زوايا مهمة في النظر البلاغي لعملية إنتاج النص من خلال مقارنة الإشكاليات الآتية: متى يبدأ الإبداع؟ أين نحكم على الشاعر بالسرقة؟ ما هي حدود المعاني المشتركة المتداولة؟

وهذه في نظر صاحب الوساطة ميزة الشاعر الحاذق «حيث إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصفه، وعن نظمه ووزنه، وعن رويّه وقافيته، فإذا مر بالغبّي الغفل وجدهما أجنيبين متباعدين، وإذا تأملهما الفطنّ الذكي عرف قرابة ما بينهما، والوصلة التي تجمعهما» (16).

فإفاضة القاضي الجرجاني في الحديث عن السرقات الشعرية والمعاني المتداولة، وتفاعل النصوص بقصد وبغير قصد يشي بمدى مقاربة بلاغينا للنص من جهة عملية إبداعه، كون ذلك يمثل جزءاً من مفهوم النصية؛ فكم من قصيدة أو خطبة بدت غير مكتملة وغير منسجمة، حتى إذا علم القارئ تماثلها مع النمط السائد من القصائد أو الخطب السابقة لها، وتلاقح بنيات تلك مع هذه وتناغم صورهما حكم عليها بالنصية.

## 5- الإبداع/ البديع (النص الحديث)

في المقابل أبقى جملة من الشعراء إلا أن يكونوا مرآة صادقة لعصرهم؛ فهمهم أمر ما وصلت إليه الحضارة العباسية من رقي واحتكاك بالآخر وتغيّر لغوي اصطلاحى، فخرجوا عن البناء الفني للشعر القديم. فحدثت الاستثناءات التي راقنا أحياناً وتضاءلت واضمحلت أحياناً أخرى. وقد قادت هذه الاستثناءات الدارسين إلى أن يعدّوا البلاغة هي فن التجاوز تركيبياً ودلالياً، وكان مصطلح البديع السلة التي رميت فيها تلك الانزياحات.

ففي تراثنا البلاغي العربي نلاحظ أن مصطلح البديع كان شاملاً في فترة من فتراته لعلوم البلاغة، من خلال تغطيته لكل الخصوصيات التي تجعل من النص شعرياً، بدءاً من الاختيارات النحوية التي تحدث في النص لأغراض محددة، مروراً بمسالك المعنى من الوضع إلى الاستعمال المجازي، وانتهاءً بما

استقر عليه مصطلح البديع من مسائل الزخرفة اللفظية والصنعة، فقد كان معناه متناغما مع دلالاته اللغوية.

ويرى محمد مفتاح أن «التسميات الثلاث: علم البيان و علم البلاغة و علم البديع كانت شائعة في المشرق والمغرب، وتبادلت المواقع بحسب الظروف التعليمية والثقافية والاجتماعية. ولكن هذا التبادل لم يكن إلا في عناوين الكتب، وأما داخلها فكانت تتعايش وتتداخل» (17).

وفي سياق متّصل علينا أن نؤمن ابتداءً أن مصطلح الإبداع لا يعني الانطلاق من العدم، بقدر ما يعني إعادة ترتيب، وحسن تقديم، ودقة في إيجاز، وإفادة في إطناب، وتقريب للمعنى وتقويته بمقاربة بين صورتين، وزخرفة في الأسلوب، من خلال تناغم صوتي أو دلالي.

ولعل صاحب "العيار" قد فصل الخطاب حين أجمل فقال واصفا عملية إنتاج النص الأدبي: «على الشاعر أن يديم النظر في الأشعار (...) لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، وتصير موادّ لطبعه، ويذوب لسانه بألفاظها. فإذا أجاز فكره بالشعر أدّى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأوصاف التي تخرجها المعادن. وكما قد اغترف من واد قد مدته سيول جارية من شعاب مختلفة» (18).

فلا يبقى لأثر تلك النصوص جلاء، بعد أن تفاعلت في ذهنه وتناغمت في روعه وصُقلت حسب وضعه واستعماله، فلم يعد القارئ بله الناقد يستطيع أن يجزم أن الشاعر قد أخذ من هذا أو تأثر بهذا إلا على سبيل المقاربة والاجتهاد. فالنص- كما نادت بذلك كريستيفا (J.Kristeva)- إنتاجية مبنية على أساس إعادة التوزيع والتفاعل مع مقام الإبداع.

وقد كان من أبرز مظاهر الصراع بين القديم والجديد البديع، حيث أخذ النقاد على الشعراء كثرة توظيف البديع مع عدم وجود داع بلاغي لذلك، ولعله من المجحف أن نتهم البلاغيين بإنكارهم الصنعة والزخرفة اللفظية لمجرد أنها طارئة على الشعر العربي، فيمكن أن «يحصل الانسجام مع البديع، الذي أتت به القريحة عفوا من غير استدعاء ولا كلفة، كقول أبي تمام: [البسيط]

إن شئت ألا ترى صبر المصطبر فانظر على أيّ حال أصبح

الطلل

فأنت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة والتعليق والإشارة» (19).

إن البلاغيين أدركوا أن البديع موجود في الشعر منذ القدم، ولا يمكن إنكاره، لهذا ما أعابوه على بعض المحدثين هو عدم انسجام توظيف البديع مع المعنى المراد أو التكلف في توظيفه. مما يفقد النص نصيته. وفي هذا الصدد

نذكر ما أورده ابن منقذ في تعريف الاستطراد: اعلم أن الاستطراد نبه عليه أبو تمام والبحتري، وهو أن تمدح شيئاً أو تدمّه ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله، وهو في أشعار المتأخرين بالقصد وفي أشعار المتقدمين بالطبع. ولا ندري كيف حكم ابن منقذ على القدامى بالطبع، وعلى المحدثين بالقصد، على الرغم من كونه لم يقيم بتحليل الشواهد التي سردتها، ولم نشعر بتخاذل المعنى في مجازاة اللفظ. ويُخيل إلينا أنه حكم مسبق عن المحدثين فقط. وكان التخلّص من المقدمة التقليدية أبرز مظاهر الإبداع التي شغلت النقاد والبلاغيين، وأسالت الحبر الكثير، وربما أفضل قراءة لهذا التغيّر في البناء الفني هي القراءة النصية. فهل حقيقة ما أثار البلاغيين على استبدال المقدمة الخمرية وغيرها بالمقدمة الطلالية، إنما هو الرغبة في محاكاة المحدثين للقدامى؟

إن العودة إلى نصوص الشعر الأموي والعباسي التي ظلّت محافظة على البنية الفنية للقصيدة الجاهلية، لا نتحسس فيها غياب النص كما لا نشعر بذلك في النصوص التي خالفت البناء الفني للقصيدة القديمة. لأن للشعراء المحافظين مقاصدَ وغاياتٍ أفضت بهم إلى استحضار الطلل مثلاً في عصر لم يعد للأطلال وجود؛ يقول القرطاجني في سياق المفاضلة بين القصيدة ذات الغرض الواحد والقصيدة المتعددة الأغراض: «والقصائد منها بسيطة الأغراض ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مديحاً صرفاً أو رثاء صرفاً، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح. وهذا أشدّ موافقةً للنفوس الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتتان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد» (20).

فانظر كيف انتبه صاحب المنهاج إلى نزوع النفس البشرية إلى التنوع خصوصاً عند العرب، حيث تهوى التراوح بين الطلل والنسيب والمدح ووصف الرحلة والفخر مع الحفاظ على نسق النص وانسجامه، ولولا استكناه نقادنا لمقاصد المبدعين وقدرة بلاغيينا على عمق التفسير، لَحُكِمَ على القصيدة الجاهلية بله التقليدية بعدم الانسجام أو التلفيق غير المؤسس؛ و«ملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المُفْتَنِّحَ مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم. وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك. وكذلك سائر المقاصد» (21).

فتوارد المقدمة الطلالية والغزلية مثلاً في الشعر لا يخلو من مقصد إثارة دواخل نفس القارئ العربي الدائم البحث عن عمقه التاريخي، وضياعه النفسي الذي سيزداد خطراً مع اتهامات الشعوبيين للعرب بانعدام الخصوصية، وهو ما يتيحه الشعر الجاهلي.

وبناء عليه، يمكن أن يُقرأ استحضارُ الطلل وغيره من دعائم البناء الفني للشعر الجاهلي على أنه رمز نفسي تاريخي عقدي، يتجاذبه الشعراء لتكون قصائدهم أكثر مقروئية وإبداعية وإنتاجية؛ ولعل الشعر المعاصر قد ضرب لنا أروع الأمثلة في تكثيف النصوص بتوظيف أساطير ورموز كأوديب وجلجامش وعشتار، مما لا عهد للشعراء العرب بها، لكنه صراع المقروئية والبحث عن الذات في زمن صراع الخطابات.

### خلاصة

إن الحديث عن أيّ وضع علمي للبلاغة تعترضه مشكلات، كون البلاغة ماثلة في طبيعة الأشياء وفي الحياة وفي جميع أشكال التعبير والتواصل البشري، فلا يمكن أن تكتسب شكلا محددًا كما لا يمكن لقواعدها أن تلتزم في علم مغلق. فالبلاغة تستمد حدودها ومفاهيمها من طبيعة الإبداع اللفظي وغير اللفظي للإنسان في مجرى التاريخ، لذا لا تُفاجأ من التدقق الرهيب للصور والوجوه الأسلوبية التي أنتجتها البلاغة الإنسانية في سعيها لتصنيف أشكال التعبير البلاغي في مختلف الخطابات والنصوص. (22) فهذا العلم استطاع أن يستيقظ ويكتسح بقوة الأقاليم المختلفة للنص، وكان من نتائج هذا التطور:

- أن صارت البلاغة علما مستقبليا ينزع إلى أن يصبح علما واسعا للمجتمع، فهي لم تعد علما خاصا بالخطاب الخاص، وإنما صارت علما عاما للخطابات كافة.

- أن انتقلت من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته؛ أي إنها تخلّت عن نزعتها المعيارية لتهتم برصد الوقائع. (23)

قد كان الجامع المشترك بين كل تلك المقاربات هو النص، كونه يمثل وحدة نحوية دلالية تداولية بلاغية، تتفاعل فيها الدلائل والمدلولات على ضوء المقام، ويتسم بالتجدد الدائم متأثرا بالتطورات التي تعرفها مختلف مناحي الحياة. إن البلاغة تسير مع النص جنبا إلى جنب تسائله في بنيته ودلالته ونمطه، في عملية إنتاجه واستقباله، في تأثره بالمقام وأثره فيه.

---

(1) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين-الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الأستانة العليا، ط1، 1320هـ، ص2.



(2) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول. الموقع:

<https://www.minculture.gov.ma/?p=3578#.Y1bFmXjMLIU> تاريخ التصفح: 13-04-

2022، الساعة 13:48.

(3) ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص 146.

(4) ينظر: منال محمد هشام، نظرية المقام عند العرب في ضوء البرغماتية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432هـ- 2011م، ص 84.

(5) ينظر: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1999م، ص 28.

(6) ينظر: أحمد طايبي، التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية، ط1، 1429 هـ- 2008م، ص 80، 81.

(7) ينظر: محمد العمري، "المهمينات البلاغية في الشعرية العربية"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد: 3، 2013م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 59، 63، 77.

(8) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد الزين وأحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 141/2، 142.

(9) ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2012، ص 7.

(10) الجرجاني، كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، جدة، (دط)،

(دت)، ص 351، 352.

(11) حسن طبل، الصورة البيانية في التراث البلاغي العربي، ص 180 وما بعدها.

(12) ينظر: محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة للأستاذين لانسونوماييه، دار نهضة مصر، القاهرة، (دط)، 2004م، ص 75، 81.

(13) ينظر: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1427هـ- 2006م، ص 163.

(14) ينظر: الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الكويت، ط4، 1379هـ- 1960م، 309/1.

(15) ينظر: عماد محمد محمود البخيتاوي، مناهج البحث البلاغي عند العرب- دراسة في الأسس الفكرية، ص 205.

(16) ينظر: المصدر السابق، ص 178. ديوان كثير عزة، ص 176. إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي نواس، منشورات دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة، بيروت، ط1: 1983، 469/2.

(17) ينظر: محمد مفتاح، التلقي والتأويل-مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 1994م، ص 15.

(18) ينظر: ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 14.

(19) ينظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، تحقيق عبد آلي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص 432. إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي تمام، 417.

- 
- (20) ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص304.
- (21) ينظر: المصدر نفسه، ص310.
- (22) ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأدب، ص 150، 151.
- (23) ينظر: تقديم عمر أوكان لكتاب: رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، (د ط)، 1994م، ص 8.

جامعة محمد خيضر –بسكرة-  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية  
الملتقى الوطني

البلاغة الجديدة (المفهوم والمصطلح) بين التراث العربي والفكر النحوي  
الحديث

بتقنية التحاضر عن بعد والحضور: يومي 09-10 ماي 2022

عنوان المداخلة:

الكلمة في التراث النحوي والبلاغي بين التوصيف والتوظيف.

محور المداخلة:

المحور 2: البلاغة الجديدة في التراث

الدكتور: أحمد تاويليت Ahmed Taoulilit

الرتبة: أستاذ محاضر – ب-

المؤسسة: جامعة محمد خيضر –بسكرة-

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الإيميل: ahmed.taoulilit@univ-biskra.dz

تمهيد:

الكلمة في العربية لها منزلة رفيعة بفضل النص القرآني، وهو حقلها الواسع الذي تتجلى فيه معالمها ووظائفها ودلالاتها، وهي أبرز معالم اللغة ونواتها المركزية، والكلمة –من هذا المنظور- حد فاصل بين العدم والوجود، والفناء والحياة في الكون والطبيعة، وهي علامة (دال-مدلول) على الكائنات والمسميات، والمحسوسات، يختارها الإنسان – المتكلم والمبدع- ويؤلفها في أنساق تعبيرية في الكلام –أو داخل النص- ويفسرها المتلقون والقراء إلى دلالاتها الجزئية، والكلية داخل التراكيب والجمل قصد التواصل المعرفي والفني والتفاهم.

ولقد نظر علماء العربية من نحاة وبلاغيين إلى الكلمة من حيث كونها المركب الوصفي والمكون الأساسي للغة، وساقوا تعريفاتها ومفهومها وحدودها، ومظاهرها الشكلية المتمثلة في مكوناتها وبنيتها الصرفية، واقتربت آراؤهم بتقسيماتها في ظل مقولات الكلم العربي، في حين انصب الاهتمام بها من الوجهة البلاغية في موضوعات شتى في ضوء نظرية النظم، والسياق، ومقتضى حال المخاطب والمخاطب، وفي ظل قضية الحقيقة والمجاز، وما توجيهه من جماليات فنية داخل التركيب.

ولم يتوان علماء البلاغة في إيضاح الكلمة من حيث؛ فصاحتها وبلاغتها في الأنساق التركيبية المختلفة؛ فبينوا معايير ومقاييس الكلمة في درسه البلاغي، سواء من حيث كونها لفظا ومعنى حينما عالجا قضية اللفظ والمعنى، أو ما يتعلق بهما من مباحث نحوية وأثار بين الاتجاهين؛ النحوي منه والبلاغي.

إن الأساس الذي جعل للكلمة أهمية بالغة في الفكر النحوي والبلاغي، ومنزلة رفيعة؛ كونها تتميز بخصائص ومميزات أثناء الاستعمال في اللغة، وخاصة في النص القرآني الذي يتصف بالإعجاز، والإعجاز –ربما- كان بفضل سمات الكلمات الموصوفة بالمجاز والثراء في المعنى، وإيحاءاتها الدلالية من خلال ورودها في النصوص الشعرية والنثرية.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن الكلمة في العربية تظل مشحونة بدلالات لا متناهية ومتغيرة –دوما- بتغير الاستعمال، والأغراض والمقاصد مفردة كانت أم مركبة مع غيرها. وقد تنوعت حقول ورودها وأحكامها من العقيدة والشريعة، إلى الأجناس الأدبية من قصائد شعرية وخطب وقصص وروايات، ولها معان ودلالات مرتبطة بالوقائع التاريخية في ظل علم التاريخ. مما يجعل لها موقعا هاما في مختلف الفروع العلمية، وفي النظريات اللغوية والأدبية، وفي كل مظاهر الوعي الفكري للإنسان.

والنص الأدبي هو المجال الخصب للكلمة، تنتوع فيه دلالتها ظهورا أو خفية أو إيحاء؛ وذلك من خلال طبيعتها اللفظية، وماهيتها ونسقتها التركيبية؛ فهي –أي الكلمة- البؤرة التي يتمركز حولها العنوان والمتن، لها ظلال في العربية مركزية وهامشية وانحرافات دلالية في ضوء ظاهرة الانزياح التي تخرج الكلمة ومعناها عما هو بديهي أو مسلم به.

ولا ريب؛ أن تشريف القرآن للعربية، هو تشريف –كذلك- للكلمة المسكونة والمشحونة بالبيان وسحر المعاني أثناء التعبير، وبروعة الأسلوب في بناء لغة النص.

### أولا: مفهوم الكلمة في اللغة –في المعاجم-

الكلمة في نظر علماء المعاجم العربية هي: «كل ما ينطق به الإنسان مفردا كان أو مركبا والجمع كلمات وكلم. ويقال: كلمة يكلمه (من بابي نصر وضرب... فهو مكلوم وكليم، وكلمه تكليما وكلاما إذا حدثه...، ويطلق على ما يلفظ به المتكلم»<sup>(1)</sup>. وفي مصطلح

(1) موسوعة المصطلح في التراث الديني والعلمي والأدبي، محمد الكنتاني، دار الكتب العلمية، ط 1، 2014، بيروت،

"الكلمة" عدة لغات وتسميات؛ فتميم «تقول: هي كلمة -بكسر الكاف وحكى الفراء فيها ثلاث لغات: كلمة وكلمة وكلمة... والكلمة تميمية، والكلمة: اللفظة حجازية وجمعها كلم تذكر وتؤنث؛ يقال: هو الكلم وهي الكلم. التهذيب». (2)

أما تسميتها؛ فإنها تقع من حيث ما تحويه من مكوناتها «على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. يقال: قال الشاعر في كلمته؛ أي: في قصيدته. قال الجوهري: الكلمة القصيدة بطولها». (3)

ومن تعريفات الكلمة؛ ما جاء مقترنا بالكلام والكلم، فقال صاحب المصباح المنير في ذلك: «كلمته: تكليما والاسم (الكلام) والكلمة بالثقل لغة الحجاز وجمعها (كلم) و(كلمات)... والكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم...». (4) وتوصف الكلمة في عرف اللغويين: بتعدد التعريفات والحدود من جهة الشكل والدلالة؛ فقد تدل على كل ما ينطق به من حروف -أو أصوات- أثناء التعبير، على اللفظة الواحدة أو مجموعة الألفاظ، كما تطلق على النص كاملا إطلاقا مجازيا سواء أكان نصا شعريا أو نثريا؛ فيقال: الكلمة الاستهلاكية: وهي ما يبتدئ به الكتاب أو الخطبة أو الحفل أو نحوه.

كما يقال: كلمة الختام لما يختم به من كلام، سواء أكان كتابا أم خطبة أم حفلا... (5) وثمة اعتبار علاماتي للكلمة؛ فهي علامة والكلمات علامات أي: أنها جزء من فضاء علاماتي هو النظام اللغوي للغة العربية لغة التراث الديني والثقافي والحضاري. ومن هذا المنظور؛ تصبح الكلمة أداة للإدراك والوعي عند المتكلمين والسامعين، تحويها لغة التعبير والتواصل بطرق وأساليب؛ تختلف باختلاف الاستعمال للجمل والعبارات من ذلك ما قد يرد، إنشائيا أو خبريا، أو بالنفي والاستفهام، والتوكيد والشرط والتعجب... وغيرها. وكل ذلك؛ يسوقنا نحو القول: إننا لا نستطيع أن نغفل الكلمة وما تؤديه من دور في اللغة أثناء التواصل أو في علم اللغة Linguistics، لأن كل متكلم لديه فكرة محددة وبديهية حول الكلمة؛ قد يستوي في ذلك القارئ والكاتب (6). مما يكشف مركزية الكلمة في اللغة، إذ لا تخلو منها كل اللغات العالمية، غير أن معاييرها وخصائصها مفردة كانت أو مركبة في العربية تختلف عن اللغات.

والخاصية الأساسية والشائعة للكلمة في العربية؛ هي الإعراب وكذا الاشتقاق والترادف، والتضاد، وثراء المعنى بحسب السياق، كما أنها -في العربية- تظل مرتبطة

(2) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط 6، 2008، بيروت، لبنان، م 13، ص 105 مادة: .....

(3) المصدر نفسه، م 13، ص نفسها.

(4) المصباح المنببر، الفيومي، المكتبة العصرية، (د ط)، بيروت، 2014، ص: 278 (مادة ك ل م)

(5) ينظر: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/انجليزي/فرنسي) إميل بديع يعقوب، وبسام بركة، ومي شيجاني، دار العلم للملايين، ط 1، شباط (فبراير)، 1987، بيروت، لبنان، ص 328.

(6) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 2011، الإسكندرية، مصر العربية، ص 20.

بالظواهر الصرفية؛ كالسبق والإلحاق، والإعلال، والإبدال... وللکلمة علاقة بالعالم الخارجي بين الأسماء والمسميات فهي: رمز على الذوات والموجودات في الطبيعة والكون، مما ينزلها منزلة السمة حينما توسم بها الأشياء في الكون.<sup>(7)</sup>

ويمكن أن نستخلص من خلال ما ذكرناه؛ أن علماء اللغة وأصحاب المعاجم لم يسهبوا كثيرا في تعريف الكلمة وانساقوا وراء تعريفها حينما تكون مقترنة مع غيرها من الكلمات، وتآلفها في التراکيب المختلفة. والكلمة في نظرهم -مفردة- جنس للكلام، تطلق على اللفظة الواحدة، وتقع على حرف واحد أو مجموعة حروف، ولا اعتبار للكتابة في الكلمة؛ لأنها من اللغة، وحد اللغة بالدرجة الأولى يرتبط بالأصوات والتلفظ أثناء النطق. قال ابن جني (ت: 392 هـ): «في باب القول على اللغة وما هي؛ أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>(8)</sup>. وتستمد الكلمة كيانها وجوهرها من الطبيعة الصوتية تارة، والطبيعة الفيزيائية تارة أخرى، وكل ذلك لتحقيق غرض التواصل، والتفاهم بين أفراد المجتمع، ولتلبية المقاصد البيولوجية، والنفسية، والفكرية...

والکلمة في دلالتها على المعنى في ذاتها، أو بانئلافها مع غيرها؛ تعتبر مادة ترمز إلى المعنى أثناء التلفظ، وذلك المعنى كامن في النفس الإنسانية، وفي الأذهان.

### ثانيا: الكلمة في نظر النحاة والبلاغيين:

أ- **الكلمة عند النحاة:** لقد لقيت الكلمة اهتماما بالغا من لدن النحويين؛ فخصصوا لها في درسهم النحوي مجالا واسعا، وعرضوا لماهيتها في ظل مناقشتهم لأقسام الكلم في العربية، وعالجوا ما يعثور شكلها ووظائفها في سياق حديثهم عن المقولات النحوية، إذ ألزموها -الكلمة- بمعايير وخصائص بينوا من خلالها نوعها بين الاسمية والفعلية والحرفية.

غير أن المنهج الذي اتخذه النحاة، واختاروه لدرسهم النحوي للكلمة؛ إنما ركزوا فيه على السمات والعلامات التي توسم بها الأسماء منها، والأفعال والحروف، وكان ميلهم في هذا الشأن؛ نحو الكلمة المفردة خارج التركيب فناقشوا قضاياها من حيث: الإعراب والبناء، والتأنيث والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع، والتعريف والتذكير، وانصبت نظرهم على الكلمة في ضوء مقتضيات الكلام، وانبتت -أساسا- على العلامة كميّار من المعايير التي صنّفوا بها الكلمة ووصفوها دون أن يركزوا على المفهوم باعتباره من البديهيات والمسلمات.

إن نظرة النحاة إلى الكلمة؛ كانت مستمدة من قناعات واتجاهات أملت عليها عليهم توجهاتهم الفكرية والمعرفية التي تأسست من خلفيات مذهبية وعقائدية وانطلاقا من فكرة العلامة والسمة التي توسم بها الأشياء في الوجود، وفي العالم الخارجي، كما أولوا اهتماما بالصفات الصوتية للكلمة التي كانت في مقدمة التحليل والوصف.

(7) ينظر: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/انجليزي/فرنسي) ص نفسها.

(8) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط 2، 1952، القاهرة، 33/1.

ومما ورد من آراء حول الكلمة عند النحاة، وفقا لما ذكرناه في ضوء منهجهم في  
الدرس النحوي؛ قول سيبويه (ت: 180 هـ) في «باب علم ما الكلم من العربية؛ فالكلم اسم  
وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»<sup>(9)</sup>.

والشأن نفسه بالنسبة للمبرد (ت: 285 هـ)؛ الذي قال: «فالكلم اسم وفعل وحرف جاء  
لمعنى لا يخلو الكلام عربيا كان أو أعجميا من هذه الثلاثة»<sup>(10)</sup>، وقال ابن السراج (ت:  
316 هـ) كذلك: «الكلام: يأتلف من ثلاثة أشياء: "اسم" و"فعل" و"حرف»<sup>(11)</sup>.

وتلك الرؤى المفهومية التي ساقها النحويون حول الكلمة، والواردة في متون  
مؤلفاتهم؛ إن هي سوى لفظة متناثرة بين موضوعات درسهم النحوي وتجسيد للجانب  
الصوتي، والصرفي. قال أحد الدارسين في هذا الشأن: إن الدرس الصوتي بدأ «جنباً إلى  
جنب مع نظيره الصرفي والنحوي والمعجمي»<sup>(12)</sup>.

وبذلك؛ فقد بقيت الكلمة عند النحاة قبل القرن 4 الهجري دون مفهوم، إلا ما كان من  
قبيل التقسيم والتصنيف من الوجهة الصرفية.

أما الكلمة في عرف النحاة بعد القرن الرابع الهجري، فقد بدأت معالمها تتضح بعض  
الشيء، من حيث ماهيتها وحقيقتها، ولعل الذي صرح بمفهومها تصريحا جليا هو  
الزمخشري (ت: 538 هـ) في مفصله في فصل سماه: (في معنى الكلمة والكلام)؛ فقال:  
"الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم  
والفعل والحرف"<sup>(13)</sup>، وحذا حذوه أبو المكارم المطرزي (ت: 610 هـ) في كتابه:  
المصباح في علم النحو<sup>(14)</sup>.

في حين؛ أشار ابن يعيش (ت: 643 هـ) إلى اللفظة باعتبارها جنس للكلمة، إذ تتنوع  
إلى المهمل منها والمستعمل فقال: «فاللفظة جنس للكلمة، وذلك أنها تشمل المهمل  
والمستعمل؛ فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف ولم يضعه الواضح بإزاء معنى، نحو:  
صص وكق ونحوهما»<sup>(15)</sup>، وهذا التعريف ارتبط بنوعين من الكلمات، ما ائتلف منها من  
الحروف وانعدم معناه، والمستعمل الذي يحمل معنى.

ويقترب من التعريفين المذكورين، ما أورده ابن الخشاب (ت 567 هـ) حينما فرق  
بين الكلمة والكلام؛ فقال: «الكلمة هي اللفظة المفردة، وإن شئت قلت: الجزء المفرد. هذا  
الأصل... وما يتخاطب به الناس من الجمل المفيدة التي سماها جمهور النحويين كلاما

<sup>(9)</sup>الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، ط 3، 1988 م، القاهرة،  
12/1.

<sup>(10)</sup>المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د ط)، 1994، القاهرة، 3/1.

<sup>(11)</sup>الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4،  
1999 م، بيروت، لبنان، 36/1.

<sup>(12)</sup>في الفكر اللغوي، محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط 1، 1989 م، القاهرة، ص 135.

<sup>(13)</sup>المفصل في علم العربية، الزمخشري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، (د ط)، (د ت)، بيروت، ص 32.

<sup>(14)</sup>ينظر: المصباح في علم النحو، أبو المكارم المطرزي، تحقيق: ياسين محمود خطيب، مراجعة: مازن المبارك، دار  
النفائس، ط 1، 1997، بيروت، لبنان، ص 41.

<sup>(15)</sup>شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبّي، (د ط)، (د ت)، القاهرة، 18/1، 19.

(ألفاظ مؤلفة، وكل مؤلف فله مفردات منها ألف، فالكلام مؤلف، مفرداته هذه الكلم الثلاث فهو ينتظمها ومنها ينتظم)»<sup>(16)</sup>، وساق ابن الحاجب (ت 646 هـ) تعريفاً للكلمة؛ فقال: «الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد»<sup>(17)</sup>، وشرح رضي الدين الأستراباذي قول ابن الحاجب؛ فقال: «اعلم أن الكلم جنس الكلمة»<sup>(18)</sup>.

أما ابن مالك (ت: 672)؛ فقد لخص موقف النحاة القدامى والمتأخرين من الكلمة، في ألفيته فقال:

"كلامنا لفظ مفيد كاستقم. اسم وفعل ثم حرف الكلم واحدة كلمة، والقول عم، وكلمة بها كلام قد يؤم"<sup>(19)</sup>

فهو يرى أن الكلام شرطه الإفادة التي تتأتى من تعلق الكلمات والجمل، ونوه بأقسام الكلمة –جنس الكلم- وهي مفرد للكلام.

والمأمل في نظرة النحاة العرب إلى الكلمة؛ يُوحى إليه بجلاء أنهم أغفلوا جوانب كثيرة تخص مصطلح "الكلمة"، منها جانب الكتابة التي تختصر الملفوظ، والسبب في هذا واضح؛ لأن استقراءهم اعتمدوا فيه كثيراً على المشافهة والسماع للغة من الرواة، والقبائل الفصيحة في نظرهم؛ فاختلفت –ربما- تعريفات الكلمة في أذهانهم بين اللفظ والكلمة، ولم يولوا اهتماماً بالتفريق بين الصوت والحرف، في أحيان كثيرة، واعتبروا المصطلحين كالشيء الواحد من الناحية الوظيفية (phonologie) والصوتية (phonetic). كما بدت لهم الكلمة من جهة مفهومها بديهية ومن المسلمات فراحوا يصفونها من حيث التقسيم؛ فقالوا: الكلمة اسم وفعل وحرف، ووضعوا لكل قسم مجموعة علامات أخضعوا لها الكلمات في العربية.

والحقيقة أن الخاصية الصوتية للكلمة؛ هي الإنجاز الفعلي أثناء التكلم والتخاطب والتصويت سمة اجتماعية بين الأفراد حين التواصل والتعبير عن الحاجيات من الوجهة البيولوجية (Biologie).

وخلص أحد الدارسين في هذا الشأن إلى قول مفاده: «وهكذا انصب اهتمام النحاة على الجانب التركيبي من خلال تحديد أصناف المكونات التي تتألف في سبيل الجملة أو الكلام»<sup>(20)</sup>.

مؤكدًا بقوله هذا؛ وجوب صدارة الجملة في موضوعات الدرس النحوي عند القدامى ثم قال أيضاً: "وكان من المفروض أن ننتظر القرن الرابع ليغدو تعريف الكلمة من المقدمات الأساسية في الكتابات النحوية"<sup>(21)</sup>.

<sup>(16)</sup>المرتجل، ابن الخشاب، تحقيق ودراسة: علي حيدر، مكتبة مجمع اللغة العربية، (د ط)، 1972 م، دمشق، سوريا، ص: 4، 5.

<sup>(17)</sup>شرح كافية، ابن الحاجب رضي الدين الأستراباذي، دار الكتب العلمية، (د ط)، 1995 م، بيروت، لبنان، 21/1.

<sup>(18)</sup>المصدر نفسه، 21/1.

<sup>(19)</sup>ألفية ابن مالك، ابن مالك الأندلسي، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط 1، 1414 هـ، الرياض، ص 12.

<sup>(20)</sup>الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي فؤاد أبو علي، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011، اردب، الأردن، ص



وإذا كان النحاة فيما سلكوا من منهج لدراسة الكلمة، لم يصرحوا بذلك المنهج المسطر والمتبع، وظلت القيود الفكرية والمذهبية والثقافية مهيمنة على تفكيرهم؛ فإنهم انقادوا وراء قناعة مستمدة من أسس ومرجعيات ثقافية، ومن بينتهم الاجتماعية والطبيعية -الواقع الخارجي-، فأدخلوا ما هو غير لغوي إلى اللغة، ووصفوا الكلمة وصاغوا تعريفاتها، واعتبروها اللفظة الدالة على معنى بالوضع واعتمدوا في ذلك على الخاصية الصوتية وسمة التلظ.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن الكلمة عند النحاة من حيث مفهومها؛ هي: لفظة أو حلقة من سلسلة الأصوات المتتابعة في الإنجاز الكلامي، وهي جنس للكلام وعنصر نحوي متعدد الجوانب من حيث الجوهر والوظيفة والمعنى أثناء التواصل بين أفراد المجتمع.

### ب- الكلمة عند البلاغيين:

لما ارتبطت نظرة البلاغيين للغة بالقيم الفنية، والجماليات الأسلوبية للتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية، وكان اهتمامهم منصبا حول مسألة نظم الوحدات اللفظية، التي تتضمنها الجمل والعبارات؛ قادمهم منهجهم نحو معالجة المركب الوصفي "الكلمة" المفردة، وما توافرت عليه من خصائص ومعايير وشروط ووقفوا وقفة إمعان وتمحيص على ماهية الكلمة مفردة" - معزولة عن التركيب- ومن حيث: إحياءاتها الدلالية، وفصاحتها، وبلاغتها في الكلام، وما تتركب منه من حروف -أو أصوات- وتأليفات صوتية.

وقد أدرك البلاغيون بنظرتهم إلى الكلمة؛ أن "كلمة أفصح من كلمة"، وفصاحتها مرهونة بما تظهره من معنى، فتكون سهلة أثناء النطق إذا لم تكن وحشية أو غريبة. كما أن الكلمة الفصيحة في عرفهم خلوصها من تناثر الحروف، وعدم مخالفتها للقياس<sup>(22)</sup> وموافقة الكلمة للقياس اللغوي العربي؛ هو مطابقتها للسمات الصرفية؛ من إدغام، أو إبدال... وغيرها، مع سهولة النطق بها من جهة الأصوات غير مستكرهة في السمع. ولقد أشار ابن الأثير في "المثل السائر" إلى عدم كراهة السمع للكلمة؛ فقال:

«فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت من اللغات يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنه الطبع، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع، ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدها"<sup>(23)</sup>. ونظرة البلاغيين إلى الكلمة في ظل الفصاحة وبلاغة الجملة، ينبغي أن تتوافر فيها الخصائص

(21) المرجع السابق، ص نفسها.

(22) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط3، (دس)، بيروت، ص21 وما بعدها. وينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع، الخطيب القزويني، تقديم الدكتور: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، (د ط)، 1435 هـ/2014 م، صيدا، بيروت، ص 38، 39.

(23) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (د ط)، 1358 هـ/1939 م، القاهرة، 71/1.

الجمالية، ومؤثرة في السامع –المتلقي- من خلال مكوناتها ونظمها في التركيب، إضافة إلى تخلصها من الابتذال والتوعر».(24)

ولقد أشار الجاحظ إلى الكلمة من حيث جمالياتها فقال: «وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا سوقيا، فكذا لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا... إلا أنني أزعم أن سخياف الألفاظ مشاكل لسخياف المعاني».(25)

والفصاحة يعني بها في عرف البلاغيين، الظهور والبيان والشيوخ، وهي صفة مقصورة على الألفاظ دون التركيب، أما البلاغة فإنها لا تكون إلا وصفا لهما، لأنها ترتبط بالمعاني".(26)

وفي كلام العرب سمات الكلمة في العربية؛ من فصاحة وبيان، وجماليات الأصوات، غير أن المعاني مختلفة باختلاف المواقف والصفات، والحالات النفسية للمتكلمين والمبدعين، لأن الكلمة في التركيب –أو النص- تكتسب مخزونا مؤثرا في المتلقي من خلال المعاني الثانوية التي هي من قبيل المجاز، وتتفاوت المعاني بحسب المواضع والمواقع والنظم.(27)

### 1- فصاحة الكلمة:

إن الكلمة الفصيحة في نظر البلاغيين ينبغي أن تتوافر فيها ثلثة من الشروط أهمها:

- **عدم تنافر أصواتها:** والتنافر يثقل النطق على اللسان ويصبح عسيرا حينما تقترب مخارج الأصوات، وقد يكون التنافر منسوبا إلى بعد مكوناتها من حيث صفات الأصوات النطقية، من ذلك مثلا:

الهعخع (قال أعرابي حينما سئل عن ناقته: تركتها ترعى الهعخع)، ومنها: مشتشزرات(28)

- **عدم غرابتها:** لأن لا تكون الكلمة وحشية غامضة المعنى، أو يكون معناها مستورا؛ فيحتاج إلى الغوص في متون المعاجم اللغوية، مما يثقل كاهل السامع أو القارئ، من ذلك؛ ما روي أن عيسى بن عمر النحوي؛ قال حينما سقط عن

(24)جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، إشراف الدكتور: نور الدين عشر، دار المكتبي، الطبعة الثانية، 1419هـ/1999 م، سوريا، دمشق، ص: 46. وينظر: في جمالية الكلمة، حسين جمعة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2002، دمشق، ص: 18.

(25)البيان والتبيين، الجاحظ، شرح الدكتور: علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، (د ط)، 2002، بيروت، لبنان، 80/1، 81.

(26)ينظر: سر الفصاحة، محمد بن سنان الخفاجي، تعليق وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د ط)، 1372 هـ/1952، ميدان الأزهر بالقاهرة، ص: 60. وينظر: المثل السائر في أدب ال... والشاعر، المصدر نفسه، 67/1.

(27)ينظر: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية، (د ط)، 1968 م، بيروت، لبنان، ص 78.

(28)ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 22.

حماره فاجتمع عليه الناس: ما لكم تكأ تكأتم عليّ كتكأؤكم على ذي جنة افرنقوا عني؛ أي: اجتمعتم، تفرقوا....<sup>(29)</sup>

## - كثرة الاستعمال:

إن فصاحة الكلمة عند البلاغيين؛ مرهونة بالاستعمال وكثرة الورد عند المتكلمين الموثوق بعربيتهم، وهم الذين ينتسبون إلى القبائل التي عرفت بالفصاحة والكلمة الأكثر استعمالاً في عرف هذه الفئة من المتكلمين تكون من بين الكلمات المرادفة لها والمشاركة في المعنى، وهذا فيما إذا كانت تتضمن مرادفات.

الكلمة التي ليس لها مرادف؛ فعلامة فصاحتها أن تكون استعمالاً من الكلمات التي ترادفها في المعنى<sup>(30)</sup>. وهذه المعايير والمميزات أشار إليها البلاغيون في متون مؤلفاتهم، وفي سياق معالجتهم لموضوع الكلمة -أو اللفظة- المفردة. والفصاحة في نظرهم علامة للكلمة، كما أن البلاغة سمة من سمات الكلام.

## 2- فكرة اللفظ والمعنى في التراث البلاغي:

إن هذه الفكرة التي تخص اللفظ والمعنى؛ تركز على تصورات أسهمت في تأصيلها ومناقشتها من لدن فئة البلاغيين والنقاد العرب، ومؤدى تلك التصورات «أن تلك المعاني إنما هي صور مجردة ترسم ارتساماً أولياً في الذهن، وتظل كامنة على تجردها حتى تستثار وتتجسد بالكلم الدالة عليها...»<sup>(31)</sup> ومعنى ذلك؛ أن الكلمة هي الجسد، والمعنى هو الصورة الناتجة عنه، وهذا الأخير -المعنى- كامن في الأذهان حتى تثيره الكلمة، كما أنه قائم في الصدور متصلاً -دوماً- بالخواطر والنفوس عند الإنسان.

ولقد أشار إلى المعنى وطبيعته كل من النقاد والبلاغيين في تراثنا اللغوي، وأول إشارة -فيما أورده بعض الدارسين- إلى ذلك نوه بها الجاحظ، الذي حاول تحديد المعنى من حيث الكيفية والوجود؛ فقال:

«المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة...»<sup>(32)</sup>

وأشار أيضاً إلى علاقة الألفاظ بمعانيها من حيث: القلة والكثرة وسماتها؛ سخيفها وشرفها، فقال: «وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة»<sup>(33)</sup>. ويرى أن المتكلم ينبغي أن يخاطب السامع بقدر ما يفهمه، ويجعل المقام مناسباً للمعاني والألفاظ،

<sup>(29)</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص 23-24.

<sup>(30)</sup> ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، هامش/ص: 27، 28.

<sup>(31)</sup> المعنى في البلاغة العربية، حسن الطيل، دار الفكر العربي، ط 1، 1418 هـ، 1998 م، القاهرة، ص 10.

<sup>(32)</sup> البيان والتبيين، الجاحظ، شرح وتقديم الدكتور، علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، (د ط)، 2002 م، بيروت، لبنان،

81/1.

<sup>(33)</sup> المصدر نفسه، 18/1 نقلاً عن (الحيوان، الجاحظ، 8/6).

وموافقه الكلام لمقتضى الحال؛ فيقول: «ويحب على المتكلم أن يوازن بين المعاني وأقدار المسمعين وأقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما»<sup>(34)</sup>، وتلك المعاني تظل في كل مكان وفي الأذهان والنفوس والخواطر في أشكال وصور معدومة ما لم تظهر بالأصوات والحروف التي تحويها الألفاظ أو الكلمات... والكلمة إن كانت اسما؛ فإن ذلك الاسم ينزل منزلة الظل للمعنى -أو المسمى- «فالاسم إذن ليس إلا صورة للمعنى الذي يسميه... مما يجعل الاسم كالظل للمعنى لا يغادره حيثما ينتقل...»<sup>(35)</sup>.

وهذا إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدل على أن البلاغيين اهتموا كثيرا بالكلمة وقضاياها؛ كالفصاحة، وعلاقتها بالمعنى؛ سواء أكانت اسما أم فعلا أو حرفا؛ ونوهوا بما يعتورها من معايير في ضوء البناء الفني للنص، والكلام، وبينوا أوضاعها في التراكيب، وكل ما درسوه في شأن الكلمة كانوا متأثرين فيه بآراء النحاة وبأصحاب النظريات البلاغية السابقين والأوائل، أمثال ابن قتيبة، والفراء والزمخشري وعبد القاهر والجاحظ، ... وغيرهم. وكانوا متأثرين بمناهج وجهود المتكلمين، كالشاعرة، والمعتزلة، وبالعلماء الذين ألفوا في الإعجاز القرآني.

ونخلص القول؛ إلى أن الكلمة في العربية تعد نواة مركزية، وتختلف من لغة إلى أخرى، غير أن اختلافها يرتبط كثيرا بالنص الديني (المقدس)، مما يجعل اليون شاسع في شأن الكلمة بين اللغات العالمية، وقداسة العربية تنزاح نحو كلماتها، وهي في لغة القرآن لها معاييرها وسماتها الدلالية والصوتية والنحوية والصرفية. والكلمة بذلك؛ دليل من دلائل الإعجاز القرآني، كما أنها توصف بأوصاف ومعان مختلفة، كالطيبة مثلا "الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة"؛ فهي الوجود، والكون والإنسان؛ ... بل إنها الحياة بالتعبير المجازي.

## المصادر و المراجع:

1. الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي فؤاد أبو علي، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011، اريد، الأردن.
2. الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1999 م، بيروت، لبنان.

<sup>(34)</sup>المصدر السابق، ص نفسها.

<sup>(35)</sup>النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، 1994، الجزائر، ص 146.

3. ألفية بن مالك، ابن مالك الأندلسي، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط 1، 1414 هـ، الرياض.
4. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط 3، (د.س)، بيروت.
5. البيان والتبيين، الجاحظ، شرح الدكتور: علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، (د ط)، 2002، بيروت، لبنان.
6. تلخيص المفتاح، في المعاني و البيان البديع، الخطيب القزويني، تقديم الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، (د.ط)، 1435 هـ/2014م، صيدا، بيروت.
7. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، إشراف الدكتور: نور الدين عتر، دار المكتبي، الطبعة الثانية، 1419 هـ/1999 م، سوريا، دمشق.
8. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط 2، 1952، القاهرة.
9. سر الفصاحة، محمد بن سنان الخفاجي، تعليق وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د ط)، 1372 هـ/1952، ميدان الأزهر بالقاهرة.
10. شرح كافية بن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، دار الكتب العلمية، (د ط)، 1995 م، بيروت، لبنان.
11. شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبي، (د ط)، (د ت)، القاهرة.
12. في جمالية الكلمة، حسين جمعة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2002، دمشق.
13. في الفكر اللغوي، محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط 1، 1989 م، القاهرة.
14. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/انجليزي/فرنسي) إميل بديع يعقوب، وبسام بركة، ومي شبحاني، دار العلم للملايين، ط 1، شباط (فبراير)، 1987، بيروت، لبنان.
15. الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، ط 3، 1988 م، القاهرة.
16. الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 2011، الإسكندرية، مصر العربية.
17. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط 6، 2008، بيروت، لبنان.
18. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (د ط)، 1358 هـ/1939 م، القاهرة.
19. المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية، (د ط)، 1968 م، بيروت، لبنان.

20. المرتجل، ابن الخشاب، تحقيق ودراسة: علي حيدر، مكتبة مجمع اللغة العربية، (د ط)، 1972 م، دمشق، سوريا.
21. المصباح في علم النحو، أبو المكارم المطرزي، تحقيق: ياسين محمود خطيب، مراجعة: مازن المبارك، دار النفائس، ط 1، 1997، بيروت، لبنان.
22. المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العصرية، (د ط)، 2014، بيروت، (مادة: ك.ل.م).
23. المعنى في البلاغة العربية، حسن الطبل، دار الفكر العربي، ط 1، 1418 هـ، 1998 م، القاهرة.
24. المفصل في علم العربية، الزمخشري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، (د ط)، (د ت)، بيروت.
25. المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د ط)، 1994، القاهرة.
26. موسوعة المصطلح في التراث الديني والعلمي والأدبي، محمد الكتاني، دار الكتب العلمية، ط 1، 2014، بيروت.
27. النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، 1994، الجزائر.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص خاص بالملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث.  
تاريخها: 09 و10 ماي 2022

## استمارة المشاركة

\* الاسم: اليزيد بلعمش.  
\* الرتبة: أستاذ محاضر قسم أ.  
\* مكان العمل: قسم اللغة العربية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر.

\* البريد الإلكتروني: el-yazid@hotmail.com

\* رقم الهاتف: 00213697823563

محور المشاركة الأول:

بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

عنوان المداخلة:

### المكون الحجاجي للكناية في البلاغة العربية

ملخص:

**فكرة البحث:** فصل البلاغيين المباحث البلاغية فكانت على ثلاثة أقسام، قسم منها كان يعنى بربط الخصائص التركيبية بسياقها وتنوعات المختلفة لهما؛ وهذا عرف بعلم المعاني، وقسم منها أعتنى بصور الترتيب المعاني أو صور ترتيب الألفاظ في التركيب؛ وعرف هذا النوع بعلم البديع؛ وقسم منها: سمي بعلم البيان؛ وهذا اعتنى فيه البلاغيون العرب بجمع الصور المختلفة التي يورد بها المعنى الواحد مع تفاوت بين هذه الصور في الدرجة الخطابية، وقد نص البلاغيون في هذا السياق على أربعة صور؛ كان منها الكناية: وقد عرفت عندهم – كما يقول عبد القاهر الجرجاني بأنها: "والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة "وكثير رماد القدر" يعنون كثير القرى وفي المرأة: "نؤوم الضحى"، والمراد أنها مثرفة مخدمومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثرت القرى كثرت رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مثرفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى"<sup>1</sup>.

هذا التعريف نقلناه على طوله لنبين فيه أن له مسائل أخرى مرتبطة به، مما تعلق بمفهوم البلاغة الجديدة، ألا وهي مسألة الحجاج، ولهذا قيل فيها: "الدلالة على الأمر بدليله"، وهذا يكشف لنا عن مكون حجاجي لهذه الصورة البلاغية أو لهذا الطريق من طرق الكلام.

**أهمية البحث وإشكاليته:** تأتي أذن: أهمية هذا البحث تأتي من كونه يحاول أن يلفت إلى جانب آخر من جوانب الأداء في الكناية مع جانب الجمالي الذي ركز عليه البلاغيون كثيراً، وأنت إشارتهم إلى هذا الجانب إشارة ثانوية، والحقيقة أن هذا جانب بالغ الأهمية في التبليغ وفي الاستعمال، وهذا ما نود القيام به في هذه الأوراق مجيبين على الأسئلة الآتية:

<sup>1</sup> دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، دار الخانجي-القاهرة (ص66)

- فيما تكمن أهمية المكون الحجاجي في الكناية؟
- ما طبيعة الاحتجاج المقدم في الكناية؟
- ما الصور التي يكون بها الاحتجاج في الكناية؟

### عناصر الموضوع:

1. مقدمة: التمهيد للموضوع وبيان أهميته وإشكاليته وعناصره ومنهجه وأثره في الدراسات المصطلحية
2. الكناية في البلاغة العربية .
3. طبيعة الحجاج في الكناية.
4. صور الحجاج في الكناية.
5. خاتمة: (أهم النتائج المتوصل إليها)

**ملاحظة:** وهذه العناصر قابلة للتغيير وفق المتغيرات الجديدة التي يفرضها البحث في الموضوع.

والله الموفق.

د. اليزيد بلعمش. بقسم اللغة العربية, جامعة

الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية-

قسنطينة/الجزائر

البريد الإلكتروني: el-

yazid@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخلية:

1- مقدمة: تعد البلاغة العربية من أبرز العلوم اللغوية العربية, بل هي واسطة العقد فيها, لأن باقي العلوم اللغوية الأخرى إنما هي في أصل خادمة للعلم البلاغة, فعلم اللغة يوفر للبليغ الاختيارات الإفرادية المختلفة, وعلم الصرف يمدّه بأنواع الصيغ, وعلم النحو يتيح له أنواع التراكيب المتنوعة, ليأتي البلاغي بعدها فينتقي من هذا كله ما يخدم غرضه وقصده, فكانت البلاغة العربية بهذا هي الروح الذي يسري ماء حياته في باقي العلوم اللغوية الأخرى, وما زالت عطاءات هذا العلم تبرز كلما حركت قواعده ومعارفه.

إن هذه المركزية التي تمتعت بها البلاغة العربية بين العلوم اللغوية لم يجعلها مقتصرة على هذا فقط, بل جعلها تحتل مكانة بارزة بين العلوم الأخرى المحايثة للعلوم اللغوية العربية, وهي العلوم الشرعية وباقي العلوم العربية الأخرى, مما جعلها تحظى بصلات بتلك العلوم سواء منها النقلية أو العقلية, كونها تتعامل مع أهم مكون من مكونات الرسالة اللغوية؛ إنه المعنى, وكما هو معلوم أن هذا المكون هو الجزء المقصود من الكلام في العلوم اللغوية والعلوم الشرعية, لكن شاع في الأذهان أن



البلاغة العربية إنما تعنى بالجانب الجمالي والإمتاعي, ولهذا شاع البحث عن وجوه الحسن ووجوه القبح بالقواعد البلاغية العربية, وبل وامتد الأمر إلى أن جعل بعضهم الفكر العربي كله فكراً قائماً على البيانية والجمالية, بعيداً نوعاً ما عن الحجة العقلية والبرهان الحجاجي(1)!!؟.

وفي العصر الحديث ظهرت علوماً لسانية كثيرة حاولت أن تعيد صياغة العلوم اللغوية القديمة صياغة تتلاءم مع بعض الأغراض البحثية الأخرى؛ لسانية وحجاجية وتداولية وسيميائية, فظهر عند الغرب اتجاه بلاغي يدعو إلى أحياء البلاغة اليونانية القديمة القائمة على الحجة والبرهان, فظهر إثر ذلك اتجاه بلاغي يتجاوز دراسة الإطار اللساني إلى دراسة الأنساق الحجاجية في الخطاب, على اعتبار أن المتكلم إنما يتكلم ليقنع غيره بالكلام. وقد بدأ هذا الاتجاه من منتصف القرن العشرين مع (شايم بيرلمان) و(لوسي تيتيكا), على اعتبار أن مهمة البلاغة "وصف الخطاب وصفاً علمياً يبين مضمراته ويستخلص بنياته ووظائفه التداولية والحجاجية", فصار هذا النوع من الاهتمام البلاغي يشكل رافداً من الروافد "البلاغة الجديدة"

وإذا كان الأمر على هذه الصورة فإننا نتساءل عن مدى صدق عناية البلاغة العربية بالجمالية وخلوها من المنطق الحجاجي؟! هل خلت الصور البلاغية التي حددتها البلاغة العربية من الطابع الحجاجي والإقناعي, أم أن الأمر على العكس من ذلك تماماً, فنجد أن البلاغة العربية إنما ركزت على ما هو جمالي في الأساليب الإقناعية, لتستخرج مما الحجة القوية موطن الجمال فيها؟

لمعالجة هذه القضية فإننا حولنا التركيز على صورة من الصور البلاغية, التي كان لها حضور قوي في الدرس البلاغي؛ ألا وهي الكناية, ثم عرضنا لشرح مباحثها وتفصيلها في الدرس البلاغي العربي, ثم النظر إليها مرة ثانية لكن من منظور نظرية الحجاج في البلاغة الجديدة, للكشف عن المكون الحجاجي الكامن في هذه الصورة البيانية, ومنه فتح الباب نحو إمكانية قراءة البلاغة العربية قراءة جديدة في ضوء البلاغة الجديدة, لتوسيع من دائرة الاهتمام في البلاغة العربية, وفتح آفاقها وأبوابها لاستيعاب أكبر لمكونات النصوص, دون إهمال أي جانب فيها.

2- الكناية في البلاغة العربية: ينبغي أن نعلم أولاً: أن الكناية في التراث اللغوي العربي لم تستقر على مفهوم اصطلاحي قار متميز خاص بها إلا عند عبد القاهر الجرجاني (471هـ) (2), أما قبل ذلك فقد كانت تتراوح بين:

أ- **الدلالة اللغوية:** وهي في العموم يدور حول ما أشار إليه ابن فارس بقوله: "الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره. يقال: كنييت عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه. وكنوت أيضاً" (3). وشرح الكناية هنا بالتورية أيضاً لا يقصد منها المعنى الاصطلاحي للتورية, إنما يريد بها المعنى اللغوي أيضاً (4), وهو ما أشار إليه بعده بقوله: "يقال: كنييت عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه". وقد تكررت هذه العبارة عند غير واحد من أصحاب المعاجم (5). إلا صاحب الصحاح فإنه قال عبارة أوضح من هذا المعنى حيث يقول: "الكناية: أن تتكلم بشئ وتريد به غيره. وقد كنييت بكذا عن كذا وكنوت" (6).

(1) هذه الفكرة جاء بها محمد عابد الجابري في كتابيه اللذين بدأ بهما نقد العقل العربي, وهما: تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي, خاصة الثاني منهما, لأن الأول بمثابة مقدمة للكتاب الثاني الذي جاءت فيه شرح بيانية العقل العربي.

(2) ينظر في هذا: محمود شاكر القطان, الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية, دار الكتب-مصر, 1993م. عدة قادة, تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير), إشراف: حيار مختار, كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009.

(3) ابن فارس, معجم مقاييس اللغة, تج: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, ط: 1399هـ - 1979م, (ج5, ص139).

(4) ينظر في هذا: محمود شاكر القطان, الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية, (ص9).

(5) ينظر في هذا: الخليل بن أحمد الفراهيدي, معجم العين (ج5, ص411), الفيومي, المصباح المنير ().

(6) الجوهري, تاج اللغة وصحاح العربية, تج: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين - بيروت, ط4, 1987م (ج6, ص2477).

مما يمكن أن يستفاد من هذه المفاهيم اللغوية أن: الكناية هي عدول عن التعبير بلفظ إلى لفظ آخر دال عليه(1), ويبقى سبب هذا العدول مجهولا على مستوى التعريف اللغوي.

هذا المعنى اللغوي هو الذي ساد على السنة بعض كبار اللغويين ردحا من الزمن(2): من أمثال سيبويه, وأبي عبيدة, والجاحظ, وابن قتيبة, والمبرد ... فكانت الكناية تطلق عندهم على: الضمائر, وعلى ما لا يمكن التصريح فيه كالرسائل المراد ستر مرادها, .... فبدأ بذلك خيوط فائدة هذا الاستعمال اللغوي يبرز وتظهر, وهي هنا وصف الحال على ما هي عليه أو الهروب من التصريح لغايات متعددة يرومها المتكلم.

**ب- امتزاج مفهوم الكناية بمفاهيم بلاغية أخرى:** وفي هذه المرحلة التي يمكن أن نقول عنها بأنها تبدأ من القرن 3هـ, وبدأت معها معالم المصطلح تسير نحو المنحى التخصصي, لكننا نجد ذلك يتم تحت امتزاج هذا المصطلح بمصطلحات أخرى(3); كالتعريض عند ابن المعتز, والإرداف عند قدامة ابن جعفر وأبي هلال العسكري, والمماثلة عند أبي هلال أيضا, والتلويح والتعمية والتورية والتنبيح عند ابن رشيق, وكذا عند ابن سنان فقد جعلها قسما مستقلا مرة وجعلها تحت الإرداف والتنبيح. إن ما يميز هذه المرحلة -من خلال تنبهي لعرضها عند الباحثين- أنها كانت مرحلة تقوم على تتبع الشواهد وتحليلها, للكشف عن بنية الكناية, مما جعلهم يمزجون بين بعض الأنواع البلاغية مع الكناية, أي أن بنية وهيكل الصورة الكنائية ما زال في مرحلة البحث والتنظير له, ولهذا فإننا نجد الحديث عن وظيفة الكناية غائبا غير مشار إليه في الغالب, اللهم إلا بعض الإشارات إلى أن الكناية تأتي فيها اللفظ معوضا عما يستقبح ذكره.

ومن جانب آخر فإن هذا العرض للصورة الكنائية نستشف منه أن الدارسين العرب قد كشفوا لنا عن السياق المعرفي الذي تكون فيه الكناية, وأن هذه الصورة البلاغية في الدراسة البلاغية تحفها مجموعة من الصور البيانية التي قد تتقاطع معها في التشكل العام لكن قد تفارقها من ناحية أو من بعض نواحيها, ولهذا وجدناهم ربطوها **بالمفهوم العام:** وهو الإشارة والرمز والتلويح والتجاوز واللغز واللحن ... وهو الإطار المفهومي العام الذي يندرج ضمنه الكناية, كما ربطوها بما يساويها معنى وإن خالفها في شرط من الشروط, وذلك عندما ساووها ب: التعريض والإرداف والتنبيح, وكذا ميزوا مفهومها عندما ذكروها مع ما يضادها ويخالفها وهو التصريح. فعندئذ تكون هذه المرحلة إنما هي بحث في المجال المفهومي الذي تدخل تحته الكناية بأبعاده العامة أو المماثلة أو المناقضة, وهذه المرحلة هي التي هيأت ظهور المرحلة الثالثة, وهي بروز وتبلور المفهوم الاصطلاحي.

**ج- المفهوم الاصطلاحي للكناية:**

### عذرا لم أكمل تبييض البحث بعد , هل من الممكن وقتا إضافيا

3- طبيعة الحجاج في الكناية: .

4- صور الحجاج في الكناية: .

5- خاتمة: (أهم النتائج المتوصل إليها)

1- إن مما يتوصل إليه من دراسة الصورة الكنائية في هذا البحث أن أبرز بأن البلاغة العربية, قد حوت إلى جانب الإمتاع الإقناع , وإلى جانب التصوير والتشكيل الخطابي الجانب الحجاجي

(1) ينظر: محمد جابر فياض, الكناية ويلييه نظم النثر أثر الحديث النبوي فيه, دار المنارة- جدة, السعودية, ط1, 1989 (ص10).

(2) ينظر: محمود شاكر الطنان, الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية, (من ص:19 إلى ص:50). عدة قادة, تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير), إشراف: حبار مختار, كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009 (من ص:3...9) ومن (ص35...39).

(3) ينظر: محمود شاكر الطنان, الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية, (من ص:53 إلى ص:102) (ص . عدة قادة, تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير), إشراف: حبار مختار, كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009 ( من ص:40 إلى ص:50).

والإقناعي, بما يؤكد عدم نفي الجانب الحجاجي للجانب الإمتاعي, والجانب العقلي للجانب الجمالي. ولا غرابة في هذا لأن التواصل ذو طابع أدائي تداولي سياقي تجتمع فيه كل هذه الآليات. والبلاغة العربية إنما هي مقارنة سياقية تداولية للكلام فهي مرتبطة بكل آلياته المستعملة فيه. فعلا: البلاغة العربية كانت قديما -كما أوضحنا- ملكة العلوم اللغوية والشرعية, وهي اليوم بنفس المكانة لانفتاحها على مجموع العلوم والمعارف, وهذا كله راجع إلى أن التقنيات التي تستعملها البلاغة العربية لها الأهلية الكافية لأن تفتح على كل هذه الاتجاهات والفهوم.

## تلقي البلاغة العربية الجديدة في الدراسات العربية الحديثة

ط. د : نجوى جدي

د. بلال محي الدين

التخصص: النقد العربي الحديث والمعاصر

جامعة الشيخ العربي التبسي- تبسة

ملخص:

عرفت الدراسات اللغوية العربية الحديثة تطورًا كبيرًا من خلال انفتاحها على الفكر الفلسفي من ناحية ، وإحياء التراث البلاغي العربي من ناحية أخرى ، وكان لهذه الدراسات دور أساسي في التّظهير للبلاغة الجديدة وفق أسس حديثة ، ونجد من الرواد العرب الذين تلقوا البلاغة الجديدة : حمادي صمود، و محمد العمري، و احمد يوسف،... وغيرهم .

ولذا نسعى من خلال هذه الدراسة إلى استعراض بعض آراء بعض الكتاب العرب الذين تلقوا البلاغة الجديدة في كتبهم.

الكلمات المفتاحية:

الدراسات ، لغوية، بلاغة، جديدة ، فلسفة.

### Abstract :

Modern Arabic linguistic studies have witnessed a great development through their openness to philosophical thought on the one hand, and the revival of the Arab rhetorical heritage on the other hand. Muhammad Al-Omari, and Ahmed Youssef,... and others.

Therefore, we seek through this study to review some of the opinions of some Arab writers who received the new rhetoric in their books.

### Key words:

Studies, linguistic, rhetoric, new, philosophy.

شهد العصر الحديث تطورا ملحوظا في مختلف المجالات والميادين والعلوم والآداب والفنون ، لذا سعى بعض الباحثين العرب إلى تطوير البلاغة القديمة وتجديدها ، وذلك من خلال استثمار علوم أخرى لتواكب حركات التغيير الجذرية في مختلف الخطابات الحديثة وتصبح علما وصفا يتيح لجميع الخطابات المتخلفة عن الروح المعيارية التي جمدت طموحها الإبداعي ، فكيف تلقى

الباحثون العرب البلاغة الجديدة؟ , وهل تلقي البلاغة الجديدة يستلزم بالضرورة التخلي عن البلاغة القديمة أم أنها جاءت لتجديد البلاغة القديمة والحفاظ عليها؟

## 1) تلقي البلاغة الجديدة عند حمادي صمود:

جعل حمادي صمود من البلاغة العربية والغربية القديمة والحديثة موضوعا لبحوثه منذ فترة السبعينيات, أي منذ ظهور أطروحته المعنونة بـ: (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس), وتعد هذه الأطروحة مشروعا لقراءة البلاغة العربية القديمة بطريقة حديثة, ولم يقتصر عمل الباحث على العرض التاريخي لمضامين البلاغة القديمة بل حاول إصدار أحكام تقريرية وتقييمية, بتوظيفه لحسه النقدي الناتج عن خلفيته الفكرية واللغوية والأدبية الواسعة.

كما اهتم حمادي صمود في أطروحته بنظرية الحجاج والجدل المنطقي, و أولى المتكلم اهتماما بالغا, وقد اهتم أيضا بالحدث الكلامي, وقام بتصنيف معطيات التفكير البلاغي عند العرب قديما وحديثا إلى ثلاثة أصناف وهي: المفاهيم والمنهج والإجراء.

ويقصد بالمفاهيم أنها "جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري والتمخض عن تحسس العلم وماهيته وسعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها، وأدق إبعادها الأصولية"<sup>1</sup> (صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، 1981).

أما المنهج يعني به " الأسس و الطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية ، والوقوف على أسباب تلك البلاغة وأسرارها"<sup>2</sup> (صمود، التفكير البلاغي)

أما الإجراء فقد تناول فيه المقاييس التطبيقية التي حددت بها بلاغة النص وجودته من جهة الشكل والمضمون .

وقد تحول اهتمام حمادي صمود منذ منتصف التسعينيات إلى الاهتمام بالبلاغة الجديدة أو ما يعرف بنظرية الحجاج, إذ قام بنشر أول أعماله بعنوان ( أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) فهو يعتبر بلاغة الحجاج من أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إليه<sup>3</sup> (صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، 1999)، أهمية بالنسبة إليه, لأن البلاغة الجديدة تتداخل فيها حقول معرفية متعددة, إذ يتم توظيف فيها كل السياقات المحيطة بالقول وهي: المتكلم, والمتلقي, والسياق الاجتماعي , والسياق اللغوي, والسياق التاريخي, من أجل فهمها وتأويلها.

نستخلص أن تلقي حمادي صمود للبلاغة الجديدة بأنه تلقي فعال وإيجابي, إذ عمل على استخدام مضامين الحجاج كوسيلة لاستنطاق البلاغة العربية القديمة, ثم استخلاص مقولاتها التي من شأنها أن تثري الدراسات اللغوية والنقدية العربية المعاصرة على صعيد التنظير والتطبيق من جهة , و أن يستشرف واقع الخطاب الأدبي وآفاقه من جهة أخرى.

ولم يقف نظرية الحجاج في نظر حمادي صمود على دراسة آليات التأثير والتأثر فقط, بل تجاوز ذلك إلى دراسة التغييرات الجديدة التي تحدث على مستوى المعنى والخطاب الأدبي.

## (2) تلقي البلاغة الجديدة عند محمد العمري:

يعد محمد العمري من أكثر النقاد العرب اهتماما بالدرس البلاغي العربي في علاقته بمستجدات النقد الحديث والمعاصر, ولذا عمل الناقد على تبني مشروع علمي يستهدف من خلاله تحرير البلاغة العربية من الدراسات المعيارية التي يرى أنها, التي يرى أنها قضت فيها أزمنة طويلة جدا.

وقد انطلق محمد العمري في مشروعه العلمي من خلال سعيه إلى تعميق الاتصال بين البلاغة العربية والنحو والعروض, عن طريق مساءلة المنجز في التراث النقد العربي, ولتجسيد مشروعه النقدي وضع إستراتيجية منهجية, يقوم على تحديث البلاغة العربية, وذلك ضمن إطار العناية بالبلاغة العربية القديمة.

عمل محمد العمري على القراءة لاستيعاب المرجعية اللسانية والفلسفية الكامنة في التراث النقدي, وذلك عن طري جبهتين, الجبهة الأولى خصصها للبحث في التراث بالوسائل المتاحة, أما الجبهة الثانية فخصصها للاطلاع على المناهج الحديثة.

وقد قام محمد العمري بترجمة كتاب (بنية اللغة الشعرية) لجون كوهن بالاشتراك مع زميله محمد الوالي, معتقدا أن هذا الكتاب هو عبارة عن كتاب شامل يضم كل المحاولات التجديدية في قراءة الشعر من وجهة نظر بنيوية لسانية في الثقافة الغربية قبل العربية.

و شرع محمد العمري في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة, مستعينا بالأبحاث الغربية في هذا المجال والتي كانت قد لاقت ترحيبا في الثقافة العربية, سعيا منه "لبناء بلاغة جديدة تستوعب انجازات البلاغة القديمة, وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة, محاولة تجاوز جوانب النقص فيهما, باقتراح نموذج سيميائي يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول"<sup>4</sup> (هنريتش, 1990).

وقام محمد العمري بتأليف كتاب بعنوان (في بلاغة الخطاب الإقناعي), الذي كان الهدف منه التنبيه إلى أهمية البعد الإقناعي في البلاغة العربية, لذا يقول محمد العمري: "اعتاد الدارسون العرب المحدثون, وتبعهم في ذلك المدرسون في الثانويات والجامعات معاملة النص الخطابي الإقناعي نفس معاملتهم للنص الشعري... وهذا يجافي في الروح المنهجية التي تقتضي اخذ طبيعة الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله"<sup>5</sup> (العمري).

حاول محمد العمري إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقا من تصور لساني بنائي, يراعي فيه البعد التاريخي منطلقا من المستوى الصوتي, حيث ألف كتاب بعنوان (تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية) تناول فيه مدى ثراء التراث البلاغي العربي, وقدرته على توفير المادة اللسانية الواصفة للنص الشعري.

يهدف محمد العمري من خلال أبحاثه إلى تحقيق هدفين وهما:

**الهدف الأول:** يسعى إلى التأكيد على وجود بلاغتين متميزتين في تاريخ النقد العربي, الأولى بلاغة نثرية خطابية, و الثانية بلاغة شعرية.

وأما الهدف الثاني: العمل على إبراز الثراء النقدي التأويلي الناتج عن تفاعل وتداخل خصائص ومفاهيم البلاغتين النثرية والشعرية.

وقد تناول محمد العمري العلاقة القائمة بين البلاغة والحجاج، معتمداً في ذلك على آراء بعض اللسانيين التداوليين مثل (روث اموسي) التي قد تحدثت عن موقفين من هذه العلاقة وهما: الموقف الأول يفصل بين البلاغة والحجاج، أما الموقف الثاني فيدمج بينهما إذ تقول روث اموسي: "وعموماً فإن المواقف فيما يخص العلاقة بين البلاغة والحجاج تمتد من المطالبة بقطيعة جذرية، إلى القول بوجود توازن بين ما اعتبره مبحثين متميزين ومتكاملين إلى حد ما، وصولاً إلى اقتراح دمجها في نشاط لغوي واحد" (العمري ر.، 2012)؛  
يرتكز محمد العمري في حديثه عن إشكالية درجات الحجاجية، على رؤية اللسانيين التداوليين (روث اموسي) و (كرستيان بلاتيان)، إذ تقول روث اموسي: "في مقابل إشكالية النص الحجاجي وغير الحجاجي نطرح مفهوم درجات الحجاجية كما طورها (كرستيان بلاتيان)، فهنا يحسن التفريق بين الخطابات التي تستهدف الحجاج والإقناع والخطابات التي لا تستهدف ذلك، ولكنها لا تخلو من بعد حجاجي ناتج عن السياقات الموجهة للخطاب"<sup>7</sup> (العمري ن.).

### 3) تلقي البلاغة الجديدة عند أحمد يوسف:

قد عمل أحمد يوسف على دراسة الفلسفة بصفة عامة والسيمانيات الحديثة بصفة خاصة واكتشف ثراءهما بالمعرفة البلاغية بوصفها إنتاجاً فكرياً إنسانياً حيويًا مفتوحاً على عوالم اللغة سواء على الصعيد النظري، أو على صعيد الطرح التطبيقي، مما حررها من قيود ثنائية المنطق والجدل وميلها للشعر، وأصبحت نظرية الخطاب بمثابة قوام أساسي تقوم عليه البلاغة الجديدة التي حاولت لن تستثمر السيميانيات التداولية وكذلك التأويلات التي تركز على الفلسفة الفينومينولوجية. ويقول أحمد يوسف "أن لكل فلسفة بلاغتها الخاصة من حيث هي خطاب مرتبط بشرط الوضعيات الاجتماعية والتراكمات المعرفية"<sup>8</sup> (يوسف، السيميانيات والبلاغة الجديدة، 2008)

ويرى أحمد يوسف "أن التيار البلاغي الجديد وجد ضالته أول مرة في العصر الحديث لدى فلاسفة القانون، إذ أراد أن يحقق ما عجز عنه المنطق"<sup>9</sup> (يوسف ا.)، وهكذا أصبحت البلاغة تقتحم تخصصات جديدة وتتداخل مع سائر فروع العلوم الإنسانية مثل: التحليل النفسي و الأنثروبولوجيا والفلسفة واللسانيات.

يسعى أحمد يوسف إلى الوصول إلى حجاج يكون "سندا قويا للحوار ضمن قيم بلاغة تمجد الحرية، وتتطلع إلى أفق الإبداع المفتوح، ولها إيمان راسخ بالعمل وقدرة الكائن الإنساني على استكشاف خامات الخير في عالم القيم الروحية"<sup>10</sup> (يوسف ا.)، السيميانيات والبلاغة الجديدة)  
لذا أصبحت البلاغة تتطلع إلى أن تكون لغة واصفة لخطابات متعددة ومستعينة في ذلك بانجازات الثورة اللسانية المعاصرة.

كما يسعى أحمد يوسف إلى "تجديد شبكة المفاهيم البلاغة العربية، وتحديث جهازها الاصطلاحي حتى تستوعب الأشكال المختلفة للخطاب مثل الخطابات التربوية والسياسية والصحفية والتجارية و الأشهارية والمرافعات القضائية ، كما أنها تمتد إلى الإحاطة بأشكال التعبير الأيقوني بدءا من الكتابة إلى عالم الصورة والوقوف على تحولاتها الاجتماعية والجمالية ضمن حضارة الصورة التي فرضت أدبيات جديدة في الحوار" 11 (يوسف ا.، السيميائيات والبلاغة الجديدة)

ويرى أحمد يوسف أن "الحجاج لم يعد يكتفي بالوسائل التقليدية في بسط حججه ، فاستعان بالأسنن التي توفرها عوالم الصورة، إذ انخرطت ثقافة العين انخرطا بصريا في آداب الإقناع ، وفي ظل شفوية جديدة بسطها مجتمع ما بعد الحداثة." 12 (يوسف ا.، السيميائيات والبلاغة الجديدة) ومن هنا ظهرت بلاغة السيميائيات التي أحدثت تحولات عميقة في خطاب العلوم الاجتماعية والإنسانية، خاصة في ظل التطور الحاصل في مجالات التقنيات الرقمية الحداثية .

ونصل في الأخير إلى أن تلقي الباحثين العرب للبلاغة الجديدة, كان تلقيا فعالا وايجابيا , لأنهم انطلقوا من البلاغة الجديدة التي تقوم على الثقافة المتجددة التي تتسم باستيعابها لكل الخطابات المتنوعة , في انتشار وسائل الاتصال الحديثة.



## قائمة المصادر والمراجع:

- (1) حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981، ص392.
- (2) حمادي صمود: التفكير البلاغي، ص 433
- (3) حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، تونس، ط1، 1999، ص8.
- (4) هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص11
- (5) محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص9
- (6) روث اموسي نقلا عن محمد العمري، البلاغة والحجاج أو بلاغة الحجاج، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة، مج 40، ع4، 2012، ص272
- (7) روث اموسي نقلا عن محمد العمري: البلاغة والحجاج أو بلاغة الحجاج، ص 273
- (8) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ج67، مج 17، ص 110
- (9) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة مجلة علامات، ص 110.
- (10) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ص 111
- (11) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ص 112
- (12) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ص 112

## الحجاج من المنظور الخطابي إلى المنظور التداولي في البلاغة الجديدة

د/ حمدي منصور جودي

جامعة محمد خيضر

بسكرة

### الملخص:

يعدّ الحجاج من أهم المجالات البحثية التي شغلت الدارسين قديما وحديثا، سعيا إلى الإحاطة بمنظومته المفاهيمية التي تشكّل الأطر التأسيسية لنظرياته اللغوية واللسانية والتداولية. وقد ارتبط مفهوم الحجاج منذ القديم بالخطابة ارتباطا وثيقا، إلا أنّ التطور الحاصل في مختلف العلوم اللغوية واللسانية والبلاغية جعله ينحاز منحأ جديدا، يعيد فيه تشكيل منظومته المفاهيمية الكلاسيكية بعيدا عن المنطق الأرسطي.

واعتبارا لهذا تسعى هذه الورقة البحثية إلى الإحاطة بمفهوم الحجاج وتتبع تطورات أهم نظرياته بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة، وذلك التحول الحاصل بين الحجاج الخطابي والحجاج التداولي.

### 1- توطئة:

شبه حازم القرطاجني من يظن إمكان تحصيل البلاغة والاستفادة منها في وقت وجيز، بحال الرجل الذي قضى ليلته في تصفح كتب الطب، ثم أصبح وهو يحرر وصفة طبية لإسعاف صديقه المريض، فعجّل بنهايته. إن بوسع إنسان ذكي -كما قال- أن يحصل بالاجتهاد في علم من العلوم، خلال شهر أو عام، شيئا يعتدّ به في ذلك العلم، وليس ذلك ممكنا في علم البلاغة؛ إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع، فالبلاغة -كما قال- علم كلي، يقتضي ضبطه الإحاطة بعلم اللسان وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب<sup>1</sup>.

ولا تطرح كلمة البلاغة في السياق العربي إشكالا في كونها علم الخطاب الاجتماعي بنوعيه التخيلي والتداولي، وذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخ البلاغة العربية كل من عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ثم السكاكي وحازم القرطاجني، وذلك بعد المحاولة التليفية

التي قام بها العسكري في كتاب "الصناعتين". فبالرغم مما أدت إليه هذه العملية من إقصاء واختزال أحيانا، ومن تحويل المركز أحيانا أخرى (من التخييل إلى التداول خاصة)، فقد ظل شعار الوحدة البلاغية مرفوعا.

أما في الثقافة الغربية فإن الكلمة المطابقة لكلمة (بلاغة) العربية حاليا، هي "ريطوريك Rhétorique" التي تتردد بين ثلاثة مفاهيم كبرى:

1- المفهوم الأرسطي: الذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته في المقامات الخطابية المعروفة (المشاوره، والمشاجرة، والمفاضلة)، وهي بهذا المفهوم تقابل "بوييتيك Poétique" التي تُعنى وتهتم بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصرا. وهذا هو المفهوم الذي أعاد "بيرلمان" وآخرون صياغته في اتجاه بناء نموذج منطقي للإقناع.

2- المفهوم الأدبي: الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب، وهذا المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش، إذ رسم "رولان بارت" خطوطه العامة في محاضراته المشهورة في تاريخ البلاغة القديمة، وقد أعيدت صياغة هذا الاتجاه حديثا باعتباره بلاغة عامة أحيانا.

3- المفهوم النسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا، أي: يستوعب المفهومين الأولين من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، موسعا هذه المنطقة أقصى ما يمكن التوسيع، فقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة، وتوسع البعد الأسلوبي حيث صار الموضوع الوحيد لها، فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبّة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي (حيث يهيمن التخييل)، والمجال الفلسفي المنطقي واللساني (حيث يهيمن التداول).

## 2- مفهوم الحجاج وعلاقته بالإقناع:

الحجاج استراتيجي لغوي تكتسب أبعادها من الأحوال المصاحبة للخطاب، كون اللغة "نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق"<sup>2</sup>، فالمتكلم أثناء العملية التخاطبية ينقل تصورات ومدركاته الموجودة في واقعه إلى المستمع، قاصدا بذلك التبليغ أو الإخبار أو التأثير في هذا المستمع. وبالتالي يعمد المتكلم إلى إقناع الطرف الآخر، أو التغيير في بعض معارفه وأفكاره، وبخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما، فيستعمل المتكلم خطابا حجاجيا لتلك الغاية "فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"<sup>3</sup>، هذا التلازم هو الموجّه الأساس

لكل هدف من أهداف التواصل، مما يترتب عن ذلك أن كل خطاب موجّه إلى الطرف الآخر "ويهدف إلى الإقناع، يكون له بالضرورة بعد حجاجي"<sup>4</sup>. وعلى هذا الأساس فإن الحجاج "جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيًا، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"<sup>5</sup>.

إن القضية أو الفرضية الخلافية التي تكون بين طرفي الخطاب، هي المحور الرئيس الذي تدور حوله العملية التخاطبية، فحضور الحجاج داخل الخطاب راجع إلى دور المستمع المتلقي في قبول أو رفض ما يوجّهه المتكلم، وإذا ما تعلّق الأمر بنقل المدركات والمعلومات الحقيقية التي يمكن أن تدرج ضمن البديهيات أو المسلّمات، فإن المتكلم لا يميل إلى التبرير أو التدعيم، ولكن قد يجعل من تلك البديهيات أو المسلّمات قاعدة لتبرير دعواه؛ فالحجاج ينطلق مما هو بديهي ومعروف ولا خلاف فيه بين المتكلم و المستمع، لتبنى على منواله دعوات مقاصد المتكلم، وبهذا فإن "الخطاب الحجاجي موجّه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أيّ قول مدعّم صالحاً أو مقبولاً كنتيجة، بمختلف الوسائل"<sup>6</sup>، وبخاصة المنطقية في ربط المسلّمات والبديهيات بالتبريرات، والتدعيمات التي يستعملها المتكلم أثناء حجاجه، بهدف استمالة وإقناع المستمع، وهذه التبريرات والتدعيمات تمثل مجموع الأدلة التي يقدمها المتكلم ل طرح رأيه أو دعواه، لتبنى على منوالها مقاصد الحجاج.

إن الأدلة التي يقدمها المتكلم أثناء حجاجه "ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي"<sup>7</sup>، فالنتائج المتوصل إليها من كل خطاب حجاجي ليست يقينية لا تقبل الشك أو الردّ، لأن المستمع بإمكانه رفض هذا الحجاج، وحتى الردّ عليه (الحجاج العكسي). وهذا واحد من الفروق بين الحجاج والبرهان والاستنتاج؛ ففي الحجاج يُترك المجال للمستمع "لاستخلاص النتائج وربط الأمور بعضها ببعض، على حسب مستواه ومدى استيعابه للحجج المستعملة من قبل المتكلم"<sup>8</sup>، وكذا المنزلة التي يملكها هذا المتكلم عنده، ومدى تعلّق موضوع الحجاج به، وردود أفعاله الممكنة تجاه الأدلة والحجج المقدّمة إليه، لأن غاية الحجاج "ليست الصدق الدقيق ولا البرهنة القاطعة، وإنما هي الإفحام والإقناع"<sup>9</sup>. أما البرهان والاستنتاج فإن نتائجهما في الغالب تأخذ صبغة الموضوعية التي توجب الإلزام، فهي أقرب إلى المنطق الرياضي الذي يسعى إلى اليقينية العلمية القطعية. وعلى هذا الأساس فغاية الحجاج الإقناع والاستمالة، أما البرهان والاستنتاج فغايتهما الإلزام والوجوب، علماً أن الاستمالة في الحجاج تتحقق "باستدلال منطقي

قابل للاختيار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره اختيارا واعيا وعاقلا<sup>10</sup>، هدفه إنساني يتمثل في "تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل"<sup>11</sup> بالنسبة للمتلقي.

إن الإقناع آلية معتمدة في كل خطاب، لأن المتكلم "إنما يريد في كل الأحوال أن يقول شيئا ما ويحرص على ألا يقول ما لم يقل، أو يفهم منه ما لا يريد قوله، لأنه يعلم علم اليقين أنه متى تم الأمر على النحو الذي لا يريد، فقدّ خطابه قدرته على الفعل والتأثير"<sup>12</sup>، مما يعني أن الإقناع عملية كلامية وآلية منهجية تستهدف التأثير العقلي والعاطفي في المتلقي، لاستمالاته لفعل معين، ويتحقق هذا باعتماد البراهين والأدلة والحجج التي تتلاءم مع سياق الخطاب ومع طبيعة هذا المتلقي، فيتحقق بالتالي اقتناعه بمقاصد المتكلم. لأن الاقتناع فعل الأثر الناجم عن عملية الإقناع، وبين الإقناع والاقتناع ينشأ انسجام بين الرغبة الذاتية للمتكلم وبين الإمكانيات المتاحة والمتوفرة لتحقيق المقاصد، لأن غاية الوظيفة الحجاجية هي "حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"<sup>13</sup>. وهذا ما يجعل الإقناع جهدا لسانيا اتصاليا مؤسسا على مقاصد محضرة مسبقا، تعتمد مخططا يهدف استمالة المتلقي والتأثير فيه تبعا للسياق المحيط بالخطاب الحجاجي.

ومحصول الكلام: إن الحجاج والإقناع متلازمان، إلا أن الفاصل بينهما يكمن في طبيعة نتائجهما؛ فالحجاج هو محاولة المتكلم إقناع المتلقي. أما الإقناع فهو محاولة المتكلم إقناع نفسه بما يعتقد، لينقله إلى المتلقي ويثبتته في ذهنه أو معتقده أو سلوكه. ويتأتى ذلك من خلال اللغة التخاطبية المدرجة، لأن "اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة؛ فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما، تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث"<sup>14</sup>، فلغة الحجاج لا ترمي إلى إثارة المشاعر والانفعالات لدى المتلقي، وإنما تسهم في تقديم الحجج والأدلة، وفق منهج منطقي يستميل ذلك المتلقي ويجعله فاعلا موجّها في بناء استراتيجية الحجاج بوصفه "عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم"<sup>15</sup> في مختلف المواقف التواصلية.

### 3- التوجه البلاغي اللساني:

تأسست البلاغة الجديدة ذات الطابع اللساني ما بين سنوات الخمسين والستين من القرن العشرين، وتعنى بنظرية الأدب، ودراسة الصور البلاغية<sup>16</sup>، وقد مثل هذا التوجه مجموعة من الباحثين مثل: رولان بارت، وجيرار جينيت، ورومان جاكسون. ويسعى هذا الاتجاه إلى تصنيف الصور البلاغية ضمن إطار منهجي محدد، إذ صنّف بعضها "في ضوء المعيار الصوتي أو الخطي، وصنّف صوراً أخرى في ضوء

المورفيم (الزوائد والواحق والمقاطع)، أو حسب طبيعة الكلمة أو المركب Syntagme أو التركيب Syntaxe، وصنّف أخرى حسب طبيعة الدلالة أو السياق التداولي<sup>17</sup>، وهذا التصنيف أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة ضمن تحولات البلاغة، منها: صورة السخرية المرتبطة بالمحور الاستبدالي، وصورة الاستعارة المرتبطة بالمحور التأليفي.

وقد دعم هذا التوجه اللساني الجديد مجموعة من علماء الغرب، منهم جماعة لبيج (جان دوبوا وآخرون)، إذ يرون وجود صور منطقية تساهم في الدراسات البلاغية الحديثة؛ منها: صور الوصل والربط، وصور الحذف، وصور التعويض، وصور الاستبدال. كما رأت هذه الجماعة أن "الاستعارة في الحقيقة ليست سوى مجاز مرسل ثان"<sup>18</sup>، وأن تلك الصور السابقة الذكر يمكن تصنيفها أيضا إلى صور الفكر، وصور الدلالة، وصور النطق والتعبير...، وتجتمع هذه الصور بشكل من الأشكال في النصوص الشعرية والسردية والحجاجية<sup>19</sup>.

وقد أسهمت نظرة رومان جاكبسون في توسيع هذا الاتجاه البلاغي اللساني، من خلال تحديد عناصر العملية التواصلية، ووظائف اللغة أثناء التواصل؛ فعناصر العملية التواصلية عنده هي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة. أما وظائف اللغة فتتمثل في<sup>20</sup>:

- 1- الوظيفة المرجعية (السياقية): وتتعلق بالسياق الذي تتم فيه عملية التواصل.
- 2- الوظيفة التعبيرية (الانفعالية): تحدد أثر المرسل وتعبيره المباشر أثناء التواصل.
- 3- الوظيفة الانتباهية: تمثل الآليات المعتمدة لشدّ انتباه المرسل إليه أثناء التخاطب.
- 4- الوظيفة الإفهامية: وتتعلق بالمرسل إليه وقدرته على تحديد فحوى رسالة التخاطب.
- 5- الوظيفة ما وراء لغوية: تبرز وعي المرسل إليه في استعمال قانون الخطاب.
- 6- الوظيفة الشعرية (الإنشائية): تمثل الملفوظ في بنينه المادية وهي أهم وظيفة في التواصل، وقد اعتبرها جاكبسون نص الخطاب.

وهو هنا يولي أهمية كبيرة للوظيفتين التعبيرية والإفهامية، لأنهما محورا التخاطب في نظره؛ فالعملية التواصلية محورها المتكلم والمتلقي، والهدف من التواصل هو إقناع المتلقي والتأثير فيه.

وعليه فإن الحجاج يقوم هنا على سند لساني لغوي، هدفه التأثير في المتلقي، وهو توجه جديد من شأنه جعل المتكلم يركز في بناء حجاجه على اللغة وعلى أدواتها لإنشاء الحجج المدعمة.

#### 4- التوجه البلاغي الحجاجي:

يعد كتاب "بيرلمان" و "تيتيكا" (مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة) من أهم الكتب التي سعت إلى ضبط العلاقة بين الحجاج والبلاغة، هذه العلاقة تأخذ مسارين اثنين هما:

أ/ الحجاج هو البلاغة الجديدة.

ب/ الحجاج جزء من البلاغة الجديدة.

وإذا ما وُضع ذلك الكتاب في السياق المعرفي العام، جاز ترجيح المسار الأول: الحجاج هو البلاغة الجديدة، إذ ما ليس حجاجا بالمعنى الذي يرتضيه مؤلفا الكتاب السابق سينتمي إلى أحد القطبين: السفسطة أو البرهان.

وقد حاول بيرلمان إثبات عجز المنطق الصوري والفلسفة الوضعية في المجال القيمي بقدر ما حرص على إبعاد الأحكام الانفعالية والاعتباطية عن البلاغة، فهي صالحة عنده لأن تكون منطقا لأحكام القيمة، أي للفلسفة، على شرط التخلي عن التعارض التبسيطي بين منطق مختزل في البرهنة الشكلية وبلاغة مختزلة في إجراءات إقناعية غير عقلية. وباختصار الفلسفة يمكن أن تظل عقلية حتى وهي تؤسس أحكامها القيمية على البلاغة.

يقول بيرلمان: "إن نظرية للحجاج من هذا القبيل توجه الذهن -حين النظر إلى موضوعها- إلى البلاغة القديمة، ولكنني إذ أعالجها من زاوية هموم عالم المنطق سأضطر لتقليص مباحثي من جانب وتوسيعها من جانب آخر"<sup>21</sup>. ومن الجوانب التي تتضمن توسيعا وتضييقا إهمال خصوصيات الخطاب الشفوي، واستيعاب الخطاب المكتوب اقتصارا على الحجج المقنعة فيهما معا الموصلة إلى الإقناع. ويكمن وراء هذا الإجراء عدم إيلاء أهمية كبيرة للمحافل الخطابية في مقابل الامتداد إلى المحاجة الخاصة، مع شخص واحد أو حتى مع الذات، يتداول المرء مع نفسه حول الـ (مَع) و (الضِدّ) لاختبار مدى قيمة أطروحة وصلابة حجة<sup>22</sup>.

وبهذا التوجه تقترب نظرية الحجاج الحديثة من مبحث الجدل أكثر من قريبا من مبحث البلاغة ببعديها الشعري والتداولي، وذلك بالرغم من اختيار الانتماء لما سمي بلاغة جديدة. يقول بيرلمان: "من هنا احتلت الطوبيقات الأرسطية، (باعتبارها صياغة للجدل السوقيراطي القائم على السؤال والجواب والنقد والدحض)، حيزا من النظرية الفلسفية للحجاج. فمن الملاحظ أن فن الحجاج (كما نما وتطور مع

جور جياس، وبروطاغوراس، وزينون) يهتم دائما بإحداث التسليم بأطروحات توجد في حالة تعارض<sup>23</sup>، فيقوى هذا التسليم أو ينقص من قوته بواسطة حجج متنوعة، إذ يعتمد التأثير في الشخص في كليلته ليدفعه نحو الفعل، ففي الحجاج لا يفرق بين الإرادة والفعل، ولا بين النظرية والتطبيق.

## 5- التوجه البلاغي التداولي:

لقد تغيرت النظرة إلى النص في العصر الحديث "فالنص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية: **افعل ولا تفعل**"<sup>24</sup>، وهذا عين الإقناع في الحجاج؛ إذ الغاية من الخطاب الحجاجي هي التأثير في المتلقي، ودفعه إلى فعل شيء ما، وهذه الغاية من أهم مرتكزات نظرية أفعال الكلام في الدرس التداولي الحديث.

فالتداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، وما ينجز من أفعال من خلال هذه اللغة، وهذا ما يعرف بنظرية الأفعال الكلامية، التي أسس لها أوستين ثم سيريل. ونظرية أفعال الكلام في مجمل فلسفتها التداولية "تتبنى على ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: أولاً: **فعل القول**، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة...، وثانياً: **الفعل المتضمن في القول**، وهو الفعل الإنجازي الذي يحدد الغرض المقصود بالقول...، وثالثاً: **الفعل الناتج عن القول**، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول"<sup>25</sup>.

وبالنظر إلى مكونات الحجاج، فهو يبنى على جملة من الحجج والأدلة تهدف إلى نتائج معينة مقصودة، غايتها إقناع المتلقي والتأثير فيه، وبالتالي لم يعد الحجاج نصاً أو خطاباً تتراس فيه الحجج والنتائج، وإنما له مقاصد ضمنية يسعى المتكلم إليها، ويستنتجها المتلقي بمعينة سياق التواصل. ففعل القول في الحجاج هو الملفوظ أو التلفظ، والفعل المتضمن في القول هو مقصد المتكلم ومراده من الحجاج، أما الفعل الناتج عن القول فهو ظهور مقاصد الحجاج في سلوك المتلقي، من خلال استخلاصه للأفعال الكلامية أو الجمل الإنشائية أو الخبرية، ثم تصنيفها إلى جملة أفعال الكلام التي أقرها سيريل<sup>26</sup>. إلى جانب أفعال الكلام فإن الحجاج قد استقى مفهوماً جديداً أثبتته الدرس التداولي الحديث، وهو مفهوم الاستلزام الحواري الذي يتعلق بالدلالات البلاغية الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي؛ إذ "ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حوارى استلزامى غير مباشر، ويتحكم فيه المقام أو السياق التداولي"<sup>27</sup>.



لقد أضحى الخطاب الحجاجي وفق هذا الطرح خطابا تداوليا، يسعى من خلاله المتكلم إلى استعمال اللغة لأجل دفع المتلقي إلى إنجاز فعل معين في واقعه أو في سلوكه، عن طريق إقناعه بما يقدمه المتكلم من حجج وأدلة في شكل أقوال، تؤدي إلى استنتاج نتائج معينة ومقصودة في ذاتها، تظهر في حياة وواقع المتلقي. وعليه أصبح الخطاب الحجاجي وسيلة تغيير وتأثير أكثر منه وسيلة تعبير، وهذا هو المنحى التطوري للحجاج من مجال الخطابة والتعبير إلى مجال التداول والتغيير، وهو ما يعرف بالدرس البلاغي الجديد أو البلاغة الجديدة.

## الهوامش:

- 1 - ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص5.
- 2- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 01، 2003، ص120.
- 3- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي- عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2001، عدد01، مجلد30، ص100.
- 4- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النحل نموذجا)، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ديسمبر 1997، عدد 12، ص330.
- 5- محمد العبد، النص الحجاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف-خريف، 2002، عدد60، ص44.
- 6- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص106.
- 7\_ المرجع نفسه، ص106.
- 8\_ الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، ص330.
- 9\_ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص127.
- 10\_ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص109.
- 11\_ المرجع نفسه، ص110.
- 12- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط01، 2008، ص87.
- 13- المرجع نفسه، ص21.
- 14\_ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص118.
- 15\_ المرجع نفسه، ص105.
- 16 - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص70.
- 17 - المرجع نفسه، ص71.
- 18 - نقلا عن: المرجع نفسه، ص71.
- 19 - المرجع نفسه، ص71.
- 20 - نقلا عن: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 138 و 139.
- 21 - نقلا عن: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص70.
- 22 - المرجع نفسه، ص70.
- 23 \_ المرجع نفسه، ص70.
- 24 - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص93.

---

25 - المرجع نفسه، ص94.

26 - ينظر: المرجع نفسه، ص95 و96.

27 - المرجع نفسه، ص96.

جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

يومي: 09 – 10 ماي 2022

استمارة المشاركة

الاسم واللقب : عباس حشاني

الصفة : أستاذ محاضر صنف –أ-

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل-

الهاتف والبريد الالكتروني: [abbachachani@yahoo.fr](mailto:abbachachani@yahoo.fr)

07.71.90.43.15/////05.51.87.32.70

محور المداخلة: البلاغة العربية الجديدة -نظرية وتأسيس-

عنوان المداخلة: جهاز المتكلم لدى الجاحظ – دراسة تداولية اجتماعية-

رمز المداخلة: ( بلا – جد 07 )

الملخص :

يتغى الجاحظ من خلال بيانه إلى تجهيز المتكلم وجعل خطابه هادف محققا لمقاصده ؛ إذ يتحقق الخطاب بوفرة عناصر و الالتزام بشروط التي أوردتها الجاحظ في معالجته للخطاب ، حين نسقط مفهوم البيان على مفهوم الخطاب أو النص نجده يعدد تجهيزات تخص المتكلم، وأخرى تُعنى بالمتلقي وغيرها تهتم بالخطاب شروطا وجماليات وأهداف ...  
تطرق هذه الورقة البحثية إلى تأسيس الجاحظ لصرح لساني تداولي، بتطويره عناصر العملية التواصلية خاصة المتكلم حين يُجهز هُنطقا وهداما ...وعليه تُعدّ جهود الجاحظ مؤسّسة في بناء محور ومُحدّث التّواصل، وهذا ما تهدف هذه الورقة إلى بيانه.

المداخلة: جهاز المتكلم لدى الجاحظ – دراسة تداولية اجتماعية-

احتفل البلاغيون العرب القدامى بالتداولية عبر مباحث ومصطلحات ذات علاقات نسب بالبلاغة الجديدة، و يُعدّ كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ ترسيخ للذهن العربي على أنّه مؤسّسة تداولية في مجمله، وأوّل محطة تداولية في هذا الكتاب هو الاهتمام البالغ بعناصر

العملية التواصلية، فقد ذكر الجاحظ: شروط الخطاب الناجح، صفات الخطيب (المتكلم) وسلامته من العيوب النطقية، وهيئته الخارجية هنادما وإشارات، وقعد لوظيفتين هما الفهم والإفهام...

يؤسس الجاحظ للتداولية حين يُجهز المتكلم ويجعله في حل عن فشل إبلاغ خطابه ومقاصده، فتداولية الجاحظ فحواها في اهتمامه بأقطاب العملية التواصلية، وهدف الخطاب، و طرائق تحقيق الأهداف.

حين يُعرّف الجاحظ "البيان"، وهو عندنا يوافق مصطلح الخطاب، إذ يقول: البيان « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك لحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.»<sup>(1)</sup>

(1)

الكشف عن المعنى وإزالة اللثام وظيفية المتكلم، وهذا يستدعي المتلقي الذي نسعى إلى تبليغه ببيان الخطاب والمقاصد، وعليه تترتب على قطبي العملية التواصلية الإفهام والفهم، ومنه تتجلى العلاقة بين التداول و "البيان" في علاقة تكاملية؛ إذ البيان « ذو علاقة بالخطاب، حيث يُعنى بالإبانة والإرسال والإبلاغ المبين الذي يتم عبر اللغة وغيرها.»<sup>(2)</sup>

ويحدد الجاحظ وسائل تداولية للبيان، وهي وسائل الخطاب وجمالياته وأهدافه؛ إذ الخطاب: « يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفقامة، وأن ذلك من أكبر ما تُستمال إليه القلوب، وتُثني به الأعناق، وتُزيّن به المعاني.»<sup>(3)</sup>، شروط البيان توافق تداولية الخطاب في مقصديته وإبلاغيته فجعل للخطاب شروطا وجماليات وأهداف... ويدخل كل هذا ضمن تجهيز المتكلم، وتسهيل طرائق تاديّة الخطاب نحو متلق مقصود.

أما الأولى فهي جهاز المتكلم من وسائل خطابية تداولية عبر ثنائيات (تمييز وسياسة) ،وهي توافق الفطنة وسرعة البديهة، فالمتكلم عليه تصنيف متلقيه وجمهور مستمعيه، فإن بدا منهم ما يحول بينه وبين مقصده يسوس حالهم وينتهج مجرى خطابي غيره في (ترتيب ورياضة)؛ إذ يرتب المتكلم خطابه وله أن يُغيّر هذا الترتيب بأن وصفه رياضيا؛ لأنّ حالة المتلقي تُلزم صانع الخطاب بهذه الوسائل... ولا ينال تحقيق ذلك إلا بتفعيل (الآلة والصنعة) ومفادها تطويع الوسائل اللغوية للإبلاغ والإيصال.

أما الثانية فهي جهاز المتكلم صوتيا فونولوجيا، إذ تتعلق بمخارج الأصوات واعتماد الوحدات اللغوية في تلفظ سهل النطق فلا يعتمد غريب اللفظ ولا أصعبه، وأن يكون منطقته مسموعا جهوريا، وحرفه تام وكامل في خطاب نظمة يقع على الأذن موقعا حسنا موزونا، فيمتد ذلك التأثير للقلب والعقل معا، فيحصل المتكلم على مراده في قالب جمالي يصفه الجاحظ بالحلاوة... كما يعزز هذا الجمال الخطابي (الجزالة والفخامة) فلا يُطنب فيمَلّ السامعون ولا يركك في أسلوبه فيسخررون.

المتكلم بهذه التجهيزات الخطابية والصوتية والجمالية تخوله لتحقيق أهدافه وقصوده إن استمالة أو تأثير أو إقناعا .

نذكر لصاحب البيان بحثا أخريجهز فيها المتكلم ويجعله مؤهلا إن التزم بها « في الاتصال الخطابي خاصة ، والخطاب الجدلي على نحو أخص»<sup>(4)</sup> ، ثم يوفر للمتكلمتجهيزات غير لغوية منها : الإشارة ، وعلاقتها باللفظ ، فهما عنده شريكان، إذ يقول: « نعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تتوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط.»<sup>(5)</sup>، هذه تداولية تجاوز فيها الجاحظ اللغة إلى الإشارة وإسنادها وسيلة في تبليغ المعنى والقصد.

يُنظر الجاحظ لتداولية الخطابوعلى نحو أخص الإقناعي ، ويصنع متكلمنا ناجحا بتجهيزات لغوية وغير لغوية ، وهي أبواب تمثل متن كتاب "البيان والتبيين" ، حيث يرى "محمد العمري" أن مادة "البيان والتبيين" لها ثلاث محاور: وظيفة البيان وقيمه ، العملية البيانية وأدواتها، البيان العربي<sup>(6)</sup>، وعليه تظهر وظيفتين للبيان: وهي وظائف تداولية تتجاوز وظيفة التواصل للغة وهما: الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إقناع وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، والثانية هي الفهم والإفهام ، ومنه فالبيان له وظيفتان تداوليتان وهما: وظيفة إفهامية، ووظيفة إقناعية.<sup>(7)</sup>

كلّ هذا تأسيس لتداولية عربية، ثم لوظائف تداولية، وتظهر هذه الوظائف التداولية في البلاغة؛ إذ « البلاغة إظهار ما غمض من الحق»<sup>(8)</sup>، بهذا يُعدّ الجاحظ مؤسس التداولية الخطابية، ونظرية متكاملة اعتنت بالاتصال الخطابي، وبعوامل أخرى غير لغوية كالسياق الخارجي والمقام، ووسائل غير لغوية كالإشارة وغيرها... « وتحتل الوظيفة -وهي في مصطلحه الغاية ومدار الأمر- حجر الزاوية في هذا البناء لأنها مولد اللّحمة، والهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.»<sup>(9)</sup>

إنّ تجهيز المتكلم ضمن التداولية في مصطلح الجاحظ "البيان" ، ووظائفها تكمن في الوظيفة الإفهامية والوظيفة الإقناعية، وهذه محاولة بناء نظرية تداولية بلاغية إقناعية، تهتم بكلّ ما يحفّ العملية التواصلية من أقطاب مشاركة في التواصل (متكلم، متلق) ومقام وظروف خارجية وقصد وهدف من الخطاب، فالمتكلم ضمن مجموعته اللغوية يحاول

إيصال مقصده بالتعبير عن غرضه وإرسال أفكاره وبث أحاسيسه، ومنه وجب أن يختار التركيب المناسب وأن يحتزز الصّحة الدلاليّة في تراكيبه؛ إذ المتكلم يقوم: « بنظم كلامه بكيفية خاصة ، وعلى منوال معين ترتبط فيه الكلمات بعلاقة نحويّة معينة ؛ كي يتسنى له أن يعبر عن غرضه ويُمكنّ سامعه من فهمه اعتماداً على القرانن التي تُعينه على الإفصاح عن مقصوده.»<sup>(10)</sup>

ومردّ ذلك اللّغة، أنواع التّركيب وعلاقاته الدلاليّة والنّحويّة ووظائفه التداوليّة كامنّة في اللّغة ، ومنه تداوليّة التّركيب اللّغويّ في شقيّه: الخطابيّ والجمليّ، ووظائفه المقصودة التي تؤدى بقرانن ومنها تحقيق الغرض وبلوغ المقصد.

ويمكن أن نبيّن العلاقة بين التواصل ومفهوم الغرض أو الفائدة، في تداوليّة الخطاب الإيصالّي، فكل خطاب له وظيفة تداولية يتوخاها ومقصد يرمي إليه وغرض يسعى إليه، ولا يتحقق هذا إلا بانتلاف الكلام وضم بعضه إلى بعض على وجه من الوجوه النحوية المألوفة.  
(11)

ينشئ المتكلم من لغته ما يشاء من خطابات من خلالها يفهم ويبلّغ ويُحقق فائدة، وهذا لا يتأتّى إلا بالصّحة الدلاليّة والصّحة النّحويّة، فتُنال الوظيفة التداوليّة وتحصل فائدتها، وفي هذا يقول الجرجاني: « واعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخلّ بشيء منها.»<sup>(12)</sup>

النحو جهاز المتكلم، ومن شأن الزّيف النّحوي في الخطاب أن يميل به عن تأديّة الوظيفة، وينحرف عن المقصود، وفي هذا يجب أن يتظافر النّحو والدلالة؛ لأنّهما الأصل في الفائدة فيقدّم « العنصر النّحوي الدلالي بالمعنى الأساس في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديدّه، يمد العنصر الدلالي العنصر النّحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده.»<sup>(13)</sup>

الخطاب في عمومه يتأثر بثلاث عناصر: الصّحة النّحويّة وهي السلامة التركيبيّة، من شأنها أن تقيم المعنى وما يهدف إليه، والصّحة الدلاليّة وهي المعاني المتوخاة، والأهداف المرجوة من التّركيب والدلالة التركيبيّة تستلزم القواعد النّحوية التركيبيّة؛ لأنّ «الصّحة القواعديّة هي واحدة من عوامل عدّة لكي تتخذّ القبول»<sup>(14)</sup>، ومنه تأتي الدلالات في قالب نحوي صحيح فتقبل من المتلقي وتسير نحو المقصد ، وفي هذا يقول الجرجاني: « ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»<sup>(15)</sup>، ومعنى الوجه الذي يقتضيه العقل هو الاستعمال التداولي؛ فالمتكلم لا يُحقق مبتغاه من خطابه إلا إذا استعمله ضمن جماعته اللّغويّة؛ إذ التداوليّة تكمن

وظيفتها « في استخلاص العمليّات التي تُمكن الكلام من التّجذر في إطاره الذي يُشكل الثلاثيّة الآتية: المرسل، والمتلقي والوضعيّة التبليغيّة، إنّ أيّ تحليل تداوليّ يستلزم بالضرورة التّحديد الضمني للسياق الذي تُؤوّل فيه الجملة»<sup>(16)</sup>، والجملة والسيّاق يخضعان للصّحة الدلاليّة والنّحويّة.

الخطاب المحقق لوظائفه التداوليّة، يُشترط فيه أن يشمل في تركيبه صحة نحويّة وصحة دلاليّة وتداوليّة في الاستعمال، ووظيفة اللّغة أنها أداة المتكلم وجهازه، فهي تحقق اللّغة أغراضا متعددة كالتّعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات، والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه... كل هذه الأغراض تتحدّ في وظيفة التواصل<sup>(17)</sup>، إضافة لذلك للّغة استعمالات في « كون نسق الاستعمال يُحدّد حالات كثيرة قواعد النّسق اللّغوي المعجميّة والدلاليّة والصرفيّة، التركيبيّة الصوتيّة، وهو ما يعني به فرع اللّسانيات المسمى «اللّغويات الاجتماعيّة»<sup>(18)</sup>؛ إذ لا يستعمل المتكلم « نفس النّمط من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة»<sup>(19)</sup>.

يتربط السيّاق بنوعيّة المكوّن الداخلي والخارجي، وأن يُطابق الخطابالمنتخب السيّاق المستعمل له، وهو سياقان: سيّاق مقالي وسيّاق مقامي<sup>(20)</sup>، ولّغة استعمالات تفرضها الظروف الاجتماعيّة مفادها أنّ الخطاب الوظيفي له عناصر أساسية تشكّله وتجسده، وهي "الفحوى القضوي"، "والقصد من إنتاج الخطاب"، "وموقف المتكلم من هذا الإيصال"؛ وهذا يعني أنّ المتكلم حين استعماله لخطاب معين يُراعي فيه الوظيفة وفحواه، ثمّ القصد منه، ثمّ موقفه من هذا الاستعمال<sup>(21)</sup>.

البيان والتبيين في عمومته نظريّة للتّواصل النفعي، وهي عمدة النّظريات؛ إذ تتّسم هذه النّظريّة بالشمول، وتعقد علاقات بعلم النّفس، والاجتماع... وتعدّ هي السند الذي يدعم نظريّة الوظيفة التداوليّة، فالمتكلم هو المحدّث والمكوّن الأوّل لعمليّة التّواصل، والصورة الوظيفيّة هنا تتجلى في نية وفي قصده وفي كميّة إنتاجه للخطاب، والمتلقي الذي من أجله، أحدثت هذه العمليّة التّخاطبيّة تتجلى علاقته بالإيصال في حالته، ومستواه، والمقام الذي هو فيه؛ لأنّ من شأن هذا - تشخيص حالته - تحقيق القصد، فيحصل الفهم والإفهام.

أمّا الخطابوهو الوسيلة التّواصلية، به يحدث التّواصل والإيصال بين المتكلم والمتلقي، وصورته الوظيفية تكمن في أنّه توال من التّراكيب والجمل وترابط بنيات بطبيعة وظيفية التي تربط الخطاب كونه حدث تواصلي، وهذا التّواصل يقوم بعقد تضافر ووظائف تجعله مستمرا.

نظريّة التّواصل وظيفيّة في جوهرها؛ لأنّها جعلت التّواصل أو الاتّصال والوظيفة متلازمين، بل جعلت التّواصل وظيفية كبرى للّغة - من جهة أخرى - ونجد اللّغة غالبا ما تُؤدي التّواصل باعتباره وظيفة الفهم والإفهام.

يجب أن يكون التّواصل أساس الوظيفة التداوليّة، وأن تكون الوظائف اللّغوية التداولية التواصليّة هي غاية التّواصل، وإذا جُعِل التّواصل أساسا للوظيفية – وهو الأصل – فإنّ نظريّة التّواصل تتحقّق وتزدان قيمتها، بأن تتحقّق نفعيّة الخطاب في استعمالها للّغة ، وفي وظيفة اللّغة الاجتماعيّة لا تقتصر على إيصال الأفكار والتّعبير عنها فحسب بل تتعداه لأشكال وسلوكات كلاميّة.

تبرز أهمية المتكلم وجهازه بنظريّة التّواصل في نظرتها إلى اللّغة « على أنّها "وظيفة اجتماعية"، وعلى أنّها "طريقة من العمل"... مما يُعيننا على فهم طبيعة اللّغة وجوهرها حق الفهم، أن ننظر إلى الدّور الذي تقوم به في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة التي يُؤلّف بين أفرادها الحديث بلغة مشتركة، وفي حياة النّوع الإنساني بعامّة.» (22)

ويرتبط الإيصال والإتصال بنفعيّة اللّغة، لأنّك « لا تجد وسيلة للاتّصال أنجع في هذا الباب من اللّغة» (23)، واللّغة من منظور تواصليّ وظيفيّ تقوم بخدمة ثلاثة أغراض: وسيلة للاتّصال، ومساعد ميكانيكي للفكرة ، ووسيلة للتسجيل والرجوع إليها.

يتحكم في تحقيق وظيفة التّواصل المقام، فإنّه إذا فُقد هذا العنصر الفعّال في التحليل، فسوف نقع في سوء الفهم ، وتحتمل الرسالة حينئذ عدة احتمالات وكذا طبقات من المعاني (24)، فاللّغة والسّياق، والمتكلم والمتلقي والرسالة، تربطهم وظائف وتربط بينهم « قناة تواصل تسمح بربط فيزيائي ونفسي للتّواصل والإبقاء عليه أو قطعه.» (25)

غاية الجاحظ من تجهيز المتكلم بقوى لغوية وأخرى اجتماعية -هنداماً وحركات وإشارات- هو نجاح الخطاب في بلوغ مقاصده وتحقيق أهدافه فالمتكلمون يختلّفون « اختلافاً واسعاً في مقدرتهم الخطابية... إن لكل مقدرته وكفايته الخاصة، ولكن كثيراً ما تجد شخصاً قليل الميزات الكلامية يؤثر في سامعيه ويفيدهم أكثر ممّن هو أكثر مقدرة وأفصح لساناً...» (26)

البيان والتبيين مدرسة في إعداد وتجهيز المتكلم بوسائل وآليات تواصليّة واتصالية من رحم اللّغة (داخلها) ، وتقنيات وهندسة إيصالية تُستوحى من عباءة اللّغة (خارجها) اجتماعية وتداولية.



## - الهوامش:

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق محمد هارون عبد السلام، الطبعة السابعة، الجزء الأول، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص: 76.

(2) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص: 143، 144.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 14.

(4) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996، ص: 144.

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 78.

(6) ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 193.

(7) ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص: 211، 212، 213.

(8) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص: 150.

(9) حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص: 185.

(10) محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية- دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2007، ص: 317، 318.

(11) محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية- ص: 315.

(12) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص: 64.

(13) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي- دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص: 113.

---

(14) نعوم تشومسكي، جوانيمن نظرية التحو، ترجمة: مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، 1985، ص: 34.

(15) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 40، 41.

(16) فان دايك، علم النص - مدخل متداخل الاختصاصات- ترجمة: سعيد بحيري، الطبعة الأولى، مصر، 2001، دار القاهرة للكتاب، ص: 114.

(17) ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص: 19.

(18) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 21.

(19) نفسه، ص: 21.

(20) نفسه، ص: 22.

(21) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص: 24، 25.

(22) محمود السمران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، 1963، الطبعة الثانية، ص: 23، 24.

(23) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ص: 01.

(24) رايص نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، الطبعة الأولى، 2007، ص: 260.

(25) عمر أوكان، اللغة والخطاب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001، ص: 18، 19.

(26) عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981، ص: 28.

-بوسكين مجاهد  
-قسم اللغة العربية وآدابها  
-جامعة مصطفى اسطبولي/معسكر  
-أستاذ محاضر(أ)  
-البريد الإلكتروني: [boucekinemojahed@yahoo.fr](mailto:boucekinemojahed@yahoo.fr)  
-رقم الهاتف: 0698 16 51 50  
-عنوان المداخلة:

## "بلاغة السرد بين جمالية التلقي وشعرية الخطاب" (قراءة في المفاهيم النظرية للبلاغة القديمة والجديدة)

### مقدمة:

لئن كان للبلاغة الجديدة مفاهيم عدة، بعضها ففاض وبعضها الآخر زئبقي يتمدد ويتقلص بين خطاب وخطاب وموضع وآخر، فإنّ البلاغة العربية القديمة لم تغادر مفهومين اثنين؛ أولهما: الوصف الذي يطلق على الكلام/الخطاب الذي يبلغ مقاصده أو مراميه ويجليها بشكل واضح وصريح لا تشوبه شائبة، فيؤثر في المتلقي ويؤدي المقصدية المتوخاة منه(الغراهيدي، خالد بن صفوان..)، وثانيهما: العلم الذي يضطلع بالحكم على بلاغةالخطاب/القول، ويحدد قيمته الجمالية وفق المعايير القاعدية للبلاغة العربية القديمة (السكاكي، الجرجاني، الجاحظ..)،ومن المعلوم أن القاعدة البلاغية العربية قوامهاالفكرة المحورية،"مطابقة الكلام لمقتضى الحال"،التي تحيل على السياق والتلقي،مما يعني أن المفهوم الأول يلتقي مع الثاني في مسألة احترام قواعد التلقي التي يمكن اختزالها في جملة "كيفيةإقناع المتلقي"، وهي عينها القاعدة التي تتغنى بها البلاغة الجديدة، وتتردد باستمرار على ألسنتنا لأنها منطبعة في أذهاننا حولتصورنالبلاغة، ومنذلك قولنا: "إن فلانا بليغ" للإشارة إلى قدرته على إيصال المعنى إلى مستقبل الخطاب، ونردد العبارة معإدراك مسبق أن المعنى لا يصل إلى المستمع إلا إذا استوفى شروط الإقناع (الحجاج في البلاغة الجديدة)، وتحلى بالجمالية الأدبية(الشعرية في البلاغة الجديدة)، ونخلص من هذا أن مرمى تهديف البلاغة الجديدة كما القديمة هو: الإحاطة بطرائق إرسال وتلقي الخطاب سواءكان شفويا أو مكتوبا؛ أي الوقوف على القيمة التواصلية الحجاجية والبيانية والشعرية والمقامية السياقية له، وهو مايعني الوقوفعلى أطراف عملية التواصل ككل: المتكلم/الباث، الخطاب/المفوض، والمتلقي/المستمع.

وهي الوضعية البلاغية التي تطالعنا بأنصع صورها ومختلف تجلياتها وتمظهراتها الخطابيات السردية، لاعتمادها على عناصر الاستهواءوالاستقطاب والتخييل واحترام مقامات المسرود له، والبحث الدؤوب عن السبل الكفيلة بإقناعه، حتى تكون هناك فعالية للاتصال بمعيته من ناحية، وأخرى شعرية لاستدراجه من ناحية ثانية .. على شاكلة النصوص

السردية التاريخية الخالدة من قبيل "الإمتاع والمؤانسة" للتوحيدي، الذي زاوجت بلاغته بين السرد والحوار والحجاج والتصوير، ونص "حي بن يقضان" لابن طفيل و"كليلة ودمنة" لابن المقفع.. أين تتراءى الوظيفة البلاغية بشكل واضح وصريح.

وما يجعل الأعمال السردية تنهض بالوظيفة البلاغية ممثلة في المزاجية بين عوالم التخيل وأدوات الحجاج والجدل أن طبيعتها الأدبية تقتضي ذلك، فهيتماز عن غيرها من النصوص الأدبية، لا من حيث البناء فقط، بل من حيث التيمة كذلك، كونها تنهض في الأساس على خاصية التراسل التي يدير أطوارها الثالوث المتكامل-السارد والمسرود والمسرود له- وبتفسير أدق العمل الروائي هو خطاب موجه من مرسل إلى متلقٍ يتضمن جملة من الرسائل، كما يتفرد بمجموعة من الخصائص تيسر عملية التواصل، حيث تقوم هذه الخصائص بتحديد وظائف الرسالة/الخطاب.

وبشكل عام تروم هذه الورقة الوقوف على مفهوم بلاغة النص بشكل عام وبلاغة السرد بشكل خاص بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة في مضمار البعدين اللذين تتغنى بهما البلاغة الجديدة ألا وهما:

➤ البعد الحجاجي الإقناعي التداولي

➤ البعد التعبيري الشعري الأسلوبي

## 1. بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة:

### 1.1 البلاغة العربية، المفهوم والماهية:

جاء في المعجم المفصل أن مفردة بلاغة تعني في مجمل ما تعنيه "الانتهاء والوصول"، (وهي من الفعل) بلغ الشيء؛ أي وصل وانتهى<sup>1</sup> إليه، وأورد لسان العرب أن قولنا "رجل بليغ، وبلغ حسن الكلام فصيح، يبلغ بعبارة لسانه كنه مافي قلبه"<sup>2</sup>، وسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وهي البلاغ كذلك ومؤدى هذا أن البلاغة هي الحرص على إيصال دلالة الملفوظ/الخطاب كاملة غير منقوصة إلى ذهن المتلقي.

والمعنى اللغوي للبلاغة يكاد لا يبتعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي، فهي علم من علوم اللغة العربية يتدارس جمالية الخطاب ويستعرض مكوناته الفنية، ولهذا يسميها البعض بـ"فن الخطاب الجيد"، ويرى آخرون بأنها علم الخطاب الاحتمالي التخيلي والتداولي معا، إذ ألحق علماء اللغة العربية الجانبين تحت مظلة البلاغة مثلما هو الشأن مع "ابن سينا" و"الخفاجي" و"الجرجاني" و"السكاكي" و"القرطاجني"، ولم يشذ عن مفهوم "البلاغة الجامعة" (التخيل، التداول) إلا العسكري في مفهوم الصناعتين، ولكن مع ذلك لا نعثر على مفهوم واحد موحد للبلاغة والسبب الرئيس في هذا أن المفهوم تجاذبه الفلاسفة والمفكرون واللغويون، وتعاظت معه حقول معرفية متنوعة، وانفتاح البلاغة نفسها على جملة من المعارف والتخصصات، وعلى هذا الأساس لانحصى مفهوما واحدا للبلاغة وإنما مجموعة مفاهيم، ولكنها تتقاطع في حيثية الاضطلاع بالخطاب وفعاليتها.

## 2.1 نظرية البلاغة العربية القديمة:

تطالعنا مفاهيم البلاغة العربية القديمة مجتمعة أن الرؤية البلاغية التي تبناها علماء اللغة العربية على اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافتهم وعصورهم، مؤداها أن البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي بشقيه التداولي والتخييلي؛ أي أنها تضطلع بالجانبين معا ضمن رؤية موحدة لا تفصل هذا عن ذلك، مما جعل للبلاغة العربية مسارين اثنين، أحدهما علم البديع ومرجعياته القاعدية هي الشعر، والآخر علم البيان ومرجعياته هي الخطابة، وظل العلمان يسيران جنبا إلى جنب ويتقاطعان في الكثير من التفاصيل، بسبب العلاقة الوطيدة والنقاط المشتركة الكثيرة الموجودة بين الشعر والخطابة، ولكون البلاغة ارتبطت باللغة العربية بشكل فطري وعفوي كملكة كامنة وقدرة ملازمة، تستميت بحضورها في الكلام العربي، توارثتها الأجيال بوتيرة فطرية وعفوية كذلك، أو بتقدير ابن خلدون: "المتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم"<sup>3</sup>.

ولقد أشار "ابن خلدون" بوضوح إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أن جوهر البلاغة عند العرب يتمثل في إفادة المتحدث للمخاطب وإبلاغه فحوى الرسالة، وهو ما لا يتم إلا باستيفاء شروط التواصل اللساني المتمثلة في الكفاية اللغوية في الأساس التي تلم بقواعد التأليف، يقول "ابن خلدون": "اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطابق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"<sup>4</sup>، ويستفاد من كلام "ابن خلدون" أن أساس البلاغة العربية هو الكفاية اللغوية التي تمكن من التعبير عن المعاني، وتوصل الخطاب إلى مبتغاه ومبلغه، وهذه الكفاية لا تعتمد على امتلاك الكلمات فقط، بل تستوجب إدراك حسن الصياغة والتركيب الذي يعي تمام الوعيقواعد التأليف، ويعلم تمام العلم أبجديات المقامات ومقتضيات الأحوال وكذا المقاصد، العناصر المعبر عنها في الحاضر بالسياق التداولي.

ومن هنا فإن البلاغة العربية لغة واصطلاحاً تعني في صميم ما تعنيه امتلاك القدرة وناصية التعبير لبلوغ النهاية والتواصل التام في الخطاب/الملفوظ؛ أي تحقيق عنصرين أساسيين في الخطاب/الكلام هما: الإبلاغ والقدرة على التعبير لتحقيق الإبلاغ، مما يفيد أن الإبلاغ أو التوصيل الخطابي بمعنية الكفاية التعبيرية هما وجهان لعملة واحدة، ملازمان لبعضهما البعض في البلاغة العربية، وأكثر من ذلك هما كوحدة (ثنائية) أصل في

الخطاب/الملفوظ، وليس فرعا أو جزئية بسيطة يمكن إلحاقها بنص الكلام، وبعبارة أوضح هما الوحدة التي تبين الخطاب تأليفاً ومقصدياً، وليس جمالية فقط كما يتوهم البعض.

وعليه إذا جاز تحديد البلاغة العربية القديمة بشكل موجز، فبوسعنا القول إنها تهتم "بالتواصل والإقناع والإمتاع"، وهو التعدد الذي وفر لها فسحة الاشتغال لاحتضان الشعر والنثر معاً، أو بالأحرى الشعر والخطابة من خلال العلوم الثلاثة "علم البيان"، "علم البديع"، و"علم المعاني"<sup>5</sup>، يمثل ما تطالعنا به مؤلفات "جواهر البلاغة"، "علم البلاغة"، "البلاغة الواضحة"، ويضطلع علم البيان بوظيفة الاحتراز عن الخطأ في التركيب مما دلالاته غير وافية بتمام المراد من وضوح الدلالة أو إخفائها"<sup>6</sup>، بينما ينهض علم المعاني بوظيفة "الاحتراز عن الخطأ في كيفية التراكيب في الإفادة لتمام المراد من المعنى، وفي دلالة المركب على قيد من قيودها"<sup>7</sup>، أما علم البديع فيقوم باقتفاء "توابع البلاغة من طرق الفصاحة"، أو بتعبير "القزويني": "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"<sup>8</sup>.

وواضح من الأقسام الثلاثة التي تظلمعها البلاغة العربية، أنها تحرص كل الحرص على حال السامع أو بالأحرى مقتضى الحال؛ أي هي تتوخى الإبلاغ بالدرجة الأولى، والمعنى التام بالدرجة الثانية، والجمالية بالدرجة الثالثة، ولهذا يربط معظم العرب البلاغة بجملة من المقولات المأثورة، ينأتى في صدارتها مقولة "البلاغة الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل"، ومقولة "صحار العبدى": "البلاغة أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ"، ومقولة عبد الحميد الكاتب: "البلاغة ما فهمته العامة ورضته الخاصة"، وأشهرها على الإطلاق هي عبارة البلاغة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"؛ أي مراعاة حال السامع أو مقامه. وقد حدد "السكاكي" المقامات في مواضع بعينها، كل منها يختلف عن الآخر، "فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل"<sup>9</sup>، والكلام عينه أورده "الجاحظ" بأسلوب آخر في البيان والتبيين لدى قوله: "إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيها شيء.."<sup>10</sup>، والمقام الذي أسأل الكثير من حبر علماء اللغة العربية يأتي في صميم اهتمام البلاغة الجديدة ودرس التداولية، وهو نفسه ما يصطلح عليه المحدثون بـ"سياق الحال" أو "سياق المقام"، ويربطونه "بما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق، فتعطي اللفظ دلالاته وتوجهه باتجاه معين، فهو إذا مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه التي تعين على فهمه وتفسيره"<sup>11</sup>، أو بتحديد "ديكرو": "نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ الخطاب في وسطها.. وإننا لنعرف التداولية بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"<sup>12</sup>.

وإلى جانب المقام تشترط البلاغة العربية شرط سلامة التبليغ والتوصيل، لأنه في تقديرها "ليس كل كلام صحيح صحة لغوية مطلقة صالحا لمقامة، أو موفقا في أداء رسالته في ظروفه وحاله، ففي هذه الحالة ينقص ضرب آخر من الصحة، وهي صحة الإيصال والتوصيل على وجه معين يقابل أغراض الكلام، ويعنى بمقاصده"<sup>13</sup>، ويشي هذا بأن البلاغة العربية في جميع الحالات وكل الأحوال تركز على استيفاء شروط التواصل بين المتكلم والمخاطب، وفي مقدمتها المقام والسلامة وتحديد الغرض، ويكون ذلك بشكل متواتر على النحو التالي:

### المتكلم الغرض المقام

1- المتكلم: يحدد الدلالة والمقصدية في الذهن، ويتحرى سلامتها وصحتها.

2- الغرض: يحدد الغرض الذي يستقيم معه الكلام.

3- المقام: يحدد المقام الذي يستوعب الكلام.

وقد نبّه "القرطاجني" في هذا الإطار إلى أن "ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها، وحسن موقع في النفس يكون بالنظر إلى ما للمعنى عليه في نفسه، وبالنظر إلى ما يقترن به الكلام، وتكون له به علاقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام منقولا فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلق به القول"<sup>14</sup>،

وهكذا اتجه الدرس البلاغي إلى الإحاطة بملاسات الخطاب وصيرورته، يؤسس لبلاغة عامة كلية تستوعب مجموع علوم اللغة العربية، وتحتضن الشعري بمعية الخطابي على نحو ما نشأت عليه تقريبا، باعتبارها ملكة تواصل إمتاعا وإقناعا، لها حضور في المقامات الخاصة كما العامة، الشأن الذي جعلها تتمتع بإمكانات جمّة لا نكاد نعرّث عليها في البلاغة الغربية القائمة على المفاهيم الإقناعية الحجاجية فقط.

### 2. البلاغة الجديدة المفهوم والماهية:

اتجهت الدراسات الغربية اللغوية والأدبية منذ الخمسينيات والستينيات -مستعينة بالإرث البلاغي الأرسطي- إلى التأريخ للبلاغة الغربية وإعادة تلقيها بغية الإحاطة بماهيتها وتمفصلاتها وفروعها وقوانينها، لتخلص إلى مفهوم "البلاغة الجديدة"، جاعلة منه تخصصا مستقلا ينهض بدراسة الجوانب الحجاجية في الخطابات وتبنت الجامعة البلجيكية المشروع مع كل من "برلمان" (Perlman) و"تيتكا" (Tyteca)، ثم اتسعت رقعة لاحقا مع نخبة من الباحثين تكتفي نفسها "جماعة ليج" البلجيكية، التي اقترحت مسمى آخر بعنوان "البلاغة العامة"، تقوم في نطاقه البلاغة مقام نظرية الخطاب مستعينة بالأدوات المنهجية والإجرائية للأسلوبية واللسانيات والسيميائيات في دراسة الخطابات والظاهرة الأدبية.

وبهذا الشكل أمست البلاغة الجديدة حجاجية المفهوم والمنطلق القرآني، عمومية الدراسة والتصورات المنهجية، قوامها مبحثان أساسيان، منفصلان من حيث الشكل والمنهج

والقوانين والأهداف، متكاملان من حيث التوجه العام والغاية الأسمى، وهي الإحاطة بكل جوانب الخطاب.

المبحث الأول: يقتفي دلالة الخطاب الشعري (دراسة أسلوبية)

المبحث الثاني: يقتفي أثر الدلالة الحجاجية الإقناعية (دراسة تداولية)

ويعني هذا أن البلاغة الجديدة تتدارس الخطاب في بعده الاثنين، البعد الأدبي الجمالي الذي تسميه جماعة "مو" البلجيكية "بلاغة الصورة"، وبعده الحجاجي التواصلية من خلال فعاليته الإقناعية العملية، لنكون بذلك أمام بلاغتين، إحداهما "بلاغة حجاجية"، والأخرى "بلاغة شعرية"، الأولى تتقصى المشترك في الخطاب؛ أي ما يجعله يستوفي القواعد المتعارف عليها ولا يحيد عنها، والثانية تتقصى الشاذ والاستثنائي في الخطاب؛ أي ما يجعله يشذ عن القواعد الشعرية السابقة من قبيل الانزياحات والخروج عن الأعراف التخيلية<sup>15</sup>.

وخلاصة القول أن البلاغة الجديدة تنهض بدراسة آليات الخطاب وفعاليته التوصيلية، وبمفهوم آخر أوضح وأدق البلاغة الجديدة موضوعها تأثير الخطاب/الكلام في المتلقي أثناء التواصل، تأثيراً علمياً تتوخى في مضماره الوقوف على الوسائل التي تحقق الإقناع بما تتضمنه من عناصر الحجاج والتأثير والإفادة والإمتاع<sup>16</sup>، أو بالتعبير المختزل "للعمري": "البلاغة علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال"<sup>17</sup>، وهذا الأخير يتمفصل إلى قسمين اثنين:

الأول: الخطاب التداولي الحجاجي

الثاني: الخطاب الشعري التخيلي

وهو المفهوم العربي -حسب العمري- الذي يطابق مفهوم البلاغة الغربية الجديدة (rhétorique) لأن التصور العربي الموروث للبلاغة يحددها على أساس "بلاغة عامة" تستوعب جميع الخطابات، وكذا البلاغات الفرعية الخاصة<sup>18</sup>.

ومن هنا فالبلاغة الجديدة، هي العلم الذي يتدارس الخطابين التخيلي والتداولي، الأول هو الذي يسمى الشعرية، والثاني الخطابية بالاصطلاح الغربي الذي حافظ على المفهوم الأرسطي، وللتمييز بين البلاغة القديمة والجديدة، يمكن القول إن الأولى بلاغة تهتم بالبيان وآلياته وقواعده، ومجمل المعايير التي تحدد سلامة الخطاب وصحة تركيبه؛ أي هي بلاغة تعليمية تهندس أبجديات وأدوات امتلاك ناصية الفصاحة وملكة البيان، أما الثانية فهي بلاغة قراءاتية تضطلع بتوصيف الخطابات بمختلف أشكالها والظاهرة الأدبية بشكل خاص، وتقوم في خضم ذلك بإحصاء الصور البيانية واستقراء الأسلوب وعناصر الخطاب، والوقوف على قواعد الحجاج والتداول، ويكون هذا غالباً تحت مظلة الاتجاهات والنظريات النقدية المعاصرة، من قبيل اللسانيات والبنوية والسميائية والتداولية، ولهذا تجدنا في الدراسات اللغوية أمام بلاغات جديدة وليست بلاغة واحدة مثلما هو الشأن لـ: البلاغة الحجاجية: التي



تعنى بالخطابات السياسية والفلسفية والقانونية مع كل من "بيرلمان" (C.PereIman) و"الوسي أولبريخت تينكا" (L, olbrechts. tyteca)، وبلاغة سيميائية مع كل من جماعة "مو" البلجيكية (GroupU) و"رولان بارت"، تعنى بدراسة العلامات والأنساق السيميائية للخطاب/الكلام، ومجمل الإشارات البصرية التي تؤدي غرضاً تواصلياً، وبهذا الشكل امتدت مساحة البلاغة إلى جملة من المعارف والتخصصات الأخرى، كما انفتحت على المجالات العلمية والثقافية والفنية، واعتمدت مدخلاً رسمياً للكثير من الحقول المعرفية بتعبير الفيلسوف الألماني "والتر جينز": "لقد أصبحت البلاغة ملكة العلوم الإنسانية قديماً وحديثاً"، كما أنها أحدثت نقلة نوعية بانتقالها من بلاغة تعليمية معيارية تلقن كيفية اكتساب الفصاحة وملكة البيان، إلى بلاغة علمية توصيفية تدارس الخطابات وتستقرئ تراكيبيها، وتهتم بمختلف التخصصات والمجالات، وبلاغة حجاجية تعنى بعناصر التأثير والإقناع في الخطاب الموجّه إلى المتلقي الذي يتحقق بموجب ثلاثة شروط هي:

- اللوجوس: آليات الإقناع (الحجج والبراهين)

- الإيتوس: القيم التي يثيرها المتكلم

- الباتوس: الأثر الذي يتركه الخطاب في المتلقي، أو الصدى/الانفعال؛ أي أن البلاغة الجديدة هي "بلاغة إقناع وإمتاع".

### 3. بلاغة السرد:

أول الأمر ينبغي الإشارة إلى شيء على درجة كبيرة من الأهمية يتعلق بمصطلح "بلاغة السرد" في حد ذاته وما يثيره على مستواه، إذ البلاغة حيزها الفضاء العام، وعلاقة الخطاب بالمقامات والأسيقة المتعارف عليها، والفكر المشترك، والنماذج المعروفة، والخطاب الفاعل، وأدبية الأسلوب وجماليته، بينما السرد حيزه التخيل والدراما وهو يؤشر على الذاتية والخصوصية "وإلى كل ما هو انزياح وانقطاع وإنكار وتفجير وتدمير للمثل، هذا التعارض الصارخ بين مجالين يحيل أحدهما إلى التطابق، والآخر إلى الاختلاف، نشأ في سياق تجاهل الأدب الحديث للوظيفة الاجتماعية، ووجد صده في تقلص البلاغة إلى نظرية الصور، والابتعاد عن البعد الحجاجي، على هذا النحو حدث فصل البلاغة الأدبية عن البلاغة الإقناعية ابتداءً من القرن الثامن عشر" <sup>19</sup>.

وإذا كان دعاة الفصل يملكون كل المبررات التي تسند توجههم وتدعم آراءهم، فإنهم بالمقابل لا يحوزون على أدلة قطعية ودامغة، كما أن الأدب بقدر ما يحيل على الاختلاف يحيل على الائتلاف، فالفضاء التخيلي الذي يشيده هو يمتح في الأساس من الواقع والعناصر التي يعرفها ويشترك فيها معظم الناس، ويتوجه إلى متلقٍ بغاية استثارته أو إقناعه بمسائل وقضايا عامة ومشتركة، إذ لا يمكن التواصل مع القارئ بواسطة التخيل دون الرهان على ما هو غير تخيلي؛ أي على الاتفاق والمسلمات والمعايير. سيظل النص الأدبي مستغلقاً من دون خلفية مشتركة، ولا يمكن إدراك الاختلاف وتحديده إلا على أساس التطابق الذي استند

اليه"20، مما يعني أن إشكال التباين أوبالأحرى الالتباس الموجود في المفهوم لا يمنع البلاغة من الإحاطة بالخطاب السردى في ضوء "البلاغة العامة" التي تعنى بالتخيلى والإقناعى معاً، بالرغم من المشاكل التي تطرح على مستوى النص السردى المعاصر وفي مقدمتها انفتاحه على عوالم لا حصر لها، وخلخلته للأساليب الكلاسيكية، واحتفاله بالنص المتعدد الخواص الذي يتضمن فضاؤه القصة والمسرحية والشعر والحكاية الشعبية، ويمزج الأسطورة بالاستشراف بالواقع.. وغيرها من الأمور التي لم تخض فيها البلاغة، ومن ثم فالبلاغة مطالبة بتوسيع دائرة اشتغالها لتهتم ببنى ووقائع ومواصفات سردية جمالية.. معاصرة تتجاوز التظاهرات والتراكيب الأسلوبية الكلاسيكية المعتادة، بلاغة تضطلع بكل الأنواع السردية، وتنتفح على جميع الخطابات التي تسيجها (أسطورة، حكاية شعبية، مسرح، شعر)، وكذا التراكيب التي تبينها هذه الخطابات (زخارف لسانية، أسلوبية، سردية، حجاجية..)، وحتى تستوعب كل هذا بوسعها الاستعانة بالأدوات والبرامج التطبيقية من المناهج النقدية المعاصرة، والشعرية، وتحليل الخطاب، واللسانيات التداولية..وسواها. وبهذه الوتيرة تخرج البلاغة من الحيز المغلق، المتمثل في التجليات الأسلوبية بمفردها أو العناصر الحجاجية إلى الفضاء الرحب المنفتح الذي يستوعب كل الأجناس الخطابية والأدبية، ويستثمر في السياق النصي، والحجاج والتأثير والتخييل والجمالية دفعة واحدة.

### 1.3 بلاغة السرد في النظرية العربية:

يطالعنا الموروث العربى القديم بنماذج سردية تطفح بالأساليب والخطابات والمواقف والظروف المقامية، التي تمتح من تفاصيل البلاغة العربية في تمفصلاتها الشعرية والتخيلىة، ومن هذه النماذج -على سبيل المثال لا الحصر- "نص الخبر" الذي يعتبر جنسا سرديا في الأدب العربى القديم، وإن كان النقد الحديث والمعاصر يصنفه تارة في قائمة الأجناس الأدبية النثرية<sup>21</sup>، وتارة أخرى في قائمة "فنون القول"<sup>22</sup>، فهذا الشكل الأدبى تتراءى نصوصه في العينات التي أوردها الجاحظ، ينهض من زاوية على الإفادة والإمتاع، ومن زاوية أخرى على تخييل الواقع أو بالأحرى "مزج الواقع بالخيال"<sup>23</sup> سواء الخبر كجنس قائم بذاته أو النوع الذي خرج من رحمه وتحول إلى شكل أدبى قائم بذاته، ونعني بذلك نص "النادرة" الذي يتقاطع مع الخبر في حيثيات جملة من العناصر، منها (السرد، النثر، اللغة الأدبية العادية، الاتصال بالواقع، الحجاج، القصر)، ويختلف عنه في سمة الهزل التي تعد خاصية في النادرة لا تبارحها، بها تعرف وبها تأخذ الخصوصية الذاتية، و"تقدم لنا مصنفات النثر العربى أصنافا متعددة، للخبر والنادرة؛ هناك أخبار العشاق والشعراء، والمجانين والحمقى، والزهاد والأذكياء وهناك نوادر البخلء والظرفاء والفساق واللصوص وغيرها من الأصناف، أو التوزيعات التي يتحلى بها كل من الخبر والنادرة"<sup>24</sup> كيفما اتفق، ولكن بالرغم من تنوع المواضيع واختلاف الأغراض التي تتناولها، نجدتها مجتمعة تشترك في جزئيتين اثنتين، هما استفزاز المتلقى بالتهكم المضحك، واستثارته بعنصر العجائبية، مما يعني أن

الخبر بوصفه شكلا أدبيا سرديا أو نمطا تعبيريا يقوم بوظيفتين بلاغيتين أساسيتين، إحداهما إبلاغ الحدث الطريف أو العجيب إلى المستمع أو القارئ بغية إفادته وإثارته في نفس الوقت، وأخرهما إحداث المتعة الأدبية لديه، عبر مزج الواقع بالخيال بأسلوب الوصف المشوق والحوار الجذاب المحيل على الشخصية، والخبر على بساطته يحمل في طياته أبعادا تعليمية تتغيا لفت نظر المتلقي إلى السلوكات الإيجابية والسلبية الموجودة في الواقع، وكذا القيم المجتمعية المحمودة والمرفوضة بغية جعله يميز بين هذا وذاك في شكل دعوة ضمنية مبطنة تستهدف توجيه سلوكه لكي يتبنى هذه القيمة ويتخلى عن الأخرى، ذلك أن القدرة على التمييز بين الإيجابي والسلبي وتحديد قيمة الأشياء، "لا تنهيا إلا في عالم نستطيع فيه دائما التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر" <sup>25</sup>.

ومجمل النصوص التي أوردها الجاحظ في متن "الحيوان"، من قبيل "عبد الله سوار وإلحاح الذباب" و"علمه حيلة فوق في أسرها" و"وفاء الكلب" <sup>26</sup>، تؤشر على وظائف بلاغية لا غبار عليها، يمكن إجمالها في الآتي:

أولا: إثارة المتلقي وإفادته على ما ذكرنا (التأثير في المتلقي والتعليم)

ثانيا: النصوص تنهض بوظيفة الإبلاغ والتواصل، إذ فضلا عن المتعة التي تدخلها على القارئ عبر إضحاكه وموضعه في عوالم البهجة والسرور، هي بالمقابل تؤدي غرض التواصل بمعيتها، كونها تقدم له أخبارا ومعطيات ومعلومات عن حوادث وشخصيات بعينها، وحقائق عن مواضع وسلوكات قيمية وعلمية إنسانية ومجتمعية، بغاية إفادته بالمعلومة وكذا التأثير فيه من خلال توجيه أفعاله وسلوكاته، ومن ثمهي تعمل على إبلاغ رسائل محددة إلى المتلقي، تنطوي على وظيفة تداولية ومقصدية متوخاة، تارة تعليمية، وتارة إقناعية بشيء معين، وتارة دفعه إلى تغيير رأيه أو سلوكه .. وما إلى ذلك من القيم التي يزخر بها كتاب "البخلاء" و"البيان والتبيين"، التي يسوقها الجاحظ بأسلوب سردي سلس، عبر نماذج شخوصية وأحداث تدعو المتلقي بشكل ضمني إلى أفعال التكافل وإعمال العقل والفكر، وقيم الجود والكرم والتشبث بالثقافة العربية الأصلية ضمن التحولات الثقافية والاقتصادية الكبيرة التي يعرفها المجتمع العباسي، وعلى هذا النحو وظف الجاحظ السرد بلاغيا لخدمة أغراض محددة وتمير رسائل معينة، على شاكلة المسائل الكلامية التي كانت تتبناها المعتزلة ويرفضها قطاع عريض من المجتمع العباسي، كدور المعرفة العقلية المجردة في الإطلاع على الحقائق ومعرفة كنه الأشياء، وتفسير الشرع.. الخ، ولأن هذه النصوص أداة إبلاغية تؤدي غرضا تواصليا، ينبغي تلقيها في أسبققتها ومقاماتها، عن طريق الوقوف على وظائف النص والأثر الذي تركه في المتلقي، بدل الاكتفاء بدراسة أساليبها وتصنيف جمالية معانيها، إنها نصوص تواصلية بامتياز لا تُحدد قيمتها إلا أثناء تحديد آثارها في نفسية متلقيها، وكشف مقاصدها الخلفية والفلسفية والإيديولوجية والتعليمية والتهكمية، وأدواتها الحجاجية المعتمدة في عملية الإبلاغ.

**ثالثاً:** وظيفة التشخيص والتصوير: أو مايسمى في البلاغة العربية بالتمثيل، وهو انتقال الصورة الأدبية من الحالة المجردة إلى الحالة الحسية، ويتأتى في مضمار التخيل عبر تفعيل التشخيص الحسي والمشابهة والوصف والمبالغة.. وتتطوي بلاغته على الإمتاع والإفادة، وتزواج بين التخيل والإقناع، وتيسير المعنى وتجسير المفاهيم بين الصورة المجردة والصورة الحسية فيما يوظفه من تشبيهات واستعارات وانزياحات أسلوبية، ويتفرد التمثيل في كونه يحقق الغاية الجمالية عندما ينقل الفكرة من العقل المجرد إلى عقل المحسوسات، وبالمقابل يؤثر في النفس لأن الأثر الجمالي يكون له وقعه على النفس وينطبع بسهولة في الذاكرة، وهكذا يؤدي الوظيفة الحجاجية، "إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة.. وضاعف قواها في تحريك النفوس لها"<sup>27</sup>، ويفيد كلام الجرجاني أن التمثيل ليس أداة جمالية فقط، بل أداة حجاجية تواصلية، فهو يترك أثراً في النفس، ويأتي الكلام الواصف والسردي في طبيعة الأشكال التعبيرية والصيغ الأدبية التي تتزاح بالصورة من المضمون العقلي المجرد إلى المضمون الحسي، فالسرد تؤثته الأفعال والأحداث والشخصيات الفاعلة في الأحداث والأمكنة.. وهي العناصر التي توفر له إمكانات التشخيص والتصوير، وبالتالي إيصال المعنى المبدئي إلى المتلقي والتأثير فيه باعتبارها مؤشرات حسية، والتمثيل وفق هذه الطريقة هو عينه الذي تطلعنا به نصوص الجاحظ في اعتمادها المزوجة بين التخيل وتمرير الرسائل المبطنة مدعومة بالحجاج والتشخيص الحسي الجمالي، والنتيجة هي أن التمثيل صيغة بلاغية عربية قديمة تتضمن التصوير والحجاج، مما يعني أن النصوص السردية تتيح إمكانية اجتماع الوظيفة التخيلية مع الوظيفة الحجاجية، لأن التشخيص الفني يعد: "وسيلة معرفية تقرب المعاني المجردة التي يصعب على المرء استيعابها عقلاً دون معاونة الحس. وهذا التصوير الحسي مرتبط بطبيعة الحال بغايات أبعد من مجرد الافهام، ربما تكون أخلاقية، أو تربوية تهذيبية أو للتأثير فقط"<sup>28</sup>.

### 2.3. تجليات البلاغة الجديدة في النص السردى القديم:

إذا كانت خلاصة البلاغة الجديدة لا تخرج عن المعنيين الأساسيين المتمثلين في: المعنى الحجاجي الإقناعي، التداولي في المفهوم المعاصر، والمعنى الشعري التخيلي الذي يصب في التصوير والتعبير الجمالي، فإن النص السردى العربى القديم يزواج بين المعنيين، فهو من ناحية يسعى إلى التأثير في نفسية المتلقي بطريقة أو بأخرى، كاستثارة عواطفه أو توجيه سلوكاته أو تغيير مواقفه حيال قضايا ومسائل معينة، مستخدماً وسائل الإقناع والحجاج المختلفة، ومن ناحية أخرى نجده يبيث سمات المتعة وعناصر الجمالية، ويحفر مخياله من خلال التصوير الحسي ومشاهد الغرابة والتمثيل الاستعاري.. وتتفرد النصوص السردية العربية القديمة بميزتين بلاغيتين أساسيتين، كلاهما تتغيا التأثير في المتلقي واستقطابه، تتمثل الأولى: في التأثير المباشر في القارئ بتوظيف الأسلوب الذي يقدم المعنى

جاهزا له دونما حاجة إلى إعمال الفكر والخيال بغية التأويل، والثانية: تستفزه وتستثيره بأدوات خاصة وعلامات لسانية على التفاعل المنتج مع النص، وتعمل على تفعيل مخياله للتجاوب مع الأثر الأدبي.

ومن الأمثلة التي تنسحب على الميزة الأولى، نصوص مقامات "الهمداني" و"الحريري"، فهي تتوجه إلى القارئ بشكل مباشر، مفصحة عن فحواها ومحددة مبتغاها بغية التأثير فيه كي يتلقاها تداوليا، باعتبارها قصصا أو أخبارا تتطوي على وقائع أخلاقية وتعليمية وتوعوية يكتفي المتلقي بمعيتها بدور الاستجابة والتقبل، وما يقال هنا عن المقامات يقال عن جزء معتبر من قصص ألف ليلة وليلة، وأخبار ونوادر الجاحظ، إذ تبادرنا بأنها تقدم أفكارا بواسطة السرد مسندة بالأدلة وأدوات الإقناع والشواهد، وتستعرض الوقائع بطريقة واضحة إذ لا تتجاوز بلاغتها المعاني البسيطة والأسئلة المتداولة والمحصورة.

أما الشواهد التي يمكن أن نسوقها عن الميزة الثانية، بخصوص النصوص التي تشغل ذهن القارئ وتستفزه، وتدعوه إلى المشاركة في تأويلها بشكل مبطن، فعديدة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر الكثير من قصص "ألف ليلة وليلة" المضمنة بداخل القصة الإطار، كقصة "الصيد والعفريت" التي تحيل في المعنى الظاهر على أن الصغير بإمكانه أن يتغلب على الكبير إذا استخدم ذكاه وعقله، وأن الخير يتغلب على الشر.. بينما معناها الباطني المضمرة خلف جملة من العلامات الاستعارية يهجس بدلالة أخرى مغايرة تماما، تتمثل في أن "المخلوقات المدججة لا يرتجى منها شر"<sup>29</sup>، فضلا عن ذلك تطالعنا عديد القصص في "ألف ليلة وليلة" باحتفالها بالفضاء الغرائبي والعجائبي، من قبيل قصة "السندباد البحري"، وقصة "البساط السحري" .. وغيرها، ولعل الغرابة تتضاعف أكثر فأكثر في كتاب "كليلة ودمنة" المترجم إلى اللغة العربية عن الفارسية، الذي يطالعنا بقصصه على لسان الحيوانات، تقوم في أفعالها وتصرفاتها بما يقوم به البشر، إذ أسند كاتبها سمات إنسانية وواقعية إلى كائنات حيوانية غير بشرية، ليؤثث فضاءً قصصيا كله غرابة وعجائبية، تمارس فيه الشخصيات السردية الحيوانية وظائف الإنسان والحيوان معا، متقصدا إصابة مرآج بعينها وتمرير رسائل مشفرة حول مسائل سياسية واجتماعية وثقافية سادت عصر ظهور القصص، حيث استخدم المؤلف الأسلوب العجائبي للتعبير عن الواقع وأحداث المجتمع، لدواع تتعلق به أو بواقعه، كأن ينتشل نفسه من المساءلة، أو درءا لخطر محقق، أو توظيف التلميح بدل التصريح للتأشير على متلقي ضمني مقصود.. وأشياء من هذا القبيل.

وما يقال هذه النصوص يقال عن الكثير من أخبار ونوادر الجاحظ كقصة "المرأة المذنبية" التي تواجهها حية وهي في طريقها لأداة فريضة الحج وقصة "الأعرابية الفقيرة" التي تسمى "غنية"، وقصة "ليلي الناعطية" وغيرها من القصص التي تتطوي على معنى ظاهر، وآخر ضمني يحتاج إلى مشاركة القارئ.. الذي يعمل على ربط الأخبار القصصية

بأسيقتها وبنصوص أخرى في عهدها، ليصل إلى معناها الخفي الذي أضمره السارد لحاجة في نفسه، أو بغية استثارة متلقيه.

ونخلص من هذا إلى أن السرد العربي القديم وظف آليات الحجاج كما وظف أدوات التخيل في استثارة المتلقي واستقطابه، ودلل بشكل واضح لا تشوبه شائبة بأن التصوير موجود في الفنون النثرية كما الشعرية، مما يعني أنه خاصة أدبية بلاغية عربية، تنهض بتجسير المسافة بين المعنى المجرد والمعنى الواقعي، من خلال تقديمه بصيغة حسية بصرية، تجعل ما لاتراه ولا تدركه الحواس مرئيا ومدركا، على طريقة الرسم والتجسيم.

ويأخذ التصوير في السرد العربي القديم طابع "التشخيص" أو "الأنسنة" بإضفاء الطابع الإنسانية على الجماد أو الحيوانات، مثلما أشرنا مع "كليلة ودمنة"، وهو نمط تصوير "يقوم على خلع ماهو في الواقع إنساني، أو إضفاء الخصال البشرية على أشياء أو كائنات غير إنسانية، سواء كانت حية أو جامدة، معنوية أو غير معنوية"<sup>30</sup>، بطريقة تستدرج القارئ بشكل وبآخر إلى قراءة النص وإعادة قراءته، لأن المسرود يدهشه ويؤثر فيه.

#### 4. بلاغة الرواية/السرد في النظرية الغربية:

تأسست بلاغة الرواية في النظرية الغربية انطلاقا من السؤال المحوري والإشكالي التالي: لماذا لا يتم صياغة بلاغة خاصة بكل الأجناس الأدبية، طالما هناك إجماع حول بلاغة عامة لكل الخطابات؟ وللإجابة على الإشكالية قام مجموعة من النقاد والمفكرين بموضعة العوالم الروائية تحت ضوء البلاغة المنفتحة، التي بإمكانها أن تستعين بآليات المناهج والمباحث القراءاتية الأخرى في مقاربتها للرواية، بدل الاكتفاء ببرامج البلاغة الكلاسيكية، ومن الباحثين الأوائل الذين لفتوا الانتباه إلى ضرورة الاهتمام ببلاغة الرواية "ميخائيل باختين" في كتابه "الكلمة في الرواية"، عندما أقرّ بالعبرة والحرف أنه "لم يظهر حتى القرن العشرين طرح واحد بقضايا أسلوبية الرواية، ينطلق من الاعتراف بالأصالة الأسلوبية للكلمة الروائية، الكلمة النثرية الفنية، إذ ظلت الرواية ردحا طويلا من الزمن موضع دراسة إيديولوجية مجردة، وتقويم اجتماعي دعائي فقط، في حين أن المسائل التي تشخص أسلوبيتها مهمة إهمالا تاما، أو تدرس عرضا وبدون مبدئية"<sup>31</sup>، وكلام باختين في هذا المقام لا تشوبه شائبة، إذ لا يختلف اثنان أن نقاد الغرب تعاملوا مع النصوص الروائية في كنف المناهج السياقية الخارجية الإيديولوجية، أو في كنف المقاربة البلاغية الكلاسيكية، بدليل أن النقد الغربي ظل "إلى حدود القرن الثامن عشر أسير البلاغة الكلاسيكية، ولهذا كان عاجزا عن فهم الخصوصية الأسلوبية للرواية، مما جعل أحد النقاد المعاصرين يلاحظ أن البلاغة الكلاسيكية، بقدر ما كانت تتميز بالحدق في تناول لغة الشعر، فإنها تتميز بالابتدال عندما يتعلق الأمر بمشاكل السرد"<sup>32</sup>.

ولقد وقف جيرار جينيت (Gérard Genette) على هذه الحقيقة في مقال له انتقد فيه هيمنة الشعرية على البلاغة في مطلع السبعينيات، داعيا في ثناياه إلى نقل الاهتمام من بلاغة الجملة إلى



بلاغة النص، ومن البلاغة العامة إلى صورة التعبير<sup>33</sup> أو بتعبيره: "عرفت الفترة الممتدة بين (1969\_1970) ظهور ثلاثة نصوص تكاد تكون متزامنة، مع اختلاف احجامها فإن عناوينها تشي بأمر ذي اعتبار، نقصد بذلك البلاغة العامة (Rhétorique Générale) لمجموعة "الليج" (Liège Groupe) الذي نعلم أن عنوانه الأصلي هو: البلاغة المعممة (Rhétorique Généralisée) ونقصد ثانيا، مقال ميشيل دوكي (Deguy Michel) نحو بلاغة لصورة معممة (peur Un Rhéterique De la Figurée Généralisée) ونقصد ثالثا، مقال "جاك سوشر" (jaque soycher) الاستعارة المعممة (La Métaphor Généralisée) هكذا يتقلص الموضوع، من البلاغة إلى صورة التعبير، ثم إلى الاستعارة<sup>34</sup>، كما أنه في منته "صور" (Figures) لم يتدارس "الصورة الشعرية فقط ولكن (كان يبحث) في كيفية تشكل الحكى فيها أيضا"<sup>35</sup>.

وإلى جانب "جيرار جينات" يعد الناقد الفرنسي "جون إيف تادي" (Jean-yves Tadie) من الباحثين الذين طالبوا بتلقي جديد للنصوص الأدبية في كتابه "المحكي الشعري" (Le Récit poétique) الذي ذهب فيه إلى أن النص الشعري بدوره ليس إلا تعبيراً محكياً في الأصل، سوى أنه يأتي بوتيرة متدرجة<sup>36</sup> ومتقطعة، وشيئا فشيئا بدأت الدراسات الغربية تنقل الاهتمام من بلاغة العبارة أو الجملة إلى الاضطلاع بالبناء الكلي للنص، ضمن محور أوسع هو "بلاغة الخطاب"، من قبيل ما قام به "ريتشاردز" في دعوته إلى تحديث البلاغة لدى إقراره بأن "الحجر الأساس الذي يقوم عليه سوء الفهم، هو ما يسميه بخرافة المعنى الخاص؛ أي الاعتقاد بأن للكلمة أو المفردة معنى ثابتا مستقرا، بصرف النظر عن السياق أو الاستعمال عامة، كما أن لكل إنسان اسمه الخاص الملازم له"<sup>37</sup>، فضلا عن "ريتشاردز" اعتبر "جورج لاكوف" (George Lakoff) أن الدرس ينبغي أن يتوجه صوب التمظهرات الخيالية للعقل كالكناية والاستعارة والتخييل بشكل عام، لأن هذه الأخيرة هي مركز أبنية التفكير وهي التي تستوعب معاني تجاربنا الشخصية، وإدراكنا الحسي الذي هو في الأصل تخيلي.

ومن الدراسات الهامة التي أولت العناية بالدرس البلاغي عامة وبلاغة الرواية بشكل خاص مقدمة مقاربات أدبية، نجد كتاب "شعرية دويستفسكي" لمخائيل باختين (Mikhail Bakhtine)، و"لغة الرواية" لـ"دافيد لودج" (David Lodge)، و"الأسلوب في الرواية الفرنسية" وكذا "الصورة في الرواية الفرنسية الحديثة" لـ"ستيفن أولمان" و"و" (Stephen Ullman) و"بلاغة التخييل" لـ"واين بوث" (Wayne Booth) .. وعلى هذا النحو أمسى اهتمام الدراسات السردية الغربية ليس الجوانب الإيديولوجية والتقويم الاجتماعي، وصورة الكلمة، وإنما الصورة الروائية الكلية، والمجاز السردى وعلاقة الشعرية بالحكي .. لتعرف البلاغة الغربية نقلة نوعية من شكل الأسلوب إلى "الأسلوبية المعاصرة"، إلى "الصورة الروائية" كإجراء نقدي ينهض بتحليل الأعمال الروائية في نطاق رصد فنيات التصوير اللغوي في تمفصلات السرد، ثم يتدارس الصور الحكائية في إطارها العام الكلي.

## 5. مفهوم بلاغة الرواية وإجراء الصورة الروائية:

على الرغم من أن النص الروائي تجاذبته العديد من المناهج النقدية والمقاربات القرائية، ظل يعلن عن نفسه كمادة خام بوسعها أن تستقطب تجارب أخرى وقراءات جديدة، لينفتح على عوالم البلاغة الجديدة وقد تبلورت في شكل "أسلوبية معاصرة"، تتعاطى بلاغيا مع النص السردي كما الشعري، مسلطة الضوء على بلاغة الرواية وأسلوبيتها في مضمار نسيجها المعقد وتمفصلات أسبقته الخارجية والداخلية، بغية رصد الصور الروائية البلاغية وانزياحاتها الأدبية وعلاقة ذلك ببلاغة الواقع، تحت عنوان "الرواية استعارة كبرى" مثخنة بالتشخيص المجازي والتصوير الاستعاري، والأساليب الحوارية الحجاجية التي تعتمد على الإقناع والتأثير في المتلقي، إنها تجليات صريحة للعلاقة الصورية بين المشاعر الإنسانية والفضاء التمثيلي التخيلي البليغ، وعلى هذا الأساس تستوجب الضرورة القرائية الإحاطة بما ينطوي عليه هذا الفضاء من مكونات بلاغية، على شاكلة المجاز السردي، والصورة السردية، والتراكيب الحجاجية، والتجاذبات بين السرد والشعري.. ذلك أن الحديث عن بلاغة الرواية -بتعبير "حميد لحميداني"- يعني جعلها "متصلة بميدان أوسع، وهو الأسلوبية بمعناها الوظيفي .. الرواية ككل يمكن النظر إليها، هي نفسها باعتبارها استعارة تمثيلية كبرى .. إن الطابع الأسلوبي للرواية يتحدد بزواياة نظر الروائي، مما يكون له أثر مباشرة على تحديد هوية الرواية"<sup>38</sup>، كما أن الرواية هي من زاوية تمتح من الخيال، وهذا الأخير يتشكل من الصورة الأدبية بمختلف أشكالها وألوانها، ومن زاوية ثانية هي مسار لتجليات الواقع، والطابوهات والمحظورات، تطالعنا تارة بالأشياء الجميلة والمشاعر المتدفقة، وتجعلنا تارة أخرى وجها لوجه أمام حقائق الواقع على بشاعتها ومرارتها، وفي جميع الحالات يأخذ التشخيص مجراه محلقا في أبعاد لا متناهية، لا شيء يوقف حريته التعبيرية ولا رادع يكبح جماحه التخيلي.

وفي غمرة ذلك تتجلى الصورة البلاغية في لغة السرد بحمولتها الرمزية ودلالاتها الإيحائية، مسيجة أساليب متنوعة، وفضاءات جمالية وعوالم شخصية بمواقف وظروف مختلفة، وأشكال خطابية تطفح بالدلالة الاستعارية، فاتحة بذلك أبواب التأويل على مصراعها، ومعلنة أن الرواية صورة بلاغية كبرى، لا ترتبط بالمكونات الشكلية والدلالية فقط، بل ترتبط بالأبعاد الحسية والذهنية الإدراكية، تتطلب التفاعل والانخراط التام بمعنية الفضاءات التخيلية وحضور الحس التأويلي.

إن البلاغة الروائية تبحث في الصورة السردية الموسعة، التي يؤثتها التشخيص اللغوي التخيلي والبناء السردى الجمالي، بخصائصه الفنية الإنسانية، وأسبقته المتنوعة، النصية والذهنية والتعبيرية والبلاغية والأجناسية، وهي كل ذلك لأنها "وسيلة للتعبير الفني والجمالي عن قضايا إنسانية خالدة، مثل الحياة والموت، والحب والكراهة، والسعادة والشقاء، والسلم والحرب.. فهي طريقة للتشكيل والتصوير والوصف، وغايتها الوظيفة الفنية والجمالية.. ومن ثم فالصورة الروائية هي مركز التفاوض ومعتك الاختيارات الفكرية



والفنية التي صدر عنها الروائي، على اعتبار أن الصورة إجراء لغوي ووسيلة فنية وغاية"39.

وبشكل مختزل نقول إن بلاغة الصورة الروائية الموسعة تنفرع إلى ثلاثة جوانب أساسية هي: المكونات والسميات، والصور الفرعية، ولذلك تستدعي المقاربة البلاغية تدارس جملة من الأسيقة للقبض على الصورة السردية الموسعة وفق خطوات منهجية مرحلية ومستويات تحليلية متتابعة، يمكن إيجازها في النقاط الأساسية التالية:

**أولاً: السياق النصي:** ويتم فيه بحث المكونات الثابتة التالية:

أ- المكونات السردية: (الأحداث، الشخصيات، الفضاء، الوصف، اللغة، الرؤية السردية)

ب- السيمات الثانوية: سمة الواقعية، سمة العجائبية، سمة الخرافة، سمة التوتر.

**ثانياً: المستوى الأجناسي:** وفيه ينبغي الوقوف على مكونات الجنس الأدبي داخل الصورة الروائية، عبر إحقاق الصورة بسياقها النوعي لاستخلاص ميزات التحسينية والنوعية، لأن الصورة الروائية شأنها شأن الصورة الشعرية تتعالق بشكل أو بآخر مع عناصر الفضاء الروائي. ثم يأتي الدور على السياق الذهني (التفاعل بين المتلقي والصورة) وعناصر الحجاج، فالسياق اللغوي (تدارس الأساليب والتراكيب اللغوية)، لتتوقف العملية عند السياق البلاغي، أين ينبغي رصد الصورة الروائية الكبرى، وتحديد سمياتها الجمالية بمعزل عن بلاغة الشعر؛ أي دراسة "الصورة الروائية، من حيث هي مظهر أسلوب، تعبير نسقي عن التماثل البلاغي المتجذر في السياق الكلي للمتن. ومن هنا افتراقها عن الصورة البلاغية الترينية التي قد تندرج في إطار السرد إلا أنها تظل فيه في وضعية افتقار إلى سمات التكوين الروائي"40، وبمعنى من المعاني يتطلع البرنامج الإجرائي للصورة البلاغية الكبرى إلى الإحاطة بالصورة السردية فنياً وجمالياً وبلاغياً، بعيداً عن بلاغة الشعر وعن البرامج التي يوظفها علم السرد في تطبيقاته النقدية المعاصرة.

وبهذا الشكل يتسنى لملمة بلاغة الرواية في مضمار مكوناتها الفنية والجمالية والإنسانية، وذلك باستيفاء الشروط البلاغية المتصلة بالبنية، والدلالة، والوظيفة، باعتبارها العناصر المؤطرة للسرد الروائي إلى جانب الصورة الأدبية ذات الطابع السردية، ونخلص من هذا أن البلاغة الروائية هي بلاغة سردية في المقام الأول، إنها "مجموع الطرائق والوسائل الفنية والأسلوبية والفكرية؛ أي الحجاجية التي تجعل القارئ يقتنع بأنه بصدد حكاية وليس بصدد فكرة"41، يحاور سارداً ويتفاعل مع المسرود ضمن فضاء زمني ومكاني متخيل، تؤثته لغة سردية شعرية خاصة، وتيمة تتوهج بالإيحاء والإمتاع تبين أفقا نصياً ينتطح إلى أفق قارئ مميز يتفاعل معه، وينهض بفعل التحيين والتأويل البلاغي الروائي، ذلك أن بلاغة الرواية هي "بلاغة نوعية، من خلال بحثها الدائم عن الصورة الكلية والجزئية التي يحفل بها النص، باعتبارها محكيات لها طابع خاص على المستويين البنائي والدلالي"42، وتتماز بشعرية خاصة أيضاً، لاتسيجها البلاغة اللغوية والزخارف اللسانية فقط، بل بلاغة وشعرية

التفاصيل السردية كذلك التي تنهض باستدراج المتلقي واستقطابه وشد انتباهه وإيهامه بحقيقة الخيال.. وما إلى ذلك.

## هوامش البحث:

- أنعام فوال عكاوي، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص: 15<sup>1</sup>
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مادة بلغ، الجزء الأول، القاهرة، مصر، ص: 346<sup>2</sup>
- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص: 622<sup>3</sup>
- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص: 622<sup>4</sup>
- لقد ظل احتضان البلاغة لهذه العلوم الثلاث في مجمل الدراسات العربية وبالرغم من خروج السليمانى وابن البناء عنه، وبالرغم كذلك من أن الجاحظ وحد البلاغة تحت مظلة البيان، وابن المعتز تحت مظلة البديع.<sup>5</sup>
- ابن الناظم، المصباح في المعاني، والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل، مكتبة الأديب، القاهرة، 1989، ص: 56
- نفس المرجع السابق، ص: 3<sup>7</sup>
- الخطيب جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص: 255<sup>8</sup>
- السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص: 162<sup>9</sup>
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، 116<sup>10</sup>/1
- حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، لبنان، 2005، ط1، ص: 128<sup>11</sup>
- أوزوالد ديكر، جان ماري سشايير، مقام الخطاب، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2007، ص: 677<sup>12</sup>
- كمال بشر، فن الكلام، دار غريب، (د. ط)، 2003، ص: 80<sup>13</sup>
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأديب، تح: محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط3، 1986، ص 130<sup>14</sup>
- 15- groupe urhétorique générale, paris, Editions du seuil, coll, points, 1970,p: 127
- 16-Tzvetan Todorov, splendeur, et misère de la rhétorique in Théories du symbole, ed seuil, 1977,p: 59.
- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص: 18<sup>17</sup>
- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014، ص: 42<sup>18</sup>
- محمد مشبال، الرواية والبلاغة، دار كتارا للنشر، الدوحة، قطر، 2019، ص: 14<sup>19</sup>
- محمد مشبال، الرواية والبلاغة، دار كتارا للنشر، الدوحة، قطر، 2019، ص: 15<sup>20</sup>
- كالمقامة، والخطابة، الحكاية، الرسالة، الوصية.. الخ<sup>21</sup>
- فروج بن رمضان، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط1، 2001، ص: 99<sup>22</sup>
- شكري عياد، القصة القصيرة في مصر، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1979، ص: 24<sup>23</sup>
- 24-محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، مطبعة الخليج العربي، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، 2010، (ب. ط)، ص: 101
- سوزان ريبين سليمان، عن المرجع السابق، ص: 125<sup>25</sup>
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (ج2، ج3)، (د، ط)، ص: 343، 122، 171<sup>26</sup>
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة. تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1991، ص 115<sup>27</sup>
- ألفت الروبي، التمثيل في التراث النقدي والبلاغي حتى نهاية القرن الخامس عشر الهجري، كتاب مشترك، المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، مجلة ألف الدار البيضاء، ط2، 1993، ص: 90<sup>28</sup>
- أنظر كتاب عبد الفاتح كيليطو، الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص: 32<sup>29</sup>
- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الكتاب المصري، ط1، 2003، ص: 265<sup>30</sup>
- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاف، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1988، ص: 08<sup>31</sup>
- حميد لحميداني، أسلوبية الرواية، مدخل نظري، منشورات دراسة سال، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1989، ص: 63<sup>32</sup>

- 
- رولان بارت، لذة النص، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص: 34<sup>33</sup>
- نفس المرجع السابق، ص: 34<sup>34</sup>
- 35-عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جينات من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف الجزائر، 2008، ص 24
- 36-Jean Yves Tadie, *Lerécit poétique*, PUF, 1978, p: 06
- أيفور أرمسترونغ، ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الفاغي وناصر الحلاوي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص: 05<sup>37</sup>
- حميد لحميداني، أسلوبية الرواية، مدخل نظري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص: 51<sup>38</sup>
- 39-جميل حمداوي، بلاغة الصورة السردية في القصة القصيرة، (نحو مقارنة بلاغية جديدة للصورة السردية) مطبعة بني أزناسن سلا، المغرب، سلسلة شرفات، العدد 41، ط1، 2014، ص: 08
- محمد أنقار، صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي، تطوان، المغرب، ط1، 1994، ص: 45<sup>40</sup>
- عبد الحميد عقار، بلاغة الرواية، مجلة بلاغات، عدد: 1، المجلس البلدي لمدينة القصر الكبير، المغرب، 2011، ص: 141<sup>41</sup>
- أحمد البيوري، في الرواية العربية، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص: 61<sup>42</sup>

– جامعة محمد لخصر – بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني

البلاغة الجديدة ( المصطلح والفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوية الحديث

يومي 09-10 ماي 2022

الاسم واللقب : محمد عليوة

الصفة : دكتور

مؤسسة الانتماء : جامعة الجزائر 2

الهاتف : 0774 87 89 46 البريد الإلكتروني : [mzjhonsmith@gmail.com](mailto:mzjhonsmith@gmail.com)

محور المداخلة : البلاغة الجديدة في التراث

عنوان المداخلة : تجليات معالم البلاغة الجديدة في التراث العربي من خلال آراء الجاحظ –

لا يزال درس البلاغي غير مستقر ، وفي حركية وتجديد دائم سواء من حيث مسائله ومناهج دراسته . ويروم هذا البحث إبراز مركزية الجاحظ في النظرية البلاغية العربية ، وتقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية القديمة ، في ظل تبني عدد من النقاد والبلاغيين نظرية الحجاج بديلا لها .

عرف درس اللغوي العربي تطورا كبيرا ونضجا واضحا خلال القرن الثاني للهجرة ويرجع ذلك أساسا إلى ما توصلت إليه العلوم المعرفية من حقائق ونظريات استفاد منها النقد الأدبي الحديث ، إذ إن العلماء والمفكرين والبلاغيين العرب أبدعوا وأسهموا بشكل وافر في إنتاج المعرفة ، فأسسوا حركة فكرية مساهمة للمشهد الثقافي عملت على تجاوز هنات بعض النظريات طارحة في الوقت ذاته البديل ، بفضل لغويين وبلاغيين ومفكرين متمرسين يضعون كل شيء موضع المساءلة والحوار. وفي غمرة اللغويين والمفكرين العرب آنذاك يبرز الجاحظ قامة واضحة في خارطة الفكر العربي التراثي فلسفيا ، لغويا ، أدبيا وبلاغيا من خلال ما خلفه من مؤلفات تجلي بوضوح خصوصية فكره ، العقلاني واللساني انطلاقا من قاعدة معرفية زاخرة بمستجدات المشهد الثقافي في العصر الذهبي – العصر العباسي – فأحدثت إنجازاته نقلة نوعية في مسار الحركة النقدية والبلاغية واللغوية العربية القديمة .

وانطلاقا من هذا شكلت رؤيته للنظريات اللغوية أسئلة القضايا اللسانية وامتدادات النظريات اللغوية الحديثة المنسوبة إلى روادها مكونا رئيسا من مكونات درس اللساني عند الجاحظ . كما تثير بعض التساؤلات جدلا معرفيا حول أثره في تطوير النظرية البلاغية الحديثة ، وتتمحور إشكالية هذه التساؤلات في : - المرجعيات الثقافية التي تشعب بها الجاحظ - الحديث عن منهجيته المتبعة وكيفية تعامله مع مختلف القضايا البلاغية - علاقة ماضي الدراسات البلاغية بحاضرها .

و لرسم معالم هذه القراءة النقدية ، لن أركز على الجانب التاريخي التطوري ، بل على الحدث الجاحظي وما بعده باعتباره محورا للبحث محاولا إبراز مدى تقاطعه مع المكتسبات البلاغية والخطابية المعاصرة ، وهل الدرس البلاغي القديم محصور في البيان والبديع و المعاني ؟ وما هي خصائص البلاغة الجديدة ؟ وما مدى صمود التفكير البلاغي العربي ضمن حركة التفاعل بين التراث والحداثة ؟

يدور الحديث اليوم عن بلاغتين : كلاسيكية وجديدة ، فالبلاغة الكلاسيكية هي بلاغة بيانية معيارية وتعليمية تساعد الكاتب أو الخطيب على كيفية الكتابة والإنشاء والخطابة ، أي أنها أداة للإبداع ووسيلة للتفنن في الكتابة بغية الوصول إلى تأليف راق ، وأداة ناجعة لاكتساب ملكة الفصاحة والبيان .

ومع منتصف القرن العشرين ، أصبحت البلاغة في ثوب جديد ، لأنها كانت تعنى بوصف قواعد الخطابات والأجناس الأدبية وتصنيف الصور الباغية والمحسنات البديعية وبيان وظائفها في ضوء مناهج معاصرة لسانية وبنوية وسيميائية وشعرية . ولم تقتصر البلاغة الجديدة على ما هو لساني في دراسة الصور والخطابات الأدبية ، بل كانت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية والقانونية والسياسية مع ( شاييم بيرلمان C.Perelman ) و ( لوسي أولبريخت تيديكا L.Olbrechts-Tydeca )

وقد تجلت في كتابات الجاحظ مفاهيم كثيرة تشكل أساسيات الدرس اللساني التداولي المعاصر الذي يدرّس في جامعاتنا اليوم وكان للمفاهيم التداولية تأثير واضح في علوم أخرى تقترب منها وتتقاطع معها ، ومن بينها البلاغة .

فقد أفاد الجاحظ من ينابيع سوق البصرة التي كانت ملتقى العلماء والأدباء ، وأسهم في تكوين شخصيته العلمية والأدبية ( كثرة قراءته لكل ما وقع تحت يده من كتب ، حتى إنه كان يستأجر دكاكين الوراقين فيبيت فيها للنظر ، وكذا العصر العلمي المزدهي بأشهر علماء الأمة في كل فرع من فروع المعرفة ، وهكذا أخذ الجاحظ اللغة عن أشياخها الكبار: الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصار ، وأخذ النحو عن الأخفش الأوسط ، وأخذ الحكمة عن صالح بن جناح اللخمي ، وتفقه في الاعتزال على شيخ المعتزلة في ذلك العصر: أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، فقد قيّض للجاحظ أن يعيش في عصر عاش فيه كبار الشعراء والكتاب (1)

أثرت هذه المعلومات في حياة الجاحظ وفي مؤلفاته المختلفة التي لم يترك فيها بابا من أبواب العلم والأدب إلا طرقه ، وصار بذلك أعجوبة الزمان وينبوع الافتنان ، إذ ذكر الباحثون أنه ترك ما يزيد على مائة وسبعين كتابا ومن أشهر كتبه الكبيرة: "كتاب البيان والتبيين" الذي يعدّ واحدا من الكتب الكثيرة التي ألفها الجاحظ، بث فيها الجاحظ آراءه البلاغية والنقدية في مسائل شتى كالبيان ، البلاغة، الخطابة، الكلام الجيد ، خطبة أو جدلا أو حوارا أو قصصا حتى عدّت آراؤه من الأصول الأدبية واللغوية عموما . ويمكن تصنيفه

(1)- الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1 ، 1998.

مؤلفا في البلاغة ، لتضمنه عديد المقاييس البلاغية من بيان وبديع غير أن منهج الجاحظ فيه جعل هذه المقاييس لا تدرك إلا بحسن التأمل ، حتى قال أبو هلال العسكري عنه ( إن أنواع البيان والبلاغة مبنوثة في تضاعيفه و منتشرة، لا توجد إلا بالتأمل)<sup>1</sup>، كما أنه يمزج بين القضايا والأفكار.

وتضمن كتاب البيان والتبيين بابين كبيرين هما:

**-باب الكلام:** وضمّنه الجاحظ مجموعة من الفصول تتعلق باللسان و ما يتصل به من مخارج الحروف و عيوب الكلام ، و اختلاف طرق الأداء، واللحن والفصاحة. ( الذي يحمل كثيرا المفاهيم المتداولة في الدرس اللساني الحديث )

**-باب البلاغة:** و تعرّض للحديث عن البيان ، و البلاغة ، و الخطابة آدابها و شروطها ، كما تحدث الجاحظ عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال و العناية بأقدار السامعين في نقله لحديث بشر بن المعتمر في صحيفته ه، في قوله ( والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال)<sup>(2)</sup> ، و ( المتكلم ينبغي أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما )<sup>(3)</sup> .

و من أقوال الجاحظ في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال قوله ( إذا أعطيت لكل مقام حقه و قمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، و أرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد و العدو فإنه لا يرضيهما شيء )<sup>(4)</sup> .

وعدّ العناية بأقدار السامعين من شروط البلاغة فقال ( لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملك بكلام السوق، ولا يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفىها كل التصفية، ولا يهذبها كل التهذيب، ولا يقبل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما )<sup>(5)</sup> ، فالمطابقة لدى الجاحظ أن يكون الكلام وفقا لأحوال السامعين بمراعاة الخصوصيات واللطائف والأسرار من بسط أو إيجاز أو حذف أو تكرار . فعلى الرغم من أن الجاحظ اعتبر المعاني مطروحة في الطريق يستوي فيها الخاصة والعامة إلا أنه لم يهمل جانب المعنى و دلالة اللفظ ، فقد تعرّض إلى دلالات الألفاظ ومعانيها .

ويمكن القول أنّ البلاغة لا تخرج عن دائرة العلوم الأخرى ، فكلّ العلوم الإنسانية والتجريبية تعمل بمبدأ الأخذ من منطلقات السابقين ، إذ يعمل اللاحق على تطوير الفكرة السابقة ويشير إلى ما فيها من خطأ أو خلل أو نقص مع إظهار مكامن حسناتها فترقى إلى

(1)- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط:5، 2006.

(2)- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 ، ص136.

(3)- المرجع نفسه ، ص 136.

(4) - المرجع نفسه ، ص116.

(5)- المرجع نفسه ، ص 92.

صورة ونتيجة أحسن ، فمن الطبيعي أن يستفيد اللاحق من السابق ، ولولا أخذ العلوم بهذا المبدأ لما تطوّرت وما وصلت إلى هذه الدرجة من الرقي والابتكار الذي نشهده اليوم .

وكان لابدّ للبلاغة أن تخضع لهذا المبدأ أيضا ( ومن حقّ كلّ طبقة أن تستغلّ نشاط سابقها وتضيف إليه ما يمثّل شخصيّتها وتاريخها الخاصّ تمثيلا موضوعيا أو شكليا ، وبذلك تتحقّق هذه المشاركة العامّة في عناصر الحياة إذ ينهض الممتازون بالابتكار والإبداع غير مستأثرين بما عملوا ، ولكنهم يفيضون منه على الناس جميعا . هذا قانون يسري على الحياة الأدبيّة باعتبارها ظاهرة إنسانيّة )<sup>(1)</sup>

وباستقراء آراء الدعاة إلى تجديد البلاغة ، نجدهم يتجهون في شبه إجماع إلى تخليص البلاغة مما شابها من مسائل المنطق والفلسفة ، ومباحث الأصوليين وما إليها ، فرأى بعض منهم الاعتماد على تراثنا في البلاغة ، وجعله أساسا للتجديد ، وأنّ التجديد يجب أن يكون نابعا من روحنا ومجتمعنا ، وتكويننا وفطرتنا وذوقنا وبعض آخر يرى أن الكتب القديمة يجب أن تلغى ويحل محلها كتب أخرى مؤلفه على منهج حديث مستقل ، مبني على أساس من الدراسات الغربية الحديثة وبعض ثالث يرون المزج بين البلاغة العربية بالدراسات البلاغية الحديثة في شتى اللغات الأوروبية ، وأنه من الخير الجمع بين ما يصلح من تراثنا ، وما يصلح من بلاغة الغرب ، وأنّ التعايش بين القديم والحديث أفضل نتاجا وأقوى أثرا ، فالفكر البلاغي العربيّ القديم حافل بالنظريات والإجراءات التّطبيقية التي تعتبر أصلا لكثير من النظريات الغربية التي تثير إعجابنا لما اكتسبته من ثوب حدائثي ترجع أصولها في حقيقة الأمر إلى تراثنا القديم ، وقد لا يكمن الاختلاف سوى في المصطلح أو المناهج . ويمكن اتخاذ مسألة السرقات الأدبية نموذجا حيا لذلك .

وقد برزت مسألة السرقات الأدبيّة واعتبرت من أهمّ القضايا التي أثارته اهتمام النّقاد العرب القدامى فأدلوا بأرائهم المختلفة وتقسيماتهم المتعدّدة كما سبق الإشارة إلى ذلك . فهل يمكن اعتبارها أساسا لنظريّة بلاغية ؟ وهل يمكن اعتبارها معادلا لما يصطلح عليه البلاغيون المحدثون بـ "التّناس" ، وما العلاقة بين التّناس والسرقات إن لم تكن معادلا لها بمصطلح ومفهوم حديث .

وبالنّظر إلى كميّة نظر النّقاد العرب المعاصرين إلى هاتين الفكرتين هناك من رأى أن التّناس كان موجودا في أغلب الدّراسات النّقديّة لدى القدامى غير أنّه لم يكن تحت هذا المصطلح ، بل ورد تحت عدّة مسميّات أخرى . أمّا بعضهم الآخر فرأى أنّ ( مفهوم التّناس لم يُعرف في الدّراسات النّقديّة العربيّة إلّا في العقود الأخيرة بالرّغم من وعي النّقاد العرب القدامى بعلاقات النّصوص بعضها مع البعض الآخر )<sup>(2)</sup> وأنّ تلك الدّراسات لم تستخدم مصطلح التّناس وحده الذي هو ترجمة لمصطلح "Intertextualité" بل استخدمت مصطلحات مرادفة مثل "التّناسية والنّصويّة"<sup>(3)</sup> و"التعلّق النّصي"<sup>(1)</sup> و"تداخل

(1) - أحمد شايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة- مصر ، 1994م ، ص261 .

(2) - انظر: عبد الواحد لؤلؤة ، التّناس مع الشعر الغربي ، الأقلام - بغداد ، الأعداد 10-11-12 ، 1994 ، ص27.

(2) - انظر: أفاق التّناسية المفهوم والمنظور، تر: محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص60

وانظر: أحمد محمد قدور، اللسانيات وأفاق الدرس اللغوي ، دار الفكر المعاصر- بيروت ، 2001م ، ص118 وما

النصوص" و"الحواريّة"(2) والنص الغائب ومع اختلاف هذه المصطلحات إلا أن هناك جامعاً يجمعها ويربطها وهو الكشف عن حالة من العلاقات القائمة بين نصّ ونصوص أخرى .

( ورغم أن السرقة ليست مرادفاً للتناص ، إلا أن أشكالها الموظفة تعدّ ضمن الحالات التي يتضمنها هذا المصطلح الحديث ، فهو أعمّ وهي أخصّ )<sup>(3)</sup> و يمكن ملاحظة هذا التداخل بإلقاء نظرة قرآنية على التراث النقدي العربي القديم . فيقودنا هذا التعدد في المفهوم وكثرة المصطلحات إلى طرح عديد من التساؤلات حول تقارب المصطلحات الغربية والعربية المتداولة وتطوّراتها ، فهل من الصائب أن التناص هو السرقة بأشكالها المختلفة والمصطلحات المنضوية تحتها والتي تتقارب في دلالاتها من نسخ وسلخ وإغارة و ... في حلّة جديدة ؟ أم أنه "الاقتباس والتضمين" ؟

إذ تعدّ مسألة السرقات الأدبيّة من أهمّ القضايا النقديّة التي أثارت اهتمام العرب القدامى فاختلّفت آراؤهم وتعدّدت تقسيماتهم ، إلا أننا نشهد في عصرنا الحديث ما اصطلح عليه الغربيون المحدثون بـ"التناص" ، فما هي العلاقة بين التناص والسرقات ؟ وهل يمكن مقابلة هذا المصطلح بذلك ؟ وكيف تعامل العرب المعاصرون مع هذين المصطلحين باعتبار أحدهما تراثياً والآخر يمثّل جزءاً من الدرس البلاغي المعاصر بما يصبّ في خدمة البلاغة الجديدة؟

وقد تحدّث الجاحظ عن صميم مفهوم التناص وذلك في قوله ( لا نعلم في الأرض شاعراً تقدّم في تشبيه تامّ ، وفي معنى عجيب غريب ، أو في معنى شريف ... ، وإلا وكلّ ما جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه ، كالمعنى الذي يتنازع الشعراء فتختلف ألفاظهم ، وأعاريض أشعارهم ، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه )<sup>(4)</sup>.

يرجع عبد المالك مرتاض من خلال قول الجاحظ الأصل في السرقات الأدبيّة أو الشعريّة إلى إعجاب المتأخّرين بالمتقدّمين ، فيقع استحواد الأواخر على أفكار الأوائل ، وعندما استعمل لفظة ( التنازع ) رفضاً منه لمصطلح ( السرقات الأدبيّة ) .

لقد تناول الجاحظ موضوع السرقات دون تفصيل فيها ولكنّه ترك بصماته عليها حسب رأي عبد الملك مرتاض ، ولذلك نجد في كتاباته بعض الإشارات تدور حول السرقة ، ومن ذلك تلك الإشارة التي وردت في " رسالة التّربيع والتّدوير " وهو يخاطب أحمد بن عبد الوهّاب على سبيل الاستهزاء به عن معنى كان يتحدّث عنه الشّيخ فيقول : ( ... فإنّ ذلك معنى

بعدها وانظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي- دمشق، العدد 201، السنة 1988م ، ص55 .

(1)- انظر: علوي الهاشمي ، ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، كتاب الرياض مؤسسة اليمامة الصحفية - الرياض ، ص21.

(2)- ينظر: الخطيبنة والتكفير، عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2006م ، ط6 ، ص288 وما بعدها.

(3)- مصطفى السعدني ، التناص قراءة أخرى للسرقات الشعرية ، منشأة المعارف الإسكندرية- مصر ، 1991م ، ص8 .

(4)- الجاحظ ، الحيوان ، ج3 ، ص313 .



مسروق منّي في وصفك ، ومأخوذ من كتبي في مدحك (1). كما نجده تناول السرقة في بعض المواضيع ( مثل موضوع العصا وكيف وردت فيها أبيات من الشعر متفرقة كثيرة ) (2).

لقد تناول الجاحظ مسألة التناص من خلال أفكار ثبوتها للعرب وإثباتها للأمم الأجنبية مثل الفرس والهند والروم ، فهو يثبت التأثر والمحاكاة والمثاقفة للأمم الأعجمية ويرفض ذلك كله للعرب ظلًا منه أنه منقصة من بلاغة العرب ولأنه من جهة أخرى يرى أن كلام العرب إلهامهم وألفاظهم تأتي دفقا وإرسالا ، وذلك لأنه يؤمن بفكرته ( المعاني مطروحة في الطريق وإنما العبرة باللفظ ) (3) ، ونجده يرفض فكرة التناص لدى العرب في غير ما موقع في مؤلفاته .

ويرى مرتاض أن الجاحظ وقع دون أن يشعر فيما فرّ منه أول الأمر فقد أثبت التناصية في كلام العرب مع من سبقوه وذلك من خلال قوله ( لم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب ) (4) وهذا هو التناص بعينه ، أي أن الشاعر يدخل في تناص مع غيره ممن عاصروه أو سبقوه دون أي قصد أي أنه يستبدل النصوص بعضها ببعض على حدّ تعبير جوليا كريستيفا ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى مفهوم التناص الحديث .

ومن خلال ما قاله الجاحظ بأن الشعراء ( لم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم دون قصد ) (5) نجد أنه فرق بين مفهوم السرقة الذي كان سائدا آنذاك ومفهوم التناص الذي يقوم على عدم التكلف في حين أن السرقة تعتمد إلى القصد كأن تسرق قصيدة بأكملها أو معنى بلفظه وتنسبها لنفسك .

فأهمية البلاغة البنوية تكمن في الخروج عن التقسيم الذي سنته البلاغة المدرسية ، وكذلك في عدم حصر البديع والمحسنات ، بل الرجوع به إلى دلالاته الأولى عند العرب ، حيث البديع هو البلاغة عموما . ومن هنا فالبديع يرجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود ولذلك ارتبطت بالمقاصد وأساليب الخطاب ، واهتمت بإعطاء القوانين الكلية للشعر التي تنضبط بها المندرجة تحتها .

وقد أنمّرت هذه المحاولات إنجاز آراء بلاغية إجرائية قائمة على الشبيه أو المماثل اصطلاحيا لتلك الرؤى النقدية من مصادرها المختلفة ، وهي مصادر لم تكن كتب الأدب العربي القديم سوى الجانب اليسير منها . ذلك ما يتجلى بوضوح لدى سبر أغوار التراث العربي ، إذ يتكشف مدى اشتغال هذا الموروث على ملامح تظهر أن العرب كانوا على وعي بجزئيات هذه الظاهرة التي عنوا بها في الدرس القديم .

(1) - الجاحظ ، رسالة التبريع والتحرير ، ج 3 ، ص 58 .

(2) - عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، ص 222 .

(3) - ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 25 .

(4) - عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، ص 225 .

(5) - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 2 ، ص 268 .

فقد قسم البلاغيون المعاصرون التناص إلى تضمين واقتباس وهما مصطلحان معروفان في الدرس البلاغي العربي منذ القديم، إلا أنهما عرفا تطوراً كغيرهما من المصطلحات النقدية .

فالإقتباس يعني بصورة مختصرة أخذ الشاعر أو الناثر نصاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ليوضع في شعر الشاعر أو نثر الناثر، ومن البلاغيين والنقاد من جعل الإقتباس يشمل الأخذ من بعض العلوم والمعارف الأخرى ، كالنحو والصرف والفقهاء والعروض ، وغير ذلك. أما التضمين فيعني أخذ الشاعر بيتاً أو جزءاً من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره، على أن يكون ذلك علناً من دون أن يخفي ذلك ، وإلا فالأمر يعد سرقة أدبية .

### 1- الإقتباس :

( فوجد عبد الهادي الفكيكي في كتابه " الإقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي " يربط الحديث عن الإقتباس بالحديث عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وآدابها .(1)

وقد تطرق من خلال كتابه إلى الأغراض الشعرية التي مسها الإقتباس مقدماً نماذج في الزهد والوعظ ، المدائح النبوية ، المدح والهجاء ، الفخر ، الاستعطاف ، الرثاء ، الغزل والعتاب .

وقد ورد الإقتباس بمعنى الاستعارة والاستفادة في حديث : ابن عباس رضي الله عنه ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ) (2)، ومنه قوله تعالى في سورة الحديد ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ (3)

ومنه جاء اصطلاح الإقتباس عند البلاغيين : ( أن يُضَمَّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ، لا على أنه منه ، والكلام هنا يشمل المنظوم والمنثور ) (4) ومنهم من قصر الإقتباس على القرآن لا غير، فقيل : ( الإقتباس أن يضمّن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله ) (5) ومنهم من لم يكتفِ بذلك ، فزاد على القرآن والحديث الإقتباس من مختلف الكتب المقدسة .

(1) - الفكيكي عبد الهادي ، الإقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، دار معد دمشق - سوريا ، 1996م ، ص 7 .

(2) - رواه أبو داود في سننه والنسائي ، الحديث 793 .

(3) - سورة الحديد ، الآية 13 .

(4) - جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم- بيروت ، ط4 ، 1998م ، ص 381 . وعلي بن

محمد الجرجاني ، التعريفات ، تح : ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي- بيروت ، 1405هـ ، ط1 ، ص 49 .

(5) - تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي ، خزنة الأدب ، تح : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ،

1987م ، ج2 ، ص 455 .

( فلم يقصر ناجي علوش في تعليقه على الاقتباس على الأخذ من القرآن الكريم فقط بل جعلها متعلقة بالكتب المقدسة السابقة ، فأشار إلى اقتباس بعض الشعراء في بداية القرن 20 من كتاب النصارى المقدس ، مستحضرا مؤلفا لعيسى اسكندر المعلوف تحت عنوان " اقتباس الشعراء من الكتاب المقدس" الذي يضم 5 دراسات تبين تأثر الشعراء العرب بكتاب النصارى المقدس )<sup>(1)</sup>

( ومن البلاغيين من وضع الاقتباس في مكانة مرموقة في الصناعة البلاغية ، ليس فوّه من الكلام ما هو أعلى درجة منه ، لأنه ممزوج بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به )<sup>(2)</sup>

## 2- التضمين :

( التضمين في الاصطلاح البلاغي هو أن يُضمّن الشعر شيئا من شعر الغير، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهورا عند البلغاء )<sup>(3)</sup> ولم يقصر بعض البلاغيين التضمين على الشعر، بل شمل النثر أيضا ، فقيل عن التضمين بأنه ( تضمين الشاعر شعره والناثر نثره كلامًا آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود )<sup>(4)</sup> وقد ذكرت سابقاً أن بعض البلاغيين لم يفرّق بين الاقتباس والتضمين ، وذلك عائد إلى التشابه الحاصل في المعنى ، وعلى هذا نجد من قال ( إن الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمّن ، أما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشئ والخطيب)<sup>(5)</sup> وكان التفريق بين الاقتباس والتضمين قائم على أساس تقسيم الكلام إلى شعر ونثر، لا على أساس النص المقتبس ، ولكن الذي عليه أغلب البلاغيين أن الاقتباس ما ذكرناه سابقا من تضمين الكلام نصوصا من القرآن أو الحديث ، أمّا التضمين فما كان من غيرهما من سائر قول البشر .

وقد انضوت تحت مصطلح التضمين مصطلحات أخرى ، كالإيداع والاستعانة ، إذ لا فارق كبير بين هذه المصطلحات ، ( فعُرّف الإيداع بأنه أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له - فلا فرق واضح بين هذا التعريف وتعريف التضمين المذكور آنفاً - ، والأمر كذلك بين التضمين والإيداع ، وربما تطابقا عند بعض البلاغيين ومعهما الاستعانة أيضاً حتى قيل : وربما سمّي تضمينا لبيت فما زاد استعانة ، وتضمين ، المصارع فما دونه إيداعاً )<sup>(6)</sup> ، وحتى هذا المعنى لا يتوافق مع ما ورد من أمثلة الإيداع في كتب البلاغة ، إذ ضمّن بعضهم شعره بيتاً أو أكثر وسمّاه البلاغيون إيداعاً ، ( ومن ذلك قول جمال الدين بن نباتة :

- (1) - عبد الهادي الفكيكي ، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، دار معد ، دمشق - سوريا ، 1996م ، ص 4 .
- (2) - ضياء الدين الموصللي ، المثل السائر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية- بيروت ، 1995م ، ج1 ، ص 137 .
- (3) - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 385 .
- (4) - الموصللي ، المثل السائر ، ج2 ، ص 326 .
- (5) - المرجع نفسه ، ص 459 .
- (6) - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 380-381 .

أتاني علي البانياسي منشداً فيا لك من شعر ثقييل مطوّل  
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطّه السيل من عل

إذ سمّاه صاحب الخازنة إبداعاً<sup>(1)</sup> وعلى هذا الأساس يكون مصطلح التضمين أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى ، ويعني إيراده عن بقية المصطلحات ، والإطلاع على النماذج الشعرية التي أطلق عليها البلاغيون مصطلح الإيداع يدل على أن التضمين لا يختلف عن الإيداع إلا في أمر رئيسي واحد ، وهو أن التضمين شمل الشعر والنثر ، أما الإيداع فقد اقتصر على الشعر فحسب ، وتكمن أهمية هذا الاختلاف في أن مادة هذا البحث هي نصوص شعرية وتأسيساً على ذلك كلّه فإن الأمثلة الواردة في كتب البلاغة على أنها إيداع أو استعانة يمكن النظر إليها على أنها أمثلة للتضمين ما دامت نافعة للغرض الرئيسي من هذا البحث ، ولا سيّما إذا تذكرنا أن علماء البلاغة قد أفاضوا في التدقيق وإعطاء كل معنى مصطلحاً خاصاً به حتى وإن تقاربت معاني تلك المصطلحات بصورة كبيرة ، هذا فضلاً عن أن المصطلحات البلاغية مرت بمرحل لم تكن قد استقرت بصورة نهائية ، ومن هنا نجد التباين - وإن كان يسيراً - بين المعاني التي أعطاها البلاغيون لتلك المصطلحات .

## وختاماً :

يمكن اعتبار هذا البحث مشروعاً يدعو إلى النظرة الشمولية في قراءته التراث ، مع التحذير من مشكلة التبعية للنقد الغربي. والتنبيه إلى ضرورة تجاوز الجدل القائم بين الاتجاهين التقليدي والحداثي . ولا ندعي بذلك أو نسلم بكمال المكتسبات التراثية إلا أننا نرفض استبدالها بشكل كامل وضرب وجودها وأسبقيتها .

فمما سبق في هذه القراءة الموجزة يتأكد لدينا أنّ الجاحظ كان بحق المؤسس الفعلي للبلاغة العربية ( رفقة مجموعة من البلاغيين - ورد ذكر بعض منهم ) ، وذلك من خلال ما جمع من آراء وملاحظات وشواهد تضمّنتها أفكاره ، محاولاً الإمام بمفاهيمها تأصيلاً وتفصيلاً ، فوضع حدوداً للبيان والبدیع ولم يحصر علوم البلاغة في هذين الشقّين بل عالج كثيراً المسائل في علم المعاني واللفظ والكلام والخطاب مما يعدّ مضمّاراً خصباً للبلاغة الجديدة القائمة على الحجاج ومراعاة المقال للمقام .

كما يمكن القول أنّ البلاغة لا تخرج عن دائرة العلوم الأخرى ، وتقع تحت طائلة مبدأ الأخذ من منطلقات السابقين ، إذ من حقّ اللاحق أن يعمل على تطوير الفكرة السابقة ويشير إلى ما فيها من خطأ أو خلل أو نقص مع إظهار مكامن حسناتها فترقى إلى صورة ونتيجة أحسن ، ومن الطبيعي بل من الواجب أحياناً أن يستفيد اللاحق من السابق ، ولولا أخذ العلوم بهذا المبدأ لما تطوّرت وما وصلت إلى درجة الرقي والابتكار الذي نشهده اليوم .

(1) - الحموي ، خزنة الأدب ، ج2 ، ص311 .

## الملخص:

### د/آسيا جريوي

محور المداخلة : ...تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

## عنوان المداخلة : .....نظرية البلاغة في الدراسات العربية بين التراث والمعاصرة

### الملخص :

إن الحديث عن البلاغة العربية يقودنا إلى الغوص في التراث العربي القديم وتتبع المسار التاريخي لبداية الاهتمام بهذا العلم من طرف العلماء العرب والدارسين القدامى ، وما عوامل ظهور هذا العلم هو اهتمام العرب بالقرآن الكريم محاولين تفسيره والبحث عن معانيه والكشف عن الاعجاز القرآني ، فكان للبلاغة دورا كبيرا في ابراز قوة البيان وجزالة اللفظ، هذا لأن القرآن الكريم أبهر العرب وأعجزهم بفصاحته وبلاغته ، ولعل التأثير البلاغي القرآني كان جليا لدى العرب حيث كان للخطاب القرآني التأثير القوي على العرب والبشرية فأدى إلى التغيير من الظلمات إلى النور ومن عبادة الأصنام إلى التوحيد.

وعلى هذا الأساس نطرح الاشكالية الآتية :

-مافهوم البلاغة العربية بين القدامى والمحدثين؟

-ماهي عوامل تأسيس نظرية البلاغة ؟

-كيف يتجلى التأثير البلاغي في تلقي الخطاب القرآني؟

## المداخلة :

### نظرية البلاغة في الدراسات العربية بين التراث والمعاصرة

### د/آسيا جريوي

### تمهيد:

تعد البلاغة العربية من العلوم المعرفية في التراث العربي، مثل علم الأصوات وعلم النحو والفقه... وغيره ، ارتبطت بالجانب الديني ..فالبلاغة تهتم بنظم الكلم وبراعة ابداعه تستلم

وجود ثلاثة أركان في العملية التواصلية ( المتكلم (المخاطب)، والخطاب، و المتلقي (المخاطب له) ) ويبرز التأثير البلاغي لدى المتلقي من خلال الاستماع أو القراءة للنص ، ويحدث بعد ذلك الانفعال من طرف المتلقي ويكون رد فعل بالاعجاب أو النفور وهذا الأمر يعود إلى مدى جودة الخطاب أو ردايته ، وهنا يأتي دور البلاغة لدى المتكلم أو المنتج للنص لجعل النص أكثر جمالية وتأثير لدى المتلقي وعلى هذا الأساس نقف على مفهوم البلاغة العربية في الدراسات القديمة والحديثة كالآتي:

## 1- مفهوم البلاغة العربية بين القدامى والمحدثين:

### 1-1- البلاغة العربية بحث في الجذور:

لقد نظر المفكرين إلى البلاغة العربية من زوايا مختلفة ، فكل منظر وله تصور معين في تحديد مفهوم البلاغة العربية وعليه نقف على أهم المفكرين كالآتي :

يرد مفهوم البلاغة عند (أبو هلال العسكري)نحو قوله: (( وقد علمنا أن الانسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حُسن التأليف وبراعة التركيب )) (1).

وقد عرّف (المبرد) البلاغة بأنها: ((إحاطة القول بالمعنى . واختيار الكلام . وحُسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها . وأن يقرب بها البعيد . ويُحذف منها (الفضول)) (2).

و ينظر ( الجاحظ ) للبلاغة إلى من خلال عنصري : (اللفظة والجملة ) ، وهو حديث المعنى، والشكل، والصورة فيعني به أن المعنى واحد، ولكن طريقة عرضه تتعدد وتختلف، أمّا عن وصفه نفسه لتوجهه قال في كتابه البيان والتبيين: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك". فالمعاني عنده فسيحة وواسعة إنما الألفاظ عكس كذلك، فيقول: "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ، أن الخطب الرائعة، والأشعار الرائقة، ما عملت لإفهام المعاني فقط لأن الرديء، من اللفظ، يقوم مقام الجيد منها في الأفهام" (3).

ويعتبر كتاب البيان والتبيين للجاحظ كتابا في البلاغة العربية لما يحتويه من عناصر جوهرية في البيان والبديع وغيره ، يقول عنه العسكري : ( إن أنواع البيان والبلاغة مبنوثة في تضاعيفه ومنتشرة، لا توجد إلا بالتأمل ) (4).

نظرّ الجاحظ في كتابه هيمالبلاغة عند الفرس والروم والهنديين والعلماء العرب، وارتبط مفهومها لدهبها بالفصاحة والمطابقة، أي مطابقة الكلام لمقتضاها المعصاحته وحسن سبكها وجودة صرفه، مع إعطا

ءكلمقامحقهومرعاةأحوالالسامعينبمراعاةالخصوصياتواللطائفوالأسرارمن  
بسطواإيجازأوحذفأوتكرار.وعبرالجاحظعندالكحينقال: (( لا يكونالكلاميستحقاسمالبلاغةحتى  
يسابقمعناهلفظه،ولفظهمعناه،فلا يكونلفظهالسمةكأسبقمنمعناهاإلقلبك)) (5).

فالخطاب البليغ له أثر على نفوس السامعين مثل خطب الحرب والسياسة والدين وغيرها.  
التي تحرك المستمع وتهز فيه كيانه ، ولكل خطاب أسلوبه وموضوعه ومقامه كما للمتكلم أو  
الخطيب طريقته في الأداء وفي التأثير. مثلا: خطبة (الوداع) للرسول صلى الله عليه وسلم ،  
بما امتازت به من بلاغة راقية في السبك من جهة وقيم دينية وأخلاقية وأهداف من جهة  
أخرى.

## 2- البلاغة عند المحدثين :

يرى المعاصرون في تراثنا البلاغي أن العناية فيه مركزة على الجملة الخبرية والجملة  
الانشائية دون العناية بالنص الأدبي كاملا، أي دون أن يعنوا بالشمول والإحاطة في دراسة  
النص الأدبي، ويعلمون ذلك بأن الشعراء والنقاد القدامى لم يعرفوا الوحدة العضوية والفنية ،  
إذ كان البيت وحدة القصيدة ، كما علوه بأن البلاغة نشأت في أحضان الدراسات التي تدور  
حول إعجاز القرآن الكريم، وكانت تلك الدراسات تتناول الجملة القرآنية وهذا الذي نبه إليه  
ابن طباطبا ، فقال : (ينبغي أن يُنظر إلى النص كُله كأنه فكرةٌ واحدةٌ وصورةٌ فنيةٌ كاملةٌ"  
(6).

وهذا افتتات على البلاغة التي أدت دورها كاملا غير منقوص في خدمة القرآن الكريم  
وحراسته، على أن البلاغة لم تهمل الفهم الكلي للنصوص ، فكُتب التفسير حافلةً بالربط بين  
الآيات ، بل بين السور تستعين بنص على فهم نص حتى أنها تنظر إلى الكلمة في جملتها ،  
والجملة في آيتها، والآية في ضوء سابقها ولاحقها وسياقها، وسبب نزولها ومعناها  
وموضوعها، حتى كأن القرآن كله سورة واحدة (7) .

وهذا الجانب الديني كان هدفا من أهداف البلاغة العربية لدى العلماء القدامى ، غير أن  
الدراسات الحديثة نظرت إلى قضية الحجاج ودور المتكلم والمتلقي من خلال الاقتناع  
والاقتناع.

ويرى (حمادي صمود) في ذلك أن البلاغة العربية انحسرت في قسم واحد من أقسام بناء المرافعة وهو قسم العبارة ، حيث اهتم البلاغيون بالمجاز وصور البيان والشكل الظاهري الممتع في الظاهرة البلاغية وعلى هذا الأساس أجرت بعض الدراسات مصطلح الخطابة على ما هو قسم من أقسامها. من خلال الدافع الديني (البحث في سر إعجاز القرآن الكريم) الذي يعد الدافع الأساس لقيام البلاغة العربية وسائر العلوم اللغوية، فالخطابة ترسم معالم الإقناع بينما البلاغة تنشد الإمتاع والإطراب ويعزز (حمادي صمود) ذلك إلى أن بلاغة العرب تجلّت في شعرهم فهو ديوانهم وموطن تنافسهم وتفاضلهم (8).

### 3- تأسيس نظرية البلاغة العربية:

عرفت علم البلاغة في تأسيسه تطوراً حيث (مر بمراحل أثناء عبر الأزمان ، فكانت أولها مرحلة النشأة بمصاحبة العلوم الأخرى بجانبه ، ثم مرحلة تكامله مع هذه العلوم ، وحتى الوصول إلى المرحلة الأخيرة التي تفرّد فيها علم البلاغة مع استقراره عن العلوم الأخرى ، وعند العودة إلى نشأة هذا العلم يجب التّركيز على أنّ علم البلاغة لم يملك وجوداً واضحاً بين العلوم الأخرى ، إنّما كان على هيئة أفكار ، وملاحظات ضمن المؤلّفات التي وجدت حينها ، ومن الجدير بالذّكر أنّ نشأة البلاغة في المشرق تفوّق على نشأته في المغرب بحسب ما ذكر في كتاب (العبر) لابن خلدون – كما أورد معللاً ذلك " أنّ من توافر في بلادهم العُمران ، كانوا للعلوم اللّسانية والصّانع الكمالية أقوم وأكثر قُدرة ، وكان أهل المشرق حينها أكثر عمراناً من المغرب " (9).

ولقد ارتبط علم البلاغة في بداياته بالشعر حيث كان النقاد العرب القدامى يهتمون بالفصاحة وبجودة الشعر في العصر الجاهلي ، ولعل من أسس علم البلاغة : (10)

1- (الذوق الفطري): وهو المرجع الأول في الحكم على الفنون الأدبية .

2- (البصيرة النفاذة): وهي القدرة على الموازنة والمفاضلة لبناء أحكام يطمئن العقل إلى جدارتها .



ولعل من أهداف البلاغة ، نذكر: (11)

-هدف ديني: ويركز على تفسير وتذوق بلاغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

-هدف أدبي: ويتمثل ذلك في تأليف الشعر والنثر والقدرة على بناء الأدب .

-هدف نقدي : ويعرف بالهدف البلاغي وهو عبارة عن القدرة على معرفة كلام العرب سواء كان صالحا أو طالحا بمعنى جيدا أو سيئا .

ويُعد أول ما ألف ودُوّن في علوم البلاغة ، كان كتاب (مجاز القرآن)لأبي عبيدة تلميذ الخليل بن أحمد الفراهدي ، وقد عُني هذا الكتاب بدراسة علم البيان وتفصيله، أما علم المعاني فكان فيه شهرة للجاحظالذي ألف كتاب (إعجاز القرآن)؛ وتطرق للمعاني في معظم كتبه الأخرى ،أما علم البديع فكان ابن المعتز صاحب هذا العلم ولا يُنازعه فيه أحد من خلال كتابه ( البديع في البديع) ، وتم تتويج هذه المجهودات مع عالم البلاغة عبد القاهرالجزائري ، بعد تأليفه كتاب (دلائل الإعجاز) في المعاني ، وألف كتابه (أسرار البلاغة )، ليكتمل العقد بالجوهرة الوسطى (مفتاح العلوم) للعلامة السكاكي (12).

وبفضل جهود العلماء القدامى تم تأسيسنظرية البلاغة بأقسامها: (علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع) ولكل علم يحتوي على عناصر في التحليل والدراسة ولقد كان هذا التأسيس والارث القديم بداية لميلاد البلاغة الجديدة أو ماتعرف الآن بالأسلوبية في الدراسات الحديثة والمعاصرة .

**تلقي الخطاب القرآني والتأثير البلاغي :**

يتميز الخطاب القرآني بأنه أفصح وأبلغ كلام نزل على سيدنا و نبيّنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ،

(فهو من أعظم الخطابات علو جها للأرض، يتميز باتساق ألفاظها تساقا محكما ينزهه عن أخطاء وخطأ، ويتفرع دبقديسية خاصة فقد استخدم الله

-عز وجل-

الخطاب في آيات القرآن الكريم، والمتأمل في هيجد بلاغة الخالق عز وجل (13)، عجزت قريش أمام فصاحته وقوة بيانه.

وفي الحديث عن التأثير البلاغي في الخطاب القرآني ومدى وقع ذلك على نفسية المتلقي واقتناعه من خلال الاستماع إلى السور والآيات الكريمة من القرآن الكريم أو قراءته و كذا قوة الحجج في الخطاب القرآني التي أعجزت العرب وأبهرتهم . أمام فصاحة وقوة البيان في لغة القرآن الكريم . ( وبما أن اللغوي يكفي في عمله تصوّر المفهوم، وحتى لا تتلاشى كينونة النص في حدود التركيبية النحوية والنفسية للغةها ( كينونة النص)، فلا بدّ من ربط التأويل بالإمكانات التي يُوفرها المجال الاستقبالي للسانِ ما، وهذا الرّبط هو ما يُؤدّي إلى التأويل والطّريق التي بها التي يمكن القبض على المعنى وتحصيله باللفظ المعبر (... )، وهذا ما يُهيء استقبالية هذا المعنى الذي يتأسس وجودا عندما تتعاین ألفاظه في السّياق اللساني لخطاب ما ) (14)

ولقد اهتم البلاغيون والعلماء في تفسير القرآن الكريم كما قاموا بدراسات حوله مثل **الزمخشري** في كتابه ( تفسير الكشاف) و**الجاحظ** في كتابة (إعجاز القرآن) وغيرهم من الذين اهتموا بالقرآن الكريم من زوايا مختلفة في بحوثهم ومؤلفاتهم .

والخطاب القرآني له ثلاث زوايا (المرسل /المخاطب ، و الخطاب / النص، و المرسل إليه / المخاطب له)، وفي التوجيه القرآني ( نجد المفسرين والأصوليين تناولوا أوجه الخطاب القرآني بكلّ دقّة، فعلى سبيل المثال : يقسم **السيوطي** وجوه مخاطبات الخطاب القرآني على ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي (صلى)، وقسم لا يصلح إلا لغيره ، وقسم يصلح لهما ، وهناك من وسّع في الموضوع كابن **الجوزي** في كتابه (النفيس) وجعل الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها ، وذهب آخرون إلى جعله أكثر من ثلاثين وجها ،ومن المحدثين ، نجد **طه جابر العلواني** في كتابه (النص القرآني من الجملة إلى العالم) يميّز نوعين رئيسيين من المتلقين ؛ الأول هو المتلقي الأول وهو الرسول (صلى) والثاني هو المتلقي الثاني أو (المخاطبين ) (15) ، بمعنى أي انسان يستمع أو يقرأ القرآن الكريم هو المتلقي الثاني له .

إن هذا التوسّع في التعامل مع المتلقي ، وجعل الخطاب يشمل الكلّ (كل متلقي يتلقى القرآن) له أهميته الدلالية ، والجمالية ، والفكرية العميقة للبناء النص القرآني ، لأنه كلما كان مقام المتلقي شفافا ، وكلما كان ذكره في الحكاية صامتا ، كان تماهي كل قارئ حقيقي

مع ذلك المقام الضمني أو حلوله محلّه أكثر سهولة على الأرجح ، وهذا السبب من الأسباب التي جعلت الخطاب القرآني قادرا على أن يخاطب كلّ واحد، وأن يحسب كل واحد نفسه المُخاطَب له والمقصود بالخطاب (16).

ومن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَمْحَسِبْتُنَا صَحَابًا لَكَهْفٍ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [ سورة الكهف: الآية 9 ]

وفي تفسير ابن كثير نجده يقول: هذا إخبار عن قصة أصحاب الكهف [ والرقيم ] على سبيل الإجمال والاختصار ، ثم بسطها بعد ذلك فقال : ( أم حسبت ) يعني : يا محمد ( أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا ) ؛ أي : ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا ، فإن خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر والكواكب ، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى ، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف [ والرقيم ] (17)

وإن في قوله تعالى: (أم حسبت) وهي صيغة التوجّه لله تعالى بخطابه إلى المتلقي وهو خطاب لسيد المخاطبين (الرسول محمد صلى) والمقصود غيره كما ذهب إليه غير واحد. و أن هناك ما هو أكثر عجائبية من سرد قصة أهل الكهف.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: الآية 10)

و يرد توضيح الآية الكريمة في تفسير الميسر ؛ بمعنى : اذكر -أيها الرسول- حينلجأ الشبان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية منفتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا: ربنا أعطنا من عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر، ويسر لنا الطريق الصواب الذي وصلنا إلى العمل الذي نحب، فنكون راشدين غير ضالين (18).

وأما في التأثير البلاغي نجد أن جمالية السبك في اللغة والتركيب تشد انتباه المتلقي لوجود خبر لواقعة وقصة ستسرد له مع الإيجاز والاختصار وقوة البيان والفصاحة. وبفواصله التي تجعل للنص إيقاعا داخليا معجزا ، والقرآن الكريم هو اعجاز بكل سورته وآياته. حافل

بالقصص والعبر وحجج لاقتناع السامع واعجازه .كما يحمل كثير من القيم والمعاني والدلالات المتضمنة فهو منهج البشرية في الحياة.

ويتجلى التأثير البلاغي من خلال استخدام الصيغ التركيبية المختلفة في القرآن الكريم والأساليب التعبيرية(علم المعاني والبيان والبديع) ، مثل استخدام : الأمر والنهي والنداء والاستفهام والجمل الانشائية والتصاد والمفارقة والكناية والمجاز ...إلخ.

### خاتمة:

عرفت البلاغة العربية تطورا في مراحلها وكان للقرآن الكريم دورا بارزا في تجلي علوم معرفية مختلفة في التراث العربي القديم ، وكما كان للدراسات الحديثة نصيبا في الاهتمام بعلم البلاغة متأثرين بالدراسات الغربية حول نظرية الحجاج و كذا مفاهيم الأسلوبية ، ولقد كان لتلقي الخطاب القرآني تأثيرا قويا لما يحمله من أساليب لغوية تعبيرية وبلاغية جمالية .

### الهوامش:

- 1- عبد الله ابن أحمد العطاس ، دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج15، ع26، صفر 1424هـ ، ص 781.
- 2- المرجع نفسه، ص ن.
- 3- ينظر : سهير الهواوشة ، تعريف البلاغة عند الجاحظ، من الموقع: <https://mawdoo3.com> 2022/4/2
- 4- ينظر : أحمد ملياني ، مصطلحات البلاغة عند الجاحظ . قراءة في كتاب البيان والتبيين، مجلة موازين ، المجلد3، ع 1، ذو القعدة 1442هـ/ جوان 2021م، ص50.
- 5- المرجع نفسه، ص 52.
- 6- عبد الله ابن أحمد العطاس ، دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية ، ص 782.
- 7- المرجع نفسه ، ص ن.
- 8- ينظر : رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة(حمادي صمود ومحمد العمري نموذجا) ، مجلة التعليمية ، جامعة جيلالي اليايس، سيدي بلعباس ، الجزائر ، المجلد4، العدد9، جانفي 2017، ص 07.
- 9- ينظر ، آيات سعيد نواورة ، ماهو علم البلاغة ؟ ، من الموقع : <https://mawdoo3.com> 2022/04/06
- 10- ايمان سامي ، نشأة علم البلاغة ، من الموقع: <https://www.almrsl.com> 06/04/2022
- 11- المرجع نفسه ، الموقع نفسه.
- 12- ينظر: مليكة فكون، بلاغة وحجاج (أقسام البلاغة) من الموقع: <https://bilarabiya.net/06/04/2022>

- 13- صابرين صبحي ، مفهوم الخطاب القرآني ، من الموقع: [/https://wikiarab.com2022/04/06/](https://wikiarab.com2022/04/06/)
- 14- محمد هرام ، بلاغة الخطاب القرآني وفعل التأويل عند الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف ، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية ، المجلد 03، العدد09، مارس 2019، ص68. <https://www.asjp.cerist.dz/>
- 15- يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا، ط1، 2010، ص 359.
- 16- المرجع نفسه، ص360.
- 17- أمحسبتأنأصحابالكهفو الرقيمكانوا منآياتناعجبا - القرآنالكريم، من الموقع:

<https://surahquran.com/2022/04/07/>

18- تفسير الآية رقم (10) - منسورة الكهف - القرآن الكريم، من الموقع: <https://equran.me/07/04/2022/>

الإسم واللقب: خديجة كلاتمة

الصفة: أستاذة محاضرة قسم أ

مؤسسة الانتماء: جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي

الهاتف والبريد الإلكتروني: 0698886172/

Khadijakelatma@gmail.com

محور المداخلة: المحور الأول بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

عنوان المداخلة: الاستعارة بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة

- دراسة في المفهوم وآليات التحليل -

### الملخص

ترتبط الاستعارة في البلاغة العربية بالخيال الشعري والزخرف البلاغي وبالاستعمالات اللغوية غير العادية، وهذا ما أكدته بحوث العلماء العرب القدامى وهي تحلل الأقاويل الشعرية العربية عبر مختلف العصور، كما كشفت بحوثهم حجية وقوة هذه الاستعارة لبلوغ المعنى وتحقيق الأغراض. ويكاد الناظر في المباحث البلاغية القديمة التي عنت بتحليل الأساليب البيانية يلاحظ التقارب في تناول موضوع الاستعارة وآليات تحليلها من حيث المبنى والمعنى، ومن حيث حجيتها وقوتها في تحقيق الأغراض الشعرية والخطابية.

إلا أننا نجد تحليلاً مختلفاً وخصوصاً للاستعارة مع ظهور تيار غربي جديد أطلق على نفسه صفة البلاغة الجديدة فصار للاستعارة مفهوماً جديداً ومجالاً آخر لاشتغالها وهو كما ذهب "جورج لايفوف و"مارك جونسن" أنها حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية وتوجد في التفكير وفي الأعمال التي نقوم بها، ونموذجها في هذا ما قدمه علماء النفس التربوي خاصة منهم "جان بياجيه" حيث انتهى إلى أن اكتساب الطفل للغة ينطلق من سلسلة من عمليات استعارية تفرضه عليه معرفته المحدودة؛ وإدراكه للموجودات هو الذي يدفعه إلى بناء علاقات بين الأسماء الحاصلة في رصيده اللغوي.

### تمهيد:

من العلاقات التي تجمع الألفاظ والمعاني والموجودات التي بحث فيها علماء البلاغيون القدامى العلاقة الاستعارية فحاجة اللغة الدائمة إلى

التوسع والتجديد فرضت على مستعملي اللغة هذا النمط من التركيب بين اللفظ والعقل والأشياء؛ فنتج عن ذلك انساق خطابية متنوعة من بينها "الاستعارة"؛ حيث «تحيد الألفاظ عن معناها الأصلي إلى معان استعارية جديدة تصبح ملتصقة بها، بل تصبح في الغالب معاً، حقيقية»<sup>1</sup>، واشتغال علمائنا على هذا النسق الخطابي كان مزدوجاً؛ حيث عمل هؤلاء على تناوله من جانبيين لا أقول متضادين وإنما متقابلين هما التخيل والإقناع، فكلاهما جعل من "الاستعارة" تقنية إما جمالية إمتاعية تهزّ النفوس وتطرب لها، وإما خطابية حجاجية إقناعية تستميل جمهور المتلقين فتؤثر فيها لتحقيق أغراض شتى.

ولقد أخذ مفهوم الاستعارة في البلاغة العربية القديمة توجهها عقلياً خاصة مع "الجرجاني" و"السكاكي" و"حازم القرطاجني"؛ حيث أظهر تحليلهم لنماذج القول التي تنتمي إلى هذا النسق الاستعاري البنية المنطقية والاستدلالية التي تخضع لها الاستعارة وهذا ما نراه جلياً في مفهوم "عبد القاهر الجرجاني" لها.

## 1. الاستعارة في البلاغة العربية القديمة (المفهوم وآليات التحليل)

### 1.1 الاستعارة عند الجرجاني :

في معرض حديثه عن الاستعارة يرى بأنها «ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان»<sup>2</sup>، ولقد جعل الجرجاني الاستعارة ضرباً من التشبيه؛ لأنها وضعت من أجل التشبيه، وهو كالغرض فيها، أو كالعلة والسبب في فعلها<sup>3</sup>؛ بمعنى أنّ الهدف منها هو الوصول إلى درجة من درجات المبالغة في التشبيه قصد التأثير، ويعني ذلك أن البنية الاستدلالية للاستعارة مركبة من طرفين هما المشبه والمشبه به، أو المقيس والمقيس عليه، والفرق بينهما يكمن في درجات الاهتمام بإظهار أو إضمار عناصر هذه البنية، وقوله ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، فقد خصّها بالتشبيه من حيث البناء اللفظي، أما التمثيل فمن حيث بناؤها العقلي إذ التمثيل يهتم بدرجات التصوير التي تتم على مستوى الإدراك والذهن.

وقد قابل التشبيه بالقياس وجعل من البنية التركيبية للاستعارة بنية قياسية استدلالية تتكون من مقيس ومقيس عليه تجمعهما علة مشتركة وهي وجه الشبه، وقد تبنى "طه عبد الرحمن" هذا الطرح حديثاً لما اعتبر القياس «البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي حقيقة كان أو مجازاً، فإما أنه استعاري أو غير استعاري، فإن كان استعارياً فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية

التي تتقوم بها الاستعارة، وإن كان الثاني فمرده إلى (دلالة المفهوم) المعتبر في القياس»<sup>4</sup>، وللاستعارة عند الجرجاني ضروب ومراتب تتفاوت حجيتها ومدى إقناعها حسب درجات القرب والبعد بين طرفي التشبيه :

- **الضرب الأول:** الاستعارة القريبة من الحقيقة (المرتبة الأدنى للاستعارة) كـ «استعارة الطيران لغير ذي الجناح، إذا أردت السرعة، وانقضاء الكواكب للفرس إذا أسرع في حركته من علوّ، والسباحة له إذا عدا عدوّا كان حاله فيه شبيها بحال السابح في الماء. ومعلوم أن الطيران والانقضاض والسباحة كلها من جنس واحد من حيث الحركة على الإطلاق»<sup>5</sup>

- **الضرب الثاني :**

في هذا الضرب من الاستعارة تتحدد العلاقة بين طرفي التشبيه من خلال القرب والبعد ويرى "عبد القاهر الجرجاني" أن هذا الضرب يشبه الذي مضى، وإن لم يكن يطابقه؛ وذلك «أن يكون الشبه مأخوذاً من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار منه على الحقيقة. وذلك قولك رأيت شمسا، تريد إنسانا يتهلل وجهه كالشمس»<sup>6</sup>

- **الضرب الثالث:**

وهو الصميم الخالص من الاستعارة وحده» «أن يكون الشبه مأخوذاً من الصور العقلية، وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق»<sup>7</sup>.

### 2.1 الاستعارة عند السكاكي:

في قسم علم البيان وما يندرج تحته من مباحث آثار السكاكي مسألة مهمة « وهذا أوان أن ننثي عنان القلم إلى تحقيق ما عساك تنتظر منذ افتتحنا الكلام في هذه التكلّمة أن نحققه، أو علّ صبرك قد عيل له، وهو: أن صاحب التشبيه، أو الكناية أو الاستعارة، كيف يسلك في شأن متوخاه مسلك صاحب الاستدلال،... إلى ضروب أربعة بل إلى اثنين محصولهما إذا أنت وقّيت النظر إلى المطلوب حقه، إلزام شيء يستلزم شيئاً، فيتوصل بذلك إلى الإثبات، أو يعاند شيئاً فيتوصل بذلك إلى النفي»<sup>8</sup>.

يكشف لنا نص "السكاكي" توجهه العقلي والحجائي في طرح مسائل البلاغة العربية ومعالجتها، وهو يجعل من الاستعارة والتشبيه والكناية دليلاً حجائياً يتوصل به إلى تحقيق المطلوب، وقد كشف كذلك عن بعض المصطلحات التي تربط بين علم البلاغة بالمنطق والاستدلال وهي النظر، والمطلوب، واللزوم، والإثبات، والنفي وهي مصطلحات نجدها تدخل في مفهوم الاستدلال والمنطق لتضمنهما معنى القول، والطلب، والانتقال، واللزوم.

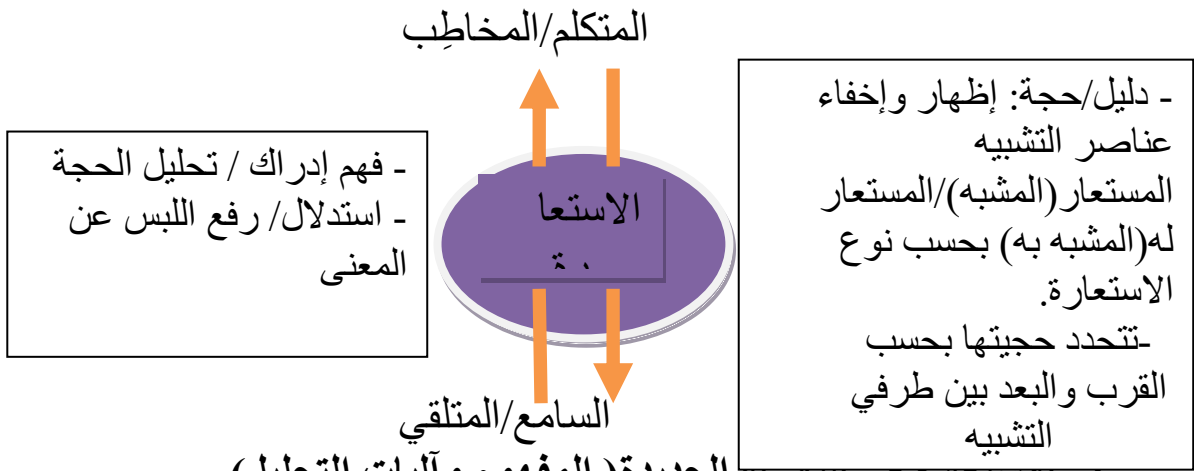


ويرى "السكاكي" أنه إذا كان حاصل الاستدلال إنما هو اقتضاء صفة لازمة في شيء لشيء آخر كقول القائل: (خدها وردة)، فهو يلزم الخد ما يعرفه يستلزم الحمرة الصافية، فيتوصل بذلك إلى وصف الخد بها، أو كالاستعارة في قول القائل: في الحمام أسد، تريد أن تبرز من هو في الحمام في معرض من سداه ولحمته شدة البطش، وجراءة المقدم مع كمال الهيئة، ويكشف في النهاية عن طرق الاستدلال فأحدها يتم عن طريق التصريح فيتم الدلالة، وأخرى طريق الكناية.<sup>9</sup>

وبهذا يمكننا ان نلخص ماجاء في مفهوم وتحليل الاستعارة عند الجرجاني والسكاكي فيما يأتي:

- الاستعارة ذات بنية لغوية وعقلية قياسية.
- ارتباط الاستعارة بالقياس والاستدلال جعلها دليلا لغويا حججيا .
- اعتبارها دليلا حججيا جعلها خطابا موجها للفهم والإدراك وليس للأسماع والأذان.

وبالتالي فإن تحليل مثل هذا النسق الخطابي يستدعي استحضار مجموعة عناصر لغوية وغير لغوية يلخصها الشكل الآتي :



## 2. الاستعارة في البراعة الجديدة (المفهوم وآليات التحليل)

مصطلح البلاغة الجديدة في العصر الحديث يعني بعث لبلاغة أرسطو من جديد في مصنفات المحدثين من الغربيين أمثال: بيرلمان وتيتكاه<sup>10</sup>؛ لتكون البلاغة قائمة على العقل والعاطفة معا؛ وتتفق البلاغة الغربية والبلاغة العربية القديمة على مدى فترة تطورهما الزمني أن كليهما وضعتا لتحقيق وظائف منها الإقناع والإمتاع،<sup>11</sup> وقد أخذت البلاغة الغربية في المرحلة الحديثة تسير في توجهين يختلفان عما سبق، الأول هو المنحى الجدلي المستند إلى مبادئ التحليل الرياضي وتكون نتائجه مقنعة للمتلقي، والمنحى

الثاني ربط البلاغة بالأسلوب فزاد الاهتمام بالبحث عن جماليات الصورة و الأساليب المجازية .

هذه المنطلقات المختلفة وسمت البلاغة الغربية بسمات مختلفة، فكان عقلية في مرحلة، وجمالية احتمالية ذاتية، وقولية واستدلالية منطقية، في مراحل أخرى وهذا التعدد يعط توجهها حقيقيا للبلاغة الغربية الجديدة<sup>12</sup>.

كما أدى هذا الاختلاف إلى عدم الاتفاق في ترجمة المصطلح فدارسون ذهبوا إلى ترجمة المصطلح بالبلاغة، ومنهم ترجمه بالخطابة ، ومنهم من دمج بينهما ( البلاغة والخطابة)، ومنهم من أضاف كلمة جديدة للبلاغة<sup>13</sup>. ومن النظريات التي تعنى بها البلاغة الجديدة نظرية الحجاج اللغوي.

## 1.2 نظرية الحجاج اللغوي:

من ضمن النظريات الدلالية الحديثة تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وتقتراح مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية، و تتجاوز مجموعة من المشاكل المنطقية الكلاسيكية، كما تركز على الوظيفة الأساسية للغة وهي الوظيفة الحجاجية، وتنطلق هذه النظرية من تصورات أرولد ديكر، كما بينها بشكل واضح في نظريته الحجاجية سنة 1973م، وهي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، وتسعى لرصد تأثيرها التداولي على المتلقي<sup>14</sup>.

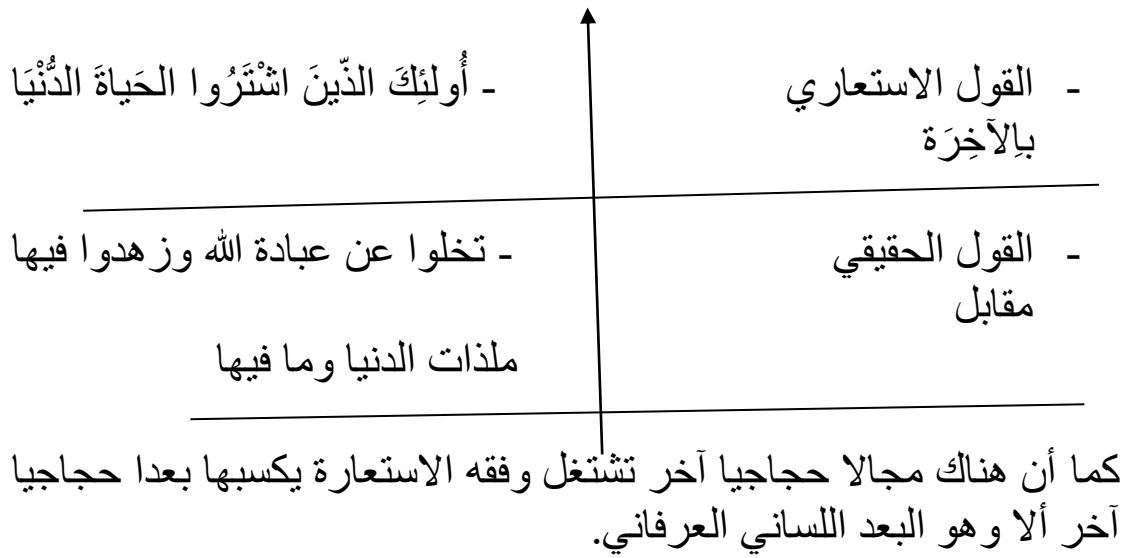
## 2.2 الاستعارة الحجاجية:

تتميز الاستعارة الحجاجية برغبة المتكلم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرا أو إقناعا، وهي من أهم الوسائل اللغوية التي تعتمد عليها النظريات الحجاجية الحديثة في تحليلها للخطاب ، وباعتبارها آلية لغوية فقد ينطبق عليها تحليل القدامى للاستعارة بمفهومها القديم فتصبح حجة في الخطاب التداولي، واستعمالها من قبل المحاجج المتكلم يكون لغاية مقصودة لأجل التأثير في المتلقي ويفترض "طه عبد الرحمن" عدة فرضيات لبناء النظرية التعارضية للاستعارة في الحجاج<sup>15</sup>:

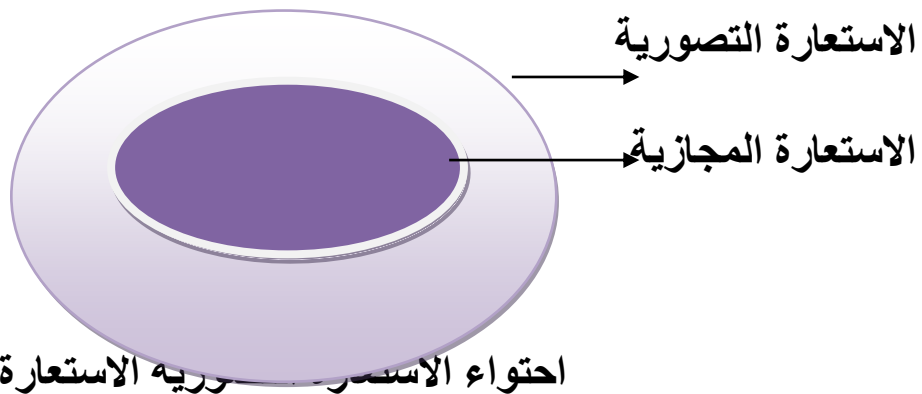
- أن القول الاستعاري قول حوارى، وحواريتة صفة ذاتية له
- أن القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي.
- القول الاستعاري قول عملي، يلزم كلا من الظاهره البياني والتخييلي.

كثيرا ما يعمد المحاجج لاعتماد الاستعارة بدل الالفاظ الحقيقية، لإدراكه القوة الحجاجية التي تمتلكها الاستعارة، فالقوة الحجاجية تكون في المفردات التي تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما هو في المفردة في معناها الحقيقي<sup>16</sup>، وهذا ما جعل القوة الحجاجية للاستعارة ترتبط بالسلم الحجاجي

الذي يعد احد اهمد عامت النظرية الحجاجية، فمثلا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾<sup>17</sup> ففي قوله تعالى: (اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) قوة حجاجية في كلمة اشتروا إذ استعار هذه الصفة ليبين أن الذين كفروا كمن باع إيمانه ثمنا لخلوده في هذه الدنيا وملذاتها وابتعادا من الله وتعاليم دينه، فهي تقابل في المعنى (أولئك الذين تخلوا إيمانهم وعبادتهم لله ثمنا لبقائهم وخلودهم في الدنيا)، فإذا مثلنا لهذا القول الاستعاري بالسلم الحجاجي سيكون كالآتي:



### 3.2 الاستعارة التصويرية:



### احتواء الاستعارة المجازية

لم تعد الاستعارة تعني تلك العبارات التي تتم « عبر محور الاستبدال، وهو اختيار شيء لوضعه في موضع شيء آخر<sup>18</sup>»، ولم يعد هناك نقل لمعاني الكلمات، ولا استعارة صفات والالوازم مجازية تربط بين المشبه

والمشبه به ولم تعد مرتبطة بالتخييل ومادة الشعر، بل اتسع مفهومها ليشمل جميع مستويات الخطاب الطبيعي، الخطاب اليومي والاجتماعي والسياسي والفلسفي.. الخ. بل أصبح هناك تصور استعاري للعالم و تعرفه "ماريا تيريزاه كابريره" Maria Tirizah على أنه «بناء ذهني يكون الفرد أو المجموعة عن شيء من الأشياء دون أن يكون ذلك موجودا على الحقيقة»<sup>19</sup>

إننا نوظف في خطاباتنا العادية استعارات ننقل بها تجاربنا الحياتية وتصوراتنا وإدراكاتنا لعالمنا الخارجي، و عملية نقلنا لتجاربنا وواقعا وفق هذه المستويات من الخطاب هي عملية نقل غير أمين يشوبها الغموض والالتباس، ودعما لكلامنا ما أشار إليه "طه عبد الرحمن" في قوله: «فكل استدلال ينشئه اللسان الطبيعي واقع لمحالة في الالتباس إن قليلا أو كثيرا، هذا الالتباس الذي آن الأوان أن نتخلى عن انتقاص شأنه، وأن نرى فيه قوة ومزية تكسب اللغة الطبيعية الطواعية أو المرونة الكفيلة بجعلها تستجيب لأغراض التبليغ الإنساني التي لا تحصى»<sup>20</sup>. وفي نص آخر يقول «بالنسبة لعملية اللبس الخطابي (أو الإنشاء)، يقوم المتكلم بنقل الأعيان إلى مدلولات أي إن المتكلم يجوز من عالم إلى آخر هذا الجواز الذي لا يمكن أن يكون نقلا آمينا بحيث يهتدي المستمع إلى نفس الأعيان التي انطلق منها المتكلم في إنشاء خطابه، وإنما هو بناء مدلولات تبقى أعيانها غير محددة أي ((ملتبسة)) يتصرف المستمع في تعيينها بحسب وضعه التداولي»<sup>21</sup>؛ فالاستعارات إذن تتكون وفق هذا النمط من الاستعمال اللغوي، وليست فقط تلك المرتبطة باستعمال اللفظ في غير موضعه

من هذا المنطلق جاء ما يعرف بالاستعارة التصويرية؛ لأنه منذ ما يقارب الثلاثين عاما برزت وجهة نظر مهمة حول الوظائف الطبيعية للغة، وقد شهدت العلوم العرفانية خاصة اللسانيات مثل هذا لتطور، ويذهب هذا النهج للقول إن بعض الخطابات مبنية على أساس إطارات أو أنساق تصويرية، وهذه الإطارات هي إنتاج الاستعارات، وقد دافع عن هذا الطرح "لايكوف" وفريقه وبين كيف يرى الناس ويفكرون في العالم من خلال اللغة الطبيعية،<sup>22</sup> ومن أمثلة الاستعارات التصويرية بعض النماذج كقول القائل:

- ( لأعتقد أن هذه العلاقة ستتجه إلى مكان ما )

- ( انظر إلى أي مدى وصلنا )

تدل هذه العبارات على أن علاقة شخصية كالحب، تفهم على أنها (رحلة) فهذا التصور هو الذي يصدر معناها، ويؤكد الشرح من زاوية

لسانية عرفانية أن الإدراك البشري يتكون من التقابلات؛ مجال المصدر وهو (رحلة أ) ومجال العلاقة الشخصية أو (الحب ب) ويكون تناسب بين المجالين ويطلق على هذا التناسب بالإسقاط،<sup>23</sup>

إن الاستعارة جزء لا يتجزأ من خطابتنا اليومية وهي موجودة في تجاربنا وتترجمها أقوالنا، والبحث فيها يستوجب البحث في مستويين مستوى الأقوال المجازية والأقوال غير المجازية لأن مجالها واسع كما سبق أن ذكرنا.

## الهامش:

- 1 حجاجية الاستعارة في الشعر العربي، ص 136.
- 2 المصدر نفسه، 20
- 3 عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، ميسر عقاد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م، ص174.
- 4 طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص115.
- 5 اسرار البلاغة، ص47.
- 6 المصدر نفسه، 51.
- 7 المصدر نفسه، 53.
- 8 السكاكي، مفتاح العلوم، ص504.
- 9 المصدر نفسه، ص505.
- 10 الحجاج مبحث بلاغي 1/ ص 119. البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثابوت ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص88
- 11 الحجاج ومجالاته البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة1/132 البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثابوت ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص90
- 12 البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثابوت ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص92
- 13 البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثابوت ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص90.
- 14 جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق، المغرب، 2014م، ص36.....
- 15 طه عبد الرحمن : اللسان والميزان او التكوثر العقلي، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1998، ص229.
- 16 الساكر مسعودة" الاستعارة وبعدها الحجاجي في الخطاب الإقناعي"، جامعة وادي سوف، ص359.
- 17 البقرة/الآية، 86.
- 18 ابراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1997م، ص98.

- 
- 18 نقلا عن صالح بن الهادي رمضان: النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي " الاستعارة أنموذجا"، ندوة الدراسات البلاغية والواقعية والمأمول، ص849.
- 19 المرجع نفسه، ص849.
- 20 طه عبد الرحمن: "رسالة في منطق الاستدلال الاحتجاجي والطبيعي ونماذجه" مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد12، 1986م، الرباط، ص127.
- 21 المرجع نفسه ، ص129.
- 22 كريستيان سانتينيبيث: تر ، مصطفى العاشق الاستعارة والحجاج " مكانة الاستعارات التصورية ووظيفتها في العمل الحجاجي"، مجلة في الترجمة، المجلد 6، العدد2018، 1م جامعة محمد الخامس ، المغرب ص 192
- 23 المرجع نفسه، 193.

قراءة في كتاب " التشبيه والاستعارة " منظور مستأنف ، ليوسف أبو العدوس

د/ سامية بسوعجاجة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية والآداب

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

الملخص :

تتناول الدراسة كتابا بلاغيا لكاتب معاصر؛ وهو كتاب ( التشبيه والاستعارة) منظور مستأنف ليوسف أبو العدوس ، حاولت الباحثة تقديم قراءة لمحتويات الكتاب ، وأهم ما ورد فيه من آراء وأفكار. الباب الأول ذكر فيه التشبيه دلالاته ومباحثه ، أما الباب الثاني الاستعارة من منظور الفكر العربي والفكر الغربي ، ثم خلاصة لأهم الأفكار.

مقدمة :

من الألوان البلاغية البديعة ، التي تزين النص الأدبي وتجليه وتزيده بيانا وبهاء ، التشبيه والاستعارة . فقلما نجد نصا أدبيا أو قصيدة شعرية ، أو مقالة نثرية ، تخلو من هذا الفن البليغ ؛ ولذلك أعطى البلاغيون أهمية وألوية بالغة لهذين الفنين ، وأبرزوا مكانتهما السامية في ميدان التصوير الشعري والفني .

وهما كثيرا الورود في كتاب الله وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا صاحب الطراز يبرز دور التشبيه في الكلام ، فيقول : " والمختار عندنا : كونه معدودا في علوم البلاغة ، لما فيه من الدقة واللطافة ، ولما يكتسب به اللفظ من الرونق والرشاقة ، ولاشتماله على إخراج الخفي إلى الجلي ، وإدناؤه البعيد من القريب " <sup>1</sup>

ويزيد البليغ أو الشاعر المعنى جمالا وخلابة ، إذا جاء بتشبيه جميل ، أما إذا شبّه صورة بصورة أقبح منها ، فهو يزيد المعنى قبحا ، تنفر منه النفس والعقل " وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به ، أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه .

ألا ترى أنك إذا شبّهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها ، وكذلك إذا شبّهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها " <sup>2</sup>

أما الاستعارة فهي أبلغ من التشبيه ، كما أنها تجمع بين المجاز والتشبيه ، ولها دورها في التشكيل ، وتوليد المعنى ، وإضفاء مسحة جمالية وتخيلية على الأسلوب ؛ وقد أبدى عبد القاهر الجرجاني إعجابه بها ، فقال في هذا السياق : " وهي أمدّ ميدانا ، وأشدّ افتنانا وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا وإحسانا ، وأوسع سعة ، وأبعد غورا ، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا ، من أن تجمع شعبها وشعوبها.. فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبيّنة والمعاني الخفية ، بادية جليلة . " 3

وبين أيدينا كتاب ( التشبيه والاستعارة ) ليوסף أبو العدوس ، الذي حاول أن يقدم قراءة جديدة لهذين الفنين ، مزوجا بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة ، ولذلك نسأل :

1 – هل استطاع الباحث تقديم رؤية مغايرة للبلاغيين القدامى ؟

2 – أين تكمن ملامح الجدة في بحثه ؟

1/ قراءة في كتاب ( التشبيه والاستعارة ) ليوסף أبو العدوس :

من الباحثين المعاصرين ، المتخصصين في البلاغة العربية والنقد ، الكاتب الأردني يوسف أبو العدوس (مواليد 1956) ، أستاذ البلاغة والنقد بكلية الآداب ، جامعة اليرموك (الأردن)

ألف الكاتب مؤلفه " التشبيه والاستعارة " سنة 2007 الموافق ل:1427هـ ، طارقا موضوعا بلاغيا قديما وحديثا ، ولذلك قسّم كتابه إلى بابين.

الباب الأول وعنوانه : التشبيه ، قسّمه إلى ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : مفهوم التشبيه في بحوث النقاد والبلاغيين العرب القدامى
- الفصل الثاني : الأشكال البنيوية للتشبيه
- الفصل الثالث : جماليات التشبيه

الباب الثاني : عنوانه : أربعة مداخل للاستعارة

- الفصل الأول : المدخل النحوي
- الفصل الثاني : المدخل الفلسفي
- الفصل الثالث : المدخل الانثربولوجي
- الفصل الرابع : المدخل الجشتالتي<sup>1</sup>

يقع الكتاب في 318 صفحة ، وكما هو موضح في الفهرس وفي المتن ، فقد طرق الباحث البلاغي موضوعا قديما قدم الدرس البلاغي في العربية ، ومزج التناول من خلال الدراسة الحدائثة ، والغربية المعاصرة لهذين اللونين البلاغيين.



قسم البلاغيون علم البلاغة إلى ثلاثة علوم وهي :

1/ علم المعاني

2/ علم البيان

3/ علم البديع

وفيما يخص ( التشبيه والاستعارة فهما من مباحث علم البيان ) ولا يكاد كتاب نقدي بلاغي منذ أقدم العصور إلى يوم الناس هذا يخلو من دراستهما وذكر أنواعهما وأغراضهما ، وبيان فضلتهما في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب والشعر.

جاء في مقدمة الكاتب ، بيان لفضلتهما وسبب التأليف فيهما ، فقال : " حظي التشبيه والاستعارة بعناية البلاغيين والنقاد والفلاسفة على اختلاف مشاربهم ، واللسانيين ، علماء دلالة وسيميائية ، وبرغماتية وتركيب ، لهذا فقد ظهرت تصنيفات وتقسيمات متعددة للتشبيه والاستعارة ، تعكس في جلّها التوجهات المعرفية التي يستند إليها هؤلاء العلماء في بحثهم هذين الموضوعين. وكان شأنهما عظيما عند الشعراء كذلك ، ومن هذا المنطلق اتخذ البلاغيون والنقاد العرب القدامى من التشبيه والاستعارة مقياسا للمفاضلة بين الشعراء." <sup>2</sup> فالتشبيه والاستعارة ضروريان للشاعر ، وجودة الشعر وتقرّده ، وبراعة الشاعر وتفنّنه في البوح عن مكنون أحاسيسه ودقّة مشاعره ، تتجلى في طريقة تصويره وقوّة تخييله.

إنّ الكاتب ملّم بأهمية هذا الموضوع ، الذي شغل على مرّ القرون والحقب فكر أرباب البلاغة والبيان والعلماء المتخصصين ، ولذلك حرص على تقديم إضافة من خلال المزج بين الدرس البلاغي القديم والبلاغة الغربية المعاصرة ، يقول : " وتعنى هذه الدراسة بتبيين اهتمام البلاغيين والنقاد بالتشبيه والاستعارة وفق رؤية مستأنفة مبنية على دراسات البلاغيين العرب القدامى ، والبلاغيين الغرب المحدثين الذين أفادوا من دراسات أرسطو وكونتليان وغيرهما.." <sup>3</sup>

2/ مباحث الكتاب :

الباب الأول : خصصه الباحث للتشبيه ، وقسمه إلى 3 فصول كما سبق القول .

الفصل الأول : عنوانه بمفهوم التشبيه في بحوث النقاد والبلاغيين العرب القدامى.

في هذا الفصل قدّم الكاتب تعريفاً للتشبيه ، من حيث المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، وأركان التشبيه .

استعرض بعد ذلك مفهوم التشبيه ، وتعليق علماء اللغة على آيات قرآنية ورد فيها التشبيه ، أو أبيات شعرية ، بدأها بسيبويه (م 180هـ) والفراء (207هـ) وأبو عبيدة (210هـ) ،

والجاحظ(255هـ) وابن قتيبة (276هـ) في كتابه : عيون الأخبار ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمبرد ( 286هـ) عرّف التشبيه في كتابه " الكامل" وذكر تقسيماته للتشبيه ، وبين دوره في التعبير الفني ، من خلال نماذج من آيات قرآنية وأبيات شعرية ، وابن المعتز (296هـ) في كتابه البديع ، وابن طباطبا العلوي (322هـ) في كتابه " عيار الشعر " ، وابن أبي عون (322هـ) في كتابه " كتاب التشبيهات" وقدامة بن جعفر(337) ، والقاضي عبد العزيز الجرجاني

( 366هـ) إذ وقف عند تشبيهات عدد من الشعراء في الوساطة ، وابن وهب الكاتب في مؤلفه " البرهان في وجوه البيان " والرّماني (386هـ) في " النكت في إعجاز القرآن" وابن جنّي (392) في الخصائص ، وأبو هلال العسكري(395هـ) والباقلاني (403هـ) والشريف الرضي(406هـ) وعبد الجبار المعتزلي (415هـ) والثعالب (423هـ) وابن رشيق القيرواني ( 456هـ) وابن سنان الخفاجي (466هـ) وعبد القاهر الجرجاني (471هـ).. وصولاً إلى ابن معصوم المدني (1120هـ) <sup>4</sup>

فالقائمة طويلة لما يربو عن 52 علم من أعلام البلاغة والنقد واللغة ، وفيها ذكر التشبيه وتحديدات العلماء له ، وأهميته في النص الأدبي مع التمثيل بنماذج منتقاة ، من القرآن الكريم ومن شعر العرب وخاصة الشعر الجاهلي .

#### الفصل الثاني : عنوانه : الأشكال البنيوية للتشبيه

قدم الكاتب في هذا الفصل ستة مباحث وهي : أدوات التشبيه ، أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه والأداة ، تقسيم الطرفين من حيث الحسية والعقلية ، تقسيم الطرفين من حيث إفرادهما وتركيبهما ، تقسيم الطرفين من حيث تعددهما أو تعدد أحدهما ، التشبيه المركب والمتعدد .

الملاحظ هنا جاء الشرح وافياً ضافياً لأنواع التشبيهات ، كما تنوعت الشواهد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وأشعار جاهلية وإسلامية ومعاصرة كأبيات لبدر شاكر السياب وتوفيق زياد.

#### الفصل الثالث عنوانه : جماليات التشبيه

أظهر الكاتب براعته في هذا الفصل ، فتجلت معرفته بالبلاغة وفنونها ، وإلمامه الواسع بالبلاغة القديمة واطلاعه على البلاغة المعاصرة .

تحدث الكاتب في البداية على أهمية وجه الشبه في دراسة التشبيه " من حيث هو مدخل تكسير الفاصل القائم بين المقولات المختلفة في الموجودات العينية أو الذهنية، ويلاحظ أن كل واحد من الحيوان والنبات والجماد تمثل قسماً مطلق التجريد من الموجودات ينضوي تحته عدد آخر من الفصول أو الفصائل " <sup>8</sup>

وفي مبحث آخر تعرض لأغراض التشبيه من منظور القدامى ، مبينا فوائده وهي : بيان حال المشبه ، بيان إمكان حال المشبه ، بيان مقدار حال المشبه ، تزيين المشبه وتقييحه ، وتقرير صفة المشبه . كما يذكر التشبيه التمثيلي ودوره في الكشف عن النفس الإنسانية بكل ما تعج به من انفعالات وتخوضه من تجارب شعورية.

إنّ جمالية التشبيه ؛ تكمن في إيضاح المعاني ، ونقل النفس من الخفيّ إلى الجليّ ، ومن المعقول إلى المحسوس ، أو كما ذكر الكاتب : " إن المعرفة الجديدة التي يكتسبها المتلقي من الصور التشبيهية النادرة البعيدة القائمة على الخلق والإبداع والابتكار تزيد المعنى المراد نقله وضوحا... والوضوح في وجه الشبه لا يعني أن يكون المعنى مبتذلا ، وإنما يعني ذلك الإيضاح الذي تفيده المعرفة الجديدة المكتسبة ، التي يصل إليها المتلقي عن طريق العلاقة المبتكرة والوجه المكتشف ، الذي أدركه المبدع بيقظته الفعلية وتأمله الدقيق لعناصر الصورة ، حتى تمكن من تنسيقها تنسيقا جديدا يتوافق مع ذاته ومشاعرها " 9

يقف الكاتب في هذا الفصل على عديد الفضائل والمزايا التي يختص بها التشبيه ، فمن خلال الأمثلة التي ساقها : من آيات قرآنية وأشعار عربية ، يطرق موضوع التفاعل بين طرفي الصورة التشبيهية وملاءمتها لحال الخطاب ، يقول الكاتب : " لكي يكون التشبيه صادقا في التعبير عن المشاعر الوجدانية ، متفاعلا معها ، وجب أن يتفاعل طرفاه ، بأن يكون المعنى المراد التشبيه به – حسيا كان أم مجردا – صادقا في التعبير عن المعنى المراد تشبيهه ، ومرآة تعكس بصدق أبعاده النفسية ، ومشاعره الوجدانية ، وآفاقه النفسية ، حتى يتمكن من التأثير في نفس المتلقي " 10

يلح أيضا على أهمية المغايرة بين المشبه والمشبه به ، فيتحقق الغموض ، مما يتطلب من المتلقي جهدا ومثابرة ، كي يتلمس نقاط الالتقاء بين طرفي التشبيه.

وهذا الأمر ينجم عنه صورة فنية موحية " ومن هنا يقوم المتلقي بتأويل تلك الصور.. وأبرع تلك الصور هي التي تستطيع أن توحى بأكبر قدر ممكن من الدلالات الإيحائية والإثارات التخيلية عند المتلقي وفق تركيب بنائه النفسي وخبرته المكتسبة " 11

إنّ جمالية التشبيه تقوم على الابتكار والجدّة والغرابة والطرافة ، وللتشخيص دوره في تشكيل ملامح الصورة ، وهو عملية نفسية محضة ، وظيفته التأثير في المتلقي ، عن طريق تشخيص المعاني إلى صور حسية 12

إضافة إلى توكيد المعنى في نفس المتلقي ، وتحقيق المعادل الموضوعي بواسطة الصورة التشبيهية الناجحة.

الباب الثاني : يختص بالاستعارة ومباحثها

فبالنسبة للفصل الأول ، وهو عبارة عن مدخل نحوي ، استهل الكاتب بالحديث عن الاستعارة وأهميتها لدى البلاغيين وغيرهم ، يقول : " حظيت الاستعارة باهتمام الفلاسفة والمناطق ، والبلاغيين ، والنقاد على اختلاف مشاربهم ، واللسانيين : علماء دلالة وسميائية ، وبرغماتية وتركيب . لهذا فقد ظهرت تصنيفات وتقسيمات متعددة للاستعارة ، تعكس في جلّها التوجّهات المعرفية التي يستند إليها هؤلاء العلماء في بحثهم الاستعارة . " 13

وهنا بيان للاستعارة بمنظور التركيب النحوي ؛ من خلال ثلاثة مباحث : الاستعارة في الأسماء ، والاستعارة في الأفعال ، والاستعارة في الحروف .

أما الفصل الثاني ، المدخل الفلسفي .

استعرض الكاتب آراء فلاسفة غربيين حول مفهوم الاستعارة وأهميتها ، من فترة الحضارة الإغريقية إلى وقتنا المعاصر . فهذا أرسطو من أوائل الفلاسفة الذين خاضوا في هذا المجال ، يقول أبو العدوس : " وأدرك أنها تعد وسيلة قوية في التعبير عن المكونات ، وذات قيمة عالية إذا استخدمت بشكل مناسب . ومن هنا يجب ألا تكون الاستعارات بعيدة أو سخيفة ، أو فضفاضة . . والاستعارات الجيدة تضع الأشياء تحت منظار جديد ، يمكننا من رؤيتها بشكل لم نرها به من قبل . " 14

كما درس الاستعارة عند الفلاسفة المسلمين مركزا على الفلاسفة : الفارابي وابن سينا وابن رشد ، كما خاض في كيفية عمل الاستعارة ، والاستعارة من منظور الاتجاه البرغماتي ، وقيمة الاستعارة ومنزلتها المعرفية وزيادة الاستقصاء حول وظيفة اللغة ، والاستعارة مبدأ أساسيا للتفكير والعمل .

الفصل الثالث : المدخل الانثروبولوجي

يناقش الكاتب مفهوم الاستعارة من منظور انثروبولوجي ، فاللغة وليدة بيئة ما ، وللمجتمع بثقافته وعاداته أثره في استخدام الفرد للغة والتعبير عن كل ما يحيط به " فالمتحدث من لغة ما في إفريقيا مثلا يرى العالم من خلال عدسة لغته الخاصة ، وذلك العالم يختلف جوهريا ، عن ذلك الذي يراه متكلم لغة أخرى ، في بقعة ثانية من الكرة الأرضية ، وهكذا فإن اللغة ونظام المفاهيم الذي تنقله هو نتاج التعاون الجمعي ، وما تعبر عنه هو الطريقة التي يقدمها المجتمع ككل " 15

كما استعرض الكاتب الاستعارة عند ليفي شتراوس وصلتها بقوانين النباتات والحيوانات ، والاستعارة الخارجية وتفاعلها بالاستعارة الداخلية ، وتحدث عن استعارة الأسماء بين الناس ، والحيوانات والنباتات ، وحديث عن التمثيل المكاني للاستعارة .

الفصل الرابع : المدخل الجشتالتي

يناقش قضايا العلم المعرفي عند لاكوف ، هذا الأخير يرى التفكير خاصية جشتالتية ذات بنية إيكلوجية ، وجسم الإنسان مصدر التفاعل مع محيطه " فعن طريق تفاعل الجسم مع محيطه

يرى الإنسان الصور المختلفة ، ويسبر أغوارها ، ويتعرف على مواقع أجزائها ، وعن طريق القوى الإبداعية والخيالية يصوغ مخططات ، ويبدع المجازات ، والاستعارات والكنائيات " 16

وتحدث لاكوف في موضوع القدرة المفاهيمية ، والتخطيط ، والاستعارة الشائعة أما بالمر فقد شرح معنى الاستعارة ووظيفتها.  
الخلاصة :

اهتم الكاتب بالبحث في فني التشبيه والاستعارة وهما من مباحث علم البيان ، فالتشبيه حلّيّ وبيان ، ينقل النفس من الخفي إلى الجلي ، ومن المعقول إلى المحسوس ، فيه إيضاح للمعنى وجلاء للمبنى ، والشاعر المتمرس من يأتي بصور دقيقة طريفة فيها جدّة وابتكار. أما الاستعارة فهي ميدان الإجادة وموضع الشعاعية والمهارة ، وهي في الفكر الغربي تنمّ عن اقتدار فني، ومقدرة لغوية وثقافية ، في التعبير عن جوانب الواقع الفيزيائي والاجتماعي.

ومن خلال الفكر الانثربولوجي ، تتضح صلة الاستعارة بالثقافة والحياة الاجتماعية ، والمنظومة الفكرية والعلمية ككل.

الهوامش :

- 1/ يحي بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تعليق: الشريبي شريفة ، ج1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1431هـ ، 2010 ، ص208
- 2/ ابن الأثير ، المثل السائر ، تحق: أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ط2، ص 123
- 3/ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة، تصحيح وتعليق: محمد عبده ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ص 22
- 4/ ينظر : يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان (الأردن) ، ط1 ، 2007 ، 1427هـ ، ص 5
- 5/ نفس المصدر ، ص 7
- 6/ نفسه ، ص 7
- 7/ ينظر : نفسه ، ص 15-42 .
- 8/ نفسه ، ص 81
- 9/ نفسه ، ص 88
- 10/ نفسه ، ص 93
- 11/ نفسه ، ص 97

12/ ينظر : نفسه ، ص 113

13/ نفسه ، ص 139

14/ نفسه ، ص 189

15/ نفسه ، ص 214

16/ نفسه ، ص 238

الأستاذة : سامية شودار .

جامعة محمد خيضر - بسكرة .

كلية : الآداب واللغات .

قسم : الآداب واللغة العربية .

رقم الهاتف: 06 98 96 34 71

البريد الإلكتروني: [samiasho10@gmail.com](mailto:samiasho10@gmail.com)

## عنوان المقــــــــــــــــال:

البلاغة الجديدة في التراث الأصولي

حجاجة القياس أنموذجا .

### الملخص:

تعد نظرية الحجاج أو البلاغة الجديدة من أهم المواضيع التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي، إلا أننا لو نظرنا إلى ذلك الطرح لوجدناه مبثوثا في مصنفات علماء الأصول، فقد اعتنى علماء الأصول بتعريف الحجاج وبيان موضوعه وأهميته، وفصلوا القول في أركانه وشروطه، وأساليبه وتقنياته.

ويعد القياس من تقنيات الحجاج وآلية أساس من آليات التداول الحجاجي التي اهتم بها المحدثون والأصوليون على حد سواء، إلا أن علماء الأصول قد انفردوا بالدراسة المستفيضة لمفهوم القياس وخصائصه وأنواعه، كما وصفوا البنية القياسية وحددوا عناصرها، وهذا يقودنا إلى القول إن مؤلفات علماء الأصول في الحجاج والجدل وإن كانت موضوعة في الأصل لخدمة أصول الفقه، إلا أن واقعها ومحتواها يشهد بأنها أهم مصادر الجانب النظري والتطبيقي لنظرية الحجاج، وهذا ما سيحاول المقال إثباته من خلال تقنية القياس.

### تقديم:

يعد الحجاج أحد المباحث التداولية التي استقطبت اهتمام الدارسين؛ لأن الخطاب الحجاجي يختلف عن غيره من الخطابات، كونه يعتمد على تقنيات حجاجية توظف لغرض

التأثير في أفكار المتلقي، وحثه على قبول شئ معين أو القيام به، ومن بين هذه التقنيات القياس، وهو من أهم التقنيات الحجاجية التي يعمد المتكلم لتوظيفها في خطابه، لقوته الإقناعية والتأثيرية في المتلقي.

ولما كان علم الأصول يبحث في القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، فقد ثبت أن هذه القواعد الشرعية تعتمد- إلى جانب القرآن الكريم والسنة الشريفة- على القياس الاستدلالي، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال.

## أولا - الحجاج (البلاغة الجديدة):

**1 - مفهوم الحجاج:** تشير مادة " حَجَجَ " في المعاجم اللغوية إلى عدد من الدلالات اللغوية، يمكن إجمالها في:

حَاجَجْتَهُ : أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحُجَّة : البرهان ، أو ما دوفع به الخصم ، وجمعها حُجَجٌ وَحِجَاجٌ . ويقال : حَاجَّه مَحَاجَّةً وَحِجَاجًا : أي نازعه الحجة. والتَّحَاجُّ : هو التخاصم . ويقال : رجلٌ مَحِجَّاجٌ : أي جِدِلٌ .

والاحتجاج : من احتج بالشيء؛ أي اتخذ حجة . ويقال : أنا حاججته ، فأنا محاجة وحجيجه ؛ أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان(1).

نلاحظ من خلال هذه التحديدات المعجمية أن لفظ الحجاج يدور حول: التنازع، والتخاصم، والجدل، والغلبة، والوسيلة المتمثلة في الأدلة والبراهين.

وبحسب استعمالات القرآن الكريم لهذه الكلمة، نجد أنها لا تكاد تخرج عن معارضة الخصم بالخطاب، وإقامة الحجج والبراهين لتغيير القناعات والمفاهيم التي عنده، وإمالته عنها إلى ضدها، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ ( الأنعام / 150 )، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ( البقرة / 257 )، وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أُسْتُجِبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ( الشورى / 14 )، وبهذا يتبين بأن الحجاج في الاستعمالات القرآنية لم يخرج عن معناه اللغوي، بمعنى أن ليس له معنى اصطلاحيا زائدا أو مغايرا للمعنى اللغوي(2).

- اصطلاحا: الحجاج هو تلك « الخطوات التي يحاول بها الفرد أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبني موقف معين، وذلك بالاعتماد على تمثيلات [ ذهنية مجردة أو حسية ملموسة ] Representation ، أو على قضايا جازمة Assertions- حجيات Arguments - تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته»(3).



وقد عرفه "شاييم بيرلمان" (CH.perelman) "وتيتيكا" (L.O.Tytéca) بقولهما: «موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»<sup>(4)</sup>.  
وحرري بنا أن نشير إلى أن الحجاج قد ورد بمعناه الحديث عند علمائنا الأجلاء، ولكن بتسميات اختلفت باختلاف مطلقها وتوجهاتهم، فنجد أن "الجاحظ" قد أطلق عليه اسم "البيان" في قوله: «مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>(5)</sup>.

أما الحجاج عند علماء الأصول فلا يخفى على من له أدنى صلة بعلم أصول الفقه أن هذا العلم من أكثر العلوم الإسلامية توظيفاً للحجاج والجدل، وأن علماء الأصول من أكثر أرباب العلوم الإسلامية براعة في استثمار قوانين هذا العلم في تقرير القواعد الأصولية واستنباط الأحكام الشرعية، والاحتجاج لها، والدفاع عنها، ونقض شبه المخالفين، ودحض آرائهم، وما يتبع ذلك من ضبط الحدود والمصطلحات والمفاهيم، والمبادئ التي لا يستغنى عنها في هذا العلم، وما ذاك إلا لأن أصول الفقه يقوم على المزاجية بين العقل والسمع<sup>(6)</sup>؛ لأن أشرف العلوم كما يقول "الغزالي" ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع<sup>(7)</sup>.

بهذا الطرح تكون المسائل الأصولية والقواعد الشرعية ذات طبيعة حجاجية استدلالية؛ لأنها تستنبط الحكم وتثبت الدليل على ذلك، «ومن طريف ما أتوا به، أنهم قابلوا بين القياس التمثيلي في أصنافه ومبادئه وبين الاستدلال البرهاني والصوري في ضروبه وقوانينه، وخلصوا بعد تقلب النظر فيهما إلى وجوب الأخذ بقياس التمثيل في تحليل الخطاب الطبيعي، الذي يمثله في أجلى مظاهره المصدران الإسلاميان القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك لما ينطوي عليه هذا الخطاب من خصوصيات تعبيرية ومميزات مضمونية تقصر عن آدائها إمكانات البرهان الصوري»<sup>(8)</sup>.

بالإضافة إلى ذلك فإن المتأمل في كتب علماء الأصول يدرك توظيف آليات الحجاج بوضوح، من خلال عناية الأصوليين بترتيب المادة الأصولية على وجه الإجمال والتفصيل، وبناء القواعد على أسس منهجية سليمة، مع الحرص على إقامة الحجج و البراهين على كل قاعدة بما يناسبها من الدلائل الشرعية، أو العقلية أو اللغوية، وبيان حجج المخالفين<sup>(9)</sup>.

ولنستدل على أن علماء الأصول قد أفاضوا في البحث الحجاجي، نذكر المثال الآتي من كتاب "المستقصى من علم الأصول" للغزالي:

يقول "الغزالي": «حجاج من قَدَّم العموم ثلاث:

الحجة الأولى: أن القياس فرع والعموم أصل فكيف يقدم فرع على أصل.

الاعتراض: من وجوه الأول، أن القياس فرع نص آخر لا فرع النص المخصوص به.

الثاني: أنه يلزم أن لا يخصص القرآن بخبر واحد لأنه فرع، فإنه يثبت بأصل من كتاب وسنة فيكون فرعا له.

الحجة الثانية: أنه إنما يطلب بالقياس حكم ما ليس منطوقا به، فما هو منطوق به كيف يثبت بالقياس؟

الاعتراض: أنه ليس منطوقا به كالنطق بالعين الواحدة؛ لأن زيادا في قوله: « فاقتلوا المشركين» ليس كقوله: اقتلوا زيادا.

وحجاج القائلين بتقديم القياس اثنتان:

الحجة الأولى: أن العموم يحتمل المجاز والخصوص والاستعمال في غير ما وضع له، والقياس لا يحتمل شيئا من ذلك.

الاعتراض: أن احتمال الغلط في القياس ليس بأقل من احتمال ما ذكر في العموم من احتمال الخصوص والمجاز.

الحجة الثانية: قولهم تخصيص العموم بالقياس جمع بين القياس وبين الكتاب، فهو أولى من تعطيل أحدهما أو تعطيلهما.

وهذا فاسد، لأن القدر الذي وقع فيه التقابل ليس فيه جمع، بل هو رفع للعموم، وتجريد للعمل بالقياس.

حجة الواقفية: قالوا: إذا بطل كلام المرجحين، فهل يبقى إلا التوقف؛ لأن الترجيح إما أن يدرك بعقل أو نقل.

حجة من فرق بين جلي القياس وخفيه، وهو أن جلي القياس قوي وهو أقوى من العموم، والخفي ضعيف»<sup>(10)</sup>.

وهكذا منهج علماء الأصول في حل مواضعهم وقضاياهم ومسائلهم جاءت على هذا المنوال، وهذا يدل على الوعي الأصولي بنظرية الحجاج، فقد تعرضوا لمصطلحات من قبيل البرهان والحجاج، وقياس الشبه، وحجج المخالفين والاعتراض عليهم بالأدلة، وألفاظ التعليل، والشواهد، فهذه كلها تمثل إرهاصات لبحث لغوي ألا وهو البحث الحجاجي في الدرس الأصولي.

وحرري بنا أن نشير إلى أن الحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونين خطابين، هما: «خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل وفيما بين النحاة والمناطقة، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين، والخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك»<sup>(11)</sup>.

## ثانيا-القياس:

**1- مفهوم القياس:** يعد القياس المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم والسنة الشريفة والإجماع والتي اتفق عليها علماء الفقه و الأصول، وهو في اللغة: التقدير والمساواة؛ أي تقدير شيء على مثال شيء آخر، وتسويته به، ولذلك سمي المكيال مقياسا وما يقدر به النعال مقياسا، ويقال فلان لا يقاس بفلان؛ أي لا يساويه<sup>(12)</sup>.

وأما في الاصطلاح فقد عرف علماء الأصول القياس بتعريفات كثيرة مختلفة العبارات، إلا أنهم أجمعوا على أن القياس إلحاق ما لم يرد فيه نص على حكمه في الحكم، لاشتراكهما في علة ذلك الحكم.

وقد عرفه "القاضي أبو بكر الباقلاني" بقوله: «وحد القياس أنه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو صفة أو نفيهما عنهما»<sup>(13)</sup>.

وقال "أبو الحسن البصري": «هو تحصيل حكم الأصل في الفرع، لاشتباههما في علة الحكم عند المجتهد»<sup>(14)</sup>.

فالقياس إذن هو إثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر؛ لأجل اشتباههما في علة الحكم، ولهذا «لا بد في كل قياس من فرع، وأصل، وعلة، وحكم»<sup>(15)</sup>، كقياس النبيذ على الخمر في التحريم للإسكار في كل.

**فالركن الأول:الأصل، ويسمى المقيس عليه كالخمر.**

**الركن الثاني: الفرع، ويسمى المقيس كالنبيذ.**

**الركن الثالث: العلة، وهي القدر المشترك بين الأصل والفرع وهي الإسكار.**

**الركن الرابع: حكم الأصل وهو التحريم.**

وثمره القياس انتقال حكم الأصل إلى الفرع لاشتراكهما في العلة<sup>(16)</sup>.

كما يتألف كل قياس من مقدمتين؛ مقدمة كبرى، ومقدمة صغرى، يقودان إلى نتيجة، يقول "الغزالي": «لا ينتظم القياس إلا بمقدمتين معلومتين، تؤلف تأليفا مخصوصا بشرط مخصوص، فيتولد بينهما نتيجة»<sup>(17)</sup>، فالمقدمة الكبرى هي من المسلمات عند المتلقي،

وتعتبر هي منطلق المحاجج، وبإضافة الاستدلال نحصل على نتيجة القياس وهذا راجع لمقاصد المحاجج، فقد يغير أو يقدم حسب ما يقتضيه المخاطب أو الخطاب(18)، يقول " ويليام برانت " « إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجاج -إذ ذاك- سدى» (19).

2 - **تقسيمات القياس:** إن هذا له علاقة قوية بحجية القياس من حيث معرفة مراتبه التي ينشأ عنها اختلاف في قوة الاحتجاج به تبعا لاختلاف تلك المراتب من جهة القوة والضعف، لذلك نجد تقسيمات عديدة للقياس عند الأصوليين، نذكر منها:

أ- **التقسيم الأول:** ينقسم القياس من حيث القوة والضعف إلى قسمين: القياس الجلي والقياس الخفي.

- **القياس الجلي:** هو ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة؛ كقياس تحريم ضرب الوالدين على تحريم التأفيف بجامع الأذى في كل منهما، في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْزُهُمَا ﴾ (الإسراء/23) (20).

- **القياس الخفي:** هو القياس الذي يكون نفي الفارق فيه بين الأصل والفرع مظنونا، ويحتاج فيه إلى اجتهاد ونظر، كقياس تحريم النبيذ على تحريم الخمر في الحرمة بجامع الإسكار في كل منهما، ومن الوارد أن يكون تحريم الخمر الذي ورد فيه نص صريح بسبب وجود خصوصية أخرى سوى الإسكار في الخمر، وربما لا توجد تلك الخصوصية في النبيذ، ولذلك فإن إلحاق النبيذ بالخمر، ينفي وجود فارق بينهما، أمر مظنون ويحتاج القائل إلى إثبات ذلك (21).

وحرى بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن هذا التقسيم للقياس-الجلي والخفي- نجده في البلاغة الجديدة ضمن تقنيات السلم الحجاجي، نظرا لما يتسم به من مبدأ التدرج، وذلك بالاستناد إلى قوة الحجة أو ضعفها، يقول "الغزالي": «حجة من فرق بين جلي القياس وخفيّه، وهو أن جلي القياس قوي وهو أقوى من العموم، والخفي ضعيف» (22)، منشئة بذلك سلما حجاجيا، يقول "ديكرو": «إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (الحجج) نسميه سلما حجاجيا» (23).

ب- **التقسيم الثاني:** ينقسم القياس إلى " قياس أولى " و " قياس المساواة " و " قياس أدنى ".

- **القياس الأولى:** هو ما كان فيه ثبوت الحكم في الفرع أولى من ثبوته في الأصل؛ كتحریم ضرب الوالدين أولى بالمنع من التأفيف.

- **قياس المساواة:** هو ما كان حكم الفرع فيه مثل حكم الأصل؛ كقياس إحراق مال اليتيم أو إغراقه على تحريم أكله بجامع الإتلاف من الكل من غير وجه حق.

- **قياس الأدنى:** وهو ما كان ثبوت الفرع فيه أضعف منه في الأصل؛ كقياس النبيذ على الخمر في التحريم بجامع الإسكار في كل (24).

### 3- حجاجية القياس:

يعد القياس آلية أساس من آليات التداول الحجاجي، باعتباره قائم على توليد الخطاب الطبيعي، انطلاقاً من مهمته المتمثلة في الربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما، للوصول إلى استنتاج ما(25).

والذي يظهر قوة القياس في الخطاب الحجاجي عند من يحسن استعماله تحقيق الإقناع، نظراً للمكانة التي يحتلها القياس بكل أنواعه في نجاعة الخطاب الحجاجي، بل هناك من يرجع حجاجية الخطاب لاعتماده على القياس؛ لأن المحاجج الذي يوظف القياس لا ينفي الحكم، بل يزيد الحكم إثباتاً أو نفيًا على حسب الخطاب(26).

ومن المعلوم أن علماء أصول الفقه «انفردوا بالدراسة المستفيضة لمفهوم القياس وخصائصه، فقد وصفوا البنية القياسية، وحددوا عناصرها، وبيّنوا مسالك الوصف الجامع بين المقيس والمقيس عليه، وصنفوا أشكال هذه المسالك، ورتبوا خصائص كل صنف منها، ورسموا مختلف وجوه الاعتراض عليها، ووجود دفع هذا الاعتراض، كما وصفوا شروطها وأحكموا تفصيلها»(27).

وبذلك يعتبر القياس أبرز وسيلة حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين،

وهو من أقوى الحجج والبراهين التي يلجأ إليها المخاطب؛ لأنه يضطلع بدور مهم في التأثير والإقناع والتسليم للفكرة، التي هي موضوع القياس، ونجاح هذا القياس إنما يرجع إلى ما في مكنة المتكلم به، من ذكاء ذهني، وحيل عقلية يستطيع أن يربط من خلالها بين (المقيس؛ الفكرة التي يدافع عنها، والمقيس عليه؛ التي هي الشاهد أو النموذج أو الفكرة التي استدعاها) وأراد الاستعانة بها في نجاعة خطابه ونفاذه، سواء كانت من فضاء افتراضي أو فضاء واقعي(28).

ولهذا اعتبره "برلمان" من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد في قوتها الإقناعية على بعض البنى المنطقية ومن قوانينه قانون التعدية، ومن أهم علاقات التعدية ذات الصبغة الحجاجية شبه المنطقية علاقة التضمن؛ وهي العلاقة المنطقية التي تُبين أن قضية ما تتضمن قضية أخرى، ويبدو هذا خاصة في الاستدلال القياسي القائم أساساً على التعدية في القياس الخطابي الذي يسميه "أرسطو" ضميراً، ويسميه قياساً ظنياً، فالضمير ليس من بعض الوجوه حسب "برلمان" إلا حجة أو دليلاً شبه منطقي يقدم في شكل قياس، ويؤدي إلى ظهور علاقة التعدية(29).

وعليه فإن القياس عند "بيرلمان" هو آلية منطقية حجاجية، يمكن للمحاجج أن يعتمد عليها في إقناع المعارض عن كلامه(30)، ولهذا سماه "طه عبد الرحمن" بـ"الاستدلال الكلامي"؛ لأنه في نظره- يحتوي الآليات التي يتوالد بها كل خطاب طبيعي وتتكاثر بها أجزاءه، وتتماسك فيما بينها(31).

كما يرى "طه عبد الرحمن" أن النتائج التي أفضت إليها مختلف وسائل أصحاب النزعة الحجاجية -بعد طول تمحيص وإمعان نظر- أنها في جزء كبير منها، يمكن استحصالها بوسائل القياس التمثيلي والقياس الأصولي خاصة، يقول: « ولم تتكشف لي الصبغة القياسية

للنتائج التي توصل إليها منظرو الاستدلال الطبيعي فقط، بل تكشفنا لي حقيقة أبعد وأخطر، وهي أن تنظير أصحاب القياس، من أصوليين وأهل المناظرة ، للاستدلال الطبيعي كان أقوى وأتم من تصور المعاصرين له «(32)، وهذا يدل على الوعي الأصولي بحجاجة القياس ودوره الإقناعي في الخطاب.

### خلاصة القول:

بعد رحلة طيبة مع البلاغة الجديدة في التراث الأصولي، حجاجية القياس أنموذجا، توصلت إلى النتائج الآتية:

- يُعرف الحجاج في الفكر الغربي بأنه تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تؤدي إلى نتيجة معينة، والتي يكون القصد منها التأثير في المتلقي، وإقناعه بخصوص موضوع ما.  
- علم الأصول من أكثر العلوم الإسلامية استثمارا للحجاج وقوانينه في تقرير القواعد الأصولية، واستنباط الأحكام الشرعية.

- أستخدم مصطلح الحجاج بكثرة في المصنفات الأصولية إلى جانب الاستدلال والبرهان والإقناع.

- القياس هو إطلاق حكم الأصل على الفرع لاشتراكهما في العلة، وهو تقنية من تقنيات الحجاج، اهتم بها الأصوليون والتداوليون على حد سواء.

- يعد القياس من أقوى الحجج التي تؤدي إلى الإقناع، وقد أدت هذه التقنية نجاعتها الحجاجية في الخطاب، ويبنى على مقدمتين؛ مقدمة كبرى(الأصل)، ومقدمة صغرى (الفرع)، ثم النتيجة المستلزمة من القياس( الحكم)، و الحجة التي أدت إلى هذه النتيجة ( العلة الجامعة).

- يعتبر القياس أبرز آلية استدلالية حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين.

- القياس عند أصحاب النظرية الحجاجية أمثال "بيرلمان" هو من التقنيات الحجاجية شبه المنطقية.

- تبرز ملامح السلم الحجاجي الذي يتسم بالتدرج من حيث قوة الحجة وضعفها عند الأصوليين من خلال تقسيمهم للقياس من حيث القوة والضعف إلى القياس الجلي والقياس الخفي، وهذا ما جعله في البلاغة الجديدة كتقنية من تقنيات السلم الحجاجي.

- أفاض علماء الأصول في دراسة القياس فحددوا عناصر البنية القياسية وأركانها وشروطها، وهذا يدل على الوعي العميق بحجاجة القياس وبشكل يقارب -إن لم نقل يفوق- النموذج التداولي .

- إن لعلماء الأصول فضل السبق في كثير من البحوث التي قام عليها الدرس التداولي وإن اختلفت المصطلحات، كبحث الحجاج وتقناته كتقنية القياس الاستدلالي.

### الهوامش:

- (1) ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، م2 ، مادة حجج ، ص 27 ، 28.
- (2) عبد المنعم سمارة، التأسيس للحوار والجدال والحجاج إسلامياً، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص36.
- (3) بنعيسى أزيبيط ، مداخلات لسانية "مناهج ونماذج" ، سلسلة دراسات وأبحاث، مطبعة مكناس ، جامعة مولاي إسماعيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2008، رقم 26 ، ص 78.
- (4) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة، تونس، ص 299.
- (5) الجاحظ ( أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1998، م1، ص 60.
- (6) أحمد بن عبد الله بن محمد الضويحي، العلاقة بين علم الحجاج وعلم أصول الفقه، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436 هـ، ص 11.
- (7) الغزالي(أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ج1، ص 8.
- (8) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص285.
- (9) أحمد بن عبد الله بن محمد الضويحي، العلاقة بين علم الحجاج وعلم أصول الفقه، ص11.
- (10) الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج2، ص 64-65.
- (11) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، مصر، 2000، ص126.
- (12) الشوكاني(محمد بن علي)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص839.
- (13) المصدر نفسه، ص840..
- (14) المصدر نفسه، ص841.
- (15) الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص106.
- (16) زكريا عبد الرزاق المصري، طريق الوصول إلى علم الأصول، دار لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص73.
- (17) المصدر، نفسه، ص48.
- (18) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص188.
- (19) محمد العيد، النص الحجاجي العربي، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص24-25.
- (20) عبد الكريم النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1999، ص1921-1922.
- (21) قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، دار الفكر ، سوريا، ط1، 2000، ص350.
- (22) الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج2، ص65.
- (23) خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص335.
- (24) زكريا عبد الرزاق المصري، طريق الوصول إلى علم الأصول، ص72.
- (25) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000، ص98-99.
- (26) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، ص188.
- (27) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص97.
- (28) محمد بن سعد الدكان، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، مركز نماء، لبنان، ط1، 2014، ص222.
- (29) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، تونس، ط1، 2011، ص47.
- (30) عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع، 2013، ص282.
- (31) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص115.
- (32) طه عبد الرحمن، منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، العدد12، 1986، ص123-133.

الاسم واللقب: سهيلة بوطيب  
المؤهل العلمي: دكتوراه تخصص لسانيات تطبيقية.  
المؤسسة الأصلية: جامعة تيسمسيلت .  
البريد الإلكتروني: souhielamama@gmail.com  
رقم الهاتف: 0671979520

نوع المشاركة: مداخلة في الملتقى الوطني الموسوم بـ: البلاغة الجديدة (المصطلح و المفهوم) بين التراث العربي و الفكر اللغوي الحديث .  
عنوان البحث: البلاغة العربية الجديدة بين الحجاج المنطقي أم الحجاج اللساني – من خلال جهود جابر عصفور نموذجاً - .  
محور المشاركة: المحور الثالث : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية .  
المقدمة :

إنّ البلاغة العربية موهبة منذ القدم، على اعتبارها البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار، إذ ترجع إلى عصر اليونان وما جاء من مؤلفات أرسطو و أفلاطون ، فضلاً عن ظهورها في الدراسات المعاصرة مع شايم و بيرلمان و زميلته تيتكا في أعمالهم المسماة "البلاغة الجديدة"، ولا شك أنّ فكرة وضع تصور جديد للبلاغة العربية في العصر الحديث جاء منطلقه من تلك الاستفسارات و الإشكالات التي طرحها النقاد بخصوص التراث البلاغي، وقدرته على استيعاب المعطيات اللسانية الجديدة، إذ كان ذلك دافعاً لتقويم هذا التراث من خلال النّظر من جديد في مراحل تكوينه أو مرحلة تقنين هذا العلم وأهم منطلقات تجديده وموقف أصحابها من البلاغة القديمة في ظلّ البلاغة الجديدة، حيث خطت الدراسات البلاغية العربية مؤخرًا في الوطن العربي خطوات هامة، فقد أعيد النّظر في البلاغة العربية من منظورٍ جديدٍ .

سأحاول من خلال المداخلة الموسومة بـ: البلاغة العربية الجديدة بين الحجاج المنطقي أم الحجاج اللساني – من خلال جهود جابر عصفور نموذجاً- الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما هي الجوانب التي تم الكشف عنها في البلاغة العربية في ضوء الدّرس البلاغي الجديد من خلال جهود جابر عصفور؟ ومنها نطرح عدّة إشكالاتٍ فرعية نجيب عنها من خلال هذه الورقة البحثية: ما مفهوم البلاغة العربية الجديدة؟، و ما مفهوم الحجاج؟ وما علاقته بالبلاغة الجديدة؟ و أين تكمن طبيعة العلاقة بين الحجاج المنطقي والحجاج اللساني في البلاغة العربية الجديدة؟

### 1- مفهوم البلاغة العربية الجديدة ( La nouvelle rhétorique ) :

إن مصطلح "البلاغة الجديدة" من المصطلحات التي أصبحت على اتصال دائم بالتيار التّداولي في الدّرس العربي، وخاصة مدراس الحجاج التي ساهمت في إعادة مفهوم البلاغة في السّاحة تحت مُسمى "البلاغة الجديدة" أو "الحجاج" .  
حيث تُقوّم البلاغة الجديدة بعملية فحص لكل الحجج و البراهين الواردة داخل الخطابات سواء كانت تلك الخطابات مُوجهة إلى ذواتنا الشخصية التي تتطلب في العديد من المرات تقديم أدلة عقلية منطقية لاتخاذ موقف أو تنفيذ فعل معين .  
وهذا ما يُشير إليه النّاقِد "محمد مشبال" في كتابه "البلاغة و الأصول" بأنّ البلاغة الجديدة بلاغات متعددة لا يعني تنازعها أو تنافر أقطابها، بل عكس ذلك نجد تداخلاً و تعاضداً بين هذه البلاغات لتأسيس صرح بلاغة عامة مؤهلة لتشكيل الخلفية النّظرية ، و العدة



التطبيقية لتزويد الدراسة النقدية بما تحتاج إليه لمقارنة الخطاب التداولي و التخلي، ويذكر محمد مشبال بأن المنجزات الشكلانية و الدراسات الأسلوبية لا يمكن أن تحل محل البلاغة بل تعتبر داخلة في دائرة البلاغات المتشكلة على مدى تاريخ الإنسانية<sup>ii</sup>.

ويزيد قائلاً : " فالبلاغة – يرى معظم المفكرين البلاغيين المعاصرين – ماثلة في كل النصوص ، بل إنها مكون طبيعي في أشكال التواصل الإنساني ... هذا هو موضوع البلاغة ، الذي قد يتجسد أحياناً في مجموعة من البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية) ، و أحياناً في مجموعة من الصور و الوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية ( بلاغة المحسنات ) و أحياناً أخرى قد يتجسد في مجموعة من الصيغ التعبيرية و التصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس و الأنواع و الأشكال و النصوص الأدبية (البلاغة الأدبية) <sup>iii</sup>.

ومن خلال التعريف الذي قدمه محمد مشبال يبين لنا أن البلاغة الجديدة ماهي إلا استنطاق النصوص الواردة و سياقاتها التي جاءت فيها ، فهي مزيج لغوي بين الجانب الفني و الجانب اللساني لتحقيق بلاغة جديدة تهتم بالعملية التواصلية بكل زواياها .

فالدراسات المعاصرة المتأخرة أولت اهتماماً بعدة بلاغات خاصة، مثل بلاغة السرد ، وبلاغة الرواية و بلاغة المسرح وكانت تحت مسمى البلاغة الجديدة و تسهم كلها في بناء كليات البلاغة كعلم كلي شامل يُسمى علم الإنسان و اللسان<sup>iv</sup> .

وتُعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية ، وتسعى إلى إثارة النفوس، و كسب العقول عبر عرض الحجج ، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضاً بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ، ثم يتطور، كما تفحص تلك الآثار الناتجة عن ذلك التطور<sup>v</sup>.

ومن خلال هذا التعريف ندرك أن البلاغة الجديدة ماهي إلا امتداد للبلاغة الكلاسيكية، لكنها تختلف عنها في التقنيات الخطابية و عرض الحجج .

فضلا عن ذلك، ينبغي الإشارة إلى تعارض البلاغة الجديدة مع تقليد البلاغة الحديثة، وهي بلاغة أدبية صرفة، من الأفضل أن تُدعى أسلوبية. إنها تختزل البلاغة في دراسة الوجوه الأسلوبية، فالبلاغة الجديدة على عكس البلاغة الحديثة غير معنية بشكل الخطاب أو الزخرف أو القيمة الجمالية ، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع ، وخاصة وسيلة للإبداع أي "الحضور" ،( أي جلب أشياء إلى ذهن السامع ليست حاضرة في ذلك الحين ) ، وذلك عبر تقنيات التمثيل<sup>vi</sup> .

## 2- مفهوم الحجاج :

كثرت الحقول المعرفية التي تناولت الحجاج و يختلف مفهومه من حقل لآخر، فنجد مفاهيم فلسفية منطقية، و أخرى قانونية، و أخرى بلاغية وتداولية، وهذا ما جعل دلالة الحجاج تختلف من دراسة إلى أخرى، فقد ورد تعريفه في معجم تحليل الخطاب على أنه : >> نشاط لغوي و اجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولية و جهة نظر متنازع فيها لدى مستمع أو قارئ، وذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير أو دحض هذه الوجهة أمام قاض عقلائي <<<sup>vii</sup>

فهذا التعريف تعريف قانوني للحجاج حيث يشترط وجود طرفين متنازعين أمام قاض يعرض عليه كل طرف مبررات تخدم وجهة نظره .

ويُعرفه أوتس ماس ( UTZ Maas ) بكونه : << سياق من الفعل اللُّغوي تُعرض فيه فرضيات أو مقدّمات و ادّعاءات مُختلفة في شأنها، هذه الفرضيات المقدّمة في الموقف الحجاجي هي مشكّل الفعل اللُّغوي >><sup>viii</sup>

أمّا عند ديورا شيفرين (Deborah Schiffrin) : << جنس الخطاب ، تبني فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصّة ، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم >><sup>ix</sup>

ومن خلال تعريف ديورا شيفرين أن الحجاج جنس من الخطاب يقوم على غرض الإقناع و الإقناع و الدّفاع عن موقف شخصي .

أمّا لشايمبيرلمان (Chaim Perelman) ( 1912- 1984 ) : << حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه ، أو زيادة في حجم هذا الإقناع >><sup>x</sup>.

وهنا لشايمبيرلمان قدم هذا التعريف مركزاً على وظيفة الحجاج في تبني موقف معيّن و إقناعه و التأثير فيه باللّجوء إلى حجج ( Arguments ) تبرز صحّة هذا الموقف . أمّا أبو بكر العزاوي فقد عرّفه على أنّه : << تقديم الحجج و الأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب ، و بعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللُّغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تُستنتج منها >> .

يُوضح أبو بكر العزاوي أن الحجاج عبارة عن تسلسل قولي يبدأ بتقديم حجة ويخُص إلى نتيجة .

### العلاقة بين البلاغة الجديدة والحجاج :

ثمة تداخل كبير في التّعريفات بينهما عند الكثير من الباحثين، ذلك لأنّ المجددين للبلاغة الغربيّة، أمثال رولان بارت وغيره، أرادوا أن تنتعش البلاغة بما تحويه من خاصية إقناعية يتسم بها الخطاب الحجاجي، فلا يكون النّص حجاجياً، من وجهة نظر البلاغة الجديدة، إلا حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصداً تأثيرياً مُضمراً أو معلناً، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب، أو حمله على مزيد من الموافقة داخل مسار تواصل غير إلزامي<sup>xi</sup>. لهذا فإنّ بلاغة الحجاج تتصف بالبنية إذ نجدّها في الأدب بجميع أنواعه، وفي الفن بجميع تمظهراته الجماليّة، مثلما نجدّها في علم النفس و الاجتماع و القانون و الإعلام وغيرها، لأنّها تتسم بإقناعية استطاعت أن تتوغّل إلى جميع العلوم و المعارف، وهذه الخاصية الإقناعية في البلاغة الجديدة جعلت اختيار الحجج بتحديد بعنصرين هما :

• الانطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج

• مراعاة المقام، وذلك لأن الحاجة لا تُؤتي أكلها إلا إذا اعتمدنا على حجج مضادة للحجج التي يُركز عليها الخصم في بناء خطابه.

و لهذا ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطاً لا انفصام له، وذلك باعتماد تقنيات البلاغة في عمليّة الإقناع، كما أنّ العوامل و الروابط تُعتبر في نظرية الحجاج و البلاغة الجديدة عنصريين من العناصر التي تساعد على انسجام الخطاب حتّى يصل إلى مبتغاه من توجيه المتلقي إلى النتيجة المرادة أو ما يُسمى بالوجهة الحجاجية<sup>xii</sup>.

و الحديث عن البلاغة وحجاجياتها خاصة بعد انتقالها من لغة موضوع إلى لغة واصفة، يجعلنا ننظر إليها أنها أضحت "تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب و الأسلوبية و القراءة " وغيرها، وهذا يجعلنا ننظر إلى البلاغة على أنها " ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم ، بل تنزع إلى أن تُصبح علمًا واسعاً للمجتمع " <sup>xiii</sup>. وهنا ندرك أن البلاغة تسعى للتوغل في مختلف العلوم المعرفية و الإنسانية من أجل رونقتها ببعدها الجمالي و تحقيق خاصيتي التّواصل و التأثير و إقناع المتلقي .

فيشير "صابر الحباشة" في كتابه "التداولية والحجاج" إلى أن الحجاج ماهو إلا وظيفة من وظائف البلاغة، وعليه فليس "الحجاج علمًا فنًا يُوازي البلاغة : بل هو ترسانة من الأساليب و الأصوات يتم افتراضها من البلاغة (ومن غيرها ، كالمنطق و اللّغة العادية ... ) ولذلك فمن اليسير اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب <sup>xiv</sup>.

ويبين صابر الحباشة أن الحجاج يُوازي البلاغة من حيث الأساليب و الأصوات - البعد الجمالي - فعليه فإنّ التّداخلين البلاغة و الحجاج أمرٌ جائزٌ .

كما يقول "صابر الحباشة" : وفي هذا الإطار وجدنا البلاغة الجديدة في علاقتها بالحجاج "تهدف إلى التقنيّات الخطابيّة، وتسعى إلى إثارة النفوس و كسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار النّاجمة عن ذلك النّصور " <sup>xv</sup> .

وفي هذا الصدد يُرجح أن البلاغة الجديدة لها علاقة وطيدة بالحجاج باعتبار كليهما يهدفان إلى التقنيّات الخطابيّة من أجل إثارة نفس المتلقي و كسب العقول من خلال عرض الحجة، فالبلاغة هي الوعاء الذي تسكب فيه الوظائف الحجاجية خطابها .

و خلاصة القول أن البلاغة و الحجاج هما علمان قائمان أحدهما يكمل الآخر، ويظهر جليًا من خلال التقنيّات الخطابيّة لإثارة النفس و إقناع المتلقي و عرض الحجج للمرسل، وعليه فإنّ البلاغة و الحجاج وجهان لعملة واحدة.

#### -نشأة البلاغة العربية الجديدة :

اقتصرت مهمة الدارسين في العصر الحديث على التّعريف بالتّراث البلاغي، من خلال كتابة تاريخه، حيث كان همّ الطلاب في تلك الفترة أن يضع الباحثون كتبًا ، تجمع مراحل هذا العلم ، وهو ما دفع أحمد مصطفى المراغي إلى تحقيق ذلك من خلال عمله الموسوم بـ: "تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها " الذي صدر سنة 1950، و تقوم خطة الكتاب على شرح الأطوار التي مرّت بها البلاغة العربية منذ بدء التّصنيف، حين كانت بحوثًا مبعثرة في كتب النّقد و الموازنات و إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني <sup>xvi</sup> .

ومن الدّراسات الرائدة في تلقي هذا التّراث البلاغي من خلال الكتابة التّاريخيّة ، كتاب شوقي ضيف (1910- 2005) : "البلاغة تطوّر و تاريخ " ، الذي يُعدُّ أهم الأعمال التي فتحت الباب أمام الباحثين للنهوض بهذا التّراث من خلال التّعريف به و كتابة تاريخه ، وتعدى الأمر إلى تفسيره و تأويله، لم يكن العمل الذي قدّمه شوقي ضيف سردًا تاريخيًا فحسب، بل حاول بوعي أن يبحث عن حلقة وصل بين مرحلة تاريخيّة و أخرى ، و أن يربط بين الجانب البلاغي و الجانب الأدبي <sup>xvii</sup>.

مادام موضوعنا يدور حول الكيفية التي تمّ بها تلقي التّراث البلاغي بشموليته ، فإننا نذكر بعض الدّراسات التي كان هدفها دراسة مشكلات البحث البلاغي في العصر الحديث ، سواء من خلال جزئية الأرسطي في البلاغة حيث نجده في عمل طه حسين (1889 - 1973م )

عندما شملت دراسته التّفكير البلاغي العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني أو عند الذين اشتغلوا على بلاغة السّكاكي ، كذلك الدّراسة التي قدمها بدوي طبانة (1914- 2000 م) ونشرها سنة 1956 م ، حاول من خلالها دراسة تطور فكرة البلاغية عند العرب و الوقوف على مناهجها ومصادر الكبري ، وحاول البحث عن مفهوم للبيان العربي عند واضع اللّغة ، وكيف تطوّر مفهومه في أذهان العلماء<sup>xviii</sup> .

ومن الكتابات التي نظنّ أنّها قدّمتْ كتابة جديدة لتاريخ البلاغة العربية ، العمل الذي قدّمه علي عشري الزايد ، الموسوم بـ: " البلاغة العربية، تاريخها ، مصادر ها، مناهجها " ونُشر عام 1977 م ، وكان موضوع كتابه البحث عن منهج التّأليف البلاغي عند العرب ، وخلص إلى أنّ البلاغة عرفت في تطورها أربع مراحل وهي : المنهج التجميعي (آثار البيان و التبيين ) ، و المنهج الانطباعي (الكامل للمبرد ) ، و المنهج التحليلي الفني (كتابات عبد القاهر الجرجاني ) ، و المنهج التقني المنطقي (مفتاح العلوم للسّكاكي )<sup>xix</sup> ،

إنّ فكرة تصنيف الكتابات البلاغية وفق مناهج معينة استلهمها باحثون آخرون بعد علي عشري الزايد ، إذ نرى أحمد مطلوب قد اشتغل على فكرة "مناهج " ، و بحث في الدّراسات البلاغية المختلفة .

وتأثر بهذا النوع من قراءة التراث عبد السلام عبد الحفيظ ، في كتابه الموسوم بـ: "مناهج البحث البلاغي في الدّراسات العربية " الذي صدر سنة 1978 م في القاهرة ، حيث تناول فيه مباحث البلاغة في الدّراسات الغير بلاغية كاللغوية العامة و النحوية ، و الدّراسات القرآنية ككتب المجاز القرآن و إعجازه ، وفي الدّراسات النّقدية و الأدبية<sup>xx</sup> .

و الحق أنّ الدارسين اتسمت كتابتهم بالسرد التّاريخي في تلقي هذا التّراث ، ولا يسمح المجال بعرضها كلّها ، و تُعتبر دراسات قيّمة نجحت في تقديم تاريخ البلاغة العربية ، و فتحت المجال للباحثين في تقديم دراسات حول موضوعات جديدة نذكر منها الصّورة الأدبية لمصطفى ناصف و الصّورة الفنيّة في التّراث النّقدي و البلاغي لجابر عصفور .

ومن هنا ابتدأ البحث عن قراءة جديدة للتّراث البلاغي وفق مقولات الدّرس اللّساني متأخرا مقارنة مع القراءة الممارسة في التّراث النّحوي العربي ، وهذا النوع من القراءة يركّز على منهجية بنيويّة لسانيّة تختلف عن المناهج الخارجيّة التي لاحظنا بخصوصها سيطرة المنهج التّاريخي عند من حاولوا قراءة البلاغة القديمة أمثال شوقي ضيف و بدوي طبانة و عشري الزايد وغيرهم ممن سلك هذا المنهج<sup>xxi</sup> .

ومن ثم فإنّ هذا النوع من القراءة فتح المجال أمام الباحثين العرب للنظر من جديد في التّراث البلاغي وفق مقولات علم اللّغة الحديث بغية البحث عن علمية البلاغة لتكون مشاركة في صناعة أدبية الأدب ، إذ ظهرت بعد ذلك بعض المحاولات التي حاول أصحابها الوصول إلى تقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية ، على غرار محاولات حمادي صمود و محمد عمري و محمد عبد المطلب و جابر عصفور و غيرهم<sup>xxii</sup> .

اهتم الدّارسون في العصر الحديث و المعاصر بالتّراث البلاغي ، و أسهم ذلك في ظهور العديد من الدّراسات و الأبحاث العربيّة لأجل استنطاق الموروث البلاغي ، وتصنيف مراحل تطوره انطلاقًا من مرحلة النشأة ثم التّطور و النّضج و استكمالاً بمرحلة الاستقرار ، وهي الكتابة التي تغيرت ملامحها بين جيل تبني المنهج التّاريخي عند الرواد المحدثين أمثال شوقي ضيف و أحمد مصطفى المراغي ..... وغيرهم ، وآخرين استعاروا الأدوات اللّسانيّة و قدموا تاريخ البلاغة بصورة معاصرة مختلفة أمثال حمادي صمود و محمد العمري .... وغيرهم .

#### 4-البلاغة العربية الجديدة بين الحجاج المنطقي و اللساني :

هناك من يعتقد أن البلاغة لم يعد يفهم منها سوى وظيفتها في تنميق الخطاب وزخرفته وجماليته ولا علاقة لها بالإقناع يقول محمد الولي : >> وفي هذه الحالة مادامت نواة البلاغة الحجاجية قد ألحقت بالمنطق فقد اختزلت البلاغة العامة في صيغتها الأرسطية....إلى بلاغة محسنات و زخارف <<xxiii

وهنا يبين محمد الولي بأن البلاغة الجديدة قد انحصرت في دائرة المنطق و بعدها الجمالي من محسنات و زخارف و اختزالها للبلاغة التي كانت آنفاً. إن البلاغة من هذا المنظور أصبحت بلاغة محسنات و زخارف واستعارات جمالية، والبلاغة على عكس ذلك فهي ذات صلة وثقى بالحجاج، ووسيلة للإقناع، كما أنها تبحث في استعمال الخطاب من أجل أن يكون مقتنعاً؛ كما أن العلاقة الحجاجية الشكل مثير ومعقد منذ القدم، فقد اهتم القدامى قبل المحدثين، و نعتيباً القدماء فلاسفة اليونان وبالتحديد أرسطو والبلاغيين العرب xxiv.

وجد البلاغة الأرسطية قد خصصها أرسطو لمجال الإقناع و آلياته حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة (المشاوره ، المشاجرة و المفاضلة ) فخطابة أرسطو تضمنت عناصر حجاجية و أسلوبية كما أن أجناسها الثلاثة قابلة لاحتواء أصناف الخطاب الاحتمالي المؤثر، و يُمكن أن نعتبر خطابة أرسطو هي البلاغة العامة بالمفهوم الجديد، التي أصبحت مجالاً خصباً للبحث في الدراسات البلاغية الحديثة xxv.

كما نجد المنطلقات و المصادر و مسارات البحث قد تعددت في الدرس البلاغي العربي قديمه و حديثه، وهذا ما جعل البلاغة العربية تستجيب لكل المقاربات الحديثة ، حيث نجد الحجاج جاء في عده صيغ كالبيان ، والمقام.... وقد استخلص "محمد العمري" في كتابه "البلاغة العربية و أصولها و امتداداتها"، إلى أن البيان عند الجاحظ قد اهتم بالفهم و الإفهام، فيقول : >> مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي : أي أنه العملية الموصولة إلى الفهم و الإفهام في حالة اشتغالها ... فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان و التبیین هما الفهم و الإفهام بالوسائل المختلفة : الوسائل اللغوية و الإشارية خاصة <<xxvi، وبذلك يشير محمد العمري في كتابه إلى أن مشروع البيان يركز على نظريتين أساسيتين هما : نظرية المعرفة و نظرية الإقناع و الإفهام، ومن هنا فإن البيان هو كل ما يهدف إلى الإقناع و التأثير و الاستمالة بما هو معرفي و إقناعي.

كما نستخلص أن كلمة "بلاغة" بالمعنى العربي و كلمة "خطابة" بالمعنى الإغريقي، ظهرت عند الغرب و العرب في حقل واحد وهو الإقناع . كما تحدث البلاغيون العرب عن المقام و مقتضى الحال، إذ تناولوه " أبو هلال العسكري (920م - 1005م ) " في كتابه " الصناعتين " حيث ربط المقام بتغيير الغرض المنشود، فباختلاف الغرض المنشود يختلف المقام، ففي هذه الحالة خطابياً يتمثل الخطيب والمخاطبين ، أما إذا كان المقام شعرياً فغرضه يتمثل في الاستمالة و الإثارة ، ولكن يجب أن يستعمل كل من الخطيب والشاعر وسيلة للتأثير و اقتناع المتلقي، فالمقام يهتم بالمتلقي كونه العنصر الأساسي الذي يتوجه إليه الخطاب أو الشعر... xxvii

كما نجد فكرة المقام عند " السكاكي (1160 - 1229 م ) " في مؤلفه " مفتاح العلوم " حيث وردت المقامات عنده مختلفة ، كما أن أشكال الاستعمال اللغوي في مختلف العلاقات الاتصالية تتنوع و تختلف بحسب مقتضيات هذا الاتصال ، فمقام المتكلم يختلف على مقام

السَّامِع ، كذلك مقام الكلام يتغير من واحد إلى الآخر، فمثلا الكلام مع الذكي يتطلب مقامًا معينًا ومع الغبي يتطلب مقامًا آخر، لذلك قال " فإذا شَرَعْتَ في الكلام فلكلِّ كلمة مع صاحبته مقام " xxviii

فإن المقام يلعب دورًا فعالاً في الدرس البلاغي لكونه يُمارس الخطاب الإقناعي ويُحاول مراعاة الألفاظ للأغراض والمقاصد الحجاجية الكلامية من أجل تحقيق هدف الإقناع .

و هنا لابد من الإشارة إلى ما قام به الكاتب " أحمد حسن الزيات (1885 – 1968 ) " في صحيفته الرائدة " الرسالة "، من خلال مقالاته الأدبية وما أتاحه للأدباء و الكتاب والباحثين من التجديد في أمور الأدب و الفن عمومًا، و الأساليب البلاغية و البيانية على وجه الخصوص، ويُعد كتابه " دفاع عن البلاغة " أحدث نقلةً نوعيَّةً في البلاغة و البيان حيث قام بالاعتناء بتجويد الأسلوب والافتقار على إبداع الجمال، وتُعنى البلاغة عنده بالعقل و الذوق معًا، ويقوم عملها على الجمع بين الفكرة و الكلمة و ممارسة الإقناع عن طريق التأثير في عقول النَّاسو قلوبهم و إمتاعهم عن طريق التَّشويق و التَّريغيب<sup>xxix</sup>.

كما أنَّ " حمادي صمود " ارتكز في أطروحته على رؤية الجاحظ لبلاغة البيان، حيث اهتم بالحجاج و الجدل المنطقي، وأولى المتكلم (منشئ الخطاب) مكانةً كبيرةً إلى جانب اهتمامه بالحدث الكلامي<sup>xxx</sup>، ومن هذا المنطلق قد شكل الدرس البلاغي نقطة تحول تجاوز فيها التناول المدرسي للبلاغة العربية القديمة، وحسب تعبير أحمد الشايب تجاوزت فلك المنهج القديم، وانفتحت على معطيات عصرها ومنجزاته المعرفية و المنهجية و الثقافية، فإنها في الآن نفسه بنت روحًا جديدة في التناول النقدي للبلاغة العربية، نهض بها نقاد باحثون استطاعوا بناء وتشكيل نظريات بلاغية جديدة استوعبت الدرس البلاغي في أصوله وتاريخه، وانفتحت على مناهج القراءة في الفكر المعاصر اللسانيَّة والسيميائيَّة والفلسفيَّة<sup>xxxi</sup>. وقد استثمر صمود في هذه القراءة الجديدة التي قدمت رؤية شاملة للبلاغة العربية، المكتسبات المستجدة في المناهج المعاصرة، خصوصًا اللسانيات، و الأسلوبية و التَّعبيرية، وعرفت المقاربة النَّقدية و المناهجية لصمود تطورًا لافتًا من شعرية الخطاب إلى نظريات الحجاج وتحليل الخطاب، حيث تحول البحث من النظر إلى البلاغة بوصفها معطى إبداعيًا وتخليًا، إلى البحث فيها باعتبارها حجاجًا وتداوليًا، وقد استثمر صمود في هذا التَّحول المعرفي والمنهجي المنجزات الكبيرة في مجال العلوم الفلسفية و اللسانيَّة والسيميائيَّة وفلسفة اللُّغة .

ومن خلال هذه العلوم نهضت قراءته الجديدة للبلاغة العربية التي من أهم تجلياتها إنتاج المفاهيم، و التَّنظير لأسس القراءة و التَّأويل للنص البلاغي خصوصًا، ونصوص الثقافة العربية الإسلامية عمومًا وفتح الآفاق المشرعة للولوج إلى عالم البلاغة الجديدة، كما أنَّ محمد العمري شغل شغله الشاغل في إنشاء بلاغة عامة، انطلاقًا من التراث البلاغي العربي وأنساقه الكبرى، بحيث اعتمد على أمهات الكتب البلاغية من البلاغيين القدامى أمثال " عبد القاهر الجرجاني " في كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " و " السكاكي " في كتابه " مفتاح العلوم "، ووضع يده على مفاصل البلاغة العربية ، وفسر خلفيات مشاريعها ومنجزاتها، مستكشفًا مساراتها الكبرى، في ضوء أسئلة العصر الحاضر مستفيدًا من الدِّراسات المعاصرة في الشعرية و نظرية الأدب و المعرفة الجديدة .

وخلص إلى أنَّ البلاغة تجمع بين البعدين التخيلي الشعري، و التداولي الخطابي مستفيداً من النظريات الحديثة والمعاصرة على الاحتمال و التأثير، فيشمل الاحتمال التخيل و التداول، أي الخطاب التداولي الحجاجي والخطاب التخيلي الشعري، مع إمكان تداخل الحجاجي و الخطاب التخيلي الشعري ، و تداخل الجنسيين في جنس واحد بنسب متقاربة أو متفاوتة، أما التأثير أو التأثير في نفوس المتلقين وعقولهم من أجل استمالتها، فهو الصفة التواصليّة الحوارية لكل نص بلاغي في ارتباطه بالمقام .  
وانطلاقاً من هذه الرؤية المستوعبة للمنجزات البلاغية - قديماً وحديثاً- تجاوز العمرى تعريفات البلاغة -التي لا تنتهي- بخلفياتها المعرفية و الإجرائيّة المختلفة، ووقدم تعريفاً موحداً لها بقوله: >> هي العلم الذي يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر، تخيلاً وتداولاً، أو هما معاً << .

فقامت بلاغته الجديدة على مثل هذه التّعريفات الجامعة، وما تحمل من مصطلحات شبكية دقيقة، مثل الاحتمالو التأثير و التخيل و التداول، وغيرها من المصطلحات التي تسلحت بها هذه البلاغة الجديدة لتشييد معامرها، وتأييث فضاءاتها .  
ومن الاتجاهات البلاغية الحديثة و المتطورة للبلاغة العربية الاتجاه الذي بلوره الناقد و الروائي الجزائري "حبيمونسي" في كتابه " بلاغة الكتابة المشهدية نحو رؤية جديدة للبلاغة العربية "، وقد خصصه للتعامل مع النصوص الأدبية تعاملاً و صفيًا يتجاوز معيارية البلاغة التقليدية، حيث ركز على الإبداعية و الجمالية و الأساليب البيانية العربية واستعرض تعريفات البلاغيين العرب لهذه الأساليب، ووجه نقدًا لاذعًا للطابع العقلي و المنطقي و انفتح على القراءات المعاصرة مركزاً على التفسيرات النفسية و الجمالية للشعر<sup>xxxii</sup> .  
هذه بعض المشاريع العلمية التي اعتمدت التراث البلاغي العربي في قراءتها التّجديدية، ووقّفت في تشييد أنساق بلاغية، مستفيدة من الدراسات البلاغية الغربية في علاقتها الحيوية بقضايا البلاغة الجديدة، وطرق تحليل الخطاب.  
ولعل هذه الروح الاستمولوجية العاليّة في التّعامل مع أصول البلاغة العربية القديمة و مناهج النقد الحديث، هو ما جسد طموح هؤلاء الرواد لتجديد الدرس البلاغي العربي، وبناء أنساقه الجديدة .

ومع منتصف القرن العشرين أصبحت البلاغة في ثوبٍ جديدٍ، لأنّها كانت تعنى بوصف قواعد الخطابات والأجناس الأدبية، وتصنيف الصّور البلاغيّة والمحسنات البديعيّة، وتبيان وظائفها في ضوء مناهج معاصرة لسانية وبنوية و سيمائية و شعرية، ولم تقتصر البلاغة الجديدة على ماهو لساني في دراسة الصّور و الخطابات الأدبية، بل كانت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية و الأخلاقية و الاجتماعية و القانونية و السياسية، فبعضهم يرى الاعتماد على تراثنا في البلاغة و جعله أساساً للتّجديد، و أنّ التّجديد يجب أن يكون نابعاً من رُوحنا و مجتمعنا و تكويننا و فطرتنا و دُوقنا<sup>xxxiii</sup> .

ومن هنا ابتدأ البحث عن قراءة جديدة للتراث البلاغي وفق مقولات الدرس اللساني متأخراً مقارنة مع القراءة الممارسة في التراث النحوي العربي، وهذا النوع يرتكز منهجيةً بنوية لسانية تختلف عن المناهج الخارجية التي لاحظنا بخصوصها سيطرة المنهج التاريخي عند من حاولوا قراءة البلاغة القديمة أمثال شوقي ضيف، وبدوي طبانة، وعشري الزايد، ومن سلك هذا المنهج فهو يأخذ من اللسانيات ويقوم على نقد و تقويم التراث البلاغي، و يأخذ شكل النقد البنيوي الذي >> يرتكز في دراسة الأدب باعتباره ظاهرة لغوية قائمة في لحظة معينة

تمثل نظامًا شاملاً، و الأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات نظم، و تحليلها يعني إدراك علائقها الداخلية، ودرجة ترابطها و العناصر المنهجية فيها و تركيبها بهذا النمط الذي تؤدي به وظائفها الجمالية المتعددة <xxxiv>

نبذة عن حياة جابر عصفور :

نشأته:

جابر أحمد عصفور ولد في محله الكبرى ( 25 مارس 1944 م- 31 ديسمبر 2021 م)، كاتب ومفكر وباحث أكاديمي مصري، كان رئيس المجلس القومي للترجمة، وأميناً عاماً بالمجلس الأعلى للثقافة العربية في مصر ووزيراً للثقافة فيها منذ 2007 م<sup>xxxv</sup> والمكتب التنفيذي في " المجلس القومي للمرأة " وسكرتير عام لـ " الرابطة المصرية لاتحاد كتّاب آسيا و أفريقيا"، كما شغل عضوية لجان تحكيم كل من " جوائز الدولة التشجيعية في مصر"، و جائزة "مؤسسة التقدم العلمي" في الكويت، و جائزة "سلطان العويس"، كما شغل منصب وزير الثقافة، و مدير "المركز القومي للترجمة" بين 2007 و 2011، و الأمين العام لـ "المجلس الأعلى" بين 1933 و 2007، كما تولى عدة مناصب في "جامعة القاهرة"، منها عميد ومدرس مساعد ومدرس وأستاذ مساعد، و أستاذ في النقد الأدبي، كما أنه تولى عدة مناصب مختلفة كأستاذ و مستشار و رئيس تحرير وغيرها، وحاصل على عدة شهادات كالليسانس والماجستير والدكتوراه في جامعة القاهرة بمصر، كما كانت له عدة مشاركات في عشرات المؤتمرات و الندوات التخصصية داخل و خارج الوطن العربي، متحصلاً على عدة جوائز وطنية و دولية نذكر منها:

- جائزة أفضل كتاب للدراسة النقدية، من وزارة الثقافة المصرية -القاهرة - .
- جائزة أفضل كتاب في الدراسات الأدبية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي -الكويت - .
- جائزة أفضل كتاب في الدراسات الإنسانية، معرض الكتاب الدولي -القاهرة - .
- الوسام الثقافي التونسي من رئيس الجمهورية التونسية<sup>xxxvi</sup>.

مؤلفاته:

سنذكر أهم مؤلفاته التي تتمثل في :

- الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي.
- مفهوم الشعر و دراسة التراث النقدي.
- المرايا المتجاوزة (دراسة في نقد طه حسين).
- قراءة التراث النقدي.
- التنوير يواجه الإلزام.
- محنة التنوير.
- النظرة الأدبية المعاصر.
- آفاق العصر.
- الترجمة : عصر البنيوية.

وهناك العديد من المؤلفات للكاتب جابر عصفور ذكرنا أهمها تداولاً في الأدب العربي عموماً

xxxvii

إسهامات جابر عصفور في الدرس البلاغي الجديد :



انكب الدارسون المحدثون على قراءة التراث العربي في البلاغة العربية الجديدة إيماناً منهم بما يتضمنه هذا التراث من مؤلفات ذات أهمية قصوى ومن أفكار و تصورات جعلتها محل اهتمام الباحثين العرب، ويندرج هذا البحث في قراءة المحدثين للتراث البلاغي و دراسة تصوراتهم ومناهجهم، واخترنا قراءة جابر عصفور نموذجاً لهذه الدراسة، نظراً لقيمته و مكانته في الثقافة العربية بصفة عامة، و البلاغة العربية بصفة خاصة، و لاهتمامه بقضايا التراث النقدي و البلاغي و لغزارة كتابته بهذا المجال، ولأنَّ الرجل منفتحٌ على النظريات النقدية المعاصرة ترجمة و تأليفاً، وتتأكد هذه القيمة أكثر، بالنظر إلى رجوع عدد من المؤلفين البارزين و الباحثين المهتمين بقضايا التراث إلى كتاباته و دراساته .

لقد اتسمت قراءة جابر عصفور لهذا التراث بالنسقية و الإحاطة الشمولية التي أفرزت تلك نصوص و أنتجتة، وهكذا نجد قراءته تربط النصوص بمختلف الأنساق المعرفية، في محاولة جريئة لا تتوقف عند حدود التلقي المباشر السلبي أو عند حدود الاجترار و الإبلاغ، بل تُساهم في إنتاج وجهة النظر و إنتاج تفسيرات تسعى إلى إعادة بناء ذلك الخطاب، وكشف المسكوت عنه .

تُعد هذه الدراسة من الدراسات السابقة في مقاربتها للتراث النقدي و البلاغي مقارنة نسقية، حيث تأخذ هذه الدراسة لتسليط الضوء على (الصورة الفنية ) في تراثنا النقدي و البلاغي ، و تعامل مع هذا الموضوع من خلال النظر في علاقاته المتفاعلة مع باقي العلوم و المعارف، و التي ساهمت في إغناء هذا الموضوع مثل ربطه بالفلسفة و علم الكلام و اللغة و التفسير، ويقول في هذا الصدد: >> ومما حتم ذلك التعامل أن المنظرين الأساسيين للنقد و البلاغة العربية كانوا من المتكلمين و الصلة بين المتكلمين و الفلاسفة صلة وثيقة، فضلاً على أنهم كانوا علماء لغة أو تفسير بارزين ، و لا أدل على ذلك من الجاحظ و الرمانى و الزمخشري المعتزليين و عبد القاهر الجرجاني و الباقلاني الأشعريين ... << ، وهنا جابر عصفور يُسلط الضوء على مفهوم الصورة الفنية و التعرف على أصولها و امتداداتها بالنظر إلى التراث العربي xxxviii .

نجد في ثنايا هذه الدراسة بعض الحقول المعرفية الأخرى التي استعان بها جابر لمعالجته لهذا الموضوع ، من ذلك :

#### علم النفس :

وقد تطرق لهذا العلم في معرض حديثه عن التخيل ، و أشار على أن هذه الكلمة كانت تستخدم للإشارة إلى بعض الظواهر النفسية التي يُمكن إدراجها تحت ما نسميه الآن بـ سيكولوجية الإدراك، و ذلك لأنَّ الكلمة كانت تستخدم للإشارة إلى عمليات التَّوهم، و ما يتصل بها من تشكّل الأوهام الكاذبة في النفس بفعل مخادعة الأشخاص، أو بتأثير الخوف أو المرض xxxix .

#### التصوف :

قدم المتصوفة أفكاراً مهمةً وهي بدورها أحدثت انقلاباً في التفكير البلاغي و غيرت من طبيعة النظرة العدائية إلى الخيال الشعري، ويُشير جابر في هذا الصدد لما قدمه ابن عربي في الموضوع، في النظرة المتصوفة للخيال عمومًا، ساهمت في إغناء الحقل البلاغي وفتحت آفاقاً رحبة في كشف عمق تلك العلاقات xl .

وفي كتابه " البلاغة العربية" رَجَّحَ الكَفة الثانية للبلاغة، وهي الخطابية، انطلاقاً من تاريخية البلاغة العربية، بدءاً من التوجه المعرفي للجاحظ في رسم بلاغة عربية تنهض على الفهم والإفهام إلى القرطاجني في مزاجته بين الشعرية والخطابية .

وبتأصيله لهذين البعدين للبلاغة العربية، وكشفه عن معاملها، وبيانه للإشكالات المعرفية والمنهجية التي يطرحها، بحيث قدم تصوره وسماه بـ "البلاغة العربية" <sup>xlii</sup>. لقد اتسمت قراءة جابر عصفور لهذا التراث البلاغي بالنسقية والإحاطة الشمولية التي أفرزت تلك النصوص وأنتجته، وهكذا نجد أن قراءته تربط هذه النصوص بمختلف الأنساق المعرفية، في محاولة جريئة لا تتوقف عند حدود التلقي المباشر السلبي أو عند حدود الاجترار والإبلاغ، بل تُساهم في إنتاج وجهة النظر وإنتاج تفسيرات، تسعى إلى إعادة بناء ذلك الخطاب و كشف المسكوت عنه <sup>xliii</sup>.

لقد ختم جابر عصفور كتابه "الصورة الفنية" بقوله: >> لقد حاولت أنأتعامل مع التراث النقدي والبلاغي على أساس النظر إلى علاقته المتفاعلة بغيره من العلوم والمعارف التي ساهمت في تراثه أو توجيه مسار قضاياه الأساسية المرتبطة بمبحث الصورة، مثل الفلسفة و علم الكلام واللغة والتفسير، مما حتم ذلك التعامل أن المنظرين الأساسيين للنقد والبلاغة العربية كانوا من المتكلمين والفلاسفة صلة وثيقة، فضلاً على أنهم كانوا علماء لغة أو تفسير بارزين . << <sup>xliii</sup>.

وعيه فإن جابر عصفور من خلال حديثه عن البلاغة العربية يُقر بأن إسهاماته كانت قائمة في الأساس على التراث البلاغي، مع الأخذ بعين الاعتبار تداخلها مع باقي العلوم المعرفية والإنسانية والاجتماعية، لأنها تحمل في طياتها الجانب الجمالي والفني في تقنياتها الخطابية وهذا ما جعلها تتداخل مع نظرية الحجاج .

#### خاتمة :

وفي ختام بحثنا يمكن تلخيص ما جاء فيه بجملة من النتائج، تُعد بمثابة استنتاجات توصلنا إليها من خلال هذا العرض، نُوردها على النحو التالي :

تُعد البلاغة سمة بارزة في اللغة، وعلى هذا الأساس وجدنا الفلاسفة واللسانيين والبلاغيين على شتى مشاربهم يُركزون بحثهم عليها، بوصفها أداة وظيفية للحجاج ووسيلة الإقناع والتأثير على المتلقي .

إنَّ التراث البلاغي شكّل وجهاً من أوجه الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، فإن معاودة البحث فيه وسبر أغواره من أجل الحصول على إجابات لا تزال تشدّ همّة الباحثين والمتخصصين وتجعلها قادرة على استيعاب المعطيات العلمية الجديدة .

تبلورت البلاغة العربية الجديدة في مزيج بين الحجاج المنطقي والذي مثل الجانب التراثي البلاغي في تقديم التصورات والمعطيات المعرفية، والحجاج اللساني الذي قام بدور إقناعي تأثيري للبلاغة العربية الجديدة حاملاً بين طياته التقنيات الخطابية للولوج إلى نفس و ذهن المتلقي .

إنَّ البلاغة العربية الجديدة فتحت المجال أمام الباحثين العرب للنظر من جديد في التراث البلاغي وفق مقولات علم اللغة الحديث بغية تقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية.

الملاحظ أن التصورات المختلفة التي قدّمها الباحثون العرب لتجديد البلاغة العربية نظرت إلى التراث البلاغي جزئياً، وغابت النظرة الشمولية التي من شأنها أن تعطي ثماراً تُفيد البلاغة العربية في الوقت الراهن.

اتسمت قراءة جابر عصفور للتراث البلاغي بالنسقية وعلاقة هذا التراث ببقية الحقول المعرفية الأخرى، فالنص التراثي عنده ليس بنية مغلقة منعزلة عن نفسها، بل هو بنية مفتوحة تستحضر مختلف الأنساق التي ساهمت في إنتاج تلك النصوص، فهي نشأت وتطورت وفق نسيج من العلاقات المعرفية والتاريخية واللسانية في سباق ثقافي وفكري وسياسي .

يُعد جابر عصفور من الأدباء العرب الذين ركزوا على التراث البلاغي بصفة خاصة وربطه مع مختلف العلوم المعرفية بصفة عامة، وهذا ما شهدناه في تنوع دراساته في مختلف الميادين الأدبية والعلمية، نظرا لتطلعاته على الدراسات العربية القديمة والغربية الحديثة، مما مكنته في إثراء التراث البلاغي والنقدي وتركيزه على الصورة الفنية وإسهامه في إحياء التراث البلاغي العربي ودمجه مع العلوم المعرفية واللسانية والحجاجية.

## قائمة المصادر والمراجع :

- 
- i يُنظر : طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان و التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2 ، 2006 ، ص: 230
- ii يُنظر : محمد مشبال ، البلاغة و الأصول أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 ، د/ط ، ص: 07
- iii يُنظر : المرجع نفسه ص: 08 .
- iv يُنظر : المرجع نفسه ص: 08
- v صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، مداخولنصوص،صفحات للدراسات و النشر ، ط1 ، 2008 ، ص: 15
- vi المرجع نفسه : ص: 16
- vii باتريك شارودو و دومينيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود ، دار سيناترا، تونس د/ط ، 2008 ، ص: 70.
- viii يُنظر : محمد العبد ، النص و الخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، د/ط ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، ص: 147 .
- ix يُنظر : محمد العبد ، المرجع السابق ، ص: 147 .
- x عباس حشاني ، مصطلح الحجاج و أنزاعه وتقنياته ، مجلة المخبر ، قسم الآداب و اللغة العربية ، بسكرة ، الجزائر ، عدد 9 ، 2013 ، ص: 44 .
- xi حجاج البلاغة و بلاغة الحجاج ، ناعوس ين يحي ، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية ، العدد 47 ، المركز الجامعي بغليزان - الجزائر - ، ص: 09
- xii يُنظر: المرجع نفسه ، ص: 09.
- xiii يُنظر: المرجع نفسه ، ص: 09.
- xiv صابر الحباشة،التداولية و الحجاج ، مداخل و نصوص ،صفحات للدراسات و النشر ، ط1 ، 2008 ، ص: 50 .
- xv المرجع نفسه : ص: 15 .
- xvi أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف بجالها، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، 1950، ص: 07 .

- xvii يُنظر : شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ دار المعارف ، القاهرة ، ط9، د/ت ، ص: 09 .
- xviii يُنظر : بدوي طبانة ، البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة العربية عند العرب ومناهجها و مصادر ها الكبرى ، دار المنارة ، جدة ، ط7 ، 1988 ، ص: 7 .
- xix يُنظر : علي عشر بالزايد ، البلاغة العربية: تاريخها مصادر ها مناهجها ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط7 ، 2009 ، ص: 06-07 .
- xx عبد السلام عبد الحفيظ ، مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية ، دار الآداب ، القاهرة 1984 ، ص: 05 .
- xxi صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر و المعلومات ، القاهرة ، د/ط ، 2002 ، ص: 91 .
- xxii حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع القراءة) دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط4 ، 2010 ، ص: 11-12 .
- xxiii تكتك إكرام ، الحجاج والبلاغة الجديدة ، مجلة الحقيقة ، العدد 31 ، ص: 32 .
- xxiv المرجع نفسه : ص: 33 .
- xxv يُنظر : المرجع نفسه : ص: 33-34 .
- xxvi يُنظر : المرجع نفسه : ص: 35 .
- xxvii يُنظر : تكتك إكرام ، الحجاج و البلاغة الجديدة ، ص: 35 .
- xxviii يُنظر : المرجع نفسه : ص: 36 .
- xxix مركز ضياء للمؤتمرات و الأبحاث ، مصطفى بورشاشن ، البلاغة العربية بين المشاركة و المغاربة أصالة و امتداد ، مركز ضياء للمؤتمرات و الأبحاث ، [https:// www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107) ، على الساعة : 14:25 .
- xxx رمضان يوسف ، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة ، مجلة التعليمية ، المجلد الرابع ، العدد التاسع ، جانفي 2017 ، ص: 04
- xxxi مركز ضياء للمؤتمرات و الأبحاث ، البلاغة العربية بين المشاركة و المغاربة أصالة و امتداد ، [www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107) ، على الساعة : 14:25 .
- xxxii مركز ضياء للمؤتمرات و الأبحاث ، مصطفى بورشاشن ، البلاغة العربية بين المشاركة و المغاربة أصالة و امتداد ، [www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107) ، على الساعة : 14:25 .
- xxxiii مركز ضياء للمؤتمرات و الأبحاث ، مصطفى بورشاشن ، البلاغة العربية بين المشاركة و المغاربة أصالة و امتداد ، [www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107) ، على الساعة : 14:25 .
- xxxiv صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر و المعلومات ، القاهرة ، 2002 ، ص: 91 .
- xxxv موقع ويكيبيديا ، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki> ، على الساعة : 20:52 .
- xxxvi مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية ، [www.alowais.com/jabrasfor/](https://www.alowais.com/jabrasfor/) ، على الساعة : 18:23 .
- xxxvii مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية ، [https:// www.alowais.com/jabrasfor/](https://www.alowais.com/jabrasfor/) ، على الساعة : 18:23 .
- xxxviii عبدالرحمان إكدير ، القراءة النسقية للتراث النقدي البلاغي – جابر عصفور نموذجاً - ، جامعة قاضي عياضمراكش ، المغرب ، ص: 7 .
- xxxix المرجع نفسه : ص: 7-8 .
- xl عبدالرحمان إكدير ، القراءة النسقية للتراث النقدي البلاغي – جابر عصفور نموذجاً - ، جامعة قاضي عياضمراكش ، المغرب ، ص: 7 .
- xli مركز ضياء للمؤتمرات و الأبحاث ، مصطفى بورشاشن ، البلاغة العربية بين المشاركة و المغاربة أصالة و امتداد ، [https:// www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107) ، على الساعة : 18:09 .
- xlii رؤية العالم " في قراءة التراث البلاغي عند جابر عصفور ، عبد الرحمان إكدير ، مجلة قراءات ، جامعة بسكرة – الجزائر - ، العدد 9 ، 2016 ، ص: 93
- xliii جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 1992 ، ص: 407

البعد الإقناعي للبلاغة العربية ، أساليبه وتقنياته من منظور محمد العمري

الدكتورة : صفية طبني

قسم الآداب واللغة العربية

جامعة محمد خيضر بسكرة

كانت البلاغة العربية تؤسس جسور التواصل بين الشعر والخطابة، بين التخيل والإقناع. وهو موضوع مهم لم ينل إلا القليل من الاهتمام في الدرس البلاغي المعاصر فلم يتناوله المعاصرون بالتوضيح إلا في بعض البحوث القليلة النادرة

فإمعان النظر في الخطاب الإنساني يبرز لنا أن غالب أقوالنا تسعى إلى التأثير في سلوك المخاطبين، بل إن خطاباً قد يظهر بريئاً من أي مسعى حجاجي، قد ينكشف أمامنا باعتباره منطويًا على طاقات حجاجية جبارة<sup>1</sup>

فقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدرس البلاغي تتطور وتظهر مرحلة جديدة في القرن الثالث الهجري مع كل من الجاحظ (ت522هـ) وابن المعتز (ت592هـ)، تشكل فيها علم البلاغة علماً مستقلاً له أصوله وقواعده، ثم نحا الدرس البلاغي نحو التعليل و التفسير و القياس و البرهان ذلك أن للبلاغة مكانةً مَهْمَةً في العالم الذي نعيش فيه؛ فهي حاضرة في كل تفاصيل الحياة؛ هي موجودة في المؤسسات الثقافية، والمنابر الإعلامية، فلا يكاد أي خطاب يخلو منها. وقد نشأت البلاغة في أحضان الخطابة، التي تتميز بمراعاة المقام والمتخاطبين؛ محاولة التأثير فيهم بأساليبها اللغوية وتقنياتها الاستدلالية؛ قصد دفعهم للاقتناع بما يقوله الخطيب<sup>2</sup>

يعتبر البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي من المباحث التي تعنى باهتمام الدارسين والباحثين، وذلك لما يلعبه عنصر الإقناع من دور بارز وأساس في شتى مجالات التخاطب الأدبية والعلمية، وحتى اليومية منها، لأن الإقناع هو عملية تهدف إلى تغيير موقف أو سلوك شخص (أو مجموعة) تجاه حدث معين، فكرة، شيء، أو أي شخص أو أشخاص آخرين، يتم ذلك باستخدام كلمات مكتوبة أو منطوقة لنقل المعلومات، والمشاعر، أو للاستدلال، أو مزيج منها. وهذا ما دفع بالباحث "محمد العمري" إلى عقد دراسة خاصة حول الخطاب الإقناعي، بالعودة إلى مضانه وربطه بالبلاغة العربية التي كانت ولا تزال ملتقى لعلوم مختلفة، ومن جملة الخطاب الذي بات يمثل مرجعا لا غنى عنه في إحداث

<sup>1</sup>. ينظر محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، ص15 -  
<sup>2</sup>.- رضوان الرقبي، ، "الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله"، مجلة عالم الفكر، المجلد40، ص 82 -

التواصل، ولغة لا بديل عنها في حصول الفهم والإفهام، فكانت عناية العمري منصبه حول بلاغة الإقناع وما يؤديه المقام ضمن دائرة التخاطب<sup>1</sup>، طبعاً العمري لم ينطلق من الفراغ، بل وصف وصفا دقيقاً لما جاء به القدماء، خاصة أرسطو مع البلاغة اليونانية، والجاحظ مع علم البلاغة العربية

يتساءل العمري: لماذا البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي؟ ليقول: فقد اعتاد الدارسون العرب المحدثون وتبعهم في ذلك المدرسون في الثانويات والجامعات، معاملة النص الخطابي الإقناعي نفس معاملتهم للنص الشعري أو أي نص انشائي آخر، وهذا يجافي الروح المنهجية التي تقتضي أخذ الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله<sup>2</sup> إذن فيجب مراعاة المنهج في التعامل مع النص لأن النص أشكال مختلفة تستدعي لكل منها المنهج الخاص بها

يركز العمري في الخطابة على عنصر التأثير والإقناع، فهذا الأخير صنعة يجب على الخطيب أن يحسنها وهي عند أرسطو القوة التي يجب التحلي بها

والبلاغة هي مراعاة مقتضى الحال والبحث في بلاغتنا العربية يحيلنا مباشرة على قطب من أقطابها الأفاذ وهو الجاحظ ولا سبيل للكلام عن الإقناع عند البلاغيين القدامى إلا بالولوج إلى البيان والتبيين للجاحظ الذي أرسى فيه دعائم علم البلاغة وسبل الإقناع

وعلى ضوء مراعاة مقتضى الحال صنفت البلاغة العربية فيما بعد المخاطبين الذين يلقي إليهم الخبر إلى ثلاثة أصناف:

1 مخاطب خالي الذهن

2 مخاطب شاك متردد

3 مخاطب جاحد منكر<sup>2</sup>

وفي كل هذا تراعى مقامات الكلام،

تظهر مراعاة المقام عند "الجاحظ" في حديثه عن الخطيب وما يجب أن يراعيه أثناء

التخاطب، ليظل الإقناع مرتبطاً بطبيعة المقام، وهذا الذي أكده "العمري" على طبيعة الإقناع فهي تتحدد حسب المقامات والأحوال. وذلك في كتاب البيان والتبيين والذي أوضح فيه أن الخطاب الإقناعي نوعان: خطاب إقناعي شفوي وهو الذي تتقدم فيه الغاية على الوسيلة

<sup>1</sup> عبدالباسط ضيف، بلاغة الخطاب الإقناعي عند محمد العمري، مجلة اشكالات في اللغة والأدب العربي، مجلد 9 عدد 2 السنة 2020، ص 500

<sup>2</sup> محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية 2000، ص 7  
محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 35<sup>2</sup>

وهي اللغة أي الاهتمام بالإقناع على الاهتمام باللغة ، فينتج عندنا خطاب اقناعي حسب المقامات والأحوال ، والبعد الاقناعي حاضر وبقوة في بلاغتنا العربية ، والخطابة جزء من حياة العربي

إن فالجاحظ هو الوجهة الأولى التي نتوجه اليها في قراءتنا للبلاغة ، والإقناع ينطلق من الخطاب الشفوي لأنه يظهر فيه سياقات المقام وتراعى هذه السياقات في تبيان أهمية الإقناع ، والعمرى وصف لنا وصفا دقيقا هذه السياقات والمقامات انطلاقا مما جاء به القدماء وذلك من أرسطو حتى الجاحظ

### أسس بلاغة الخطاب الاقناعي عند محمد العمري :

تعتبر عناصر بناء الخطابة عند العمري نفسها منذ أرسطو ، وهي لا تختلف عن غيره سواء البلاغيين العرب أو الغربيين ، فعناصر بناء الخطابة ثلاثة وهي :

1 وسائل الاقناع أو البراهين

2 والاسلوب أو البناء اللغوي

3 وترتيب أجزاء القول ، ثم هناك أسلوب الالقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو ، ومنهم البلاغيون العرب عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة و الصوت

وهذه العناصر لا يختص بها الخطاب عند اليونان و اللاتين دون العرب ، ولا القديم دون الحديث ، إنما الاختلاف في العنصر المهيمن فيها من حضارة إلى أخرى<sup>1</sup>

فاليونان يهتمون بالمنطق ، فتكون عندهم الحجة هي الغالبة على الخطابة ، في حين يغلب الاسلوب والعبارة عند العرب نظرا لاهتمامهم بالشعر وبكلام العرب والجزالة في القول

إن فالبلاغة مرتبطة أيما ارتباط بالخطابة ، فتمتد أسسها الاقناعية منها والاسلوب والحجة فيصل في الحكم على الخطاب ،

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

الاسم واللقب: غنية تومي

الصفة: أستاذ محاضر أ

مؤسسة الانتماء: جامعة محمد خيضر بسكرة

الهاتف والبريد الإلكتروني: [ghania.toumi@univ-biskra.dz](mailto:ghania.toumi@univ-biskra.dz) 0794649005

محور المداخلة: محور 5: "البلاغة العربية الجديدة- نظرية وتأسيس"

عنوان المداخلة: بلاغة الجمهور- التأسيس والامتداد

رمز المداخلة: ( بلا - جد 22 )

## بلاغة الجمهور- التأسيس والامتداد

مقدمة:

نسعى في هذه الورقة البحثية إلى التعريف بتوجه بلاغي عربي جديد، ظهر في السنوات الأخيرة، هو "بلاغة الجمهور"؛ إذ إنّ المعارف بأنواعها تنشأ تلبية لحاجات عملية ولمتطلبات مجتمع يعيش فيه الفرد الذي يتفاعل مع حركية ذلك المجتمع، ومختلف التغيرات التي تعنّوه، وكانت البلاغة أحد المجالات التي شابها تحرك طفيف بعد أن عاشت الرتابة والركود لزمان طويل، فنادت أصوات بعض المشتغلين بالبلاغة إلى ضرورة تجاوز الاهتمام بالنص لوحده والمتكلم بوصفه صانع الخطاب إلى الاهتمام بالمتلقين أيضا، والهدف



هو خدمة المخاطب/الجمهور، بتوسّل العلامات اللغوية وغير اللغوية التي ينتجها الجمهور مادة للدراسة. ومن أجل ذلك سنستهلّ بالتعريف بهذا الاتجاه وبدايات ظهوره، ثمّ الحديث عن الجمهور وعلاقته بالبلاغتين التقليديّة والحديثة (البلاغة الجديدة) التي نقف عندها هي أيضا بوصفها حاضنة هذا الاتجاه، يليها الحديث عن عصر استجابات الجمهور الذي يركّز فيه الدارسون على خطابات الجمهور المتنوّع كمدوّنة ذات طابع خاصّ، ثمّ بلاغة الجمهور وعلاقتها بعلم البلاغة الاجتماعي، وننتهي إلى تقديم نموذج تطبيقي هو الاحتجاجات الشعبيّة كصورة من صور بلاغة الجمهور واستجاباته المعاصرة في إطار علاقته بالمجتمع الذي يعيش في كنفه، والإشكاليّات التي تفرض نفسها هي: ما المقصود ببلاغة الجمهور؟ وكيف تجلّى الفعل التأسيسي لها؟ وما مساحة تناولها وبحثها في الدراسات البلاغيّة المعاصرة؟.

### التأسيس:

إنّ بلاغة الجمهور أحد أوجه عصرنة البلاغة التي تدرس استجابات الجماهير لأعمال فنيّة وأدبيّة وتواصلية (أعمال روائية، وسير شعبيّة، وخطب سياسية، ووعظ ديني، وتعليقات في مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها)، أي لمختلف أنواع الخطاب. وتعدّ كتابات الباحثين البلاغيين: عماد عبد اللطيف، وصلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صديقي وغيرهم محاولات مهمّة في هذا المسلك الجديد، ويظهر فيها صهر البلاغتين القديمة والجديدة في مظهر مختلف يشكّل لبنة في صرح بلاغة المستقبل، وهذا ما سيتمّ بحثه من أجل تقديمه للمتلقّي العربيّ الذي ظلّ لسنوات عديدة حبيس بلاغة التقسيم الثلاثي: بيان وبديع ومعان.

ولعلّ أولى المحاولات التّجديديّة المطالبة بتجاوز الخطاب وصاحبه إلى العناية بالمخاطب، والدّاعية إلى ربط البلاغة بالمجتمع، أعمال أمين الخولي في كتابه "مناهج التجديد" و"فنّ القول"، وسلامة موسى في "البلاغة العصريّة واللغة العربيّة" ومصطفى ناصف في "دنيا من المجاز"، ومحمد العمري في كتاباته عن التّداولية/الإقناعيّة وغيرهم. وكلّها لم تولّ تحليل الخطابات اليوميّة والحياة العاديّة، أو خطابات الجمهور عامّة، تلك العناية المستحقّة، ليقوم الباحث المتخصّص في البلاغة وقضاياها عماد عبد اللطيف سنة 2005م بنشر دراسة جادة بعنوان "البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته" داعيا عبره إلى تأسيس اتجاه بلاغي جديد مستقل سمّاه في البداية "بلاغة المخاطب"، ليعرف فيما بعد بـ"بلاغة الجمهور".

### بلاغة الجمهور والجمهور البليغ:

إنّ قولنا إنّ هناك بلاغة جمهور معناها أنّ هناك جمهورا بليغا، فما قصدنا بهذه العبارة؟. ورد في اللسان: "الجمهور: الرمل المتراكم الواسع (...). والجمهور: الأرض المشرفة على ما حولها (...). وجمهور الناس: جلّهم، وجماهير القوم: أشرفهم"<sup>1</sup>، أمّا

الجمهور البليغ فعلى ما ذهب إليه أصحاب هذا الاتجاه هو من يقوم بإنتاج استجابات بليغة، والبليغة ليست من البلاغة بمعنى الفصاحة وعلو الأسلوب، وإنما بليغة أي فعّالة، تؤدي الغرض المطلوب، وهذه الاستجابات تكون لفظية أو غير لفظية، ومباشرة أو غير مباشرة، وخطابية أو غير خطابية، ينتجها الجمهور وتصدر منه في سياقات التواصل العمومي، بغية دعم الخطابات التحريرية، والتصدّي للخطابات السلطوية التي تمارس تلاعباً أو هيمنة أو تمييزاً أو إقصاء أو قهراً أو عنصرية أو كراهية وغير ذلك، فالاستجابة البليغة للجمهور هي نوع خاص من الخطابات الإيجابية الفعّالة التي لها تأثير ووقع على المخاطب الأول وعلى كل المتلقين لها. يقول عماد عبد اللطيف رائد هذا التوجّه عن بلاغة الجمهور بأنها: "مدونة الاستجابات اللغوية وغير اللغوية التي ينتجها الجمهور في سياقات التواصل العمومي، ويعنى باستكشاف العلاقة بين الخطاب وتشكّله وأدائه من ناحية، واستجابات الجمهور الفعلي له من ناحية أخرى"<sup>2</sup>.

### الجمهور بين بلاغتين:

كانت البلاغة عند العرب في العصر الجاهلي ملكةً فطريةً متّصلة بفعالية الاتصال ملازمة له، تبرز في إنتاج الكلام إمتاعاً وإقناعاً (أو الدّفع نحو الفعل)<sup>3</sup>، سواء بالشعر أو بالخطابة؛ فهاهو الباحث محمد العمري يقسم البلاغة العربية إلى بلاغتين رئيسيتين؛ الأولى بوصفها كفاءة تعبيرية، يقول: "من البديهي أنّ أوّل تفكير في اللغة كان تفكيراً بلاغياً؛ فقد ظهرت الملاحظات الأسلوبية قبل ظهور العروض والنحو والمنطق، (...) أي قبل ظهور المصطلح البلاغي كنسق لعلم"<sup>4</sup>، والثانية بوصفها علماً واصفاً لهذه الكفاءة<sup>5</sup>؛ حيث ارتبط بتقعيد اللغة من جهة وبيان الانسجام الخطابي للنص القرآني، وما أثير حول ذلك من إشكالات اقتضى التحوار حولها الاستعانة بالمنطق اليوناني والبلاغة الأرسطية<sup>6</sup>، فبعد مجيء الإسلام، ومعجزته الخالدة القرآن الكريم، بلغته التي أبهرت العرب قبل العجم، وإن كان يلتقي وأساليبهم إلا أنّه يتجاوزها إلى حدّ العجز عن إتيان ولو آية من مثله، وأمام هذا الانبهار ظهر الفحص والتّدقيق والوصف والمقارنة، لا بين شاعرين أو خطيبين كما في الجاهلية، بل بين نصّين من نصّين مختلفين. أمّا البلاغة الجديدة فهي البلاغة التي ظهرت في العصر الحديث، وتعدّدت آراء الباحثين تجاهها، فمنهم من يرى أنّ الأسلوبية هي بلاغة جديدة، أي هي بديل عن البلاغة القديمة، وهو رأي عبد السلام المسدي<sup>7</sup>، ومحمد عبد المطلب<sup>8</sup> مثلاً، في حين اعتبر عبد الله صولة أنّ البلاغة الجديدة هي نظرية الحجاج؛ أي تلك التي أتى بها بيرلمان وتيتيكا، وإن صرّح أنها بلاغات متعدّدة<sup>9</sup>، بيد أنّ الواضح والأكيد أنّ البلاغة الجديدة بلاغات متعدّدة، وأنّ أكثر فروعها نضجاً هي بلاغة الحجاج، وبلاغة الصّور (أو بلاغة الشّعر)، وبلاغة التلقّي، والبلاغة المقارنة، والبلاغة المرئية، وبلاغة الجمهور وغيرها<sup>10</sup>.

الآن نعود للحديث عن الجمهور، فهو مصطلح أساس في مشروع بلاغة الجمهور، ويقابله مصطلح "المستمع" في مشروع البلاغة العامّة، وهما مشروعان كبيران يمثّلان صورة واضحة لاجتهادات البلاغيين المعاصرة في الثقافة العربيّة.

لقد برز مفهوم الجمهور في الجهود التراثيّة البلاغية الغربيّة والعربيّة؛ فهاهو في فكر أفلاطون يرتبط بنظرته العدائيّة للبلاغة، والنظرة السلبيّة للجمهور الذي يتلقّى الخطابات البلاغيّة؛ فكان يتصوّر البلاغة أداة تؤثّر في الجماهير أو الحشود التي في نظره لا تعرف الحقيقة التي يعرفها الفلاسفة، ومنه يرى " أن التخلّص من الخداع والتضليل اللذين يمارسهما البلاغيّون للاستحواذ على السّلطة يتحقّق عن طريق التخلّص من البلاغيّين، وإحلال الفلاسفة محلّهم"<sup>11</sup>، فنظر لجمهور الخطابات نظرة سلبية؛ إذ إنّ "فنّ الخطابة بأكمله هو فنّ قيادة النفوس بواسطة الأحاديث"<sup>12</sup>، والقيادة هنا معناها افتقاده الكفاءة النقدية، وانصياعه وإذعانه للخطباء في البلاغتين السياسيّة والقضائيّة بالخصوص.

لقد كان تركيزه على التّلاعبات الواردة في الخطابات الجماهيريّة في أثينا القديمة التي كان التّواصل الجماهيريّ فيها محدودا بضوابط الإمكانيات الفيزيائيّة للصّوت البشريّ، في مجتمع بسيط آنذ، وتصديّه للتّلاعبات الخطابيّة السياسيّة، وفي إطار مقاومة التّلاعب بعقول البشر.<sup>13</sup>

أمّا أرسطو فتترشّح نظره للجمهور من خلال تعريفه للخطابة التي هي في تصوّره "قوة تتكأّف الإقناع الممكن في كلّ واحدة من الأمور المفردة"<sup>14</sup>، ويكون الهدف الأسمى هو التّأثير في المخاطب وإقناعه بالحجج المنطقيّة التي يتضمّننها الخطاب (اللوغرس)، وتخاطب العقل، وإمّا إقناعه بأخلاق الخطيب وهيئته (الإيتوس)، وإمّا إقناعه بالأهواء التي يهدف الخطيب إلى إثارتها في المخاطب (الباتوس)<sup>15</sup>.

### بلاغة الجمهور العهد الجديد:

قلنا إنّ "بلاغة الجمهور" ظهرت كتوجّه بلاغيّ عربيّ جديد يرنو إلى توجيه البحث البلاغي صوب استجابات الجمهور في مواقف تواصلية عامّة، ودراسة طرق إنتاج الخطاب الذي يستجيب له، وأشكال أدائه وتداوله، مادّته هي الخطابات الجماهيريّة، وموضوعه دراسة الكيفية التي تستعمل بها هذه الخطابات اللّغة، وأثر ذلك في استجابة المخاطب، وسبل تعديلها وتطويرها لتحقيق اتّصال حرّ<sup>16</sup>، ومن أجل ذلك اقترح عماد عبد اللطيف مشروعاً جديداً سعى فيه إلى تطوير البلاغة العربيّة المعاصرة، فقسم البلاغة، بدءاً، إلى ثلاث شعب هي<sup>17</sup>:

- 1- البلاغة القرآنيّة، مادّتها القرآن الكريم، وموضوعها الأبعاد البلاغية له، ووظيفتها: تفسير إعجازه البلاغي، والمساهمة في تفسير.

- 2- البلاغة الأدبية: مادتها النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، وموضوعها الخصائص الجمالية لها، ووظيفتها استنباط تلك الخصائص وتحليلها.
- 3- البلاغة الإنشائية: مادتها اللغة الموظفة في الحياة اليومية، لتحقيق الإقناع أو التأثير، وموضوعها إنتاج الكلام البليغ، ووظيفتها وضع معايير له، وتقديم إرشادات تمكّن المتكلم من إنتاجه، وهي "معنية بالمخاطب بوصفه الغرض الذي تستهدف السيطرة عليه، لكنها بوصفها ممارسة علمية لا تقوم بخدمة المخاطب، بل تهدف، أولاً وأخيراً، إلى خدمة المتكلم الذي يرغب في التأثير في المخاطب أو التغلب عليه"<sup>18</sup>. وبالتالي، فالبلاغة الإنشائية تركز في الواقع على المتكلم وكلامه، أي هي أداة تدعم سلطوية المتكلم، وتمكّنه من إنجاز السيطرة على المخاطب والهيمنة عليه في كثير من الصور.

إنّ "المعارف تستمدّ شرفها من شرف المادة التي تدرسها، فلم يغامر علماء البلاغة العرب بتعرّض علمهم للتدنيس بدراسة كلام الغوغاء والعامّة ونصوصهم، ولم يُعَنَّ الدرس البلاغي بخطابات الحياة اليومية ونصوصه، ناهيك عن الاهتمام بالأدب الشعبي"<sup>19</sup>، وعليه أضاف عماد عبد اللطيف قسماً رابعاً، في إطار مشروعه التنويري الجديد، فسماه بلاغة المخاطب، ليعدل عنه لاحقاً إلى مسمى: "بلاغة الجمهور".

إنّ الجمهور طرف فاعل في العملية التواصلية، من خلال مشاركته في عملية إنتاج معنى نصّ المتكلم بواسطة التفسير والتأويل، كما له القدرة على إدخال تغييرات جوهرية على النصّ من خلال استجاباته له، أي إدخال تعديلات على نصّ المتكلم الذي يمكن أن يكون خطاباً سلطوياً يستهدف السيطرة على المخاطب، في نطاق التسليم المطلق، وقد يكون خطاباً غير سلطويّ يستهدف تحريره، في نطاق الحقّ في المساواة، وهي استجابة فعّالة ومؤثّرة، لها وقعها في ساحة الخطاب العامّ.

إنّ الفرق بين البلاغتين: بلاغة الجمهور و البلاغة الإنشائية (بلاغة المتكلم) تكمن في أنّ الأولى "تحاول ارتياد طريق معاكس للدّرس البلاغي التقليدي، من زاوية التّركيز على استجابات جماهيرية مجهولة المؤلّف، متعدّدة العلامات، متداولة في فضاءات عامّة مفتوحة، بواسطة مقارنة نقدية تسعى لتعرية التّلاعب"<sup>20</sup>.

### عصر استجابات الجمهور:

لا غرو أنّ التّغييرات الهائلة والمتسارعة، في ظلّ العولمة والتّطوّر التّكنولوجي، وانفتاح العالم على مصراعيه، أثّرت كثيراً وبشكل قويّ على العملية التواصلية بين الأفراد والجماعات؛ إذ تحوّل الجمهور من مجرد متلقّ سلبيّ لوسائل الإعلام الجبّارة، إلى جمهور فاعل وطرف محوري، ولم يعد مستمع الإذاعة أو قارئ الجريدة، أو مشاهد التلفزيون، أو

متصفح الانترنت، متلقّ مفسّر وحسب، بل تجاوزه إلى حيازة القدرة على نشر رأيه، وتبيين موقفه، في صورة استجابات خطابية مباشرة آنية، أو موازية له، فتضيف إليه أو تغيّره، أو تكون على هامش فتقدّم خطابها الخاصّ الذي قد لا يكون له علاقة بالخطاب الأصلي<sup>21</sup>.

فمن قبيل الاستجابات اللفظية: الهتاف، والأناشيد، والأغاني، والنكت، والتعليقات، ومن قبيل غير اللفظية: التصفيق، والصّفير، والهمهمات، وتجمّع الحشود، ورسوم الجدران، ومنها ما يجمع بين النمطين مثل: اللافتات، والمقاطع المصوّرة، وغيرها من أنماط الاستجابات غير المحصورة، لحدّثة هذا الاتّجاه البلاغي المعاصر.

### بلاغة الجمهور وعلم البلاغة الاجتماعي:

بلاغة الجمهور هو مشروع يساهم في تشكيل وعي نظري وإجرائي يعمل ولو جزئياً على تأسيس ما يعرف بـ "علم البلاغة الاجتماعي" الذي يهتم بتحليل الظاهرة الاجتماعية، وتأثيرها في المجتمع؛ يقول صلاح حسن حاوي: إنّ "إهمال بعض الخطابات المؤثرة في المجتمع يعدّ عيباً في منظومة القراءة، حتّى وإن كانت تلك الخطابات غير مندرجة في قائمة النّخبة، لكنها مندرجة في قائمة التأثير شئنا أم أبينا"<sup>22</sup>، وهي دعوة أخرى من باحث متخصص آخر إلى إبراز الوظيفة الاجتماعية للبلاغة والعناية بها؛ فهناك علاقة وطيدة بين البلاغة والمجتمع، وما ينتج من خطابات معاصرة تسعى إلى تغيير واقع المجتمع، والحاضن لهذه العلاقة هو العلم المقترح "علم البلاغة الاجتماعي" الذي ينسجم مع طبيعة الخطابات، ووعي المخاطب. يقول صلاح حسن حاوي: "وقد وجدنا في بلاغة الجمهور اتّجاهاً بلاغياً معاصراً يساهم في تعزيز تلك العلاقة، ويدعم هذا الاقتراح"<sup>23</sup>. يعرف بأنّه فرع معاصر من فروع علم البلاغة، وظيفته دراسة البنيات البلاغية المتحكّمة بالمجتمع، والمتسرّبة في نظمها وأنساقها الاجتماعية والثقافية<sup>24</sup>.

إنّ تحسّس وظيفة اجتماعية للبلاغة، والدّعوة إلى هذا التّوجّه الاجتماعي أو البلاغي الجديد يتمظهر في صور عدّة؛ كحاجة الإنسان للبلاغة اجتماعياً بوصفه فرداً مشاركاً في مجتمعه؛ فالبلاغة أداة للتّوجيه الاجتماعي للأمة، كما يقول سلامة موسى<sup>25</sup>. وإنّ بلاغة الجمهور بما هي ممتدّة وشاملة لخطابات واسعة التّداول، لتعضّد التّواشج القوي بين تلك الخطابات، وقدراتها البلاغية في المجتمع، فلنأخذ مثلاً صورة الاحتجاجات الشعبوية نموذجاً؛ فهي تصنّف في بلاغة الجمهور كفعل بلاغي اجتماعي، وليس كفعل بلاغي جمالي تخيلي؛ حيث إنّ الرّفص والتّمرد والاحتشاد المناهض للسلطة، مفاهيم اجتماعية يمكن أن تُمارس من منظور سياسي أو ديني أو فكري أو غيرها، ليتأكد أنّ البعد الاجتماعي هو البعد الأظهر في كل أنماط الاحتجاجات وأشكالها، وكنموذج عن الاحتجاجات العربية المعاصرة نجد ما يسمّى بالرّبيع العربي الذي مسّ عدّة دول عربية، بدءاً من أواخر سنة 2010م، وليجّد الخطابات فيها، مع بعض التّفاوت بينها من دولة لأخرى، ولعلّو سقّف المطالب (التّحّي)، ولطول

مدّتها، نسبيًا، صاحب هذه الاحتجاجات الجماهيرية خطابات على أرض الواقع، وخطابات افتراضية، فتتوّعت الوسائط بين وسائط تقليدية كالتواصل المباشر، والمنشورات، والمطبوعات، والإذاعات، والقنوات المسموعة والمرئية، ووسائط جديدة هي فضاءات افتراضية تصدر الاحتجاجات السياسية والأفعال السياسية.

وكان أن هيمنت في أحيان كثيرة على الوسائط التقليدية الأخرى، حتى وُصفت بـ: ثورات الفيسبوك، والرّبيع الرّقمي. كلّ هذه المادّة الضخمة من الخطابات لعبت دور المدوّنة العصرية التي وجد الباحثون والمشتغلون بتحليل الخطاب والبلاغة السياسية، واللسانيات السياسية وغيرها، صعوبات جمّة في تطويقها وحصرها نظرًا للكَمّ الهائل من البيانات والشعارات والخطابات ذات الصّلة، للحدّ الذي أظهر عراقيل كثيرة وتحديات معرفية كبيرة لأولئك الباحثين ومحلّي الخطاب العرب، ويعلّق عماد عبد اللطيف على القضية بقوله: "لم تقتصر على صعوبات متابعة هذا الطوفان من الخطابات العمومية، وتحليله، واستخلاص نتائجه، لكنّها تعدّت ذلك إلى الأبعاد المنهجية المتعلقة بكفاءة أدوات التحليل، وعملياته، وإجراءاته المستعملة في تحليل هذه الخطابات..."<sup>26</sup>. إضافة إلى صعوبات أخرى كالتنوّع العلاماتي الهائل، وتمازج الكلمة مع الصورة والموسيقا والحركة واللون والرّمز والصّوت. وهذا التنوّع العلاماتي فرض على المحلّين والدّارسين لهذا الخطاب تنوعًا مماثلاً في أدوات التحليل.

لقد سعت بلاغة الجمهور إلى تمكين الجمهور من مقاومة الخطابات السلطوية التي تهدف بالأساس إلى خدمة المتكلم (فرض هيمنته أو سيطرته أو تلاعبه) والوصول به إلى تفعيل الإقناع والتأثير، وتحولت بالتالي النظرة للجمهور من النظرة السلبية والطرف الأضعف في التواصل الجماهيري، وهذا منذ القديم (الجماهير هي حشود من الغوغاء، والفوضى، وسلوك القطيع في الإذعان، الميل للعبودية، افتقاد العقلانية والرّجاحة)، ومنه لاسبيل لتوقّع استجابات بليغة فعّالة عاقلة من هذه الجماهير وفق هذا التّصوّر.

لقد ساهمت بلاغة الجمهور في توجيه أنظار الدّارسين، خاصة الأكاديميين، نحو هذا النسق من المدوّنات، فمنحتها الأدوات والمنهجية لتحليلها، لاسيما الجوانب التي لم تعتد بحثها كـ: التّصفيق، والصّفير، والهتاف، والتّشويش...<sup>27</sup>.

### إجراءات بلاغة الجمهور (حشود المحتجّين) وأدواتها:

إنّ مثل هذه المقاربة تفترض أكثر من منهج، وتتطلّب أكثر من أداة، وتنتفتح على أكثر من حقل معرفي؛ فمثلاً عند دراسة لاقتة في ميدان الاحتجاجات نحتاج إلى أدوات تحليل من البلاغة المرئية، ومنهجيات تحليل الخطابات متعدّدة العلامات (كتابة ورسوم وأشكال ورموز...)، وعند دراسة صور الصّراع بين الخطابات الصّادرة من المحتجّين، نحتاج إلى

أدوات ومفاهيم من صميم علم اللغة الاجتماعي، ونتائج الدراسات السردية، (كمفاهيم باخيتين عن الانتقاد المضمّر والمظهر)<sup>28</sup>.

## الخاتمة:

في الأخير نقول إنّ البحث في هذا النّسق البلاغي الجديد هو إسهام في تاريخ البلاغة الرّاهنة، وهو لا يزال في حاجة إلى تضافر جهود أهل الاختصاص، ليستوي علماً ناضجاً مكتمل الأركان، واضح الزّوايا والأدوات، وإنّ بلاغة الجمهور أقامت وشائج معرفيّة طيّبة وعميقة مع كثير من العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، وأظهرت مرونة وليونة في انسجامها والتّغيّرات المتسارعة الحاصلة في العالم اليوم في عصر استجابات الجماهير، كما توصي الدّراسة بضرورة الولوج والتّعمّق أكثر في البلاغات الجديدة الأخرى التي لم تأخذ حقّها بعد من البحث والاستزادة فيها، مثل البلاغة المعرفيّة، وبلاغة العلم، وبلاغة الاقتصاد، والبلاغة الحاسوبية، واتّجاهات بلاغة الأنواع غير الأدبيّة المستحدثة، كرسوم الجدران، والمختصرات الإعلانيّة، والتّغريدات، والمدوّمات وغيرها.

## الهوامش والإحالات:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، تح. عبد الله علي الكبير آخرون، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، مادة [ج م هـ ر]، 690/6.
- 2 - عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة- مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط2، 1442هـ/2021م، ص389.
- 3 - ينظر: بو عافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة - قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، (د.ط)، 2018م، ص29.
- 4 - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2012م، ص28.
- 5 - ينظر: محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2013م، ص18.
- 6 - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 28-29.
- 7 - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1977م، ص48.
- 8 - ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1994م، ص354.
- 9 - ينظر: عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2010م، ص28/1.
- 10 - ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة، ص610.
- 11 - عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج:05، ع:03، 1429هـ/2008م، ص237.
- 12 - أفلاطون، محاوره فايدروس، تر. أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع والطبع، القاهرة-متر، (د.ط)، 2000م، ص85.

- 13 - ينظر: عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج:05، ع:03، 1429هـ/2008م، ص 240-244.
- 14 - أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1989م، ص9.
- 15 - ينظر: عادل المجداوي، (مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور")، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ع:06، 2019م، ص183.
- 16 - ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة، ص373.
- 17 - ينظر: نفسه، ص369.
- 18 - نفسه، ص372.
- 19 - عماد عبد اللطيف، (ماذا تقدّم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟)، ضمن كتاب: بلاغة الجمهور – مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صديقي، دار شهريار، العراق، ط1، 2017م، ص19.
- 20 - عماد عبد اللطيف، (بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي- بحث في البلاغة المهمشة)، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع:07-08، 2015م، ص200.
- 21 - ينظر: الحساني علي حسين، (بلاغة الجمهور المفهوم والإجراء)، مجلة العلامة، الجزائر، مج:06، ع:02(خاص)، 2021م، ص147.
- 22 - صلاح حسن حاوي، (تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة إلى تحليل الخطاب)، مجلة فصول، محور: آفاق البلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج:26/4، ع:104، 2018م، ص221.
- 23 - صلاح حاوي، (الخطاب والمجتمع: نحو وظيفة اجتماعية للبلاغة)، مشروع مقترح منه لتأسيس علم البلاغة الاجتماعي منشور على موقع: <https://www.researchgate.net/project/altasys-Ilm-blaghy-ajtmay> ، ص1. تاريخ الولوج: 2022/04/20م، 21:00
- 24 - ينظر: نفسه، ص15.
- 25 - ينظر: سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، منشورات سلامة موسى، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1964م، ص54.
- 26 - عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، ص530.
- 27 - ينظر: نفسه، ص533-534.
- 28 - ينظر: نفسه، ص536.

## المصادر والمراجع:

1. أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1989م.
2. أفلاطون، محاورة فايدروس، تر. أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع والطبع، القاهرة- مثر، (د.ط)، 2000م.
3. الحساني علي حسين، (بلاغة الجمهور المفهوم والإجراء)، مجلة العلامة، الجزائر، مج:06، ع:02(خاص)، 2021م.
4. سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، منشورات سلامة موسى، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1964م.
5. صلاح حاوي، (الخطاب والمجتمع: نحو وظيفة اجتماعية للبلاغة)، مشروع مقترح منه لتأسيس علم البلاغة الاجتماعي منشور على موقع :



6. صلاح حسن حاوي، (تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة إلى تحليل الخطاب)، مجلة فصول، محور: آفاق البلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 26/4، ع: 104، 2018م.
7. عادل المجداوي، (مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور")، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ع: 06، 2019م.
8. بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة – قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، (د.ط)، 2018م.
9. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1977م.
10. عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2010م.
11. عماد عبد اللطيف، (بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي- بحث في البلاغة المهمشة)، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع: 07-08، 2015م.
12. عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج: 05، ع: 03، 1429هـ/2008م.
13. عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة- مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط2، 1442هـ/2021م.
14. عماد عبد اللطيف، (ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟)، ضمن كتاب: بلاغة الجمهور – مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صديقي، دار شهريار، العراق، ط1، 2017م.
15. عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج: 05، ع: 03، 1429هـ/2008م.
16. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1994م.
17. محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2013م.
18. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2012م.
19. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير آخرون، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

الاسم واللقب : ليلى جغام

الصفة : أستاذ محاضر "أ"

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد خيضر – بسكرة

الهاتف والبريد الإلكتروني : 0657563784 – [l.djegham@univ-biskra.dz](mailto:l.djegham@univ-biskra.dz)

محور المداخلة : المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : المفاهيم المحددة للبلاغة الجديدة – قراءة في كتاب "الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة" لأمينة الدهري

الملخص :

يتحدّد مضمون المداخلة التي نسعى إلى تقديمها في هذا الملتقى في الحديث عن المفاهيم المحددة للبلاغة الجديدة من خلال قراءة تقوم بها لأحد المصنّفات الحديثة الذي عقد موضوعه معنونا بـ " الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة لأمينة الدهري"، وذلك لهدف معرفة المزيد عن مضامين هذا العلم ومصطلحاته عند أهم من تناوله بالبحث والدراسة .

ولتحقيق ذلك عمدنا إلى تناول هذا الكتاب بالقراءة والتفحص لبيان أهم ما ورد فيه، من خلال مجموعة من العناوين التي نستبين تفصيلها في نص المداخلة .

مقدمة :

تتناول هذه المداخلة المحدّات الأساسية المكوّنة لمفهوم البلاغة الجديدة التي قدّمتها أمينة الدهري من خلال قراءة في كتابها الموسوم "الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة"، وهو موضوع يندرج تحت محور من محاور هذا الملتقى هو محور ( تلقي البلاغة الجديدة في الدرس اللغوي الحديث )، لأنّ صاحبة الكتاب اتخذت من عناصر ( الخطيب، الجمهور، الخطاب ) أو ما أسماه أرسطو ( الإيتوس، الباتوس، اللوغوس ) بوصفها وسائل تخدم المقاصد الخطابية، بالتالي لها دور في إذعان المتلقي لرأي ما أو توجيهه وجهة ما .

وتتحدّد عناصر هذه المداخلة في عدد من المفاهيم نضمّنها في ما يأتي من المداخلة لتصل إلى فكرة مفادها تحديد المكونات الأساسية لمفهوم هذا العلم ( البلاغة الجديدة ) .

1 – مضمون الكتاب :

إذا تصفّحنا الكتاب وجدنا أنّ صاحبه قد قسّمته باعتبار العناصر الأنفة الذكر إلى ثلاثة فصول صدّرتها بمدخل نظري عنوانته بـ " الحجاج البلاغي : تحديّات أولية "، أمّا

الفصول، فوسمت الفصل الأول بـ " الخطاب "، والفصل الثاني بـ " الخطيب "، والفصل الثالث بـ " المخاطب " .

وكانت في كل فصل تبدأ بتعريف مصطلحه المحوري، ثمّ تمثّل له بنموذج من التراث العربي بما يناسب مفاهيمه، ففي الفصل الأول مثلاً تعرّف الخطاب، ثمّ تتخذ من الخطاب الساخر نموذجاً، تعرّف به وبمكوناته الفلسفية، والبلاغية، والتداولية، والحجاجية، تدريجاً، لأنّ كلاً منها يوصل إلى الآخر، ثمّ تتخذ من الجاحظ وأبي حيان التوحيدي مثالين لهذا النوع من الخطاب فصّلت فيهما .

وجعلت الفصل الثاني موسوماً بـ "الخطيب" أو الإيتوس، وبعد أن عرّفت بالمصطلح، مثّلت له من كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم، وأشارت في ذلك إلى أن ابن حزم في هذا الكتاب اتّخذ من الحب قضية جدل لفقهاء عصره، من حيث التمثيل بنماذج من الذاكرة الشعرية العربية وكذا التعالق بين أجزاء الخطاب، ثم خصّص الفصل الثالث للمخاطب، ومثّل من خلاله لنص الرؤيا للمختار السوسي كنوع خطابي تتكامل عناصره ( الرائي والمرئي وخطاب الرؤيا )، ويقرن ذلك بفعل الحجاج بعدّ الرؤيا تتضمن الأطروحة والأطروحة المضادّة في علاقة تقابل كما هو حال العملية الحجاجية، لأن الأشياء بأضدادها تتّضح وتفهم .

وتختم أمينة الدهري كتابها بخلاصة في شكل تركيب واستشراف، فهي من جهة ترغّب عناصر بلاغة الحجاج ( البلاغة الجديدة )، في علاقة تراها بين الخطيب بكل استعداداته المعرفية والأخلاقية، وبين المخاطب بعدّه مكمّن تحريك الانفعالات وبين الخطاب مصدر الحجج وطرق بسطها، فهذه العلاقة الثلاثية تتضمن كل المفاهيم التي تعجّ بها البلاغة الجديدة وترسم حدودها (1)

وبتحديد الأنف تستشرف صاحبة الكتاب علاقات عدّة يربطها هذا المجال المعرفي مع علوم أخرى تستوضح ارتباطها ذاك من الفعل التأثيري للبلاغة، الذي يجعل من المخاطب منتجا آخر لخطاب جديد يستمدّ شرعيته من سابقه، ويؤدي هذا التداخل الخطابي بدوره إلى تداخل شبكة من العلاقات تربط البلاغة الجديدة مع أطر معرفية وعلوم مختلفة مثل السيميائيات وتحليل الخطاب وغيرها، وتشير أمينة الدهري أنّه على الرغم من ذلك تبقى البلاغة الجديدة تفتقر عن غيرها من الحقول المعرفية رغم اتصالها بهم وإفادتها منهم .

## 2 - أهمية الكتاب :

إن أهمية كتاب " أمينة الدهري " تكمن في كونه يندرج ضمن غاية تغيير النظرة إلى البلاغة وعدم ربطها بالجانب الفنّي والزخرف اللفظي فحسب، ومحاولة فتحها على آفاق

جديدة/قديمة بحيث تتحول إلى آلية لتحليل مختلف الخطابات، كم يطرح الكتاب عددا من المفاهيم المعلقة بالبلاغة الجديدة والعمل على توظيفها في تحليل عربية تراثية وحديثة .

وهذا الكتاب يمكن اعتباره قد جاء في أوانه لأن مجتمعاتنا العربية كانت في حاجة إلى هذه الأدوات التي توفرها البلاغة الجديدة وغيرها من المقاربات التداولية التي تتقاطع معها لاكتساب القدرة على تحليل الخطابات التي تغمرنا يوميا والإمساك بألياتها وفهم خلفياتها، بالتالي بيان حدودها .

### 3 - خلاصة عامة :

نخلص من هذا التفحص السريع لكتاب أمينة الدهري إلى أن الباحثة قد تلقت معارفها البلاغية من خلال اطلاعها على مضامين بلاغة أرسطو، وربما طعمتها ببعض ما جاء به بيرلمان وتيتيكا وغيرهما ممن تناولوا هذا الحقل المعرفي، وحاولت أن ترسم حدودا مفاهيمية للبلاغة الجديدة حصرتها في علاقة ثلاثية تضمن بحسب رأيها تحقق مضمون هذا العلم، الذي يسعى إلى إذعان المخاطب لرأي أو حكم يريده الخطيب أو منتج الخطاب بشكل عام، إذ العناصر الثلاثة التي دلّ عليها أرسطو بتسميات (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس) يرتبط كل منها بالآخر في علاقة يبذل فيها كل عنصر ما أوتي لتحقيق الغرض المنوط به، لتصل إلى أنّ البلاغة الجديدة هي علم قديم جديد، قدمه متعلق بمضمونه ومادته وجدته متعلقة بمصطلحاته وتسمياته .

فكتاب أمينة الدهري هذا هو شكل من أشكال تلقي البلاغة الغربية الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، مع أنّ جهدها هذا يحسب لها، لأنّه قد يكون منطلقا للبلاغة العربية الجديدة، خاصة إذا ربطناها بالتراث العربي القديم الذي يعج بعديد المفاهيم التي تتداخل مع ذلك كثيرا .

وأمانة الدهري في كتابها تقول بعبارة ما أنّ البلاغة الجديدة تتحدّد مفاهيمها الرئيسية على عناصر الخطاب الثلاثة التي أشار إليها أرسطو في حديثه عن البلاغة، وجاء ذلك متقاطعا مع ما راعاه بلغاء العرب من مستويات الكلام وطبقات المتكلمين والمتلقين، وقد ورد ذلك عند الجاحظ في كتاب " البيان والتبيين " في قوله : ( ومدار الأمر على الفهم والإفهام )، إذا الفهم مربوط بالمتلقي والإفهام مربوط بالمتكلم وكلاهما مربوط بالنص أو الرسالة .

---

(1) - ينظر : مجلة القدس : كتاب " الحجاج وبناء الخطاب " لأمنية الدهري : النص وآليات البلاغة الجديدة  
alquds.co.uk 24 أكتوبر 2011 يوم 15 أكتوبر 2022 على الساعة 12:25 ليلا .

بلاغة الارتياب عند إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي  
المحور الثاني: البلاغة الجديدة في التراث  
الدكتورة: ليلي غضبان<sup>1</sup>  
اقسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب واللغات والفنون/ جامعة زيان عاشور/  
الجلفة/ الجزائر.

[l.godbane@mail.univ-djelfa.dz](mailto:l.godbane@mail.univ-djelfa.dz)

معرف أوركيد:

<https://orcid.org/0000-0002-6096-8000>

### ملخص:

يقدم هذا البحث رؤيا جديدة؛  
تقوم على أن البلاغة لم تمتو لنتموت؛ لأن نموها البلاغية يعين فناء الإنسان، ويدعو إلى التحرر وبتجديد لدراسة البلاغة، فقد قد  
دمت مساهمات في تجديد هاتحو: بلاغة الحجاج، البلاغة التداولية، بلاغة السر، تحت مظلة البلاغات الجديدة،  
لكن هذا البحث يدرس البلاغة بمنزلة أوية مغايرة، حيث يطرر مجموعة إشكاليات.  
لكن البحث يركز على الوحدة بين الصور هي الأصل)  
مثلا لجنين يبدأ علاقة، فمضغة، ثم تبدأ الأعضاء والأجهزة في التخلق)، فليس من المعقول أن نفرق بين هذا بالأعضاء والأ  
جهاز؛ بل هي متلازمة متكاملة مع بعضها)  
والصور البيانية نفس النسق؛ والدليل أن نجد الاستعارة المكنية، المجاز المركب والاستعارة التمثيلية. يستند البحث إلى  
نظرية الكوانتمو فلسفتها الجديدة في حقل المعرفة، ويستثمرها لإعادة تجديد البلاغة مع التركيز على مفهوم  
الطفرة والارتياب عند النظام.  
الكلمات المفتاحية: بلاغة الكوانتم، اللغوية الوجود، الاستعارة، رؤية العالم.

### مقدمة:

تعلق البيان ( البلاغة )  
بكينونة الإنسان؛ فلا إنسان بلا بلاغة ولا بلاغة بلا إنسان، فهيجوهر إنسانيته، هاتكمنا أهمية الدرا  
سات البلاغية؛ فأبحث في هذا الحقل لمعرفة في هيجوهر الإنسان.  
قد لقيت البلاغة اهتماما كبيرا من مختلف الدراسات الإنسانية )

---

\*المؤلف المرسل: الدكتورة ليلي غضبان، l.godbane@mail.univ-djelfa.dz

أدب، فلسفة اللغة، علم النفس، علماء الاجتماع، علماء الدين...)، لكنها وصلت إلى المرحلة التي تهتم بالموت

يقدم هذا البحث ويأخذ جديدة؛ تقو معلباً أن البلاغة لم تمت ولن تموت؛ لأن نمو البلاغة يعني فناء الإنسان، ويدعو إلى الفتح وبجدية لدراسة البلاغة، فقد قدمت مساهمات جديدة هانحو:

بلاغة الحجاج، البلاغة التداولية، بلاغة السرد، تحت مظلة البلاغات الجديدة.  
لكن هذا البحث يدرس البلاغة بمنزلة أو بغيرها، حيث يطر حمموعة إشكاليات:

• أليس نمو البلاغة المزعم منتجاً لإبعاد بلاغة الحياة اليومية عن دائرة الاهتمام؟

• أليس نمو البلاغة المزعم تبطؤ عيال الإنسان، وكلمات طور وعيه تطور بالبلاغة فتتبعش وتتمو بد

لأنتموت؟

• إذا كانت البلاغة جوهر كينونة الإنسان، لماذا لا ندرسها وفق رؤية تقر ببيئة منجوهر الإنسان؛ أي أن الصور البيانية (التشبيه الاستعارة، الكناية، المجاز) في أصلها وجوه متعددة لشيء واحد؟

• تعودنا علماء الفصاحة والصور البيانية والتفر يقينها فنجد مثلاً:

التشبيه الحسيو التشبيه العقلي، التشبيه المفرود التشبيه المركب، المجاز المرسلو المجاز العقلي، الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية....

يرى الباحث أن وحدة بين الصور هي الأصل) مثلاً الجنين يبدأ علاقة، فمضغ ثم تبدأ الأعضاء والأجهزة في التخلق، فليس من المعقول أن نفرق بين هذها لأعضاء والأجهزة؛ بل هي متلازمة متكاملة مع بعضها) والصور البيانية نفسها المبدأ؛ والدليل أننا نجد الاستعارة المكنية، المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية.

يستند البحث إلى نظرية الكوانتمو فلسفتها الجديدة في حقل المعرفة، ويستثمرها لإعادة تجدي البلاغة. كما يعتمد البحث على عينة بحثية بلاغية من الحياة اليومية والنصوص الأدبية. المنهج المتبع هو المقاربة الظاهر اتية.

أولاً: البلاغة:

1 معجمياً:

«ورد في لسان العرب " بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، (...). والبلاغة: الفصاحة، والبُلغُ والبُلُغُ: البليغ من الرجال. ورجل بليغ وبلغٌ وبلغٌ: حسن الكلام فصيح يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، ...»(ابن منظور، صفحة 347/345) للبلاغة هنا تستلزم حضور: الانتقال، اللسان، القلب، التفاعل. فكلمة البلاغة لها أبعاد مختلفة (احتمالات).

## 2 اصطلاحا:

يقول حازم القرطاجني: «وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في زمن القريب. وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها! وإنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه (...). إذا كانت هذه الصناعة تتشعب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة.

فقلما يتأتى تحصيلها كله أو أجله. وليس هذا تفضيلا لصناعة البلاغة على غيرها من العلوم»(القرطاجني، 1986، صفحة 88) هذا التعريف للقرطاجني يؤكد الجوهر النسبي الاحتمالي للبلاغة.

## 3 البلاغة رؤيا العالم:

لا يمكن فهم جوهر البلاغة بعيدا عن اللغة، يقول همبولت: «اللغة في جوهرها، شيء يختفي في كل لحظة باستمرار (...). إنها ليست عملا، وليست نتاجا ميتا، بل نشاط، أي أنها عملية الإنتاج نفسه(بوتيينيا، 2020، صفحة 57/56) فاللغة احتمالية نسبية، وهي إنتاج فعال كما أنه يرى «أن الفرق بين لغة وأخرى، لا يمكن في الصوت أو في العلامة، ولكن فرق في رؤية العالم أو آفاق العالم أو النظرة إلى العالم (...). إن الكلمات والقواعد تخضع للحس العام أو الحس المشترك...»(زواوي، 2005، صفحة 72) رؤية العالم يقصد بها الوعي ومادام الخيال يختلف، فالمجاز سيختلف، والبلاغة ستختلف، فالخيال «نشاط نفسي لدى الإنسان، تتولد أثناءه، عبر تحويل ما لديه من تجربة، صور حسية وذهنية جديدة، وبفضل الخيال لا يتمكن الإنسان من تصور ما هو موجود فعليا فحسب، بل وحتى ما يستحيل وجوده على أرضية الواقع(حسية، المعجم الفلسفي، 2009، صفحة 214)، فجوهر البلاغة نابع من جوهر الخيال، إنها غير محددة.

## ثانيا: الفينومينولوجيا:



استعمل هيغل (الفيينومينولوجيا) في كتابه (فيينومينولوجيا الروح) للتعبير عن تجليات الروح المختلفة في الوجود. تتكون (فيينومينولوجيا) من كلمتين: "فيينومين" و"لوغوس"، ويعني حرفيا علم الظواهر. و"الفيينومين" في معناه الإغريقي يفيد الظهور (...). أما "اللغوس" فهو عنده الكلام الذي يقوم بعملية الإظهار، فالفيينومينولوجيا يستجيب لمطلب إظهار المستتر في كنهه، أي إظهار المنسحب أو المنسي أو المقنع (لاند، 2001، صفحة 970)، والظاهرة هي ما يتراءى للوعي، فالفيينومينولوجيا تسعى إلى كشف الجوهر من خلال الوقائع العملية (اكتناه دلالات فكرية عن طريق الحدس) بوصفها نسقا.

يقول هرسل: «السمة الفارقة للفيينومينولوجيا أنها تحليل للماهية وبحث في الماهية في نطاق اعتبار نظري محض، وفي نطاق انعطاء بالنفس مطلق. تلك هي صفتها الضرورية، فهي تعزم أن تكون علما ومنهجيا يبين الممكنات: ممكنات المعرفة، وممكنات التقويم، ويبينها انطلاقا من أسس الماهية التي لها، إنما هي ممكنات مشكلة عموما، ومباحثها هي تبعا لذلك مباحث مهمة في الماهية» (هوسرل، 2007، صفحة 98) فالماهية هي محور الفيينومينولوجيا من خلال الرؤيا، وكل معرفة تبدأ بالتجربة.

تحتل اللغة بمكانة مهمة في الفيينومينولوجيا، يقول ميرلوبونتي: «إن كان الأمر يتعلق بشخص مجهول لم ينطق بعد اتجاهاً بكلمة واحدة، يبقى أن أعتبره يعيش في عالم آخر غير عالمي، لكن يكفي أن ينطق بكلمة (...) تلك صورته وأفكاره» (ponty, 1945, p. 414) فاللغة شرط التواصل مع الآخر (التنوعات).

«إن حدسي لذاتي على هذا النحو، هو الذي حولني إلى موجود في العالم (...) وبفضل تحول الأنا إلى موجود "في العالم" يصبح كل ما يخص الأنا، بل كل ما يخص هذه "الأنية"، متضمنا على شكل نفسي في روعي...» (Husserl, 1996, p. 159) هذا الكلام قريب من كلام هوبلوت، فاللغة ومنه البلاغة هي حكمة الوعي الإنساني. إن اللغة من أكثر المعطيات الإنسانية بعدا عن الآلية، فهي ليست بالشيء المتحقق كلية، وليس بإمكانها أن تحقق شيئا ما بشكل كامل، إنها ترمز وتشير أكثر مما تنجز وتجسد، فضمن الفضاء الممكن والمفتوح وانطلاقا من أفق الاحتمال والصدفة يمكنها أن تبلور أكثر المعاني إحياء في مسيرة الكينونة والوجود، وبذلك فإن اللغة لا يمكن أن تكون إبداعا إلا إذا توقفنا عن مطالبتها بتقديم تبريرات قبل أن نلحق بها، بل

يجب علينا ترك الكلمات وكل طرق التعبير تكتسي تلك المعاني الجديدة حسب السياق» (Ponty، 1945، صفحة 204) اللغة احتمالية متجددة، وكذا الأمر للبلاغة، فنحن لا نعبر لتواصل مع الآخر، بل لنعبر عن وجودنا، أنا بليغ أنا موجود.

يحيل ميرلو بونتي في كتابه (فينومينولوجيا الإدراك) أن اللغة تحمل معاني متعددة، وهي لا تفرض التفكير إنها تعمل على تحقيقه ولا وجود بالتالي لفكر بلا كلمات (...) فالإنسان يمكن أن يتكلم تماما بمثل الطريقة التي تجعل المصباح الكهربائي يتوهج» (Pontu، 1960، p. 97) هنا ربط بين اللغة/الفكر والضوء، وهذا ما سيتم شرحه لاحقا في نظرية الكوانتم والاستعارة.

### ثالثا: البلاغة فلسفة:

#### 1 العلاقة بين البلاغة والفلسفة:

كانت العلاقة بين البلاغة والفلسفة وطيدة دائما، في التراث العربي تجلت هذه العلاقة في علم الكلام من خلال دراسة الإعجاز القرآني الذي محوره بلاغة القرآن «والحق أن البلاغة إذا انتزعت منها الأبعاد الفكرية والفلسفية، فإنها لا يبقى منها سوى مهارة التقاط الوجوه البلاغية التي ربما لا يشعر كثير من قراء الأدب بأنها مهمة (...) إن لم نقل إنه يعوقه عن الاستغراق في النص وفهمه، ويمنعه من أن يثير الأسئلة الأهم حول تجاوب النص مع خبرات الحياة واهتمامها» (توفيق، 2013، صفحة 50) وهذه نقطة يراها المقال مهمة جدا، فعدم تفاعل الباحثين في البلاغة مع خبرات الحياة والمعارف المتجددة، سيضعف الدرس البلاغي، لهذا كانت دعوة المقال إلى استثمار نظرية الكوانتم كرؤيا جديدة للبلاغة.

عند مقارنة آراء المتكلمين نجدها مختلفة، صحيح أنهم «اتفقوا على بلاغية الإعجاز، ولكنهم لم يتفقوا أو يستقروا على بعض المبادئ الفرعية التي تقوم البلاغة على دراستها، ومن أهمها وأخطرها مبدأ المجاز، ذلك أن المجاز كان مفهوما ضروريا لمن يطالب بتأويل النص القرآني، شأن المعتزلة (...) ورأى خصومهم أن ينكروا المجاز إنكارا حتى يسقطوا النهج المعتزلي بأكمله» (توفيق، 2013، صفحة 52/51) نفي المجاز هو نفي للبلاغة، فالخيال ينتج المجاز، والبلاغة تدرس هذا المجاز، ومنه فإن نفي المجاز نفي للإعجاز البلاغي. ومن جهة ثانية هذا تأكيد لفكرة نسبية واحتمالية البلاغة، فهي علم احتمالي.

البلاغة ليست تلك القوالب الجاهزة، وإنما البلاغة إحساس باللغة وإدراك (عقلي/حسي) متجدد لها«وما إن يعني الدارس أن البلاغة تنبه له حواسه، تدريبها، تنمي تبصره بها ويعملها، حتى يجد السؤال الإنساني عن طبيعة علمنا وإحساسنا سؤالاً فكرياً تحمله تقنيات البلاغة كلها في رحمها (...)» ولعل دارسي البلاغة يعون جيداً أن البلاغة في بعض مستوياتها، تأمل لوجود الإنسان، بقدر ماهي تأمل للغته التي يصوغ بلاغته بها، وبقدر ماهي تأمل لأشكال الاتصال الإنساني الفعال«(توفيق، 2013، صفحة 54) ومنه فإن البلاغة وعي بالوجود، أنا بليغ إذن أنا موجود.

ليس شاذاً أن تدرس البلاغة من منظور فلسفة الكوانتم، وإنما هذا هو المنطقي والطبيعي، لأن نظرية الكوانتم في عصرنا الحالي تشكل الوعي الإنساني، ف«الوعي كلمة تعبر عن حالة عقلية يكون فيها العقل بحالة إدراك وعلى تواصل مباشر مع محيطه الخارجي عن طريق منافذ الوعي التي تتمثل عادة بحواس الإنسان الخمس. كما يمثل الوعي عند العديد من علماء النفس الحالة العقلية التي يتميز بها الإنسان بملكات المحاكمة المنطقية، الذاتية (الإحساس بالذات) (subjectivity) والإدراك الذاتي (self-awareness)، والشعورية (sentience)، والحكمة أو العقلانية (sentience)، والقدرة على الإدراك الحسي (perception) للعلاقة بين الكيان الشخصي والمحيط الطبيعي له»(حسيية، المعجم الفلسفي، 2009، صفحة 694) فالمعارف الإنسانية، هي تغيرات على مستوى الوعي.

## 2 استثمار لفلسفة ليبنتز:

يرى هذا المقال أن فلسفة ليبنتز قريبة لتوضيح الرؤيا إلى بلاغة الكوانتم، «... العقل الإنساني، فهو بسيط لا يقبل القسمة، وهو غير مادي، (...)» والذي يميز مواندة العقل الإنساني عن سائر المواندات هو طبيعة إدراكاتها، وهناك جزء من هذه الإدراكات يدخل في شعورنا، ويطلق ليبنتز على هذا الشعور أو هذه المعرفة التي تحصل لنا من إدراكاتنا اسم (الوعي) apperception...»(ليبننتز، 1978، صفحة 35).

العقل هو المبدأ الأعلى لحياة الإنسان، ونجد ليبنتز يعتمد (التناسق الأزلي pre-established harmony) «... إذا كانت هذه الذرات الروحية التي يتألف منها الكون بأسره عبارة عن عوالم صغيرة مستقلة، لا يؤثر بعضها في بعض، فيماذا تعلل هذا النظام الدقيق الذي يشمل الوجود إن لم يكن بين جزئياته تألف وانسجام؟يجيب

"اللينتز" على ذلك بأنه قانون التناسق الأزلي، فقد ركبت تلك الذرات منذ الأزل، بحيث تسير الواحدة موازية للأخرى. وعلى الرغم من تفرقها وانفصالها فهي تعمل جميعا في توافق دقيق، حتى لتبدو كأن بعضها يعتمد على بعض (...). وبهذه النظرة نفسها عالج "اللينتز" العلاقة بين العقل والمادة أي بين الروح والجسد. فالروح يتبع قوانينه الخاصة، والجسد كذلك يتبع ماله من قوانين، دون أن يؤثر أحدهما في سير الآخر، فهما يتلاقيان في تناسق بلغ من الدقة حدا بعيدا يستحيل معه الخطأ» (محمود و أمين، 2017، صفحة 103/102) هذا التناسق يستثمره المقال في جانب (اللفظ/المعنى) والصور البلاغية، خاصة الاستعارة التي ستكون محور التطبيق.

نجد هذه الفكرة أيضا عند محيي الدين بن عربي؛ حيث يقول: «فإني نظرت إلى الكون وتكوينه.. وإلى المكنون وتدوينه.. فرأيت الكون كله شجرة» (ابن العربي، 1985، صفحة 42/41) فالكون متعلق مع بعضه البعض، وكذا المعرف الإنسانية.

" theunity of being

Treedifferentapproashes are necessary for under standing the unity of being. Theris a unity of essence a unity of attributes and unityofaction"(Ibn Arabi, 2012, p. 58)

فمواضعالشجرةالمختلفةضروريةلفهموحدةالوجود،إنوحدةالجوهرهيوحدةالصفات ووحدةالفعل، هذه الاستعارة تنطبق على البلاغة فالبلاغة كالشجرة المتفرعة، لها جوهر واحد.

#### رابعاً: نظرية الكوانتم وفلسفتها:

نظرية الكوانتم من أهم النظريات العلمية المعاصرة التي أبرزت رؤى جديدة عن أسرار المادة، وكان رائدها الألماني (ماكس بلانك) «فقد شهد عام 1900م ظهور كشف بلانك لكم (الكوانتم)، وكانت هذه المصادفة أوضح الأمثلة تعبيراً عن التغيير الجذري الذي طرأ على فهمنا للواقع الفيزيائي في القرن العشرين. فلكي يفسر بلانك القوانين التي تم الاهتداء إليها تجريبياً بالنسبة إلى صدور الإشعاع، وضمنه الضوء، يخضع لتحكم أعداد صحيحة، أي أنه يسير تبعاً لأعداد صحيحة لوحدة أولية للطاقة، أطلق عليها اسم الكم (الكوانتم quantum). فتبعاً لرأيه تكون الطاقة مؤلفة من وحدات

أولية، هي الكمات *quanta*، وحيثما تنبعث الطاقة أو تستوعب ينقل كوانتم واحد أو اثنان أو مائة كوانتم، ولكن لا يكون هناك أبدا جزء أو كسر من الكوانتم، فالكوانتم هو ذرة الطاقة، ولكن مع ملاحظة أن حجم هذه الذرة، أي كمية وحدة الطاقة، تتوقف على طول موجة الإشعاع الذي ينقل به الكوانتم، فكلما كان طول الموجة أقصر كان الكوانتم أطول...» (ريشنيباخ، 2017، صفحة 155/154) وهكذا تتابعت الأبحاث في نظرية الكوانتم من قبل مجموعة من العلماء « فأصبح من المعترف به أن الحادث الذري المنفرد لا يتحدد بقانون سببي، بل يخضع لقانون احتمالي فحسب، واستعيض عن فكرة "إذا كان... فإن" التي عرفتها الفيزياء الكلاسيكية، بفكرة «...إذا كان... فإن... في نسبة مئوية معينة» (ريشنيباخ، 2017، صفحة 158)، ومنه نطرح السؤال: هل تحديد صورة بلاغية معينة هو تحديد نهائي؟ ألا يمكن أن تكون صورة مزيجا بين صورتين (استعارة/كناية... إلخ)؟ هذا ما سيدرسه المقال في الاستعارة الكوانتمية، بمعنى لا توجد صورة صافية حتمية، بل مزيج (نسبية).

كانت نقطة التحول في تطور نظريات الضوء والمادة؛ هي فكرة تقدم بها العالم الفيزيائي الفرنسي لويس دي برولي *louis de broglie* في الوقت الذي كان فيه علماء الفيزياء يكافحون من أجل حل مشكلة ما إذا كان الضوء مؤلفا من جزيئات ومن موجات معا، بل لقد بلغت به الجرأة إلى حد نقل هذه الفكرة إلى ذرات نظرية رياضية يكون فيها كل جزيء صغير من المادة مقترنا بموجة. وهكذا حل محل «إما... وإما...» فكرة (معا) (ريشنيباخ، 2017، صفحة 156) هنا نطرح نظرة جديدة للفظ والمعنى؛ الألفاظ عبارة عن أصوات (أمواج صوتية) مركبة مع بعضها (جزيئات)، ومنه ألا يمكن أن تكون المعاني ذات طبيعة موجية؟ وهنا يقصد (الصور البيانية)، وتركيبية (تتراكب المعاني مع بعضها البعض)؛ وأن الفكر ذو طبيعة موجية؟ لأن المعرفة ارتبطت بالضوء أسطوريا (بروميثيوس وسرقة النار)، (العلم والنور) لدى مختلف الحضارات الإنسانية؟ ومنه ألا يمكن أن تدرس الصور البيانية من هذه الزاوية الكوانتمية، فهي تراكيب (جزيئات) وأمواج (طاقة)؟ فنعيد النظر في نظرية النظم البلاغية من هذا المنظور الموجي، خاصة وأن الشعر العربي ينطلق من سردية الموجة (الماء، الضوء، الصوت، الهواء).

### خامسا: الأمواج في الكون:

#### 1 الصوت:

يعرفها ابن جني: «أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها» (ابن جني، 1955، صفحة 33) والآن من باب مبدأ التناسق الأزلي، وحفظ الطاقة، ولكل فعل ردة فعل فإننا نستنتج: الأصوات = الأغراض (المعاني).

ومنه فإن طبيعة الأصوات = طبيعة المعاني، فما هي طبيعة الأصوات؟

«إن الموجات الصوتية في الهواء هي عبارة عن سلسلة من التغيرات في ضغط الهواء يمكن للأذن البشرية أن تلتقطها كصوت، والمقصود بضغط الهواء هو الضغط الجوي الموضوعي ويكون عادة ثابتاً...» (كرجية، 2000، صفحة 34).

فما نسمعه عبارة عن موجات، وما نراه عبارة عن موجات، والشمس لها أمواج طاقة «وعلى الرغم من التباين الظاهر بين مختلف أنواع الموجات، إلا أن جميعها تشترك بسمة أساسية واحدة وهي أنها وسيلة لانتقال الطاقة (...) تنتقل الطاقة في الطبيعة من موقع إلى آخر بطريقتين: الأولى: تتم بواسطة انتقال المادة والثانية تتم بواسطة انتقال الموجة (أو الحركة الموجية)» (كرجية، 2000، صفحة 13) فالصوت طاقة تعبر عن طاقة أخرى (المعنى)، ومنه فإن الصور البلاغية طاقة يمكنك مقاربتها من منظور الموجة.

## 2 ماهي الحركة الموجية؟

تعرف الحركة الموجية أنها «شكل من الاضطراب ينتقل من نقطة إلى أخرى عبر وسط مادي أو فراغ، والمقصود بالاضطراب هو نمط لحالة فيزيائية يولده مصدر متحرك...» (كرجية، 2000، صفحة 14) وهذا يتوافق مع تعريف البلاغة بمعنى (الوصول والانتهاج)، والأمواج الصوتية تدرج ضمن الحركة الموجية الميكانيكية. توجد خواص أساسية لحدوث وانتقال الحركة الموجية الصوتية، وهما خاصيتان أساسيتان: (خاصية المرونة) و (خاصية القصور الذاتي).

### \*خاصية المرونة:

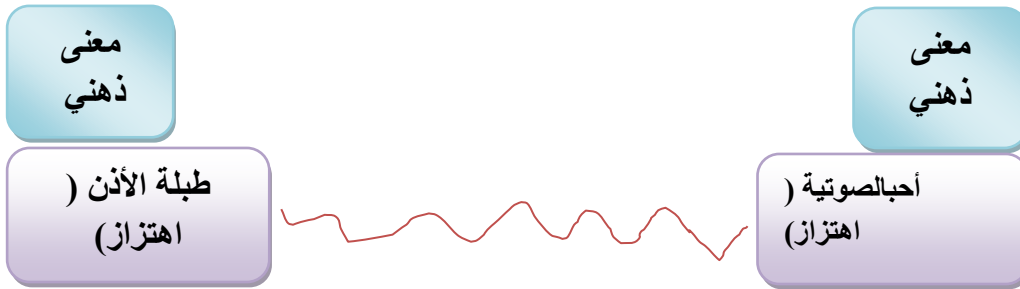
يقصد بالمرونة «مرونة الوسط وهي خاصيته على مقاومة أي تشوه فيه وقابليته على استعادة شكله أو حجمه أو وضعه بعد زوال القوة المشوهة المؤثرة عليه» (كرجية، 2000، صفحة 16) هذه المرونة نجدها في الخيال والمجاز والبلاغة.

### \*خاصية القصور الذاتي:

تمثل صفة القصور الذاتي «صفة استمرارية الجسم أو أجزاء الوسط المادي على البقاء في حالة حركية ثابتة ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغير تلك الحالة» (كرجية، 2000، صفحة 23) وهذا ينطبق على الصور البلاغية المتوارثة إلى يومنا وكذا على مستوى الشخص والنص.

#### سادسا: الإستعارة الكوانتية:

الاستعارة أداة المعنى، اهتمت بدراستها مجموعة من الحقول المعرفية. وهذا دليل على قوتها وسلطانها الفعالة، يعرفها الجاحظ: «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» (الجاحظ، دون تاريخ، صفحة 153) فالصوت (الأمواج الصوتية) تقوم مقام (المعنى في ذهن المرسل) فهي استعارة؛ فهي إذن تتضمن تشابها (الأمواج الصوتية والمعنى)، والاستعارة تتضمن (معنى إعادة المعار) وهذا ما يحدث أثناء التواصل البلاغي.



يعرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله: «أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان» (الجرجاني، 1988، صفحة 15) ويقدم تعريفها مكملا «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية» (الجرجاني، 1988، صفحة 22)

ومنه فإن مقارنة الاستعارة من رؤيا كوانتية يطابق مفهومها عند الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، من حيث: التشبيه، التمثيل، القياس، الوعي، الإدراك، الذهن. رغم

أن الجرجاني يستبعد (الأسماع والأذان)، لكن هذا المقال يضمه إلى الاستعارة؛ لأن لا وجود لاستعارة بلا سماع وأذان أو مشاهدة وعين.

«تمثل الاستعارة بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي. إنها تتعلق في نظرهم، بالاستعارات اللغوية غير عادية (...) يعتقد الناس أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة (...) إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس» (لايكوف و جونسون، 2009، صفحة 21) ومنه فإن هذا النسق سيكون فيه تناسق مع اللغة باعتبارها أصواتا (أمواج)، وتراكيبا لغوية (جزئيات) في نفس الوقت.

### 1 نظرية الاهتزاز الحر:

يمتلك كل جسم في الطبيعة القدرة على الاهتزاز، قد يهتز كقطعة واحدة وقد تهتز مختلف أجزائه بطرق مختلفة. «إن أي جسم يمتلك خاصتي المرونة والقصور الذاتي له القابلية على الاهتزاز إذا ما أستثير (...) والسمة الجوهرية في جميع الظواهر الاهتزازية هي صفة الدورية؛ أي أن هناك نمطا من الحركة يتكرر بفترات زمنية منتظمة...» (كرجية، 2000، صفحة 63/64) فإذا كانت الأوتار الصوتية تهتز وإذا كانت طبلة الأذن تهتز، فإن الصور البلاغية ستكون ذات طبيعة اهتزازية. وهذه الظواهر الاهتزازية لها صفة جوهرية هي صفة (الدورية)، وهذا ما نجده في البحور الشعرية العربية. الكوانتم قديما هو الجوهر، وتقوم نظرية الكوانتم على أن الضوء عبارة عن جزيئات، أي متقطعة كميات محددة كما ذكر عند بلانك. ومنه فإن الضوء عبارة عن جزيئات وموجات وهذا ما نجده في اللغة في أصوات (كلمات) وأمواج (صوتية)، وهذه الكلمات عبارة عن طاقة، تتفاعل مع بعضها البعض. ونفس التصور نطبقه على الاستعارة، فهي تركيب وأمواج للمعنى.

كما أن لهذه الاستعارة طاقاتها الممكنة عندما توضع ضمن جملة، فنحن نقوم بتحديد طاقتها، ولكنها تهتز ضمن هذه الجملة وفق احتمالات؛ فكلما أردنا تحديد المعنى بدقة زاد الارتياح، لأنني إذا أردت أن أحدد المعنى المحدد بدقة فأنا أتعامل مع الاستعارة كجسيم (معجميا).



كذلك الاستعارة تملك طاقة اختراق الحواجز بطاقة قليلة؛ بفعل الانصهار الداخلي للاستعارة، وهذا ما يتجلى في العبارة غير الاستعارية والعبارة الاستعارية، وتختلف هذه الطاقة ضمن مستويات (الاستعارة التصريحية، الاستعارة المكنية، الاستعارة التمثيلية).

## 2 نموذجن الشارع الجزائري:

لكل شارع كلامه الخاص المتداول الذي يميزه، فيجعل الخارج عن نسقه الثقافي لا يفهم شيئاً، أو يغضب أو يضحك، يذكر البحث أمثلة من الشارع الجزائري:

"أفونسيلا ريار خويا": فيها كلمات دخيلة من الفرنسية، وتعني حرفياً (تقدم إلى الوراء قليلاً أخي)؛ لكن الجزائري يفهما (عد للوراء أكثر)؛ هنا دالين مختلفين لمدلولين متناقضين، ولكن في اللهجة الجزائرية المدلولين المتناقضين صاروا متطابقين، إنها فوضى المفاهيم. لكن البحث ينظر أنها استعارة ذات طبيعة كوانتية؛ فما هو وراءك قد يكون أمامي، ومنه حدث الجمع بين المتكلم (تقدم) والمخاطب (لاريار) كما أن الذهن يستحضر الشيء ونقيضه.

- "أقعد واقف": ومعناها ابقى واقفاً، فالوقوف استحضرت الجلوس.

- "طاح الليل": بمعنى حل المساء، استعارة لحركة الشمس، فغروبها يشبه السقوط.

الدرجة الجزائرية تؤرخ للإنساق الثقافية المضمرة، فاللهجة الجزائرية تأثرت بالأمازيغية، العربية، الإسبانية، العثمانية، الإيطالية، الفرنسية، الإنجليزية. من الكلمات التركية: طابونة (موقد نار)، شارببات (عصير الليمون مع النعناع)، طورشي (الفلل الحلو)، كواغط (الورق)، الخزناجي (مسؤول المالية والضرائب)، سبيطار (مستشفى)، سباط (حذاء)، زوالي (فقير)، باشماق (نعل خفيف)، طبسي (صحن)، تشينة (البرتقال)، بالطو (معطف)، فنار (قنديل)، أزر (أسرع)، بالاك (حذاري).

السؤال كيف استطاعت هذه الكلمات البقاء إلى اليوم والتفاعل مع بعضها لتقدم استعارات (طاقة) خاصة؟ الجواب: لأنها هامش (كلام الشارع) وليست كلام الكتب، لأنها شعبية وليست نخبوية، لأنها هامش حي فعال وليست مركزاً جامداً محنطاً، إضافة للتركيبية توجد الإسبانية والإيطالية والفرنسية وغيرها.

يتجلى الإبداع البلاغي لدى شريحة الشباب (بلقايد، 2013)؛ لأن الشارع الجزائري شارع شاب، فيتكلم بمصطلحاتهم المبتكرة، و من بلاغة كلام الشارع الشاب ما يلي:

- (خرجت حطبة): تدل على الإفلاس ، هنا استعارة وجودية بين الشاب والحطب، الحطب لا اخضرار ولا إنتاج فيه، وهذا افلاس والشاب بلا مال هو كذلك، فالمال من يبعث الحياة في الشباب.

- (راني على الحديدية): نفس الأمر الحديد مادة جامدة لا حياة فيها، وهذه استعارة لحالة الشاب بلا مال فهو بلا حياة (جامد).

- (كعبة): يقصد به الشخص الغريب عن المدن الكبرى، وهذه استعارة للكعبة التي بناها سيدنا إبراهيم في مكان خال بعيدة عن الحضارة.

- شبرق: شخص غير أنيق والأجانب عن العاصمة. وأصلها الثياب المقطعة.

- فور و بزور: سلوك أو أمر جيد يثير اهتمامهم.

- خرج صحرا: بمعنى الخسارة، فاستعيرت الصحراء لذلك.

- هارب: الشخص المثقف، لأنه بعيد عن المجتمع فوصف بهذا، وهو انتقاد للمثقفين والنخبة البعيدين عن الشارع.

- تباشومبيش: شخص أنيق.

- شريكي: الصديق الذي يعيش معك تفاصيل الحياة اليومية.

هكذا ينشئ الشباب بلاغتهم، التي لا يفهمها الآباء، لتكون لهم هويتهم الخاصة، فيلقب الأب بـ (الشيخ)، والأم بـ (العجوز)؛ إنه الشارع ينتج الترياق والسم ، لتكون هناك بلاغة قاتلة حيث يسعى النسق الشاب إلى محاولة تهيمش نسق الأبوة والأمومة، ليكون هو المركز.

من جهة أخرى يطلق عليهم اسم (البركة) و(الخير) و(الرسمي)، (الكل في الكل)، إقرارا لهم بمكانتهم ومحبتهم (الأنساق تتفاعل)، لماذا نحارب نسق الأب والأم، لماذا لا نتركه ليكمل مهامه من جهة ونقوم نحن بمهامنا من جهة ليكون التكامل

والتقدم؟ السم في حقيقته غير قاتل لكن نسبة السم هي التي تقتل، بلاغة الشارع هي خثارة اشتغال هذه الأنساق الثقافية وتفاعلها.

بلاغة الشارع لها (غريزة الحرية) بتعبير تشومسكي في مقال له بعنوان "اللغة والحرية" "لا نستطيع أن ننكر وجود بنية فطرية في الدماغ تسمح لنا بتلقي المعلومات والخبرة من البيئة المحيطة بنا (...). على أن تشومسكي يعتقد أننا لم نبلغ بعد المرحلة التي نستطيع فيها أن نفهم هذه البنية (...). لذلك، يقول إننا يجب أن نؤمن بوجود غريزة الحرية" (الزعيبي والنشار، 2017، صفحة 10)، بلاغة الشارع بلاغة حرة، بلاغة الشارع بلاغة تحتاج منظورا جديدا.

### سابعاً: الخاتمة

اتهام البلاغة بالضعف والموت، هذا راجع إلى محدودية نظر الباحثين. وإبقاء البلاغة جامدة ضمن المعارف القديمة، فالبلاغة تتطور يتطور معارف الانسان. تعد فيزياء الكوانتم في نظرية المعنى بمنظور جديد. فإذا كان الصوت أمواجاً، والضوء أمواجاً، والماء أمواج، والهواء أمواجاً، والجاذبية أمواجاً فيمكن القول استقراء أن المعنى وتشكله يكون بشكل أمواج.

القواعد البلاغية تجعل من البلاغة قواعد حتمية صارمة تفرض فرضاً، وتضمن غياباً فكرياً. لكن استثمار نظرية الكوانتم يقودنا إلى نسبية هذه القواعد وأن الاحتمال هو السيد لا الحتمية.

## CONCLUSION

Accusing rhetoric of weakness and death, this is due to the limited view of researchers. Keeping rhetoric rigid within the ancient knowledge, rhetoric develops and develops human knowledge. Quantum physics promises a new perspective in the theory of meaning. If sound is waves, light waves, water waves, air waves, and gravity waves, then it can be said extrapolating that the meaning and its formation are in the form of waves.

Rhetorical rules make rhetoric a strict imperative that imposes an

imposition, and guarantees an intellectual absence. But the investment of quantum theory leads us to the relativity of these rules and that probability is the master, not determinism.

## المراجع

المراجع العربية:

- 1) إدموند هوسرل. (2007). *الفينومينولوجيا*. (فتحي إنقزو، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 2) ألكسندر أفانا سيفيتش بوتينينا. (2020). *الفكر واللغة*. (تحسين رزاق عزيز، المترجمون) (الجزائر، بيروت، الجزائر)، الجزائر، لبنان: ابن النديم، دار الرافد، ناشرون.
- 3) *الموقع الرسمي حمود بوعلام*. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 07 08, 2017، من [.HTTPS://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q](https://www.google.dz/search?q)
- 4) أمجد عبد الرزاق كرجية. (2000). *فيزياء الصوت والحركة الموجية*. العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- 5) أندري لالاند. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. (خليل أحمد خليل، المترجمون) باريس، بيروت، فرنسا، لبنان: منشورات عويدات.
- 6) بغورة زواوي. (2005). *الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة)*. بيروت: دار الطليعة.
- 7) جوتفريد فيلهلم لينتزر. (1978). *المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي*. (عبد الغفار مكاي، المترجمون) القاهرة، مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر.
- 8) جورج ومارك لايكوف و جونسون. (2009). *الاستعارات التي نحيا بها*. (عبد المجيد جحفة، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.
- 9) حازم القرطاجني. (1986). *منهاج البلاغ وسراج الأدباء*. (محمد الحبيب ابن الخوجة، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 10) دعاء خضر. (05 03, 2017). *بين الثقافة والهوية*. تم الاسترداد من [academia.edu](http://academia.edu).

- 11) رايح أوكيل. (بلا تاريخ). التغليف المتميز للمنتج وتأثيره على قرار الشراء. (دراسة مقارنة بين مؤسسات المشروبات الغازية: كوكاكولا، بيبسي، حمود بوعلام، أطروحة دكتوراة. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بومرداس، الجزائر: جامعة أمحمد بوقرة.
- 12) رتبية بلقايد. (17 06, 2013). كلمات غريبة تغزو البيوت الجزائرية لكبة ، حطبة ، ... مفريني . تاريخ الاسترداد 09 05, 2020، من [www.djazairess.com](http://www.djazairess.com).
- 13) زكرياء أحمد عزام. (2008). مبادئ التسويق الحديث. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- 14) زكي نجيب و أحمد محمود و أمين. (2017). قصة الفلسفة الحديثة. المملكة المتحدة: هنداي.
- 15) عبد القاهر الجرجاني. (1988). أسرار البلاغة في علم البيان. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 16) عثمان ابن جني. (1955). الخصائص (المجلد 1). دار الكتب المصرية.
- 17) غريزة الحرية (مقالات في الفلسفة و الفوضوية و الطبيعة البشرية). (2017). (عدي ومؤيد الزعبي والنشار، المترجمون) دمشق، سوريا: دار عدوان للنشر و التوزيع.
- 18) عمر صخري. (2003). إقتصاد المؤسسة (الإصدار ط 3). ديوان المطبوعات الجامعية.
- 19) عمرو الجاحظ. (دون تاريخ). البيان والتبيين (المجلد 1). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- 20) فضيل دليو. (2003). اتصال المؤسسة إشهار، علاقات عامة، علاقات مع الصحافة. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- 21) مجدي أحمد توفيق. (2013). ما البلاغة؟ (دراسة). القاهرة: سندباد للنشر والإعلام. محي الدين بن العربي. (1985). شجرة الكون. (رياضة العبدالله، المحرر) بيروت، لبنان: القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
- 22) محمد ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب (المجلد 1). دار المعارف.
- 23) مصطفى حسيبة. (2009). المعجم الفلسفي. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- 24) هانز ريشنباخ. (2017). نشأة الفلسفة العلمية. (فؤاد زكريا، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي.

المراجع العربية مترجمة للإنجليزية:

- 1) Abd al-Qaher al-Jurjani. (1988). The secrets of rhetoric in the science of rhetoric. Beirut, Lebanon: Scientific Books House.
- 2) Alexander Avana Sevich Potipnya. (2020). Thought and language. (Tahseen Razak Aziz, translators) (Algeria, Beirut, Algeria), Algeria, Lebanon: Ibn Al-Nadim, Dar Al-Rafid, publishers.
- 3) Amjad Abdul Razzaq Karjeh. (2000). Physics of sound and wave motion. Iraq: Ministry of Higher Education and Scientific Research.
- 4) Amr Al-Jahiz. (no date). Manifest and Tabib (Volume 1). (Abdul Salam Muhammad Haroun, editor) Cairo, Egypt: Al-Khanji Library.
- 5) Andre Lalande. (2001). Laland's Philosophical Encyclopedia. (Khalil Ahmed Khalil, translators) Paris, Beirut, France, Lebanon: Oweidat Publications.
- 6) Bhoreh Zawawi. (2005). Philosophy and Language (Criticism of the Linguistic Turn in Contemporary Philosophy). Beirut: Dar Al-Tali'a.
- 7) Edmund Husserl. (2007). Phenomenology. (Fatehi Enqzu, The Translators) Beirut: The Arab Organization for Translation.
- 8) Fadil Deliu. (2003). Communication of the institution Advertising, public relations, relations with the press. Cairo: Dar Al-Fajr for Publishing and Distribution.
- 9) George, Mark Lykoff and Johnson. (2009). The metaphors we live by. (Abdul Majid Jehfa, translators) Morocco: Dar Toubkal Publishing.
- 10) Gottfried Wilhelm Leibniz. (1978). Monadology and rational principles of nature and divine grace. (Abdul Ghaffar Makkawi, translators) Cairo, Egypt: House of Culture for Printing and Publishing.
- 11) Hamoud Boualem's official website. (No date). Retrieved 08 07, 2017, from <https://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q>.
- 12) Hans Reichenbach. (2017). The genesis of scientific philosophy. (Fouad Zakaria, translators) United Kingdom: Hendawy Foundation.
- 13) Hazem Al-Qirtagni. (1986). Platform rhetoricians and Siraj writers. (Muhammad al-Habib Ibn al-Khoja, editor) Beirut, Lebanon: Dar al-Gharb al-Islami.
- 14) Khidr's supplication. (05 03, 2017). between culture and identity. Retrieved from .academia.adu.

- 15) Magdy Ahmed Tawfik. (2013). What is rhetoric? (study). Cairo: Sinbad Publishing and Media. Mohieddin Ibn al-Arabi. (1985). Universe tree. (Riyad Al-Abdullah, editor) Beirut, Lebanon: Al-Qalam for printing, publishing and distribution.
- 16) Muhammad Ibn Manzur. (No date). Lisan Al Arab (Volume 1). Knowledge House.
- 17) Mustafa Hassiba. (2009). Philosophical Dictionary. Amman, Jordan: Osama House for Publishing and Distribution.
- 18) Okil winner. (No date). Distinguished product packaging and its impact on the purchase decision. (A comparative study between soft drink establishments: Coca-Cola, Pepsi, Hammoud Boualem. PhD thesis. Faculty of Economics, Commercial and Management Sciences, Boumerdes, Algeria: University of M'hamed Bougara.
- 19) Omar Sakhri. (2003). Enterprise Economics (Version 3rd Edition). University Press.
- 20) Othman Ibn Jinni. (1955). Characteristics (Volume 1). Egyptian Book House.
- 21) Ratiba Belkaid. (17 06, 2013). Strange words invade the Algerian homes of Kebbeh, Hataba, ... Mafrini. Retrieved date 05 09, 2020, from [www.djazairiss.com](http://www.djazairiss.com).
- 22) The Freedom Instinct (Articles on Philosophy, Anarchism, and Human Nature). (2017). (Uday and Muayyad Al-Zoubi and Al-Nashar, translators) Damascus, Syria: Adwan Publishing and Distribution House.
- 23) Zakaria Ahmed Azzam. (2008). Principles of modern marketing. Amman: Dar Al Masirah for publishing, distribution and printing.
- 24) Zaki Najib, Ahmed Mahmoud and Amin. (2017). The story of modern philosophy. United Kingdom: Hindawi.

المراجع الأجنبية:

- 1) E Husserl. (1996). médikation cartésiennes introduction à la phènomènologie. «G•PEIFFER et E•livinas. j . vlin.

- 2) Ibn Arabi. (2012). The tree of being. (shaykh tosun rayrak) published by archetype chetwynd house bartlow cambridge.
- 3) Maerleau Pontu. (1960). sidines. paris: grillimard.
- 4) Merleau ponty. (1945). phènomènologie de la perception. paris: Gallimard.

التوثيق:

**quantum rhetoric**  
**leyla ghodbane<sup>1</sup>**

<sup>1</sup> Department of Arabic Language and Literature/ Faculty of Letters,  
Languages and Arts/ University of Djelfa/ Algeria  
Email adress, [l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz](mailto:l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz)  
<https://orcid.org/0000-0002-6096-8000>

**Abstract:**

This research provides a new insight; It is based on the fact that rhetoric has not died and will not die; Because the death of rhetoric means the annihilation of man, and calls for the opening of new visions for the study of rhetoric, contributions have been made in its renewal towards: the rhetoric of pilgrims, the pragmatic rhetoric, the eloquence of narration, under the umbrella of new rhetoric.

But the research sees that the unity between the forms is the origin (like the fetus begins as a clot, then it becomes a lump, then the organs and systems begin to be created, so it is not reasonable to differentiate between these organs and systems; The evidence is that we find the metaphor of the metaphor, the compound metaphor of the representative metaphor. The research is based on the quantum theory and its new philosophy in the field of knowledge, and exploits it to renew rhetoric.

keywords; Quantum rhetoric; the home of existence; metaphor ; worldview.





## البلاغة الجديدة (المفهوم وإشكالية المصطلح)

أ. نادية ويدير  
جامعة بومرداس

لقد شاع في التداولين البلاغي والتّقدي اقتصار مفهوم مصطلح «البلاغة الجديدة» ( Nouvelle Rhétorique) على بلاغة الحجاج البرلمانّيّة ذات الأصول اليونانيّة الأرسطيّة، غير أنّ المتنبّع للمسار البلاغي الغربي من كلاسيكيّة البلاغة الأرسطيّة – الخطابيّة والشّعريّة- إلى حاجيتها مع بيرلمان وتيتكا وما يحيط بهما من بلاغات، يكشف العديد من الحمولات المفاهيميّة لمصطلح «البلاغة الجديدة»، تتماثل أحيانا وتختلف أحيانا أخرى إلى درجة التّعارض، وعليه يطرح هذا المصطلح إشكاليّة كبيرة في السّاحتين البلاغيّة والتّقديّة، الغربيّة والعربيّة على حد سواء، تتعلّق بمفهومه وحدوده المعرفيّة وتوجّهاته البلاغيّة، ما يجعل الباحث – خصوصا في الحقل البلاغي- في ارتباك مفهومي إزاء انفتاح دلالة مصطلح «البلاغة الجديدة» على عدّة مدلولات تُشكّل في مجملها رؤى بلاغيّة جديدة ومختلفة أفرزتها مقتضيات العصر، من بينها الثورة اللّسانيّة التي أحدثها العالم النّمساوي فرديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure)، وما بعدها من تحولات إبستمولوجيّة فرضت كل منها توجّها بلاغيّا جديدا كالحطّابيّة، والأسلوبيّة، والسيميولوجيّة، والتّداوليّة، وغيرها. لذلك ارتأينا، في هذه الورقة البحثيّة، تسليط الضّوء على إشكاليّة مصطلح «البلاغة الجديدة» بهدف توجيه أذهان الدّارسين في الحقل البلاغي – والباحثين عموما- إلى فوضى المصطلح الذي يعتري هذا الحقل.

- **الكلمات المفتاحيّة:** أرسطو، البلاغة الكلاسيكيّة، شاييم بيرلمان، البلاغة الجديدة، موت البلاغة، إحياء البلاغة، الحجاج، البرهان، البلاغة المُعمّمة، الأسلوبيّة، السيميولوجيا، التّداوليّة، بلاغة الخطاب.

### 1- كرونولوجيا البلاغة الكلاسيكيّة (من الميلاد إلى الموت):

تفرض القاعدة المنطقيّة «وبأضدادها تُعرف الأشياء» أن يكون مفهوم «البلاغة الجديدة» مناقض لمفهوم «البلاغة القديمة» - أي التقليديّة أو الكلاسيكيّة حسب الاختلافات في التّسمية- والبلاغة الكلاسيكيّة (القديمة) هي البلاغة التي يُورّخ لها تنظيريا – أمّا ممارساتها فهي موجودة بوجود الإنسان ومحاولته الدّفاع عن نفسه بالكلمة، بدءا من الفيلسوف اليوناني سقراط (Socrate) إلى بداية القرن 19، وعليه تطرح «البلاغة الجديدة» عودة إلى قدم ما عرفته البلاغة الكلاسيكيّة من منعطفات كبرى خلال تاريخها الطّويل، تغيّر على امتداده مفهومها بفعل ما أملته ضرورات مجتمعيّة وسياقات فكريّة وثقافيّة. وتصوّرات فلسفيّة للكائن في علاقته الإشكاليّة بذاته، وباللغة إحدى طرائق تواصله مع العالم<sup>1</sup>.

اتّسمت البلاغة اليونانيّة بنقاشات فلسفيّة حول طبيعة البلاغة ووظيفتها المجتمعيّة حيث وقف أفلاطون – وقبله نظر سقراط إلى البلاغة نظرة ريب- موقف الرّفص من البلاغة السّفسطائيّة

<sup>1</sup> - أنظر: أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص.4.

وأقصاها من صرحه الفلسفي، باعتبارها من الخطابات المُضَلَّلة للعقول، وحصرها – بالتالي- في إثارة أهواء المخاطبين وتحريك انفعالاتهم والإيقاع بهم وأسمائها بلاغة «الحدث» كما هو مثبت في محاوره جورجياس (Gorgias)، أمّا في محاوره فيدر (Phèdre) فقد ضمّ أفلاطون البلاغة إلى الفلسفة عبر مظهر الجدل وأسمائها «بلاغة الحق» وهي بلاغة حقيقتية جدلية تهدف إلى تحقيق المعرفة.

عرفت البلاغة مع أرسطو (Aristote) منحيين اثنين أحدهما حاجي والآخر أسلوب، فقد "أدرك أرسطو، بعد أستاذه أفلاطون، أن "البلاغة حقيقتها الخاصة، التي غضّ الطرف عنها شيخه في جورجياس، والتي ليست بالعلمية ولا باليقينية بقدر ما هي احتمالية تحكم العلاقات الإنسانية"<sup>1</sup>، فاصطبغ مؤلّفه «الخطابة» (Rhétorique) بصبغة حاجية تناول فيه أرسطو موضوع الخطابة ووسائل الإقناع فيها - الإيثوس (Ithos)، واللوغوس (Logos) والباثوس (Pathos)- ومضمون الخطبة وخصائص الخطيب وغيرها، وعليه فالبلاغة الأرسطوية، إذن، احتمالية، تبني عملية الإقناع على عقلنة الخطاب لذلك شملت مختلف أنماط الخطابات (القانوني، والاستشاري، والاحتفالي) وأعطت الأولوية للوغوس<sup>2</sup>، في حين أعطى أرسطو الأهمية في مؤلّفه الشعريّة (Poétique) للأسلوب وأسند للصور البلاغية وظائف شكلية تنميّة للخطاب الشعري.

بعد البلاغة اليونانية شهدت المحطّة البلاغية الرومانية الانتقال من عالم بلاغي متمركز حول اللّغة عند الإغريق إلى عالم متحوّر حول الخطيب مع الرومان، ولعل الفرق واضح بين التّصوّرين فإذا كانت البلاغة عند أرسطو نتاج فكر حرّ لا يُلزم الجمهور بتلقّي خطابات وقبولها، إلّا بقدر تلاؤمها واعتقاداته وأفكاره، فإنّ البلاغة الرومانية ظلّت رهينة «المؤسّسة الخطابية» التي تحكمها علاقة الإرسال بالتلقّي، في مقابل سابقتها التي أشكل عليها أمر اللوغوس<sup>3</sup> ما أسفر على صعود نظرية الأسلوب مع ماركوس تاليوس شيشرون (Cicéron) وبداغوجيا البلاغة مع ماركوس فابيوس كينتليانوس (Quintilianus).

كان شيشرون خطيبا عظيما وسياسيا محافظا. يكتب حوارات عن البلاغة والفلسفة هدفها تعريف القراء الرومانيين بالموضوعات كما ناقشتها المدارس اليونانية، وقد اكتسب شيشرون الجزء الأعظم من شهرته من عمله كمحامي في المحاكم التي كانت غالبا ما يقوم فيها بدور الدّفاع، كما اشتهر أيضا بالخطب التي كان يلقيها ومنها الخطب الأربع التي ألقاها سنة 69 (ق.م)، وقد بقيت حوالي ثمان وخمسين خطبة من خطب شيشرون تمت دراستها لاحقا كنماذج للخطابة المؤثّرة. وأهم أعمال شيشرون البلاغية هي محاورته العظيمة "عن الخطابة" 55 ق.م و"زمن المحاوره"، ويرى شيشرون أنّ المواطن، لكي يكون على قدر من المثالية، يحتاج إلى معرفة واسعة وعميقة بالفلسفة والقانون والبلاغة وفنون أخرى. يقول: «إنّ نظرية الكلام كلّها تعتمد على ثلاثة مصادر للإقناع: إثبات أنّ ما ندافع عنه صحيح وإقناع المستمع برأينا، وأنّ نثير في الأذهان العاطفة التي تتطلّبها الحالة». وقتنذ كان كتاب أرسطو "فن الخطابة" قد ظهر مؤخرا. فقام

1 - أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص.4.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص.5.

3 - أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

شيشرون بأخذ بعض الأفكار منه، ومن بينها هذا الشرح لفكرة طرق الإقناع الثلاثة لأرسطو، كما تحدّث شيشرون عن الأسلوب الذي يرى أنّه مبني على المزايا الأربع: السلامة والوضوح والزخرفة والمواهمة<sup>1</sup>. وانطلاقاً من شيشرون بدأ الاهتمام أكثر بالأسلوب مقابل إهمال الخطابة.

أمّا البلاغي كنتليان فقد عيّنه الإمبراطور فيسباسيان (Vespasian) في وظيفة أستاذ يتلقّى مرتّباً لتدريس البلاغة اللاتينية بالمدينة. وقد شغل كنتليان هذا المنصب الرسمي لمدة عشرين عاماً، وكان أيضاً يترافع نيابة عن المؤكّلين في المحاكم، كتب رسالة ضاعت عنوانها "عن أسباب فساد الفصاحة" وبعد تقاعده بفترة وجيزة شرع في البحث من أجل إنجاز عمله العظيم الذي يُعرف به اليوم، وهو كتاب يُترجم عنوانه عادة بـ "تعليم الخطيب" يوضّح كنتليان فيه توصياته لتعليم المواطن الروماني أولاً اللغة والنحو ثم التدرّيبات على نظريّات البلاغة والإلقاء<sup>2</sup>. ويضمّ عمل كنتليان عن المؤسسة الخطابية (institutions oratoire) اثني عشر كتاباً تعليمياً للخطيب منذ طفولته: إنّ تصميم كامل لتكوين البيداغوجي، وهذا هو معنى المؤسسة، فهذا الكتاب الأوّل يتعرّض للبداية الأولى من التدرّيس (معايشة النحوي وبعد ذلك البلاغي)، ويعرف الكتاب الثّاني البلاغة، فاندتها، أمّا الكتاب الثّالث وحتى الكتاب السّابع فتتعرّض للابتكار والترتيب. ويدرس الكتاب الثّامن وحتى الكتاب العاشر الصّيغة حيث يُعطي هذا الكتاب نصائح تقنيّة للكتابة، في حين يتناول الكتاب الحادي عشر الأجزاء الصّغرى للبلاغة: الفعل (الإخراج التّمثيلي للخطاب) والذاكرة، وأخيراً يذكر الكتاب الثّاني عشر المزايا الأخلاقيّة لدى الخطيب<sup>3</sup>، وعلى الرّغم من أنّ كنتليان كان متخصصاً يحظى باحترام كبير من الكتاب اللاحقين عن البلاغة فإنّ كتابه كان أطول وأكثر تفصيلاً ممّا يتطلّبه الكثير من القراء، كما أنّ فكرته على الخطيب النّمودجي كانت تبدو وبمرور الوقت أقلّ قابليّة للتحقيق<sup>4</sup>.

عرفت البلاغة بعد المحطّة الرومانيّة عدّة منعطفات بدءاً من البلاغة المسيحيّة مع سانت أوغسطين (Augustin) إلى القرن 16 حيث حُذفت البلاغة من المقرّرات الفرنسيّة الدّراسيّة، وبعدها إلى القرن السّابع عشر ودخول شعريّة أرسطو إلى فرنسا (1630) مع برنارد لامي (Bernard lamy) ومؤلّفه «البلاغة وفن الكلام»، يقول الباحث المغربي محمد مشبال: "تمّ اختزال البلاغة القديمة منذ القرن السّادس عشر في مجموعة من الوجوه الأسلوبية المفصولة عن وظائفها وتأثيراتها الفعّالة في المتلقّي. وفي هذا الاتجاه يجب أن نذكر أنّ البلاغة الفرنسيّة التي نشطت طوال قرن من الرّمن (1730 - 1830) لم تكن سوى إعلان عن موت البلاغة بمعناها القديم، لأنّها لم تكن معنيّة أساساً بالخطاب الفعّال والمؤثّر؛ فقد انصبّ معظم اهتمامها على تصنيف الصّور وتحديد دلالاتها الدّاخلية بمعزل عن سياقاتها، وكانت لغة الشّعور النّمودج الأسمى الذي استوحى منه أصحابها مقولاتهم البلاغيّة"<sup>5</sup>. وفي القرن الثّامن عشر تواصل التّأليف البلاغي مع دومارسيه (Dumarsais) ومُصنّفه «المجازات» (Trope)، وبعدها مع آخر مصنّف في البلاغة الكلاسيكيّة وهو «محسنات الخطاب»

1 - أنظر: جورج كندي، البلاغة الكلاسيكيّة، ص. ص 342-343. ضمن: موسوعة البلاغة، ج 1.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 354.

3 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 40.

4 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 356.

5 - محمد مشبال، البلاغة والأصول - دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، ص. ص 6-7.

(les figures de discours) للبلاغي الفرنسي بيير فونطانيي (P. Fantanier) سنة 1820، وفي نهاية القرن التاسع عشر "عرفت البلاغة انقراضا تدريجيا لمصنّفاتها وتدهور الاستخدام الفلسفي لكلمة «البلاغة» حتى أصبحت مهجورة، بحيث لم يرد ذكرها مثلا في معجم لالاند (Laland) الفلسفي"<sup>1</sup> وتمّ الإعلان عن موتها. وتعود أسباب موت البلاغة إلى جملة من الخصائص اتّسمت بها البلاغة الكلاسيكية – أشرنا إلى بعضها آنفا- أهمها:

### - تطابق البلاغة ونظرية الأسلوب:

يقول الفيلسوف الفرنسي رولان بارت (Roland Barthes): "نجم أفول البلاغة عن صعود قيمة جديدة هي وضوح (الأحداث، والأفكار، والعواطف)"<sup>2</sup>، أي الأسلوب. بدأ انحطاط البلاغة، إذن، في القرن التاسع عشر ويتمثل السياق العام الذي أدى إلى موت البلاغة في صعود نظرية الأسلوب مقابل تراجع الخطابة، يقول الفيلسوف الفرنسي البلغاري تزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov): "بدأت الجماليات في اللحظة عينها التي انتهت فيها الخطابة"<sup>3</sup>، ولقد بدأ هذا التراجع مع البلاغة الرومانيّة، يقول المؤرّخ اللاتيني تاكيتوس (Tacitus) في كتابه الشّهير «حوار الخطباء»: "ازدهرت العصر السّوالف بما لا يُحصى من الخطباء الأعلام، ذوي المواهب الشّهيرة؛ أمّا عصرنا فمن عقمه وخلّوه من ذلك المجد الخطّابي كاد اسم الخطيب يطويه النّسيان"<sup>4</sup>، وقد كان شيشرون – كما ذكرنا سابقا- أوّل من اعتنى بالأسلوب، يقول تاكيتوس: "نعم، كان شيشرون أوّل من اعتنى بالأسلوب؛ وأوّل من جعل وكده في انتقال الألفاظ، وفي صناعة نظمها"<sup>5</sup>. والنتيجة الضّروريّة لتلك العناية بالأسلوب أنّ الخطب صارت أحسن فأحسن، مع أنّها لم تكن أجود قيّاسا بوظيفتها القديمة، وهي الإقناع، والفعل؛ وذلك ما ردّ به على آخر مخاطبه قائلا: "هذا الذي بلغناه من فائق العناية بالدقائق في الشّكل، تفيدنا الخبرة أنّه لا محالة منقلب علينا"<sup>6</sup>. وقد أسفر عن الاهتمام المفرط بالأسلوب اختزال البلاغة الكلاسيكيّة إلى دراسة الصّور البلاغيّة في شقّها المحسناتي والتغاضي عن بعدها الخطّابي (كأدوات للإقناع).

### - حصر البلاغة في الوظيفة البيداغوجيّة:

ابتداء من القرن التاسع عشر، لم تعد البلاغة مادة من موادّ التّعليم كما أنّها لم تعد معرفة قائمة في المقرّرات المدرسيّة والجامعيّة. وحتى هذه اللحظة، كما يذكر أنطوان كومبيان (Antoine Compagnon)، كان لأستاذ البلاغة اليد العليا في الثّانويّة لأنّه كان يلقي فن الخطاب الرّاقى<sup>7</sup>، لذلك يرى رولان بارت أنّ انتصار البلاغة يتمثّل في هيمنتها على التّعليم، أمّا احتضارها فيتجلّى في اختزالها ضمن هذا القطاع، إنّها تسقط شيئا فشيئا في زوال نفوذ ثقافي<sup>8</sup>.

### - انحصار الأشكال البلاغيّة:

1 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 75.

2 - فليب بروطون، الحجاج في التّواصل، ص. 20.

3 - تيزفيتان تودوروف، نظريّات في الرّمز، ص. 197.

4 - المرجع نفسه، ص. 87.

5 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6 - تيزفيتان تودوروف، نظريّات في الرّمز، ص. 96.

7 - أنظر: فليب بروطون، الحجاج في التّواصل، ص. 20.

8 - أنظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص. 19.

يعزو البلاغيون البنيويون السبب في الانحصار التدريجي للمجال البلاغي إلى انحصار الأشكال البلاغية، فمنذ الإغريق أخذت البلاغة في الواقع تنحصر قليلاً قليلاً في مجال بعض الخواص اللغوية للنصوص وذلك ببيت جناحها الرئيسيين – كما يقول- وهما الاستدلال والترتيب، وفي نطاق هذه الخصائص اللغوية فإن الأمر ما لبث أن اقتصر في نهاية الأمر على مجرد تصنيف الأشكال البلاغية، وأخذت نفس هذه الأشكال تضيق حتى انحصرت في مرحلة تالية في الصيغ المجازية فحسب. ثم لم تلبث أن ركزت على ثنائية الاستعارة والكناية قبل أن تضع الاستعارة وحدها في بؤرة الضوء المركزية وربما كان هذا يعود إلى أن مصطلح الاستعارة هو الذي كان قد تبقى من مجموعة المصطلحات البلاغية الأخرى التي ابتلعها الزمن حتى بداية القرن الحالي. وكان هذا الانحسار مؤذناً بانتهاء عصر البلاغة القديمة التي كرّست الاستعارة كصورة مركزية للبلاغة بأكملها<sup>1</sup>، يقول أوليفي ريبول (Olivier Reboul): "لقد أصبحت الخطابة المعاصرة تُعنى بالأسلوب أو فن العبارة، بل بجزء من الأسلوب هو الاستعارة، حتى صارت نظرية في الأدب لا نظرية في الخطاب الإقناعي"<sup>2</sup>.

### - تضييق الأجناس الخطابية:

لقد حصر أرسطو البلاغة عبر تلخيص الأجناس الخطابية إلى أنماط ثلاثة (القضائية، والاستشارية، والاحتفالية)، وهذا الحصر للبلاغة هو الذي أدى بالبلاغيين اللاحقين إلى اعتبار صنافة أرسطو أول محاولة لاخترال البلاغة.

## 2- إحياء البلاغة وولادة المصطلح:

يرى بعض البلاغيين الجدد أن تاريخ الأفكار مثل التاريخ السياسي، يتضمن لحظات الانكسار والانتصار، لحظات النسيان والعبث، فإنه منذ سنوات قليلة لم يكن أحد يتصور أن البلاغة ستعود لتحتل المقام الأول، أو لتأخذ مكانها مرة أخرى في الصف الأول من العلوم الإنسانية، ولم يكن الأمر ليتعدى الإشارة إلى ملاحظة عابرة لناقد نفاذ مثل بول فاليري (P. Valery) عن الدور الذي يقع من الأهمية في الدرجة القصوى، والذي تقوم به الظواهر البلاغية في الشعر مع أن بعض ذوي البصيرة المرهفة كانوا يدركون بأنه من بين جميع العلوم القديمة، ربما كانت البلاغة هي التي تستحق أن تسترد وصف العلمية. إلا أنه لم يكن هناك أمل كبير في بعثها للحياة مرة أخرى. إذ أن البلاغة التأميلية القديمة كانت على حد تعبيرهم أكثر من ميتة، ويشيرون في هذا الصدد إلى ما كان يتردد منذ القرن الماضي في الثقافة الغربية أن حماية القوانين التعليمية لها هي التي عاقت دفنها نهائياً وإن لم تمنع تعفنها<sup>3</sup>، غير أن رولان بارت لم يؤمن بالموت الحقيقي للبلاغة بقدر ما اعتقد بنومها وإمكانية عودتها للحياة مجدداً، يقول: "إن موت البلاغة لم يكن موتاً حقيقياً، وإنما «نصف

1 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 180 - 181.

2 - أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص. 6.

3 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 197 - 180.

موت» أو بعبارة أدق «نوما»<sup>1</sup> ويشير بارت في قوله هذا إلى أن البلاغة، وإن تم الاستغناء عنها لعدم جدوتها، فإنها تحمل في ثناياها أسباب عودتها إلى الحياة مرة أخرى، وفي ذلك يقول تودوروف: "ماتت الخطابة القديمة منذ القرن التاسع عشر؛ غير أنها قبل اختفائها انتجت؛ بجهد أخير يفوق الجهود التي سبقتها، كأنها تجتهد في صدّ موت وشيك، جملة من التأمّلات لا نظير لدقتها ولطاقتها"<sup>2</sup>، ولعل ما ساعد في بداية الاهتمام بالبلاغة في فترة الستينات من القرن العشرين بداية الوعي بأهمية تقنيات التأثير والإقناع وقوتها طوال القرن، كما شهدت هذه الفترة أيضا بداية هيمنة الإشهار بقوة في المشهد الثقافي.

تزامن ميلاد مصطلح «البلاغة الجديدة» مع محاولات إحياء البلاغة في النصف الثاني من القرن العشرين - الثورة اللسانية مع فرديناند دي سوسور وما بعدها من الشكلانية (Formalisme) والبنوية (Structuralisme) والسيميائية (Sémiotique) وغيرها- وتمت ولادة المصطلح ذاته رسميا عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها الفيلسوف التشيكي القانوني شايم بيرلمان (Chaïm Perlman) وعالمة السوسولوجيا البلجيكية لوسي ألبريخت تيتكا (Lucy Albrecht Titka) تحت اسم (Traité de l'argumentation : La nouvelle Rhétorique) ترجمه الدارسين العرب إلى عدّة ترجمات منها: "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة"، أو "نظرية في الحجاج: البلاغة الجديدة"، أو "مقال في البرهان: البلاغة الجديدة" وغيرها. لخص عام 1970 إلى كتاب مُصغّر بعنوان «إمبراطورية البلاغة» (l'empire rhétorique).

يعتمد مؤلف بيرلمان وتيتكا على محاولة بعث ماضي البلاغة الفلسفي، يقول بيرلمان: "نأمل أن تؤدي محاولتنا إلى بعث ماضي البلاغة الفلسفي من جديد"<sup>3</sup>، ومحاولة إحياء المقوم الحجاجي في بلاغة أرسطو؛ لهذا يُمثّل "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة" أول محاولة في القرن العشرين لردم الهوة التي تفصل البلاغة الغربية عن أصلها الخطابي الأرسطي في صورة بلاغة برهانية جديدة تتجاوز بعض جوانب البلاغة الكلاسيكية كالجانب الأسلوبي، لهذا تُعدّ البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتكا خطابة أرسطية في ثوب جديد، يقول بيرلمان في تحدّد موضوع مؤلفه: "إذا كانت القرون الثلاثة الأخيرة قد شهدت أعمالا كبرى تدور المشكلات الفلسفية والإيديولوجية، واتسم هذا القرن الأخير بازدهار الدعاية والإعلان، فإن المناطق المحدثين قد أغفلوا هذا الجانب، ما يجعل نظريتنا تقترب مرة أخرى مبدئيا من شواغل عصر النهضة. ولذا فإننا نقدّمها على أنها بلاغة جديدة"<sup>4</sup>. وقد قامت البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتكا على جملة من الأسس، من بينها:

#### - القطيعة مع ديكارت:

تُبين السطور الأولى، من كتاب بيرلمان، حسب فيليب بروطون، القطيعة التي يُحاول بيرلمان تحقيقها مع تصوّر العقل والاستدلال عند ديكارت، والذي يجعله من الوضوح دليل العقل، لم يعد يعتبر العقلانية إلاّ في البرهان الذي ينطلق من أفكار جلية ومغايرة لينشر وضوح المسلّمات المقرّرة على كل القضايا المطلوب إثباتها، وعليه يرفض بيرلمان من البداية الخيار غير الصائب

1 - رولان بارت، قراءة جديدة في البلاغة القديمة، ص. 7-8.

2 - تزفيتان تودوروف، نظريات في الرّمز، ص. 125.

3 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 75.

4 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

الذي يحيل ما يُمكن إحصاؤه إلى العقل البرهاني، وما لا يُمكن إحصاؤه، أي كل ما يُتبع من القيم ومما يحتمل الصواب، إلى القوّة غير العقلانيّة، وإلى غرائزنا، وإلى الإيحاء، أو إلى القهر؛ لهذا، فإنّه يفتح، أو يعيد فتح، نموذج، منطلقاً من المبدأ البسيط والجذري القائل: إنّ فكرة الوضوح، التي تعتبر صفة العقل، هي التي يجب مناقشتها، إذا أردنا أن نقيم مكاناً لنظريّة الحجاج تقرر استخدام العقل من أجل التّحكم في فعلنا، ومن أجل ممارسة التأثير على أفعال الآخرين<sup>1</sup>. ولا يختلف رأي أوليفي روبول وبييرلمان عن رأي رولان بارت في كون العقلانيّة ورفضها للمحتمل، شكّلت مصدراً للصعوبة التي واجهتها البلاغة في الاحتفاظ بموقع مركزي في أنظمة الفكر الحديثة ويُمكننا، بشكل أعمق وصف هذه المرحلة بأنّها مرحلو المواجهة بين ثقافة الوضوح التي استفادت من إنجازات النّزعة العلميّة والنّزعة الوضعيّة، وبين ثقافة الحجاج التي ترى أنّ صعودها يُعرقله أقول لا يتعلّق في المحصّلة النهائيّة سوى بالمظهر الجمالي للخطاب وليس بالمظهر الحجاجي<sup>2</sup>.

### - رفض بلاغة المحسنات:

يُقدّم بييرلمان تعريفه للوجه البلاغيّة، ويُدقّق الفرق بين الحجاجيّة منها وبين التي لا تكون سوى زخرفة وتزيين. وهو بهذا التمييز يضع، في الآن نفسه، تراتبيّة بين الوجه البلاغي الحجاجي وبين المُحسّن الفارغ من الحجاج؛ فالثاني ليس إلّا زخرفة لا فعاليّة لها في الخطاب، فهو يُشبه «زهوراً ذابطة في مرّج مُعشّب»<sup>3</sup>.

### - الجمع بين الخطابة والجدل:

يرفض بييرلمان التّعارض الذي أقامه أرسطو بين الجدل والخطابة. فقد اعتبر الفيلسوف أنّ الجدل يهتم بالحُجج المستخدمة في المُناظرات أو في الحوار مع مخاطب واحد، بينما تتعلّق الخطابة بالحُجج المستخدمة في الخطب التي تُلقى في ساحة عموميّة أمام حشد من النّاس غير مختصين وعاجزين عن تتبّع استدلالات معقدة. لكن بييرلمان يَعتبر أنّ هذا الفصل بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي فصل مصطنع<sup>4</sup>، وعليه فالجمع بين الخطابة والجدل هو أهم إنجاز قام به بييرلمان في بلاغته الجديدة.

### - تثوير مفهوم المستمع:

تمكّن بييرلمان من تثوير مفهوم المستمع الذي يعني عنده مجموع من يريد الخطيب أن يُؤثر فيهم بواسطة حجاجه. وهذا المجموع يذهب من الشّخص ذاته حين يحاور نفسه إلى الإنسانيّة جمعاء. وتبعاً لذلك قسّم المستمع إلى مستمع خاص (يتكوّن من شخص الخطيب وهو يحاور نفسه أو من جمع محدّد العدد في مقام معيّن) ومستمع كوني (يشمل الإنسانيّة جمعاء، مروراً بتشكيلات لا نهائيّة من المُستمعات الخاصة، أي كل كائن ذي عقل)<sup>5</sup>.

1 - أنظر: فيليب بروتون، تاريخ نظريات الحجاج، ص. 44.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 21.

3 - أنظر: الحسين بنو هاشم، نظريّة الحجاج عند شايم بييرلمان، ص. 32.

4 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 35.

5 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 36 - 38.



## - توسيع الأجناس الخطابية:

لقد أصبحت الخطابة عند شايم بيرلمان غير خاصة بالخطاب الشفوي فحسب، كما كان عليه الأمر في الخطابة القديمة، بل كذلك بالخطاب الكتابي. بل إن بيرلمان لا يهتم بخصوصيات الخطاب الشفوي، فأكثر التصوص التي يستشهد بها هي من الخطابات الكتابية. وعليه أطلق الفيلسوف القانوني الخطابة من عقالها لتفتح على جميع الخطابات الإنسانية<sup>1</sup>، وهو بذلك لا يلتزم بتقسيم أرسطو الثلاثي للأجناس الخطابية أي القضائي (Judiciaire)، والاستشاري (Délibératif)، والاحتفالي (Épidictique).

## - الفصل بين الشكل والمضمون:

من أهم المبادئ التي تعنينا كذلك في هذه البلاغة الجديدة -يقول بيرلمان- ربط الشكل بالمادة ومقاومة الاتجاه القائل بالفصل بينهما. على أساس أن تقنيات العرض والتقديم قد لقيت نجاحا واضحا في اتجاه معين أدى بها إلى أن تنحصر في المجالات البلاغية. اعتمادا على تصوّرها باعتبارها فن الكلام والكتابة الجيّدين؛ أي فن عرض الفكر بطريقة شكلية محضة. ويرى في تدهور البلاغة وعقمها واحتفائها بالجانب اللفظي، ممّا يرفض أي نوع من الفصل بين الشكل والمضمون. وعدم دراسة الأبنية والأشكال الأسلوبية بمعزل عن الهدف الذي ينبغي أن تؤدّيه في عمليات البرهان<sup>2</sup>.

## 3- مصطلح "البلاغة الجديدة" في السياق البلاغي الغربي:

عرفت البلاغة الغربية نشاط تجديد قبل مشروع بيرلمان النهضوي الحجاجي وكان ذلك في المنتصف الأوّل من القرن العشرين مع الفيلسوف الإنجليزي آيفور آرمسترونغ ريتشاردز (Ivor Armstrong Richards) وقد كانت وجهة الفيلسوف تداولية - تواصلية، فإذا كان التأسيس الأوّل للبلاغة الغربية قد قام لدى أرسطو على فكرة الإقناع والتأثير، فإنّ التأسيس الثاني لها، عند ريتشاردز، في كتابه «فلسفة البلاغة» سنة 1936، قد قام على نقض هذه الفكرة، والاعتقاد بأنّ وظيفتها - أي البلاغة- ينبغي أن تكون دراسة لطرق سوء الفهم في التّوصيل اللغوي. وبذلك قرّر ريتشاردز أن يكون في طبيعة مع المقاربات البلاغية القديمة التي انتعشت منذ القرن السابع عشر، ليدشّن أوّل مشروع لتحديث البلاغة سيتأثر بعد عقود باهتمام الباحثين في اللسانيات والسيما والاتّصال. وقد كان ريتشاردز يرى أنّ الحجر الأساس الذي يقوم عليه سوء الفهم هو ما يسميه بخرافة المعنى الخاص، أي الاعتقاد بأنّ للكلمة أو المفردة معنى ثابتا مستقرّا بصرف النظر عن السياق أو الاستعمال<sup>3</sup>، وعليه فـ «البلاغة الجديدة» عند ريتشاردز هي البلاغة التي تهتم بدراسة الفهم اللفظي أو سوء الفهم، وهي بلاغة تأخذ على نفسها البحث في أنماط المعاني، لا على الصّعيد الإجمالي، إذ تناقش تأثير الأنماط التنظيمية لأقسام الخطاب الواسعة، كما تفعل البلاغة القديمة،

1 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 37 - 38.

2 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 77-78.

3 - أنظر: آيفور آرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص. 5.

ولكن على الصعيد التفصيلي وعلاقتها المتداخلة المتشابكة والشروط التي بواسطتها تظهر<sup>1</sup>. وبهذا ربط ريتشاردز «البلاغة الجديدة» بالسياق التداولي والوظيفة التواصلية.

أما رولان بارت فقد ربط مصطلح «البلاغة الجديدة» بالشق التداولي الحجاجي لذلك يرى أن تراجع البلاغة يعود بالأساس إلى اختزالها في «نظرية الصياغة» التي قيدتها بالبحث في الصّور، والوجوه، والزخارف، وبالإجمال في الأسلوب، وهو ما جعل نوفاليس (Novalis) – يقول بارت- يعتبر البلاغة أسلوبية قديمة. وقد جنى هذا الاختزال كثيرا على البلاغة إذ جعلنا ننسى جانبها التداولي المرتبط بـ «المحاجة»، و«المخاصمة»، و«المجادلة»، و«المنازعة»، و«المناقشة»، و«المحاورة»، و«المنظرة»، وغيرها<sup>2</sup>. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعود بارت إلى بلاغة جديدة كانت متواجدة في المحطة البلاغية الرومانية حيث يُسمّى البلاغة الجديدة بالسفسطة الثانية، الجمالية (البلاغة الشعرية والنقد) التي سادت في العالم الإغريق – روماني الموحد، خلال القرن الثاني والقرن الثالث بعد الميلاد، ولقد أصبحت البلاغة الجديدة فعلا توحيدية؛ نفس الوجوه أصبحت مأخوذة من قبل سانت أوغسطين في إفريقيا اللاتينية، من قبل الوثني ليبانيوس، ومن قبل سانت غريغوار من نازيانز في اليونان الشرقية. وقد تشيدت هذه الإمبراطورية الأدبية – حسب رولان بارت- من خلال مرجعية مزدوجة، وهي<sup>3</sup>:

- السفسطة: إنّ خطباء آسيا الصغرى، يريدون استعارة اسم السوفسطائيين (Sophiste) الذين يعتقدون أنهم يُحاكينهم.

- البلاغة: لم تعد البلاغة تقنية خاصة، وإنما ثقافة عامة وهي أكثر من ذلك تربية أممية (على مستوى المدارس) إنّ السوفسطائي هو مدير مدرسة، والمعلم الذي هو تابعه، هو البلاغي.

ظهر مصطلح «البلاغة الجديدة» أيضا كقابل لـ «البلاغة العامة» عند جماعة مو (Groupe Mu) وتأسس هذا الاتجاه في الخمسينيات والستينيات في القرن العشرين، فانصرف إلى الاهتمام بنظرية الأدب، ودراسة التصويرات الخطابية، والبحث في أدبيات النصوص والخطابات مسترسلا مناهج الشعرية والبنوية والسيمائية، ومرتكزا على فن الشعر الأرسطي، مثلما هو الأمر مع دراسات رولان بارت، وجون كوهن، وجماعة مو. وقد احتلت التصويرات الخطابية مكانة هامة في الدراسات الأدبية والنقدية البنوية والسيمائية، ما دامت التصويرة هي جوهر الأدب وبورته الفنية والجمالية<sup>4</sup>، وقد وُلدت هذه «البلاغة الجديدة» (البلاغة الجديدة العامة) في حضان البنوية النقدية ذات النزوع الشكلائي الواضح. وتتمثل جدتها في أنها تقوم في مقابل التقاليد المدرسية للبلاغة الكلاسيكية، ويمثلها جماعة ممن أطلق عليهم البلاغيون الجدد، معظمهم في فرنسا مثل "جيرار جنيت" و"جون كوهن" في كتابيه «بنية اللغة الشعرية» و«اللغة العليا» وتودوروف وجماعة مو (أو جماعة لياج Groupe de Liège) في كتابهم (La Rhétorique générale) أو «البلاغة

1 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 32.

2 - رولان بارت، قراءة جديدة في البلاغة القديمة، ص. 6-7.

3 - المرجع نفسه، ص. 20.

4 - جميل حمدوي، من الحجاج إل البلاغة الجديدة، ص. 70-71.

العامة» يستمدون أفقهم المعرفي من تيارات تحديثية تتزامن مع حركات تجديد أخرى مثل النقد الجديد والرواية الجديدة وغيرها<sup>1</sup>.

تتميز «البلاغة الجديدة العامة» بعدد من السمات. من أهمها قطعيتها الفعلية مع التقاليد البلاغية القديمة، وغلبة الطابع غير التاريخي عليها، وارتباطها الوثيق بالتجربة الشكلية. واتخاذ مبادئها وسيلة لإضفاء الطابع العلمي، لا الإيديولوجي على بحوثها<sup>2</sup>. ومن مفرزاتهم أيضا نظرية الانزياح أو التغيير الدلالي حيث ضخم أنصار هذا الاتجاه البلاغي الجديد الانزياح حتى جعلوه يعني الخطابة. وقد انشغلت جماعة مو مثلا بالخطابة العامة لما هي انفتحت على ثلثة من المقاربات: اللسانيات، وسوسولوجيا الثقافة، والفلسفة، والبيو كيمياء، وعلم الجمال، وتاريخ السينما، كما اهتمت أيضا بدراسة مختلف التصويرات الخطابية داخل نصوص لغوية معينة، وخطابات بصرية متعددة. إن هدف جماعة مو هو تأسيس سيميوطيقا خطابية عامة لأجل معرفة أنظمة اللغة والكلام معرفيا ولسانيا<sup>3</sup>.

أما فيليب بروتون (Philip Brotonne) فمصطلح «البلاغة الجديدة» عنده يفترن بنظرية الحجاج البلاغي عند شايم بيرلمان، يقول في كتابه «الحجاج والتواصل»: "الخطابة الجديدة مرتبطة بالتقليد الخطابي الأرسطي، تروغ تحديثه وتصويره مبحثا خاصا مستقلا، يقطع في ذات الوقت مع المنطق البرهاني وفلسفة البداهة الديكارتيّة، ويفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي"<sup>4</sup> حيث يرى بروتون أن بيرلمان تعهد بالاضطلاع والعمل على استثمار الموروث البلاغي، وجعل «البلاغة الجديدة» تشق طريقها. وقد حقق كتابه - مُصنّف في الحجاج - البلاغة الجديدة- منعظفا في الحقل البلاغي، ويتمثل الاكتشاف الأكبر لمُصنّف عن الحجاج - حسب بروتون- في أنه بين البرهان العلمي واعتباطية الاعتقادات، يوجد منطق المحتمل، يدعوانه -بيرلمان وتيتكا- الحجاج ويربطانه بالخطابة القديمة. وقد وجد بيرلمان نفسه وهو يبحث عن خطابة جديدة في موقف معارض للخطابة الكلاسيكية، تلك التي تطورت في القرن السابع عشر وتقلّصت لتُصبح، كما يقول بروتون، خطابة التصويرات الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف<sup>5</sup>.

وفي الباب الثاني من كتابه المشترك مع جيل جوتيه، الموسوم بـ «تاريخ نظريات الحجاج» يربط بروتون أيضا مصطلح «البلاغة الجديدة» بالنّهضة الحجاجية المعاصرة على يد بيرلمان وتيتكا في كتابهما المشترك واستيفان تولمن (Stephen Toulmin) في كتابه «استخدامات الحجّة»، يقول: "إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة تُدين بالكثير إلى كتابات بيرلمان وتيتكا حيث ترتبط «البلاغة الجديدة» - العنوان الفرعي لكتاب لبيرلمان- بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديثه. هذه «البلاغة الجديدة» تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح على الطريقة

1 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. ص 83-84.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص. ص 82-83.

3 - أنظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص. 92.

4 - فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص. ص 41-42.

5 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 42.

الدِّيكارتية، وذلك لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي<sup>1</sup>. ويعرض بروتون أيضا في مؤلفه المشترك أساسيات «البلاغة الجديدة»، منها<sup>2</sup>:

- إن البلاغة الجديدة تختلف عن أي نظرية بلاغية غير حجاجية.  
- تختلف «البلاغة الجديدة» مع التراث الديكارتية الذي لا يرى العقلانية إلا في البرهان المنطقي.  
- تُمثّل «البلاغة الجديدة» عند بيرلمان استعادة للمحاولة التي شرع فيها أرسطو في بحثه عن قواعد بناء المعرفة المشتركة.

- اعتمد بيرلمان في «بلاغته الجديدة» على البلاغة التي جدّد فيها تصنيف الحجج.  
كما تقرّر «البلاغة الجديدة» عند أوليفي ريبول في مؤلفه «مدخل إلى الخطابة» إلى بلاغتين – أو خطابتين حسب اصطلاح مترجم كتاب ريبول – هما: الخطابة الحجاجية والخطابة البلاغية، أي الاتجاه الحجاجي والاتجاه اللساني، يجوز القول عنهما – حسب ريبول- خطابة جديدة ضد خطابة جديدة. تهدف الخطابة في رأي ريبول، عند الاتجاه الأوّل، إلى الإقناع، وبالتّسبة للثاني، إنّها تُشكّل ما يجعل النصّ أدبيا وتبحث «في معرفة طرق اللغة المميّزة للأدب». ويقول ريبول مستفهما عنهما مترددا: "لسنا نعلم جيّدا المشترك بين الموقفين"<sup>3</sup>، ويستدرك مفترضا أنّ الأمر المشترك بينهما إنّما هو "تمفصل الحجج والأسلوب في الوظيفة نفسها"<sup>4</sup>.

ويرى ريبول أنّ خطباء الاتجاه الخطابى اللساني (أو الخطابة البلاغية) حصروا الخطابة في دراسة التّصويرات الأسلوبية، التي عرفوها بأنّها انزياح في علاقته بالمعيار، ب «الدرجة الصّفر»، واختزلوا بالتّالي الخطابة في الانزياح، وعليه تروم الخطابة البلاغية أن تكون أدبية محضة دونما علاقة مع المقانعة. لقد نسي بالتّالي – يقول ريبول- كثيرا معنى كلمة «خطابة» حتى صارت سمة كل شيء آخر<sup>5</sup>. وقد اتّجهت هذه الحركة -حسب ريبول- والتي تشمل جون كوهن، وجماعة مو، وجيرار جنيت، ورولان بارت، بالخطابة إلى معرفة طرق اللغة المميّزة للأدب، واختزلت هذه الطرق في التّصوّرات الأسلوبية، المعرفة نفسها باعتبارها كل واحدة منها انزياحا بالنّسبة إلى الدرجة الصّفر التي ستكون في النّثر غير الأدبي، دون المواضيع، والترتيب. انحصرت هذه «الخطابة الجديدة»، إذن، في البلاغة، وما احتفظت من البلاغة إلا بالتّصوّرات. ومجمل القول إنّها خطابة دونما غاية<sup>6</sup>.

وفي المقابل يُعارض الخطابة الأدبية – يقول ريبول- تيار آخر، يدخل في التّقليد الكبير لأرسطو، إنّما هو حقا نظرية الخطاب المقانعي. انطلق مؤلّفاه – بيرلمان وتيتكا- من شكل فلسفي لا لساني وأدبي: كيف نؤسّس أحكام القيمة؟ وما الذي يسمح لنا بأنّ نؤكّد أنّ هذا عادل، أو أنّ هذا غير جميل؟ فبحثا بالتّالي عن منطق قيمة؟ مواز لمنطق العلم، وانتهيا إلى العثور عليه في الخطابة

1 - المرجع نفسه، ص. ص 41- 42.

2 - المرجع نفسه، ص. 42.

3 - أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص. 75.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 116.

6 - أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها،

القديمة، مُكَمَّل كما ينبغي بالجدل. إنَّ كتابهما هو أساسا دراسة لمختلف أصناف الحجاج، وعليه فهي خطابة تُركِّز على الإبداع لا على البلاغة<sup>1</sup>.

وإزاء هذه المنافرة الخطابيَّة، يتوجَّه أوليفي ريبول توجَّها تركيبيا يسعى من خلاله إلى التّوليف بين الاتجاهين السّالّفين، حيث يرفض ريبول الفصل الخطابة الجديدة لبيرلمان وتتيكا من جهة، والخطابة الجديدة لجماعة مو وبارت وجنيت من جهة أخرى. فالإتجاه الأوّل – حسب ريبول- غير مكتمل؛ فإذا كان مُصنّف عن الحجاج يصف أحسن الوصف مخططات الحجاج، فإنّه يتنكّر ويتجاهل الجوانب الانفعاليَّة للخطابة، أقصد الإمتاع والتهيج، والجمال والعاطفة، الأساسيّة للمقابلة<sup>2</sup>. والاتجاه الثّاني أيضا ناقص قاصر، مادامت انحصرت هذه «الخطابة الجديدة» في البلاغة، وما احتفظت من البلاغة إلاّ بالتّصورات، فأهملت الإبداع في الجزء الحجاجي في الخطابة. ومجمل القول إنّها خطابة دونما غاية<sup>3</sup>.

ينبغي على الخطابة إذن أن تؤلّف بين الحجاج والأسلوب، أو قل، بلغة ريبول، بين «الحجاجي والخطابي»، لأداء وظيفة واحدة، وظيفية الإقناع، يقول ريبول: "يتضمّن مقانعي الخطاب مظهرين اثنين: الأوّل سندعوه «الحجاجي»، والثّاني «الخطبي». مظهرين ليس يسهل دائما التّمييز بينهما"<sup>4</sup> ويقصد بالخطبي "حركات الخطيب ونبرته وتغيّرات صوته"<sup>5</sup> والتّصورات الأسلوبية، أي الإيثوس والباتوس. ثم يقفي على هذا القول بقول آخر أفاد أنّ الخطابة نفسها تتألّف "من عنصرين: الحجاجي والخطبي"، ويكتب في موضع آخر من الكتاب: "تمّ التّأكيد على أنّ الخطابة هي التّوحيد الحميمي بين الأسلوب والحجاج"<sup>6</sup>، ويقول أيضا "تبحث القراءة الخطابيَّة عن الرّباط الحميمي بين الحجاجي والخطبي"، ثمّ يُعلّق "وللوصول إلى ذلك، وجب رفض الاختيار القاتل بين خطابة حجاجية وخطابة أسلوبية. ليست تستقيم الواحدة منهما دون الأخرى"<sup>7</sup>. وللوصول إلى ذلك، وجب – في طرح ريبول- رفض الاختيار القاتل بالفصل بين خطابة حجاجية وخطابة أسلوبية.

وعلاوة على ريبول يحمل مصطلح "البلاغة الجديدة" عند اللساني والسيميائي البلجيكي **جون ماري كليكنبرغ** (Klinkenberg Jean Marie) أيضا أثر توجّهين، لدينا إذن –يقول- بلاغتان جديدتان<sup>8</sup>:  
- تختصّ البلاغة الجديدة الأولى بدراسة آليات الخطاب الاجتماعي العام، إنّها تتداخل بشكل واسع مع التّداولية، بما أنّها وُلدت عند فلاسفة القانون، ويقصد كليكنبرغ هنا البلاغة الحجاجية البيرلمانية، يقول: "حين يُراد الإقناع فإنّ الأمر لا يتعلّق بالاستنتاج والحساب ولكن أيضا بالحجاج"<sup>9</sup>، وعليه فحقول تطبيق البلاغة «الجديدة الأولى» كانت إذا في البدء الدّعاية السياسيّة أو التّجاريّة، والمناقشات أو المجادلات القانونيّة وأيضا الحوار الفلسفي.

1 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 117.

2 - أنظر: أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص. 98.

3 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 9.

4 - أنظر: المرجع نفسه ص. 7.

5 - المرجع نفسه، ص. 8.

6 - المرجع نفسه، ص. 226..

7 - المرجع نفسه، ص. 98.

8 - أنظر: جون ماري كليكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، ص. 322.

9 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما البلاغة الجديدة الثَّانِيَّة فقد تطوّرت عند اللسانيين الذين دفعوا إلى ذلك بالبحث عن البنيات اللسانية التي تكون خاصّة بالأدب، سُمِّيت هذه البلاغة الجديدة بالشَّعْرِيَّة وعادة ما عُرضت هذه البلاغة الجديدة الثَّانِيَّة كبلاغة ضيِّقة: ضيِّقة بالمقارنة مع البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة الأولى (البلاغة الحجاجيَّة) بما أنَّها تبدو منشغلة فقط بوقائع التَّعبير أي بالجانب الشكلي للخطاب<sup>1</sup>.

#### 4- مصطلح "البلاغة الجديدة" في السِّياق البلاغي العربي:

يعرض النّاقِد المصري صلاح فضل في كتابه «بلاغة الخطاب وعلم النّص» أربع حمولات مفاهيميَّة لمصطلح "البلاغة الجديدة" تحت مسمى «بلاغة الخطاب. الاتِّجاهات الجديدة من القاعدة إلى الظَّاهرة»، يقول: "أخذت بحوث البلاغة الجديدة تنمو منذ نهاية عقد الخمسينات حتى الآن، عبر عدَّة أفاق متجاوزة ومتتاليَّة، وإن كانت متباينة في أهدافها وبرامجها. ولا تتعلّق هذه الأفاق بالاتِّجاهات الدَّاخليَّة للدراسات البلاغيَّة فحسب، وإنَّما تُمثِّل طرائق مختلفة في منظور التَّجديد وأدواته المنهجية"<sup>2</sup>، ولعلَّ أوَّل منظور بلاغي جديد يتناوله الباحث بالعرض والشَّرح والتَّفسير هو البلاغة الجديدة ذات الطَّابع البرهاني عند بيرلمان وتيتكا والتي تُعدّ - حسب - محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجَّة الاستدلاليَّة باعتبارها تحديداً منطقيّاً بالمفهوم الواسع، كتقنيَّة خاصّة ومتميِّزة لدراسة المنطق التَّشريعي والقضائي على وجه التَّحديد وامتداداتها إلى بقيَّة مجالات الخطاب المعاصر. وقد عُرفت هذه البلاغة البرهانيَّة فيما بعد بمدرسة «بروكسل» وتفرَّعت إلى تيارات عديدة متخالفة في الأعوام التَّاليَّة؛ إذ انبثقت من دراسة المنطق القضائي لكنها لم تلبث أن تجاوزته إلى الفلسفة والأيدولوجيا، بصفة عامة، ويُلاحظ عموماً على مبادئها أنَّها تدور حول وظيفة اللغة التَّواصلية، وأنَّها ليست منبئة الصِّلة بالتقاليد البلاغيَّة الكلاسيكيَّة، على اعتبار أنَّ مُنظِّر الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغيَّة كأدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان<sup>3</sup>. إنَّ الخاصيَّة الأساسيَّة لهذه البلاغة الجديدة - يقول صلاح فضل - أنَّها منطقيَّة وليست تجريبيَّة. فنظريَّة البرهان التي تهدف إلى بحث سبل التَّأثير عبر الخطاب بشكل فعّال في الأشخاص كان يُمكن أن تُدرس كفرع من علم النِّفس، وعندئذ تتحوَّل إلى موضوع يتَّصل بعلم النِّفس التَّجريبي؛ حيث توضع موضع الاختبار مختلف البراهين أمام مجموعات متنوّعة من المتلقين الذين يتمُّ اختيارهم بطريقة منمَّمة، كي يتمَّ استخلاص بعض النّتائج الهامَّة من هذه التَّجارب. كما أنَّ أبرز إنجازات هذه البلاغة الجديدة البرهانيَّة - حسب النّاقِد - هو ردُّ الاعتبار الفلسفي لكلمة بلاغة والإسهام في العودة إلى إثارة قضاياها الجوهرية من منظور أفاد من تطوّر معطيات المنطق الحديث وشارف أفق علوم الاتِّصال الجديدة<sup>4</sup>.

يعرض صلاح فضل أيضاً، وكخطوة ثانيَّة، البلاغة الجديدة بمفهومها البنيوي العام من خلال مفهومها، وتاريخ نشأتها، وأعلامها، وأهم سماتها، وحاول بسط بعض مبادئ هذا الاتِّجاه البنيوي

1 - أنظر: جون ماري كليكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، ص. 322-323.

2 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 73.

3 - أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 77-82.

للبلّاعة الجديدة في سياق عرض نظرياتهم بتركيز، وشرح منظورهم في أهم قضايا الخطاب البلاغي خاصّة فيما يتعلّق بأبنيّة الأشكال البلاغيّة وتصنيفاتها المحدثّة، من بينها<sup>1</sup>:

- يؤكّد البلاغيون البنيويون الجدد حقيقة هامة وهي أنّ المجاز الشعري انحراف ظاهر له علامته، ولكي يكون هناك انحراف لابد أن يقوم توتر في الخطاب أو تباعد بين الوحدات الدلاليّة، بين وحدتين على وجه الخصوص.

- يرى البلاغيون الجدد أن علم الدلالة البنيوي الحديث هو الذي يُعدّ أصلح أساس لتنظيم مسائل مشكلة المعنى في المجاز

- عملت البلاغة البنيويّة العامة على وصف العمليّات البلاغيّة في جملتها على أسس جديدة باعتبارها تحولات أو انحرافات.

- تعمل البلاغة البنيويّة العامة على تقنين المجاز وتحديد مداه.

- يرى البلاغيون البنيويون الجدد أنّ الشكّل المجازي لا يُمكن إدراكه إلاّ في جملة أو في سلسلة قوليّة.

- يؤمن البلاغيون البنيويون الجدد بوجود الدّرجة الصّفر للغة وهي الحد الأدنى من الجملة التّامة. كما يُنهي الدّارس حديثه عن البلاغة الجديدة ذات المنحى البنيوي بعرض وجه القصور في هذه البلاغة إذ أنّ الكثير من ممثلي هذا الاتّجاه - حسب - قد خرجوا عليه واتّهموه بالقصور والنقص، والنموذج الواضح لذلك هو جيرار جنيت الذي أعلن نقده لهذا الاتّجاه الحصري للبلاغة، بحيث ظلّت في تقديره تدور حول "العبارة" فحسب، أو بتعبير أدقّ حول بعض أشكالها التّصوريّة، كما كاد أن ينتهي بها إلى أن تنحصر في مجرد نظريّة للاستعارة تقوم في صلبها على تحديد الانحرافات وطرائق تصويبها، وقد حدا ببعض الباحثين الآخرين، مثل الفيلسوف الفرنسي بول ريكور، إلى الحديث عن الخداع الذي ينطوي عليه تقديمها باعتبارها بلاغة عامة تدّعي أنّها تريد هز المبنى البلاغي بأكمله، في الوقت الذي لا يتجاوز فيه إنجازها الفعلي مجرد مراجعة قوائم الأشكال البلاغيّة التّقليديّة وملامسة مشكلات المعنى والمجاز دون حلول جذريّة لها<sup>2</sup>.

أمّا المفهوم الثّالث الذي أورده صلاح فضل لمصطلح «البلاغة الجديدة» فهو البلاغة الجديدة التّداوليّة وهو اتّجاه يعمد إلى تحليل الخطاب بمنهج وظيفي مجاوز للاتّجاه البنيوي ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية والتّداوليّة من ناحية أخرى، وقد تحوّل إليه في نهاية السبعينات بعض أنصار التّيّار الثّاني كما فعل تودوروف الذي اعترف عام 1979 بأنّ السيميولوجيا يُمكن أن تُفهم بوصفها بلاغة معاصرة، وقد اتّضح أنّ مفهوم بلاغة الخطاب مرهون بالاعتداد بها، أي البلاغة كعلم لكل أنواع الخطاب<sup>3</sup>.

يرى أنصار الاتّجاه التّداولي للخطاب أنّ المهمة الأولى لتحديد علاقة البلاغة بالتّداوليّة (Pragmatique) هي تعريف مجال كل منهما. خاصّة لأنّ هناك بعض التّعريفات الموسّعة المريحة التي لا تُساعد على التّحديد العلمي الدّقيق، وذلك مثل من يُعرفون البلاغة بأنّها «فن القول بشكل

1 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. ص 82-97.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 98.

3 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 74.

عام»، أو «فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ»، مما يجعلها مجرد أداة نفعيّة ذرائعيّة، يقول الباحث الألماني لوسبيرج (H. Lausberg): "إنّ البلاغة نظام له بنيّة من الأشكال التّصوريّة واللّغويّة؛ يصلح لإحداث التّأثير الذي يُنشده المتكلّم في موقف مُحدّد. وبنفس الطريقة يرى ليتش (Leitch.v) أنّ البلاغة تداوليّة في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلّم والسّامع بحيث يحلان إشكاليّة علاقتهما مستخدمين وسائل مُحدّدة للتّأثير على بعضهما. ولذلك فإنّ البلاغة والتّداوليّة البرجماتيّة تتفقان في اعتمادهما على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقّي؛ على أساس أنّ النّص اللّغوي في جملة إنّما هو «نص في موقف»<sup>1</sup>، غير أنّ دارسي التّداوليّة يرون أنّه من المناسب تضيق مجال دلالة البلاغة باعتبارها أداة ذرائعيّة، وإلاّ أصبح من الممكن اعتبار كل شيء بلاغة، تأسيسا على أنّ لكلّ شيء أهدافه النّفعيّة، وأنّ كل رسالة لها قصدها وموقفها وظروف تلقّيها.

يقول صلاح فضل: "أما الاتجاه الأخير الذي نوّد تحليله في البلاغة اليوم فهو الذي يُمثّل علم النّص"<sup>2</sup> فما هي علاقة علم النّص بالبلاغة، خاصّة في تجلّيّاتها القديمة والحديثة؟ هل أصبحت البلاغة الجديدة هي ذاتها علم النّص، أم أنّ هناك فوارق لاتزال قائمة بينهما؟ يرى النّاقِد أنّ المنتبِع لنمو الاتّجاهات البلاغيّة الجديدة وتخلّقها في العقود الأخيرة يُلاحظ تزايد الاعتراف بعدم كفاية مشروعاتها التّخطيطيّة واتّجاهاتها الشّكليّة حتى الآن. مما يجعلها تمضي في تكوين مشروع البلاغة النّصيّة الذي يصبّ بدوره في مجال التّوحيد بينها وبين علم النّص، وهناك عدد من العوامل التي تجعل هذا الطّرح النّصي للبلاغة ضرورة ملحّة من أهمّها<sup>3</sup>:

- أنّ البلاغة الجديدة، بتجلّيّاتها المختلفة، لا مفرّ لها من أن تقوم بدور الأفق المُحدّد لتداخل الاختصاصات في العلوم الإنسانيّة في تطوّرها الحديث؛ مثلما كانت تتداخل فيها - منذ البلاغة الأرسطيّة- علوم المنطق والأخلاق والفلسفة والشّعر.

- طبيعة تطوّر الدّراسات اللّغويّة ذاتها في الآونة الأخيرة. فانتقال الاهتمام من الألسنيّة التي تتركز على اللّغة، إلى ألسنيّة الكلام، وبروز ظواهر العلاقة بين المرسل والمتلقّي في مجال التّداوليّة قد حدا بكثير من علماء اللّغة إلى العودة إلى البلاغة.

وتكمن نقطة انطلاق هذا الاتّجاه - حسب صلاح فضل- في اهتمام الفلاسفة المحدثين بمشكلة اللّغة وعلاقتها بالفكر. ما وصل لنتائج هامة عند المناطقة الجدد. وبلغ ذروته لدى مجموعة أبحاث الأنثروبولوجيا الأدبيّة واللّغويّة والاجتماعيّة حيث أجمع الباحثون على أنّ البلاغة هي الأفق المنشود والملتقى الضّروري للتّداوليّة وعلم النّص والسيميولوجيا. وهي النّمودج المؤمل عليه للعلم الإنساني في إطاره الشّامل الجديد. وكان فان ديك في هذه الآونة قد بشر في بحوثه عن علم اللّغة النّصي منذ مطلع السّبعينات بتحويل البلاغة إلى نظريّة النّص. حتى وصل هذا الباحث الهولندي ومدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النّصيّة الكبرى وتماهياها مع البحوث البلاغيّة. على أنّ تحوّل البلاغة الجديدة في الواقع إلى علم النّص - يقول صلاح فضل- يرتبط بمدى قدرة البلاغة

1 - المرجع نفسه، ص. 97-98.

2 - المرجع نفسه، ص. 204.

3- أنظر: المرجع نفسه، ص. 250-251.



في الثقافات المختلفة على تكوين نموذج جديد لإنتاج الخطاب بكل أنماطه، دون الاقتصار على نوع واحد منه، كما كانت تفعل البلاغة القديمة. فهناك من بعيد قراءة البلاغة ليجعل منها علما وصفيًا بحتًا، في مقابل اتجاه آخر يعيد قراءتها ليقوم منها علما توليديا يبحث في كيفية الإنتاج الخلاق للنصوص، كما يفضي بها عندئذ إلى أن تصب في علم النص<sup>1</sup>.

أما الباحث المغربي جميل حمداوي فمصطلح "البلاغة الجديدة" عنده يفتح على عدة سياقات جديدة من بينها الحجاجية واللسانية والأسلوبية والتداولية وغيرها، يقول في كتابه «من الحجاج إلى البلاغة الجديدة»: "سيتناول هذا الكتاب في الفصل الثاني البلاغة في مرحلتين: مرحلة البلاغة الكلاسيكية ومرحلة البلاغة الجديدة، وإذا كانت البلاغة التقليدية بلاغة معيارية تعليمية تربط فن البلاغة بالخطابة والإقناع والإمتاع والبيان، فإن البلاغة الجديدة قد تعاملت مع الخطابات النصية المختلفة منذ منتصف القرن العشرين تعاملًا علميًا وصفيًا جديدًا، ضمن مجموعة من الاتجاهات: لسانية، وأسلوبية، وحجاجية، وتداولية، وسيميائية. وأكثر من هذا، فقد أصبحت للبلاغة اليوم إمبراطورية واسعة وامتدادات شاسعة"<sup>2</sup>. يتضح من قول حمداوي أن البلاغة عرفت مرحلتين:

1- مرحلة البلاغة الكلاسيكية ذات الطابع المعياري التعليمي.

2- مرحلة البلاغة الجديدة التي اتخذت طابعًا وصفيًا

وقد اتخذت البلاغة طابعًا وصفيًا - حسب الدّارس- في منتصف القرن العشرين، وذلك من خلال ثوب جديد اهتمت فيه بوصف قواعد الخطابات والأجناس الأدبية، وتصنيف الصّور البلاغية والمحسنات البديعية، وتبيان وظائفها في ضوء مناهج معاصرة لسانية وبنوية وسيميائية وشعرية (poétique). ولم تقتصر البلاغة الجديدة على ما هو لساني في دراسة الصّور والخطابات الأدبية، بل كانت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية، والأخلاقية، والاجتماعية، والقانونية، والسياسية مع شايم بيرلمان وألبرخت تينكا. وأكثر من هذا يمكن الحديث أيضا - يقول حمداوي- عن بلاغة سيميائية مع رولان بارت وجماعة مو، وهدفها دراسة العوالم والأنظمة والأنساق السيميائية، سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، ضمن ما يُسمى بالسيميائية المرئية أو البصرية ( La sémiotique visuelle)<sup>3</sup>

ومن ثمّ يفتح مصطلح "البلاغة الجديدة" عند جميل حمداوي على عدة مفاهيم<sup>4</sup>:

- البلاغة الجديدة/البلاغة الكلاسيكية: كان ههما الوحيد هو دراسة الصّور البلاغية وتصنيف الخطابات والأجناس الأدبية وفق مقولات بنوية ولسانية عند جماعة مو وغيرهم.
- البلاغة الجديدة/البلاغة الأسلوبية: مرتكزها هو دراسة الأسلوب ووصفه في مختلف تجلياته الفنية والجمالية عند هنريش بليث ومن نحى نحوه.
- البلاغة الجديدة/البلاغة الحجاجية: استهدفت دراسة الخطابات السياسية والقضائية والاجتماعية والفلسفية والأخلاقية وفق رؤية حجاجية أرسطية جديدة وهذا ما قام به شايم بيرلمان وألبرخت تينكا.

1 - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 251.

2- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص. 5.

3- أنظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص. 65- 66.

4- أنظر: المرجع نفسه، ص. 70- 93.

- البلاغة الجديدة/البلاغة السيميائية: استخدمت آليات البلاغة في التعامل مع مجموعة من الأنساق السيميائية البصرية والمرئية والاجتماعية كالموضة والصورة والطبخ والأزياء والإشهار، ومن أهم أعلام هذا الاتجاه رولان بارت وجماعة مو لاحقاً.

- البلاغة الجديدة/البلاغة التداولية: وهدفها هو دراسة مبحث الإنشاء والخبر وفق رؤية لغوية تداولية وظيفية، قائمة على نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري.

- البلاغة الجديدة/بلاغة التواصل: كما يشير الدارس أيضاً إلى أن "البلاغة الجديدة" هي أيضاً بلاغة التواصل وهذا ما ورد -حسبه- عند أوليفيه ريبول.

وفي مؤلف آخر عنوانه جميل حمداوي بـ «نحو بلاغة جديدة: البلاغة الرّحبة أو الموسّعة» يُقرن الباحث المغربي مصطلح "البلاغة الجديدة" ببلاغة السرد، يقول: "يتناول كتابنا هذا البلاغة بمفهومها الجديد والرّحب والموسّع، متجاوزين البلاغة الضيقة والمختزلة في صورتها المشابهة (التشبيه والاستعارة) والمجاورة (المجاز المرسل والكناية)"<sup>1</sup>، بمعنى أنّ البلاغة الضيقة كانت تنصب على الشّعر دون الأجناس الأدبية الأخرى، بينما تسعى البلاغة الرّحبة الجديدة إلى مقاربة جميع النّصوص السردية وغير السردية وفق بلاغة المكونات والسّمات، أو وفق البلاغة النوعية، أو وفق الصّورة السردية الموسّعة التي تُنصت إلى النّصوص من الدّاخل فنّيّاً وجماليّاً. ومن هنا، فلقد أعادت البلاغة الرّحبة النّظر في مفهوم الصّورة، فوسّعت مدلولاتها وأنواعها وفق السّياق النّصي، والسّياق الجنسي، والسّياق الذهني. ثم، درستها وفق طاقتها اللغوية والبلاغية<sup>2</sup>.

ومن ثمّ يتبنى كتاب جميل حمداوي المقاربة البلاغية الجديدة، أو نظرية البلاغة الرّحبة، في دراسة الصّور الأدبية، وخاصة الصّور السردية بمختلف أنواعها القديمة والجديدة أخذاً في الاعتبار مصطلح البلاغة الجديدة بوصفه مرادفاً للبلاغة الرّحبة، أو البلاغة الموسّعة، أو بلاغة الصّورة، أو بلاغة المكونات والسّمات<sup>3</sup>. يقول: "يُعرّف كتابنا هذا بالبلاغة الرّحبة أو البلاغة بصفة عامة، والصّورة السردية بصفة خاصة"<sup>4</sup>. يتّضح ممّا ورد حول البلاغة الجديدة واقترانها ببلاغة السرد أنّ ما يقصده جميل حمداوي من مصطلح "البلاغة الجديدة" في مؤلفه الأنف الذّكر هو "الصّورة البلاغية الجديدة" وهي الصّورة السردية الموسّعة (أو الرّحبة) التي تتجاوز معيارية الصّورة البلاغية التقليديّة.

وفي كتاب مشترك مع الباحث بلال داوود، موسوم بـ «بلاغة الحجج» صدرت طبعته الأولى سنة 2022 يُعيد جميل حمداوي ربط مصطلح "البلاغة الجديدة" ببلاغة الحجج، ويعني ببلاغة الحجج (La Rhétorique des Arguments) تلك البلاغة التي تُعنى بدراسة الحجج والأدلة والبراهين المستخدمة في الخطابات والنّصوص، سواء أكانت أدبية أم علمية أم فلسفية أم سياسية أم غيرها. وتستعين هذه البلاغة بالمقاربة الحججية في دراسة الحجج بنية ودلالة، ووظيفة، وفي ذلك يقول: "لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطاً وثيقاً، فاستعملت تقنيّات البلاغة في عمليّة الإفهام

1 - جميل حمداوي، نحو بلاغة جديدة (البلاغة الرّحبة أو الموسّعة)، ص. 6.

2 - أنظر: جميل حمداوي، نحو بلاغة جديدة (البلاغة الرّحبة أو الموسّعة)، ص. 6.

3 - أنظر: لمرجع نفسه، ص. 9-12.

4 - المرجع نفسه، ص. 7.

والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان وتتيكا في كتابهما «مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة»<sup>1</sup>.

يعرض الباحث البلاغي المغربي محمد مشبال وجهة أبحاثه البلاغية الجديدة بوصفها نظرية للحجاج مسائلًا، في سياق دراساته الحجاجية، نظرية الأسلوب التي شاع اعتبارها الوريث الشرعي للبلاغة، والبلاغة البنيوية العامة التي تتعارض وبلاغة الحجاج البرلمانية.

شكّلت الأسلوبية – حسب محمد مشبال- لحظة من لحظات تاريخ حياة البلاغة المتألق حتى يومنا هذا؛ فالدراسات الأسلوبية والشكلانية التي تبلورت في بداية القرن العشرين لا يمكن إخراجها من دائرة البلاغات المتشكلة على مدى تاريخ الإنسانية، بدعوى انشغالها بالنص واحتفائها بعلماته الداخليّة في انفصال تام عن أي سياق، فالأسلوبية التي برزت باعتبارها علما معاصرا ووريثا جديدا للبلاغة القديمة العجوز، لم تفلح – حسب مشبال- في أن تكون بديلا معاصرا عنها أو تحل محلّها كما روج لذلك الدارسون في حماسهم الزائد والمندفع للحدثا النقدية. وبينما نشهد اليوم – يقول مشبال- على التّجارات الباهرة التي تحقّقها البلاغة والدراسات البلاغية، فإنّ الأسلوبية ومناهج الدراسات الأسلوبية لم تعد تحظى بوجود فعلي يثير الاهتمام سوى في أوساط أكاديمية محدودة غير متّصلة بمجرى الحياة الثقافيّة المندفق. ولا أروم بحديثي هذا – يضيف الدّارس- التّقليل من قيمة أسماء عظيمة أمثال ليوسبتزر وميكائيل ريفاتير وغيرهم ممن اتّصلت أبحاثهم – بشكل أو بآخر- بالأسلوبية. فالقصد من هذا الحديث ليس ما أنتجه الفكر الأسلوبي، ولكن الأسلوبية من حيث هي حقل بديل للبلاغة؛ هذا هو الافتراض الذي أريد أن أنبّه إلى فساده – يقول- فليست الأسلوبية سوى جزء من حقل البلاغة الرّحب. وإذا كان الأسلوبيون قد عمدوا إلى بناء أنظارهم بالاستفادة من المناهج اللسانية والنفسية والسوسيولوجية، فإنّ ذلك لا يقوم دليلا على تجاوزها للبلاغة التي لم يكن الأسلوب بمدلوله اللغوي سوى جزء من مساحتها الواسعة. ولاشك أنّ ادّعاء التّجاوز يحمل كثيرا من المغالطات؛ فالبلاغة القديمة لا يُمكن مطابقتها بالأسلوبية، لأنّ اهتمامها بالخطاب لم ينحصر في الجزء المتعلّق بوجوهه بالأسلوبية، بل شمل أجزاءه الأخرى التي تمّ إسقاطها من دائرة اهتمام «البلاغيين الأسلوبيين» الذين كانوا يحملون تصوّرا مثاليّا للنص الأدبي انحدر إليهم من القيم الرومانسية التي غالت في دعوتها إلى أدب خالص من شوائب الخطابة<sup>2</sup>.

وفي المقابل يرى ذات البلاغي المغربي أنّ الصّمت التّقليل الذي خيم على مصنّف بيرلمان الذي بعث بلاغة الحجاج من جديد في الوعي الثقافي المعاصر؛ لم يُقدّر له أن يتبدّد إلاّ بعد ظهور الكتاب بثلاثة عقود من الزّمن، وتحديدا منذ بدايات التسعينات من خلال محاولات كيبيدي فارغا (1970) ورولان بارت (1970) وكتاب مارك أنجينو (1982) وغيرها، لأنّها تظل محاولات معزولة وغير مؤثرة، ولا يُمكن أن تلفت النّظر في سياق مفتون بالنّظرية الأدبية وبمناهج النّقد الأدبي التي بلغت ذروة تطورها في الستينات والسبعينات، فبعد صعود النّموذج اللساني البنيوي وتنامي نظريّات النّص التي استلهمته في مجال تنظيراتها الأدبية، مثل الشّعريّة البوليفونية عند باختين

<sup>1</sup> - جميل حمداوي وبلال داوود، بلاغة الحجج، ص. 19.

<sup>2</sup> - محمد مشبال، البلاغة والأصول – دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، ص. 5-7.

ونظرية التلقي وتداولية النص ومناهج تحليل الخطاب ولسانيات النص، لم تعد بلاغة الحجاج ذات الماضي المجيد والحاضر المبشر قادرة على الاستمرار في الاختفاء أو الظهور المحتشم؛ فما أن أطلت التسعينات حتى حدث الانفجار المتوقع للكتابات في بلاغة الحجاج. ورغم ذلك ينبغي أن نفهم – يقول مشبال- لماذا أصرت جماعة مو على تأسيس بلاغة جديدة غير عابئة بالبلاغة الجديدة الأخرى التي كان بيرلمان قد أعلن ميلادها الجديد قبل ذلك بأزيد من عقدين من الزمن؛ فلم يكن منظورها البلاغي المشبع بالأدب، ليساعدها على رؤية الأمور كما يجب أن تُرى؛ فبلاغة بيرلمان بالنسبة إليها لا تتعدى أن تكون سلاحا من الجدل، أنشأها صاحبها في سياق فلسفي اقتضى منه مناقضة تصوّر العقلانية التجريبية للحقيقة الذي قاد إلى إدانة البلاغة، ووضع تصوّر عقلائي بديل يقوم على مفهوم الاحتمال لا اليقين؛ أمّا البلاغة الجديدة التي حملتها جماعة مو على عاتقها، فإنها تندرج في سياق مختلف؛ إنه سياق النظرية الأدبية واللغة الشعرية والبحث عن بديل جديد للأسلوبية؛ فموضوع بلاغتها الجديدة الأدب أو الأدبية، وموضوع بلاغة الحجاج الجدل، إلا أن جماعة مو ورغم أنها أثرت وضع بلاغة بيرلمان في زاوية ضيقة حتى يسهل عليها تجاوزها لتأسيس مشروعها الذي اعتقدت أنه يُشاكل عصرا مأخوذا بفتنة النظرية الأدبية، كان مشروعها أضيق من أن يرسخ مكانا له في سياق كان يؤذن بتحوّلات نظرية عميقة؛ سواء في النظرية الأدبية نفسها، أو في اللسانيات، أو في حقول مجاورة<sup>1</sup>.

وابتداء من كتاب «البلاغة والأدب» (2010) سيشير مشبال سؤال بلاغة الحجاج، قبل أن يعمد إلى تطبيق منظورها في تحليل نصوص من السرد العربي القديم في كتاب «البلاغة والسرد: جدل الحجاج والتخييل في أخبار الجاحظ»، وفي تحليل نصوص من النثر العربي في كتاب «خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية لرسائل الجاحظ» (2015)، وفي هذا الكتاب يُحاول مشبال أن يُقدّم بلاغة الحجاج باعتبارها منهجا أو مقاربة في تحليل النصوص الحجاجية؛ هذه المقاربة التي تتكى على أسس نظرية أرسطية الجذور، وتقنيات إجرائية تبلورت في البلاغة الجديدة وفي غيرها من الاجتهادات البلاغية الحجاجية المعاصرة<sup>2</sup>.

يُفرّق الباحث التونسي صابر الحباشة بدوره بين مصطلحين يبدوان للوهلة الأولى شيئا واحدا هما: "البلاغة الجديدة" و"البلاغة الحديثة"، فالبلاغة الجديدة هي البلاغة الحجاجية، أمّا البلاغة الحديثة فهي البلاغة الأسلوبية، يقول في مؤلفه «التداولية والحجاج»: "يتناول هذا البحث منزلة الحجاج في التداولية بوصفه أهم أركان التداولية إلى جانب نظرية الأعمال اللغوية، وقد مهدنا للحديث عن الحجاج في التداولية – يقول- بتعريف «البلاغة الجديدة» (La nouvelle Rhétorique) تعريفا يميّزها من «البلاغة الحديثة» (La Rhétorique moderne).<sup>3</sup>

تُعرف البلاغة الجديدة، عند الحباشة، بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتُسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن

1 - أنظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، ص. 7-9.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 10-12.

3 - أنظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج (مدخل ونصوص)، ص. 15.

ذلك التّطوّر، وهذا التّعريف يُبيّن إلى أيّ مدى تُمثّل البلاغة الجديدة استمراراً للبلاغة الكلاسيكيّة، وإلى أيّ مدى تختلف عنها في التّقاليد الغربيّة ولعلّ أبرز من أشار إلى ذلك جيرار جنيت في فصل بعنوان: «البلاغة المقيّدة» ضمن كتاب «مجازات» (Figures) وكذلك أوليفيه ريبول في كتابه «البلاغة» (La Rhétorique). إنّ البلاغة الجديدة تُواصل بلاغة أرسطو من حيث توجّهها إلى جميع أنواع السّامعين، إنّها تحتضن ما يسميه القُدّامى عند الجدل (طريقة النقّاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة، المهتمّة خاصّة بالمسائل الطّنيّة)، وهو ما حدّده أرسطو في كتابه «الطوبيقا» الذي يعرض التّفكير الذي وسمه أرسطو بالجدلي، والذي يُميّزه عن التّفكير التحليلي للمنطق الصّوري. نظريّة الحجاج هذه سُمّيت بلاغة جديدة لأنّ أرسطو، ورغم الصّلة التي يعقدها بين البلاغة والجدل، قد طوّر الأولى فقط على أساس المستمعين/ المخاطبين<sup>1</sup>.

فضلا عن ذلك ينبغي الإشارة – حسب ما أورده الباحث- إلى تعارض البلاغة الجديدة مع تقليد البلاغة الحديثة، وهي بلاغة أدبيّة صِرف، من الأفضل أن تُدعى أسلوبيّة، فالبلاغة الجديدة على عكس البلاغة الحديثة، غير معنيّة بشكل الخطاب من أجل الرّخرف أو القيمة الجماليّة، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع، وخاصّة وسيلة للإبداع أي «الحضور» (أي جلب الأشياء إلى ذهن السّامع ليست حاضرة في ذلك الحين)، وذلك عبر تقنيات التّمثّل<sup>2</sup>.

ومن جهتها ترى الباحثة المغربيّة أمينة الدّهري أنّ البلاغة نمّ حجبها حتى منتصف القرن العشرين، حيث سبّعت في السّنوات الخمسين من رماد تراكم المقاربات اللغويّة، وعلى رأسها الإسهامات البلجيكيّة لكل من بيرلمان وجماعة مو، وهي الأعمال التي كان لها الأثر في تجديد البلاغة وعلى حساب شطرها شطرين، باعتبارها مسارا حجاجيا معقول من ناحية، وإجراء أسلوبيا من ناحية ثانية، فالبلاغة الجديد عند بيرلمان ليست قصرا على الصّور المجازيّة بقدر ما هي احتماليّة هدفها «دراسة التّقنيات الخطابيّة، التي من شأنها إحداث أو زيادة موافقة الآخرين على الأطروحات المقدّمة إليهم بقصد قبولها»، إنّ بيرلمان يُعيد اللغة في شقّها الجدلي إلى قطب تصوّره، ويجعلها محط مشروع تأملي مفصّل يعتبر الحجاج خطابا ذا استدلال مُنظّم باحث عن منطق للقيم، متوجّه إلى مستمع كوني إذ ثمة في مستهل كتاب بيرلمان المُنجز بمعية ألبرخت نيتكا إجابة صريحة من مؤلّفه تصل بحثهما في الحجاج بتقليد قديم إن هو إلّا الجدل والبلاغة الإغريقيان. فيما اقترحت جماعة مو مقاربة بنيويّة أسمتها «بلاغة عامّة» ومحورت مشروعها حول نوعيّة اللغة الأدبيّة، وجعلتها موضوع دراسة كاملة. ومع أنّها عمدت في اتجاه إعادة الصّلة بالتّقليد البلاغي الفرنسي لدومارسيه وفونتانييه، فقد ظلّت من أكبر البلاغات التي جدّدت البحث في الأسلوب بدمجه داخل إشكالات اللسانيّات الحديثة<sup>3</sup>.

وأمام هذا الانشطار البلاغي تكمن جدّة البلاغة – من منظور أمينة الدّهري- في لملمة أطراف العلاقة البلاغيّة المتشظيّة من جهة (إقناع + امتاع)، ومساءلتها من موقع حملتها الفلسفيّة من جهة أخرى، يُصبح الخطيب وفقها ممثلا للقيم، والمستمع عديلا للأخر العارف المُشارك، والخطاب

1 - أنظر: صابر الحباشة، التداوليّة والحجاج (مدخل ونصوص)، ص. ص 15-16.

2 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 16.

3 - أنظر: أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص. ص 6-7.

مرآة للعالم<sup>1</sup>. إنَّ البلاغة الجديدة إذا بلغت شمولية المنظور بمراعاتها لهذه المكونات مجتمعة، فإنَّها تطمح إلى مبدأ تعميم مقارباتها على كلِّ أنواع الخطاب ليس فقط المعروفة منها في التقليد البلاغي الغربي الكلاسيكي، وإنَّما الأدبية والإشهارية وغيرها، وصولاً إلى الأحاديث اليومية التي لا تخلو من إقناع واستهواء. وعلى هذا يكون تجديد البلاغة الجديدة جامعاً للأسلوب والحجاج على حد سواء؛ وإذا كان من البديهي – تقول أمينة الدهري- أن لكل مرحلة بلاغتها، فإنَّها من المؤكَّد، أنَّه لا وجود لبلاغة بمعزل عن صورة معيَّنة للإنسان وللتاريخ ولتنوع المسافات بين الكلمات والأشياء، بين المُنزاح من الكلام ومعقوله؛ ومن ثمة ضرورة إعادة مساءلة هذه العلاقات، بل إنَّ إحياء البلاغة رهين بانمحاء نموذج تفكير وحلول آخر محله<sup>2</sup>.

ونحتم مداخلتنا هذه بماهيَّة «البلاغة الجديدة» عند البلاغي المصري **عماد عبد اللطيف** الذي سلَّط الضوء في مؤلَّفه «البلاغة العربية الجديدة – مسارات ومقاربات» على إشكالية ماهية البلاغة الجديدة متسائلاً: "ما البلاغة الجديدة؟".

يرى عماد عبد اللطيف أنَّ البلاغة الجديدة تعبير رائج بين الباحثين البلاغيين المعاصرين يتراوح استعماله بين أن يكون صفةً، أو اسماً. أمَّا كونه صفة فهو الشائع في أدبيات العلم، ويعني وصف مسارات ومقاربات ومناهج وتوجَّهات بلاغية بالجدَّة، مقارنة بأخرى سابقة عليها، أمَّا إذا استعمل تعبير «البلاغة الجديدة» اسماً، فإنَّه غالباً ما يُشير إلى إسهام مُحدَّد من إسهامات دراسات الحجاج في النِّصف الثَّاني من القرن العشرين، أي كتاب بيرلمان وتيتكا عن الحجاج. لكن ما قدَّمه بيرلمان ليس البلاغة الجديدة بإطلاق القول. فالبلاغة لا تقتصر على دراسة الحجاج وحده، ودراسات الحجاج نفسها تطوَّرت عبر العقود الأخيرة تطوُّراً هائلاً متجاوزة ما قدَّمه بيرلمان، وبمعزل عن إسهامه في كثير من الأحيان حيث أسهمت العقود الأخيرة في إنشاء بلاغات جديدة، تتسم بخصائص مختلفة، وقد أدَّت وسائل التَّواصل العمومية الافتراضية إلى ظهور بلاغات هجينة، تجمع علامات متنوِّعة في حدث تواصلي واحد مثل اللون والصُّورة والحركة والكلمة والرَّمز، وتدشين صيغ جديدة للعلاقة بين أطراف الموقف البلاغي، يحظى الجمهور فيها بقدرات غير تقليدية، وابتكار أنواع بلاغية فرضتها تقنيَّات جديدة، مثل التَّغريدات والمنشورات والتعليقات وشرائط الأخبار وغيرها. ومن هذه الزَّاوية فإنَّ البلاغة الجديدة – حسب الباحث- تعبير يصف أنواعاً، وخطابات، وخصائص، وسياقات بلاغية معاصرة متنوِّعة<sup>3</sup>.

ومن ناحية أخرى – حسب قناعة الدَّارس- يُستعمل تعبير البلاغة الجديدة وصفاً لمنجز معرفي هائل، يمتد عبر عقود طويلة، أسهم في إنجازها مئات الباحثين متنوِّعي المشارب والثَّقافات؛ إذ يوصف بالبلاغة الجديدة حشد كبير من التَّوجَّهات البلاغية، أصبح يُشكِّل حقولاً معرفية فرعية في إطار علم البلاغة؛ مثل بلاغة المقارنة، والبلاغة الرِّقمية، والبلاغة الإدراكية، وبلاغة المرئي، والبلاغة الفاحصة، والبلاغة عبر الثَّقافات، والبلاغة النَّقدية، وبلاغة الجمهور وغيرها<sup>4</sup>.

1 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 11.

2 - أنظر: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص. 7- 11.

3 - أنظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، ص. 21.

4 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 22.

يظهر مما أوردناه أعلاه، فيما يتعلّق باختلاف المحطات التعريفية لمصطلح «البلاغة الجديدة» في السياقين البلاغيين الغربي والعربي، أن تعدّد أوجه توظيف مصطلح "البلاغة الجديدة" في السياقات المعرفية مختلف ما يؤكّد عدم وجود بلاغة جديدة فريدة القصد والغاية إنّما يزخر الحقل البلاغي بعدّة صور للبلاغة الجديدة (أي بلاغات جديدة) جاءت كلّها كمحاولات تجديد، بدءاً من المنتصف الثاني للقرن العشرين إلى يومنا هذا، وعليه فإنّ الإلحاح على أنّ البلاغة الجديدة لا تقتصر على تطوير دراسة الحجاج – من منظور عماد عبد اللطيف- أمراً بديهياً لا يحتاج إلى تأكيد إلاّ أنّ الإشكال يكمن في الخلط بين عنوان مؤلف بيرلمان وتيتكا – الذي يتضمّن مصطلح البلاغة الجديدة- ومسارات التّجديد البلاغي التي تفرضها – ولا تزال- مستجدات العصر، يقول: "... حتى يزول الوهم الذي يُؤدّي إلى الخلط بين اسم كتاب بعينه، يهدف إلى تطوير موضوع بعينه من موضوعات البلاغة، وبين تغيّرات جذريّة شملت كل ما يُمكن أن يكون بلاغيّاً، سواء أكان مادة بلاغيّة أم علماً يدرسها"<sup>1</sup>، واستناداً على قناعة عماد عبد اللطيف البلاغيّة نرى أنّ الضّرورة الاصطلاحية تقتضي التفريق بين «البلاغات الجديدة» بكل ألوانها وأشكالها و«الخطابة الجديدة» التي بعثها بيرلمان وتيتكا من أصلها الأرسطي حيث تتضمّن الأولى (البلاغة الجديدة أو البلاغات الجديدة)، وبصفة آليّة، التّانيّة (أي الخطابة الجديدة) وفق المعادلة الآتية:

**البلاغة الجديدة = الخطابة الجديدة (بيرلمان وتيتكا) + بلاغات  
أخرى**

#### - قائمة المراجع:

<sup>1</sup>- الحسين بنو هاشم، نظريّة الحجاج عند شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان، 2014.

<sup>1</sup> - عماد عبد اللطيف، البلاغة العربيّة الجديدة (مسارات ومقاربات)، ص. 21.

- 2- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، ط1، 2010.
- 3 - أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2017.
- 4- أيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
- 5- تيزفيتان تودوروف، نظريات في الرّمز، ترجمة: محمد الزّكراوي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2012.
- 6- جميل حمداوي، من الحجاج إل البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدّار البيضاء - المغرب، ص. 2014.
- 7- جميل حمداوي، نحو بلاغة جديدة (البلاغة الرّحبة أو الموسّعة)، دار الرّيف للطبع والنّشر الإلكتروني، المملكة السّعوديّة، ط1، 2019.
- 8- جميل حمداوي وبلال داوود، بلاغة الحجج ، سلسلة دراسات أكاديميّة محكّمة، المملكة المغربيّة، ط1، 2002.
- 9- جورج كندي، البلاغة الكلاسيكيّة، ترجمة: مها عبد الرازق.ضمن: موسوعة البلاغة، ج1، إشراف: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016.
- 10- جون ماري كليكنبرغ، الوجيز في السيميائيّة العامة، ترجمة: جمال حضري، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، 2015.
- 11- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، الدّار البيضاء - المغرب، 1994.
- 12- صابر الحباشة، التداوليّة والحجاج (مدخل ونصوص)، صفحات للدراسات والنّشر، دمشق، ط1، 2008.
- 13- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النّص، دار المعرفة، الكويت، 1992.
- 14- عماد عبد اللطيف، البلاغة العربيّة الجديدة (مسارات ومقاربات)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط2، 2021.
- 15- فليب بروطون، الحجاج في التّواصل، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التّهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.
- 16- فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النّشر العلمي (جامعة الملك عبد العزيز)، ط1، جدّة، 2011.
- 17- محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في أسس التّفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007.
- 18- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغيّة حاجيّة لتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلميّة للنشر والتّوزيع، الأردن، 2016.



الاسم واللقب: داودي وسيلة

مؤسسة الانتماء: جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2.

الرتبة: دكتوراه تخصص: معجمية وقضايا الدلالة.

الوظيفة: أستاذة لغة عربية.

البريد الإلكتروني: wassiladaoudi@yahoo.com

رقم الهاتف: 0781049514 .

محور المداخلة: المحور الرابع: تلقى البلاغة الجديدة في الدراسات العربية.

عنوان المداخلة: البلاغة الجديدة وخلفيات القراءة في مشروع محمد مشبال.

الملخص:

نقدم هذه الورقة البحثية في إطار فعاليات الملتقى الوطني حول: البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث، وفق دراسة وصفية تحليلية نروم فيها مناقشة إحدى أهمّ قراءات البلاغة العربية في ضوء الدرس الجديد، وهي رؤية محمد مشبال، من خلال الوقوف على مفهوم وموضوع البلاغة عند محمد مشبال؟ وماهي الخلفيات التي تقف وراء تعامله مع التراث البلاغي، وما المقاصد التي يريد تحقيقها، الأمر الذي من شأنه أن يكشف الرؤية الجديدة لنظريته البلاغية، وانطلاقا من المقولات البلاغية في تحليل الشعر تبلورت أسئلة شائكة حاول الباحث الإجابة عنها، بوصف البلاغة ليست قواعد مقننة ووصفات جاهزة، حيث توّسل بالمقاربة البلاغية في تحليل النص والخطاب لتبسط وتتسع ولا يمكن حصرها بعد ذلك، فتكون بذلك بلاغة رحبة وموسعة لتشمل الشعر والخطابة والنادرة والرسالة والمقامة والرواية، فتنتلق البلاغة بهذا المفهوم وتنسوخ من التعيد والجفاف والجمود والتحجير من إمكانات ووسائل ضيقة إلى إمكانات ووسائل فسيحة ومن ثمّ إعادة الروح التأملية إلى البلاغة، وبين الحفظ والانفتاح نحت محمد مشبال مشروعه الذي اتفق واختلف فيه مع مشاريع ورؤى بلاغية أخرى.

الكلمات المفتاحية: البلاغة الجديدة - البلاغة الرحبة - مقولات بلاغية - محمد مشبال.

البلاغة الجديدة وخلفيات القراءة في مشروع محمد مشبال.

إنّ الحديث عن الباحث محمّد مشبال حديث عن صرح كبير ساهم في تجديد الدّرس البلاغي وتطويره بشكل مميّز وملفت للنّظر، وقد استلهم لبنات هذا الصرح انطلاقاً من الإرث البلاغي القديم الذي تركه كبار البلاغيين العرب وعلى رأسهم "عبد القاهر الجرجاني"، ومنفتحا على التراث البلاغي الغربي بداية من بلاغة أرسطو ووصولاً إلى رولان بارت وتودوروف وجيرار جنيت ومرورا برواد البلاغة الجديدة وعلى رأسهم "بيرلمان".

ومن خلال مشروعه في البلاغة الجديدة حاول محمد مشبال تصحيح علاقتنا بالمناهج الحدائثية من جهة و التراث من جهة أخرى والتي كان أساسها الاحتذاء والتقليد، وبين فشل في تثبيت الأقدام وتوسيع مساحة التأثير في التراث وخذلان في ترسيخ الأفكار وترويج نماذج الحدائثية النقديّة غاب جوهر الإبداع والابتكار، ولهذا سعى محمّد مشبال إلى بلورة تصوّر نقدي يقوم على التقريب والاتّصال بين المناهج النقديّة قديما وحديثا، وقوام ذلك أنّ الغاية الحقيقيّة لأيّ ممارسة نقديّة هي التّواصل مع العمل الأدبي وقارئه، ومن شأن ذلك إزالة الكثير من الأوهام التي ترسّبت في تفكيرنا النقديّ المعاصر<sup>1</sup>.

وعليه فـ«إنّ النقد العربي الحديث لن يتمتّع بوجود حقيقيّ فاعل ما لم يشارك في صنع هذه الحدائث وإغنائها بإبداع أفكار وابتكار مفهومات؛ فهذا النقد ليس ماكتبه قدامة بن جعفر والجرجاني وحازم القرطاجيّ، أو ما كتبه باختين وتودوروف ورولان بارت منقولا إلى العربيّة، ولكنّه ما ينتجه اليوم نقاد عرب يبدعون في قراءاتهم لتراثهم، كما يبدعون في قراءاتهم للنّقد الغربي؛ فمن حقّ هؤلاء أن يكون لهم فكرهم النقديّ الخاص يشاركون به في الثقافة الإنسانيّة»<sup>2</sup>.

يرى محمّد مشبال أنّ "بيرلمان" على الرّغم من دعوته لفتح البلاغة وتوسيع مجال انشغالها لتتفتح على أنواع من الخطابات المختلفة والجديدة المكتوبة والمرئيّة، فإنّه لم يراع في تنظيره للحجاج مقتضيات الخطابات، فالنصوص التي اعتمد عليها كانت من قبيل الشواهد، في حين أنّ أرسطو ومن خلال بناء بلاغته المستقاة من أنواع من الخطاب فإنّه أنتج لنا مفاهيم جديدة كمفهوم الإيثوس والباتوس واللوجوس لنظريّة متماسكة لأنواع الخطاب الحجاجي<sup>3</sup>، وعليه محمد مشبال يقرّ بأنّ البلاغة النوعيّة كانت غائبة تماما عند البلاغيين

القدامى وأيضا "بيرلمان"، وعلى أساس ذلك حاول استشراف مقارنة بلاغية بمفهوم النوع الخطابي مستلهما ذلك ممّا صنعه "مارك أنجو" في دراسته للخطاب الهجائي في فرنسا، والتي سعى من خلالها تقديم وصف بلاغيّ نوعي؛ أي الصور التي تستدعيها وظيفة هذا النوع الخطابي بوصفها سمات وخصائص أفرزها هذا النوع دون غيره، وما لفت نظره في هذا المقام مراعاة الباحث لخصائص النوع الخطابي في دراسته لمختلف السمات البلاغية الحجاجية خارج فنّ العبارة<sup>4</sup>.

بهذا الحديث نبهنا مشبال إلى أنّ البلاغة القديمة لم تكن إلا مجرد أداة لوصف العبارة، ولم تكن أبدا منها لتحليل النصوص فكانت بذلك بلاغة عامّة مجردة، وانطلاقا من ذلك انبرى لتكريس تحليل يتجاوز البلاغة بالمفهوم السابق والتي تهتمّ فيه بملفوظات معزولة عن سياقها الخطابي إلى مقارنة بلاغية تفاعلية مع الخطابات تفتح أبوابها لتتسع لأدوات جديدة من حقول أخرى لإغنائها، ومن شأن ذلك أن يفتح آفاقا جديدة في قراءة التراث.

كان كتاب "مقولات بلاغية في تحليل الشعر" لمحمد مشبال حجر الزاوية في مشروعه العلمي والذي أراد من خلاله استثمار مقولات بلاغية قديمة « في تحليل نماذج من الشعر المعاصر، بل حتّى في تحليل أنواع أخرى من القول»<sup>5</sup> أي مقارنة النصوص بلاغيا، مدقّقا النظر في جملة من التفاصيل والمعايير الجمالية من قبيل "الغرض" و"الصورة" و"المكوّن الصوتي" ثمّ اعتكافه على قياس فاعليتها في مصادرها التراثية ثمّ في الشعر المعاصر.

وقد أشار "محمد أنقار" في مقدّمة الكتاب أنّه يدفع الباحث إلى الانشغال بتساؤلات مركّبة منها:<sup>6</sup>

- أيّ نهج يمكن الاستنارة به لاختبار إمكانات بلاغتنا والوقوف على فعاليتها في تحليل الأدب المعاصر بمفهومه الكوني؟

- ماهو وضع البلاغة الشعرية بإزاء التجديد؟

بعد طرح هذه التساؤلات المهمّة يكشف محمد مشبال أنّ هيمنة جنس الشعر في مرحلة الانتقال من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة أحوالها إلى أن تكون ضربا من الأسلوبية الشعرية التي لا تملك طاقة استيعاب أساليب التصوير في الرواية والأنواع الأدبية النثرية

الأخرى. وهذا من شأنه جعل البحث البلاغي المعاصر سجين سلطة النوع الواحد هو الشعر وسيظلّ النثر يحتلّ موقعا ثانويًا في النظرية الأدبية الحديثة<sup>7</sup>.

يشير محمّد مشبال في الفصل الأول من كتابه مقولات بلاغية في تحليل الشعر أنّ "الوظيفة الشعرية" هي تصوّر ضيقّ للشعر حيث تترجم قصور مفهوم الوظيفة الجمالية في النظرية الأدبية الحديثة في استيعاب رحابة الشعر وعمقه الإنساني، ويكشف عن افتقاره إلى ضبط إمكانات التصوير في النثر، ليقترح بعد ذلك جنس الرواية والذي يراه أنّه يتضمّن مكوّنات وسمات تميّزها عن الشعر، فالتصوير الموجود في البلاغة يتجاوز بلاغة الشعر نحو أفق سردي، وتصبح الوظيفة الجمالية في جنس الرواية ذات أبعاد أخرى<sup>8</sup>.

تأسيس الوظيفة الجمالية في النثر كالرواية مثلاً ينبغي أن تراعي الخصوصية الفنية لها، ولهذا عدّ محمّد مشبال دراسة الصورة أو التكرار الصوتي السائدان في نقد الشعر من خلال المشابهات بينهما وبين ما يوجد في الرواية هي ممارسة غير علمية ونهج فاسد لم يراع السياق النوعي، وعموما ينطبق ذلك على جميع أنواع الأجناس الأدبية، وهذا تصريح واضح يربط الوجوه الأسلوبية بالأجناس والأنواع، أي ضرورة استحضار فاعلية النوع الأدبي في صياغة المكوّن الجمالي وهو ما خلص إليه في حديثه عن مقولة النوع واختزال الصور البلاغية<sup>9</sup>. ولعلّها صرخة واضحة تدعو إلى ضرورة الربط بين الصور التخيلية ونوع الجنس الأدبي وهو ما تفرّد به محمّد مشبال حيث استلهم ذلك من الثقافة العربية ومن مختلف التجارب البلاغية.

أبرز ما يذهب إليه محمّد مشبال أنّ ما يميّز المقاربة البلاغية عن غيرها من المقاربات النصية هو أنّها «تنظر إلى النص من زاوية تأثيره في المتلقّي؛ تتحرّك البلاغة في هذه المسافة بين النص والمتلقّي؛ تتساءل عن كيفية التأثير فيه جماليًا وتداوليًا»<sup>10</sup>، وعلى هذا الأساس فهو يقسم البلاغة إلى بلاغتين: بلاغة الأدب (الأسلوب) والتي تبحث عن كيفية التأثير التخيلي الجمالي وبلاغة الحجاج التي تبحث عن كيفية التأثير الإقناعي وهو ما حاول أرسطو إبرازه غير أنّه لم يبيّن كيفية حدوث ذلك، وحاول البلاغيون بعده تحليل هذا التأثير الحاصل في الخطاب.

يذهب أصحاب النظرية الغربية إلى أنّ البلاغة عبر التاريخ أصبحت مرادفة للشعرية أو الأسلوبية وهو الأمر الذي أفقدها أهمّ مكوّن لها وهو اعتبارها نظرية في الخطاب الفعّال من جرّاء ربطها بالأدب، وهي نظرة مغلقة للأدب، ولكي تسوّغ درسها للأدب لابدّ لها أن تقوم على تصوّر تواصلٍ وظيفي للنص الأدبي يقوم على المقصدية الواضحة والمعنى الوحيد والإقناع<sup>11</sup>.

ولهذا حاول فارس بحثنا الوقوف على جوهر البلاغة الذي يضمّ ويستوعب كلا من الخطاب الأدبي التخيلي والخطاب التداولي، فلم يكن في بادئ الأمر مشتغلا بالحجاج بل كان جلّ اهتمامه بالأدب، وتوجهه إلى النصوص البلاغية القديمة والتي تعجّ بالمقولات الحجاجية فرضت عليه جانبا آخر من الاهتمام منذ كتابه "البلاغة والأدب" والذي حاول فيه الوقوف على جوهر البلاغة انطلاقا من افتراضه الذي يقضي بالتنباس في استخدامات لفظ البلاغة سواء قديما أم حديثا خاصة بعد اقترانه بالأجناس الأدبية السردية وبأنماط التعبيرية المستحدثة ممّا أسهم في التنباس المدلول وفي غناه أيضا، فكانت هذه الفرضية بوابة فتحها محمّد مشبال ليحوّل الغموض من نقطة ارتكاز هشّة إلى أرض خصبة ثرية بمزيج من الإمكانيات الواسعة.

وانطلاقا من جوهر البلاغة والذي يتمثّل في التصرّوّر التواصلية للأعمال الأدبية والتي كانت تتّصف بالطبيعة المزدوجة (الشعر والنثر) قديما، حامت الشكوك حولها في قدرتها على الوصف والتأويل للخطابات الجمالية والتي لا تتوجّه للمتلقّي بأيّ رسالة واضحة، وتراصفت بعد ذلك الأسئلة من قبيل:<sup>12</sup>

- هل يوجد بالفعل خطاب مستقلّ بذاته بشكل مطلق؟
- هل نصف ارتباط البلاغة بالكلام الجميل غير الفعّال سواء كان شعرا أم نثرا بالخطأ التاريخي والانحراف والشذوذ؟
- هل نحصر موضوع البلاغة في دراسة الصور البلاغية المعدودة أو المقنّنة؟
- هل كان سعي النماذج البلاغية إلى ضبط الكليات في صالح بلاغات النصوص والأنواع الأدبية؟

- هل يمكن الحديث عن مشروعية وجود بلاغة كلية قادرة على النمذجة الصارمة للبلاغات النوعية المختلفة؟

ولذلك سعى كتاب "البلاغة والأدب" إلى الكشف عن وجود بلاغة كلية قادرة على استوعاب بلاغات نوعية مختلفة. ولم يفند محمد مشبال توسله بمفهوم البلاغة عند أرسطو في حين أنه حاول توسيع إمكاناتها وجعلها بلاغة رحبة موسعة، ومن شأن طرح هذا المفهوم الموسع للبلاغة أن يطرح إشكالات أخرى منها: ماهو موضوع البلاغة؟ وعلى ماذا تشتغل؟ وهل الإمكانات التي تمتلكها البلاغة محصورة ومحددة أم أنها واسعة بحسب اتساع أنواع الخطاب المعروفة سواء أسلوبا أم إقناعا؟.

وعلى أساس هذه الرؤية للبلاغة أصبح من غير الممكن حصرها في نوع أدبي واحد، فكان كتاب "البلاغة والسرد" محطة أخرى تتقاطع فيه إشكالات متعددة؛ منها وصف الأجناس الأدبية السردية القديمة وكيفية قراءتها وتأويلها، وعلاقة الأدب القديم بالأدب الحديث، ومفهوم البلاغة في علاقته بالسرد الأدبي في ظلّ التعارض السائد اليوم بين مفهومي الحجاج والتصوير.

يظهر بين ثنايا الكتاب محاولة محمد مشبال الدؤوبة في فهم جنس أدبي قديم من خلال أخبار الجاحظ، حيث شهدنا المزاجية بين التفكير في جنس أدبي سردي وخصوصيته من جهة، وبين تأويل نصوصه وخصوصيتها ودلالاتها من جهة أخرى. فقد كانت الغاية المتوخاة الكشف عن الطبيعة البلاغية للجاحظ وفي الوقت ذاته التواصل مع تجربته الجمالية والإنسانية التاريخية في عصره مستخدما كلّ الوسائل المنهجية المتاحة من الحقول المختلفة للاستفادة وتعميق المعرفة بالإنسان وسلوكه وأهوائه، ورفع محمد مشبال أيّ حرج أو عائق بل جوّز لنفسه كلّ الحرية في توسله بمفاهيم ومناهج والنظريات الحديثة في صياغة أفكاره كنظرية التلقي والأسلوبيات والسرديات والتداولية والبلاغة الحجاجية والبلاغة الأدبية. وقد نحت بذلك إرثا قديما بمعاول ووسائل حديثة<sup>13</sup>.

فرض الجاحظ بلاغته السردية على الفكر البلاغي والتي «وسّع الجاحظ دنياها لتشمل الحياة والخطاب أو العالم واللغة؛ فالبلّغ عنده ليس المتكلم الذي استجاب في إنجاز كلامه

لمقاييس الرؤية البلاغية فقط، لكنّه الإنسان الذي امتثل في سلوكه وتصرفاته وتفكيره لجوهر هذه الرؤية أيضا»<sup>14</sup>.

فكرة الكتاب وهي العلاقة بين البلاغة والسرد كما أشار إليها صاحبه فرضتها الاتجاهات السائدة بين من يميل إلى حصر البلاغة في دراسة البنيات الحجاجية في النص، ويغيبها في دراسة المكونات السردية والتخييلية، ومن يقرن البلاغة بدراسة البنيات الأسلوبية والسردية ويؤجل الأولوية الحجاجية، وعليه فإنّ مشبال يقرّ بوجود تلازم بين التصوير والحجاج، ولا يخصّ أدب الجاحظ فقط بل في مطلق النصوص الأدبية، وبغضّ النظر عن نفعيّة أو جماليّة العلاقة التي تنشأ بين النص والملتقى فهي من موضوعات البلاغة<sup>15</sup>.

سعى الكتاب أيضا إلى الإقرار بأنّ الجاحظ أحد مؤسسي بلاغة السرد بمفهومها الجمالي الإنساني، لقد أسهم في تغيير مفهوم البلاغة في تراثنا الأدبي حيث كانت مولعة بالشعر فغيّر مبدأها إلى الوصف والسرد والحياة الإنسانية الواقعية في وجهها الآخر كقيم النقص والشذوذ والسخرية التي جسّدتها المقامة قديما، والقصة والرواية حديثا.

بهذه الرؤية اتّسعت البلاغة من مجردّ الإمكانيات والوسائل الضيقة إلى إمكانيات فسيحة شملت أنواع النصوص المختلفة في أزمان مختلفة، حقيقة محمّد مشبال أخرج البلاغة من عنق الزجاجة في الوقت الذي قد حصرها البعض في قواعد تعليمية جافّة، وقد توسّل في مشروعه بالعديد من أفكار الفلاسفة والبلاغيين على مرّ الزمن، لقد نحا في تقويم البلاغة منحى سبقه إليه غيره في الجزء الذي وافقهم عليه، وسبقهم إليه هو في الجزء الذي قد خالفهم فيه فسار في طريقه متفرّدا من خلال الاستفادة بأدوات منقولة جسّدتها أعمال غريبة وأدوات مألوفة جسّدتها أعمال تراثنا الأدبي.

نحا محمّد مشبال في كتاباته طريقا كان يركّز فيه في بداية الأمر على الأدب وعلاقته بالبلاغة، غير أنّه انعطف بعد ذلك طريقا حجاجيا من خلال كتابه "البلاغة والأدب" ثمّ "البلاغة والسرد" انطلاقا من دراسته المعمّقة للنصوص النثرية القديمة، ممّا يوضّح أنّ هذه الأخيرة فرضت نفسها عليه من خلال توسّله بأفكارها التي طفت بصورة واضحة في مشروعه البلاغي.

ومن خلال كتابه "الرواية والبلاغة: نحو مقاربة بلاغية موسعة للرواية العربية" سنة 2019م، يرى مصطفى رجوان أنّ ماجاء في الكتاب يعدّ المحاولة الحقيقية الأولى في بلاغة الرواية العربية، فمجرد تجاور المصطلحين يثير الكثير من التساؤلات ولعلّ أبرزها:

- كيف تحلل البلاغة الرواية جماليًا دون المساس باختصاص السرديات والاختلاط بالشعريّة؟ حيث عالج محمّد مشبال التمثّل غير السليم لمفهوم البلاغة لأولئك الذين يحاولون مقارنة الرواية بلاغيا مع الإشارة إلى بعض الدراسات التي لامست أفق بلاغة الرواية والتي اعتمد عليها شخصيًا، ويمكن القول أنّ هذا العمل انطلاقة فعلية للبحث في بلاغة الرواية العربية والتي يكشف فيها جماليّات جديدة ويستوعب التخيلي والحجائي التداولي داخل عوالمها الممكنة، ولعلّ الدافع الأكبر في هذا الكتاب إحياء البلاغة العربية باشتغالها على الأجناس العصريّة وإيجاد الجمال فيها عن طريق الانفتاح على الحقول الأخرى كالسيميائيات والشعريّة والتداوليّة والاستفادة ممّا حقّقته في ميدانها. لذلك فعبارة "البلاغة الموسعة" هي مبدأ والركيزة الأساس في المشروع البلاغي والذي يُطلق عليه مشروع "البلاغة الرّحبة"، وهذا الكتاب هو نتاج تفكير طويل في موضوع بلاغة الرواية ونتيجة تجربة كبيرة وخبرة واسعة بالمقاربة البلاغية<sup>16</sup>.

تشكّلت الهوية البلاغية لمحمّد مشبال من خلال النظرة التكاملية بين التخيل والحجاج، فقد التقى مشروعه مع الكثير من البلاغيين الغرب والعرب، فلم يكن بيرلمانيا بالكامل ولا جاحظيًا بالكامل، ومزج بين البلاغات جميعها حتى كانت بلاغة كليّة. ولا نملك إلا أن نقول أنّ مشروع محمّد مشبال في البلاغة الجديدة هو مشروع إحياء البلاغة.



## الهوامش:

- 1 - ينظر: محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي-مقالات في النقد والتواصل، مطبعة الخليج العربي، تطوان- المغرب، ط1، 2002م، ص 06.
- 2 - ينظر: نفسه.
- 3 - ينظر: محمد مشبال، البلاغة وأنواع الخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، دبلد، ط1، 2017م، المقدمة.
- 4 - ينظر: نفسه.
- 5 - محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر المعاصر، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط – المغرب، ط1، 1993م، ص 11.
- 6 - ينظر: نفسه.
- 7 - ينظر: نفسه، ص 19-24.
- 8 - ينظر: محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ص 17.
- 9 - ينظر، نفسه، ص 26.
- 10 - محمد مشبال، البلاغة والأدب – من صور البلاغة إلى صور الخطاب، دار العين للنشر، الاسكندرية- مصر، ط1، 2010م، لمقدمة.
- 11 - نفسه.
- 12 - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأدب- مصور اللغة إلى صور الخطاب، ص 11- 13.
- 13 - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والسرد، ص 5-6.
- 14 - نفسه، ص 6.
- 15 - ينظر: نفسه.
- 16 - ينظر: مصطفى رجوان، الرواية والبلاغة" للباحث محمد مشبال : من عصر الرواية إلى عصر بلاغة الرواية، [20/https://www.alquds.co.uk](https://www.alquds.co.uk) أبريل 2022م، السادسة صباحا.

## تصور بلاغة الحجاج عند محمد العمري:

- إن لمن القول الرائع والفصاحة التعبيرية الجميلة لبلاغة لصاحبها ويزيد هذه البلاغة ذوقا وصدقا وصحة إذا كانت متضافرة بالحجج الدامغة والإقناع المؤثر الكلام البين

### 1- مفهوم البلاغة الجديدة:

وحتى نفهم الحجاج وأصوله ومعالمه لا بد أولا أن نطل أولا على مفهوم البلاغة الجديدة بحكم كون هذا الأخير الحجاج إحدى مفهوم البطون الأساسية المتفرعة عن البلاغة الحديثة وعمودها على حد تعبير ابن رشد والذي يرى « أن عمود البلاغة يعتمد على المنطق، وهو الحجج القائمة في الأقبسة الخطابية بلاغة أو ضمائر احتمالية، وهذا المنحى في تخليق صناعة الخطابة ومنطقية موجودة في البلاغية الجديدة، ونظرية الحجاج عند بيرلمان في العصر الحديث، ومن حاد عن هذا الطريق. طريق عمود البلاغة الذي يربط البلاغة بالمنطق صرف اهتمامه للجوانب الأسلوبية المقامية أي للأمور الخارجية غير الجوهرية»<sup>1</sup> مما تقدم وحسب نظر العمري إن البلاغة بصفة عامة لا تقف عند ذلك التزيين والتنميق اللغوي الموجود أيضا في الشعر وإنما البلاغة الحقة تلك التي تركز على الجوهر الداخلي الحجاجي الذي يقوم على الأساليب والوسائل الحجاجية الإقناعية التي تؤثر في المتلقي، وتزيد كلام القائل إقناعا وتأثير.

لذا نجد العمري في غير موضع من كتاباته النظرية ومعالجاته التطبيقية يرفض البلاغة المبتذلة التي تدرس في المناهج التعليمية المبرمجة والتي تختزل كل المعلومات البلاغية في المعاني والبيان والبديع، كما يرفض الدراسات الحديثة القائلة بأن البلاغة هي أسلوبية حديثة بل يرى أن البلاغة الحديثة هي التي تجمع بين النظرة القديمة والحديثة وبذلك تجمع البلاغة بين جناحين « جناح نصي لغوي، وجناح تداولي مقامي ومنه الحديث عن بلاغة عامة، وبلاغات خاصة، بلاغة الشعر، وبلاغة الحجاج وتحولت البلاغة إلى لغة للتواصل بين الاختصاصات العلمية»<sup>2</sup>

### 2- بلاغة الحجاج:

إذا ما وقفنا عند مفهوم الحجاج على حد نظرة الغربيين وعلى رأسهم برلمان وتيتيكاه بأن هو ذلك العلم الذي موضوعه « تقنيات الخطاب التي تؤدي إلى بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات وأن تزيد في درجة التسليم أو محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار أو يزيد في ذلك إلى درجة تبعث على العمل المطلوب»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2005، ص51-52.

<sup>2</sup> سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي والتلقي العربي – محمد العمري نموذجا، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد السابع، جوان، 2013، ص11.

<sup>3</sup> عبد الله صولة: الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج الخطابية الجديدة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، تونس، منوبة، دبت، ص297.

مما تقدم يفهم أن بلاغة الحجاج الحديثة تركز على الوقوف عند تحليل ودراسة أهم التقنيات والآليات التي تساعد الكاتب في أي نص سواء أكان شعريا أو نثريا على إقناع المتلقي وتحديد مدى التأثير فيه.

### 3- الحجاج عند محمد العمري:

يؤكد العمري في دراساته البلاغية على محاولاته البارزة في التأصل بنظرية الحجاجية في البلاغة العربية القديمة وذلك بحسب ما ورد في كتابه الموسوم بالبلاغة العربية أصولها وامتداداتها» «إعادة الاعتبار للبعد التداولي الحجاجي مستثمرا نظرية البيان عند الجاحظ ومشروع حازم القرطاجي الذي دعا مبكرا لقيام بلاغة عامة تستوعب الأجناس الأدبية المختلفة وقد حاول تطبيق أفكاره ودراساته النظرية حول بلاغة الحجاج»<sup>1</sup> عل العديد من النصوص الحديثة والتراثية، وذلك من أجل إثبات وتأكيد تصوره للنظرية الحجاجية، وقد وقف على ذلك في مؤلفه الموسوم بـ «في بلاغة الخطاب الإقناعي»

إذ حاول في دراسته التي تأثر فيها بأرسطو في تحليله الحجاجي لمختلف النصوص الحديثة وخاصة منها التراثية: بحيث حصر مكونات الخطاب في ثلاثة عناصر:

« - وسائل الإقناع أو البراهين

- الأسلوب أو البناء اللغوي

- ترتيب أجزاء القول

ثم دعا إلى عدم إهمال عنصر الإلقاء في التقسيم لأن الخطابة الناجحة قائمة على الصوت والحركة»<sup>2</sup>

نلاحظ هنا أن العمري يركز في تصوره الحجاجي على الخطاب أكثر من تركيزه على النص، لكون هذا الأخير الخطاب يركز في بنائه على المنطوق والمكتوب بينما ينفرد النص بما هو مكتوب، ومن وسائل الإقناع والتأثير كما أشار إليها في خضم حديثه على وسائل الإقناع في تحليله الحجاجي على الصوت والحركة إلى جانب الفنيات اللغوية من مستويات الكلام إلى الأدلة والبراهين المستمد من النصوص الاستدلالية ( القرآن، الحديث، الشعر، النثر)

### 4- آليات الحجاج عند محمد العمري:

اعتمد محمد العمري في تحليله للخطاب الأدبي ووقوفه على صور الحجاج على آليات

حددها فيما يأتي:

#### 1- القياس الخطابي:

<sup>1</sup> ينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، ط1، (2013)، ص21.

<sup>2</sup> ينظر: محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، ط2، 2002، ص20.

يعتمد هذا النوع من القياس على الاحتمال والترجيح والخروج عن صرامة الاستدلال وقد استدل على وجوده في الدراسات القديمة بما ورد في خطبة الحجاج: « يا أهل العراق بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال: « من ملك على عشر رقاب من المسلمين جيئ به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور، وأيم الله إنني لأحب إلي أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولاً، من أن أحشر معكم مطلقاً»<sup>1</sup> والأدلة القياسية المضمرة في هذا النص هي من خلال التعبير اللفظي هي:

-أبو بكر، عمر بن الخطاب

-لم يوبق الحكم هذين الرجلين

-الحكم لا يوبق أحداً<sup>2</sup>

2-المثل: يعتبر المثل من الأدلة الدامغة في البلاغة العربية ومن أكثر الشواهد المعتمد عليها في اللغة العربية، ويقوم المثل على مماثلة قصة بقصة أخرى، أو حادثة تاريخية تماثلها حادثة أخرى مستحدثة جيئ بها التمثيل والإقناع

3-الشاهد: « وهو ما أطلق عليه أرسطو بالحجة الجاهرة ويرى العمري أن هذا النوع من صور الحجاج يرد في الخطابة العربية من خلال الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وتضمن الحكم والأمثال والأبيات الشعرية»<sup>3</sup>

تلك هي أهم الآليات الحجاجية التي حددها محمد العمري في تنظيراته وطبقها في دراساته حتى يصل بها إلى الأساليب الحجاجية التي يعتمد عليها المؤلف في نصوصه لتحقيق الإقناع والتأثير.

<sup>1</sup> أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت، ج2، ص287.

<sup>2</sup> ينظر: عالم عبد الصمد: بلاغة الحجاج في النص الخطابي عند محمد العمري، مجلة اللغة العربية، المجلد 24، العدد 4، 2021، ص320.

<sup>3</sup> ينظر: عالم عبد الصمد: بلاغة الحجاج في النص الخطابي عند محمد العمري، مجلة اللغة العربية، المجلد 24، العدد 4، 2021، ص 321.

## ملتقى مفدي زكرياء:

ملاح الثورة الجزائرية في شعر مفدي زكرياء

مفدي زكرياء من أبرز شعراء الجزائر المعروفين بنشاطهم السياسي والثقافي، عرف بانضمامه إلى هذا المجال منذ انخراطه في صفوف الجمعيات المناهضة والمدافعة على الصوت الجزائري كجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وعضوا أساسيا في حزب نجم شمال إفريقيا، عضوا في حزب الشعب، عضو في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأخير انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، كل هذه الجمعيات والأحزاب أهلتة إلى بداية نشاطه الذي مثله في نشاطه الأدبي.

أعماله الأدبية كانت اللسان الصارخ والقلم المسجل للتاريخ الجزائري وأضحت الثورة الجزائرية مادة خصبة للإبداع الأدبي مكنت مفدي زكرياء وغيره من الشعراء الجزائريين من التعبير عن نضالهم ووقوفهم وتأييدهم لهذا الحدث التاريخي.

وعلى هذا الأساس يعد مفدي زكرياء من أكثر الشعراء العرب عموما والجزائريين على وجه الخصوص التزاما بهذا اللون الإبداعي وقد أثبت ذلك من خلال آثاره الأدبية.

شعر الثورة عند مفدي زكرياء:

إن المتتبع لتاريخ الأدب الجزائري وبالذات الجانب الشعري منه يرى أن مفدي زكريا جسد لنا الثورة بكافة تعاليمه بداية من المكان إذ تجاوز في شعره القيمة الطبيعية للمكان لتصويره في صورته الثورية مجسداً ذلك بالعناصر الجمالية والإيقاع والدلالة معبراً بذلك على الحالة النفسية التي كان عليها الكاتب ان ذلك وهذا ما يدعونا للوقوف عند قول أحمد حيدوش فيقول المكان هو الذي ثار على الظلم والطغيان قبل الإنسان وأنه هو الذي مارس الفعل والواقع ان الإنسان هو الذي ثار على الوضع وكان المكان حامياً له، بيد أن الشاعر لم يفرق بين المكان والإنسان في أغلب الأحيان فالمكان إنسان والإنسان مكان ولذلك فهجاء المستعمر يتم من خلال المكان ومدح أبطال الثورة يتم عبره أيضاً

الجبال قصيد اقرأ كتابك

السجن قضى 7 سنوات متراوحة عل على خمس مرات ما بين 1937-1959م فتحول

عنده من رمز للأخر المدينة إلى رمز الأنا

أبعاد تصويره للمكان

البعد الديني

البعد السياسي

البعد الثوري

جامعة محمد خيضر\_بسكرة\_

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث.

يومي: 09\_10 ماي 2022.

اسم ولقب المشارك الأول: زينب علاوة.

الصفة: طالبة دكتوراه.

اسم ولقب المشارك الثاني: راوية حمزة.

الصفة: دكتورة.

مؤسسة الانتماء جامعة محمد خيضر\_بسكرة\_

الهاتف والبريد الإلكتروني المشارك الأول: 0675839869 /

[zineb.allaoua@univ-biskra.dz](mailto:zineb.allaoua@univ-biskra.dz)

الهاتف والبريد الإلكتروني للمشارك

الثاني: 0667117721/rawiahamza2016@outlook.com

محور المداخلة: المحور الأول بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة.

عنوان المداخلة: أثر كتاب بيرلمان "رسالة في الحجاج" في التأصيل لنظرية الحجاج في

الفكر اللغوي الغربي الحديث.

الملخص:

إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة الجديدة تدين بالكثير إلى كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي الأستاذ في جامعة "بروكسل" شايم بيرلمان (1912\_1984) الذي نشر في عام 1958 ثم في عام 1970 بمشاركة لوسي أولبرشتس تيتيكا كتاب "رسالة في الحجاج" والذي أعيد نشره وترجمته أكثر من مرة، ترتبط "البلاغة الجديدة" العنوان الفرعي للكتاب "بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديثه..وقد تركت أعماله أثرا كبيرا في الكثير من البحوث في مجال الحجاج.

مقدمة:

تدرس المدرسة البييرلمانية التي موقعها "بروكسل" الخطابية من وجهة نظر الإقناع والحجاج، إذ يأخذ بيرلمان بالغايات الحجاجية إذ يقول: وبالنسبة إلينا نحن الذين نهتم أقل اهتمام بشرعية الطريقة الأدبية في التعبير وتهتم بالأساس بتقنيات الخطاب الإقناعي، يبدو لنا مهما ليس دراسة مسألة المحسنات في مجموعها وإنما بيان كيف أن استعمال ومكامن بعض المحسنات المحددة تفسر بالحاجات الحجاجية.<sup>1</sup>

في عام 1958 وعن طريق الصدفة اللافتة للنظر تم نشر الكتابين المؤسسين للعودة المعاصرة للاهتمام النظري بالحجاج وهما: "رسالة في الحجاج" البلاغة الجديدة "لشاييم بيرلمان" و"لوسي أولبرشتس تيتيكا" وكتاب "استخدامات الحجة" "لستيفان تولمن".<sup>2</sup>

**الخطابة (البلاغة الجديدة):**

الخطابة (البلاغة الجديدة) هو العنوان الفرعي للكتاب الذي اختاره بيرلمان وتيتيكا اهتم فيه صاحبه بتصنيف آليات الحجاج باعتباره تقنية خاصة ومميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد، وسيصبح هذا العنوان الفرعي عنوانا أصليا للكتاب نفسه في طبعة لاحقة.

إن صفة التجديد التي تحدث عنها المؤلفان تعني ضمنا أن هناك خطابة (بلاغة قديمة)، فإذا كانت الخطابة (البلاغة) الجديدة مطابقة في منظرهما فإن مرامي هذه التسمية لا يمكن أن يتأتى إلا بالوقوف وقفة متأنية على المقصود بالخطابة (البلاغة) القديمة التي حاولا من خلال مصنفهما إخراجها من دائرة الحجاج.

نشأت الخطابة (البلاغة) بحسب ما يذهب إليه رولان بارت من المحاكمات حول الملكية ، فحوالي سنة 485 ق.م قام الطاغيتان "جيلون" "Gelon" و"هيرون" "Hieron" من صقلية بتهجير السكان ونقلهم ومصادرة الملكية من أجل إعمار سيراكوزة وتمليك المرتزقة، وبعد أن أطاحت بهما انتفاضة ديمقراطية وأريدت العودة إلى الوضع السابق حدثت نزاعات قضائية لا تحصى، فقد كانت حقوق الملكية غير واضحة تماما، فكانت تلك المحاكمات من

<sup>1</sup> أبو بكر عزوي، الحجاج بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، الأردن، 2020، ص ص 40\_50.  
<sup>2</sup> فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي، م ع السعودية، 2011، ص 41.



نمط جديد كانت تعبئ هيئات شعبية كبرى من المحلفين كان يلزم لإقناعها التمتع بالفصاحة؛ هذه الفصاحة المتضمنة في آن معا للديمقراطية والديماغوجية وللقضائي والسياسي (ما سمي بعد ذلك بالمشوري) سرعان ما أصبحت موضوعا للتدريس، وكان أول أساتذة هذه المادة الجديدة "أمباذقليدس الأغرجنطي Empédocle d'grigente وكوركاس Corax تلميذه في سيراكوزة (وأول من أخذ أجره مقابل دروسه) وتيسياس Tisias وانتقل هذا التدريس بالسرعة ذاتها إلى أتيكا (بعد الحروب الميديّة) بفضل منازعات التجار الذين كانوا يترافعون في سيراكوزة وآثينا في الوقت نفسه ومنذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد صارت الخطابة (البلاغة) جزئيا أثينية.<sup>1</sup>

### الخطابة (البلاغة) الجديدة عود على بدء:

لا يمكن إدراك تصور بيرلمان للخطابة إلا بربطه بسياق ظهوره فقد ظهر الكتاب بداية النصف الثاني من القرن العشرين هذا السياق الذي عرف المجتمع الأوروبي خلاله تحولات جذرية عميقة شملت مجالات السياسة والاقتصاد والإيديولوجيا... وكان من النتائج المباشرة لهذا التحول، سيادة ثقافة ديمقراطية تركز التنوع والاختلاف، وتنبذ العنف والإقماع وتستهنهما فكانت الحاجة ماسة إلى نمط جديد من الخطابة تمام كما حدث في السياق الأثيني.<sup>2</sup>

وتبقى أهم سمة وسمت خطابة بيرلمان توكيد أهمية المتلقي الذي لم يعد سلبيا، بل أصبح متلقيا فاعلا، وأصبح الحجاج بذلك وفاقا وتشاركا وحوار بعيدا عن كل أشكال الضغط صحيح أن المتلقي كان حاضرا في البلاغة القديمة أيضا، لكن المتلقي في الخطابة (البلاغة) الجديدة لم يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم لينتقل من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، فالطرفان يتبادلان فيام بينهما المواقع، ويدعم لينتقل من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، فالطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع ومن جهة ثانية، فإن المتلقي في الخطابة القديمة بحكم سلبيته كان في درجة أدنى درجة الخطيب × ومن ثم كان يتلقى الخطبة

<sup>1</sup> حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، 2010، بيروت، لبنان، ص 6.

<sup>2</sup> حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 9.

من عل، فالعلاقة بينهما رأسية أما المتلقي في الخطابة الجديدة فهو يحكم بإيجابيته يقف في درجة موازية لدرجة المرسل، ومن ثم يتلقى الخطبة من مقابل مواز، فالعلاقة بينهما أفقية.<sup>1</sup>

باختصار شديد فإن الغلبة أو الاقتناع في الخطابة الجديدة لا يتأتى لمن يمتلك سحر الخطابة، بل لمن يمتلك إلى جانب ذلك فن الجدل وقوة الإقناع والتأثير وسلطة الحجاج...

تتشرك نظريتا الحجاج عند بيرلمان وتولمن في أشياء وأخرى مهمة بالتأكيد كخلفيتهما الحقوقية، إلا أن اختلافهما بل وتباعدهما يبدو أكثر وضوحاً، وجزء مهم من هذا الاختلاف يعود إلى تباين تصورهما الأساسي للحجاج ففي الوقت الذي طور فيه بيرلمان نظريته البلاغية ضد العقلانية (الديكارتية) وذلك بمحاولة إعطاء قابلية الصواب قيمة في مواجهة ما هو لازم، وبتوضيح أهمية الآراء بمقارنتها بالوقائع، نجد أن نظرية الحجاج لدى "تولمن" تتخبط في معارضة لبعض أساليب المنطق مع الرغبة في إصلاحه بهدف جعله أكثر قابلية للتطبيق في مواقف الحياة اليومية وفي النقاش العقلاني، فالحجة عند "بيرلمان" تتعلق بعقلانية تختلف عن البرهان الرياضي، أما بالنسبة لتولمن فإنها أقرب لأن تكون نوعاً من الاستدلال أكثر عمومية وتعقيداً من القياس المؤلف.

### أساسيات البلاغة الجديدة:

يبحثه عن منطق القيم "Valeurs" وجد بيرلمان في طريقة البلاغة القديمة بلاغة أرسطو وبلاغي العصور القديمة، التي وضعها في موقف معارض للبلاغة الكلاسيكية التي تطورت في القرن السابع عشر وتقلصت لتصبح كما يقول: "بلاغة الصور الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف، وكانت دراسات البلاغة العامة، التي كتب فيها "بارت وجينات" وباحثون معهما عنده تنتمي لهذه البلاغة الكلاسيكية أكثر من انتمائها للبلاغة القديمة إذ تهتم الأولى بالأسلوب وجماليات الخطاب فيما تهتم الثانية بالوظيفة الإقناعية فيه.

إن البلاغة الجديدة بالنسبة لبيرلمان ننوجه لكل أنواع المتلقين بل وتتعلق حتى بالحالة الخاصة التي يتشاور فيها الإنسان مع نفسه، ولا يكون الحجاج دقيقاً أبداً، وفقاً لبيرلمان إلا إذا توجه إلى متلق عام، أما موضوعه فهو دراسة الخطاب غير البرهاني، وبالتالي فهو يغطي

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص10.

كل حقل "الخطاب الهادف إلى الإفحام أو الإقناع"، هذه البلاغة يمكن أن تكملها منهجيات متخصصة تتناسب مع نوع المتلقي ونوع المادة المطروحة على الرغم من هذه النظرة الضيقة فيما يخص البلاغة فإن نظريته في الحجاج تضع هذه الإشكالية بوضوح في بعد تواصلية وهي ذاتها التي كانت مركز اهتمام البلاغيين القدماء الذين كانوا لا يفصلون نهائياً مسألة تشكل الأفكار ومسألة انتقالها، والسبب في ذلك كما يقول بيرلمان: "إن هدف الحجاج ليس استنباط نتائج لبعض المقدمات، وإنما إثارة وزيادة قبول المتلقي للأطروحات المقدمة ليقبل بها.<sup>1</sup>

### القطيعة مع ديكرات:

تبين السطور الأولى من كتاب "رسالة في الحجاج" بجلاء القطيعة التي يحاول بيرلمان تحقيقها مع تصور العقل والاستدلال عند ديكرات" والذي يجعله دليل العقل، لم يعد يعتبر العقلانية إلا في البرهان الذي ينطلق من أفكار جلية ومغايرة لينتشر وضوح المسلمات المقررة على كل القضايا المطلوب إثباتها يقول: إن فكرة الوضوح التي تعتبر صفة العقل هي التي يجب مناقشتها إذا أردنا أن نقيم مكاناً لنظرية الحجاج تقرر استخدام العقل من أجل التحكم في فعلنا ومن أجل ممارسة التأثير في أفعال الآخرين" بهذا فإن طموح بيرلمان وكل أولئك الذين سيتبعونه في ذات الطريق خاصة "ميشيل ماير" M.Mayer في بروكسل هو إظهار وبناء المبادئ العقلانية تتعلق بالأمور الإنسانية التي لا تنتمي للوضوح البرهاني الذي لا يتناسب كثيراً معها، ولا لعدم عقلانية اللجوء إلى العواطف.

### مسألة تلقي الحجة:

يطرح "بيرلمان" مسألة المتلقي على مستويين: الأول: هو احتمالية فعل الحجاج ذاته، فيقول مؤكداً: لكي يحدث حجاج يجب أن تتحقق في لحظة معينة مجموعة من العقول، ويجب أن نكون متفهمين قبل أي شيء، ومن حيث المبدأ على تشكل هذه المجموعة المستشيرة، ثم بعد ذلك على عملية المناقشة الجماعية لمسألة بعينها والواقع أن هذه ليس من البديهيات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، المرجع السابق، ص 43.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 45.

وبعد ذلك يضع مسألة المتلقي على مستوى آخر، هو " بناؤه من قبل الخطيب، وهنا يتقاطع "بيرلمان" مع إحدى القضايا الأساسية في البلاغة القديمة التي يمكن بهذا المنحى، أن تتلاقى مع بعض الإشكاليات في النظريات الحالية للتلقي والتي اشتهرت في أوساط علوم التواصل.

إن همة بسيط وجوهري: " إن معرفة أولئك الذين تنوي إقناعهم شرط مسبق لأي حجاج فعال بمعنى آخر يجب على المرسل أن يتوقع كيفية تلقي رسالته الإقناعية، وأن يدمج هذا التوقع في تصور الرسالة ذاتها وهذا موقف اكتشفه أرسطو مسبقا وذلك بقوله إننا لا نحاجج إلا انطلاقا من آراء مقررة سلفا...ومن هذا الحضور للتلقي في مقدمة فعل الحجاج، استطاع أن يستنبط أن (الثقافة الشخصية لكل متلق تظهر عبر الخطابات الموجهة إليه، وذلك بطريقة تبين أن من هذه الخطابات نفسها وإلى حد كبير، ونعقد أن لنا الحق في استنباط بعض المعلومات المتعلقة بالحضارات البائدة وبإمكاننا أن نضيف والمتعلقة بحضاراتنا كذلك.

## خاتمة:

إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة الجديدة تدين بالكثير إلى كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي الأستاذ في جامعة بروكسل "شاييم بيرلمان" (1912\_1984)، الذي نشر في عام 1958 ثم في عام 1970 بمشاركة لوسي أولبيرشتس تيتيكا كتاب "رسالة في الحجاج والذي أعيد نشره وترجمته أكثر من مرة، ترتبط "البلاغة الجديدة" العنوان الفرعي للكتاب بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديثه، هذه البلاغة الجديدة تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح على الطريقة الديكارتية وذلك لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي، وعليه يعرف بيرلمان الحجاج بأنه "دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن نقبلها" وقد تركت أعماله أثرا كبيرا في الكثير من البحوث الحالية في مجال الحجاج والتي تجسد اتجاها مهما جعل البعض مثل "لامبرور" 1999 "L'empereur" يتحدث عن مدرسة بروكسل.



جامعة محمد خيضر \_ بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني: البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث.

الاسم واللقب: عبد المطلب عبد الحي.

الصفة: طالب دكتوراه سنة ثانية تخصص لسانيات الخطاب.

مؤسسة الانتماء: جامعة الدكتور يحيى فارس المدية / كلية الآداب واللغات بعين الذهب..

مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية.

الهاتف: 07.99.12.98.28

البريد الإلكتروني: Abdelhaiabdelmotaieb@gmail.com

محور المداخلة: بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة.

عنوان المداخلة: بلاغة الحجاج من مثالية أرسطو إلى حوارية بيرلمان وتيتكا.

## الملخص:

إنّ البلاغة الجديدة هي بلاغة الحجاج، وقد وصفت بهذه الصفة في قبال البلاغة الأرسطية (القديمة) التي كان غرضها بيان مكونات فنّ الإقناع والتأثير في الخطاب وجعله مثاليًا في أبعاده الثلاث (مخاطب، مخاطب، وظروف محيطة بالخطاب)، وقد أسهم ظهور كتاب: **مصنّف في الحجاج** لمؤلفيه "بيرلمان" و"تيتكا" (perelman) و (tyteca) في تطوّر الدرس الحجاجي وكذا التأي به من مثاليّة أرسطو إلى معقوليّة حوارية تؤالف بين أطرافه.

وبالتالي الخروج به \_الحجاج\_ من حتمية التسليم إلى معقوليّة القبول والإذعان عبر حوارية لا إلزامية وكذا بعيدة عن المنطقية الصارمة. وتجدر الإشارة \_ها هنا\_ إلى أنّ البلاغة في مرحلة ما بين "أرسطو" و"تيتكا" (القرنين 18/19م) ركّزت على جماليّة التعبير وعدت وسيلةً لدراسة التّتميق اللّغوي.

وركّحاً على ما تقدّم تنبثق الإشكالية الآتية: ما الفوارق بين بلاغة "أرسطو" وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا"؟ وما الجديد المضاف في فهم الحجاج حسبهما؟

وهذا ما سنحاول طرّقه عبر صفحات هذا البحث.

## الكلمات المفتاحية:

الحجاج، البلاغة القديمة، البلاغة الجديدة، الحوارية.

## مقدمة:

لقد مرّ الدرس الحجاجي بمراحل تخللتها انكسارات وركود في مرحلة كانت فيها البلاغة \_التي ترعرع في أحضانها\_ تنسم بالمعيارية والتّعليمية وترى في الخطاب رسالةً تحمل أساليب

تجميلية وتنميقية غايتها فنية صرفة، إلا أنها ارتبطت عند "أرسطو" في الوقت ذاته بالحجاج، لما له من أهمية بالغة في فنّ التحدّث والإقناع، فنظر إليه إلى الحجاج بعدّه مكوناً من مكونات الخطاب يتشكّل بتشكّله، وتتغيّر وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيّره، فشهدت بدا البلاغة بعد "أرسطو" انحطاطاً وزيحاً عن الفكرة الأرسطوية لتدور في فلك الأسلوبيات والصّور البيانية والمحسّنات البديعية، إلى أن أُعيد بعثها وإحيائها في الدّراسات الحديثة، أين اصطبغت البلاغة بصبغة حجاجية، فأصبح للحجاج مجالٌ خاصٌ بألياتٍ وتقنياتٍ مكنته من بلوغ منزلة النّظرية اللّغوية القائمة على أسسٍ علميةٍ دقيقة، أباها وأرسى دعائمها العالمان "بيرلمان" و"تيتكا" من خلال مؤلفهما (مصنّف في الحجاج)، مستندين في انطلاقتهما إلى أفكار "أرسطو" الحجاجية مع إضافاتٍ وتحويراتٍ ميّزت فكرهما عنه.

وتأسيساً على ما سبق انبثقت إشكاليةٌ مفادها:

ما الفوارق بين بلاغة أرسطو وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا"؟ وما الجديد المضاف في فهم الحجاج حسبهما؟

وللإجابة عن هاته الإشكالية شقّ البحث طريقه عبر العناصر الآتية:

مفهوم الحجاج.

معالم بلاغة "أرسطو".

البلاغة الجديدة لـ "بيرلمان" و"تيتكا".

أساسيات بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" الحجاجية.

نقاط الاختلاف بين بلاغة "أرسطو" وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا".

ليختتم البحث في نهايته بخاتمةٍ أوجزنا فيها أهمّ النّقاط المستنتجة والمتوصّل إليها.

معتمدين المنهج الوصفي في تقصي نظرية الحجاج عند كلّ من "أرسطو" و"بيرلمان" و"تيتكا"، مستعينين بالمنهج المقارن في الكشف عن الفوارق الكامنة بينهما وكشف اللّثام عن الجديد المضاف حديثاً.

أولاً: مفهوم الحجاج:

الحجاج في المعجمات العربية من (حاجّ يحاججُ حجاجاً) وقد رده "ابن فارس" في مقاييسه إلى الجذر الثنائي (ح ج) قائلاً: «الحاء والجيم أصولٌ أربعةٌ، فالأول القصد (...) ويمكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا، لأنها تُقصد أو يُقصد بها الحقّ المطلوب، يقال: حَاجَجْتُ فلاناً فَحَجَجْتُهُ؛ أي: غلبته بالحجة... والجمع حججٌ، والمصدر الحجاجُ.»<sup>1</sup>



نستشف من هذا التّأصيل اللّغوي لمصدر الحجاج مفهوماً يحصره في تلك الخطابات التي يهدف بها المتكلم إقناع المتلقّي بفكرته والتّأثير فيه، فيدفعه إلى الإقدام أو الإحجام عن أمرٍ ما، وهنا الغلبةُ بالحجّة.

أمّا في الاصطلاح فهو «جملة الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفةٍ هي حمل المتلقّي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع.»<sup>2</sup> وهو بهذا المعنى آليّة تعمل على عرض الحجج وتوظيفها من جهة، وكيفيةٌ تؤدّي إلى بناء الأساليب اللّغويّة ذات الأبعاد البلاغيّة من جهةٍ أخرى، دون أن تهمل في خضم ذلك شخصيّة المتكلم وطبيعة السّامع المستهدف، لأنّ الغرض التّواصلية متعلّقٌ بهما، ويكمن في مدى مناسبة المتكلم بين المعطيات الحجاجيّة وظروف المقام عامّة، ومدى قدرته على استغلال هذه المعطيات لإقناع المستمع بخاصّة، إضافةً إلى مدى استثمار التّواحي النفسيّة والجوانب الوجدانيّة من أجل حتميّة هذا التّأثير.<sup>3</sup>

### ثانياً: معالم بلاغة "أرسطو":

يعدّ فكر "أرسطو" (Aristote) (384 ق.م / 322 ق.م) الوعاء الذي تصبّ فيه البلاغة الكلاسيكيّة الغربيّة، فقد حملت أفكاره حقبةً طويلةً من الزّمن، والبلاغة عند "أرسطو" خطابٌ حجاجيٌّ بالأساس يقوم على وظيفتي التّأثير والإقناع، ويتوجّه إلى الجمهور السّامع قصد توجيهه وإقناعه إيجاباً أو سلباً «ويحصل الإقناع حين يهيّأ المستمعون ويستميلهم للقول الخطابي، حوى يشعروا بانفعالٍ ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نوعٍ واحدٍ حسبنا نحسّ باللذّة أو الألم، بالحبّ والكرهية...»<sup>4</sup> ولما كانت بلاغة "أرسطو" تكمن في «الكشف عن الطّرق الممكنة للإقناع»<sup>5</sup> توقّف هذا الإقناع\_ عنده على ثلاثة أركان (حجج) هي:

● **حجّة الإيتوس (Ethos):** وهي المتعلّقة بأخلاق القائل أو الخطيب؛ فالخطيب «يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقَى على نحوٍ يجعله خليقاً بالثّقة، لأننا نستشعر الثّقة على درجةٍ أكبرٍ وباستعدادٍ أوسعٍ بأشخاصٍ معتبرين في كلّ الأمور وبوجهٍ عامٍ (...) وهذا الضّرب من الإقناع ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنّه الناس من خلقه قبل أن يتكلم، وليس صحيحاً أنّ الطّيبة الشّخصيّة التي يكشف عنها المتكلم لا تُسهم بشيءٍ في قدرته على الإمتاع بل على العكس ينبغي أن يُعدّ خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه.»<sup>6</sup>

● **حجّة الباتوس (Pathos):** ويُقصد بها تصدير السّامع في حالةٍ نفسيّةٍ ما، فر«الإقناع يمكن أن يتمّ بواسطة السّامعين إذا كانت الخطبة مثيرةً لمشاعرهم، فأحكامنا حين نكون مسرورين ودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمومين معادين، ونعتقد أنّ معظم الذين يصنّفون الخطابة اليوم يريغون إلى توجيه كلّ جهودهم نحو إحداث هذه الآثار.»<sup>7</sup> وعلى هذا يشترط "أرسطو" في الخطيب أن يكون قادراً على «أن يفهم الانفعالات، أعني أن يسمها ويصفها ويعرف أسبابها والطّرق التي بها ستثار.»<sup>8</sup> ولهذا فإنّ حجّتي (الپاتوس) و (الإيتوس) يجعلان البلاغة فرعاً من علم الأخلاق على حدّ اعتبار "أرسطو".

● **حجة اللوغوس (Logos):** وهو الكلام أو «القول نفسه من حيث هو يُثبت أو يبدو أنه يثبت»<sup>9</sup> فالإقناع «يحدث في الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة، مناسبة للحالة المطلوبة»<sup>10</sup> ومن يملك هذه الحجة أو الوسيلة في الإقناع يكون قادراً على التفكير المنطقي.

تتناسب كل واحدة من هذه الحجج الثلاثة حسب "أرسطو" مع نوع من أنواع الخطابة:<sup>11</sup>

● **الخطبة المشورية:** وغايتها بيان النافع والضار والتوصية باتّباع أقوم المسالك واجتناب أسوأها، وتناسبها حجة (الإيتوس)، فعلى الخطيب في الخطبة المشورية أن يتزيّن بحسن الخلق فيما يتوجّه به إلى السامعين حتّى وإن كان على غير ذلك الخلق في الواقع.

● **الخطبة التثبیتیة:** وقوامها المدح والذم؛ مدح الشریف وذم الخسيس، وتناسبها حجة (الباتوس)؛ والباتوس إنّما هو مجمل الانفعالات والأهواء والمشاعر التي ينبغي على الخطيب أن يثيرها في نفوس السامعين محققاً بذلك الإقناع، وهذا يقتضي على الخطيب أن يكون عالماً بالنفس فيعرف كيف يثير مشاعر جمهوره، ومن أين يأتيهم.

● **الخطبة المشاجريّة:** التي غايتها بيان العدل والظلم، وقوامها الاتهام والدفاع، فتتناسبها حجة (اللّوغوس) \_ الكلام نفسه \_ فها هنا يكمن المظهر الجدلي بحق في بلاغة "أرسطو".

وفي هذا نلاحظ تركيز "أرسطو" على عناصر بناء الخطاب \_ الأطراف الثلاثة المكوّنة له (السّامع/ المستمع/ الخطبة) والمُسهمّة في تحقيق الإقناع، فالحجاج إذن حسب "أرسطو" يتحقّق بمجموعة من الوسائل الأدائيّة؛ فإمّا يتحقّق عبر اللّوغوس الذي يعني الكلام والحجج والأدلة، ويظهر ذلك جلياً في نسق الرّسالة التّواصلية، وإمّا يتحقّق عبر الإيتوس الذي يمثّل جملة القيم الأخلاقيّة والفضائل العليا الواجب على الخطيب التّحلي بها، وإمّا يتجسّد في الباتوس الذي يتعلّق بالمخاطب ويكون في شكل انفعالات «هاته الرّؤية البلاغيّة قد بزغت في خضم استقصائه عن الحجج والأدلة الخطابيّة»<sup>12</sup>

كما ميّزت بلاغة "أرسطو" بين نوعين من الحجج؛ حجج صناعيّة وغير صناعيّة وهنا يقول: «... وقد أعني بالتي غير صناعيّة تلك اللّاتي تكون ليست بحيلة منا، ولكن بأمر متقدّمة (...) وأمّا اللّاتي بالصّناعيّة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا»<sup>13</sup> والتّصديق الحاصل من الخطبة إذاً ناتج عن تلك الحجّة الإقناعيّة التي تستمدّ قوتها من الأدلّة والحجج، وهذا يعني أنّها تعدّ عاملاً أساساً في تحقيق الإقناع.

والحجاج عند "أرسطو" قائم على الاستدلال؛ وهو «تفكيرٌ عقليّ بواسطته يتمّ إنتاج العلم»<sup>14</sup>، وبالتالي قد أولاه أهميّة عظمى في الممارسة الحجاجيّة، وحرص على دراسة القواعد المُنتجة للقول الخطابي لما له من دورٍ في إقناع المتلقّي وإيصال الفكرة له، وذلك عن طريق ربط التّنتائج بالمقدّمات بعلاقاتٍ منطقيّة عقليّة، فالاستدلال طلب الدليل «وهو قولٌ مؤلّف من أقوالٍ إذا سلّم بها لزم عنها بالضرّورة قولٌ آخر»<sup>15</sup> فالاستدلال بالنسبة لـ"أرسطو" أصبح يمثّل أنموذجاً

في الخطاب الحجاجي كونه يساعد في الحكم على الأقاويل المختلفة سواءً تلك التي ننتجها أو التي تُعرض علينا.

### ثالثاً: البلاغة الجديدة لـ "بيرلمان" و "تيتكا":

بُعِثت البلاغة؛ وكانت بعثتها تجديداً مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين بالضبط عام 1958م، مع "شايم بيرلمان" (Chaim Perelman) و "أولبيريتشس تيتكا" (Olbrechts Tyteca) في كتابهما (مصنّف في الحجاج) مرتكزين على بلاغة "أرسطو" الحجاجية لبناء نظريتهما «فنقطة انطلاق البلاغة الجديدة، هو التمييز الذي أقامه "أرسطو" بين الاستدلال التحليلي والاستدلال الديالكتي، الأوّل مرتبطٌ بالصواب والمنطق، أمّا الثاني فينطلق من المقدمات التي تشكّل من الآراء المقبولة عموماً والقابلة للصواب، وذلك بهدف استنباط أو قبول أطروحات أخرى، إنّها هذه الجدلية التي يريد "بيرلمان" توسيعها وتجديدها.»<sup>16</sup> لذا فقد عُدّ كتابه الباعث الرئيس لثورة البلاغة الجديدة التي قادها رفقة زملائه.

ولقد تمثّل "بيرلمان" المنهج الأرسطي في التعامل مع البلاغة في ضوء رؤية حجاجية إقناعية، انطلق من أفكار "أرسطو" حول البلاغة شرحاً، توسيعاً، ومناقشةً في مجال يؤمن فيه \_ "بيرلمان" \_ بحرية الحجاج والافتتاع «ويحدّد "بيرلمان" ظروف التقائه مع البلاغة الأرسطية في مقدّمة كتابه (إمبراطورية البلاغة).»<sup>17</sup> واسم الكتاب في ذاته يُنبئ عن ارتكاز تأسيسي، فقد وجد "بيرلمان" في بلاغة "أرسطو" أرضية خصبة مكنته من الانطلاق في بناء نظرية حجاجية أدار بها ما كان معهوداً في الفترة ما بينه وبين "أرسطو" تلك الفترة التي شهدت فيها البلاغة مساراً جمالياً أسلوبياً، فكان كلّ نتاجها يصبّ في زاوية تحسين الخطاب بالصّور والبدعيّات.

وبالتالي فإنّ البلاغة الجديدة هي بلاغة حجاجية؛ يمكن عدّها بلاغةً أرسطيةً جديدةً ذلك أنّ "بيرلمان" و "تيتكا" اشتغلا على القضايا الحجاجية ذاتها التي اشتغل عليها "أرسطو"، لكن بروية جديدة يمكن حصر أبرز ملامحها في كون الحجاج حسبها \_ "بيرلمان" و "تيتكا" \_ «معقوليّة وحرية، وهو حوار من أجل حصول التسليم برأي آخر بعيداً عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادةً وبعيداً عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك كلّهُ أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره.»<sup>18</sup> وبالتالي فقد أعاد "بيرلمان" و "تيتكا" توجيه مسار الحجاج من الجدل والمنطق والخطابة إلى الحوار والحرية والعقل دون اعتماد العنف أو التّضليل أو التّوهيم.

### رابعاً: أساسيات بلاغة "بيرلمان" و "تيتكا" الحجاجية:

قبل الحديث عن أساسيات علمٍ معيّن لابدّ وأن نبيّن موضوعه والغاية منه، لتتضح بعد ذلك الأعمدة التي قام عليها، وكما أشرنا سابقاً أنّ البلاغة الجديدة التي أرسى دعائمها "بيرلمان" و "تيتكا" هي بلاغة الحجاج؛ فموضوعه عندهما هو «دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات وأن تزيد في درجة ذلك التسليم.»<sup>19</sup>

والغاية منه \_الحجاج\_ «أن يجعل العقول تدعن لما يُطرح عليها ويزيد من درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُقِّف في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها عند السّامعين بشكلٍ يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه.»<sup>20</sup>

وارتكازاً على ما تمّ إيرادُه سلفاً فإنّ البلاغة الجديدة مرتبطةٌ بالتّقليد البلاغي الأرسطي محدّثةٌ إيّاه؛ وهي بالتّالي تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح الديكارتية، لتفتح المجال أمام منطقٍ حجاجي غير رياضيّاتي ينأى عن بلاغة الصّور الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف، ويهتمّ بالوظيفة الإقناعية فيه بدرجةٍ أولى، فيكون لبّ العمليّة التّخاطبية بناء علاقةٍ مع الآخر قصد التّبليغ والإقناع على حدٍ سواء وبدا «يصبح المتكلّم مبلغاً أكثر من كونه ناقلاً.»<sup>21</sup>

وبالعود لتبيين أساسيات بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" نقف بهذا على أساسين هما:

\_ الانتماء للنّظريّة الأرسطيّة؛ فعملهما يندرج بالكامل في الإرث الأرسطي مع محاولة التّجديد والتّوسيع.

\_ القطيعة مع الفكر الديكارتّي المتعلّق بالمنطق البرهاني وفلسفة الوضوح؛ وبالتّالي فهما يعيدان فتح نموذج انطلاقاً من المبدأ البسيط والجزري القائل: «إنّ فكرة الوضوح التي تعتبر صفةً للعقل، هي التي يجب مناقشتها إذا أردنا أن نقيم مكاناً لنظريّة الحجاج تقرّ استخدام العقل من أجل التّحكّم في فعلنا ومن أجل ممارسة التّأثير على أفعال الآخرين، ومنه السّعي إلى بناء مبادئ لعقلانية تتعلّق بالأمور الإنسانيّة التي لا تنتمي للوضوح البرهاني الذي لا يتناسب كثيراً معها.»<sup>22</sup>

كما وقد استبعد "بيرلمان" و"تيتكا" تصوّرات "أفلاطون" والسّوفسطائيين أيضاً؛ لأنّها تقوم على الجدل والسّفسطة والمنهج المغالطي والمناورة الواهمة واعتماد المثل العليا المطلقة.<sup>23</sup>

ومن أهمّ الأفكار التي أسّس عليها "بيرلمان" و"تيتكا" نظريّتهما الحجاجية أنّهما يعتبران الإقناع الوظيفة الأساسيّة للبلاغة وليس التّأثير، كما أنّ الصّور البلاغية في نظرهما ليست صوراً فنيّةً وجماليّةً وتزيينيّةً، وظيفتها الإمتاع فقط كما هو سائد في البلاغة التّقليديّة، بل هي من طبيعةٍ حجاجيةٍ وإقناعيةٍ بامتياز، هذا ويُعدّ الحجاج عمليّة تفاعليّة تقوم على مجموعةٍ من العناصر: المرسل، الرسالة، السّامع، ويُعدّ الآخر \_السّامع\_ أهمّ من المتكلّم الخطيب لأنّ الهدف من الرّسالة التّواصلية هو إقناع الآخر ومحااجته برهانياً وعقلانياً عبر مجموعةٍ من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة والحلّ الرّاجح، واستكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج... فالغرض من توظيف اللّوغوس الحجاجي هو إقناع الآخر ودفعه للتّسليم والرضى عن الحجّة.<sup>24</sup> وبالتّالي يسعى حجاج "بيرلمان" و"تيتكا" إلى تحقيق الاقتناع الواقع في منطقةٍ وُسطى بين الاستدلال والإقناع، فيحصل أنّ السّامع في حالة الاقتناع يكون قد أفنّع نفسه بواسطة أفكاره الخاصّة ما يدع له مجالاً لحرية الاختيار وإعمال العقل، فالإذعان بذلك يكون بواسطة الاقتناع. ومن هنا يتحدّد الملفوظ الحجاجي بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإذعان، لأنّ «الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو

وحده القمين بأن تكون له الحرّية الإنسانيّة من حيث هي ممارسةٌ لاختيارٍ عاقلٍ، فإن تكون الحرّية تسليماً اضطرارياً إلزامياً بنظامٍ طبيعيٍ مُعطى سلفاً معناه انعدام كلّ إمكان للاختيار، فإذا لن تكن ممارسة الحرّية مبنية على العقل فإنّ كلّ اختيارٍ يكون ضرباً من الخور، ويستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغٍ فكريٍّ.»<sup>25</sup>

وبناءً على ما سبق قد يكون هذا الآخر المخاطب فرداً أو جماعةً حاضراً أو غائباً، افتراضياً أو محدّداً، وقد يكون المتلقّي شخصاً معيّناً في الواقع أو سامعاً كونياً مجرداً عن الزّمان والمكان حسب ثقافة كلّ عصرٍ على حدة.

فضلاً عن ذلك لابدّ حجاجياً من مراعاة المقام ومقتضى الحال، ولابدّ من تكييف الخطاب مع مقامات المخاطبين والإحاطة بمجموع المعارف الخاصّة بموضوع المحاجة المتعاقد عليها ضمناً، مع تغيير موجّهات الخطاب بتغيير أنماط مخاطبيه، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ الخطبة مرتبطة بالإيتوس الذي يمتلك الكفاءة المعرفيّة ويتّصف بالفضائل والقيم الأخلاقيّة النبيلة ويستعمل اللّوغوس اللّغوي في رسالته التّواصلية في شكلٍ موجّهات وتقنيات حجاجيّة وإقناعيّة، أمّا السّامع فيرتبط بالباتوس أو بثنائيّة التّرهيب أو بعالم الأهواء والانفعالات.<sup>26</sup>

تتمحور بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" أساساً حول تحليل تقنيات الحجاج، وهذه التقنيات يتمّ بسطها على محورين كبيرين: من جهة محور الخطاب ذاته، خاصّة بنيات الحجاج الموضوعية موضع التّنفيذ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقّي، وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب؛ ففي الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثانية تتمّ دراسة الموقف التّواصلية الذي يمثّل الحجاج.<sup>27</sup>

#### خامساً: نقاط الاختلاف بين بلاغة "أرسطو" وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا":

لقد اتّضحت معالم البلاغة الحجاجيّة مع "أرسطو" من خلال مؤلّفه (الخطابة) والذي أحدث ثورةً حقيقيّة في وقتٍ كانت البلاغة مصطبغةً بصبغة الرّخرفة والتّثميغ، فكان مؤلّفه هذا أهمّ نقلة حدثت، جمع فيه كلّ ما يتعلّق بالحجاج الخطابي مركزاً على الوظيفة الإقناعيّة التي لا بد وأن يتوقّفها الخطابُ تحقيقاً للتّبليغ في إطار تواصلية اللّغة، فوضع "أرسطو" أسس الدّرس الحجاجي وضعاً دقيقاً محكماً، ما جعل "بيرلمان" ينعته بأب الحجاج معترفاً بفضلته ومكانته، وقد وقف "بيرلمان" - وقفةً متمعّنٍ ممحصٍ للتّراث الذي خلفه "أرسطو"، فاستقى منه ما استقى مرتكزاً عليه تأسيساً، محوّراً بعض المفاهيم التي سارت بالدّرس الحجاجي مساراً مختلفاً له نمطٌ خاصٌ في التّحليل ومنهجيةً وأهدافاً مختلفةً «وهو ما يدعّمه قولهما منذ فاتحة كتابهما بأنّ حجاجهما أو خطابتهما الجديدة مرتبطةٌ بالجدل والخطابة عند اليونان ولكنّه ارتباطٌ تجاوز الاتّباع إلى الإبداع في رأينا.»<sup>28</sup> ولنتلمّس الإبداع في حجاج "بيرلمان" و"تيتكا" ونرصد الجديد الذي جاء به، كان لزاماً علينا عقد مقارنةً بين حجاجهما وحجاج "أرسطو" المتجسّد في بلاغته الكلاسيكيّة لاستنباط الفروق الكامنة بينهما، وسنورد منها ما يأتي:

إنَّ أهمَّ ميزةٍ ميّزت البلاغة الكلاسيكيّة المعيارية الخالصة؛ فقد سعت حسب "هنريش بليت" إلى تقديس القواعد التي كُتبتْها زمناً طويلاً، يقول في هذا الصدد «... مع أنّ هذا النسق بقي عبر 2500 سنة من عمره غير كاملٍ، وتعرّض لتغيّراتٍ متوالية، فإنّ وظيفته الأولى بقيت مع ذلك واحدة وهي إنتاج نصوص حسب قواعدٍ معيّنٍ». <sup>29</sup> فقد امتازت بطابعها المعياري التّعليمي، فقد كان هدفها الأساس تزويد المبدع أو الكاتب المنشئ بجملةٍ من الأدوات التي يحتاجها في مجال الكتابة الجماليّة والفنّية بُغية اكتساب الفصاحة والبلاغة.

وهو الهدف الذي نأت عنه البلاغة الجديدة مع "بيرلمان" و"تيتكا" «إذ لم يعد الهدف الأوّل للبلاغة العلميّة هو إنتاج النّصوص بل تحليلها». <sup>30</sup>

هاته الانتقاليّة الهدفية المتمثّلة في الاهتمام بتحليل النّصوص وتأويلها والبحث في مقاصدها ومتضمّناتها، جعلت البلاغة الحديثة همزة وصلٍ بين علومٍ شتى كتّحليل الخطاب، القراءة، التّلقّي، التّداول... وشهدت تطوّراً سمح لها بمنافسه مجالات أخرى كالأسلوبية وتحليل الخطاب، لسانيات النّص، التّداوليّة... فهي قد «تخلّت عن نزعتها المعيارية المتمثّلة في فرض القواعد لتتهتم برصد الوقائع، فهي تتحول من لغة موضوع، إلى لغة واصفة». <sup>31</sup>

إنّ موضوع النّظرية الحجاجية لـ"بيرلمان" و"تيتكا" تتخذ من دراسة الخطاب غير البرهاني ومن تحليل الاستدلالات التي لا تقف عند حدود الاستدلالات الصّوريّة موضوعاً لها، ذلك أنّ هذه المقاربات الصّوريّة عاجزة عن استيعاب الاستدلالات اليوميّة التي تدخل في حيّز اهتمامات الحجاج. <sup>32</sup> فكانت النّظرية بداً شاملةً لكلّ خطابٍ غرضه تحصيل الاقتناع لدى المتلقّي، وبتميّز بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" بالتّوصيف والتّحليل والتّقويم ورصد مختلف آليات الخطاب الاجتماعي والتّنبّه من فاعليته التّطبيقية جعلها تركّز على الخطاب بصفةٍ عامّة.

وإذا كان "أرسطو" يميّز بين الإقناع والتّأثير؛ على أساس أنّ الإقناع يُخاطب العقل مستعملاً الأدلّة والبراهين المنطقيّة والعقليّة للمحاجة، فإنّ حجاج التّأثير يدغدغ العواطف مستمياً النّفوس وهو قائمٌ على المناورة والمخادعة. أمّا "بيرلمان" و"تيتكا" فيرفضان هذا التّقسيم ويحتفظان بحجاج الإقناع؛ وهو ما يؤكّده "عبد الله صوله" قائلاً: «إنّ قيمة تعريفي "بيرلمان" و"تيتكا" للحجاج تكمن في القضاء على هذه الثنائيّة في مفهوم الحجاج، فعندهما أنّ العمل الحاصل بواسطة الحجاج على صعيد العقل هو عملٌ التّأثير النّظري والإذعان والتّسليم [وهو غاية الجدل عادة] مؤدٍ إلى العمل السلوكي الذي كانت من جملة مصادره في منظور الخطابة العاطفة الملهبة والمشاعر الجياشة؛ ومعنى ذلك أنّ العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلاً إليه بالمغالطة والتّلاعب بالأهواء والمناورة، إنّما هو عملٌ هيأ له العقل والتّدبر والنّظر، وهكذا تكون قوى الإنسان (العقل والهوى) عندهما قوى متضامنة متفاعلة لا قوى منعزلاً بعضها عن بعض». <sup>33</sup> وهذا ما يكشف لنا ارتباط الحجاج بالعقل في بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" فهما يبعدانه عن الهوى والمغالطات والتّأثير العاطفي.

نستشف مما طرح آنفاً أنّ قوام الحجاج بل وهدفيته عند "أرسطو" تحقيق الإقناع، وهذا ما لا يروم حجاج البلاغة الجديدة تحقيقه، فهو «يسعى للحصول على الاقتناع»<sup>34</sup> ويكمن الفرق بينهما \_الإقناع/الاقتناع\_ أنّ الإقناع يحمل نوعاً من الإرغام؛ فالمتكلم يعتمد الفرض والإجبار بتقديم حججٍ قطعيةٍ وهو ما يقود بالحجاج إلى مثاليةٍ صرفيةٍ، في حين نتلمس في الاقتناع مشاركة الآخر في العملية التخاطبية عن طريق حوارية له مجال النقاش فيها، فيحصل الاقتناع عن طيب خاطر، فبإشراك المتلقي المتكلم في خطابه عارضاً وباسطاً حججه يقوده إلى اقتناعٍ وتسليم فتكون العملية التخاطبية مجالاً حراً وأوسع من تضييقها بالزامية ومنطقية لا مناص منها.

حصر "أرسطو" مجال الحجاج في أجناسٍ ثلاثة: القضائية، الاستشارية، الاحتفالية، استناداً إلى مقام المخاطب الذي لا يكون إما قاضياً، أو سياسياً أو جمهوراً حاضراً في ساحةٍ عمومية<sup>35</sup>. أما "بيرلمان" و"تيتكا" فقد وسعا الحجاج، ليشمل الفلسفة والنقد، والقانون، واللسانيات... وحتى الحياة اليومية فهي نظرية عالمية شاملة<sup>36</sup> وبالتالي فهي تستمد حيويتها من علومٍ شتى.

ثم إنَّ المخاطب في حجاج "أرسطو" يشترط حضوره وهو ما تعداه "بيرلمان" ولم يعدّه شرطاً موسعاً دائرة المتلقي الذي قد يكون جمهوراً، قارئاً، وذهب إلى أبعد من ذلك فقد يكون متلقياً (مخاطباً) يستخلص من ذاته ذاتاً أخراً تحاوره، وذلك انطلاقاً من عمومية وشمولية فكرة المستمع.

ولئن كانت البلاغة الأرسطوية تستهدف مستمعاً كونياً لأنَّ مجالها اليقينيّات التي لا تختلف قيمتها من شخصٍ لآخر بل هي سواءٌ عند كافة الناس فإنَّ الحجاج يستهدف مستمعاً خاصاً مرتبطاً بزمانٍ ومكانٍ محددين، إلا أنّ ذلك لا يمنعه من جعل المستمع الكوني في دائرة الاستهداف في أشكاله الراقية<sup>37</sup>.

ومنه فالبلاغة الجديدة على خلاف البلاغة الكلاسيكية حقلٌ يُعنى بدراسة الخطاب الموجة نحو المخاطب المتلقي \_الجمهور\_ بمختلف أشكاله المتعددة \_سواءً كان حشداً متجمعاً في ساحةٍ عامّةٍ أو في اجتماعٍ لمختصين، أو كان خطاباً موجّهاً نحو فردٍ واحدٍ أو نحو البشرية جمعاء، إنّه حقلٌ يفحص حتى الحجج التي نوجهها إلى ذاتنا في حوارٍ خاصٍ بيننا وبين أنفسنا.

وهو ما يُحيلنا إلى الفكرة المركزية في بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" وهي تركيزها على المتلقي وإيلائه أهمية خاصة؛ فأصبح متلقياً إيجابياً يتلقى الخطاب الحجاجي ويفكر فيه ويقبله على أوجهه المختلفة مكتشفاً زيفه من صدقه، منتقلاً إلى فعل الإرسال مفنداً أو مدعماً، مرتقياً بذلك إلى منزلة المرسل، وهذا بخلاف «المتلقي في الخطابة القديمة بحكم سلبيته كان في درجةٍ أدنى من درجة الخطيب، ومن ثمّ كان يتلقى الخطبة من علٍ، فالعلاقة بينهما رأسية، أما المتلقي في الخطابة الجديدة فهو بحكم إيجابيته يقف في درجةٍ موازيةٍ لدرجة المرسل، ومن ثمّ يتلقى الخطبة من مقابلٍ موازٍ، فالعلاقة بينهما أفقية»<sup>38</sup>.

ولمّا كان جديداً "بيرلمان" و"تيتكا" ربط الحجاج بالمخاطب أكثر ممن ربطه بالمتكلم واللّوغوس، فإنَّ البلاغة الحجاجية هي بلاغةٌ غير شكليةٍ مقارنةً ببلاغة "أرسطو" المتجسدة في

المنطق الصّوري الاستدلالي، وهذا يعني أنّ الفكر الإنساني ليس دائماً برهانياً استدلالياً فقد نجد أفكاراً لامنطقية تحمل في طياتها بُعداً حجاجياً كما هو حال الجمالي والفني الذي يقوم على وظائف حجاجية بامتياز خارقاً معيار المألوف والمنطقي، وبالتالي فحجاجية "بيرلمان" و"تيتكا" حجاجية ذاتية متغيرة مقارنة مع حجاجية "أرسطو" الموضوعية الثابتة المستندة إلى قانون منطقي صارم.

لم تعد الصورة البلاغية بصفة عامة والصورة الاستعارية خاصة مجرد صورة بلاغية جمالية وزخرفية وتنميفية إمتاعية ذات وظيفة أسلوبية فحسب، بل هي صورة إحالية ومرجعية ذات طبيعة حجاجية بامتياز، إذ تُسهم في توضيح الواقع وتأسيسه وتحويله إلى حجج إقناعية أو تأثيرية أو اقتناعية باستدعاء السامع المخاطب، سواء كان حقيقياً أم افتراضياً، من أجل إشراكه في بناء الواقع بشكل إيجابي ومثمر، ومن ثم تُعدّ الصورة البلاغية والاستعارية أقوى الحجج في الاستمالة والتمثيل والمقارنة وال جذب، والحوار، والإقناع، والاقتناع ولكن ليست كلها في خدمة الدفاع عن الرأى، ومن ثم تكون الاستعارة حجة عندما تخدم الإقناع؛ أي عندما تستخدم في الدفاع عن أطروحة أو عن رأي ما.<sup>39</sup>

ليست الحقيقة في الحجاج مضمونة بل متعددة وجهات النظر، مادام الحجاج مبنياً على اللغة الطبيعية التي تتعدّد فيها التأويلات والدلالات، في حين ينفرد الاستدلال الأرسطي بأحادية المعنى، وفي هذا الصدد يقول "عبد الله صوله": «ليس الحجاج من هذا القبيل، فالحقيقة فيه ليست مضمونة لا، ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة أو متعالية أو موضوعية شأنها شأن الاستدلال، وأنّ الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية، لكن لا إلى غير حدّ، وهي مرتبطة بالمقام ولا تكون إلا تحت أنظار الجمهور، سواء كونياً أم خاصاً أو متكوناً من الخطيب وحده، فهو الخصم والحكم يحاجج نفسه»<sup>40</sup>

خاتمة:



وختاماً يمكننا أن نحوِّصل بحثنا في جملةٍ من التّأثيرات المُتوصِّلة إليها نذكرها تالياً:

- ✓ قدّم "أرسطو" في كتابه (الخطابة) تصوراً جديداً للبلاغة تجاوز به ما كان مطروحاً في عصره فألبسها لباساً حجاجياً وبعداً منطقياً استدلالياً.
- ✓ سعى "أرسطو" إلى وضع نموذجٍ حجاجيّ كان قاعدةً وأساساً تُبنى عليه الممارسات الحجاجيّة في إطار ما يُسمّى ببلاغة الخطاب الإقناعيّ.
- ✓ يقوم حجاج "أرسطو" على دعائم ثلاث: إيتوس، باتوس، لوغوس وكلّها تُسهم في بناء خطابٍ إقناعي معزّزة بقواعد الاستدلال المنطقي.
- ✓ يُعدّ "بيرلمان" مؤسساً لنظريّة حجاجيّة في إطار ما وسمه بالبلاغة الجديدة، وتجسّد هذا في كتابه الذي ألفه مع "تيتكا" الموسوم بـ(مصنّف في الحجاج).
- ✓ حاول "بيرلمان" و"تيتكا" جعل للبلاغة بُعداً عقلياً يحفظها من الالتباس بالسفسطة والمغالطة، فتمثّل مشروعهما في إقامة بلاغةٍ جديدةٍ تهدف إلى التّأثير والحثّ على الاقتناع على أسس معقولةٍ ومقبولةٍ وفي آفاقٍ رحبٍ يسمح بالمناقشة بعيداً عن إلزامية قبول الحجّة والتّسليم بها قانوناً.
- ✓ إنّ أهمّ فكرةٍ جاء بها "بيرلمان" و"تيتكا" هي عدّ الحجاج حواراً بين الخطيب وجمهوره.
- ✓ يتمثّل الجديد الذي أضفاه "بيرلمان" و"تيتكا" في الدّفاع عن المخاطب بدل المتكلّم، والتّشديد على الاقتناع بدل الإقناع، وتجاوز الخطابات المعروفة من بلاغة وخطابة إلى خطابات عامة كالفلسفة، القانون، السياسة....
- ✓ أعاد "بيرلمان" و"تيتكا" الاعتبار للحجاج من خلال تخليصه من ربة الخطابة والجدل اللذين يخضعان المتلقّي إلى حتميّة وضرورةٍ إقناعيّة، وأكّداً على أهمّيّته المتلقّي في العمليّة التّخاطبيّة.
- ✓ حجاج "بيرلمان" و"تيتكا" ليس منطقاً صورياً مجرداً وليس مغالطةً وإيهاماً بل هما معاً. وهو ليس إقناعاً واقتناعاً فقط بل تأثيراً واستمالةً عاطفيّةً أيضاً.

#### ➤ قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، (د. ب)، (د. ط)، 1989م.
- أرسطو طاليس، الخطابة، تح/ تع: عبد الرّحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت/ لبنان، (د. ط)، 2011م.
- جميل حمداوي، نظريات الحجاج قراءة في نظريات معاصرة، مجلة المنهاج، العدد 70، 2013م.

- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة/ مصر، (د.ط)، 2000م.
- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد1، مج 30، سبتمبر 2001م.
- حسان الباهي، العلم والبناء الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية، ناشرون، (د.ت).
- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 1994م.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري بنينه وأساليبه، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2008م.
- صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، 2008م.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 1998م.
- عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج \_ الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الأدب والعلوم الإنسانية منوية.
- عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت/ لبنان، ط2، 2007م.
- عبد الله صوله، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، (د.ط)، 2011م.
- فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، ط1، 2003م.
- فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011م.
- فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال وعبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/ مصر، ط1، 2003م.
- محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/ المغرب، ط2، 2005م.
- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1999م.

➤ الهوامش والإحالات:

- 1 أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ب)، (د. ط)، 1989م، ج2، ص29\_30ء.
- 2 سامية الريددي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2008م، ص21.
- 3 ينظر: صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، 2008م، ص21.
- 4 أرسطو طاليس، الخطابة، تح/ تع: عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت/ لبنان، (د. ط)، 2011م، ص10.
- 5 المرجع نفسه، ص1355.
- 6 المرجع نفسه، ص1356.
- 7 المرجع نفسه.
- 8 المرجع نفسه.
- 9 المرجع نفسه، ص1355.
- 10 المرجع نفسه، ص1356.
- 11 ينظر: المرجع نفسه.
- 12 هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 1999م، ص36.
- 13 أرسطو طاليس، الخطابة، ص04.
- 14 حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد1، مج30، سبتمبر 2001م، ص126.
- 15 المرجع نفسه.
- 16 فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011م، ص42.
- 17 محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/ المغرب، ط2، 2005م، ص132.
- 18 عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج \_ الخطابة الجديدة لبييرلمان وتينكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الأدب والعلوم الإنسانية منوبة، ص298.
- 19 المرجع نفسه، ص299.
- 20 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 1998م، ص216.
- 21 المرجع نفسه.
- 22 فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص44.
- 23 ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج قراءة في نظريات معاصرة، مجلة المنهاج، العدد 70، 2013م، ص85.
- 24 ينظر: المرجع نفسه، ص ص 87-88.
- 25 عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، ص301.
- 26 ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج قراءة في نظريات معاصرة، ص89.
- 27 فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص46.
- 28 عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت/ لبنان، ط2، 2007م، ص29.
- 29 هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص23.
- 30 المرجع نفسه.
- 31 رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 1994م، ص08.
- 32 ينظر: حسان الباهي، العلم والبناء الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية، ناشرون، (د. ت)، ج1، ص196.
- 33 عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص29.
- 34 جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة/ مصر، (د. ط)، 2000م، ص110.
- 35 ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة، ص1716.
- 36 ينظر: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، ط1، 2003م، ص32.
- 37 ينظر: عبد العزيز الحويدي، الأسس النظرية لبناء شبكات قرآنية للنصوص الحجاجية، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في البلاغة الجديدة، ج3، ص346.
- 38 حسان الباهي، العلم والبناء الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، ج1، ص10.

---

39 ينظر: فيليب بروتون، الحجاج في التّواصل، تر: محمد ميشال وعبد الواحد التّهامي العلمي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة/ مصر، ط1، 2003م، ص\_ص 122\_123.

40 عبد الله صوله، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، (د.ط)، 2011م، ص14.

الإسم : عز الدين

اللقب: لخضر الزين

السنة الدراسية: الرابعة دكتوراه

التخصص: أدب حديث ومعاصر

الجامعة: جامعة لونيبي علي، البليدة 2

الحجاج ودوره في إثراء البلاغة العربية ( فن الخطابة أنموذجا )

Argumentation and its role in enriching the Arabic rhetoric(the art of speech)

رمز المداخلة : ( بلا – جد 18 )

الملخص:

يمر الخطاب النقدي العربي المعاصر في اتجاه يعج بالتحديات والإشكاليات، ونجد الخطاب الحجاجي موظف بكثرة في الخطابات الأدبية العربية والفلسفية وغيرها، كونه الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وقد تعاملت البلاغة الجديدة مع الخطابات النصية المختلفة تعاملًا علميًا وصفيًا جديدًا.

إذ جاءت هذه المداخلة وهي تحاول استعراض أهم مبادئ المقاربة الحجاجية على مستوى التنظير، ومدى ارتباط فن البلاغة بالخطابة والإقناع. الكلمات المفتاحية: الحجاج، التواصل، الخطبة، البلاغة، إقناع.

Abstract: Contemporary Arab critical discourse passes in a direction teeming with challenges and problems, and we find the argumentative discourse heavily employed in Arab literary, philosophical and other discourses, being the main pillar in communicating ideas. The new rhetoric has dealt with various textual discourses in a new scientific and descriptive manner. This intervention was an attempt to review the most important principles of the argumentative approach at the level of theorizing, and the extent to which the art of rhetoric is related to rhetoric and persuasion.

Keywords: argumentation, communication, sermon, rhetoric, persuasion.

**تمهيد:**

يعتمد الاتجاه التحليلي للبلاغة الجديدة على ضرورة إعادة قراءة النصوص المؤسسة في البلاغة القديمة، من خلال الوقوف على الأبنية الشكلية والدلالات القصديّة، وذلك بتوظيف أسلوب يجمع بين الوصف والتأويل.

كما أن الحجاج ينتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة ومنطق الخطاب، ومنه إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، وتعود أهميته في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يُعرف بـ: " البلاغة الجديدة".

وقد ركزت في مداخلتي هذه على أهمية إبراز إستراتيجية الحجاج عند العرب القدامى والمحدثين، وفي هذا السياق قمت بتحديد إشكالية محورية تتمثل أساساً فيما يلي :

\* كيف ساهم الحجاج في إثراء البلاغة العربية عامة، وكيف دعم فن الخطابة على وجه الخصوص؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية المحورية إشكاليات جزئية أهمها:

ما معنى الحجاج؟ وما هي أصول نظريته؟ وما علاقته بالخطاب؟

### 1. ماهية الحجاج:

لقد تنوعت الخطابات الحجاجية من خطاب بلاغي ولساني وسياسي وديني...، ففي اللغة يعني الحجاج الغلبة بالحجة، فقد جاء في لسان العرب: حاجته أحاجّه حجاجاً وحاجة حتى حَجَّحَتْهُ أي غلبته بالجمع التي أدليت بها، وهو رجلٌ مُحَاجِّجٌ أي جدلٌ، والتحجاج أي التخاصم... وحاجّه محاجّةً وحجاجاً: نازعه الحجة وحجه حجا غلبه على حجته... والحجة: الدليل والبرهان.<sup>1</sup>

أما ابن فارس وجدناه يحصر مادة (حجج) في أربعة معانٍ كبرى: " الحاء والجيم أصول أربعة:

فالأول: القصد: وكل قصد حج... ثم اختص الاسم القصد إلى البيت الحرام. والثاني: والأصل الآخر: الحِجَّةُ وهي السنة، والأصل الثالث: الحَجَّاجُ: وهو العظم المستدير حول العين، والأصل الرابع: الجَحَّجَّة: النكوص.<sup>2</sup>

فأما الدلالة الأولى معناها القصد، وأما الدلالة الثانية أي المخاصمة والمغالبة بقصد الظفر، وأما الدلالة الثالثة بمعنى الإحاطة والصلابة، وأما الدلالة الرابعة بمعنى التوقف والارتداع.

أما اصطلاحاً: فالحجاج هو: خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه، أي الإقناع.<sup>3</sup>

كما أنا الحجاج ( ) : جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها.<sup>4</sup>

وفي تعريف آخر: الحجاج هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية.<sup>5</sup>

ولا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "حجاج" أو " الاحتجاج" في عدة مجالات، خصوصاً في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي، إضافة إلى علوم النحو واللغة والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام.

## 2. أصول نظرية الحجاج:

ترجع أصول نظرية الحجاج إلى العصر اليوناني في القرن الخامس قبل

الميلاد، وتحديدًا مع ظهور السفسطائيين، وهي حركة فلسفية تميز أفرادها باستعمالهم لسلطة القول في التأثير على القضاة والجمهور في ساحات أثينا، وقد كان هؤلاء روادا لفن الخطابة نظراً لكفاءتهم اللغوية وخبرتهم الجدلية، وقد تصدى لهؤلاء مجموعة من الفلاسفة من أمثال سقراط، بدافع المغالطات التي أثارها السفسطائيون، ثم تلاه تلميذه أفلاطون الذي رأى في الخطابة: " صناعة قيادة النفوس بالقول"<sup>6</sup>، فعالج أصول هذا الفن، فالخطابة عنده قائمة على العلم لا الظن، أي انتفاع الناس بالمعرفة، وأما وظيفتها فتحقيق الخير للإنسان لا اللذة، وأما تأثيرها على المتلقي فيمكن في جمالها الناتج عن تحليقها في عالم المثل، وتشدانها الحق والخير والجمال"<sup>7</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن أفلاطون في دعوته لهذه الخطابة المثالية لم يعالج

موضوع الحجاج والطرائق الإقناعية كأساليب تتبناها وتمارسها الخطابة

السفسطائية، إلا أن خطابته مهدت لمشروع تلميذه أرسطو الذي تحددت على يديه معالم النظرية الحجاجية، والذي هدف هذا الأخير إلى تخليص الخطابة من تهمة التضليل والمخادعة، كما أنه رأى في الخطابة سبيلاً للإقناع"<sup>8</sup>، وما توحى به لفظة (إقناع) من فضاء للخلاف والاختلاف.

## 3 البلاغة والإقناع:

كانت البلاغة القديمة في الدراسات العربية قد تناولت قضية الحجاج بمعزل عن أبعاده من حيث الإكتفاء بالإشارة إلى مقامات السامعين والهيئة التي على الخطيب أن يكون عليها، " أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من

خلال الحقلين النقدي واللساني عامة، وفي مجالي المشافهة والكتابة، وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها درس اللغوي.<sup>9</sup>

**فالبلاغة لغة:** الوصول إلى الشيء، ومنه أخذت البلاغة التي يُمدح فيها فصيح اللسان، لأنه يبلغ بما يريده.<sup>10</sup> ، ويرتبط مصطلح البلاغة عند أهل اللغة بالدلالة على حسن الكلام مع فصاحته، وأدائه للغاية المرادة منه (القصد)، فهي مأخوذة من قولنا: بلغ الشيء منتهاه، وأدرك أقصاه.

**أما اصطلاحاً:** هي إنهاء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، أما البلاغة عند **عبدالقاهر الجرجاني** فقد ركزت على خصائص الكلام الذي يقنع ويؤثر في الآخرين، وأصبح مفهوم البلاغة معنياً بخواص التركيب، والمقام الذي يؤدي فيه وهو ما يعرف بمقتضى الحال.

وكانت البلاغة في بداياتها مرتبطة باستعمال اللغة في الإقناع، واستنهاض الهمم لمقاومة الطغيان بقوة الكلمة، حيث كانت نشأة البلاغة الغربية مرتبطة بالخطابة<sup>11</sup>، نتيجة لجو الديمقراطية الذي ساد بعد طرد الطغاة، وارتبطت بقضايا الملكية لتصبح تقنية يختص بها المحامون ورجال السياسة.

وظهرت علوم البلاغة عند قدماء اليونان والرومان، وقد أشار **إرتشاردز** إلى أنه: "من موضوعات البلاغة القديمة ثمرة الجدل والمناظرة، وقد تطورت على أساس أنها بسط لمبادئ الدفاع والإقناع."<sup>12</sup> ، كما أنها اقترنت عند اليونانيين **بعلم الخطابة** الذين قسموه أقساماً ثلاثة: الخطابة التداولية، الخطابة القضائية، الخطابة البيانية، فأما البلاغة التداولية فهي التي يراد بها إقناع السامعين بتفضيل منهج على غيره في العمل أو الرأي، وأما الخطابة القضائية فهي تشمل وسائل الاتهام والدفاع أمام القضاء، وأما الخطابة البيانية فهي التي تشمل التقرير والتقريع.

#### 4 الحجاج عند العرب:

##### 1.4 قديماً:

يعنى الحجاج بالجدل الجدال المجادلة، ونجده متجذراً في الخطاب العربي ممن خلال الدور المهم الذي لعبه في الحياة العقديّة والسياسية في البيئة العربية الإسلامية، علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي، مثلما دافع **الجرجاني** عن اعجاز القرآن بإقناع الناس بنظية النظم.

ونجد **ابن وهب** في كتابه ( **البرهان في وجوه البيان** )، قد قدم تعريفاً دقيقاً للجدل والمجادلة، إذ جعل منه خطاباً تعليلياً إقناعياً، ومميز من خلاله بين أنواع الجدل كما أنه قسمه إلى جدل محمود وجدل مذموم، وقد اشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في المحاج، كالأ يقبل قولاً إلا بالحجة ولايرده إلا لعلّة، وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، وألا يستصغر خصمه ولايتهاون فيه.<sup>13</sup>



وأما **حازم القرطاجني** في كتابه ( **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ): فقد تحدث عن طريقتين لإقناع الخصم فيقول: " التموهيات تكون فيها يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب واستلطاف له حتى يصير ذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول."<sup>14</sup>

وقد التفت **الجاحظ** إلى **الحجاج** متناولا قضية جوهرية في الخطاب **الحجاجي**، وهي قضية **المقام الخطابي**، إذ يرى أنه: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات."<sup>15</sup> ، أراد **الجاحظ** أن يبين بأن لكل طبقة معينة في المجتمع حسب المستوى التعليمي أو الوظيفي يجب أن يراعى فيها المعنى المتكلم به، فلكل طبقة معجمها الخاص، والذي لا بد أن يراعيه المتكلم، أما حديثه عن أقدار الحالات فيتصرف إلى مناسبات القول، فقد يكون المستمع واحدا ولكن تختلف المناسبة فتختلف لذلك المعاني.

#### 2.4 حديثا:

يمكن البدء بالمدرسة المصرية التي لها الأسبقية التاريخية في تطوير الدرس البلاغي عامة وبلاغة **الحجاج** خاصة، وقد كانت لها محاولات لإعادة قراءة التراث البلاغي، ومن أهم هذه المحاولات الجادة، نجد دراسات **أحمد الشايب** من خلال كتابه الصادر عن مكتبة النهضة سنة 1939 المعنون ب: ( **الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية** )<sup>16</sup>، وقد توالى الدراسات البلاغية والأسلوبية في الاستفادة من الدرس النقدي الغربي، وإعادة بعث التراث العربي القديم بدءا بـ **الجاحظ** وصولا إلى **السكاكي** و**القزويني** و**السيوطي**، ونجد دراسات **أحمد مطلوب** المتعددة حول البلاغة القديمة وعلاقتها بالأسلوبية الحديثة، ومن أهم كتبه: **البلاغة عند السكاكي** (1964) و**مصطلحات بلاغية** (1972)، و**مناهج بلاغية** (1973)<sup>17</sup>، كما أنه يعتبر **جابر عصفور** من المرحلة التأصيلية الإحيائية من خلال كتابيه الرائدين: **الصورة الفنية** (1974) و**مفهوم الشعر** (1978)، إضافة إلى الدكتور **صلاح فضل** الذي اهتم ببلاغة **الحجاج** من خلال كتابه ( **بلاغة الخطاب وعلم النص** ) (1992)<sup>18</sup>، فيقول: "أن التحليل البلاغي الحديث يختلف جوهريا عن البلاغة القديمة في رصدها للأشكال المختلفة كجزئيات متشذرة لا علاقة بينها ولا تفاعل فيها، بحيث تبدأ البلاغة الجديدة من النص لتقوم بتحليله ورصد مكوناته ورسم درجة كثافته وأنماط توظيفه لمختلف الأشكال الفعلية"<sup>19</sup>، كما أنه يبين على تأكيد البلاغيين المعاصرين على ضرورة ربط الشكل بالمضمون، والانتباه إلى القيم البلاغية الحجاجية الكامنة في بعض الأشكال النصية"<sup>20</sup>.

تم نأتي إلى جهود المدرسة المغربية المتمثلة في **محمد العمري** وتركيزه على دور **الحجاج** في قراءة النصوص البلاغية والخطابية، ومن أهم مؤلفاته: ( **البلاغة**

**العربية: أصولها وامتداداتها)** محاولا التأسيس للبلاغة العربية، إضافة إلى جهود **محمد مفتاح** الذي يعتبر آلية منهجية حجاجية تداولية، ويقول: " البلاغة أنشئت لتقوم بوظائف أهمها: التواصل والإقناع والإمتاع"<sup>21</sup>، معتمدا على خاصية التأويل كونها شرط من قواعد الخطاب.

ونجد **محمد العمري** في كتابه (**في بلاغة الخطاب الإقناعي**) 1986، يؤكد على دور بلاغة الحجاج في الخطاب الأدبي الفني المعاصر، أما في كتابه (**الموازات الصوتية في الرؤية البلاغية**)، فقد ركز على خمس مستويات وهي: البديع ونقد الشعر، البيان وبلاغة الإقناع، البلاغة العامة، نظرية المعنى، نظرية الأدب.<sup>22</sup>، ويتكلم في باب مأتى الحسن في الكلام وهو موضوع يدخل ضمن مجال بلاغة الخطاب و علم النص بوصفهما عبارة عن مقومات خطابية يتم تنسيقهما حجاجيا في ضوء حسابات المبدعين لتوقعات مخاطبيهم، وبقدر نجاح ذلك التوقع واجابة النص عن إشكالات المتلقين يكون نجاح الخطاب ونفاذيته.<sup>23</sup>

أما المدرسة التونسية، فنجد جهود **عبد السلام المسدي وحمادي صمود**، هذا الأخير الذي اعتبر بلاغة الحجاج من أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم، فالحجاج عنده علاقة بين طرفين أو عدة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول فيها أحد الطرفين أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا.<sup>24</sup>

## 5. علاقة الحجاج بالخطاب:

مصدر الخطاب فردي وهدفه الإفهام والتأثير، وهذه الخاصية تقرر المصدر الفردي للخطاب بكونه نتاجا يلفظه الفرد، ويهدف من وراءه إلى إيصال رسالة واضحة ومؤثرة في المتلقين، " كما أن تسلسل الأقوال والجمل في الخطاب لايعتمد المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد بالأساس المعنى الحجاجي أو القيمة الحجاجية للقول."<sup>25</sup>، باعتبار أن الخطاب تلفظ يفترض وجود متكلم ومستمع وعند الأول هدف التأثير في الثاني، كما أن الخطاب الحجاجي الذي لا بد وأن تتوفر فيه بعض الضوابط التي تسهم في تداول عملية المحاججة، ومن ذلك ما يأتي:

توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يصوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل، أو امكانية مناقشتها أو تنفيذها، وإلا انقطع الحجاج بينهما، وتوقف عملية الفهم والإفهام.

أن لايقع المرسل في التناقض بقوله وفعله، وكذا موافقة الحجاج لما يقبله العقل مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام لأنه هو الكفيل بتصويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها.

لا بد من خلو الحجاج من الابهام والمغالطة والابتعاد عنهما، لأن الحجاج لا يخلو منهما إذا كان معنى الخطاب غير محدد.

ويلخص **طه عبد الرحمن** العلاقة بين الخطاب والحجاج في ثلاث دعاوى معتبرا إياها بالأعمدة التي بني عليها ما سماه بتكوثر الخطاب. الدعوة الأولى هي أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفة الخطابية، والقصد منه ليس الكلام مجرد وحدات مرتبة بأسلوب ما، بل هو البناء ذاته الذي تقف عليه العملية التواصلية، فالمحدد للعملية الكلامية هو العلاقة التخاطبية لا اللفظة المنفردة، إذ لا يدرك المخاطب من خلال ما في المعاجم، وإنما اعتمادا على: "قصد المخاطب من عند النطق به والذي يدعو المستمع إلى الدخول في تعقبه مقاميا، ولتحقيق حده معجميا." 26

وأما الدعوة الثانية هي أن الأصل في تكوثر الخطاب هي صفة الحجاجية، إذ أنه لا خطاب بدون حجاج، فالخطاب أصل في كل تعامل، ويتأسس على ذلك قصدان: قصد الادعاء وقصد الاعتراض. فأما قصد الادعاء فهو ألا يكون الخطاب خطابا حتى يكون الناطق به معتقدا بما يقوله مع الاستعداد لإقامة الحجة على مايقول، وأما قصد الاعتراض فإنه يرتبط بالمخاطب الذي له حق مطالبة المتكلم بإيراد الدليل على ادعائه. وأما الدعوة الثالثة والذي يعتبر فيها الأصل في تكوثر الحجاج هو صفة المجازية، فهو يتجاوز التصريح الثاني القائم على الادعاء والاعتراض، إلا أن الحجاج منطو على شئ من الالتباس يميزه عن البرهان من ناحية ومن الحجاج المغالطي (الدليل الفاسد) من ناحية.

## 6. أهم النماذج العربية التي اهتمت بالحجاج داخل الخطاب:

### 1,6 النموذج الأول: الخطاب الساخر عند الجاحظ:

يحرك الخطاب الساخر استراتيجيته الإقناعية بقضية الكاتب الحقنة، ويعتمد الخطاب الحجاجي الساخر عند **الجاحظ** على تقنية الفصل لإحداث القطيعة بين عناصر الكلام، ونجد أيضا ذما في معرض المدح وما يسمى عنده **باللعب المتزاج** أثناء تجاوز الكلمات المتنافرة، فقد يتخذ من الذم بما يشبه المدح للتعبير عن الحقائق المتضادة فيكون ظاهرها المدح وباطنها القدر المرهم باطراء وما هو إلا هجاء، ومثاله في ذلك: "وليس حُسنك - أبقاك الله - الذي تبقى مع توبة أو نصح معه عقيدة ويدوم معه عهد ... ولو أدركك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لصنع بك أعظم مما صنع بنصر بن الحجاج، ولركبك بأعظم مما ركب به جعدة السلمي." 27، ونجد أيضا موضع الهزل الذي يراد به الجد هو نوع من الخطاب الحجاجي الذي له تقنياته البلاغية الساخرة، كما أنها مفارقة يعتمد عليها الجاحظ بكثرة في رسائله، فالمفارقات عنده هي أشباح الحقائق.

### 2.6 النموذج الثاني: الإمام محمد الغزالي

يعتبر **محمد الغزالي** محاججا من خلال تناوله لأمراض الأمة وعلل التدين ساعيا إلى الدفاع عن الدين وإعادة صيغ الدرس العقدي شكلا ومضمونا، فالدرس العقدي الناتج يجمع بين خطاب العقل وتحريك القلب، فقد حرص على مخاطبة العقل والقلب في نهج واحد، فالعقيدة لا تثبت إلا بالحجة العقلية والبرهان القاطع، ولا تثمر إلا بما يحرك القلب ويمتعه، اضافة إلى توظيف الحقائق في خدمة الدرس العقدي، وتوظيف الفقه في نشر الدعوة، فالمحاجج حينما يحاجج في الفقه لا ينسى الدعوة إلى الله ولا يغفل في الحديث عن أسباب النجاح فيها، ونجده يقول: " وأثناء دعوتي للإسلام قلت لأصحابي:

إن ديننا يحارب من جهات عدة، من اليمين واليسار والوسط... ومن العجز وأنا أدافع عنه أن ألتزم برأي واحد... يجب أن أنتقل بين آراء كل الأئمة.. المهم عندي هو الإسلام الجامع لا الرأي المذهبي." 28

### 3.6 النموذج الثالث: محمد البشير الإبراهيمي

مكن اعتبار خطب البشير الإبراهيمي من ضمن النصوص العربية التي اعتمدت على الأشكال البنائية الحجاجية، إلى عناصر مكونة للنص الحجاجي ومن أهمها:

البناء الشكلي للنصوص فالشكل الأشيع للنص الحجاجي العربي هو النص الذي يبدأ بالمقدمات فالدوى فالتبرير" 29، اضافة إلى مكون آخر وهو التدعيم فهو وسيلة من الوسائل المنطقية داخل النص الحجاجي، والتدعيم لا يكون إلا بالدليل، سواء كانت أدلة تاريخية ونجده عند البشير الإبراهيمي في قوله: " وفي أمه البربر وأمه فارس شاهد لا يكذب في ذلك." 30

### خاتمة:

ومن خلال هذه المداخلة يمكن القول بأن البلاغة انتقلت من كونها علم للخطاب إلى علم واسع للمجتمع وخطاباته السائدة، كما أن الحجاج ضرورة حتمية وآلية ومن طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلم، وقد ظهر الحجاج في التراث العربي مرادفا للجدل، كما أنه تعددت الأساليب والآليات الحجاجية من خطاب إلى آخر، اضافة إلى بين ماهو بلاغي بين ماهو لغوي ومنطقي، وإبراز الخطاب العربي على أنه تابع حجاجي بامتياز، وهذا ما يؤكد عودة فن الخطابة العربية في عصر سماه الفلاسفة والنقاد ب **عصر البلاغة والخطابة**.

### التهميش:

1. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، مج2، 1994، ص288.
2. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط، ص197.
3. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، دط، 2000م، ص07.

4. ينظر: جميل صايبا، المعجم الفلسفي، الشركة العلمية للكتاب، دار الكتاب العلمي، بيروت، دط، ج 1، 1994م، ص446.
5. c.plantin.essais sur Largumentaion paris.editions kimé.1994.p146/
6. هشام الريفي، الحجاج عندأرسطو، ص77.
7. محمد الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2008، م1، ص28.
8. هشام الريفي، المرجع نفسه، ص78.
9. محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008م، ص07.
10. أبو الحسين بن فارس (ت395هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، ج1، ص301.
11. مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1989م، ص45.
12. حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999م، ص102.
13. حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4، ص09.
14. المرجع نفسه، ص09.
15. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999م، ص213.
16. محمد سالم محمد الأمين، المرجع نفسه، ص217.
17. المرجع نفسه، ص218.
18. المرجع نفسه، ص220.
19. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد164، 1992م، ص219.
20. محمد سالم محمد الأمين، المرجع نفسه، ص232.
21. محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1994م، ص38.
22. محمد سالم محمد الأمين، المرجع نفسه، ص258.
23. المرجع نفسه، ص263.
24. المرجع نفسه، ص276.
25. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، دط، 2009م، ص48.
26. عبد الرحمن طه، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص215.
27. أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ص43.
28. محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، مصر، ط5، 2003م، ص153.
29. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2014م، ص205.
30. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص63.

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

مخبر اللسانيات و اللغة العربية

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة المصطلح و المفهوم بين التراث العربي و الفكر اللغوي الحديث

يومي: 09 - 10 ماي 2022

اسم و لقب الباحث: بهليل عمر.

الصفة: طالب دكتوراه سنة ثالثة (ل. م. د)

مؤسسة الانتماء: جامعة الدكتور يحي فارس بالمدينة .

البريد الإلكتروني: [omarbehilil6@gmail.com](mailto:omarbehilil6@gmail.com) الهاتف النقال: 07 77 97 89 44

محور المداخلة: المحور الثاني ( البلاغة الجديدة في التراث)

عنوان المداخلة: البلاغة الجديدة - بحث في التراث و كشف عن التوجّهات -

نص المداخلة:

تُصنّف البلاغة الجديدة ضمن النظريات الحديثة الكبرى و المهمة التي تُعنى بتحليل الخطاب و تأويله، و هي في ذلك تعمل على استقراء التراث البلاغي القديم، و الاستفادة منه في استحداث نقدٍ منهجيّ حديثٍ يُواكب حركة التطور، و يرصدُ الخطابات رصداً دقيقاً بُغية الكشف عن البنى اللغوية للأدب و كذا تحديد آليات الخطاب بشكلٍ عام. و هنا تستوقفنا الخدمات الجليلة التي تُقدمها البلاغة القديمة قصد التأسيس للمنظومة النقدية الأدبية الحديثة، إذ هي المنبع الذي ينهلُ منه النقد المنهجي الحديث و يستمد منه آلياته و أدواته التي تُساعده في تحليل و تأويل و فهم الخطابات الأدبية، و لعلّ ما يبرزُ في الساحة

النقدية اليوم من رؤى و مناهج نقدية مُتعددة قد استوفى حظه من معين البلاغة الكلاسيكية، فما هي يا ترى المحطات التي تستوقفنا في الكشف عن هذه الحقيقة السالفة الذكر؟ وما هي المناهل الكبرى التي تشرّبت منها البلاغة الجديدة؟ وما هي التوجهات البارزة لها؟

إننا في خضم الحديث عن البلاغة الجديدة نجد أنه من الضرورة الملحة الوقوف عند مفهوم البلاغة الكلاسيكية في جانبها اللغوي و الاصطلاحي

**مفهوم البلاغة لغة:** البلاغة لغة هي الوصول و الانتهاء و قد جاء في لسان العرب: ﴿ بلغ الشيء يبلغ بلوغاً و بلاغاً: وصل و انتهى. تبلغ بالشيء: وصل إلى مراده. الإبلاغ: الإيصال. بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه، و كذلك إذا شارفت عليه <sup>1</sup>﴾.

**مفهوم البلاغة إصلاًحاً:** جاء على لسان ابن منظور أن البلاغة هي: ﴿ (البلاغة) الفصاحة و البَلُغُ و البَلِغُ: البليغ من الرجال و رجل بليغ و بَلِغ و بَلِغ: حسن الكلام فصيحاً: يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، و الجمع بلغاء، و قد بلغ بلاغة صار بليغاً <sup>2</sup>﴾. كما أشار كذلك الدكتور أحمد مطلوب إلى معنى البلاغة بقوله: ﴿ و هذا هو المعنى العام لكلمة بلاغة: فهي أولاً الانتهاء و الوصول. و هي ثانياً الفصاحة و حسن القول <sup>3</sup>﴾. و يضع السكاكي مفهومًا علميًا يحدد من خلاله أسس البلاغة و يضع موضوعاتها في أبواب و فصول حين يقول: ﴿ هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها و إيراد التشبيه و المجاز على وجهها <sup>4</sup>﴾. كما تكلم الخطيب القزويني كذلك في باب البلاغة و قد ذكر أن البلاغة هي: ﴿ مطابقة الكلام لمقتضى الحال <sup>5</sup>﴾. و يعد القزويني آخر من وضع معالم البحث البلاغي و هذه مزية أخرى تحسب لنقادنا العرب

### مفهوم البلاغة الجديدة:

شهد منتصف القرن العشرين ميلاد اتجاه نقدي جديد يطلق عليه مصطلح البلاغة الجديدة، حيث يعود الفضل في ذلك إلى العمل المهم الذي قام به بيرلمان و المتمثل

في دراسة تكتسي أهمية بالغة تُعنى بموضوع الحجاج و كان ذلك سنة 1958. هذا العمل تمخّض عنه ميلاد مصطلح البلاغة الجديدة وقد أصبح هذا المسلك النقدي تخصصًا مستقلًا لقي اهتمامًا من قبل العديد من الدارسين و المفكرين و قد سلكت البلاغة الجديدة اتجاهات و مقاربات نقدية متعددة و نذكر منها:

### أولاً الاتجاه الأسلوبية:

تشكل الأسلوبية اتجاهًا نقديًا متميزًا شغل عقول العديد من النقاد إذ أنّها عُدت لدى الكثير وريثة للبلاغة العربية و ذلك لأنّ العديد من الأدوات التي توظفها الأسلوبية هي من المباحث التي اهتمت بها البلاغة في سابق عهدها و في هذا يقول الدكتور سامي عابنة: ( لقد تلقى النقاد العرب الأسلوبية منذ منتصف السبعينات تقريبًا، و قدم عدد من الدراسات و النظرية أبرزها دراسة عبد السلام المسدي ( الأسلوبية و الأسلوب ) و دراسة صلاح فضل ( علم الأسلوب ) كما استحوذت على جانب من هذه الدراسات مسألة ربط الأسلوبية بالبلاغة كما في دراسة محمد عبد المطلب ( البلاغة و الأسلوبية). و لعل هذه الصلة بين البلاغة و الأسلوبية التي عدت وريثة لها هي ما جعلت التقاء النقاد العرب بالأسلوبية غير محفوف بالرفض أو المعارضة<sup>6٤</sup>.

من خلال هذا التعريف تتجلى لنا العلاقة الوطيدة بين الأسلوبية كمنهج نقدي و البلاغة كعلم من العلوم الضاربة في القدم، إذ أن الأولى ما هي إلا امتداد للثانية و للكشف عن حدود كل واحدة منهما فلا نجد أحسن ممّا يذكره الدكتور نور الدين السّد في كتابه " الأسلوبية و تحليل الخطاب" إذ يقول: ( إذا كانت البلاغة تنتهي في وصفها و تحليلها عند حدود الجملة ما عدا مبحث الفصل و الوصل و مبحث الالتفات فإنّ الأسلوبية تتجاوز ذلك إلى وصف الخطاب و تحليل مكوناته، و لذلك نجد الأسلوبية تستعين بالبلاغة و تتجاوزها و يتجلى هذا التجاوز في مواطن كثيرة أهمها ما يتفرّع عن نظرية الانزياح و ظاهرة التناص و سوى ذلك<sup>7٤</sup> . يمكن القول من خلال ما جاء في هذا القول أنّ العمل الذي تقوم به الأسلوبية أوسع



من العمل الموكل إلى البلاغة ذلك أنّ البلاغة تهتم بالجملة في حين أنّ الأسلوبية تهتم بالنص و النص في حقيقة الأمر ما هو إلا مجموعة من الجمل وهذا هو ما قصده الدكتور نور الدين السّد بعبارته " الأسلوبية تستعين بالبلاغة و تتجاوزها " وهي في ذلك تستعين بها وقد اهتدى البعض إلى أنّ البلاغة هي (أسلوبية القدامى) و( الأسلوبية هي بلاغة حديثة) و هذا القول وارد في ما ذكره الدكتور يوسف و غليسي في معرض حديثه عن الأسلوبية: (تمثل الأسلوبية — في التنظيرات الغربية — جسراً يربط اللسانيات بالنقد الأدبي، كأنه تعبير لطريق عتيق شفته البلاغة القديمة، حيث أنّ البلاغة (Rhétorique) عند غيرو — " هي أسلوبية القدامى " كما أنّ الأسلوبية " هي بلاغة حديثة تحت شكلها المزدوج: علم التعبير، و نقد للأساليب الفردية "، و عليه فالأسلوبية هي " الوريث (Héritière) المباشر للبلاغة )<sup>8</sup>.

و تُعد البلاغة القديمة بمباحثها الثلاث: " علم البيان و علم البديع و علم المعاني " أدوات و أساسيات تعتمد عليها الأسلوبية في تحليل النص الأدبي، غير أنّ الدراسات الأسلوبية للنصوص الأدبية شهدت اتساعاً كبيراً و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى اتجاهاتها المتعددة، و في هذا الصدد فقد ظهرت نظرية الحجاج التي يرى البعض أنّها كذلك بلاغةً جديدةً.

### ثانياً الاتجاه الحجاجي:

يظهر الاهتمام بالحجاج بوضوح في قضية الاهتمام بالكلام و فن الرد و الإقناع كما ظهر ذلك كثيرًا في القرآن الكريم في مقام الدفاع عنه. و في ذلك يقول محمد الأمين الطلبة: ( ... و قد برزت أهمية الحجاج خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله و قضية خلق القرآن و الصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية و البلاغية و السياقية المقامية من أجل ترجيح قضية ما على غيرها )<sup>9</sup>. فالمفاهيم الواردة في هذا القول توحى بأن

الحجاج يقوم على توظيف الخطاب الأدبي بغرض الرد على الخصم و مجابته بالحجة و الدليل قصد الانتصار لقضية من القضايا المطروقة وهذا العمل يتطلب حسن اختيار الألفاظ والتركيز على النقاط المناسبة بغية التأثير في الخصم و استضعافه بالأدلة و البراهين. و هنا يمكن القول أنّ البلاغة العربية القديمة لم تهتم بشكل واضح بمسألة الحجاج، و حيال هذا الأمر يقول محمد الأمين طلبة: ( ظلّت البلاغة العربية لفترة طويلة مختزلة في باب العبارة و الأسلوب و لم تعمل على توسيع و تحليل المحاولات التي تناولت الحجة و البرهان منذ الجاحظ حتى الجرجاني، لكنه يرى أن إعادة قراءة هذا التراث كفيّلة بإعادة ترتيب عناصر النظرية البلاغية العربية بطريقة مختلفة عن السابق بحيث يبرز تصور واضح لبلاغة الشعر و آخر لبلاغة الحجاج لأنّ البلاغة العربية في عصر التدوين كانت تستجيب لحاجات معينة نجمت عن سياقات فكرية و مذهبية و اجتماعية بالغة الخصوصية)<sup>10</sup>.

و بالرغم ممّا ورد في هذا القول بأنّ الإحاطة بقضية الحجة و الدليل كانت متأخرة في الدرس البلاغي العربي إلا أنّ فيه بيان لجهود نقادنا العرب في مباحث البلاغة السابقة لجهود غيرهم . و من خلال ما تقدم ذكره نقول أنّ من النقاد من يرى أن نظرية الحجاج هي بلاغة جديدة و نذكر منهم عبد الله صولة و قد أقرّ ذلك بقوله: ( البلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول روبول لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلمان و تيتيكا هي هذه البلاغة الجديدة)<sup>11</sup>. و في هذا إشارة منه إلى نظرية الحجاج التي تهتم بصنوف مختلفة من الخطابات الأدبيّة، بداية من الخطاب الشعري إلى الخطاب السياسي و كذا القانوني و الخطاب الفلسفي و خطاب الصورة و غير ذلك من الخطابات اللغوية، حيث يتم في ذلك تحديد وظيفة البلاغة الجديدة، سواءً ما تعلق بالمعنى التعبيري الذي يأخذ الاتجاه الأسلوبي، أو المعنى الحجاجي الإقناعي الذي يسلك الاتجاه التداولي و يعتبر كل من بيرلمان و تيتيكا علميين من أعلام الاتجاه الحجاجي و ذلك لعنايتهما الفائقة بهذا المبحث النقدي الذي يكتسي أهمية بالغة في المقاربات النقدية الحديثة التي تؤسس للنقد

المنهجي حيث أنّ هذين العلمين قاما بعمل مشترك يتمثل في كتاب أطلق عليه تسمية " مصنف في الحجاج " و قد كان ذلك عام 1960 يُعنى هذا العمل بكثير من القضايا المتعلقة بموضوع الحجاج ، و عد هذا العمل تحديث للدرس البلاغي و كان ذلك من خلال توظيف المفاهيم البلاغية القديمة و استثمارها في بطريقة حديثة في دراسة شتى أنواع الخطابات.

### ثالثًا الاتجاه السيميائي:

يأخذ هذا الاتجاه قضية الاهتمام بعلم العلامات اللغوية و غير اللغوية، و قد كان ظهور هذا الاتجاه بين نهايات القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين، و هناك من يطلق على هذا العلم مصطلح السيميولوجيا، و يعود الفضل في بروزه إلى عالم اللسانيات السويسري فردينان دوسوسير إذ هو الذي أشار إلى هذا العلم وعن هذا يقول الدكتور يوسف و غليسي متحدثًا عن هذا العلم: ﴿ و إذا كان دوسوسير يتحدث في الفقرة السابقة، بلغة تصويرية، تستشرف علمًا (لما يوجد) و تتنبأ بميلاده و ضرورة وجوده﴾<sup>12</sup>. و عن علاقة هذا الاتجاه بالبلاغة تستوقفنا جهود رولان بارت الذي حاول أن يطبق البلاغة على الأنظمة السيميائية، و هو في ذلك يرى أنّ البلاغة أصبحت علمًا تعنى بكل الخطابات دون استثناء: ﴿ لم تعد — يقصد البلاغة — علمًا خاصًا بالخطاب، و إنما صارت علمًا عامًا للخطابات كافة﴾<sup>13</sup>. حيث قام رولان بارت البحث عن الأنساق اللفظية و غير اللفظية في بعض الظواهر السيميولوجية منها الأساطير و الأزياء و النصوص الأدبية و بالخصوص الصورة الإشهارية إذ أنّه يرى أنّ الصورة الإشهارية تُصاغ بطرائق أسلوبية متعددة كالاستعارة و التشبيه و المجاز و الكناية و السجع و المقابلة و غير ذلك من المباحث البلاغية و في هذا دليل قاطع على استفادة هذا العلم من البلاغة القديمة .

### رابعًا الاتجاه التداولي:

ينبني الاتجاه التداولي على رصد العلاقة القائمة بين بنية النص و قضية التواصل و هي علاقة لها أرهاقاتها الأولى في ما ذكره الخطيب القزويني كذلك في باب

تعريف البلاغة على أنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" و غير بعيدٍ عن هذا التعريف يذكر الدكتور صلاح فضل في تعريفه للتداولية هذا المعنى: ﴿التداولية علم يعنى بالعلاقة بين بنية النص و عناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم و هذا ما كان يسمى في البلاغة القديمة بمقتضى الحال﴾<sup>14</sup>. و على العموم في كلا التعريفين تصريح بأن البلاغة هي مراعاة لمقتضى الحال أي أنّ المتكلم لابد له من الاهتمام بحال المتلقي و هذا يفرض عليه بالضرورة تخيّر للألفاظ و مراعاة لحال المتلقين. و قد فصلّ الدكتور أحمد مطلوب في مقام مقتضى الحال بقوله: ﴿و مقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التأكيد يباين مقام التعريف و مقام الإطلاق يباين مقام التقييد، و مقام التقديم يباين مقام التأخير، و مقام الذكر يباين مقام الحذف، و مقام القصر يباين مقام خلفه، و مقام الفصل يباين مقام الوصل، و مقام الإيجاز يباين مقام الإطناب و المساواة، و خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، و لكل كلمة من صاحبها مقام﴾<sup>15</sup>.

ففي هذا التعريف الشامل يسرد لنا الدكتور بعض المقامات و كيف أنّه لابد على المبدع أن يراعي حال المتلقين و ذلك بالأخذ في الحسبان درجات التفاوت الحاصلة بينهم في الذكاء و المستوى العلمي مثلاً فالخطاب الذي يوجه للمتعم غير الخطاب الذي يوجه للأمي، و هكذا فلا بد من نظرة استشرافية للمتلقي قبل توجيه الخطاب و هذا ما يدعى بمراعاة مقتضى الحال. و هذا مبحث من المباحث البلاغية التي استثمرت في الاتجاه التداولي الذي يهتم بمسألة التواصل بين الملقى و المتلقي.

#### خامساً الاتجاه اللساني:

يُعد هذا الاتجاه من المسالك النقدي التي استفادت كثيراً من علوم البلاغة القديمة كون المباحث الكبرى التي جيء بها في هذا الاتجاه قامت على توظيف العديد من القضايا البلاغية المطروقة قديماً خاصة ما تعلق بمبحث الاستعارة و المجاز حيث أنّ جاكوبسون في دراسة منه للصور البلاغية يحاول تفسير قدرة المتكلم اللغوية في بعديها الحقيقي و المجازي إذ يتصور الاستعارة منطلقاً من مبدأ التركيب و

الاستبدال الذي هو في حقيقة الأمر مبحث من مباحث اللسانيات، كما يعمد جاكوبسون إلى إجراء مقارنة بين المجاز و الاستعارة ويرى أنّ الاستعارة لها ارتباط بالمحور الاستبدالي، أما المجاز فله ارتباط بالمحور التأليفي و هذا ما يتضح في هذا النص: ﴿ الاستعارة هي نتاج عملية استبدال وحدة دلالية بأخرى تشترك معها في سمات دلالية و تختلف معها في سمات أخرى ترتبط بالمحور الاستبدالي، بينما المجاز ذو البعد الزمني يتأتى من مقدرة المتكلم على تأليف بين الكلمات ضمن قواعد نحو اللغة التي يستعملها ﴾<sup>16</sup> . فلاشك أنّ هذا التعريف يوحي بنقاط التقاطع الحاصلة بين البلاغة العربية القديمة بعلمها الثلاث و علم اللسانيات، حيث أنّ المحور الاستبدالي و كذا المحور التركيبي يأخذ مادته الخام التي يقوم عليها من معين البلاغة القديمة فتأخذ بذلك اللسانيات صورة جديدة للبلاغة العربية القديمة.

و ختامًا لا يمكن في هذه الورقة البحثية البسيطة التطرق إلى عديد الاتجاهات التي سلكتها البلاغة الجديدة، إذ أنّ هذه الاتجاهات متعددة و متنوعة، و قد خاض فيها الباحثون و المتخصصون أشواطًا كبيرة و معتبرة في إبراز مواطن التقاء هذه الاتجاهات النقدية بعلم البلاغة، و كيف كانت البلاغة القديمة بعلمها الثلاث مقومات أساسية قامت عليها هذه المسالك النقدية لتحليل الخطابات، في صورة و ثوبٍ بلاغيّ جديد، و في كل ذلك بيان للسبق النقدي العربي غير الممنهج في زمنٍ متقدّم.

## قائمة المصادر و المراجع:

- ينظر أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ط1، 1981، ص 7<sup>1</sup>
- المرجع نفسه، ص 7<sup>2</sup>
- المرجع نفسه، ص 5.3<sup>3</sup>
- المرجع نفسه، ص 35.4<sup>4</sup>
- الخطيب القزويني، التلخيص، تحقيق عبد الرحمان البرقوقي، القاهرة، 1932، ط1، ص 33.5<sup>5</sup>
- سامي عبابنة، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، جدارا للكتاب العالمي ، ط2 ، 2010، ص165.6<sup>6</sup>
- نور الدين السّد، الأسلوبية و تحليل الخطاب، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2010، ص 7.7<sup>7</sup>
- يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص85.8<sup>8</sup>
- الطلبة محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008، ص 261.9<sup>9</sup>
- المرجع نفسه ص282.10<sup>10</sup>
- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ميكسيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011، ص 71.11<sup>11</sup>
- يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص95.12<sup>12</sup>
- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص6.13<sup>13</sup>
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 21.14<sup>14</sup>
- أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ط1، 1981، ص 7.15<sup>15</sup>
- عبد العزيز الحويديق، الاستعارة عند رومان جاكوبسون، مجلة علامات ج54، مجلد14، ديسمبر 2004، ص 227.16<sup>16</sup>

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث .

يومي : 09-10 ماي 2022

استمارة المشاركة :

الاسم واللقب : زينة جيهاد

الصفة : طالبة دكتوراه

مؤسسة الانتماء : جامعة ابن خلدون – تيارت -

الهاتف و البريد الالكتروني : 0699504029

djihadzenina@gmail.com

محور المداخلة : البلاغة الجديدة في التراث

عنوان المداخلة : الحجاج في الموروث البلاغي العربي .

الملخص :

اهتم البلاغيون بالبعد الحجاجي في مدوناتهم واتخذوا من الأساليب البلاغية سبيلا لذلك ؛ فاضطلعت بالوظيفة الجمالية و الإقناعية معا، في محاولة منهم لاستمالة المتلقي والتأثير فيه قصد إحداث تغيير في فكره أو تعديل في سلوكه وهو ممارسة أملت بها البيئة الفكرية والأدبية التي كانت مزيجا مختلفا من الثقافات والمرجعيات والاهتمامات مما ولد صراعا فكريا أججت آراءه الفرق الإسلامية عن طريق المناظرات والسبجات العلمية ؛ إذ عمد كل طرف على توظيف حجج وبراهين تؤيد رأيه وقصده إلى جانب استعانتهم بالروابط المنطقية والآليات اللغوية مشكلين بذلك نسيجاً لغوياً منسجماً ،فقد دافع علماء البلاغة ( العرب ) في خطاباتهم عن الإعجاز القرآني والبيان العربي ضد الطاعنين والمشككين المناصرين للشعوبية والمتحاملين على اللغة العربية ، فاستوفت خطاباتهم جانبين : جانب حجاجي يهدف للإقناع والآخر بلاغي يهتم بجمالية الأسلوب ، وهذا ما يسعى البحث لكشفه واستجلاء مكانه .

- الكلمات المفتاحية : الحجاج - البلاغة العربية - المتلقي - الإقناع - الآليات الحجاجية .

## - المداخلة :

لقد أولى البلاغيون العرب اهتماما بالغا بالحجاج فتجسد في ممارساتهم الخطابية ومناظراتهم الفكرية وخاصة في تصديهم لموجات الطعن والتشكيك التي أجم آراءها أنصار الشعوبية ،محاولين بث شبهات حول الإعجاز القرآني والتقليل من شأن البيان العربي ، ما دفع الأعلام الأجلاء لدحض تلك الأفكار مستعينين بآليات حجاجية وجملية من التقنيات والحجج الداعمة، هدفها إقناع المتلقي وإحداث تأثير في فكره لاستتمالته وحمله على الإذعان والتسليم ؛ إذ حاول كل فريق الانتصار لمذهبه ورأيه ومواجهة خصومه ، مما ولد صراعا فكريا نمت بفعله الحركة العلمية والأدبية وازدهرت وانبثقت منها حقول معرفية شتى كالبلاغة والفلسفة والمنطق والتي اتخذها منتجوا الخطاب وسائل لتبليغ آرائهم قصد تغيير معتقد أو التعديل في السلوك .

حيث أدرك البلاغيون أن غاية البلاغة لا تنحصر في الفنية والجمالية وإنما تضطلع بوظائف أخرى كالحجاج والإقناع ؛ إذ " أن استعمال الظاهرة اللغوية يتفرع إلى مستويين اثنين : أحدهما استعمال عادي يخلو من كل سمة أسلوبية ... والثاني هو الاستعمال المطبوع بسمة فنية خالصة " (عبد السلام، 1976) ، وهو ما يسعى المتكلم لتضمينه في خطابه مراعيًا جميع الظروف السياقية ومازجا إياه بالصبغة الحجاجية .

فمعالجة البلاغة العربية للنصوص الأدبية يحكمها الوعي والقصد فقد اهتمت بالحالة النفسية والقدرات الفكرية للمخاطب إلى جانب مراعاتها للمقام " فالإنجاز الكلامي لا يكون عبثيا ، بل يرتبط بمقاصد وغايات تمثل الحبل ( الرابط ) الذي يصل المتكلم بالسامع ، مما يعني أن الكلام يقوم في الحقيقة على مفهوم الوظيفة التي تعد شرطاً لأي تبليغ لغوي " (عبد اللطيف، 2013) . فهي تهدف لإيصال المعنى إلى السامع في تركيب بياني بديع جامعة بذلك الوظيفة الابلاغية الإخبارية والوظيفة الحجاجية أو التأثيرية .

فتمكن البلاغة من تحقيق الغاية الحجاجية يقتضي تلاحم الحجج واكتناه الصور البيانية دورا إقناعيا ، فهي تعد آلية حجاجية " قد تؤثر وتستميل وتمتع ، ولكنها لا تقع وتفحم إلا إذا تلاحمت مع الحجج والمحاجة ، وإذا كانت ج روس تعتقد أن الصور البلاغية هي بمثابة عملية أسلوبية تنشط الخطاب وذات وظيفة إقناعية ، فإن هذه الصور على الرغم من أهميتها لا تستطيع أن تصمد أمام العقل النفاذ والشك الوقاد ، ما لم تكن مدعومة عضويا بالحجج العقلية التي تخضع بدورها لمعيار القوة



والضعف " (حبيب، 2001) ، وكأنه يشير للشحنة الحجاجية التي تتضمنها الصور البلاغية والتي تأثر على المتلقي وتقنعه .

### - مفهوم الحجاج :

حملت كلمة الحجاج في المعاجم العربية معنى المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي كما دلت على معنى الدليل على الرأي المرغوب إثباته حيث عرفها ابن فارس بقوله " حاججت فلانا فَحَجَّجْتَهُ أي غَلَبْتَهُ بالحجة ، وذلك الظفر فيكون عند الخصومة ، والجمع حُجَجٌ والمصدر الحجاج " (ابن فارس، 1979)

في حين عرفه ابن منظور بقوله " الحُجَّةُ : البرهان ، وقيل : الحُجَّةُ ما دُفِعَ به الخصم ؛ وقال الأزهري : الحُجَّةُ الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل مُحَجَّجٌ أي جَدِلٌ والتحاجُّ : التخاصُّمُ ، وجمع الحُجَّةِ : حججٌ وحجاجٌ وحاجَّةٌ ومحاجَّةٌ وحجاجًا نازعة الحجة " (ابن منظور، د/ت)

فالمعنى اللغوي للحجاج حمل دلالة الخصومة والمجادلة وتقديم الحجج والأدلة لتأييد الفكرة للتمكن من الإقناع والتأثير .

أما الدلالة الاصطلاحية للحجاج فهو " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو تزيد في درجة ذلك التسليم " (عبد الله، 2011) ، فالغاية التي يصبو إليها الحجاج هي الإقناع وزيادة درجة ذلك الإذعان لدى السامعين مما يبعثهم للقيام بالعمل أو الإعراض عنه .

وعرفه طه عبد الرحمن بقوله " حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها " (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998) ، كما وسع من مفهومه في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " وأعطى للحجاج صفتين رئيسيتين هما : التداولية والجدلية فقال بأنه " فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجهها بقدر الحاجة ، وهو أيضا جدلي ، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البيانات البرهانية الضيقة " (طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 2000) .

فالعلاقة التخاطبية في الحجاج قائمة على قصدي الادعاء والاعتراض ، فالمقصود بالادعاء " ادعاء الناطق الصريح لما يقول في نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة " (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998) ، مما يعني كفاءة المحاجج وقدرته على الاستدلال لأفكاره ، في حين يقتضي الاعتراض " أن يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه " (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998، صفحة 225) ، فلا بد من إقامة الحجة القوية حتى يذعن المخاطب ويستميل ويغير رأيه .

### - الحجاج عند الجاحظ :

تجلى البعد الحجاجي عند الجاحظ في دفاعه الصريح والضمني عن الإعجاز القرآن ونوده عن البيان العربي متصديا بذلك لخصومه ، إلى جانب تمسكه بمذهبه الاعتزالي وهو ما أكده محمد سالم محمد الأمين الطلبة بقوله " ومن العوامل التي جعلت الجاحظ يهتم بالنزعة الحجاجية وبالوظائف اللغوية والبلاغية ، انتمائه المذهبي إلى المعتزلة وتصدره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم ؛ وكان من شأن هذا تحفيزه على التفكير في نصوص الخصوم وفرضياتهم ، ثم البحث عن الآليات الكفيلة بمقارعتها ودحضها واما يتعلق بهذا الهدف من ضرورة التقدير الجيد لحسابات التوقع والاحتمال " (محمد سالم محمد الأمين، 2008)

فقد كان الجاحظ متكلماً عارفاً باللغة وتصاريف الكلام ، عالماً باللغة والنحو ومطلعاً على الثقافات ما جعله " يمتلك القدرة على الاحتجاج للشيء ونقيضه ، كأن يحتج للبلبل ويظهره في صورة تدبير وإصلاح أو يحتج ضده فيخرجه في صورة شائنة ساخرة تنزل بالبخلاء إلى أسفل الدرجات " (محمد، 2011).

وبين أثر البيان و الفصاحة في الإبانة عن الحجة و إقناع السامع حيث استدل بقصة موسى عليه السلام ومحاججته لفرعون فقال " وسأل الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإفصاح عن أدلته " (الجاحظ، 1998) ، ولكن موسى عليه السلام تنبه للعقدة في لسانه والحبسة في بيانه ما دفعه للاستعانة بأخيه ( هارون ) الذي كان أفصح لساناً بغية إقامة الحجة على فرعون وقومه ، فعقب الجاحظ على ذلك بقوله " رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة ، والمبالغة في وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع " (الجاحظ، 1998) .

كما وضح مقدره العرب الحجاجية ومناظرتهم لخصومهم وامتلاكهم للآليات الخطابية فقال " وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ، ومن بلاغة الألسنة واللدد عند الخصومة ... ثم ذكر خلاصة ألسنتهم ، واستمالة الأسماع بحسن منطقتهم " (الجاحظ، 1998، الصفحات ج1 ص 8-9)

فالأغراض الإقناعية عند الجاحظ تمثلت في استمالة القلوب ،وميل الأعناق ،وفهم العقول ،واسراع النفس .أما الوسائل الحجاجية التي تمكنهم من ذلك فهي الفصاحة ،وبلاغة المنطق ،ورجاحة الأحلام وصحة العقول .

و اتخذ الجاحظ من البيان آلية للإقناع وسلاحا للرد على المعارضين ، فالقارئ لكتاب البيان والتبيين يدرك " أن مادته لا تخرج عن ثلاثة محاور أولها : وظيفة البيان وقيمه ، وثانيها : العملية البيانية وأدواتها أما الثالثة : فخاصة بالبيان العربي قيمه وتاريخه " (محمد ا.، 1999) .

فعرف البيان بقوله هو " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، وإنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذاك هو البيان في ذلك الموضع " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 76) ،ويتضح من كلامه " أن البيان يحمل بعدا إجرائيا تداوليا يتمثل في الإفهام " (عبد اللطيف، 2013، صفحة 63)

حيث انحصرت وظيفة البيان عند الجاحظ في الإفهام والإقناع و هو ما عبر عنه محمد العمري بقوله " يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومين أو وظيفتان :

1- البيان معرفة : الوظيفة الفهمية

2- البيان إقناع : أو الوظيفة الإقناعية " (محمد ا.، 1999، صفحة 194)

ركز الجاحظ على الوظيفة الإفهامية في قوله " مدار الأمر على البيان والتبين ، وعلى الإفهام والتفهم " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص11) سعيًا منه لحماية اللغة من اللحن وتوضيح أحكام الدين للمكلفين ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الفهم .

في حين اقتضت الوظيفة الحجاجية عنده فصاحة القول ومراعاة أحوال المخاطبين والمقام فقال " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص 138)

فنظرته للبيان كانت شاملة لكل " وسائل التعبير الممكنة بين البشر ، ومختلف الكيفيات التي يؤدون بها المعنى ، بقطع النظر عن العلامة المستخدمة ، وهذا معنى عام يتسع للغة وغيرها " (حمادي، 1981) ، حيث تعدد أصناف الدلالة عند الجاحظ ( اللفظ ، الإشارة ، الخط ، والعقد ... ) يستعان بها في العملية الخطابية .

واهتم بالإقناع الشفوي وبلاغة الخطيب وتمكنه من أسرار اللغة وتصاريحها " فتحليل استراتيجيات كتاب البيان والتبيين للجاحظ يكشف بكل وضوح أن هذا الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع ، مركزها الخطاب اللغوي الشفوي " (محمد ا.، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، 1996) ، كما أشار لبعض العيوب التي قد تضعف الخطاب الحجاجي وتبعده عن غايته ملتصقا في البلاغة جانبيين الإقناعي والتخليقي فقال " وليس ، حفظك الله ، مضرة سلطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة ، وعن الحصر من فوت درك الحاجة ، والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ... فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء، وتعاطيا مناظرة البلغاء، تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص 12) .

ومثل بقصة واصل بن عطاء الذي وجد منفذا لتجنب القصور ، والوقوع في الحرج أو الانحراف عن الهدف في محاجة لخصومه فقال " ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ ، فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالة ، ورئيس نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بد من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ... وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثني به الأعناق وتزين المعاني؛ وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن... رام أبو حذيفة إسقاط الرءاء من كلامه " (الجاحظ، 1998، الصفحات ج1 ص : 14-15) .

فإن تم تقرير الحجة وأذعنت العقول لما طرح عليها من آراء حاز المتكلم بذلك فصل الخطاب " وهو نوع من القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة مع عدم الإثقال على السامع " (محمد عابد، 2009)

- الحجاج عند ابن وهب :

تحدث ابن وهب عن الجدل والمجادلة فقال " وأما الجدل والمجادلة ، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب والديانات ، وفي الحقوق والخصومات ، وفي التسؤل والاعتذارات ؛ ويدخل في الشعر والنثر " (ابن وهب، 1969) ، وقسمه إلى قسمين " أحدهما محمود ، والآخر المذموم فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ، ويستعمل فيه الصدق ، وأما المذموم فما أريد به المهارة والغلبة ، وطلب به الرياء والسمعة " (ابن وهب، 1969، صفحة 177).

وربط البيان بالعقل وقسمه إلى أربعة أصناف فقال " البيان على أربعة أوجه : فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبين بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب ، ومنه البيان باللسان ، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب " (ابن وهب، 1969، صفحة 56) ، فهذه هي أهداف البيان عنده هو بناء المعرفة عن طريق التصديق لا على اليقين، والحجة على معنى الإقناع لا البرهان " (ابن وهب، 1969، صفحة 87)

كما تطرق للقياس وعده آلية مهمة في الإقناع حيث قال " وليس يجب القياس إلا عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجته ، كقولنا : إذا كان الحي حساسا متحركا ، فالإنسان حي ، وربما كان ذلك في اللسان العربي مقدمة أو مقدمتين ، أو أكثر على [ قدر ] ما يتجه من إفهام المخاطب فأما أصحاب المنطق فيقولون : إنه لا يجب قياس إلا عن طريق مقدمتين لإحدهما بالأخرى تعلق ... وإنما يكتفي في لسان العرب بمقدمة واحدة على التوسع وعلم المخاطب " (ابن وهب، 1969، صفحة 68) ، مدركا البعد الحجاجي للقياس ووقوعه في الالتباس فقال " فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاجتماع عليه لأنه لا خلاف له ، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال " (ابن وهب، 1969، صفحة 65) ، فقد دعا للضرورة تقويم وسائل الحجاج والانتباه للمغالطة في المقدمات التي تقرر نتائج خاطئة .

#### - الحجاج عند عبد القاهر الجرجاني :

استعان عبد القاهر بالآليات الحجاجية للكشف عن سر إعجاز القرآن الكريم و الذي تجلى في بديع نظمه ، جاعلا من الشعر العربي مصدرا للاحتجاج على بلاغته ، حيث رد الشبهات المتعلقة بالشعر والزهد عنه مفندا رأى خصومه وداعيا للإقبال عليه وحفظه .

وحسم الخصومة التي وقعت بين أنصار اللفظ والمعنى موضحا أن المزية تكمن في حسن التركيب والصياغة القائمة على مراعاة قواعد النحو ، فاللفظ يكسب رونقه

داخل السياق ؛ إذ " الألفاظ لا تفيد حتى تؤول ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب " (عبد القاهر، 1991).

تنتظم الكلمات وفق انتظام المعاني في النفس فتشكل بذلك ضربا خاصا من التأليف " فالاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل " (عبد القاهر، 1991، صفحة 05)

وكان يدفع المتلقي للاقتناع من خلال توظيف مقدمات معلومة لديه لاستدراجه وإقامة الحجة عليه ومثال ذلك قوله "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك ، علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها على بعض " (عبد القاهر ا.، 2003) ، ليصل إلى نتيجة مفادها أن النظم يكمن في تعليق الكلم بعضها ببعض بطريقة مخصوصة .

ووضح موقفه ممن قصر الفصاحة في التلاؤم اللفظي وحاججهم بقوله " وهل تجد أحدا يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعنى جارتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا : لفظة متمكنة ومقبولة ، وفي خلافه : قلقة نابية ، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها ، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها " (عبد القاهر ا.، 2003، صفحة 98) ، فالفصاحة لا تكون للفظة المفردة المنزوعة من نسقها اللغوي وإنما تتكسب تلك الخاصية داخل التركيب .

كما أدرك الجرجاني الوظيفة الحجاجية للبلاغة وأنها ليست مقصورة على الإبلاب والافية ، فالأسلوب البلاغي إن كان " ذما كان مسه أوجع ، ومسه أذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد ، وأن كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ولسانه ألد وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أفل وفي عقد العقود أنفت ، وعلى حسن الرجوع أبعث " (عبد القاهر ا.، 1991، صفحة 115)

واعتبر الجرجاني التمثيل الحسي وسيلة للحجاج وضرب لذلك مثلا بقوله " ولو أن رجلا أراد أن يضرب مثلا في تنافي الشيين فقال: هذا وذاك لا يجتمعان ؟ وأشار إلى ماء ونار حاضرين ، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا نجده إذا أخبرك بالقول فقال : هل يجتمع الماء والنار ؟ . وذلك الذي تفعل المشاهدة من التحريك للنفس ، والذي

يجيء بها من تمكن المعنى في القلب إذا كانت مستفاده من العيان ، ومتصرفه حيث تتصرف العينان " (عبد القاهر ا.، 1991، صفحة 127) ، فالصورة مأخوذة من الواقع وتدرکہا الحواس لذا هي دليل مستحکم لا يمكن إنكار حقيقته .

وتفطن للبنية الاستدلالية للاستعارة فهي عنده " ضرب من التشبيه ، ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدرکه العقول ، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع والأذان " (عبد القاهر ا.، 1991، صفحة 20)

فالمصور البيانية من الآليات الحجاجية التي توظف في استجلاء المعاني والتأثير في المخاطبين واستمالتهم .

### - الحجاج عند السكاكي :

أدمج السكاكي الحد والاستدلال في علمي البيان والمعاني فقال " ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بدا من التسمح بهما " (السكاكي، 1987) ، حيث جعل من النظام الاستدلالي محورا لتأسيس البلاغة فهي قائمة على المعرفة والإقناع وأوضح ذلك بقوله " وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها ، وشعبة فردة من دوحتها ، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان " (السكاكي، 1987، صفحة 432) .

وركز على المقام والمستمع لدورهما في العملية التواصلية فقال " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم (...) ومقام البناء على السؤال يباين مقام البناء على الإنكار " (السكاكي، 1987، صفحة 168) ، فلن تتحقق الغاية الإقناعية دون مراعاة المقام الخطابي .

وقد علق عبد اللطيف عادل على رأي السكاكي بقوله " هدف البيان الحجاجي عند السكاكي يتعلق بـ تحصيل المطلوب مما يعني خدمته لمقصدية المتكلم ضمن سياق تخاطبي معين فالبيان يبنى بالدليل وليس بالتحسين الأسلوبي " (عبد اللطيف، 2013، صفحة 78) .

فالبيان عند السكاكي ذو بعد إقناعي مرجعه علاقتين : الأولى الانتقال من ملزوم إلى لازم والثانية الانتقال من لازم إلى ملزوم ، وبين ذلك في معرض حديثه عن الصور البيانية فقال " المجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم ، كما تقول ( رعينا غيثا )

والمراد لازمه ، وهو النبت ... وإن الكناية ينتقل فيه من اللازم إلى الملزوم ، كما تقول : فلان طويل النجاد ، والمراد طويل القامة الذي هو ملزوم طول النجاد فلا يصار إلى جعل النجاد طويلا أو قصيرا ، إلا لكون القامة طويلة أو قصيرة " (السكاكي، 1987، الصفحات 330-331) ، فالتنقيب عن معنى المعنى يقتضي الاستدلال واللزوم .

اتسمت البلاغة العربية بأبعاد شتى منها : التخيلي والإقناعي ؛ إذ يعد " الخطاب التداولي الإقناعي أحد وجهي البلاغة ، ووجهها الثاني التخيل فالبلاغة تضم في جانب منها كل الخطابات التخيلية من شعر وسرد وغيرهما ، كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي ... فبلاغة الخطاب الإقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخيلي وتتداخل معها " (محمد ا.، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، 2002)

#### - خاتمة :

خلص البحث إلى جملة من النتائج تمثلت في :

- اتخذ البلاغيون من الحجاج آلية للدفاع عن أفكارهم ومذهبهم وتجلى ذلك في مناظراتهم وردهم على خصومهم .
- ضمت البلاغة العربية عدة وظائف كالأسلوبية الإخبارية والتداولية الحجاجية .
- قام البيان عند الجاحظ على مفهومين: الإقناع وأكد على ضرورة مراعاة الظروف المحيطة بالخطاب.
- حدد الجاحظ الأغراض الإقناعية من البيان والتي تمثلت في استمالة القلوب وفهم العقول وتحريك النفوس ويتم ذلك من خلال وسائل لغوية وغير لغوية.
- استعان البلاغيون بالصور البيانية في محاجة الآخرين بغية إقناعه واستمالتهم .
- ربط ابن وهب البيان بالعقل وجعله أربعة وجوه تهدف لبناء المعرفة عن طريق الاستدلال والقياس .
- الأسلوب الحجاجي عند الجرجاني كان قائما على عرض آراء المدعين ثم الاعتراض عليها و تنفيذها
- بنى السكاكي علم البيان على الاستدلال واللزوم موضحا البنية التركيبية والإقناعية للصور البيانية .



## - مراجع البحث وإحالاته :

- أبو الحسين أحمد تح : عبد السلام محمد هارون ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة. دمشق: دار الفكر.
- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم تح : حفني محمد شرف ابن وهب. (1969). البرهان في وجوه البيان. القاهرة: مكتبة الشباب.
- أبو عثمان عمرو بن بحر تح : عبد السلام محمد هارون الجاحظ. (1998). البيان والتبيين (المجلد 7). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر تعليق : نعيم زرزور السكاكي. (1987). مفتاح العلوم (المجلد 2). بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أعراب حبيب. (يوليو - سبتمبر، 2001). الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري. مجلة عالم الفكر ، 1ع، المجلد 30 ، صفحة 110.
- الجابري محمد عابد. (2009). بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية (المجلد 09). بيروت ، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجرجاني تح : محمود محمد شاكر عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة (المجلد 1). جدة: دار المدني.
- الجرجاني تح : ياسين الأيوبي عبد القاهر. (2003). دلائل الإعجاز في علم المعاني. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.
- الطلبة محمد سالم محمد الأمين. (2008). الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر (المجلد 1). بيروت ، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- العمرى محمد. (1999). البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. المغرب: أفريقيا الشرق.
- العمرى محمد. (1996). المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- العمرى محمد. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (المجلد 2). المغرب: أفريقيا الشرق.
- المسدي عبد السلام. (01 يناير، 1976). المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال " البيان والتبيين ". حوليات الجامعة التونسية كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفحة 157.
- جمال الدين بن كرم ابن منظور. (د/ت). لسان العرب (المجلد 01). بيروت: دار الصادر.
- صمود حمادي. (1981). التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس. المنشورات الجامعة التونسية.
- صولة عبد الله. (2011). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات (المجلد 1). مسيكلاني.
- عادل عبد اللطيف. (2013). بلاغة الإقناع في المناظرة (المجلد 01). الرباط: دار الأمان.
- عبد الرحمن طه. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (المجلد 01). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمن طه. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (المجلد 2). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- مشبال محمد. (أكتوبر - ديسمبر، 2011). التصوير والحجاج : نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ . عالم الفكر ، الكويت ، صفحة العدد 2 المجلد 40 ، ص : 155.



## تحولات الخطاب الاستعاري: مقارنة بينية المداخل في "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" لمحمد بازي.

باحثة دكتوراه/ بثينة بهالي  
قسم الآداب و اللغة العربية  
جامعة محمد خيضر بسكرة

### المخلص:

تتغيا المقاربة تتبع تحولات النسق الاستعاري من موطنه البلاغي القديم إلى شق معرفي هو الأكثر ذيوعا في الدراساتالراهنه والمعاصرة في المخابرالمتخصصة في الأبحاث العرفانية،ضمن قالب بيني تحاقلي مبني على استثمارمفاهيم وأجهزة من الحقل الإدراكي الذهنياتبالعصبي أو من العلوم المعرفية عامة،ودمجها وباقي معطيات تحليل الخطاب الأدبيو مقولات فلسفة اللغة أوالفلسفة اليومية،بعيدا عن التنظيرات الكلاسيكية ومفاهيم المشابهة والدلالات اللغوية المجازية،في محاولة لنمذجة نسق معرفي بشري أوبناء نموذج تصوري تمثيلي – لفهم العالم –،تتجسدن فيه الذهنيات ومقدرات الإدراك الكلية في المقام الأول،ثم الانتقال إلى بلاغة موسعة يتعانق فيها الفعل الاستعاري والوسائط الرقمية لبلورة مفهوم الاستعارات المنوالية التي تضم الاستعارة الافتراضية،وبالتالي الإجابة على جملة الإشكاليات الموالية:

✓ ما التحولات التي طرأت على النسق الاستعاري؟

✓ وما الذي جعل من الفعل الاستعاري فعلا بينيا عابرا تتحافل فيه النظريات والجيوب العرفانوتصورية والمعارف الفلسفية وميدان الرقميةومجالات تأويل وتلقي وتحليل الخطاب؟

كل هذه المعطيات نناقشها من خلال الطرح المقدم في: "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" لمحمد بازي.

**الكلمات المفتاحية:** نسقاستعاري،العرفانية،المشابهة،نموذجتصوري،استعاراتمنوالية،استعارة افتراضية.

### مقدمة:

تتعين الاستعارة كمعلم أساس للدرس البلاغي وكركيمة للاجتهادات العربية والغربية البلاغية القديمة،ولعل الجاهل بطبيعة تحولاتهذا النمط الاستعاري وبما حققه في الزمن الراهن يعتقد أنه مفهوم لم يبق فيه الأوائل قولا للمتأخرين،أو أن الدهر قد أكل عليه وانقضى،وهو الأمر الذي يدفع إلى خوض غمار البحث عن حيثيات تحول النسق الاستعاري والكشف عن أبرز محطات هذا التحول،وقد ارتأيت أن أتخير نموذجا لباحث معاصر هو

محمد بازي صاحب "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة"، والذي ينطلق فيه من رغبته في خلق أفق لبناء نموذج استعاري كوني موسع تستند فيه نظريات الاستعارة التقليدية المفيدة في الفهم والتحليل إلى الاجتهادات المستأنسة بالتصورات الغربية في هذا الشأن، بحيث يتوزع المصنف على ثمانية فصول، يعني كل فصل ببناء نمط استعاري معين أو بتحليله، الأول متعلق بالاستعارة كإستراتيجية خطابية، والثاني بتوسيع مجال الاستعارات المنوالية، أما الثالث فجاء حول تحليل الاستعارة المنوالية من منظور تقابلي ومن منظور تصوري عرفاني ثم من منظور نظرية المزج والأحياز العصبية ونقدها، ثم خصص الفصل الموالي للاستعارات الافتراضية وللحيل الجديد ولأنوال المعرفة الرقمية، والاستعارات الرمزية والهندسية وباقي امتداداتها، لتشكل استعارات التسمية والأسلوب ميدانا للحديث في الفصل الخامس هي وكل ما ارتبط بها من استعارات اشهارية واستعارة البنى العنوانية أو الألقاب واستعارات الفلاسفة والاستعارات السياسية واستعارة الأشكال، ثم وسم الفصل السادس ب: استعارة المفاهيم والنظريات "مفهوم النص تمثيلا"، والسابع ب: استعارة الأنوال القولية "وقائع تجربة تأويلية جماعية" ثم شكل الفصل الأخير بابا لتبيين دور استعارة الأنوال التأويلية في بناء الثقافة، ومثل لذلك بنماذج منها منوال أهل الكلام ومنوال الرازي ثم البيضاوي والقاسمي وابن عاشور...

سيكون الوقوف في هذه الورقة البحثية عند التحولات الثلاثة الكبرى في مفهوم الخطاب الاستعاري، وانتقاله من النسق الخطابي البلاغي إلى المنوالي التصوري العرفاني و ثم الافتراضي الرقمي.

## 1. بوادرتحول الاستعارة كإستراتيجية خطابية من بلاغة صغرى إلى بلاغة جديدة موسعة:

يقول آيفور أرمسترونغ غريتشاردز: "إننا لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة"<sup>1</sup>، ومما لا شك فيه أن الأصل في الاستعارة ان تحدث على مستوى الخطابات، وفي البلاغة القديمة تتحدد بوصفها "آلية لنقل معنى اللفظ مما وضع له في الأصل إلى ما لم يعرف به، لعلاقة المشابهة"<sup>2</sup>، والقول بأن الاستعارة إستراتيجية خطابية يحيل إلى مقولة إن الخطاب وحدة مترابطة الأجزاء، وإنه استعارة كبرى مكونة من مجموعة استعارات جزئية متعاقبة فيما بينها داخل النظم<sup>3</sup>.

يستهل محمد بازي مصنفه "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" بمحاولة لإثبات أن الخطابات نتاجات لعمليات استعارية واعية وغير واعية، ذلك أن الكاتب بمجرد ما يشرع في نظم خطابه، فإنه يدخل في حالة استعارية مفتوحة الجبهات، لذلك حق لنا إطلاق صفة الاستعاري على جميع خطاباتنا المتوسلة باللغة، بدلا من صفة المجازي التي قد تضيق حدود الفعل الاستعاري<sup>4</sup>، ولا يتحرج صاحب المنوال من تحميل المصطلحات البلاغية القديمة المفرغة في مفهوم قدهي هو السرقة إلى تصور ينطلق من أفق معرفي مغاير، بحيث يدرجها

ضمن مسمى الاستعارة بمعناها الأداتي الموسع، فيكون موضوعها: استعارة المعاني بإخراجها من كيانها الأصلي إلى كيانات مغايرة لأهداف مغايرة<sup>5</sup>، ورغم التصورات الموسعة نجده لا يلغي الطوابط والاجتهادات المدققة في البلاغة الصغرى القديمة، ولا يرى بأنها تتجاوزها أو تحل محلها في التراكم اللفظية الاستعارية، وإنما تغنيها وتكملها وتسندها بالنظر إلى المستويات التي لم يشملها التحليل الاستعاري داخل الجملة للانتقال إلى الاستعارة الجمالية والخطابية والمعرفية والثقافية،<sup>6</sup> وفي خضم حديثه هذا لا يغفل محمد بازي شروط صوغ الاستعارات فنلفاه يندد بوجود مناسبة أطراف العملية بعضها لبعض فيقول: "إذا حدثت استعارة غير مناسبة يتزعزع الخطاب، يتفكك ويتلاشى، فلا يحصل تقبله، لأن ذائقة التلقي الرفيعة لا تقبل الاستعارات المتعسفة، إنما تقبل الخطاب المتناغم العناصر، تناغم القصدات والأدوات المستعارة، ثم إن بلاغة الاستعارة الخطابية درجات على قدر الملكات، ومن لا ملكة له لا بلاغة كلية له."<sup>7</sup>

ثم يأتي للتمييز بين أضرب الاستعارة وأشكالها انطلاقاً من الفروقات المتعينة بينها من ناحية عناصر وأدوات البناء فتتعين كما يلي:<sup>8</sup>

- استعارات صغرى: تضم كل من الاستعارات المعجمية العادية المتعلقة باستحضار كلمة ما لبناء معجمي لغوي بسيط، والاستعارة بشكليها المكني والتصريحي، أي ما تعلق باستعارة لفظ مما وضع له في الأصل إلى ما لم يوضع له لعلاقة المشابهة.
- استعارات كبرى/صناعية/تفاعلية: وتتعلق بالتفاعلات الحاصلة نتيجة المحاكاة أو بدافع تحقيق قوة حجاجية في الخطابات جميعاً مثل استعارة ابن رشد من العلوم والفقه والآداب والتشريع وعلم الكلام لبناء منواله الخاص وفيها يتعين الفعل الاستعاري كفعل بيني تتشارك وتنفذ فيه أبواب المعرفة، لضمان رحلات استعارية تضمن للنصوص أن تكون محفلاً للاستعارات، وبالتالي تؤسس لطرح استعاري منوالي، ولعل من بين أبرز محاسن وفوائد توسيع مفهوم الاستعارة ما يلي:<sup>9</sup>
  - الخروج من الأفق الضيق للاستعارة البلاغية.
  - ربط جوهر الفعل الاستعاري بالانتقال من جوهر أصلي إلى موقع فرعي.
  - إدراك قوة الملكات الاستعارية عند الإنسان، ودورها في تشكيل البنى الثقافية الكبرى، فالاستعارة لا تتيح الصورة الشعرية فحسب، وإنما تنتج النصوص وتشكل البنى الذهنية كما تصنع الكتب وتبني الثقافات، وقد تنشأ عنها حروب وقد تزول بها دول كاملة وتنشأ مكانها دول أخرى بالطاقة الاستعارية والاستمداد من النصوص والمرجعيات والبنى الثقافية المستعارة قبل الثورة الرقمية وبعدها.

## 2- الاستعارة المنوالية نحو بلاغات موسعة:

الاستعارة المنوالية نسبة إلى منوال، والمنوال في الأصل: منسج خشبي ينسج عليه الثوب، وقد استعاره بازي كلفظ بغرض الحياة الاصطلاحية أي من مجال صناعياصليهو: النسيج والحياسة إلى مجال صناعي فرع هو: نسيج الخطابات بالأدوات وبالأساليب والبنى الثقافية والأنساق التقابلية<sup>10</sup>، ويعرف محمد بازي الاستعارة المنوالية على أنها: مجموع أفعال الكتابة الصناعية من تخيل وتخير وتحيل ومحاكاة واقتباس وأخذ وتطالب، وتجادب بين الخطابات قيد الإنجاز، أو بين المرجعيات الممكنة التي يستعير بها منتجوه،<sup>11</sup> ومن بين العمليات المحققة للفعل الاستعاري المنوالي ما يحدث على مستوى الفن المسرحي، بحيث يستعير الممثل الأدوار والحركات والوجوه والطباع، ليس بغرض تملكها بل لأداء مقاصد معينة، فالتمثيل مجموعة استعارات من الواقع والمجتمع لأداء قصدية يدركها المتلقي عبر استحضار الخلفية المرجعية التي ينطلق منها الخطاب<sup>12</sup>، والفعل ذاته في الخطابات الاشهارية و في غيرها من الخطابات التي توصل إليها محمد بازي للتكريس لمفاهيم وطرق اشتغال نموذج الموسع، كذلك الحال مع ما سماه باستعارة المثال: وهي من النماذج المعتمدة كثيرا في التعليم، كاستعارة قصة واقعية أو خيالية في بداية الحصة الدراسية لإثارة الانسان والتقريب من الموضوع، أو في التآليفات التوجيهية الوعظية، ولدى كبار العارفين يتم التعبير عن الحقائق والاحوال والمقامات بالامثلة، مثال ذلك الاستعارات والامثلة الدقيقة التي نجدها عندما نقرأ رسائل النورل: بدع الزمان النورسي، والأمر ذاته نجده عند جلال الدين الرومي في المثنوي، وعند الغزالي في الأحياء<sup>13</sup>، وبالتالي فإن الفعل الاستعاري يوجد حيث يوجد الإنسان.<sup>14</sup>

## 2-1. الاستعارات التصويرية والعرفانية وفعل الجسدنة:

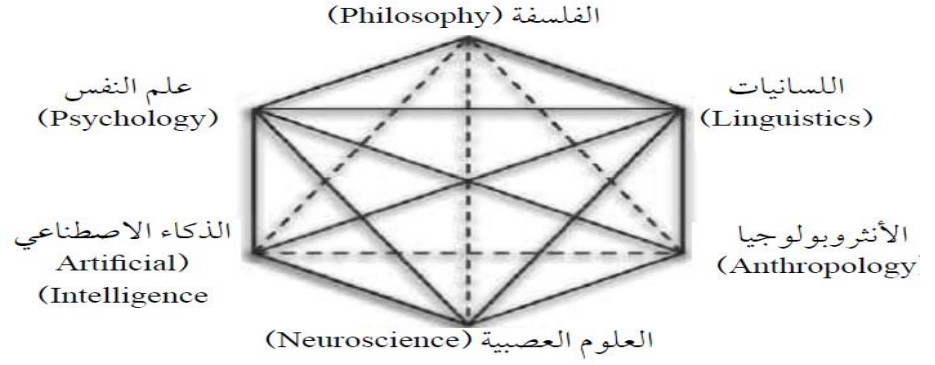
يشرح محمد بازي في بناء منواله الاستعاري التحليلي انطلاقا من نماذج غربية شكلت المدخل للعرفانيات وللدراسات التصويرية مع كل من ريتشاردز في "فلسفة البلاغة" ولايكوف وجونسون في "الاستعارات التي نحيا بها"، ومع فوكونيني وتورنر في نظرية المزج التصوري.

حقيق بي قبل التفصيل في ما جاء به محمد بازي في ربطه للفعل الاستعاري بالعلوم المعرفية أن أتطرق إلى مفهوم العلوم المعرفية أولا.

### • ما العلوم المعرفية:

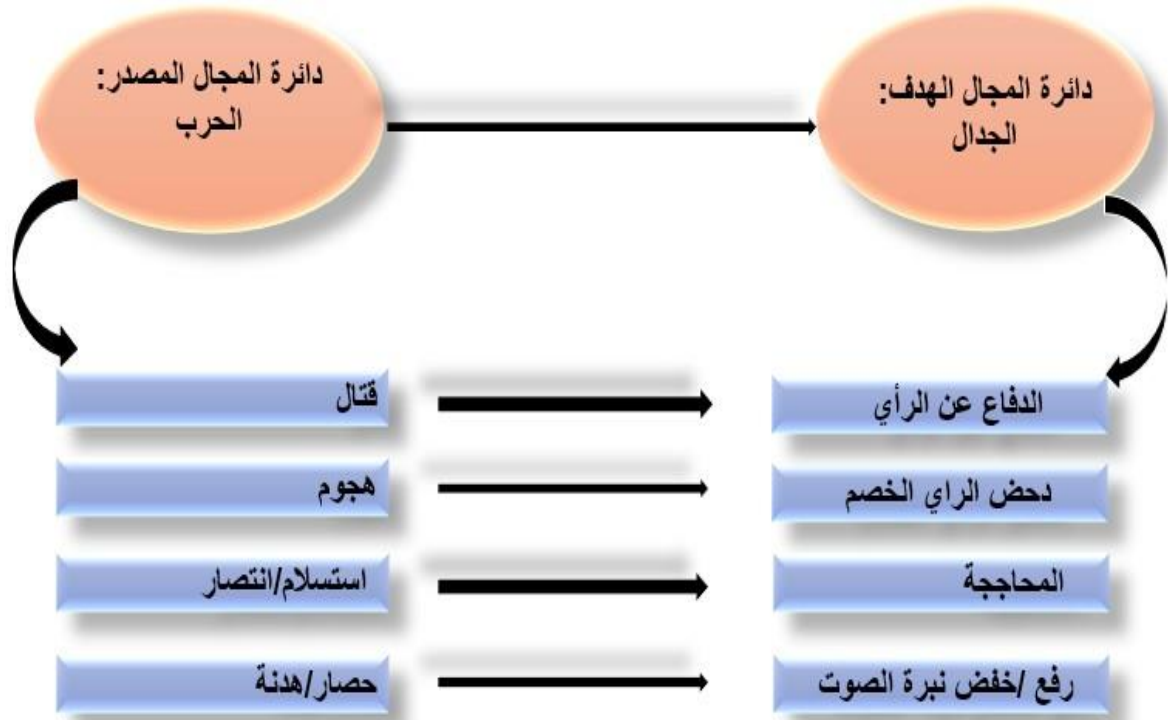
العلوم المعرفية "علوم تدرس الإدراك البشري"<sup>15</sup> وتهتم ب: معالجة المعلومات الدماغية وتمكين الفرد من السلوك الذكي، منقبيلو حل المشاكل وفهم الأشياء، وتشغل اشتغال الحاسوب حيث تشفر المعلومات في شكل تمثيلي رمزي تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزميات في لغة البرمجيات الحاسوبية<sup>16</sup>، وهي مجال نشأ ضمن مسعى بيني تعاوني متعدد

التخصصات، تتلخص أبرزها في سداسي العلاقات العرفانية البيئية الشهير الموضح في الصورة الموالية:17



سُداسيّ العلاقات العرفانية البيئية كما في تقرير «سلون» Sloan ١٩٧٨

من خلال هذا السداسي تتعين العلوم المعرفية على انها مجال بيئي تتحاقل فيه عدة تخصصات منها: الفلسفة واللسانيات و علم النفس والذكاء الصناعي والأنثروبولوجيا والعلوم العصبية، وفي سياق الفكر البيئي يسعى محمد بازي إلى إثبات أن الاستعارة فعل بيئي عابر للتخصصات وان لها خاصية العبورية لمجالات التواصل الأدبي وغير الادبي، وهو ما جعله ينظر اليها من منظور تصوري جسداني، والجسدنة هي: جملة الأليات العصبية والعرفانية التي تمكننا من الإدراك، ومن التنقل فيما يحيط بنا، أو هي الأليات نفسها التي تنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا، ولذلك من الضروري فهم النظام البصري والنظام الحركي والنظام العصبي بترابطاته فهما دقيقا لكي يفهم الذهن<sup>18</sup>، وتقدم النظرية التصويرية الجسدانية اقتراحات لتفسير كيفية حدوث الاستعارات وكيفية تشكل البنى الاستعارية التصويرية في اللغة اليومية،<sup>19</sup> وإعطاء فكرة عما يجعل تصورا ما تصورا استعاريا، يقدم صاحباً "الاستعارات التي نحيا بها"<sup>20</sup> مثالا بسيطا يتعلق بتصور مفهوم الجدل على أنه حرب، عبر استعمالنا اليومية بجملة التعابير في الشكل 01، والتي يتضح من خلالها كيف اننا قد ننتصر أو ننهزم فعلا في الجدل، فالشخص الذي نجادله يعتبر غريما نواجهه مواقفه وندافع عن مواقفنا ونربح او نخسر المواقع، ونضع استراتيجيات شغلنا، ذلك أن جزءا كبيرا من الأشياء التي نقوم بها حين الجدل يبينها تصور الحرب، ومنهتكشكلتاستعارة الجدل/حرب من بين الاستعارات التي نحيا بها، والتي تبين الأنشطة التي ننجزها عندنا نتجادل.



الشكل 01: نموذج استعاري تصوري الجدل/الحرب

## 2.2. الاستعارة الافتراضية:

تتعين استعارة الأسماء والصور والصفات في العالم الرقمي كأبسط تمثيلات النمط الاستعاري الافتراضي، حيث يعتبرها محمد بازي بمثابة البحث عن الانتماء إلى عالم تواصل يسمح بالتواري، ولا يهتم فيه المتواصلين بالأقنعة المستعارة، وبذلك تضمن الاستعارة في هذه الحالة التخفي والتقنع، لكنها لا تضمن بناء ذات إيجابية صريحة تعمل بشفافية وفي العلن، ومن دوافع هذا التخفي: الهرب من سلطة المجتمع وقوانينه، وكأن الجميع يجد في (النت) ملجأً للأحلام وتصريف الاهتمامات والميولات والنوازع والهروب من الذات باصطناع ذوات مأمولة أو مخادعة ماكرة أو مرضية منفصمة<sup>21</sup>.

لا يقتصر فعل الاستعارة الافتراضية على الأسماء والصور فقط بل يتحقق رقمياً بآليات

كثيرة، منها:<sup>22</sup>

- التقاسم/المشاركة/partager
- القص/copier
- اللصق/coller
- التحميل/télécharger
- الرفع...



من الملاحظ أن العمل على الحاسوب والابحار الرقمي قائم على استعارات الانخراط فيها تلقائي، والأدوات فيها تتطلب مهارات الأخذ واللصق والادماج والتركيب وإدخال المؤثرات الصوتية والتحسين أو الفلتر، مما يوحي بأن الأجيال الحديثة قادرة على الاستغناء عن المعجم اللغوي لإنشاء استعاراتها مع وجود بدائل غير لغوية رقمية متكاثرة ومتطورة ناشئة عن سيمياء الاستعارات والعلامات والرموز اللامحدودة والأيقونات.

ثم إنه لا بد لأهل البلاغة التقليدية ان يعترفوا بان ادواتهم في الكشف عن الملكات البلاغية الرقمية العليا في المجال الافتراضي ستبقى معطلة نومن ثمة نشأت الحاجة إلى الاستئناس بعلوم الحاسوب والابحار في الشبكة والتصوير والتشكيل، وعلوم الأدب، وتكنولوجيا المعلومات والتواصل لضبط أدوات الاستعارة وقوانين عملها<sup>23</sup>.

يشير محمد بازي في حديثه عن الاستعارات الافتراضية إلى لا محدودية الفعل الاستعاري كتقنية منوالية بتأكيده على انه لم يعد فعلا محصورا على اهل الشعر والادب، بل اصبح كل متواصل قادر على التعبير بما يراه مناسباً من الاستعارات وبما توفره له البرمجيات الحاسوبية وبكل ما يحقق تبليغ الرسالة بقوة، ويتيح الفهم بسرعة، إذ إننا نعيش زمنا استعاريا سريعا، تنتشأ فيه الاستعارات بسرعة وتموت بسرعة استعارة اليوم قد لا تصلح غدا، إن لكل يوم استعاراته، ولكل جيل استعاراته، استعارات آبائنا ليست هي استعاراتنا واستعارات أبائنا ستكون مخالفة لاستعاراتنا<sup>24</sup>.

أما الربط الفعلي لهذه الوسائط بالدرس البلاغي فيمكن في سحرها، وفي قدرتها على ابلاغ وتبليغ المعاني وتقريبها وفي طبيعتها الايحائية الجمالية أو الحجاجية، وفي وصف الموضوعات وصفا ذكيا يقتصد الجهد والوقت ويؤدي الرسالة، وهذا ما يجعل الحاجة ملحة الى بناء بلاغة جديدة تناسب كل الأنماط الاستعارية الراهنة<sup>25</sup>الرمزية او الهندسية أو غيرها.

**خاتمة: (رؤيا التوسيع /توسيع الرؤيا).**

مما تقدم يمكن القول :

إن محمد بازي ينتقل في مصنفه البنى الاستعارية نحو نموذج بلاغي موسع إلى تقديم تصور موسّع لمفهوم الاستعارة ضمن ما سمّاه بالاستعارة المنوالية، التي تشمل الفعل الاستعاري الحاصل على مستوى الخطابين اللغوي وغير اللغوي، الأمر الذي يعزز قيام مشروع متكامل، يشق طريقه بثبات نحو نحت مصطلحات جديدة وخلق مفاهيم حديثة تستقيم و حال النظريات والعلوم المعاصرة والراهنة، بحيث تنطلق من تطوير الدرس البلاغي وإخراجه من إطاره اللغوي المجازي الضيق باستعارة الأقوال والمفاهيم من المعارف الأخرى فيجمع بذلك بين بلاغتي الامتداد والارتداد، ويكرس لمقولة إننا نستعير لنبني ما يستعار، ثم إن ما يختزل

التحول الحاصل في مفهوم الاستعارة يكمن في العلاقات المتحركة في الفعل الاستعاري وهي كالآتي: 26.

- ✓ علاقة المشابهة في الاستعارات اللغوية
- ✓ علاقة التناسب في الاستعارات التصويرية
- ✓ علاقة الوظيفة المنوالية في الاستعارات الثقافية: وتتضمن الموالين، جاهز وآخر في طور التشكل، أما الجاهز فهو مزيج من موالين سابقين، أو انتقال من طور لآخر، يحدث ذلك بالتمازج بين النماذج العلمية أو الفنية المبنية.

## قائمة الإحالات والمراجع:

1- آيفور أرمستر ونغرينتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانميوناصر جلاوي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002، ص 93.

2- محمد بازي، البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، منشور اتصاف، لبنان/ دار الاختلاف، الجزائر/ دار الأمان، المغرب/ كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط 12017، ص 28.

3- ينظر: حسينيخالف، البلاغة وتحليل الطاب، دار الفارابي، لبنان/ منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011، ص 14-15.

4- ينظر: نفسه، ص 71.

5- ينظر: محمد بازي: البنو الاستعارية، ص 33-34.

- 
- 6- ينظر: نفسه، ص 37.
- 7- نفسه، ص 75.
- 8- ينظر: نفسه، ص 27-28-32.
- 9- ينظر: نفسه، ص 32-33.
- 10- ينظر: نفسه، ص 27.
- 11- ينظر: نفسه، ص 27.
- 12- ينظر: نفسه، ص 35.
- 13- ينظر: نفسه، ص 73.
- 14- ينظر: نفسه، ص 60.
- 15- عبد الرحمان بن طعمة، الكتاب الجماعي: دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، الرياض، ط1، 2019، ص 17.
- 16- ينظر: عمر بن عبد الرحمان، نظرية الاستعارة والخطاب الأدبي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015، ص 27.
- 17- ينظر: عبد الرحمان بن طعمة، دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)، ص 19.
- 18- ينظر: سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014، ص 67.
- 19- ينظر: محمد بازي، البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، ص 81 .
- 20- ينظر: جورج جلايكوف ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2009، ص 92.
- 21- ينظر: محمد بازي، البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، ص 95.
- 22- ينظر: نفسه، ص 96.
- 23- ينظر: نفسه، ص 97.
- 24- ينظر: نفسه، ص 100.
- 25- ينظر: نفسه، ص 101.
- 26- ينظر: نفسه، ص 43.

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح المفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

يومي : 9-10 ماي 2022

استمارة المشاركة :

الاسم واللقب : عيدة زيرق

الصفة : طالبة دكتوراه

الهاتف والبريد الإلكتروني : 06.62.16.25.33 – [ziregaida@gmail.com](mailto:ziregaida@gmail.com)

محور المداخلة : بين البلاغة القديمة و البلاغة الجديدة

عنوان المداخلة : الاستلزام الحواري بين البلاغة القديمة و البلاغة الجديدة

ملخص المداخلة :

تسعى هذه المداخلة إلى استجلاء ظاهرة الاستلزام الحواري في كل من البلاغة القديمة ( العربية ) والبلاغة الجديدة (الحجاج ) ، إذ أن التواصل اللغوي يقوم على المعنى المقامي ، ففي بعض الأحيان يحيد المنجز اللغوي عن دلالاته المعجمية ، ليخرج إلى دلالة أخرى يقتضيهها قصد المتكلم ويحدد معناها الصيغ الذي تدل قرانته على المعنى المستلزم فيتحقق الإفهام ، ذلك أن غاية

الخطاب في كل من البلاغتين هي الإقناع ، ولا يمكن للخطاب أن يكون مقنعا ما لم يكن قابلا للفهم

وقد عنيت البلاغة القديمة ( العربية ) ببلوغ عقل المخاطب وذهنه ، وعنيت البلاغة الجديدة ( الحجاج ) بالتقنيات الخطابية التي تعمل على حث الأذهان للتسليم بالأطروحات المعروضة عليها ، لذلك شكل السياق أهم مباحثهما لدوره في ضبط المعنى المقامي ( المستلزم ) .

## مقدمة :

إن التواصل اللغوي قديم قدم البشرية ، وذلك راجع إلى ارتباطه بالحياة الاجتماعية للإنسان من أجل التفاهم واللغة وسيلة هذا التواصل ، فاللغة ظاهرة اجتماعية يعبر بها الإنسان عن مقاصده ومشاعره ورغباته والمتكلم يتأثر عند بناء التراكيب بمقاصده الخاصة فضلا عن مراعاة حال المخاطب والظروف المحيطة بهما ، وكل ذلك يتفق مع الأعراف اللغوية التي درج عليها المجتمع في بيئته اللغوية حتى تؤدي الرسالة الكلامية أغراضها من أجل الوصول إلى فهم مقاصد المتكلم .

إلا أن استعمال هذه اللغة كان مدعاة للتساؤل عن القدرة على ذلك من حيث ارتباطها بأمر خارجة عن نطاق المنظومة اللسانية المتواضع عليها ، وذلك راجع إلى أن الإنسان تسيره ظروف تواجهه في بيئته وعلاقاته داخل المجتمع وهو ما يعرف بالمقام أو السياق ، لذلك استدعت الحاجة إلى تسخير هذه اللغة تماشيا مع متطلبات المقام بهدف تحقيق التواصل .

ولما كانت المعاني التي يريد المتكلم نقلها وإيصالها إلى السامع مضمرة في نفسه ، احتاج في الإبانة عنها إلى وسيلة تظهر ما يخترنه من دلالات وما يختلجه من تصورات ، ولذلك وجدت اللغة التي تنتقل بها الأفكار والرغبات والخواطر ، وهي الوسيلة التي يستطيع بها المتكلم تحويل الأغراض المضمرة في داخله إلى علامات صوتية تصل إلى المتلقي الذي يعرف عن طريقها المقاصد التي أرادها المتكلم .

وهذه العلامات قد تكون معانيها مباشرة يدل عليها ظاهر اللفظ والتركيب ، وقد تكون معانيها غير مباشرة يستلزمها السياق وهذا ما عرف في التداولية بالاستلزام الحواري ، ولم تغفل البلاغة العربية عن السياق ولا عن المعاني التي يقتضيها .

ففيم تجلى الاستلزام الحواري في كل من البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة؟

**الاستلزام الحواري والبلاغة العربية :**

**1-1 - الاستلزام الحواري :**

تعود نشأة نظرية الاستلزام الحواري إلى المحاضرات التي ألقاها " بول غرايس " في جامعة هارفرد عام 1967 م ، فقد قدم فيها تصوره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها ، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات عام 1975م في مقال بعنوان " المنطق والحوار " Logic and conversation<sup>1</sup>. أوضح فيه أن فهم الملفوظات وتأويلها أثناء عملية التخاطب لا يعتمد دائما على دلالتها الطبيعية التواضعية ، ويتأسس هذا الحكم على ملاحظة استأثرت باهتمامه تتمثل في دلالة الفعل To mean في الإنجليزية ، إذ يرد بمعنى أشار ودل مرة ، ويأتي بمعنى قصد مرة أخرى ، من هذا المنطلق عمل " غرايس " على التمييز بين نوعين من الدلالة : الدلالة الطبيعية الوضعية ، والدلالة غير الطبيعية ، والفرق بينها يتمثل في كون الكلمات في الدلالة الطبيعية تدل على ما وضعت له في أصل اللغة ، أي أنها تشير إلى الدلالة المصرح بها دون الحاجة إلى تأويل الملفوظ ، إنها عبارة عن المحتوى القضوي للجملة في قوتها الإنجازية الحرفية .

أما في الدلالة غير الطبيعية فيلاحظ أن تأويل الملفوظات لا يتوقف عند حدود الدلالة اللغوية التواضعية للكلمات ، بل يعتمد أساسا على قصد المتكلم ونواياه من جهة ، وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا من جهة ثانية ، وعلى سياق الكلام وقرائن الأحوال من جهة أخرى<sup>2</sup>. ويمكن القول إننا عندما ننجز جملة ما ، حسب المقام الذي أنجزت فيه ، نقوم بفعالين لغويين : الأول : فعل لغوي مباشر ( دلالة لغوية مباشرة ) ، الثاني : فعل لغوي غير مباشر ( دلالة لغوية غير مباشرة ) .

سمى " غرايس " هذه الظاهرة " الاستلزام الحواري " وأصبح يميز في نظرية الأفعال اللغوية بين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة ، أما الأولى فهي القوة المدركة مقاليا ، والتي تدل عليها صيغة الفعل نحو : الأمر ، النهي ، التنغيم ، أو فعل إنجازي : نحو : سأل ، التمس ، وعد... ويراد بالقوة الإنجازية المستلزمة القوة المدركة مقاميا والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية معينة ، ولا قرائن بنيوية تدل عليها في صورة الجملة<sup>3</sup>. ومن هنا يعتبر " غرايس " أن دلالة العبارة اللغوية تنقسم إلى قسمين :

- المعاني الصريحة : هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها ( معان مباشرة ) يندرج تحت هذا الصنف من المعاني :
  - المحتوى القضوي : يتمثل في معاني مفردات الجملة مضموما بعضها ببعض .
  - القوة الإنجازية الحرفية : تتمثل في القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بصيغة الاستفهام ، الأمر ، النهي ...
- المعاني الضمنية : هي المعاني التي تفهم انطلاقا من السياق الذي ترد فيه ( المعنى المستلزم ) فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها ويندرج تحتها صنفان من المعاني :
  - معاني عرفية : هي المعاني المرتبطة بالجملة والتي لا تتغير حتى ولو تغير سياق الجملة ، ويواكبها نوعان من المعاني هما : الاقتضاء والاستلزام المنطقي .

- معاني حوارية أو سياقية : هي المعاني التي تتولد طبقا للسياقات التي تنجز فيها الجملة ، ويواكبها نوعان من المعاني هما : الاستلزام الحواري الخاص وهو عبارة عن المعاني الناتجة عن سياق خاص ، والاستلزام الحواري العام وهو عبارة عن المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة .<sup>4</sup>

ولتوضيح هذه المعاني نورد المثال الآتي :

- هل تساعدني في حل هذه المسألة ؟

- حيث نتشكل الدلالة الصريحة للجملة من محتواها القضوي الناتج عن ضم معاني مكونات الجملة ، وقوتها الإنجازية الحرفية المتمثلة في الاستفهام المؤشر له بالأداة " هل " والتنغيم وعلامة الاستفهام وتتألف الحمولة الدلالية الضمنية للجملة نفسها من المعاني الآتية :
- معنيين عرفيين هما الاقتضاء ( اقتضاء وجود مسألة ) والاستلزام المنطقي ( للمسألة حل ) ، ومعنى استلزامي خاص ( التماس المتكلم للمساعدة )<sup>5</sup>

## 1-2- البلاغة العربية :

تعد البلاغة من العلوم العربية التي نالت رواجاً في أوساط الباحثين والدارسين ، فقد كانت دعامة أساسية للدرس العربي القديم ، مثلت عالماً للاتصال نظراً لارتباطها باستعمال اللغة وما ينتج عنه من أساليب تخرج إلى أغراض تفهم بحسب المقام ، وما زاد من قيمتها هو ارتباطها بمقصدية الدفاع عن النص القرآني ، كونه يمثل رسالة اتصالية موجهة للبشرية صالحة لكل زمان ومكان ، لهذا فقط ارتبطت البلاغة العربية بمقولة لكل مقام مقال .

وقد نتجت من استقصاء العلماء وتتبعهم للهيئات اللسانية في اللغة العربية و ما كان عند العرب من العادات الكلامية المعروضة عرضاً بليغاً وفصيحا للوصول إلى أرقى المعاني وأبلغها وأجملها ، لهذا كانت البلاغة مؤسسة على ثوابت الثقافة الإسلامية والإرث العربي مع الأخذ من الثقافات الغربية نتيجة امتزاج الثقافات والتفتح على الآخر .<sup>6</sup>

من بين الأوائل الذين تحدثوا عن البلاغة ابن المقفع ( ت 143 هـ ) فقد سئل ما البلاغة ؟ قال : " البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون رسائل ، فعامية ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة "<sup>7</sup> .

تأسس الدرس البلاغي عند العرب على اشتراطهم موافقة الكلام لمقتضى الحال ، وقد توجه اهتمامهم إلى كيفية تشكيل السياق الخطابي استناداً إلى جميع الأوضاع المؤثرة في توجيه هذا السياق وجعله في مستوى المقام المحيط به فيكون لوضع المخاطب – الاجتماعي ، الفكري ، النفسي ، الثقافي – أثر كبير في تكوين خطابه ليصل إلى درجة تحقيق الانسجام والتوافق الذهني

والموقف في الخطاب مع العناصر المساهمة في عملية التواصل ، لهذا كانت البلاغة عندهم تتمثل في إيصال المعنى إلى المخاطب عبر خطابات مختلفة تتوفر فيها السمات التعبيرية البلاغية ، مع أهمية العمليات الذهنية في تكوين المعنى إلى جانب الهيئة اللسانية التي يصاغ فيها المعنى فكل كلام توفر فيه هذين المبدئين يكون قابلاً لتحقيق سمة البلاغة فيه ، والتي تجعله مختلفاً عن الكلام العادي ، وهذا ما يؤدي إلى أن يكون لهذا الكلام أثر قوي في المخاطب ضمن العملية التخاطبية والتواصلية ، إذ لا يمكن وضوح المعنى إلا بوجود عناصر الخطاب المعروفة ومدى ملاءمة الكلام للمقام الذي ينشأ فيه للوصول إلى تحقيق عملية الإفهام والتواصل .

وقد أشار الجاحظ ( ت 255 هـ ) إلى تلك العناصر في حديثه عن صحيفة بشر بن معتمر توفي (210 هـ) المشهورة والتي تعد من أهم المعالم الثقافية والبلاغية في إرساء الفكر العربي البلاغي ، فقد تنبه بشر بن معتمر إلى أهمية المقام في حصول الصواب في القول وتحقيق الإفادة والفائدة منه ، فيقول ، " ... وإنما مدار الشرق على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام مقال " . ويقول أيضاً عن أهمية المتكلم ودوره في الوصول إلى المعنى : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات " 8

## 2- البلاغة العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث :

### 2-1- علاقة البلاغة العربية بالتداولية :

إن المتأمل في الجهاز المفاهيمي للبلاغة الجديدة يلاحظ أنها لم تخرج عن نطاق تعريف القدماء ، والذي وسع دائرته المحدثون بإيجاد مرتكزات تستند فيها على معطيات البلاغة القديمة ، هذه المرتكزات تتجلى في ( المتكلم ، المخاطب ، الخطاب ، الموقف الخارجي ، السياق ) فتتوزع هذه العناصر وتباينها في التأثير والإيصال والتواصل ساهم في عزل وفصل البلاغة من الأصول الكلامية المقننة التي لا تبلغ مستوى الكلام البليغ المؤثر ، وبهذا يمكن اعتبار بلاغة منهجا لفهم النص مرجعه التأثير. 9

لقد وضع المتحدثون للبلاغة تعريفات متعددة تلتقي في إيجاد رابط بين هذه العناصر ليكون الكلام مطابقاً لمقتضيات المقام وتحقق السمة البلاغية الإبلاغية بالاستناد إلى السياق ، وهو الأمر الذي أكده الباحث صلاح فضل عن " لوسبرج " بقوله : " إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد . ويرى " ليتش " أن البلاغة تداولية في صميمها ، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما " 10 . وهو الرأي الذي أشار إليه محمد العمري في كتابه " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها " بأن البلاغة العربية قد أعيد لها الاعتبار في الدراسات المعاصرة فيما يعرف بالتداولية. 11 كما يرى صلاح فضل أن " البلاغة



والتداولية البراجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة للممارسة الفعل على المتلقي على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف.<sup>12</sup>

إن البلاغة والتداولية ترميان إلى النظر في أحوال المتخاطبين أثناء الحديث ضمن الترسيم التواصلية ، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها في حقل التداولية ، التي عنيت بالسياقات المتخلفة وأطراف الموقف التواصلية ، الأمر الذي عنيت به البلاغة العربية بما يعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.<sup>13</sup>

تتداخل مباحث البلاغة العربية – إذن – بشكل كبير مع مباحث الدرس التداولي المعاصر ، كمبحث أفعال الكلام ومبحث القصدية، والاهتمام بأطراف العملية التخاطبية وعناصرها ( المخاطب ، المخاطب، الخطاب ، والموقف الخارجي ) وذلك تجسيدا لقصدية المتخاطبين والتي تنبني على التواصل الهادف . إضافة إلى مبحث الحجاج والذي يعد مرتكز كل خطاب يصدره متكلم ما نحو مخاطب ما باستعمال آليات حجاجية خادمة للسياق التخاطبي.<sup>14</sup>

## 2-2- علاقة البلاغة العربية بالاستلزام الحواري :

لقد تم الانتباه في الفكر العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحواري ، ليس من حيث كونها مفهوما وإنما باعتبارها إشكالا دلاليا يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب.<sup>15</sup> لقد كان السكاكي يؤمن يقينا بأن دلالة " خواص الكلام " تختلف عن دلالة تراكيبه بحكم خصيصة التركيب من جهة ، وبحكم السياق الذي توظف فيه من جهة ثانية ، ومن ثمة يولي أهمية كبيرة لمسألة "مطابقة الكلام لتتمام المراد منه على اعتبار أن العديد من العبارات اللغوية يتغير معناها بحسب السياق الذي تستعمل فيه ، الأمر الذي يجعلها تفيد معنى إضافيا جديدا إلى الدلالة الأصلية.<sup>16</sup>

أما في الدرس اللغوي الغربي الحديث فقد قام كل من " سيرل " (searle) و غرايس (grice) بتقسيم الفعل الإنجازي إلى مباشر وغير مباشر وفقا للقوة الإنجازية كما يلي :

- القوة الإنجازية : ويقصد من قوة الإنجاز ما تم تحققا بفعل : السؤال أو الخبر أو الأمر أو التحذير ، وهذا في مستوى الفعل المتضمن في القول ، ويقصد منه كذلك الآثار المترتبة عنه لدى المخاطب ، أو التي تكون سببا في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ... ، وهي صنفان :
- قوة إنجازية حرفية مدلول عليها بصيغة الجملة ( خبر ، أمر ، استفهام ، تعجب ، ... ) وهي ما تعرف في نظرية الأفعال اللغوية عند " سيرل " بالفعل اللغوي المباشر .
- قوة إنجازية مستلزمة لا تعرف من صيغة الجملة الحرفية ، وإنما يستدل عليها من مقامها وهي ما تعرف بالفعل اللغوي غير المباشر.<sup>17</sup>

## 3-الاستلزام الحواري في البلاغة العربية :

### 3-1- المقاصد بين البلاغة العربية والاستلزام الحوارى :

لم تكن القصدية حكرا على مدرسة فكرية دون أخرى ، بل كانت مفهوما مشتركا – وإن تباينت ألفاظها واستعمالاتها – بين مدارس مختلفة سواء أقديمة كانت أم حديثة .<sup>18</sup> فالمتكلم لا يستطيع أن يقصد شيئا ما إذا لم يكن يملك الإدارة والاختيار ، إذ يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه ، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها ، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط ... وإذا كان الأمر كذلك فإن قصد المرسل بوصف إرادته يؤثر في خطابه بدرجة أقوى في إنجاز الفعل اللغوي ، لاعتماده على توفر الإرادة من عدمها وكذلك في ترتيب الخطاب للتدليل عليه . وقد يتلفظ المرء بمفردات ذات دلالات معجمية ملتزما بقواعد الصرف والنحو إلا أنها لا تعني شيئا ما لم يصاحبها قصد المتكلم وإرادته وعندئذ لا بد من إرادتين : إرادة التكلم باللفظ اختيارا ، وإرادة ما يوجبه ويفتضيه من معنى .<sup>19</sup>

وفي الفكر اللغوي العربي جعل عبد القاهر الجرجاني الكلام على ضربين " ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة (...) وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يفترضه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل " <sup>20</sup> . ويقول السكاكي : " نقول متى امتنع إجراء المعاني على الأصل تولد منها ما يناسب المقام " .<sup>21</sup>

وفي الفكر اللغوي الغربي الحديث ، إن الفعل الإنجازي يقوم على تفسير الإشكال الآتي : كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئا ما بتركيب لغوي معين يحمل دلالة معينة متعارف عليها ، وهو في الوقت نفسه يريد أن يقول شيئا آخر ؟ وكيف يمكن أن يفهم المتلقي الفعل الكلامي غير المباشر مع أن ما يسمعه يدل على شيء آخر ، وفي هذا الصدد يشير " سيرل " إلى الفرضية الإنجازية في الأفعال الكلامية غير المباشرة : يستطيع المتكلم أن يبلغ المخاطب أكثر مما يقوله بالفعل استنادا إلى مقدرات المخاطب " .<sup>22</sup> فالفعل الإنجازي هو الفعل الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه ويرتبط بالقيمة العرفية للكلام (...) وتحديد هذه القيمة يعزى أساسا إلى قصد المتكلم أثناء عملية التلفظ ، ومع الفعل الإنجازي يتم تجاوز مستوى المقال إلى المقام إذ علاوة على معنى الجملة ، هناك القيمة التي يمنحها المتكلم لهذه الجملة ، والتي تكشف عن غرضه من الكلام ، ويؤشر لها غالبا بفعل من فصيلة الأفعال الإنجازية ، وفي حالة غياب هذا الأخير تقوم المؤشرات المقامية مقامه .<sup>23</sup> ومن هنا نستنتج أن القصد يعبر عنه في البلاغة العربية بالغرض وفي الاستلزام الحوارى بالقوة الإنجازية .

### 3-2- نماذج الاستلزام الحوارى في البلاغة العربية :

من الاستلزمات الحوارية في البلاغة العربية : قوله تعالى : " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " <sup>24</sup>

فالآية الكريمة تنجز فعلين لغويين مباشرين : الأمر والنهي ، غير أن المنجز للآية في السياق القرآني الذي وردت فيه ينجز فعلا لغويا غير مباشر هو الدعاء ، وهو القوة الإنجازية المستلزمة .

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) " 25

القوة الإنجازية المستلزمة لسياق هذه الآية هو : الالتماس

وقوله تعالى : وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) " 26

القوة المستلزمة لسياق هذه الآية هو التعجيز.

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ (282) وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ (283) " 27

القوة المستلزمة لسياق هاتين الآيتين هي النصح والإرشاد .

وقوله تعالى : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (187) " 28

القوة المستلزمة لسياق هذه الآية هي الإباحة .

## الخاتمة :

تتيح اللغة لمستعملها التعبير عن مقاصدهم بأساليب مختلفة على اعتبار أن الكلام يلجأ في كثير من الحالات إلى إجراءات الصياغة غير المباشرة ، بمعنى أن مستعملي اللغة يخرجون بملفوظاتهم عن الدلالة على المعنى الصريح الذي تدل عليه المواضع اللغوية إلى الدلالة على المعنى الضمني وهو معنى مستلزم يكون في حقيقة الأمر هو المعنى المقصود .

فالتواصل يعتمد على المستوى اللساني الذي يتجلى في كيفية إنتاج الكلام بوصفه حاملا لمعنى ، وعلى المستوى غير اللساني الذي يتجلى في السياق ، فهو ذلك الموقف الذي ينتج فيه الخطاب بربطه بطرفي العملية التخاطبية ( المتكلم والمتلقي ) للوصول إلى الهدف من التواصل الذي يتمثل في التأثير ويتأتى ذلك بتأثير ضمني للسياق في فهم الخطاب .

وقد ركزت البلاغة العربية على تلك الأسس التي أرساها اللغويون المحدثون في ميدان الدراسات التداولية ، لأنها تشمل دراسة الخطاب ومعالجته وتحليله وصولا إلى إبراز المعنى المقصود من إنجازه ، وهنا تبرز مواطن التلاقي بين مفهوم البلاغة ومفهوم التداولية .

ويمكننا القول أن المعنى المقصود مكن من الكشف عن نمط خاص من التواصل بنعته تواصل غير معلن ، يقوم على تفاهم خفي بين المتكلم والمتلقي . هذا المعنى تمثل في الاستلزام الحوارى بالقوة الإنجازية وفي البلاغة العربية بالعرض .

#### الهوامش :

- 1- ينظر : أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، د.ط ، 2002 م ، ص 32.
- 2- جواد ختام ، التداولية : أصولها واتجاهاتها ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2016، ص 100.99
- 3- ينظر : العياشى أدراوى ، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ودار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2011 ، ص 96.
- 4- أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، د ط ، 1987 ، ص 24 ، 25.
- 5- ينظر : آمنة لعور ، الأفعال الكلامية فى سورة الكهف : دراسة تداولية ، مذكرة تخرج ماجستير ، إشراف زهيرة قروي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010-2011 ، ص 138.
- 6- حامدة تقبايث ، البلاغة والتداولية ، فى كتاب دلائل الأعجاز ، الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو ، الجزائر ، دط ، 2013 ، ص 14.
- 7- أبى عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، ج 1 ، 1998 ، ص 116.115.
- 8- حامدة تقبايث ، المرجع نفسه ، ص 16.
- 9- هنريش بليث ، البلاغة نحو سيمائى لتحليل النص ، ترجمة : محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 199 ، ص 214 .
- 10- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1992 ، ص 89.
- 11- محمد العمري ، البلاغة العربية : أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 ، ص 214.
- 12- صلاح فضل ، المرجع السابق ، ص 89.
- 13- حامدة تقبايث ، المرجع السابق ، ص 20.
- 14- نفسه ، ص 22.

- 15- العياشي أدرابي ، المرجع السابق ، ص 25.
- 16- نفسه ، ص 26.
- 17- خديجة محفوظ الشنقيطي ، المنحى التداولي في التراث اللغوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2016 ، ص 80.
- 18- حيدر جاسم جابر الدينياوي ، القصديّة ، دار الوضاح للنشر ، عمان ، الأردن ومكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، العراق ، دط ، 2015 ، ص 32 .
- 19- نفسه ، ص 35.
- 20- عبد القادر الجرجاني دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، السعودية ، 1992 ، ص 626 .
- 21- السكاكي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ضبط : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987 ، ص 304.
- 22- خديجة محفوظ محمد الشنقيطي ، المرجع السابق ، ص 83.
- 23- ينظر : نفسه ، ص 57 .
- 24- سورة آل عمران ، الآية 08.
- 25- سورة يوسف ، الآية 43.
- 26- سورة البقرة ، الآية 23.
- 27- سورة البقرة ، الآيتان 282 . 283 .
- 28- سورة البقرة ، الآية 187.

جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

الاسم واللقب : كريمة ترغيني

الصفة : طالبة دكتوراه – سنة ثالثة –

تخصص: أدب جزائري حديث ومعاصر.

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد خيضر بسكرة

البريد الإلكتروني: [karima.terghini@uni-biskra.dz](mailto:karima.terghini@uni-biskra.dz) ، الهاتف: 0658429040

محور المداخلة : المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : الفكر الحجاجي عند صابر حباشة من خلال مقارنة بين التراث والحديث

الملخص:

شهد الدرس التداولي أبحاث عدة مرت بمراحل، أسهمت في نموه وإقامته وتكوين ملامح بلاغية جديدة في ثوب التداولية المدمجة، بحثوا في هذا الحقل البلاغي الخصب الذي استدعى ملامح عربية تراثية في الفكر الغربي، حملتها دفتي الكتب لدارسين عرب أمثال: محمد العمري- ناعوس بن يحيى- وقد خصت دراستنا بالباحث صابر الحباشة، من خلال مقارنة بين القديم والحديث واستدعاء ملامح الحجاج التراثية في الفكر العربي الحديث، تمثل أعمال الباحث صابر الحباشة، منعطفًا في الدرس المقارن في الأبحاث التي يشتغل عليها، و هو كذلك من عمد الدراسات التونسية في ميدان البلاغة الجديدة فأين يتجلى التلاقي و التقايل بين دراسته و الجهود الغربية في هذا الميدان؟

كلمات مفتاحية: صابر حباشة- التداولية المدمجة

توطئة:

شهدت الدراسات اللغوية في الحقل البلاغي قديما أو الحجاجي حديثا تلاحقا بين ملامح استدعت من جذورها قواعد لترسي عليها مبادئها وأفكارها وتقييم علما يفتات من النظيرين (العرب والغرب)وبما أن اللسانيات لها اتجاهات عدة منها التداولية فإن هذه الأخيرة كرسست اهتمامها بالسياق وبعثت اللسانيات إلى سلة

مهملات التاريخ ودراسة اللغة أثناء الإستعمال بلبوس البلاغة فكانت عتبة الدراسة بلاغة الحجاج عند الباحث صابر حباشة ورؤيته المتكاملة للفكر العربي والغربي، ومن هذا المنطلق سنتناول مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا وعن الفلاسفة، رؤية صابر الحباشة تزامنيا بين الباحثين والعرب والغرب على النحو الآتي:

### أولا: حد الحجاج في اللغة والإصطلاح:

#### **01-01- التعريف اللغوي:**

ورد في معجم العين للفراهيدي تعريف الحجاج لغويا على نحو:

(الحجاج مصدر أصلي وزنه فعّال من الفعل حَجَّ أو حاجج جاء في العين) الحجة وجه الظفر عند الخصومة. و الفعل حاججته فحججته، احتججت عليه بكذا. وجمع الحجة: حُجج. و الحجاج المصدر).<sup>1</sup>

- جاء في الصحاح (الحجة: البرهان. تقول حاجه فحججه أي غلبه بالحجة و المثل لج فحج (...)) و الحجاج و الحجاج، بفتح العين وكسرها: العظم الذي ينبت على الحاجب؛ و الجمع أحجية).<sup>2</sup>
- في التعريفات (و الحجة ما دُل به على صحة الدعوى، و قيل الحجة و الدليل واحد)<sup>3</sup> و هنا يساوي بالحجة الدليل وهي ما يقوى به الموقف، أما مجدي وهبة و كامل المهندس فيذهبان المذهب نفسه<sup>4</sup> ، و في قاموس مصطلحات اللسانيات لا نجد تعريفا للحجاج بل للحجة «في البلاغة نسمي حجة كل وسائل الإقناع التي تحدد حسب مراجعها...، كما أن الحجة هي القيمة الوظيفية للعنصر اللغوي<sup>5</sup> أما في معجمي لروس و أكسفورد فالحجة «وسيلة للإقناع»<sup>6</sup> و من هنا نجد أن الحجاج هو توظيف الحجج للإقناع عند التخاطب؛ كما يعرف شارودو (P.Charoudeau) الحجاج فيقول عنه «الحجاج نشاط قولي يقيم علاقة ثلاثية بين فاعل مخاطب و خبر عن العالم فاعل هدف»<sup>7</sup> أي هو ارتباط بين مصدر للمعلومة و متلق و نجده في معجم تحليل الخطاب «الحجاج هو صلب التصور القديم للخطابة (...)) و قد وضع هذا الأثر في المرتبة الأولى في التعريف الكلاسيكي الجديد الذي وضعه برلمان (Chaim Perlman) و ل. أ. تيتكا (L . Olbracht . Tyteca) فموضوع النظرية الحجاجية عندها هو دراسة الفنيات الخطابية التي يمكن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو عدم موافقتها»<sup>8</sup>

#### **01-02- التعريف الإصطلاحي:**

في التعريفات «و الحجة ما دُل به على صحة الدعوى، و قيل الحجة و الدليل واحد»<sup>9</sup>

- و هنا يساوي بالحجة الدليل وهي ما يقوى به الموقف، أما مجدي وهبة و كامل المهندس فيذهبان المذهب نفسه<sup>10</sup>، و في قاموس مصطلحات اللسانيات لا نجد تعريفا للحجاج بل للحجة «في البلاغة نسمي حجة كل وسائل الإقناع التي تحدد حسب مراجعها...، كما أن الحجة هي القيمة الوظيفية للعنصر اللغوي»<sup>11</sup> أما في معجمي لروس و اكسفورد فالحجة «وسيلة للإقناع»<sup>12</sup> و من هنا نجد أن الحجاج هو توظيف الحجج للإقناع عند التخاطب؛ كما يعرف شارودو (P.Charoudeau) الحجاج فيقول عنه «الحجاج نشاط قولي يقيم علاقة ثلاثية بين فاعل مخاطب و خبر عن العالم فاعل هدف»<sup>13</sup> أي هو ارتباط بين مصدر للمعلومة و متلق و نجده في معجم تحليل الخطاب «الحجاج هو صلب التصور القديم للخطابة (... ) و قد وضع هذا الأثر في المرتبة الأولى في التعريف الكلاسيكي الجديد الذي وضعه برلمان ( Chaïm Perlman) و ل.أ. تيتكا (L . Olbracht . Tyteca) فموضوع النظرية الحجاجية عندها هو دراسة الفنيات الخطابية التي نمكن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو عدم موافقتها»<sup>14</sup> فالحجاج هو منهجية إقناع العقول بدق الرؤيا المعروضة عليها في مجال محدد، كما يقول حسين العمري «إن المستوى الحجاجي في الخطاب يقوم في بنيته الفكرية على وسائل تسهم في إحداث الإقناع لدى المتلقي.... لأن الإفصاح عن الحقيقة و الدفاع عنها يمثل أعلى درجات الحجاج في وجهة نظرنا على العكس من المماثلة و المراوغة بحجج واهية أو عم طريق التلاعب بالكلمات و التحريف بما يلبي الحاجة الفئوية الضيقة»<sup>15</sup> أي إن الحجاج هنا يتعدى الإفصاح إلى التأثير المفضي إلى تغيير الرؤى و يعرفه ريك (Rieke) و سيلارز (Sillars) بالقول عنه إنه عملية عرض دعاوى تتعارض فيها الآراء مدعومة بالعلل و الدعامات التأسيسية بغية الحصول على الموالاتة لإحدى تلك الدعاوى<sup>16</sup>. على أن كل خطاب يرجى منه تأسيسه دعائم استمالية هو الحجاج
- فالحجاج هو منهجية إقناع العقول بدق الرؤيا المعروضة عليها في مجال محدد، كما يقول حسين العمري «إن المستوى الحجاجي في الخطاب يقوم في بنيته الفكرية على وسائل تسهم في إحداث الإقناع لدى المتلقي.... لأن الإفصاح عن الحقيقة و الدفاع عنها يمثل أعلى درجات الحجاج في وجهة نظرنا على العكس من المماثلة و المراوغة بحجج واهية أو عم طريق التلاعب بالكلمات و التحريف بما يلبي الحاجة الفئوية الضيقة»<sup>17</sup> أي إن الحجاج هنا يتعدى الإفصاح إلى التأثير المفضي إلى تغيير الرؤى و يعرفه ريك (Rieke) و سيلارز (Sillars) بالقول عنه إنه عملية عرض دعاوى تتعارض فيها الآراء مدعومة بالعلل و الدعامات التأسيسية بغية الحصول على الموالاتة لإحدى تلك الدعاوى<sup>18</sup>. على أن كل خطاب يرجى منه تأسيسه دعائم استمالية هو الحجاج.



## ثانيا: الحجاج التراث الغربي:

- عند اليونان: لقد مُهد للحجاج بالفكر اليوناني الرواقي و السفسطائي؛ الذين سدا العلم في اليونان و أثرا في الفكر العالمي الذي يجزم أنه من عمل السفسطائيين؛ حيث إن بلغاء السفسطائيين كانوا يساؤون بالحجاج الخطب حيث إن بروتاجوراس دابدير (Protagoras d'Abdère 480-408 a.c) الذي يقيس الوجود على الإنسان<sup>19</sup> إلى الموجود ما يفهمه الإنسان، أما الحجاجية عندهم فقد تمثلت عندهم في إجادة استعمال الحجة فحام الخصم لخدمة مصالح الأثرياء و السياسيين<sup>20</sup> أي أن الحجاج عندهم ما هو إلا توظيف الحجة لكسب المصالح، ثم يرد عليهم أفلاطون و قد كان له الأثر الثوري في مسار التحجاج، من خلال مناظرة مأثورة بين أفلاطون و أحد السفسطائيين و هو جورجياس<sup>21</sup> حول تفرقة الكلب عن الذئب يقول حمادي صمود «و من مزلة الشبه كانت خشية أفلاطون الكبرى، و لذلك بذل أوفر الجهد في محاورته، لتميز القول الفلسفي من القول السفسطائي...»<sup>22</sup> و من هنا يظهر أن الحجاج نشأ آلية يتم فيها اللجوء إلى تغليب أحد الآراء بوسائل إقناع<sup>23</sup>، ثم نجد عند سقراط نظرة أخرى إذ حجاجيته حجاجية ذات طابع تواصلية حوارية يقوم أساسا على الإقناع من خلال التحاور ذي الطبيعة تساؤلية يركز على أسئلة هادفة بتسلسل معين<sup>24</sup> أي أساس الإقناع عنده أساسا كيفية صياغة الأجوبة و يقوم الاحتجاج على ذكر الأسئلة المتسلسلة تسلسلا منطقيًا، يرد عليها تلميذه أرسطو و هو الذي أسس لجدل قائم على البرهان و تحويل الآراء في التخاطب توضح آثاره المخلفة وصله الوثيق بين الخطابة و الحجاج حيث يقول «تعد البلاغة جزء متصل بالجدل و بدراسة القيم: لذا جاز وصفها بالسياسة»<sup>25</sup> إذ هو يبين قيمة التأثير الحجاجي في البلاغة و يجعلها أي البلاغة إجادة الحجاج، كما يواصل أرسطو كلامه بالتأكيد على فاعلية الحجة في إقناعية الخطبة القضائية يقول العمري «فليس من الضروري فقط أن تجعل الخطبة في نفسها برهانية مقنعة فقط، بلبل من الضروري من الضروري أيضا أن يظهر الخطيب نفسه بخلق معين، و أن يعرف القاضي في وضع نفسي معين (...). فيظن السامعون أنه منتهى على نحو ما تجاههم، و أيضا أن يكونوا هم منتهيين على نحو معين»<sup>26</sup>.

### ثالثا: الحجاج عند الباحثين المحدثين:

بلاغة الخطاب و علم النص الصادر 1992م من أوائل الكتب التي فصلت القول في بلاغة الحجاج و عد بيرلمان رائد البلاغة الجديدة في الغرب، و قد جاء اهتمامه بالحجاج في سياق حديثه عن الإتجاهات البلاغية الجديدة في الغرب خاصة منذ نهاية عقد الخمسينات، و رغم أن اهتمامه كان متعلقا بإتجاه (البلاغة البنيوية) إلا أن ذلك لم يمنعه من الوقوف مطولا مع الإتجاهين الآخرين و أقصد بذلك الإتجاه التداولي و إتجاه بلاغة

الحجاج والبرهان والذي يمثله بيرلمان وأطلق عليه مصطلح البلاغة الجديدة La Nounelle Rhetorique أول مرة سنة 1950م.<sup>27</sup>

اشتمل هذا العمل على ست مقالات تخصصت كل واحدة منها في دراسة جانب مهم من جواني النظرية الحجاجية الغربية، فكانت المقالة الأولى لحماي صمود بعنوان (مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح) وكانت الثانية لهشام الريفي بعنوان (الحجاج عند أرسطو)، أما الثالثة فكانت لعبد الله صولة بعنوان (الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتيكا والرابعة لشكري مبخوت بعنوان نظرية الحجاج في اللغة ، ثم مقال من خلال نظرية المساءلة لنيشال ميار وآخر هذه المقالات كانت لمحمج النويري بعنوان الاساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج.<sup>28</sup>

### ثالثا: الحجاج في فكر صابر حباشة دراسة مقارنة:

طرح صابر حباشة تعريف التداولية المدمجة حسب المعجم الموسوعي للتداولية، بكونها نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في السنة اللسانية، (معجم اللسان Langue) عند دي سوسير 1968م وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تتدرج في الأقوال فكيف تأويلها وفق غاية المتكلم.<sup>29</sup>

عرف صابر حباشة بين معنيين للفظ الحجاج Agumentation :

المعنى الفني /الإصطلاحي	المعنى العادي
الحجاج	/

الحجاج الفني مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجة scalaire إذ قابلة للقياس بالدرجات أي أن تكون واصلة بين السلالم .

وأن مفاهيم السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية. سواء أحددت هذه العلاقة لسانيا أو اندرجت تداوليا. إنه ضمن الحجاج بمعناه الفني . نفهم امكانية الدفاع عن أطروحة أولوية الحجاج على الإخبار<sup>30</sup>

بالمقابل ذكر الفكر الغربي بقلم وتصور شارل موريس Charles W.morris، الذي عد التداولية هي العلم الذي يدرس العلاقات بمؤوليتها وهذا التعريف الأولي للتداولية ويفرق موريس بين التداولية الخالصة والتداولية الوصفية، ونعت الخالصة يعود على تطوير لغة حيث يكون لحديث فيها عن البعد التداولي للسيميوريس Semiosis.<sup>31</sup>

مفهوم القاعدة التداولية عند موريس: أورد قاعدتين :

القاعدة الدلالية	القاعدة التركيبية
تربط الصلة بين العلامات وأشياء أخرى	تحدد العلاقات بين الحوامل

لقد توقع موريس منذ سنة 1938م المنعطف الذي ستتخذه البحوث اللاحقة المنزع العام يتمثل في البحث المتخصص سواء في التركيب أو الدلالة أو ميدان إلى أولية الأرحب لذلك لم يعد ثمة تركيز زائد على العلاقات فيما بين هذه الاختصاصات ضمن الدلائلية وغالبا، ما يقدم المعلقون تقدم البحث على أنه بناء انطلاقا من التركيب تتضاف إليه وجهة النظر الدلالية أو التداولية.<sup>32</sup>

نحو تداولية صورية برنامج صورية برنامج ستالنكير في 1972م:

علم الدلالة هو دراسة القضايا PROPOSITIONS أي دراسة مواضيع تمثل شروط حقيقية تنطلق في العادة من العالم الواقع ولكن من الملائم مكان تقييم لا فقط الحالة الراهنة للعالم ولكن حالات ممكنة له. وهو ما سميناه (عوامل الممكنة) .

للتداولية مهمتان:

- تحديد الأعمال اللغوية المهمة وذلك هو تحليل الأعماء المتضمنة في الأقوال.
- تعيين خصائص سياق التلفظ الذي يحدد أي القضايا يعبر عنها جملة معطاة.

وإننا نزع محاولة توظيف بعض المقاربات في إنارة قراءة شروح التلخيص قراءة معاصرة تركز على البعد التداولي في هذا المتن البلاغي. ويعد مصنف فرانسوا أرمنغو محاولة لاقتناص أكثر فرص المسلك التداولي بخيلاط المشهد التداولي المهمة ، أقامت كتابها على عرض أهم المقاربات التداولية عرضا تاريخيا ما أمكنها ذلك الحال

برنامج هانس: وحد بين اجزاء التداولية توحيدا نسقيا مراعي التمهصل بين مختلف تلك الأجزاء يميز هانس بين ثلاث درجات في التداولية (درجات)ويمكن القول ان السياق يغتني ويتعد من درجة إلى أخرى

- تداولية الدرجة الأولى: الرموز الإشارية العبارات الغامضة نسقيا عبارات معناه غامض ومرجعها يتنوع نسقيا حسب ظروف استعمالها اي حسب سياق اللفظ.
- تداولية الدرجة الثانية: هي دراسة الطريقة التي تتصل فيه القضية المعبر عنها بالجملة المنطوقة ..انه سياق معلومات ومعتقدات مشتركة ومع ذلك فانه ليس سياقاً ذهنيا ولكنه سياق يعبر عنه بألفاظ العوالم الممكنة .

- تداولية الدرجة الثالثة هي الأعمال اللغوية ويتعلق الأمر بمعرفة ما يتم انجازه عبر استعمال الأشكال اللسانية .

كما كتب شنال (Schanelle) منذ 1973 أن السياق هو الذي يحدد ما إذا كان الملفوظ جاد قد يتم انجازه وليس مزحا.<sup>33</sup>

### التداخل بين النحو والبلاغة:

أشار الباحثون المستعربون إلى التطابق بين التحليل البلاغي في علم المعاني والتحليل النحوي للمبحث ذاته، إقرار بوطأة المنهج النحوي الذي تركز فجعل علم المعاني اختصاصا ضيقا لا يبلغه الباحث إلا بعد ترسخ قدمه في آليات التحليل النحوي.<sup>34</sup>

في حين يوجد باحث عربي معاصر ارتأى أن اختلاط مسائل النحو بمسائل علم المعاني، قد أضر بالبلاغة من جهة كونه يقيم تعارضا صميما بين البلاغة بما هي الكلام الجميل دراسة الكلام الجميل والنحو بما هو دراسة الكلام السليم .

أورد "صابر الحباشنة" تصريح الباحث بقوله: (ولعلي أكون أكثر صراحة حين أدعو إلى تنحية علم المعاني عن كيان البلاغة لتحفظ البلاغة بتجانسها وصفائها ووظيفتها الجمالية التي تختلف عن وظيفة النحو القائمة على السلامة اللغوية).<sup>35</sup>

المستعربون يعتبرون البلاغيين على تقارب كبير وتوافق شديد مع النحاة، غير أن ذلك لم يطمس بعض التميز لديهم، في حين يرى د.صلاح عيد أن ارتباط البلاغة بالنحو عند عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ (دلائل الإعجاز) مرورا بفخر الدين الرازي (ت 606هـ) وصولا إلى السكاكي (ت 626هـ) والخطيب القزويني (ت 739هـ) قد شل الأصيل في جماليات الأسلوب وذلك بتسليط منهج النحاة على مباحث البلاغة ولم تكف محاولة القرطاجني في منهاج البلغاء في الفصل بين مجالي النحو والبلاغة ولا جهد ابن خلدون في المقدمة في ربط النحو بمجاله الأصلي وهو الإعراب . فكأن التداخل بين مباحث العلمين يعد خلطا عند د.صلاح عيد لا سيما إذا تعلق الأمر باستبدال النحو بالبلاغة<sup>36</sup>

غير أن (بوهاس) وجماعته يرون أن أسباب تاريخية تكمن خلف هذه الظاهرة فقد حاولت البلاغة فقد حاولت البلاغة التخلص في سيطرة النحو بل أكثر من ذلك إذ يقرر المستعربون أن لعلم المعاني نزعة الحلول محل النحو بالقوة (لا بالفعل) في دلائل الإعجاز الجرجاني تلمح إلى ذلك تلميحا، أن هذه النظرة ولدت في نظر بوهاس

وجماعته متأخرة جدا (القرن الخامس للهجرة) وهي عاجزة على زعزعة النحو من مكانته التي ابتناها منذ أواخر القرن الثاني للهجرة.<sup>37</sup>

فرق صلاح عيد بين البلاغة وهدف النحو هو أساس دعوته إلى تحية علم المعاني من البلاغة.

● مقارنة منهج البلاغيين بالنحاة:

يشير جورج بوهاس وجون بول غيوم وجمال الدين الكلبي إلى التقاليد العربي في علم البلاغة معرجين على القزويني صاحب "تلخيص المفتاح" للسكاكي (الباب الثالث) وهو المصنف الذي فتح عهد الشروح والحواشي العزيرة في اختصاص البلاغة و يشير المستعربون إلى استقراء البلاغة علما يتفرع إلى ثلاثة علوم:

- علم المعاني (النحوية)
- علم البيان (بلاغة الصور)
- علم البديع (علم تزيين الخطاب)

ونلاحظ التسمية التي اقترحوها للعلمين الثاني والثالث تذكرنا ببعض أقسام الريطوريقا في التقاليد الغربية، إذ يتحدث تودوروف عن أقسام البلاغة مشيرا إلى المصنفات (البلاغية/الخطابية) تقسم إعداد كل خطاب إلى خمس فترات: الترتيب-الابتكار- الإلقاء- التذکر- النطق\*أو التلفظ\*<sup>38</sup>

تودوروف		
الإبتكار	الترتيب	الإلقاء
البيان	البديع	الجنس الأدبي /الأسلوب

● الثالث: النحو والبلاغة والتداولية:

ورد في كتاب لنص والسياق لفان ديك: (وكان ينبغي أن نخصص أيضا كيف أن التراكيب الصرفية الشكلية ترتبط بالبنيات الدلالية السيمانطقية). يذكرنا بما أورده الزمخشري في كتابه (الكشاف) "إن زيادة في البناء زيادة في المعنى" والفرق بين المقولتين أن الإشارة التي جاء بها للتدليل على علاقة جدلية عموما بين المستوى الشكلي والدلالي في حين رؤية الزمخشري تتعلق بحمل الجذر معنى أصليا يظل محفوظا في كل الصيغ التي يوضع فيها، وتنضاف إلى المعنى الأصلي معان صيغية تختلف باختلاف الصيغة،

الزمخشري	فان ديك
استقراء اللغة العربية.	إثبات القرابة / علاقة بين البنية الصرفية

- فكرة فان ديك حول النحو والبلاغة في قوله: إن صياغة القواعد التداولية من علم النحو تعني أن أكثر مثل هذا النحو ان يفسر ليس فقط القدرة على تركيب العبارات في بعض المواقف التواصلية استخداما مطابقا وتسمى القدرة على استخدام مثل هذه العبارات في بعض المواقف التواصلية يبدو فان ديك اعطى دورا بلاغي للنحو فانتقاء العبارات المناسبة للمقام يدخل في إطار اهتمام بلاغي للنحو. فيما نقدر إذا مراعاة مقتضى الحال ومناسبة المقال للمقام.<sup>39</sup>
- بارية سمي الاتجاه بـ (اكساب النحو صبغة بلاغية) هو الذي ذهب إليه فرنسوا راسيتي الذي كسر الحواجز بين النحو والبلاغة يعني من جهة إكساب النحو مساحة تداولية على رأي التداولية المدمجة.
- ويبدو أن فان ديك يترواح موقفه بين النحو الضيق والنحو المنحصر فقط في علم التراكيب وبين النحو بمعناه الواسع الذي يندرج فيه المكون الدلالي وشروط التأويل الناتجة عن معرفة العالم الدلالية وكذا كلم السيمانطيقا الكلي ثم يقرر ان يختار النحو بمعناه الواسع معللا ذلك بانه يمكنه من تعليل عدد كبير من ضروب التعميم (في كل من الجمل والخطاب) في حدود الإطار النحوي نفسه.<sup>40</sup>
- الخاتمة:

- ❖ لم يحل الطابع الفلسفي للحجاج دون تحوله إلى إستراتيجيا خطابية.
- ❖ تشير الدراسات إلى تعدد مشارب الدراسات الحجاجية و تنوعها و ذلك تبعا البيئة الأصل التي نشأت فيها.
- ❖ قدم الباحث صابر الحباشة جهدا في الدراسات الحجاجية المقارنة.
- ❖ نلحظ نزوع الحباشة إلى تأصيل الدراسات الغربية و إثبات تجذرها في علوم العربية.

### الإحالات و التهميشات:

<sup>1</sup>- أبو بكر الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2002، 1، ص 286

<sup>2</sup>- أبو الحسن نصر بن حماد الجوهرى: الصحاح و تاج العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1956، 1، ج 1، ص 304.

<sup>3</sup>- الشريف الجرجاني: التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ط 73، ص 73.

- 4 - مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة، لبنان، بيروت، لبنان، ط 1984، ص 2، ص 144
- 5 - Voir: Jean du bois et autre: dictionnaire de linguistiques, Larousse bordas, Québec, Canada, Édition 1, 1992, p 107
- 6 - Larousse dictionnaire de français, Larousse, Malesherbes, France, s e; 2015, p 24
- 7 - ينظر باتريك شارودو: نظريات الحجاج، تر أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 2009، ص 1، ص 14-15.
- 8 - باتريك شارودو و آخرون: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري حمود صمود، دار سنتارا لمركز الوطني للترجمة، تونس، تونس، ط 2008، ص 69
- 9 - الشريف الجرجاني: التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ط 2007، ص 73
- 10 - مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة، لبنان، بيروت، لبنان، ط 1984، ص 2، ص 144
- 11 - Voir: Jean du bois et autre: dictionnaire de linguistiques, Larousse bordas, Québec, Canada, Édition 1, 1992, p 107
- 12 - Larousse dictionnaire de français, Larousse, Malesherbes, France, s e; 2015, p 24
- 13 - ينظر باتريك شارودو: نظريات الحجاج، تر أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 2009، ص 1، ص 15-14
- 14 - باتريك شارودو و آخرون: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري حمود صمود، دار سنتارا لمركز الوطني للترجمة، تونس، تونس، ط 2008، ص 69
- 15 - حسين العمري: الخطاب في نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2010، ص 285-286
- 16 - عمارية حاكم: الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي-الحجاج بن يوسف الثقفي أنموذجاً، رسالة ماجستير، قسم اللغة و آدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، 2007، ص
- 17 - حسين العمري: الخطاب في نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2010، ص 285-286
- 18 - عمارية حاكم: الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي-الحجاج بن يوسف الثقفي أنموذجاً، رسالة ماجستير، قسم اللغة و آدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، 2007، ص 135
- 19 - ينظر فيليب بروتون جييل جوتيه: نظريات الحجاج، تر محمد الصالح ناحي الغامدي، مركز النشر العالمي، جدة، السعودية، ط 2011، ص 20
- 20 - ينظر جميل حمداوي: نظريات الحجاج، دار الألوكة، ط 2007، ص 11
- 21 - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج.. أفلاطون و أرسطو و شايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ع 40، م ج 2، ص 10-21
- 22 - عبد القادر الريفي: الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج تنسيق حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس، ط 2011، ص 51-51
- 23 - أمينة الدهري: الحجاج، شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 2001، ص 823
- 24 - عبد الله البهلول: الحجاج الجدلي، د ن، د ب، ط 2013، ص 42-54
- 25 - أمينة الدهري: الحجاج، ص 25
- 26 - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2002، ص 33
- 27 - الطيب رزقي، البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق الشيخان، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في اللغويات، اشراف حسن كاتب، 2017، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، ص 59.
- 28 - المرجع نفسه، ص 60.
- 29 - صابر حياشة، الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي، المراجعات، ثقافات، 2011، ص 03
- 30 - المرجع نفسه، ص 03.
- 31 - المرجع نفسه، ص 03.
- 32 - المرجع نفسه، ص 04.
- 33 - المرجع نفسه، ص 05.
- 34 - المرجع نفسه، ص 06.
- 35 - المرجع نفسه، ص 06.
- 36 - المرجع نفسه، ص 06.

- 
- 37- المرجع نفسه، ص06.  
- المرجع نفسه، ص07<sup>38</sup>  
- المرجع نفسه، ص10.<sup>39</sup>  
40- المرجع نفسه، ص10.



جامعة محمد خيضر- بسكرة-  
كلية الآداب واللغات  
قسم الأدب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية  
الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث  
يومي : 09 – 10 ماي 2022  
استمارة المشاركة

الاسم واللقب : هاجر عاشور

الصفة : طالبة في السنة الثانية دكتوراه ( ل م د ) تخصص اللسانيات العربية  
مؤسسة الانتماء : جامعة الدكتور يحي فارس -المدية -الجزائر

الهاتف والبريد الالكتروني : 05.41.80.29.10 [lisaniyath@gmail.com](mailto:lisaniyath@gmail.com)

محور المداخلة : المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : البلاغة الجديدة من التنظير الغربي إلى التلقي العربي -مقاربة وصفية  
لملابسات التلقي-

الملخص :

لم تُعدّ اللسانيات الحديثة حكراً على الثقافة اللغوية الغربية فحسب، بل أصبحت مُنتشرة في الثقافة اللغوية العربية، لاسيما بعد تقبل مبدأ أنّ الفكر الإنساني يقوم على التراكم المعرفي وتبادل الثقافات اللغوية، فتفتن الباحثون العرب إلى أهمية الإطلاع على الأفكار اللسانية وأهميتها، إلا أنّ تلك المفاهيم لم تُعرف كلها ولم يُكتب لها الذبوع لإحتوائها على الأبعاد الفلسفية أو التمسك الشديد بالمفاهيم الأصيلة للتراث، وتعدّ البلاغة الجديدة نموذجاً للخطابات اللسانية التي تمّ استخلاصها من أفكار أرسطو وتمّ تطويرها من أجل تحليل الخطاب وتأويله، فعدت مرجعاً علمياً، وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة المحور الرابع من الملتقى والمتعلق بمسألة نقل الإجراءات المنهجية للبلاغة الجديدة من البيئة الغربية إلى البيئة العربية وتحديد مقاربات وملابسات تلقي آليات هذا العلم وتسييل الضوء على بعض النماذج التي ساهمت في وصول مضامينه للثقافة اللسانية والنقدية العربية.

### Summary

Modern linguistics is no longer restricted to Western linguistic culture only, but has become widespread in the Arab linguistic culture, especially after accepting the principle that human thought is based on the accumulation of knowledge and the exchange of linguistic cultures. Not all of them were known and were not widely reported because they contain philosophical dimensions or adherence to the original concepts of heritage. The new rhetoric is a model for linguistic discourses that were extracted from Aristotle's ideas and developed in order to analyze and interpret the discourse, so it became a scientific reference, and this study aims to address the fourth axis of The forum related to the issue of transferring the methodological procedures of the new rhetoric from the Western environment to the Arab environment, defining the approaches

and circumstances of receiving the mechanisms of this science and highlighting some of the models that contributed to the arrival of its contents to the Arab linguistic and critical culture.

### مقدمة :

لقد هيمنت البلاغة التقليدية مدة من الزمن وكانت مناهجها تُطبَّق في تحليل مُختلف النصوص ، وتغيَّر مسار الدِّراسات البلاغية مُنذ ستينيات القرن العشرين ، حيثُ ظهرت دراسات جديدة ميَّزت الدرس البلاغي عن البلاغة المعيارية ، إذ شكَّلت المفاهيم الأرسطية تغيِّرا واضحا وقطيعةً في تناول الخطابات وتحليلها ، وقد حدث هذا بعد إطلاع ثلثة من الباحثين على مفاهيمه وتطويرها كما سمحت أعمالهم بالكشف عن التصور الحقيقي للبلاغة وتحليل الخطابات وفق طرق مغايرة كليا ومفاهيم مُبتكرة ، فرسموا المنحى الجديد للبلاغة يقتربُ إلى الجانب التداولي pragmatique والنظر في الحجاج وطرق الإقناع منه إلى الجانب المعياري normative . ومنذُ تلك اللحظة تعيش المحافل النقدية والبلاغية وحتى اللسانية على أفكار البلاغة الجديدة وتصوراتها الحديثة ، كما تشهد تطورات ملحوظة تشكِّل على إثرها مجموعة من التراكمات المعرفية والمنهجية التي تدل على نجاعتها وفعاليتها .

هذا وقد حاول بعض الباحثين العرب تعريف المتلقي بالبلاغة الجديدة من خلال حركة الترجمة أو النقل إلا أنه أخذ أشكالا وصور متعددة وتحكَّمت فيه مرجعيات مختلفة ، وهناك من تجاوز ذلك إلى تطوير البلاغة العربية من خلال إعادة قراءة البلاغة العربية التراثية والكشف عن محاور التلاقي بينهما ، وعليه سنسلط الضوء على انتقال البلاغة الجديدة إلى الفكر العربي وتحديد ملاسبات التلقي موضوعا ومفهوما .

### أولا : مفهوم البلاغة العربية :

لا يختلفُ إثنان على أنَّ مفهوم البلاغة من المفاهيم التي تعددت حولها التعاريفُ كثيرا من اللغويين والمتكلمين والنقاد ، إذ تباينت مفاهيمها بتباين اتجاهات دارسها ، فكلُّ إهتم بجانب أو زاوية معينة من البلاغة وعرَّفها وفق ذلك المنطلق ، بل لو بحثنا في المصطلح ذاته لوجدناه لم يسنو على سوقه من بداية الدرس البلاغي العربي ، حيث عبَّر عنه بإسم "علم البديع" على نحو ما فعله ابن المعتز وشمل مؤلفه مباحث علم البلاغة وخصصه لفن الشعر ، وهناك من أطلق عليه اسم "علم البيان" على نحو ابن وهب والجاحظ ، ومن بين التسميات أيضا لفظة "الصناعة" كما هو عنوان كتاب أبي هلال العسكري "الصناعتين" .

ومهما تعددت واختلفت المفاهيم لمصطلح البلاغة إلا أنَّ هناك جامعا يضمُّ هذه التعريفات بينها ، ويتمثل هذا الرابطُ في أنَّ البلاغة تُعنى بدراسة استعمال اللغة في مواقف وسياقات معينة ، ومطابقة تلك الأقوال لتلك المقامات وكما تهتمُّ باستعمال الكلام وعلاقته بالمتكلم والسامع معا .

فيعرفها الجاحظ بتعريفات متعددة ومختلفة ، بحيث شملت تعاريفه على مفهوم البلاغة عند مختلف الأُمم فيقول في كتابه البيان والتبيين<sup>1</sup> :

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ ، قال : معرفة الفصل والوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح أقسام واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وتُبيِّن هذه التعريفات مدى إختلاف مفاهيم البلاغة عند مختلف الحضارات ، أمَّا بالنسبة للتعريف العربي فيأخذه حين سأل أمير المؤمنين عن البلاغة فقال : " ما تعدون البلاغة

فيكم؟ قال الإيجاز ، قال له معاوية : وما الإيجاز؟ قال صحار : أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ ، فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صحار؟ قال : اقلني يا أمير المؤمنين ألا تبطئ ولا تخطئ" <sup>2</sup>.

ويبدو أن الجاحظ يتجاوزُ هذا التعريف التقليدي الذي يحصر البلاغة في الإيجاز ، حيث يرى أن البلاغة هي إيصال المعنى بألفاظ تدل تمام الدلالة على تلك المعاني ، لذلك نجده يقول : " أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتغيير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الصيغ وجودة السبك" <sup>3</sup> . وبالتالي أساس البلاغة عند الجاحظ ليس الإيجاز في القول ولا المعاني لأنها معلومة عند كل متكلم ، بل حسن اختيار الألفاظ وصحة نطقها واسنادها بعضها إلى بعض ، وعلى هذا الاعتبار فإنه يفضل الألفاظ على المعاني .

ويعرفها أبو هلال العسكري : "بأنها كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه كتمكنك في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن" <sup>4</sup> . والواضح أن أبا هلال العسكري قد نحا نفس اتجاه الجاحظ ، فالبلاغة عنده تبليغ المعاني للسامع في معرض حسن وصورة مقبولة ، وهذا يعني أن تكون الألفاظ واضحة وبيّنة في دالاتها على المعاني .

ومما تجدرُ الإشارة إليه أن الجرجاني في تناوله للبلاغة لم يفضل اللفظ على المعنى ولا المعنى على اللفظ ، فقد جعل للثنائيتين { اللفظ والمعنى } وزن وقيمة في نظم الكلام ، بل يردّ على من اعتقد أن البلاغة تكمن في اللفظ وحده ويظهر ذلك في قوله : "ومن البين الجلي أن التباين في هذه الفضيلة والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة ليس مجرد اللفظ ، كيف والألفاظ لا تقيد حتى تؤول ضرباً خاصاً من التأليف ويعند بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب ، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه فرغ المعنى ... أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان" <sup>5</sup> . ويتضح من هذا كله أن البلاغة تتم باللفظ والمعنى كلاهما معاً .

### البلاغة والفصاحة :

يحضرُ مفهومُ الفصاحة في عددٍ من التعريفات الاصطلاحية للبلاغة ، وكثيراً ما تلتبس لفظة الفصاحة بالبلاغة عند البلاغيين فيوظفونهما بمدلولين مختلفين قد يصلان إلى حد التباين والتقابل أحياناً ، وقد يوظفونهما بمدلول واحد أحياناً أخرى ، ومن مظاهر صعوبة الفصل بين المصطلحين خاصة في الإستعمال دخول أحد المصطلحين في تعريف المصطلح الآخر ، فيقول ابن منظور في شأن الفصاحة : " أنها البيان ، وتقول رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ ولسان فصيح أب طلق ، وفصح الأجمي بالصم تكلم العربية وفهم عنه" <sup>6</sup> ، ونستنتج من كلامه أن الفصاحة تقابل البيان والإفهام ، وهذا وقد يحدث أن توظف الفصاحة في شرح مفهوم البلاغة ، فقد أورد الجاحظ كلاماً للعتابي يعرف فيه البلاغة أنها كل ما أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق ، قال : فقلت له لقد عرفنا الإعادة والحبسة فما الاستعانة؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه يا هناه ، ويا هذا ويا هيه ، اسمع مني واستمع ألي وافهم عني ، أولست تفهم أولست تعقل ، فهذا كل ما أشبهه عي وفساد <sup>7</sup> ، ويُفهم من هذا أن العتابي قد عرّف البلاغة بمنظور الفصاحة فهي الإفهام وإيضاح الكلام ، ولئن قصر العتابي الحكم على البلاغة والفصاحة بالترادف فإن من البلاغيين من وسع هذا الحكم وما يؤكدُ هذا الرأي ما ذكره أبو هلال العسكري في سياق تعريفه للبلاغة يقول:

"الفصاحة والبلاغة يرجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له وقال بعض علمائنا الفصاحة تمام الة البيان ... والدليل على ذلك أن الألتغ والتمتاع لا يسميان فصيحين لنقصان التهما عن إقامة الحروف ... فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفين " 8

وعلى الرغم من أن هذين اللفظين قد استعملا على أنهما نفس المدلول فإن هناك من البلاغيين من حاول الفصل بينهما ، حيث يذكر ابن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة : أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصف الألفاظ مع المعاني ، فلا يُقال في كلمة واحدة لا تدلّ على معنى بفضل على مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كلّ فصيح بليغ كالذي يقع فيه الاسهاب من غير موضعه<sup>9</sup> ، ويبدو من خلال هذه المقارنة التي وضعها ابن سنان الخفاجي أن الفصاحة متخصصة بالألفاظ أما البلاغة فهي خاصة بالمعاني

أما السكاكي فلم يشدّ على هذا الصنيع حيث جعل الفصاحة في قسمين فيذكر : أما الفصاحة فهي قسمان راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وراجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربيّة أصيلة وعلامة ذلك أن تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر مما أخذها المولّدون ولا ممّا أخطأت فيه العامة وأن تكون أجرى على قوانين اللّغة وأن تكون سليمة من التنافر<sup>10</sup> .

ويتضح من هذا كلّهُ أنّ الفصاحة عند هؤلاء البلاغيين هي ما كانت ألفاظها سليمةً وبعيدةً عن الغموض واللبس ، وقد اهتم الجاحظ وبعض من جاء بعده بوضع شروط الفصاحة منها عدم تنافر الحروف وخلوصها من الغرابة بالموازاة مع كلام العرب

إلا أنه ما ينبغي التنبيه إليه في قضية التمييز بين هذين المصطلحين أن الجرجاني قد استعمل الفصاحة بمعنى البلاغة ، فالألفاظ لا تتفاضل بينها ولا مزية لكلمة على كلمة أخرى وهذا هو الصحيح ، ويحسن بنا المقام بذكر ما ورد في كتابه يردّ فيه على من وصف الألفاظ بالفصاحة : "ولم يعلموا أنّ المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أنّها في اللّغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر وأنّها أجرى على مقاييس اللّغة والقوانين التي وضعوها"<sup>11</sup> ، والواضح أن الجرجاني قد حافظ على المعنى الحقيقي للفظ الفصاحة المستعمل عند النحويين والتي تدلّ على ما كان موافقا لمجاري العرب في كلامهم ، وبالتالي مهما كانت اللفظة فهي صحيحة حتّى ولو كانت غريبة ، فلا مزية للفظ على بقية الألفاظ ما دامت أنّها مُستعملة ووفق مقاييس العرب ، لذلك يجعل من الفصاحة والبلاغة شيئا واحدا لأنّها ببساطة ليس صفة للألفاظ المعزولة عن التركيب فالبلاغة تظهر في كلام القائل وكيفية نظمه للكلام .

ثانيا : نشأة البلاغة :

من المسلم به ابتداء أنّ العلوم مهّما اختلفت فهي لا تنشأ من العدم ودفعة واحدة بل هي حصيلة تطور مستمر من التأمّلات والنظر حتّى يتوصل إلى كنه الشيء وبعض المفاهيم ، وعلم البلاغة طبعا لم يتأسس من العدم فلا بدّ وأن يكون سبقته بعض الإرهاصات والملاحظات الأولى ، ولاشكّ أنّ البلاغة قبل أن تكون علما له ضوابطه وأصوله المعرفيّة كانت فنا ، فالمعروف عن العرب في الجاهلية أنّهم أمة فصاحة وبراعة في فن القول ، وقد تنافس الشعراء في مختلف الموضوعات المتداولة آنذاك كالصلح والفخر والحماسة ، وتولى من شهد له ببراعته بالحكم والفصل بين الشعراء ، وإن كانت تلك الأحكام لا تستند إلى أسس علمية بقدر ما هي انطباعات عفوية تمسّ اللّغة والأسلوب والألفاظ والتراكيب والمعاني ، كما يحسن بنا المقام للاستشهاد بالقصة المشهورة التي تُروى عن النابغة الذبياني الذي كان تُنصب له خيمة يحكم فيها بين

الشعراء ، فحكم مرة بين الخنساء والأعشى وحسان بن ثابت ، وقال للخنساء : لولا أن أبا بصير -أي الأعشى- أنشدني فبلك لقلت أنك أشعر الجن والإنس ، فقال حسان : أنا أشعر منك ومن أبيك ، فقال النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي  
وإن خلت المنتأى عنك واسع  
فخنس حسان وتراجع<sup>12</sup> . ويبدو من هذا المقتطف أن بداية البلاغة العربية اقتصر على الآراء الانطباعية واقتصر على استغراق الأخطاء النحوية والأسلوبية .  
والتسعت دائرة الاجتهاد فيها لما ظهر الدين الإسلامي ، فالقرآن الكريم يمثل بحق الدافع الأساسي للنهضة الفكرية الإسلامية ، وقد أعجز العرب ببلاغته الساحرة واستخدامه للتعابير المجازية واستعماله لصور بيانية جديدة ، ولم تعد الدراسات البلاغية مقصدا لذاتها كما كانت في العصر الجاهلي بل صار الهدف منها فهم بلاغة القرآن الكريم وسر رونقه اللفظي والأسلوبي ، ولعل أقرب ما يوضح ذلك محاولة أبي عبيدة صاحب كتاب "مجاز القرآن" فقد احتوى مؤلفه هذا على المظاهر البلاغية من تشبيه واستعارة ومجاز الموجودة في الآيات القرآنية .  
في حين ترجع المحاولات العلمية الحقيقية إلى العصر العباسي حيث اهتم العلماء بقضية سر الإعجاز في القرآن الكريم وبعده الإمام عبد القاهر الجرجاني رائدا في هذا الميدان ، ويرجع الفضل له في تأسيس هذا العلم والذي مزج فيه بين اللفظ والمعنى وبين النحو البلاغة وذلك في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وقام بتعريف جملة من المصطلحات البلاغية كالاستعارة والكناية والتمثيل وغيره من المفاهيم . فعلى العموم كانت نظرة الجرجاني للبلاغة نظرة كلية وشمولية فلا نراه يقيم تصنيفا ولا تقسيما ولم تعرف البلاغة العربية تلك التفرعات الشكلية والحدود المنطقية إلا مع أبي يعقوب السكاكي في القرن السابع هجري والذي خالف فيه الجاحظ والجرجاني وغيرهم فجعل البلاغة قسامين علم المعاني وعلم البيان ولم بدرج البديع ضمن مصافهما .

ويمكن القول بعد هذا العرض التاريخي الموجز أن البلاغة العربية في عمومها كانت بمثابة سليقة عفوية حيث تشكلت عند العرب في العصر الجاهلي باعتبارها ملكة فطرية متصلة بفعالية الإتصال ، فكانت ملكة تظهر في إنتاج الكلام إمتاعا وإقناعا ولما ظهر الإسلام نزل القرآن الكريم فتحوّلت هذه الملكة إلى وظيفة الوصف ، وإذا كان الحجاج في مفهومه العام طريقة صناعة اللغة وتعتمد تلك الصناعة على تقوية فكرة المتكلم بمجموعة من البراهين والحجج بغية الانتصار لفكرة معينة فقد ساعدت العوامل السياسية والاجتماعية على تطور مثل هذه الصناعة لاسيما القرآن الكريم الذي يُعتبر نصّا حجاجيا بامتياز على اعتبار حفاظه على فكرة واحدة {التوحيد} بالإضافة إلى أنه مشحون بأساليب بيانية وبلاغية لم يستطع العرب مضاهاتها فكل تلك الخلفيات جعلت من البلاغة علما مستقلا بذاته له مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة.

### ثالثا البلاغة الجديدة :

إذا كان أرسطو الفيلسوف قد أحدث تغييرا في البلاغة اليونانية حينما اعتبر البلاغة علم ينتمي إلى مصاف العلوم الاستدلالية وموضوعها هو الإقناع ، وبالتالي جعل منها علما له ضوابطه فإن الباحثين بعد منتصف القرن العشرين قد أحدثوا بما يمكن أن نعتنه بالثورة البلاغية الثانية وتتمثل تلك الثورة في وضع نظرية بلاغية تختلف في تصوراتها ومناهجها التحليلية عن البلاغة السابقة ، وتتجلى هذه النظرية الجديدة التي تم اقتراحها بوضع مناهج وأهداف جديدة حيث انتقلت البلاغة في القرن العشرين من الوصف الشكلي للخطابات الأدبية وصور البديع والبيان إلى الإهتمام بالجانب الإقناعي والحجاجي للخطابات ، ومنذ تلك اللحظة والبلاغة الجديدة تشهد مزيدا من التطور والضبط .

فالبلاغة الجديدة اليوم وبعد مرور فترة من الزمن على ظهورها تملك جملةً من المفاهيم والمناهج التحليلية للخطابات بحيث تجاوزت بعض الأمور وانتقدتها على غرار الغلو والإفراط في التصنع التتميق اللفظي والجانب الجمالي الشكلي ، أمّا بعضها الآخر فيعدُّ من أساسيات البلاغة الجديدة وأهمُّها التركيزُ على آلية الإقناع والحجاج .

وفي الواقع أنّ البلاغة الجديدة تقومُ على منطلقات فلسفية وفكرية تختلف عمّا انبثقت منه البلاغة الكلاسيكية ، فقد وجد أقطاب البلاغة الجديدة في الفلسفة الأرسطية ركيزةً ومنطلقاً مهماً بسبب ما تحمله تلك الأفكار من أسس فكرية يمكن استثمارها ، وبالفعل أخذ البلاغيون الجدد عن أرسطو الفكرة المرتبطة بالخطابة فأرسطو يُعدُّ المؤسس السابق للدرس البلاغي . وفي هذا الصدد يذكر رولان بارت حول المصنفين الذي ألفهما أرسطو وهو يقصد فن الخطابة والشعر : "وقد كتب أرسطو مصنفين يتعلقان بواقع الخطاب ولكن هذين المصنفين متميزان : فالتقنية البلاغية تتناول فنا للتواصل اليومي خطاباً وسط الجمهور ، في حين أنّ التقنية الشعرية تتناول فنا للاستحضار التخيلي ففي الحالة الأولى يتعلق الأمر بتقعيد تطور الخطاب من فكرة إلى فكرة أما في الحالة الثانية فيتعلق الأمر بتقعيد الأثر من صورة إلى صورة إنهما بالنسبة لأرسطو طريقتان خصوصيتان تقنيتان وإن تقابل هذين النسقين أحدهما بلاغي والآخر شعري هو أساساً ما يحدد جوهر البلاغة الأرسطية"<sup>13</sup> . فهذا التقابل المنهجي الذي وضعه أرسطو في التمييز بين ما هو خطابي عمّا هو شعري يحدد لنا وظيفة كلتا النسقين ، فالأول وظيفته حجاجية لأنها تمس الأفكار والثاني وظيفته جمالية لأنه يمس الخيال والإلهام .

ويُعرّف أرسطو البلاغة أنّها فنّ استخلاص من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتويها ، أو القدرة على الكشف النظري لما يُمكن أن يكون في حالة خالصة للإقناع<sup>14</sup> ، من خلال هذين التعريفين يتبين أنّ ما سعى إليه أرسطو هو أنّ البلاغة ما ارتبطت بالإقناع والمُحاجة ولا غرو أنّ المؤسسين الأوائل للبلاغة الجديدة أمثال بيرلمان ، تيتيكا ، رولان بارت ، تودورف ، أوستين قد أعادوا قراءة أفكار أرسطو واستلهموا منها ، فهؤلاء الباحثين كانوا واعين تمام الوعي بالمنطلق الإستمولوجي الذي انطلقت منه البلاغة الجديدة ، وقد تمكّنت هذه النظرة من تجاوز مظاهر القصور والمعيارية التي تميّزت بها البلاغة التقليدية ، ويصف عمر أوكان هذه المرحلة الانتقالية بقوله : "فهي لم تعدّ علماً خاصاً بالخطاب وإنّما صارت علماً عاماً بالخطابات كافة"<sup>15</sup> . وهذا يعني أنّ البلاغة لم تعدّ تقتصر على وصف الخطاب الأدبي بل أصبحت تشمل كل أنواع الخطابات السياسية والاجتماعية والقانونية والإشهارية ... وذلك بهدف استنباط مدى كفاءتها في استعمال اليات الحجاج وسبل إقناعها . وبهذه الكيفية لم تعد البلاغة عملية تصنيفية لمعطيات لغوية من بديع وبيان وأسلوبية في اللغة بقدر ما صارت مجموعة من العمليات الإجرائية والتحليلية لدراسات الخطابات مهما كانت .

أمّا مفهوم البلاغة الجديدة كمصطلح في الدراسات الغربية فهو يختلف باختلاف توجهات الباحثين أنفسهم وإن كان المنطلق نفسه، فنجد من يهتم بالجانب اللساني وهو ما نجده عند رولان بارت وتودوروف ورومان جاكسون وتركّز اهتمام هذا الاتجاه على الظواهر البلاغية الفنيّة والجماليّة وحاول وضع معايير تصنيفية لها سواء من الجانب الصوتي أو الصرفي أو التركيبي ، كما نجد من يهتم بوصف الأسلوب والكشف عن الخصائص الأسلوبية وانعكاسها على المتلقي ، أمّا الاتجاه الحجاجي فقد نشأ مع بيرلمان وتيتيكا تزامناً مع نشر كتابهما "الوجيز في الحجاج البلاغة الجديدة" واهتماً بالجانب الإقناعي والمقصدية ، بحيث اقتصرت البلاغة الجديدة على الحجاج وكيفية اختيار الحجج المناسبة للمواقف المناسبة وبذلك لم تعد تهتم بالجانب الجمالي والمحسّنات اللفظية وهناك من يقتصر على الجانب السيميائي

ويُلخص محمد العمري مفهوم البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية وفق ثلاثة مفاهيم<sup>16</sup>:  
المفهوم الأرسطي: الذي يخصصها لمجال الإقناع، حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة: المشاورة، المشاجرة، المفاضلة، وعلى هذا الاعتبار هي تقابل الشعرية، أعاد بيرلمان صياغتها.  
المفهوم الأدبي: يبحث في صور الأسلوب ويُعد بارت من أسس خطوطه الأولى في محاضراته

المفهوم النسقي: وهو الذي يسعى للجمع بين التخيل والحجاج أي بين المجال الأدبي الجمالي والجانب الفلسفي الحجاجي.

#### رابعاً ملاحظات تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربية:

لقد استعرضنا في الفقرات السابقة مفهوم البلاغة العربية والبلاغة الجديدة أو الغربية وظروف نشأتها، لأنه لا يمكن فهم واقع التلقي للبلاغة الجديدة في الثقافة اللغوية العربية إلا بعد معرفة الأسس الإستمولوجية لكلا النظريتين، فتلك الملاحظات هي التي تتحكم في صور التلقي، فالبلاغة الجديدة مُصطلح ومفهوم إنبثق من المعرفة الثقافية الغربية وأصبح بعد تأسيسه من أهم العلوم في مجال اللغة وأكثرها استطاعة على تحليل الخطابات الأدبية وغير الأدبية، وقد تتبّع الباحثون المتخصصون النجاح الذي حققته بعد أن أعادت النظر في المفاهيم والطرق التحليلية التقليدية، فالنجاح التي توصلت إليه لدليل على كفاءتها وضبطها الدقيق. وبدأ مصطلح البلاغة الجديدة يشق طريقه في مجال الدراسات الأدبية واللغوية العربية حيث أسهمت بعض البحوث الأكاديمية في لفت الانتباه إلى هذا العلم الجديد، ثم حاول بعض الباحثين التعريف به للمتلقي العربي فألفوا في ذلك بعض المؤلفات والدراسات بهذا الشأن

وإن الحديث عن تلقي البلاغة الجديدة في البيئة العربية يندرج ضمن ما يُطلق عليه "بثقافة الحوار" ومدى تقبل الذات للآخر، ومن ثم التفاعل بين الفكر اللغوي الغربي والفكر اللغوي العربي، هذا ويتخذ التلقي شكلاً أو صورة تتمثل في الكتابات أو المؤلفات التي ينجزها الباحثون العرب في إطار التعريف أو وصف أو شرح مبادئ هذا العلم وتبقى استجابة ونجاعة التلقي مرهونة بالمتلقي العربي ومدى اقتناعه بفعالية تلك المناهج والآراء في تحليل الخطابات.

ومما لا جدال فيه أنّ الحضارة العربية تملك إرثاً لغوياً ضخماً في فروع اللغة المختلفة ومن دراسات معجمية ونحوية وبلاغية أيضاً وهذا ما يجعل مسألة تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربية من المسائل التي يدور الجدل فيها وعن إمكانية تقبلها واستثمارها أو التمسك بالتراث اللغوي العربي والاكتفاء بما تركه لنا البلاغيون المتقدمون، فلا يمكن إنكار الجهود والمباحث البلاغية التي تركها العلماء لاسيما أنها متعلقة باللغة العربية وبالقرآن الكريم، فقد حافظ أصحاب النزعة التقليدية ممن تمسكوا بالمفاهيم التراثية وواصلوا الأخذ بها بنفس الطريقة، فمعظم المصنفات الحديثة والمناهج التحليلية للنصوص الأدبية في المدارس والجامعات لا تزال تعتمد على تلك المفاهيم.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ تلك المفاهيم مأخوذة من التقسيمات التي وضعها أبي يعقوب السكاكي ومن جاء بعده من البلاغيين كأمثال الخطيب القزويني، أي في مرحلة انتقلت فيها البلاغة عما وضعه الجاحظ والجرجاني وعرفت منعرجاً آخر، فقد حافظت تلك المؤلفات الحديثة على التعريفات النمطية وأقسام علم البلاغة الموجودة في مفتاح العلوم للسكاكي (علم البيان وعلم المعاني و البديع)، وفي الحقيقة هذه التقسيمات والتعريفات كُيّفت حسب نظرة أرسطو للعلوم في وضع الحدود والتصنيف، وهي لا تخص المتكلم كمتكلم ولا تراعي الجانب الاستعمالي للغة أو ما يُعرف بالجانب التداولي بقدر ما هي قوانين تقيّد الكلام، وأصدق دليل

على ذلك حفاظ المؤلفات الحديثة على نفس الأمثلة المضروبة في أقسام البيان أو المعاني لذلك تنعت بالمعيارية .

أما النزعة الثانية فقد اعتبرت الحديث عن البلاغة أصبح من المباحث التراثية والسبب في ذلك يرجع إلى أنّ البلاغة العربية قاصرة على تحليل الخطابات فهي تنقيد بحدود الجملة أو العبارة فقط ولا تهتم بالنصوص وهذا ما يجسده عبد السلام المسدي حيث يرى أنّ الأسلوبية تتفوق على البلاغة لذلك يصح أن تكون بديلا عنها وهذا ما نلتمسه في قوله : "ووجه العجب أنّ بعض الباحثين العرب ممن رسخت قدمهم في معالجة النصوص وتأكّدت قدرتهم على التهل من النظريات وقوي صبرهم على مدّ أنفاس البحث والاستقراء لا يسلمون معنا أنّ الأسلوبية ما لم نبتكر مُتصوراتها النظرية ومفولاتها التصنيفية حتى تتميز كيفاً وحجماً عن تقسيمات البلاغة وصورها فإنّها تنتقض من حيث نريد أنّ تكون بديلا في عصر البدائل" <sup>17</sup> ، كما يرفض في موضع آخر فكرة أنّ يُقام حوار فكري بين البلاغة والأسلوبية ويعتبر أنّ القطيعة بينهما أفضل من مدّ جسور التواصل ، لأنّهما ينتميان إلى فكرين متضادين الأول منهما مرهون بالانية والثاني مرهون بالتاريخية ، ويظهر هذا في قوله : "أما الأسلوبية والبلاغة كمتصورين فكريين متناظرين متصادمين لا يستقيم لهما تواجد أي في تفكير أصولي موحد والسبب في ذلك يُعزى إلى تاريخه الحدث الأسلوبي في العصر الحديث وإذا تبينا مسلمات الباحثين والمنظرين وجدناها تقرر أنّ الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة المفهوم الأصولي... فالأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت وهي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة" <sup>18</sup> . ويعلل المسدي عدم إمكانية التلاقي المعرفي بين البلاغة والأسلوبية أنّ البلاغة تتميز بالجانب المعياري أما الأسلوبية فهي علم اختياري

ولعلّ وصف المسدي للبلاغة بالمعيارية صحيح ولكن هذا الوصف ينطبق على البلاغة التي ترجع إلى قرون متأخرة من الزمن كما أسلفنا الذكر سابقا ، وهي أقرب للجانب التعليمي منه إلى الجانب العلمي في التعامل مع الخطابات والنصوص .

هذا وقد أثبتت الدراسات التي جاءت مع بيرلمان وتيتيكا وغيرهما في تناولهم للبلاغة الجديدة اتصالها العميق وتأثرها بالمفاهيم الفلسفية الموجودة عند أرسطو ، فالتراكم المعرفي والحركة التقويمية وإعادة البحث في التراث من أهم الممارسات التي أسهمت في تقدم المعرفة اللغوية والأدبية والنقدية عند الغرب ، ويبقى كل علم لغوي جديد وافد من البلاد الغربية يندرج في قضية التمسك بالتراث اللغوي أو الأخذ به في الثقافة اللغوية العربية وهي من أكثر العوائق الإبستمولوجية في تلقي المعرفة اللغوية للفكر الغربي ، فعلى الرغم أنها نظريات غريبة ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب وإنّما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والهوية والعرق . إنّ الاختلاف الواحد بين الأمم يكمن في كيفية استخدام نتائج علم من العلوم وتوظيفها في ناحية معينة وهكذا فإن اختلاف الاستخدامات لنتائج العلم تتبع اختلافات الإيديولوجيات في العالم ، أما قضية استخدام الوسائل والأساليب والتقنيات العلمية والتوصل إلى هدف أو غاية علمية معينة فإنها مسألة مشتركة بين جميع الحضارات الحديثة <sup>19</sup> .

وعليه فمن الخطأ الاعتقاد أنّ التراث اللغوي العربي كفيلاً لوحده بمدّ معارف ومناهج تساعد في تحليل الظواهر اللغوية ومن بينها الخطاب ، أو أنّ المناهج الغربية الحديثة قد تجاوزت المفاهيم التراثية فكم من فكرة حديثة ظهرت كان يعتقد أنها جديدة ولكن ثبت أنها ترجع إلى الفكر الإنساني القديم ، فحتى يتسنى لنا تأصيل البحث العربي يجب تجاوز مبدأ القطيعة الكلية أو الانغلاق المعرفي عن التراث ، وفي هذا الصدد يعبرُ أحد الباحثين عن ذلك: فمقولة التراث عند



عامة المفكرين العرب تستند إلى مبدأ ثقافي منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق الفكر العربي المعاصر والتميز ، فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب<sup>20</sup> .

إنّ عملية بناء وتأسيس البحث اللغويّ والنقديّ العربيّ لا يساهم في تطوير الإنجاز والبحث فيه ، إنّما يساهم أيضا في ترسيخ خطابات وأسس فكرية يتقبلها المتلقي وتجعله لا يتخرج من الانفتاح على الغير والعودة إلى الأصول العربيّة في الآن نفسه .

ونحن نتفق مع فكرة عبد الرحمن حاج صالح الذي يرى أنّ الأصيل أو مصطلح الأصالة لا نعني بها ما يُقابل الحداثة أو المعاصرة بل هي تقابل التقليد، حيث يقول : " فإنّ الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيّا كان المُقلد المُحتذي به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين ، إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره ... فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بجديد لم يُسبق إليه مهما كان الزمن الذي يعيش فيه " <sup>21</sup> ، فالأصالة لا يقصد منها بالضرورة الرجوع إلى التراث بل قد تكون بالرجوع إلى المناهج الحديثة والاكتفاء بها ، أما التراث اللغوي العربي فيزخر بجملته من المقولات العلمية والآراء السليمة في البلاغة العربيّة والتي لا تحصرها بقيود المعيارية بل تملك من الخطاب العلمي ما يمكن تكيفه وفق المناهج الحديثة وهذا ما نجده عند الجاحظ والجرجاني مثلا ، لذلك نرى بعض الباحثين من استندوا إلى هذا الفكر الواعي بالاختلاف الاستمولوجي وحتى الهدف من الدراسة لكلا الفكرين إلا أنه لم يمنعم من تحقيق مشاريع وخطابات مهمّة في البلاغة العربيّة وتقديمها للمتلقي العربيّة وذلك بعد الاستفادة من التراث اللغوي العربي والفكر اللغوي الغربي .

### نماذج تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربية :

#### 1 مشروع محمد العمري وتلقي البلاغة الجديدة :

لا يسعنا المقام هنا لحصر كل المفاهيم المنبثقة من مشروع محمد العمري حصرا جامعًا مانعًا بقدر ما يهمنا زاوية فهمه للبلاغة الجديدة وتقويمه لأراء العلماء المتقدمين وتقديمها للقارئ العربيّ ، بحيث يُمكن معرفة اسهاماته في إنجاح عملية التلقي العربي من خلال الاطلاع على كتاباته

وأول ما يُشار إليه توجّهه المعرفيّ والمنهجي في ترسيخ المصطلحات ، فمفاتيح العلوم مصطلحاتها ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه ، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتّى لكأنّها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ، ونحن نعلم التأثير المترتب عن المصطلحات وتعامل العلوم بلغة متخصصة وعلمية في عملية الاستعاب والفهم الدقيق عند المتلقي ومن بين تلك المصطلحات البلاغة الجديدة ، فقد عرفت عدّة مقابلات في اللغة العربيّة على نحو الخطابة وبلاغة الحجاج والأسلوبية وغيرها من المصطلحات التي تشوش على ذهن القارئ العربي ، وعلى الرغم من أنّ ذلك يعد انعكاسا للتشتت المصطلحي الذي تعرفه الدراسات اللغويّة العربيّة إلا أنّ محمد العمري يشير إلى أنّ المصطلحات التي أطلقت على *rhétorique* قد سلّخت عن المفهوم الصحيح لها ويرجع الأمر في ذلك إلى فعل العمل التّرجمي ويظهر هذا في قوله : " أن المفاهيم لكلمة ريتوريك كثيرا ما خرجت عن سياقها المعرفي أو أخرجت منه بفعل الترجمة إلى العربية لكلمة بلاغة دون تقييد ، فأدى ذلك إلى الخلط والتشويش على القراء ويقال نفس الشيء عن ترجمة

مصطلح الريطورية الأرسطية بكلمة خطابية<sup>22</sup> وفي ظل هذا المشكل المصطلحي يقترح العمري مصطلح الخطابية كمقابل لريطورية حتى تتناسب والشعرية .

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا في هذا الصدد استبداله لبعض المصطلحات التراثية بمدلولات جديدة تتكيف مع الحاجة إليها في تأسيس خطاب علمي مثل مصطلح الإنشاء فقد أصبح يدل على كل خطاب يحمل جهدا تخيليا أو حجاجيا ، ومصطلح المستمع الذي يدل على المقام الخطابي بكل مكوناته الفكرية والزمانية والمكانية .

ومما له علاقة بتقديم البلاغة الجديدة للمتلقى الترجمة المتخصصة كونها تكتسي طابع الاختصاص ، ذلك أن مواضيعها تُصنف ضمن مجال معرفي يتسم بخصائص مفهومية لا يستطيع فهمه إلا الباحث المنتمي إلى المجال نفسه ، والمترجم يهدف لترجمة نص لا يستطيع المتلقي فهمه بلغته ، فهو لا يُترجم كي يفهم بل يفهم لكي يترجم<sup>23</sup> ، وهذا طبعا يتطلب إضافة عن امتلاك ناصية اللغتين معرفة واعية بالمجال العلمي ، أما الشق الثاني يتطلب إعادة صياغة نص بلغة تضاهي ما كانت عليه في الأصل .

وهذا ما قام به محمد العمري حين ترجم بعض الكتب المهمة في تقديم البلاغة الجديدة مثل البلاغة والأسلوبية لهنريش بليث والتي صرح في مقدمة الكتاب أن عمله هذا ينصب في الأعمال التي تساهم في فهم المتلقي والباحث المتخصص لأساسيات البلاغة ، وكان الباعث الأساسي لعمله الترجمي هذا معرفة مشكلة الطلبة في الحوار الإيجابي بعد احتكاكه بهم لسنوات<sup>24</sup> ، يضاف إلى ذلك ترجمته لكتاب بنية اللغة الشعرية لجان كوهن .

وتدخل أعماله الترجمة هذه في إطار أكبر يتمثل في التمهيد لبناء نظرية بلاغية عامة وذلك من خلال الاطلاع على كل حيثيات الميدان البلاغي والأسلوبي والشعري عند الغرب ، وفي هذا السياق يذكر العمري : " ينضوي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة"<sup>25</sup>.

ويُعتبر هذا العمل بحث جاد في إعادة دراسة وهيكلة البلاغة العربية من خلال الاطلاع على النظريات البلاغية والأسلوبية الغربية ، كما يعكس بذلك استثمار التصورات الحديثة والتراثية بمنطلق المساءلة والرؤية التمحيصية ، وبذلك تكون هذه المحاولات ساهمت في إغناء الدراسات عند القارئ والباحث العربية .

لقد تمكّن الباحثون الغربيون من وضع أسس لبلاغة جديدة وعامة تستند على المنجز اللساني والمنطقي من جهة والتقريب بين التخيل والإقناع من جهة أخرى ، وعلى هذا الأساس تعتبر البلاغة طرفا وسطا بين نظرية الحجاج التي طورها بيرلمان عن أرسطو وهي نظرية تبحث في أساليب الحجاج والإقناع ، والنظرية الثانية هي نظرية تبحث في الأساليب والصور الجمالية والأدبية ، وبذلك تكون البلاغة الغربية قد عرفت تطورا هاما في تصورها العام وفي كيفية تحليلها للخطابات .

على أن الأمر يختلف بالنسبة إلى الثقافة العربية فكثير من الكتابات إما تراثية محضة أو حديثة ، ويعتبر مشروع العمري أحد المشاريع الرائدة التي لم تركز اهتمامها على نموذج واحد دون الآخر ، فقد اعتمد في بناء نظريته التي صاغها على الأخذ من البلاغة العربية والغربية ويصف هذه الحركة في قوله : "لاشك أن هذا التوجه يجد سندا له في الدراسات الغربية التي انطلقت منذ الستينيات تؤرخ للبلاغة الغربية أو تعيد قراءتها وتفسر فعاليتها مع بارت تاريخ البلاغة وجان كوهن وكيدي وفاركا وجان مولينو وطامين "<sup>26</sup>.

ونلتبس العمل الواعي والمنهجي عند العمري من خلال احترامه لتاريخ المفاهيم وخصوصية السياق المعرفي والتحويلات الفكرية دون إسقاط أحدهما على الآخر أو تحميله مالا يحتمل

ويظهر ذلك في قوله: " لذلك كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات "27 ، وهذا يعني أنّ المفاهيم المبتوثة عند علمائنا العرب لا يجب أن تكون مقتطفة ومنزوعة عن سياقها ، بل بتتبع ذلك المفهوم في كل الكتاب وإحصائه ومن ثم تبيان مفهومه فقد يكون للمصطلح الواحد مفهومان أو أكثر مثل اللفظ عند الجرجاني .

كما تظهر إفادته من البلاغة الغربية والعربية في محاولته لوضع صياغة لبلاغة عامة عربية تتصف بالشمولية وتتجاوز النظرة الضيقة أو المحدودة ، فهو يرى أنّ البلاغة العربية كانت ثنائية التكوين بين الشعر والخطاب وإن كان الشعر أسبق زمانا من الخطاب ، في حين يرجع الخطاب إلى ظهور القرآن الكريم ومحاولات سبر أغواره البلاغية ، وقد تطورا بفعل الحركات الأدبية فنجدته يذكر في كتابه: " فللبلاغة العربية إذن مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين مسار البديع يغذيه الشعر ومسار البيان تغذيه الخطابة في التراث العربي فقد ظل المساران متداخلان وملتبسين رغم الجهود الكبيرة التي ساهم بها الفلاسفة وعم يقرؤون بلاغة أرسطو "28

هذا وقام في مشروعه بإعادة قراءة الكتب البلاغية التراثية كأمثال الجاحظ الذي وجد عنده بلاغة الخطاب والإقناع وأبو هلال العسكري وحازم القرطاجني الذي وجد عندهما المزج بين الصناعتين الصناعة الشعرية التخيلية والصناعة الخطابية الحجاجية ، وغيرهم من العلماء على نحو السكاكي وابن سنان الخفاجي وتدرج قراءته هذه في مصاف القراءات النقدية والتمحيصية التي تحاول غربلة المفاهيم ومن ثم عقد حوار مثمر وإيجابي بين البلاغة العربية والغربية والمساهمة في تطوير البلاغة العربية ومواكبتها للركب الحضاري.

## 2 تلقي حمادي صمود للبلاغة الجديدة :

يُعتبر حمادي صمود نموذجا من النماذج اللسانية العربية الذي تبنى منهج إعادة قراءة البلاغة العربية وتلقي البلاغة الجديدة ، وذلك وفق مراعاة خصوصية الطرفين التاريخية والسياقية والفكرية ، ويظهر مشروعه في مؤلفه "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري " ، ويعتبر هذا المشروع إعادة قراءة للبلاغة العربية وفق رؤية تتجاوز السرد التاريخي إلى تحليل القضايا واستخلاص مفاهيم جديدة بغية استثمارها ، وتبدأ قراءته من مؤلف الجاحظ "البيان والتبيين" وصولا إلى القرن السادس ، وقد وجهه اهتمامه إلى ثلاث مسائل : المفهوم والمنهج والإجراء.

المفهوم : لقد اهتم حمادي صمود بثنائية " الحقيقة والمجاز " و" البلاغة والفصاحة " ، فبالنسبة للحقيقة والمجاز مفهومان متداولان في البلاغة العربية يقتصر الأول منهما على التعبير الحقيقي في الكلام ، أما الثاني فيُعدّ خروجاً عن المألوف والاستعمال الحقيقي ، وبالتالي فهو أقرب إلى الجانب الأدبي ويذكر بهذا الشأن: " لقد تضافرت جهود العلماء من بلاغيين ونقاد وفلاسفة وأصوليين لتؤكد على أنّ التوسل بالمجاز هو أبرز خاصية تميز الأداء الفني عن غيره ، ولقد تواترت في مؤلفاتهم مقابلة بين ما سموه بالكلام المألوف أو المعتاد أو العادي وبين الكلام المخرج مخرج العادة"29 .

كما يعتبر أنّ الجرجاني هو أول من استطاع التمييز النظري بينهما باسم "معنى المعنى" في حين كان يُمثل للمجاز بشواهد وأمثلة قيل ذلك . أما ثنائية البلاغة والفصاحة فاستخدما لمعرفة منابع البلاغة في النص وبالتالي تحديد السمات الأسلوبية المتعلقة باللفظ والمعنى .

المنهج : وقد فرّق فيه بين الجانب الكلامي الموجود عند الجرجاني وابن وهب وهو جانب منطقي وفلسفي ، أما المنهج الثاني فهو أسلوبية يهتم بدراسة الأساليب والمميزات الفنية

الإجراء وهو الكيفية والطريقة العملية التي وظفها البلاغيون في معرفة النصوص والأحكام التي كانت تطلق على الصور البيانية .

إلا أنّ حمادي صمود قد اتجه بعد هذا المشروع إلى الاهتمام بالحجاج وأهم نظرياته ، كما تجدر الإشارة هنا إلى رأيه في ترجمة مصطلح *rhétorique* أنّها لا تقابل مصطلح بلاغة ، ويعلّل ذلك أنّ الحقل المعنوي لكلمة *rhétorique* لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة بلاغة في المتن العربية ، وإنّ كُنّا نضطر دائما عن خطأ أو صواب إلى المطابقة في الترجمة بين الكلمتين والتراجمة الذين اهتموا بمؤلفات أرسطو أدركوا هذه النقطة فضلوا على ما عرفنا عنهم في الترجمة الإبقاء على المصطلح في لغته الأصلية فقالوا ريطوريقا ، ثم لما تناول الفلاسفة الكتاب بالترجمة والشرح سموه خطابة<sup>30</sup> .

ويرى أيضا أنّ البلاغة العربيّة تحمل في داخلها بوادر الحجاج مبنوثة في المؤلفات العربية والمستخرجة سواء من الشعر العربيّ أو الخطابات التي كانت تنصبّ في محاولة معرفة سرّ إعجاز القرآن الكريم فعملية إعادة ترتيب البلاغة العربية يمكن بفضلها تطويرها مع نظريات الحجاج الغربية.

### الخاتمة :

إنّ واقع التلقي العربي للبلاغة الجديدة لم يسلم من ثنائية الأصالة والمعاصرة ، على الرغم من أنّ بناء نظرية بلاغيّة عربيّة جديدة لا تعني أبدا التخلي عن التراث اللغوي كما لا تعني أيضا التمسك الشديد به ، فهي في الحقيقة مرهونة بتجاوز الأثنين معا ومتى تم ذلك تسنى لنا التوصل إلى مفاهيم ومناهج جديدة في تحليل مختلف الخطابات ، ولعلّ النماذج التي سبق ذكرها ليس على سبيل الحصر إنّما هي مختارة ومقصودة والسبب في ذلك تبنيها لمنهج إعادة القراءة بطريقة نقدية وواعية وباحترام الاختلاف المفهومي والتاريخي والفكري إلا أنّها استطاعت عقد حوار مثمر وإيجابي بينهما فكان أساس التلقي عند العمري وحمادي صمود النظر إلى التراث اللغوي أنّه جزء من فكر إنساني عام وليس عربي

فينبغي لنا إعادة قراءة التراث اللغوي البلاغي قراءة موضوعية وإعادة تصنيف كل المفاهيم في مجالها الصحيح من مفاهيم أسلوبية وحجاجية ... فهذه العملية تكفل لنا وضع الأرضية الركيزة التي ننطلق منها في الانفتاح على الآخر بطريقة فعّالة ومثمرة حينئذ يصبح واقع تلقي البلاغة العربية الجديدة أمرا متقبلا عند المتلقي ومثمرا ومساهما في البلاغة العامة .

### قائمة المصادر والمراجع:

1. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ط 1 : 1999
2. الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط : 3
3. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، عبد الرحمن حاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2012 م
4. البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 2 ، 2012م
5. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ،
6. البلاغة تاريخ وتطور ، شوقي ضيف ن دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط : 9
7. البلاغة والأسلوبية ، هنري بليث ، تر : محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ، ط : 2 ،
8. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ط : 4
9. تجليات تحليل الخطاب ، حمادي صمود ، دار قرطاج ، تونس ، ك : 1 ، 1999
10. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره ، حمادي صمود ، دار قرطاج ، تونس ، ط : 1 ، 1999 م
11. التفكير اللساني في الحضارة العربية ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط : 2 ، 1986 م
12. الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الباري وأولاده ، مصر ، ط 2 :
13. دراسات لسانية تطبيقية ، مازن الوعر ، دار دلاص للدراسات والترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط : 1 ، 1989 م

14. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر
15. سر الفصاحة ، أبو محمد بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1982
16. الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان
17. قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، تر : عمر أوكان ، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 2 ، 1994 م
18. لسان العرب ، ابن منظور ، تح : عبد اللعة علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ن القاهرة ، مصر ، طبعة جديدة
19. المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، خليفة الميساوي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط : 1 ، 2013 م
20. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ن تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 2000 م

## هوامش البحث :

- <sup>1</sup> البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ط : 4 ، ج : 1 ، ص : 88
- <sup>2</sup> المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 96
- <sup>3</sup> الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الباري وأولاده ، مصر ، ط : 2 ، 1965 ، ج : 3 ، ص : 132
- <sup>4</sup> الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ص : 15
- <sup>5</sup> أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 1991 ، ص : 4
- <sup>6</sup> ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، تح : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، طبعة جديدة محققة ومشكولة ، مادة فصح
- <sup>7</sup> ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج : 1 ، ص : 113
- <sup>8</sup> الصناعتين ، العسكري ، ص : 7 ، 8
- <sup>9</sup> سر الفصاحة أبو محمد بن سنان الخفاجي ن دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1982 ، ص : 60
- <sup>10</sup> مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 2000 م ، ص : 526
- <sup>11</sup> دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ص : 352 ، 353
- <sup>12</sup> ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط : 9 ، ص : 11
- <sup>13</sup> قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، تر : عمر أوكان ، إفريقيا للشرق ، 1994 ، ص : 18
- <sup>14</sup> المرجع نفسه ، ص : 19
- <sup>15</sup> المرجع نفسه ، ص : 7
- <sup>16</sup> ينظر : البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 2 ، 2012 م ، ص : 12
- <sup>17</sup> الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، دار العربية للكتاب ، ط : 3 ، ص : 6
- <sup>18</sup> المرجع نفسه ، ص : 52
- <sup>19</sup> ينظر : دراسات لسانية تطبيقية ، مازن الوعر ، دار طلائع للدراسات والترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط : 1 ، 1989 ، ص : 39
- <sup>20</sup> التفكير اللساني في الحضارة العربية ، عبد السلام المسدي ، دار العربية للكتاب ، ط : 2 ، 1986 ، ص : 11 ، 12
- <sup>21</sup> ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، عبد الرحمن حاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2012 م ، ج : 1 ، ص : 11
- <sup>22</sup> البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، ص : 13
- <sup>23</sup> المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، خليفة الميساوي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط : 1 ، 2013 ، ص : 86
- <sup>24</sup> ينظر : البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، تر : محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ، ط : 2 ، ص : 9
- <sup>25</sup> المرجع نفسه ، ص : 11
- <sup>26</sup> البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ، ص : 9
- <sup>27</sup> المرجع نفسه ، ص : 14
- <sup>28</sup> البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، ص : 29

---

<sup>29</sup> التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 ، ص 599 :

<sup>30</sup> تجليات تحليل الخطاب البلاغي ، حمادي صمود ، دار قرطاج ، تونس ، ط : 1 ، 1999 ، ص : 8



جامعة محمد خنصر – بسكرة  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية



### الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

بتقنية التحاضر عن بعد والحضور : يومي: 09 – 10 ماي 2022

اليوم الأول: 09-05-2022.

الفترة الصباحية.

الجلسة الافتتاحية:

### • التوقيت: 9:30 سا إلى 10:00 سا

• كلمة مدير مخبر اللسانيات واللغة العربية :أ.د محمد خان
• كلمة رئيس الملتقى : د. ليلي جغام
• كلمة رئيس اللجنة العلمية:أ.د. نعيمة سعدية
• كلمة الافتتاح

### الجلسة الأولى الصباحية

### التوقيت: 10:30 إلى 11:20

مقرر الجلسة : كريمة ترغيني ( ط.د )		رئيس الجلسة : أ.د . نعيمة سعدية	
التوقيت	جامعة الانتماء	عنوان المداخلة	اسم المتدخل
10:30 – 10:40	جامعة محمد خنصر بسكرة	بلاغة الجمهور – التأسيس والامتداد	د/تومي غنية
10:40 – 10:50	جامعة نيسمسيلت	البلاغة الجديدة بين الحجاج المنطقي والحجاج اللساني – جهود جابر عصفور أنموذجا	د/ سهيلة بوطيب
10:50 – 11:00	جامعة معسكر	بلاغة السرد بين جمالية التلقي وشعرية الخطاب (قراءة في المفاهيم النظرية للبلاغة القديمة والجديدة )	د/ مجاهد بوسكين
11:00 – 11:10	جامعة محمد خنصر بسكرة	نظرية البلاغة في الدراسات العربية بين التراث والمعاصرة	د/ آسيا جريوي
11:10 – 11:20	جامعة محمد خنصر بسكرة	أثر نمط النص في تشكيل طبيعة البلاغة العربية – مقارنة تأصيلية	د/ بشار إبراهيم

## الجلسة الثانية : من 11:20 إلى 12:10

مقرر الجلسة: حياة بوسعدة ( ط.د )		رئيس الجلسة: د.صليحة سبقاق	
اسم المتدخل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
ط.د/ زينة جهاد	الحجاج في الموروث البلاغي العربي	جامعة تيارت	11:30 – 11:20
د/ جودي حمدي منصور	الحجاج بين الخطابة والتداول	جامعة محمد خيضر بسكرة	11:40 – 11:30
ط.د/ عبد المطلب عبد الجي	بلاغة الحجاج من مثالية أرسطو إلى حوارية بيرلمان	جامعة يحي فارس المدية	11:50 – 11:40
ط.د/ زينب علاوة د/ راوية حمزة	أثر كتاب بيرلمان ( رسالة في الحجاج ) في التأسيس لنظرية الحجاج في الفكر اللغوي الغربي الحديث	جامعة محمد خيضر بسكرة	12:00 – 11:50
د/ أحمد تاويليت	الكلمة في التراث النحوي والبلاغي بين التوصيف والتوظيف	جامعة محمد خيضر بسكرة	12:10 – 12:00

مناقشة عامة ( 10 دقائق )

## الجلسة الثالثة: من 13:30 إلى 14:20

مقرر الجلسة: منيرة قليل ( ط.د )		رئيس الجلسة: د/ شهيرة برياري	
اسم المتدخل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
د/ سامية بوعجاجة	قراءة في كتاب ( التشبيه والاستعارة ) – منظور مستأنف ليويسف أبو العدّوس	جامعة محمد خيضر بسكرة	13:40 – 13:30
د/ اليزيد بلعمش	المكوّن الحجاجي للكناية في البلاغة العربية	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	13:50 – 13:40
ط.د/ فاطنة سويح ط.د/ أميرة حناشي	حجاجية المجاز عند عبد القاهر الجرجاني	جامعة محمد خيضر بسكرة	14:00 – 13:50
د/ خديجة كلاتمة	الاستعارة بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة - دراسة في المفهوم وآليات التحليل	جامعة أم البواقي	14:10 – 14:00
ط.د/ عيدة زريق	الاستلزام الحوارية بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة	جامعة محمد خيضر بسكرة	14:20 - 14:10

مناقشة عامة ( 10 دقائق )



الجلسة الرابعة : من 14:30 إلى 15:10

مقرر الجلسة: أحلام علية (دكتوراه)		رئيس الجلسة: د/وهيبة عجيري	
اسم المتدخّل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
ط.د/بثينة بهلالي	تحولات الخطاب الاستعاري: مقارنة بينية المداخل في "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" لمحمد بازي	جامعة محمد خيضر بسكرة	14:30 – 14:40
د/بلال معي الدين ط.د/نجوى جدي	تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة	جامعة العربي التبسي تيسة	14:40 – 14:50
ط.د/عمر بهليل	البلاغة الجديدة . بحث في التراث وكشف عن التوجّهات .	جامعة يحي فارس المدية	14:50 – 15:00
د/نغار محمد	الدرس الأسلوبي ومنظورات البلاغة الجديدة	جامعة تيارت	15:00 – 15:10

مناقشة عامة ( 10 دقائق )

اليوم الثاني: 10-05-2022

الجلسة الأولى : 08:30 – 09:20

مقرر الجلسة: نور الهدى صوطي ( ط.د )		رئيس الجلسة : أ/نعيمه بن ترابو	
اسم المتدخّل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
د/صفية طربي	البعد الإقناعي للبلاغة العربية ( أساليبه وتقنياته ) من منظور محمد العمري	جامعة محمد خيضر بسكرة	08:30 – 08:40
د/وهيبة عجيري	التصور الحجاجي عند محمد العمري	جامعة محمد خيضر بسكرة	08:40 – 08:50
ط.د/كريمة ترغيني	الفكر الحجاجي عند صابر الجباشة من خلال مقارنة بين التراث والحديث	جامعة محمد خيضر بسكرة	08:50 – 09:00
د/وسيلة داودي	البلاغة الجديدة وخلفيات القراءة في مشروع محمد مشبال	جامعة سطيف	09:00 – 09:10
د/جرادي يعرب	رهانات البلاغة العربية المعاصرة بين ضرورات التلقي ودوافع التجديد	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	09:10 – 09:20

مناقشة عامة ( 10 دقائق )

## الجلسة الثانية : 09:30 – 10:20

مقرر الجلسة : سليمة دحيري ( ط.د )		رئيس الجلسة : د/ فطيمة دخية	
اسم المتدخل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
د/ ليلى غضبان	بلاغة الارتياب عند إبراهيم بن سيار النظام	جامعة الجلفة	09:30 – 09:40
د/ سامية شودار	البلاغة الجديدة في التراث الأصولي – حجاجية القياس أنموذجا	جامعة محمد خيضر بسكرة	09:40 – 09:50
ط.د/ عز الدين لخضر الزين	الحجاج ودوره في إثراء البلاغة العربية – فن الخطابة أنموذجا	جامعة البليدة 02	09:50 – 10:00
د/ عباس حشاني	جهاز المتكلم لدى الجاحظ – دراسة تداولية اجتماعية	جامعة جيجل	10:00 – 10:10
ط.د/ محمد علاوة	تجليات البلاغة الجديدة في التراث العربي – من خلال آراء الجاحظ	جامعة الجزائر 02	10:10 – 10:20

### مناقشة عامة ( 10 دقائق )

## الجلسة الثالثة : 10:30 – 11:10

مقرر الجلسة : زينب علاوة ( ط.د )		رئيس الجلسة : د/ غنية بوضياف	
اسم المتدخل	عنوان المداخلة	جامعة الانتماء	التوقيت
ط.د/ هاجر عاشور	البلاغة الجديدة من التنظير الغربي إلى التلقي العربي – مقارنة وصفية للملابسات التلقي	جامعة يحي فارس المدية	10:30 – 10:40
ط.د/ نور الهدى صوطي ط.د/ نجاة كعبوش	البلاغة الجديدة ضمن المنجز العربي الحديث - الأصول المعرفية والامتدادات اللسانية العربية- محمد العمري نموذجا-	جامعة محمد خيضر بسكرة	10:40 – 10:50
نادية ويدير	البلاغة الجديدة ( المفهوم وإشكالية المصطلح )	جامعة بومرداس	10:50 – 11:00
د/ ليلى جغام	المفاهيم المحددة للبلاغة الجديدة – قراءة في كتاب ( الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ) لأمنية الدهري	جامعة محمد خيضر بسكرة	11:00 – 11:10

### مناقشة عامة ( 10 دقائق )

#### توصيات الملتقى :

أ.د/ نعيمة سعدية	جامعة بسكرة
د/ ليلى جغام	جامعة بسكرة
د/ بشار ابراهيم	جامعة بسكرة
د/ زينب مزارى	جامعة بسكرة
د/ يعرب جراي	جامعة قسنطينة
د/ عباس حشاني	جامعة جيجل

#### مراسيم اختتام الملتقى

أثر نمط النص في تشكيل طبيعة البلاغة العربية  
مقاربة تأصيلية  
د. إبراهيم بشار- جامعة محمد خيضر- بسكرة

الملخص:

نسعى في هذه الورقة البحثية إلى تتبع الشروط السياقية والنصية التي تقود إلى هيمنة بلاغة خاصة دون سواها أو انتشار بلاغة معمة؛ لأنّ هذه الشروط قد تختفي فيأفل معها ذلك الطابع ويتوارى، كما قد يظهر بصيغ مختلفة. وهذا ما سنتبينه من خلال الوقوف عند الأصول التي حدّدت أطر الإبداع والإقناع عند البلاغيين؛ والأسس التي تفضي إلى التحول في النظر للأسلوب الواحد من الاستحسان إلى الاستهجان، ومن الحكم عليه إلى محاولة تفسيره.

- فما طبيعة النصوص التي يشتغل عليها البلاغيون؟
- وما المسوّغات الأساسية التي تفرز بلاغة خاصة أو نوعية تهيمن على ثقافة محددة وفي عصر بعينه؟

للإجابة عن هذه الإشكالية استلزم منا ذلك التطرق إلى العناصر الآتية:

- البلاغة بين هاجس التغييرية وحاجز التقنين.
- المهيمن البلاغي والنص المهيمن.
- عمود الشعر (النص القديم).
- البديع (النص الحديث).

تمهيد

عدّت البلاغة العربية عند علماننا الأوّل من أشرف العلوم وأكثرها خدمة للدين الإسلامي، وبكفيّنا دليلاً ما ذكره أبو هلال العسكري في قوله: إن «أحق العلوم بالتعلّم وأولها بالتحفّظ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرّف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشّد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شُبه الكفر ببراهينها، وهتكت حُجُب الشكّ بيقينها»(1).

فهذه المقولة تشي بعظم شأن هذا العلم وقداسته، ثم إن من يتتبع كتب الإعجاز والبلاغة عموماً يلحظ كيف تجمّعت في وظيفة البلاغة عدة عناصر تتفق في شروط نجاح القول، من حيث تأديته للغرض. ويروى أن القرطاجني قد شبّه حال من يظن إمكان تحصيل البلاغة والاستفادة منها، في وقت وجيز، بحال الصديق الذي قضى ليلته في تصفح كتب الطب، ثم أصبح وهو يحرر وصفة طبية لإسعاف صديقه المريض، فعجل بنهايته. إن بوسع إنسان ذكي، كما قال، أن يحصل بالاجتهاد في علم من العلوم خلال شهر أو عام، شيئاً يعتد به في ذلك العلم، وليس ذلك ممكناً في علم البلاغة، "إذ أكثر ما يستحسن ويستقيح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع". فالبلاغة كما قال في موضع آخر علم كلي يقتضي ضبطه الإحاطة بعلوم اللسان وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب.(2)

لهذا تباينت زوايا النظر وتعددت مدارك الفكر في تحديد مكمّن البلاغة؛ فكان من التعليقات ما يؤكد على دقة الاستعمال القرآني في هذا الموضوع، وجمالية الاستعارة الشعرية في ذلك السياق، وبلاغة البديع في تلك الخطبة، وأهمية الوضوح في مخاطبة العامة وما إلى ذلك، مما يوضّح أن البلاغة خضعت لسياق النص الذي اشتغلت عليه وليس إلى نموذج مسبق وقاعدة مطردة.

## 1- البلاغة بين التغيّرية والتقنين:

تعود قيمة أعمال البلاغيين إلى أنها، وهي تدافع عن شعرية النص، لا تلغي تداوليته، وحين تستحسن الوضوح لا تنكر بلاغة الغرابة في مواضعها، وتتباهى بالبيت المستقل دون أن تستهجن ارتباط أجزاء القصيدة في أنماط خاضضة... فهم يدرسون النص من جهة عناصره وبنياته الداخلية، وفعالية هذه العناصر ووظيفتها، ولا يكتفون بدراسة النص من جهة قدرته على أن يمثّل خارجا أو سياقا يقع خارجه، بل يدرسونه من جهة قدرته على توفير الشروط التي تحوّلته إلى فعل لغوي مناسب للتأثير في سياق خاص. (3) وهذا ما يؤكد قول علمائنا إن البلاغة لم تنضج ولم تحترق، خلافا لأكثر فروع العربية، التي تمّ على أيديهم نضجها واحترقها، فهي لم تحترق لحاجة الإنسان إليها، ولم تنضج لكون وسائلها تظل بحاجة إلى تجديد يواكب ثقافة العصر الذي نحن نعيش فيه. لهذا لا بد أن تعود البلاغة إلى اعتبارها فنا يتطور بتطور الذوق وبتوسع اللغة وبتوسع ضروب التعبير وتنوع آفاق الثقافة العصرية. (4)

يجد الباحث في التراث البلاغي الأقاليم البلاغية متوزّعة على علوم القرآن والنقد وتاريخ الأدب والنحو وعلم الكلام، وهذا يعكس المرونة المنهجية التي اتّسم بها البحث البلاغي من جهة، وشساعة الأراضي التي مُنحت للبلاغة، وهي أولى بها من جهة أخرى. لقد أثار فينا هذا التنوع في الشاهد وفي الهدف وفي آليات التحليل والتفسير، الذي شهدته البلاغة العربية، رغبةً قوية في استنباط طبيعة النص الذي يريد البلاغيون البحث عنه أو فيه، النص الذي يمكن أن يكون كلمة ويمكن أن لا يكفيه مجلّد، النص الذي يرحل إلى ما قبل منتج وينتهي إلى ما بعد متلقّيه. ولهذا فمحاولة تسوير الذوق ونمذجة الإبداع بقدر ما تترجم النزعة العلمية التقنية إلا أنها تفضي إلى الشكلية والمعيارية؛ لأنّ الأصل في البلاغة أن تتعامل مع كل استعمال على حدة، وكلما استسلمنا إلى القاعدة والنموذج المسبق وقعنا في الابتذال. ولعل هذا هو ما وقعت فيه البلاغة الغربية، حيث أفضى التقليد وقياس نص على نص، وسيقاق على سيقاق إلى الوقوع في المعيارية والجفاء.

إنّ الدعوى إلى اتهام البلاغة العربية في عصر من عصورها بالمعيارية نابع من تقليد الغربيين في تقويمهم للتراث اليوناني؛ إذ على الرغم من رسوخ منهج التقعيد في عهد السكاكي، لكن ظلّ هذا الرجل يفتح مجال الإبداع ويوسّع دائرة الاحتمال. على حين يقرر هنريش بليت (Heinrich Blett) أن البلاغة الغربية القديمة قد صدرت عن تصوّر معياري، فتنسب للمقاصد البلاغية الثلاثة: "المقصدية الفكرية، المقصدية العاطفية المعتدلة، مقصدية التهييج" وتفريعاتها بعض أجزاء الخطاب وبعض الأجناس وبعض مستويات الأسلوب. (5) أما في بلاغتنا العربية فقد نتحدث عن التقليد والوقوع في المعيارية مع شروح التلخيص ومن تقفى أثرهم تقنيننا واستشهادنا. وقد لاحظ بعض الدارسين أن العديد من دراسات البلاغيين العرب المحدثين والمعاصرين لأبيات شعرية تمس علم البيان عامة ومباحث علم البديع خاصة، وما بنته قراءاتهم لها لم تخرج في نماذجها النهائية ومحصلتها التأويلية عن استنساخ ما ثبتته وأقرته أجهزة قراء سابقين هي في أصل تكوينها، فحاولت تحيين المعاني بغية الاستيعاب الأكبر لمعطيات الحاضر في أسئلة الماضي. (6)

من هذه الزاوية اتهمت البلاغة بالمعيارية، والحقيقة أنه اتهام للبلاغة التقليدية وليس للبلاغة العربية الأصيلة، فما ذنب بلاغتنا من دارس عاش العصرنة بكل معانيها، وتواصل بأجهزة الاتصال الحديثة وتناوحت

الخطابات الكثيفة من كل جهة، أن يرمي بكل ذلك جانبا ويقبع يجتريبتنا للشنفرى لوعاش وقتنا لمنه استنفر، أو يكرر خطبة للحجاج مكتفيا بها ليرسخ في زمن الديمقراطية سطوة القوة على كل حوار أو حرية.

## 2- المهيمن البلاغي والنص المهيمن:

استعرنا مصطلح الهيمنة من مصطلح المهيمن البلاغي الذي اقترحه محمد العمري، وهو مصطلح ارتجالي لما يُكتب له الشيوخ، وقصد به السمة البارزة أو القيمة المعتمدة في مرحلة من مراحل تطور الأدب، أو عند اتجاه من اتجاهاته. وهي تتجسد من خلال حضور صور معينة متكافئة أو مترتبة أو من خلال تأليفات خاصة للصور. ومعيار الهيمنة في نظره التميز قبل الكم والكثافة، وقد فسّم عصور الأدب بحسب المهيمنات على النحو الآتي:

- زمن التشبيه والكناية والتسجيع/الشعر القديم (من البداية إلى نهاية القرن الأول الهجري).

- زمن الاستعارة والتقابل (الطباق)/الشعر المحدث أو المولّد (العصر العباسي).

- زمن التورية والتجنيس/ شعر المتأخرين (بعد القرن السادس الهجري).

- زمن الرمز والتناسخ والتطريز (الإيقاعي والفضائي) (الشعر الحديث). (7)

ففي الوقت الذي أتجه الباحث الكبير محمد العمري نحو السمة البلاغية فضلنا أن تكون سمة الهيمنة مرتبطة بالنص؛ لأن البلاغة العربية تعاقبت عليها أجناس متباينة وأنماط متعددة، حتى لا يمكن أن نجزم بأن النص الشعري أو النثري أو القرآني أو النص المبتذل العامي هو الميدان الذي تكتفي به البلاغة، وتبحث في انسجامه الداخلي والخارجي. إنها ترافق النص في رحلته عن هويته ونصيته، النصية التي قد يحققها تناسب شكلي في سطح الشاهد، أو انسجام دلالي بين قضاياه، وقد تتحقق بناء على فعل تواصل يسهّم في نصيته طرفاه، وربما اصطبغت النصية بنمط النص وهويته الجنوسية والأجناسية حتى يتحقق له الانسجام.

فقد أورد لنا أبو حيان التوحيدي أقوالا تثبت إدراك بعض العلماء لاختلاف البلاغات بين الأجناس الأدبية وبحسب النص المهيمن، قال أبو سليمان:

"فأما بلاغة الشعر، فأما يكون نحوه مقبولا، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً، واللفظ من الغريب بريئاً،

والكناية لطيفة، والتصريح احتجاجاً، والمؤاخاة موجودة، والمؤاممة ظاهرة".

"وأما بلاغة الخطابة فأما يكون اللفظ قريباً، والإشارة فيه عالية، والسجع عليها مستولياً، والوهم في

أضعافها ساجحاً، وتكون فقرها قصاراً، ويكون ركاها شوارداً إبل".

"وأما بلاغة النثر فأما يكون اللفظ متناولاً والمعنى مشهوراً والتهديب مستعملاً والتأليف سهلاً والمراد

سليماً، والرونق عالياً والحواشي رقيقة والصفائح مصقولة والأمثلة خفيفة المأخذ والهوادي متصلة والأعجاز مفصلة".

بلاغة العقل: "أن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن، وتكون

الفائدة عن طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ وتقفية الحروف، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب".

بلاغة البدئية: وفيها "يقع التعجب للسامع، لأنه يهجم بفهمه على ما يظن أنه يظفر به كمن يعثر بمأمله

على غفلة من تأميلة، والبدئية قدرة روحانية في جبلة بشرية، كما أن الروية جبلة بشرية في قدرة روحانية".

بلاغة التأويل: "وأما بلاغة التأويل فهي التي تحوّل لغموضها إلى التدبر والتصنّع، وهذان يفيدان من

المسموع وجوهاً مختلفة كثيرة نافعة". (8)

لقد كانت المدونات التي اشتغل عليها البلاغيون العرب ترقى في عمومها عن مستوى الابتدال، وتسمو عن

لغة العامة والدهماء، فالقرآن المبين وشعر العرب وخطابهم المستبين أثرت المقولات اللغوية البلاغية بمفاهيم

جمالية. حيث لم يكن غريبا عن الجرجاني أن يصدر كتابه دلائل الإعجاز بحديث مفصل عن أهمية الشعر ومكانته وبلاغته، ليستشرف القارئ وظيفة النص الشعري في تحديد أطر المنهج البلاغي. لكن مع ذلك لم يفت علماءنا الإشارة إلى تنوع المستويات البلاغية.

### 3- البلاغة ومجاز القرآن وإعجازه:

كان البحث في مجاز القرآن الكريم وإعجازه دافعا قويا لبلورة الكثير من الفنون والمصطلحات البلاغية وصياغتها وتجميعها. وقد اتسع مفهوم المجاز في هذه المرحلة من تاريخ التفكير البلاغي، ليشمل مظاهر عديدة وطرائق متنوعة للتعبير بما فيها من تجاوز تركيبي ودلالي خصوصا التي مثلها القرآن الكريم.

وقد عدت كتب مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وتحرير التعبير وبديع القرآن لابن أبي الاصبع المصري من المصنّفات الأولى التي جسدت هذا المنحى من التأليف. وتشبع أغلبها بعلم الكلام الذي مثل الأس المتين الذي ألزم البلاغيين الخوض في هذه المسائل، فربما يفهم القارئ العربي البسيط الآية على ظاهرها، لكن أبي المتخصصون في العقيدة خصوصا في مسائل الذات الإلهية كلامها وصفاتها وأفعالها، على ضوء قانون الإسلام إلا أن يكشفوا المعنى القرآني فهمهم أمر الحقيقة والمجاز.

وبعد أن حفر محمد العمري في أصول البلاغة رأى أن مصطلح المجاز ارتبط في بدايته بعملية معيرة اللغة ومحاولة عقلنة الدين، حيث ظهر أن هناك قطبين: قطب النسق والإطلاق وقطب الشذوذ والنسبية. هناك الله والإنسان من جهة، وهناك الإنسان والكلام من جهة أخرى؛ فحيث يفلت الكلام من معايير اللسان "النحو بمعناه الضيق"، وحيث يلتبس الفعل بين الله والإنسان "من الفاعل حقا؟" ينبثق المجاز. (9)

ويرى البيخيتاوي أن ما قدمه أبو عبيدة والفراء والجاحظ وابن قتيبة ومن بعدهم الشريف الرضي في إطار المجاز لا يتعدى المعنى اللغوي للكلمة، لكن مع ذلك يعترف بأن تلك النظرات أسست للمفهوم المتأخر للمجاز، حتى جاء الجرجاني فاستنبط مفهوما دقيقا للمجاز قائلا: «أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول (...) وإن شئت قلت: كل كلمة جُزّت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تُجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضعت له في وضع واضعها فهو مجاز» (10). وهذا الفارق الدقيق بين أصل الوضع وعدم أصليته كان إيذانا باتضحاح نسبي لمفهوم المجاز، قاد إلى موازنة أسلوبية أكثر منها عقدية لأساليب القرآن والشعر العربي.

وهذا اتجهت البلاغة نحو الخصوصية التعبيرية التي جسدها القرآن الكريم والنصوص الأدبية الرفيعة، بعد أن أسال الحديث عن الخلافات العقدية الكلامية انطلاقا من المجاز الحبر الكثير.

فعموما كانت المقارنة بين الحقيقة والمجاز تنتهي إلى نتيجة واحدة هي أن المجاز أبلغ من الحقيقة. (11)

### 4- هيمنة النص القديم (التقليد):

لقد تساءل العرب منذ بداية نظرهم للعمل الشعري عن طبيعة هذا النص، وعن المزية التي تؤهل الشاعر حتى يسمو كلامه إلى مصاف الشعرية، وانبروا يفسرونه في البداية تفسيرا ميتافيزيقيا بأن ربطوه بشياطين توحى إلى الشعراء في وادي عبقر، ثم ربط بالسحر. لكن هذه التفسيرات لم يكتب لها الذبوع مع رقي العقل النقدي العربي وتلعثم الشعراء أمام بلاغة القرآن الكريم، فأقلت تلك التفسيرات الغيبية وأفل معها مبدأ الصرفة: الذي يرجع إعجاز القرآن إلى صرف الله عز وجل عقول العرب وألسنتهم عن الإتيان بمثله، لتنبثق بعد ذلك أصول أكثر منطقية في وصف العملية الإبداعية وتفسيرها.

وبعبارة موجزة تفرّع البحث عن الأدبية إلى محورين كبيرين، لم يسلمأ من التداخل هما:

- عمود الشعر الذي تجمّعت فيه ثوابت القصيدة القديمة المطبوعة
- الإبداع أو البديع الذي تبني المتغيرات الفنية التي تطبّع بها جملة من الشعراء المجددين.

يرى محمد مندور أن اتصال الشعر بالدين شكّل الدافع الأكبر في الانتصار للقديم، خصوصاً أن الشعر القديم مثل المعين الذي أخذت منه اللغة العربية بعد أن تسللت العجمة بعد الفتوحات، فعلى سلامة تلك اللغة يتوقف فهمهم لمصادر دينهم وهو أعز ما يملكون، وامتد هذا الأمر إلى الشعراء أنفسهم، الذين ما وجدوا سبيلاً لرواية شعرهم من العلماء غير أن يحاكو القدماء أسلوباً وبناءً فنياً. (12)

لقد مثل الصراع بين القديم والجديد ركناً رئيساً في توجيه البلاغة التطبيقية؛ ورأى عموم البلاغيين أن الشعر القديم هو النموذج الأرقى والمثال الذي به يُحتذى، فاستنبطوا الجماليات التي تُعبّر عن عصر أولئك الشعراء، ثم حاولوا أن يعمّموا نفعها وانسجامها مع العصور المتأخرة، واستجاب لتلك النظرة عديد الشعراء فاقتفوا آثار السلف فبلغوا مبلغهم في الجودة والجزالة. وكان من نتائج الوصف الشامل للشعر العربي واحتدام الصراع بين القديم والجديد، وبخاصة بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام "انبثاق عمود الشعر"، الذي يعد مصطلحاً استراتيجياً، تلتقي عنده ثوابت القصيدة شكلاً ومضموناً ووظيفةً.

كما أن قضية إنتاج النص والحكم عليه أخلاقياً بالسرقة والاستحسان والقبح يؤكد هيمنة النموذج القديم؛ ففي باب إنتاج النص، يقول القاضي الجرجاني: «ما تتسع له أمة وتضيق عنه أخرى، ويسبق إليه قوم دون قوم لعادة أو عهد أو مشاهدة أو مراس؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتركة [بمعنى بيضة] النعامة ولعل في الأمم من لم يرها، وحمرة الخدود بالورد والتفاح وكثير من الأعراب من لم يعرفهما، وكأوصاف الفلاة ومن الناس من لم يصحر، وسير الإبل وكثير منهم لم يركب» (13).

فمن هذا الجانب تتوارد الصور وتتداخل العبر حتى ترتسم في الذهن الجمعي عند أمة من الأمم، وربما اتسعت لغيرها من الأمم فتكون شعوراً إنسانياً كلما ساعدت على ذلك أجهزة الاتصال، وربما ضاقت حتى انحصرت في نظر بعض المبدعين حتى تُكتب باسمه على نحو ما سجّل النقاد بعض إبداعات امرئ القيس في التشبيه. ولهذا نرجح أن قول نقادنا بمصطلح السرقة مبني أساساً على استثناء النحل والانتحال في بيئة الرواة والشعراء من جهة، وتأثر منهج البلاغيين والنقاد بمنهج علماء الحديث واللغة في الجرح والتعديل والأمانة العلمية من جهة أخرى من هذه الزاوية تبدأ الخصوصية التعبيرية التي تصدّى لها عمود الشعر قديماً واصطلاح عليها المعاصرون، مع بعض الاختلاف وكثير من التجوّز. بالبلاغة الأدبية المتضمّنة في البلاغات النوعية. فبالنسبة للشعراء العرب في العصر الجاهلي قد أنتجوا نصوصاً، تعبّر عن حالهم (أطلال، ذكرى الدار والتغزل بالمحبوبة/كثر الترحال، وصف الناقة والرحلة/الصراع بين القبائل، الذات والآخر، الخير والشر...). فتحقق لهم من شروط النصية سلامة المعنى ودقته، ثم اختاروا لتلك المعاني قوالب موسيقية صوتية، مبنية على التشاكل والتباين والتوازي.

ولكون الإنشاد مثل قناة الاتصال في الشعرية العربية، فقد ضبط النقاد الإيقاع الشعري على أساس التكرارات الواضحة المتوالية، خصوصاً الوزن والروي والقافية. على حين لم يقيموا وزناً للتجانسات الصوتية المتوزّعة على أماكن متنوعة في ثنايا القصيدة العربية.

من أجل ذلك تتبّع النقاد سقطات الوزن في هذا الباب وتقبّلها الشعراء، ولم يروا بداً من تقبّله. يقول الأمدي بعد أن أورد شواهد كثيرة للاستدلال على اضطراب الوزن وكثرة الزحاف في شعر أبي تمام: «ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تتبّعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً» (14). فهذه المقولة يتضح أن مرجعهم الوحيد ههنا النص القديم الفصيح الذي عليه تُقاس النصوص وبه يُعرف الملحون من الموزون، وليس ما أثبتته العروضيون.

لكن هذا الأمر لم يَسْرِعْ على جميع البيئات، فكلّ أمة ترتجل أنماطا معينة للتعبير عن أحاسيسها وتطلعاتها، فيمكن أن تميل إلى الشعر الغنائي، أو النص الخطابي الإقناعي، أو الشعر التصويري الإبداعي. لذلك تراها تنزع ربما إلى الألفاظ المناسبة للمعاني التي تريد، والمعاني المناسبة للأنماط التي تؤم مع الإصباة في الوصف. إذ نتحسّس من شعر الموشّحات والأزجال رغبة مضمرة في إبراز خصوصية المغاربة والأندلسيين، الذين برزوا في هذين النمطين الإيقاعيين كما برزوا في الشعر العمودي. ولا يمكن أن نحكم عليهم إلا بمناسبة اللفظ للمعنى والمعنى للفظ؛ لأن اختلاف المغاربة عن المشاركة في بعض المعاني: (الاهتمام بالطبيعة، الفلسفة، التفاعل مع أوروبا، الميل إلى الطرب...) كان من نتائجه انبثاق أوزان تتناسب مع ذلك. على حين ظلّ المشرقي وفيها للأوزان الخليلية ليس فقط لغلبة الطابع العربي في العصر الأموي، ولكن كذلك لوظيفة الشعر الخطيرة في فهم القرآن وفهم الحياة والثقافة.

وإذا كان هذا حال الوزن والقافية، حيث ضبط الخليل رياضيا أوزان الشعر العربي، فالأمر بدا مختلفا في مسألة الاختيارات اللغوية والأسلوبية؛ إذ إن حصر المبدع في ألفاظ بعينها أو صور مكرورة تجعله يقبع في التقليد وتُقبّر عنده الأصالة وروح التجديد.

فمع إصرار النقاد على محاكاة المحدثين في العصر العباسي للقديما من الشعراء المُفلقين ظلّ بابا سهل الفتح، وحاجزا ليس صعب التجاوز؛ فلا يحيط بلغة العرب الإنبي، ولا يمتلك إيقاف تطوّر اللغة وتعبيرها عن المستجدات إلا باتفاق سلفي للمجتمع العربي. وهي فرضية غير قابلة للتحقق بعد ما حدث في القرن الثاني للهجرة من تفاعل حضاري وتدقّق.

لأجل ذلك طفق التجاوز يشيع نسبيا في المعاني والبناء مع شعراء النقائض، حين نهضوا بفن الهجاء، بشعر تماثل في الأداء وتشاكل في الصور تقاذفوا فيها المفاخر والنقائض. كما تزعم أبو نؤاس دعوة علنية إلى أن يعيش الشعراء عصرهم، فكانت ثورته على الأطلال. ثم جاء المتنبي وشغل الناس به، وأثار بين النقاد جدلا لما ينته عن عملية إنتاجية النص لا يقل عمقا عما أثارته الخصومة بين الطائيين في مسألة الطبع والصنعة. (15) وهذه المسائل ماثورة بتفاصيلها في كتب البلاغة التطبيقية مثل كتاب عيار الشعراء لابن طباطبا وكتاب الموازنة بين الطائيين للأمدى وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني.

يطلعنا صاحب الوساطة، مثلا، عن زوايا مهمة في النظر البلاغي لعملية إنتاج النص من خلال مقارنة الإشكاليات الآتية: متى يبدأ الإبداع؟ أين نحكم على الشاعر بالسرقة؟ ما هي حدود المعاني المشتركة المتداولة؟ وهذه في نظر صاحب الوساطة ميزة الشاعر الحاذق «حيث إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنعه، وعن نظمه ووزنه، وعن رويته وقافيته، فإذا مر بالغي الغفل وجاهدهما أجنبيين متباعدين، وإذا تأملهما الفطنُ الذي عرف قرابة ما بينهما، والوصلة التي تجمعهما» (16).

فإفاضة القاضي الجرجاني في الحديث عن السرقات الشعرية والمعاني المتداولة، وتفاعل النصوص بقصد وبغير قصد يشي بمدى مقارنة بلاغيينا للنص من جهة عملية إبداعه، كون ذلك يمثل جزءا من مفهوم النصية؛ فكم من قصيدة أو خطبة بدت غير مكتملة وغير منسجمة، حتى إذا علم القارئ تماثلها مع النمط السائد من القصائد أو الخطب السابقة لها، وتلاقح بنيات تلك مع هذه وتناغم صورهما حكم عليها بالنصية.

في المقابل أبي جملة من الشعراء إلا أن يكونوا مرآة صادقة لعصرهم؛ فهمهم أمر ما وصلت إليه الحضارة العباسية من رقي واحتكاك بالآخر وتغيّر لغوي اصطلاحا، فخرجوا عن البناء الفني للشعر القديم. فحدثت



الاستثناءات التي راقت أحياناً وتضاءلت واطمحت أحياناً أخرى. وقد قادت هذه الاستثناءات الدارسين إلى أن يعدّوا البلاغة هي فن التجاوز تركيبياً ودلالياً، وكان مصطلح البديع السلة التي رميت فيها تلك الانزياحات.

ففي تراثنا البلاغي العربي نلاحظ أن مصطلح البديع كان شاملاً في فترة من فتراته لعلوم البلاغة، من خلال تغطيته لكل الخصوصيات التي تجعل من النص شعرياً، بدءاً من الاختيارات النحوية التي تحدث في النص لأغراض محددة، مروراً بمسالك المعنى من الوضع إلى الاستعمال المجازي، وانتهاءً بما استقر عليه مصطلح البديع من مسائل الزخرفة اللفظية والصنعة، فقد كان معناه متناغماً مع دلالاته اللغوية.

ويرى محمد مفتاح أن «التسميات الثلاث: علم البيان وعلم البلاغة وعلم البديع كانت شائعة في المشرق والمغرب، وتبادلت المواقع بحسب الظروف التعليمية والثقافية والاجتماعية. ولكن هذا التبادل لم يكن إلا في عناوين الكتب، وأما داخلها فكانت تتعايش وتتداخل» (17).

وفي سياق متصل علينا أن نؤمن ابتداءً أن مصطلح الإبداع لا يعني الانطلاق من العدم، بقدر ما يعني إعادة ترتيب، وحسن تقديم، ودقة في إيجاز، وإفادة في إطناب، وتقريب للمعنى وتقويته بمقاربة بين صورتين، وزخرفة في الأسلوب، من خلال تناغم صوتي أو دلالي.

ولعل صاحب "العيار" قد فصل الخطاب حين أجمل فقال واصفاً عملية إنتاج النص الأدبي: «على الشاعر أن يديم النظر في الأشعار (...) لتلصق معانها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، وتصير مواداً لطبعه، ويذوب لسانه بألفاظها. فإذا أجاهش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأوصاف التي تخرجها المعادن. وكما قد اغترف من واد قد مدته سيول جارية من شعاب مختلفة» (18).

فلا يبقى لأثر تلك النصوص جلاء، بعد أن تفاعلت في ذهنه وتناغمت في روعه وصقلت حسب وضعه واستعماله، فلم يعد القارئ بله الناقد يستطيع أن يجزم أن الشاعر قد أخذ من هذا أو تأثر بهذا إلا على سبيل المقاربة والاجتهاد. فالنص - كما نادى بذلك كريستيفا (J. Kristeva) - إنتاجية مبنية على أساس إعادة التوزيع والتفاعل مع مقام الإبداع.

وقد كان من أبرز مظاهر الصراع بين القديم والجديد البديع، حيث أخذ النقاد على الشعراء كثرة توظيف البديع مع عدم وجود داعٍ بلاغي لذلك، ولعله من المجحف أن نتهم البلاغيين بإنكارهم الصنعة والزخرفة اللفظية لمجرد أنها طارئة على الشعر العربي، فيمكن أن «يحصل الانسجام مع البديع، الذي أتت به القريحة عفواً من غير استدعاء ولا كلفة، كقول أبي تمام: [البسيط]

إن شئت ألا ترى صبر المصطبر  
فانظر على أي حال أصبح الطلل

فأنت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة والتعليق والإشارة» (19).

إن البلاغيين أدركوا أن البديع موجود في الشعر منذ القدم، ولا يمكن إنكاره، لهذا ما أعابوه على بعض المحدثين هو عدم انسجام توظيف البديع مع المعنى المراد أو التكلف في توظيفه. مما يفقد النص نصيبته. وفي هذا الصدد نذكر ما أورده ابن منقذ في تعريف الاستطراد: اعلم أن الاستطراد نبه عليه أبو تمام والبحثري، وهو أن تمدح شيئاً أو تدمه ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله، وهو في أشعار المتأخرين بالقصد وفي أشعار المتقدمين بالطبع.

ولا ندري كيف حكم ابن منقذ على القدامى بالطبع، وعلى المحدثين بالقصد، على الرغم من كونه لم يقم بتحليل الشواهد التي سردتها، ولم تشعر بتخاذل المعنى في مجازاة اللفظ. ويُخيل إلينا أنه حكم مسبق عن المحدثين فقط.

وكان التخلص من المقدمة التقليدية أبرز مظاهر الإبداع التي شغلتُ النقاد والبلاغيين، وأسالت الحبر الكثير، وربما أفضل قراءة لهذا التغيّر في البناء الفني هي القراءة النصية. فهل حقيقةً ما أثار البلاغيين على استبدال المقدمة الخمرية وغيرها بالمقدمة الطلالية، إنما هو الرغبة في محاكاة المحدثين للقدامى؟ إن العودة إلى نصوص الشعر الأموي والعباسي التي ظلّت محافظة على البنية الفنية للقصيدة الجاهلية، لا نتحسس فيها غياب النص كما لا نشعر بذلك في النصوص التي خالفت البناء الفني للقصيدة القديمة. لأنّ للشعراء المحافظين مقاصدَ وغاياتٍ أفضت بهم إلى استحضار الطلل مثلاً في عصر لم يعد للأطلال وجود؛ يقول القرطاجني في سياق المفاضلة بين القصيدة ذات الغرض الواحد والقصيدة المتعددة الأغراض: «والقصائد منها بسيطة الأغراض ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مديحاً صرفاً أو ثناءً صرفاً، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح. وهذا أشدّ موافقاً للنفوس الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتتان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد» (20).

فانظر كيف انتبه صاحب المنهاج إلى نزوع النفس البشرية إلى التنوع خصوصاً عند العرب، حيث تهوى التراوح بين الطلل والنسيب والمدح ووصف الرحلة والفخر مع الحفاظ على نسق النص وانسجامه، ولولا استكناه نقادنا لمقاصد المبدعين وقدرة بلاغيينا على عمق التفسير، لَحُكِمَ على القصيدة الجاهلية بله التقليدية بعدم الانسجام أو التلفيق غير المؤسس؛ و«ملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المُفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم. وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعضوبة من جميع ذلك. وكذلك سائر المقاصد» (21).

فتوارد المقدمة الطلالية والغزلية مثلاً في الشعر لا يخلو من مقصد إثارة دواخل نفس القارئ العربي الدائم البحث عن عمقه التاريخي، وضياعه النفسي الذي سيزداد خطراً مع اتهامات الشعوبيين للعرب بانعدام الخصوصية، وهو ما يتيح الشعر الجاهلي.

وبناء عليه، يمكن أن يُقرأ استحضار الطلل وغيره من دعائم البناء الفني للشعر الجاهلي على أنه رمز نفسي تاريخي عقدي، يتجاذبه الشعراء لتكون قصائدهم أكثر مقروئية وإبداعية وإنتاجية؛ ولعل الشعر المعاصر قد ضرب لنا أروع الأمثلة في تكتيف النصوص بتوظيف أساطير ورموز كأوديب وجلجامش وعشتار، مما لا عهد للشعراء العرب بها، لكنه صراع المقروئية والبحث عن الذات في زمن صراع الخطابات. خلاصة

إن الحديث عن أيّ وضع علمي للبلاغة تعترضه مشكلات، كون البلاغة ماثلة في طبيعة الأشياء وفي الحياة وفي جميع أشكال التعبير والتواصل البشري، فلا يمكن أن تكتسب شكلاً محدداً كما لا يمكن لقواعدها أن تُلتزم في علم مغلق. فالبلاغة تستمد حدودها ومفاهيمها من طبيعة الإبداع اللفظي وغير اللفظي للإنسان في مجرى التاريخ، لذا لا نُفاجأ من التدفّق الرهيب للصور والوجوه الأسلوبية التي أنتجت البلاغة الإنسانية في سعيها لتصنيف أشكال التعبير البلاغي في مختلف الخطابات والنصوص. (22) فهذا العلم استطاع أن يستيقظ ويكتسح بقوة الأقاليم المختلفة للنص، وكان من نتائج هذا التطور:

- أن صارت البلاغة علماً مستقبلياً يترع إلى أن يصبح علماً واسعاً للمجتمع، فهي لم تعد علماً خاصاً بالخطاب الخاص، وإنما صارت علماً عاماً للخطابات كافة.

أُنْ انتقلت من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته؛ أي إنها تخلّت عن نزعتها المعيارية لتهتم برصد الوقائع. (23)

قد كان الجامع المشترك بين كل تلك المقاربات هو النص، كونه يمثل وحدة نحوية دلالية تداولية بلاغية، تتفاعل فيها الدلائل والمدلولات على ضوء المقام، ويتسم بالتجدد الدائم متأثراً بالتطورات التي تعرفها مختلف مناحي الحياة. إن البلاغة تسير مع النص جنباً إلى جنب تسائله في بنيته ودلالته ونمطه، في عملية إنتاجه واستقباله، في تأثره بالمقام وأثره فيه.

- 
- (1) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين-الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الأستانة العليا، ط1، 1320هـ، ص2.
- (2) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول. الموقع: <https://www.minculture.gov.ma/?p=3578#.YlbFmXjMLIU> تاريخ التصفح: 2022-04-13، الساعة 13:48.
- (3) ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص 146.
- (4) ينظر: منال محمد هشام، نظرية المقام عند العرب في ضوء البرغماتية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432هـ-2011م، ص 84.
- (5) ينظر: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1999م، ص 28.
- (6) ينظر: أحمد طايبي، التواصل البلاغي من المصحح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية، ط1، 1429هـ-2008، ص 80، 81.
- (7) ينظر: محمد العمري، "المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد:3، 2013م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص59، 63، 77.
- (8) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد الزين وأحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 141/2، 142.
- (9) ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2012، ص7.
- (10) الجرجاني، كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، جدة، (دط)، (دت)، ص 351، 352.
- (11) حسن طبل، الصورة البيانية في التراث البلاغي العربي، ص180 وما بعدها.
- (12) ينظر: محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة للأستاذين لانسونوماييه، دار نهضة مصر، القاهرة، (د ط)، 2004م، ص 75، 81.
- (13) ينظر: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، ص 163.
- (14) ينظر: الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الكويت، ط4، 1379هـ-1960م، 309/1.
- (15) ينظر: عماد محمد محمود البيخيتاوي، مناهج البحث البلاغي عند العرب-دراسة في الأسس الفكرية، ص205.
- (16) ينظر: المصدر السابق، ص 178. ديوان كثير عزة، ص 176. إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي نواس، منشورات دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة، بيروت، ط1: 1983، 469/2.
- (17) ينظر: محمد مفتاح، التلقي والتأويل-مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 1994م، ص15.
- (18) ينظر: ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 14.

---

<sup>(19)</sup> ينظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير، تحقيق عبد آعلي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص432. إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي تمام، 417.

<sup>(20)</sup> ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص304.

<sup>(21)</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص310.

<sup>(22)</sup> ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأدب، ص 150، 151.

<sup>(23)</sup> ينظر: تقديم عمر أوكان لكتاب: رولان بارث، قراءة جديدة لللاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، (د ط)، 1994م، ص 8.

جامعة محمد خيضر-بسكرة-  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية  
الملتقى الوطني

البلاغة الجديدة (المفهوم والمصطلح) بين التراث العربي والفكر النحوي الحديث  
بتقنية التحاضر عن بعد والحضور: يومي 09-10 ماي 2022

عنوان المداخلة:

الكلمة في التراث النحوي والبلاغي بين التوصيف والتوظيف.

محور المداخلة:

المحور 2: البلاغة الجديدة في التراث

الدكتور: أحمد تاويليت Ahmed Taoulilit

الرتبة: أستاذ محاضر - ب-

المؤسسة: جامعة محمد خيضر-بسكرة-

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الإيميل: ahmed.taoulilit@univ-biskra.dz

تمهيد:

الكلمة في العربية لها منزلة رفيعة بفضل النص القرآني، وهو حقلها الواسع الذي تتجلى فيه معالمها ووظائفها ودلالاتها، وهي أبرز معالم اللغة ونواتها المركزية، والكلمة -من هذا المنظور- حد فاصل بين العدم والوجود، والفناء والحياة في الكون والطبيعة، وهي علامة (دال-مدلول) على الكائنات والمسميات، والمحسوسات، يختارها الإنسان -المتكلم والمبدع- ويؤلفها في أنساق تعبيرية في الكلام -أوداخل النص- ويفسرها المتلقون والقراء إلى دلالاتها الجزئية، والكلية داخل التراكيب والجمل قصد التواصل المعرفي والفني والتفاهم.

ولقد نظر علماء العربية من نحاة وبلاغيين إلى الكلمة من حيث كونها المركب الوصفي والمكون الأساسي للغة، وساقوا تعريفاتها ومفهومها وحدودها، ومظاهرها الشكلية المتمثلة في مكوناتها وبنيتها الصرفية، واقتربت أراؤهم بتقسيماتها في ظل مقولات الكلم العربي، في حين انصب الاهتمام بها من الوجهة البلاغية في موضوعات شتى في ضوء نظرية النظم، والسياق، ومقتضى حال المخاطب والمخاطب، وفي ظل قضية الحقيقة والمجاز، وما توجيهه من جماليات فنية داخل التركيب.

ولم يتوان علماء البلاغة في إيضاح الكلمة من حيث: فصاحتها وبلاغتها في الأنساق التركيبية المختلفة؛ فبينوا معايير ومقاييس الكلمة في درسهم البلاغي، سواء من حيث كونها لفظا ومعنى حينما عالجوا قضية اللفظ والمعنى، أو ما يتعلق بهما من مباحث نحوية و أناريين الاتجاهين: النحوي منه والبلاغي.

إن الأساس الذي جعل للكلمة أهمية بالغة في الفكر النحوي والبلاغي، ومنزلة رفيعة؛ كونها تتميز بخصائص ومميزات أثناء الاستعمال في اللغة، وخاصة في النص القرآني الذي يتصف بالإعجاز، والإعجاز -ربما- كان بفضل سمات الكلمات الموصوفة بالمجاز والثراء في المعنى، وإيحاءاتها الدلالية من خلال ورودها في النصوص الشعرية والنثرية.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن الكلمة في العربية تظل مشحونة بدلالات لا متناهية ومتغيرة -دوما- بتغير الاستعمال، والأغراض والمقاصد مفردة كانت أم مركبة مع غيرها. وقد تنوعت حقول ورودها وأحكامها من العقيدة والشريعة، إلى الأجناس الأدبية من قصائد شعرية وخطب وقصص وروايات، ولها معان ودلالات مرتبطة بالوقائع التاريخية في ظل علم التاريخ. مما يجعل لها موقعا هاما في مختلف الفروع العلمية، وفي النظريات اللغوية والأدبية، وفي كل مظاهر الوعي الفكري للإنسان.

والنص الأدبي هو المجال الخصب للكلمة، تتنوع فيه دلالتها ظهورا أو خفية أو إيحاء؛ وذلك من خلال طبيعتها اللفظية، وماهيتها ونسقتها التركيبي؛ فهي -أي الكلمة- البؤرة التي يتمركز حولها العنوان والمتمن، لها ظلال في العربية مركزية وهامشية وانحرافات دلالية في ضوء ظاهرة الانزياح التي تخرج الكلمة ومعناها عما هو بدوي أو مسلم به.

ولا ريب؛ أن تشريف القرآن للعربية، هو تشريف -كذلك- للكلمة المسكونة والمشحونة بالبيان وسحر المعاني أثناء التعبير، وبروعة الأسلوب في بناء لغة النص.

أولا: مفهوم الكلمة في اللغة -في المعاجم-

الكلمة في نظر علماء المعاجم العربية هي: «كل ما ينطق به الإنسان مفردا كان أو مركبا والجمع كلمات وكلم. ويقال: كلمة يكلمه (من بابي نصر وضرب... فهو مكلم وكليم، وكلمه تكليما وكلاما إذا حدثه...، ويطلق على ما يلفظ به المتكلم»<sup>(1)</sup>. وفي مصطلح "الكلمة" عدة لغات وتسميات؛ فتميم «تقول: هي كلمة -بكسر الكاف وحكى

<sup>(1)</sup> موسوعة المصطلح في التراث الديني والعلمي والأدبي، محمد الكتاني، دار الكتب العلمية، ط 1، 2014، بيروت،

الفراء فيها ثلاث لغات: كلمة وكلمة وكلمة... والكلمة تميمية، والكلمة: اللفظة حجازية وجمعها كلم تذكر وتؤنث؛ يقال: هو الكلم وهي الكلم. التهذيب»<sup>(2)</sup>.

أما تسميتها؛ فإنها تقع من حيث ما تحويه من مكوناتها «على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. يقال: قال الشاعر في كلمته؛ أي: في قصيدته. قال الجوهري: الكلمة القصيدة بطولها»<sup>(3)</sup>.

ومن تعريفات الكلمة؛ ما جاء مقترنا بالكلام والكلم، فقال صاحب المصباح المنير في ذلك: «كلمته: تكلما والاسم (الكلام) والكلمة بالثقل لغة الحجاز وجمعها (كلم) و(كلمات)... والكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم...»<sup>(4)</sup>.

وتوصف الكلمة في عرف اللغويين: بتعدد التعريفات والحدود من جهة الشكل والدلالة؛ فقد تدل على كل ما ينطق به من حروف - أو أصوات - أثناء التعبير، على اللفظة الواحدة أو مجموعة الألفاظ، كما تطلق على النص كاملا إطلاقا مجازيا سواء أكان نصا شعريا أو نثريا؛ فيقال: الكلمة الاستهلاكية: وهي ما يبتدئ به الكتاب أو الخطبة أو الحفل أو نحوه.

كما يقال: كلمة الختام لما يختم به من كلام، سواء أكان كتابا أم خطبة أم حفلا...<sup>(5)</sup>

وثمة اعتبار علاماتي للكلمة؛ فهي علامة والكلمات علامات أي: أنها جزء من فضاء علاماتي هو النظام اللغوي للغة العربية لغة التراث الديني والثقافي والحضاري. ومن هذا المنظور؛ تصبح الكلمة أداة للإدراك والوعي عند المتكلمين والسامعين، تحويها لغة التعبير والتواصل بطرق وأساليب؛ تختلف باختلاف الاستعمال للجمل والعبارات من ذلك ما قد يرد، إنشائيا أو خبريا، أو بالنفي والاستفهام، والتوكيد والشرط والتعجب... وغيرها. وكل ذلك؛ يسوقنا نحو القول: إننا لا نستطيع أن نغفل الكلمة وما تؤديه من دور في اللغة أثناء التواصل أو في علم اللغة Linguistics، لأن كل متكلم لديه فكرة محددة وبتمهيبة حول الكلمة؛ قد يستوي في ذلك القارئ والكاتب<sup>(6)</sup>. مما يكشف مركزية الكلمة في اللغة، إذ لا تخلو منها كل اللغات العالمية، غير أن معاييرها وخصائصها مفردة كانت أو مركبة في العربية تختلف عن اللغات.

والخاصية الأساسية والشائعة للكلمة في العربية؛ هي الإعراب وكذا الاشتقاق والترادف، والتضاد، وثناء المعنى بحسب السياق، كما أنها - في العربية - تظل مرتبطة بالظواهر الصرفية؛ كالسبق والإلحاق، والإعلال،

<sup>(2)</sup>لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط 6، 2008، بيروت، لبنان، م 13، ص 105 مادة: ..... .

<sup>(3)</sup>المصدر نفسه، م 13، ص نفسها.

<sup>(4)</sup>المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العصرية، (د ط)، بيروت، 2014، ص: 278 (مادة ك ل م)

<sup>(5)</sup>ينظر: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/انجليزي/فرنسي) إميل بديع يعقوب، وبسام بركة، ومي شيجاني، دار العلم للملايين، ط 1، شباط (فبراير)، 1987، بيروت، لبنان، ص 328.

<sup>(6)</sup>ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 2011، الإسكندرية، مصر العربية، ص 20.

والإبدال... وللکلمة علاقة بالعالم الخارجي بين الأسماء والمسميات فهي: رمز على الذوات والموجودات في الطبيعة والکون، مما ينزلها منزلة السمة حينما توسم بها الأشياء في الکون.<sup>(7)</sup>

ويمكن أن نستخلص من خلال ما ذكرناه؛ أن علماء اللغة وأصحاب المعاجم لم يسهبوا كثيرا في تعريف الکلمة وانساقوا وراء تعريفها حينما تكون مقترنة مع غيرها من الکلمات، وتآلفها في التراکيب المختلفة. والکلمة في نظرهم -مفردة- جنس للکلام، تطلق على اللفظة الواحدة، وتقع على حرف واحد أو مجموعة حروف، ولا اعتبار للكتابة في الکلمة؛ لأنها من اللغة، وحد اللغة بالدرجة الأولى يرتبط بالأصوات والتلفظ أثناء النطق. قال ابن جني (ت: 392 هـ): «في باب القول على اللغة وما هي؛ أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>(8)</sup>. وتستمد الکلمة كيانها وجوهرها من الطبيعة الصوتية تارة، والطبيعة الفيزيائية تارة أخرى، وكل ذلك لتحقيق غرض التواصل، والتفاهم بين أفراد المجتمع، ولتلبية المقاصد البيولوجية، والنفسية، والفكرية... والکلمة في دلالتها على المعنى في ذاتها، أو بائتلافها مع غيرها؛ تعتبر مادة ترمز إلى المعنى أثناء التلفظ، وذلك المعنى كامن في النفس الإنسانية، وفي الأذهان.

ثانيا: الکلمة في نظر النحاة والبلاغيين:

أ- الکلمة عند النحاة: لقد لقيت الکلمة اهتماما بالغا من لدن النحويين؛ فخصصوا لها في درسهـم النحوي مجالا واسعا، وعرضوا لماهيتها في ظل مناقشتهم لأقسام الـکلم في العربية، وعالجوا ما يعتور شكلها ووظائفها في سياق حديثهم عن المقولات النحوية، إذ ألزموها -الکلمة- بمعايير وخصائص بينوا من خلالها نوعها بين الاسمية والفعلية والحرفية.

غير أن المنهج الذي اتخذه النحاة، واختاروه لدرسهـم النحوي للکلمة؛ إنما ركزوا فيه على السمات والعلامات التي توسم بها الأسماء منها، والأفعال والحروف، وكان ميلهم في هذا الشأن؛ نحو الکلمة المفردة خارج التركيب فنناقشوا قضاياها من حيث: الإعراب والبناء، والتأنيث والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع، والتعريف والتذكير، وانصبت نظرتهـم على الکلمة في ضوء مقتضيات الـکلام، وانبتت -أساسا- على العلامة كمعيار من المعايير التي صنفوا بها الکلمة ووصفوها دون أن يركزوا على المفهوم باعتباره من البديهيات والمسلمات.

إن نظرة النحاة إلى الکلمة؛ كانت مستمدة من قناعات واتجاهات أملتها عليهم توجهاتهم الفكرية والمعرفية التي تأسست من خلفيات مذهبية وعقائدية وانطلاقا من فكرة العلامة والسمة التي توسم بها الأشياء في الوجود، وفي العالم الخارجي، كما أولوا اهتماما بالصفات الصوتية للکلمة التي كانت في مقدمة التحليل والوصف.

<sup>(7)</sup> ينظر: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/انجليزي/فرنسي) ص نفسها.

<sup>(8)</sup> الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الکتب المصرية، ط 2، 1952، القاهرة، 33/1.



ومما ورد من آراء حول الكلمة عند النحاة، وفقا لما ذكرناه في ضوء منهجهم في الدرس النحوي؛ قول سيوييه (ت: 180 هـ) في «باب علم ما الكلم من العربية؛ فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل».<sup>(9)</sup>

والشأن نفسه بالنسبة للمبرد (ت: 285 هـ)؛ الذي قال: «فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو الكلام عربيا كان أو أعجميا من هذه الثلاثة»<sup>(10)</sup>، وقال ابن السراج (ت: 316 هـ) كذلك: «الكلام: يأتلف من ثلاثة أشياء: "اسم" و"فعل" و"حرف».<sup>(11)</sup>

وتلك الرؤى المفهومية التي ساقها النحويون حول الكلمة، والواردة في متون مؤلفاتهم؛ إن هي سوى لفظة متناثرة بين موضوعات درسهم النحوي وتجسيد للجانب الصوتي، والصرفي. قال أحد الدارسين في هذا الشأن: إن الدرس الصوتي بدأ «جنباً إلى جنب مع نظيره الصرفي والنحوي والمعجمي».<sup>(12)</sup>

وبذلك؛ فقد بقيت الكلمة عند النحاة قبل القرن 4 الهجري دون مفهوم، إلا ما كان من قبيل التقسيم والتصنيف من الوجهة الصرفية.

أما الكلمة في عرف النحاة بعد القرن الرابع الهجري، فقد بدأت معالمها تتضح بعض الشيء، من حيث ماهيتها وحقيقتها، ولعل الذي صرح بمفهومها تصريحاً جلياً هو الزمخشري (ت: 538 هـ) في مفصله في فصل سماه: (في معنى الكلمة والكلام)؛ فقال: "الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف"<sup>(13)</sup>، وحذا حذوه أبو المكارم المطرزي (ت: 610 هـ) في كتابه: المصباح في علم النحو.<sup>(14)</sup>

في حين؛ أشار ابن يعيش (ت: 643 هـ) إلى اللفظة باعتبارها جنس للكلمة، إذ تنوع إلى المهمل منها والمستعمل فقال: «فاللفظة جنس للكلمة، وذلك أنها تشمل المهمل والمستعمل؛ فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف ولم يضعه الواضح بإزاء معنى، نحو: صص وكق ونحوهما»<sup>(15)</sup>، وهذا التعريف ارتبط بنوعين من الكلمات، ما ائتلف منها من الحروف وانعدم معناه، والمستعمل الذي يحمل معنى.

---

<sup>(9)</sup>الكتاب، سيوييه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، ط 3، 1988 م، القاهرة، 12/1.

<sup>(10)</sup>المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د ط)، 1994، القاهرة، 3/1.

<sup>(11)</sup>الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1999 م، بيروت، لبنان، 36/1.

<sup>(12)</sup>في الفكر اللغوي، محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط 1، 1989 م، القاهرة، ص 135.

<sup>(13)</sup>المفصل في علم العربية، الزمخشري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، (د ط)، (د ت)، بيروت، ص 32.

<sup>(14)</sup>ينظر: المصباح في علم النحو، أبو المكارم المطرزي، تحقيق: ياسين محمود خطيب، مراجعة: مازن المبارك، دار الفنائس، ط 1، 1997، بيروت، لبنان، ص 41.

<sup>(15)</sup>شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبّي، (د ط)، (د ت)، القاهرة، 18/1، 19.

ويقترَب من التعريفين المذكورين، ما أورده ابن الخشاب (ت 567 هـ) حينما فرق بين الكلمة والكلام؛ فقال: «الكلمة هي اللفظة المفردة، وإن شئت قلت: الجزء المفرد. هذا الأصل... وما يتخاطب به الناس من الجمل المفيدة التي سماها جمهور النحويين كلاما (ألفاظ مؤلفة، وكل مؤلف فله مفردات منها ألف، فالكلام مؤلف، مفرداته هذه الكلم الثلاث فهو ينتظمها ومنها ينتظم»<sup>(16)</sup>، وساق ابن الحاجب (ت 646 هـ) تعريفا للكلمة؛ فقال: «الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد»<sup>(17)</sup>، وشرح رضي الدين الأسترياذي قول بن الحاجب؛ فقال: «اعلم أن الكلم جنس الكلمة»<sup>(18)</sup>.

أما ابن مالك (ت: 672)؛ فقد لخص موقف النحاة القدامى والمتأخرين من الكلمة، في ألفيته فقال: «كلامنا لفظ مفيد كاستقم. اسم وفعل ثم حرف الكلم واحدة كلمة، والقول عم، وكلمة بها كلام قد يؤم»<sup>(19)</sup>

فهو يرى أن الكلام شرطه الإفادة التي تتأتى من تعلق الكلمات والجمل، ونوه بأقسام الكلمة –جنس الكلم- وهي مفرد للكلام.

والمتأمل في نظرة النحاة العرب إلى الكلمة؛ يُوحى إليه بجلاء أنهم أغفلوا جوانب كثيرة تخص مصطلح "الكلمة"، منها جانب الكتابة التي تختصر الملفوظ، والسبب في هذا واضح؛ لأن استقراءهم اعتمدوا فيه كثيرا على المشافهة والسماع للغة من الرواة، والقبائل الفصيحة في نظرهم؛ فاختلطت –ربما- تعريفات الكلمة في أذهانهم بين اللفظ والكلمة، ولم يولوا اهتماما بالتفريق بين الصوت والحرف، في أحيان كثيرة، واعتبروا المصطلحين كالأشياء الواحد من الناحية الوظيفية (phonologie) والصوتية (phonetic). كما بدت لهم الكلمة من جهة مفهومها بديهية ومن المسلمات فراحوا يصفونها من حيث التقسيم؛ فقالوا: الكلمة اسم وفعل وحرف، ووضعوا لكل قسم مجموعة علامات أخضعوا لها الكلمات في العربية.

والحقيقة أن الخاصية الصوتية للكلمة؛ هي الإنجاز الفعلي أثناء التكلم والتخاطب والتصويت سمة اجتماعية بين الأفراد حين التواصل والتعبير عن الحاجيات من الوجهة البيولوجية (Biologie). وخلص أحد الدارسين في هذا الشأن إلى قول مفاده: «وهكذا انصب اهتمام النحاة على الجانب التركيبي من خلال تحديد أصناف المكونات التي تتألف في سبيل الجملة أو الكلام»<sup>(20)</sup>.

مؤكدًا بقوله هذا؛ وجوب صدارة الجملة في موضوعات الدرس النحوي عند القدامى ثم قال أيضا: "وكان من المفروض أن ننتظر القرن الرابع ليغدو تعريف الكلمة من المقدمات الأساسية في الكتابات النحوية"<sup>(21)</sup>.

<sup>(16)</sup>المرتجل، ابن الخشاب، تحقيق ودراسة: علي حيدر، مكتبة مجمع اللغة العربية، (د ط)، 1972 م، دمشق، سوريا، ص: 4، 5.

<sup>(17)</sup>شرح كافية، ابن الحاجب رضي الدين الأسترياذي، دار الكتب العلمية، (د ط)، 1995 م، بيروت، لبنان، 21/1. المصدر نفسه، 21/1.

<sup>(19)</sup>ألفية ابن مالك، ابن مالك الأندلسي، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط 1، 1414 هـ، الرياض، ص 12.

<sup>(20)</sup>الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي فؤاد أبو علي، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011، اربد، الأردن، ص 390.

وإذا كان النحاة فيما سلكوا من منهج لدراسة الكلمة، لم يصرحوا بذلك المنهج المسطر والمتبع، وظلت القيود الفكرية والمذهبية والثقافية مهيمنة على تفكيرهم؛ فإنهم انقادوا وراء قناعة مستمدة من أسس ومرجعيات ثقافية، ومن بينهم الاجتماعية والطبيعية -الواقع الخارجي-، فأدخلوا ما هو غير لغوي إلى اللغة، ووصفوا الكلمة وصاغوا تعريفاتها، واعتبروها اللفظة الدالة على معنى بالوضع واعتمدوا في ذلك على الخاصية الصوتية وسمة التلفظ.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن الكلمة عند النحاة من حيث مفهومها؛ هي: لفظة أو حلقة من سلسلة الأصوات المتتابعة في الإنجاز الكلامي، وهي جنس للكلام وعنصر نحوي متعدد الجوانب من حيث الجوهر والوظيفة والمعنى أثناء التواصل بين أفراد المجتمع.

ب- الكلمة عند البلاغيين:

لما ارتبطت نظرة البلاغيين للغة بالقيم الفنية، والجماليات الأسلوبية للتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية، وكان اهتمامهم منصبا حول مسألة نظم الوحدات اللفظية، التي تتضمنها الجمل والعبارات؛ قادم من نهجهم نحو معالجة المركب الوصفي "الكلمة" المفردة، وما توافت عليه من خصائص ومعايير وشروط ووقفوا وقفة إمعان وتمحيص على ماهية الكلمة مفردة - معزولة عن التركيب- ومن حيث: إحياءها الدلالية، وفصاحتها، وبلاغتها في الكلام، وما تتركب منه من حروف -أو أصوات- وتأليفات صوتية.

وقد أدرك البلاغيون بنظرتهم إلى الكلمة؛ أن "كلمة أفصح من كلمة"، وفصاحتها مرهونة بما تظهره من معنى، فتكون سهلة أثناء النطق إذا لم تكن وحشية أو غريبة. كما أن الكلمة الفصيحة في عرفهم خلوصها من تنافر الحروف، وعدم مخالفتها للقياس.<sup>(22)</sup> وموافقة الكلمة للقياس اللغوي العربي؛ هو مطابقتها للسمات الصرفية؛ من إدغام، أو إبدال... وغيرها، مع سهولة النطق بها من جهة الأصوات غير مستكرهة في السمع.

ولقد أشار ابن الأثير في "المثل السائر" إلى عدم كراهة السمع للكلمة؛ فقال:

«فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت من اللغات يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنه الطبع، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع، ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدها»<sup>(23)</sup>. ونظرة البلاغيين إلى الكلمة في ظل الفصاحة وبلاغة الجملة، ينبغي أن تتوافر

(21) المرجع السابق، ص نفسها.

(22) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط3، (د.س)، بيروت، ص21 وما بعدها. وينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، تقديم الدكتور: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، (د ط)، 1435 هـ/2014 م، صيدا، بيروت، ص 38، 39.

(23) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (د ط)، 1358 هـ/1939 م، القاهرة، 71/1.

ففيها الخصائص الجمالية، ومؤثرة في السامع -المتلقي- من خلال مكوناتها ونظمها في التركيب، إضافة إلى تخلصها من الابتذال والتوعر»<sup>(24)</sup>.

ولقد أشار الجاحظ إلى الكلمة من حيث جمالياتها فقال: «وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا... إلا أنني أزعج أن سخيظ الألفاظ مشاكل لسخيظ المعاني»<sup>(25)</sup>.

والفصاحة يعني بها في عرف البلاغيين، الظهور والبيان والشيوخ، وهي صفة مقصورة على الألفاظ دون التركيب، أما البلاغة فإنها لا تكون إلا وصفا لهما، لأنها ترتبط بالمعاني<sup>(26)</sup>.

وفي كلام العرب سمات الكلمة في العربية؛ من فصاحة وبيان، وجماليات الأصوات، غير أن المعاني مختلفة باختلاف المواقف والصفات، والحالات النفسية للمتكلمين والمبدعين، لأن الكلمة في التركيب -أو النص- تكتسب مخزونا مؤثرا في المتلقي من خلال المعاني الثانوية التي هي من قبيل المجاز، وتتفاوت المعاني بحسب المواضع والمواقع والنظم<sup>(27)</sup>.

#### 1- فصاحة الكلمة:

إن الكلمة الفصيحة في نظر البلاغيين ينبغي أن تتوافر فيها ثلثة من الشروط أهمها:

- عدم تنافر أصواتها: والتنافر يثقل النطق على اللسان ويصبح عسيرا حينما تقترب مخارج الأصوات، وقد يكون التنافر منسوبا إلى بعد مكوناتها من حيث صفات الأصوات النطقية، من ذلك مثلا: الهعجع (قال أعرابي حينما سئل عن ناقته: تركتها ترعى الهعجع)، ومنها: مشتشزرات<sup>(28)</sup>
- عدم غرابتها: لأن لا تكون الكلمة وحشية غامضة المعنى، أو يكون معناها مستورا؛ فيحتاج إلى الغوص في متون المعاجم اللغوية، مما يثقل كاهل السامع أو القارئ، من ذلك؛ ما روي أن عيسى بن

---

<sup>(24)</sup>جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، إشراف الدكتور: نور الدين عشر، دار المكتبي، الطبعة الثانية، 1419 هـ/1999 م، سوريا، دمشق، ص: 46. وينظر: في جمالية الكلمة، حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2002، دمشق، ص: 18.

<sup>(25)</sup>البيان والتبيين، الجاحظ، شرح الدكتور: علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، (د ط)، 2002، بيروت، لبنان، 80/1، 81.

<sup>(26)</sup>ينظر: سر الفصاحة، محمد بن سنان الخفاجي، تعليق وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د ط)، 1372 هـ/1952، ميدان الأزهر بالقاهرة، ص: 60. وينظر: المثل السائر في أدب ال... والشاعر، المصدر نفسه، 67/1.

<sup>(27)</sup>ينظر: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية، (د ط)، 1968 م، بيروت، لبنان، ص 78.

<sup>(28)</sup>ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 22.

عمر النحوي؛ قال حينما سقط عن حمارة فاجتمع عليه الناس: ما لكم تكأتم عليّ كتكأكوكم على ذي جنة افرنقوا عني؛ أي: اجتمعتم، تفرقوا...<sup>(29)</sup>

- كثرة الاستعمال:

إن فصاحة الكلمة عند البلاغيين؛ مرهونة بالاستعمال وكثرة الورد عند المتكلمين الموثوق بعريبتهم، وهم الذين ينتسبون إلى القبائل التي عرفت بالفصاحة والكلمة الأكثر استعمالاً في عرف هذه الفئة من المتكلمين تكون من بين الكلمات المرادفة لها والمشاركة في المعنى، وهذا فيما إذا كانت تتضمن مرادفات.

الكلمة التي ليس لها مرادف؛ فعلامة فصاحتها أن تكون استعمالاً من الكلمات التي ترادفها في المعنى<sup>(30)</sup>. وهذه المعايير والمميزات أشار إليها البلاغيون في متون مؤلفاتهم، وفي سياق معالجتهم لموضوع الكلمة -أو اللفظة- المفردة. والفصاحة في نظرهم علامة للكلمة، كما أن البلاغة سمة من سمات الكلام.

2- فكرة اللفظ والمعنى في التراث البلاغي:

إن هذه الفكرة التي تخص اللفظ والمعنى؛ تركز على تصورات أسهمت في تأصيلها ومناقشتها من لدن فئة البلاغيين والنقاد العرب، ومؤدى تلك التصورات «أن تلك المعاني إنما هي صور مجردة ترسم ارتساماً أولياً في الذهن، وتظل كامنة على تجردها حتى تستثار وتتجسد بالكلم الدالة عليها...»<sup>(31)</sup> ومعنى ذلك؛ أن الكلمة هي الجسد، والمعنى هو الصورة الناتجة عنه، وهذا الأخير -المعنى- كامن في الأذهان حتى تثيره الكلمة، كما أنه قائم في الصدور متصلًا -دوماً- بالخواطر والنفوس عند الإنسان.

ولقد أشار إلى المعنى وطبيعته كل من النقاد والبلاغيين في تراثنا اللغوي، وأول إشارة -فيما أورده بعض الدارسين- إلى ذلك نوه بها الجاحظ، الذي حاول تحديد المعنى من حيث الكيفية والوجود؛ فقال:

«المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة...»<sup>(32)</sup>

وأشار أيضاً إلى علاقة الألفاظ بمعانيها من حيث: القلة والكثرة وسماتها؛ سخيفها وشرفها، فقال: «وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة»<sup>(33)</sup>. ويرى أن المتكلم ينبغي أن يخاطب السامع بقدر ما يفهمه، ويجعل المقام مناسباً للمعاني والألفاظ، وموافقه الكلام لمقتضى الحال؛ فيقول: «ويحب على المتكلم أن يوازن بين المعاني وأقدار المسموعين وأقدار

<sup>(29)</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص 23-24.

<sup>(30)</sup> ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، هامش/ص: 27، 28.

<sup>(31)</sup> المعنى في البلاغة العربية، حسن الطبل، دار الفكر العربي، ط 1، 1418 هـ، 1998 م، القاهرة، ص 10.

<sup>(32)</sup> البيان والتبيين، الجاحظ، شرح وتقديم الدكتور، علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، (د ط)، 2002 م، بيروت، لبنان،

81/1.

<sup>(33)</sup> المصدر نفسه، 18/1 نقلاً عن (الحيوان، الجاحظ، 8/6).

الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما»<sup>(34)</sup>، وتلك المعاني تظل في كل مكان وفي الأذهان والنفوس والخواطر في أشكال وصور معدومة ما لم تظهر بالأصوات والحروف التي تحويها الألفاظ أو الكلمات...

والكلمة إن كانت اسما؛ فإن ذلك الاسم ينزل منزلة الظل للمعنى -أو المسمى- «فالاسم إذن ليس إلا صورة للمعنى الذي يسميه... مما يجعل الاسم كالظل للمعنى لا يغادره حيثما ينتقل...»<sup>(35)</sup>.

وهذا إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدل على أن البلاغيين اهتموا كثيرا بالكلمة وقضاياها؛ كالفصاحة، وعلاقتها بالمعنى؛ سواء أكانت اسما أم فعلا أو حرفا؛ ونوهوا بما يعتورها من معايير في ضوء البناء الفني للنص، والكلام، وبينوا أوضاعها في التراكيب، وكل ما درسوه في شأن الكلمة كانوا متأثرين فيه بآراء النحاة وبأصحاب النظريات البلاغية السابقين والأوائل، أمثال ابن قتيبة، والفراء والزمخشري وعبد القاهر والجاحظ، ... وغيرهم. وكانوا متأثرين بمناهج وجهود المتكلمين، كالشاعرة، والمعتزلة، وبالعلماء الذين ألفوا في الإعجاز القرآن.

ونخلص القول: إلى أن الكلمة في العربية تعد نواة مركزية، وتختلف من لغة إلى أخرى، غير أن اختلافها يرتبط كثيرا بالنص الديني (المقدس)، مما يجعل البون شاسع في شأن الكلمة بين اللغات العالمية، وقداسة العربية تنزاح نحو كلماتها، وهي في لغة القرآن لها معاييرها وسماتها الدلالية والصوتية والنحوية والصرفية. والكلمة بذلك؛ دليل من دلائل الإعجاز القرآني، كما أنها توصف بأوصاف ومعان مختلفة. كالطيبة مثلا "الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة": فهي الوجود، والكون والإنسان: ... بل إنها الحياة بالتعبير المجازي.

#### المصادر والمراجع:

1. الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي فؤاد أبو علي، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011، اربد، الأردن.
2. الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1999 م، بيروت، لبنان.
3. ألفية بن مالك، ابن مالك الأندلسي، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط 1، 1414 هـ، الرياض.
4. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دارالجيل، ط 3، (د.س)، بيروت.
5. البيان والتبيين، الجاحظ، شرح الدكتور: علي أبو لمحم، دار مكتبة الهلال، (د ط)، 2002، بيروت، لبنان.
6. تلخيص المفتاح، في المعاني و البيان البديع، الخطيب القزويني ، تقديم الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية (د.ط)، 1435 هـ/2014 م، صيدا ، بيروت.
7. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، إشراف الدكتور: نور الدين عتر، دارالمكتبي، الطبعة الثانية، 1419 هـ/1999 م، سوريا، دمشق.

<sup>(34)</sup>المصدر السابق، ص نفسها.

<sup>(35)</sup>النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، 1994، الجزائر، ص 146.

8. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط 2، 1952، القاهرة.
9. سرالفصاحة، محمد بن سنان الخفاجي، تعليق وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د ط)، 1372 هـ/1952، ميدان الأزهر بالقاهرة.
10. شرح كافية بن الحاجب، رضي الدين الأسترياذي، دار الكتب العلمية، (د ط)، 1995 م، بيروت، لبنان.
11. شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبي، (د ط)، (د ت)، القاهرة.
12. في جمالية الكلمة، حسين جمعة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 2002، دمشق.
13. في الفكر اللغوي، محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط 1، 1989 م، القاهرة.
14. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي/انجليزي/فرنسي) إميل بديع يعقوب، وبسام بركة، ومي شيجاني، دار العلم للملايين، ط 1، شباط (فبراير)، 1987، بيروت، لبنان.
15. الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، ط 3، 1988 م، القاهرة.
16. الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 2011، الإسكندرية، مصر العربية.
17. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط 6، 2008، بيروت، لبنان.
18. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (د ط)، 1358 هـ/1939 م، القاهرة.
19. المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية، (د ط)، 1968 م، بيروت، لبنان.
20. المترجل، ابن الخشاب، تحقيق ودراسة: علي حيدر، مكتبة مجمع اللغة العربية، (د ط)، 1972 م، دمشق، سوريا.
21. المصباح في علم النحو، أبو المكارم المطرزي، تحقيق: ياسين محمود خطيب، مراجعة: مازن المبارك، دار النفائس، ط 1، 1997، بيروت، لبنان.
22. المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العصرية، (د ط)، 2014، بيروت، (مادة: ك.ل.م).
23. المعنى في البلاغة العربية، حسن الطبل، دار الفكر العربي، ط 1، 1418 هـ، 1998 م، القاهرة.
24. المفصل في علم العربية، الزمخشري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، (د ط)، (د ت)، بيروت.
25. المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د ط)، 1994، القاهرة.
26. موسوعة المصطلح في التراث الديني والعلمي والأدبي، محمد الكتاني، دار الكتب العلمية، ط 1، 2014، بيروت.
27. النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، 1994، الجزائر.

### استمارة المشاركة

\* الاسم: اليزيد بلعمش. \* درجة العلمية: دكتوراه في علوم اللسان العربي.

\* الرتبة: أستاذ محاضر قسم أ. \* تخصص: علوم اللسان العربي.

\* مكان العمل: قسم اللغة العربية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر.

\* البريد الإلكتروني: el-yazid@hotmail.com

\* رقم الهاتف: 00213697823563

محور المشاركة الأول:

بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

عنوان المداخلة:

## المكون الحجاجي للكناية في البلاغة العربية

ملخص:

فكرة البحث: فصل البلاغيين المباحث البلاغية فكانت على ثلاثة أقسام، قسم منها كان يعنى بربط الخصائص التركيبية بسياقها وتنوعات المختلفة لهما؛ وهذا عرف بعلم المعاني، وقسم منها أعتنى بصور الترتيب المعاني أو صور ترتيب الألفاظ في التركيب؛ وعرف هذا النوع بعلم البديع؛ وقسم منها: سمي بعلم البيان؛ وهذا اعتنى فيه البلاغيون العرب بجمع الصور المختلفة التي يورد بها المعنى الواحد مع تفاوت بين هذه الصور في الدرجة الخطابية، وقد نص البلاغيون في هذا السياق على أربعة صور؛ كان منها الكناية؛ وقد عرفت عندهم – كما يقول عبد القاهر الجرجاني بأنها:

"والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون طویل القامة وكثير رماد القدر "يغنون كثير القرى وفي المرأة: "تؤوم الضحى"، والمراد أنها مثرفة مخدومة، لها من يكفها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثم لم يدكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثرت القرى كثرت رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مثرفة لها من يكفها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى"<sup>1</sup>.

هذا التعريف نقلناه على طوله لنبين فيه أن له مسائل أخرى مرتبطة به، مما تعلق بمفهوم البلاغة الجديدة، ألا وهي مسألة الحجاج، ولهذا قيل فيها: "الدلالة على الأمر بدليله"، وهذا يكشف لنا عن مكون حجاجي لهذه الصورة البلاغية أو لهذا الطريق من طرق الكلام.

أهمية البحث وإشكاليته: تأتي أذن: أهمية هذا البحث تأتي من كونه يحاول أن يلفت إلى جانب آخر من جوانب الأداء في الكناية مع جانب الجمالي الذي ركز عليه البلاغيون كثيرا، وأتت إشارتهم إلى هذا الجانب إشارة ثانوية، والحقيقة أن هذا جانب بالغ الأهمية في التبليغ وفي الاستعمال، وهذا ما نود القيام به في هذه الأوراق مجيبين على الأسئلة الآتية:

- فيما تكمن أهمية المكون الحجاجي في الكناية؟
- ما طبيعة الاحتجاج المقدم في الكناية؟
- ما الصور التي يكون بها الاحتجاج في الكناية؟

<sup>1</sup> دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، دار الخانجي-القاهرة (ص66)



## عناصر الموضوع:

1. مقدمة: التمهيد للموضوع وبيان أهميته وإشكاليته وعناصره ومنهجه وأثره في الدراسات المصطلحية
2. الكناية في البلاغة العربية .
3. طبيعة الحجاج في الكناية.
4. صور الحجاج في الكناية.
5. خاتمة: (أهم النتائج المتوصل إليها)

ملاحظة: وهذه العناصر قابلة للتغيير وفق المتغيرات الجديدة التي يفرضها البحث في الموضوع.

والله الموفق.

د. اليزيد بلعمش. بقسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية-قسنطينة/الجزائر

البريد الإلكتروني: el-yazid@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخلة:

1- مقدمة: تعد البلاغة العربية من أبرز العلوم اللغوية العربية، بل هي واسطة العقد فيها، لأن باقي العلوم اللغوية الأخرى إنما هي في أصل خادمة للعلم البلاغة، فعلم اللغة يوفر للبليغ الاختيارات الإفرادية المختلفة، وعلم الصرف يمدّه بأنواع الصيغ، وعلم النحو يتيح له أنواع التراكيب المتنوعة، ليأتي البلاغي بعدها فينتقي من هذا كله ما يخدم غرضه وقصده، فكانت البلاغة العربية بهذا هي الروح الذي يسري ماء حياته في باقي العلوم اللغوية الأخرى، وما زالت عطاءات هذا العلم تبرز كلما حركت قواعده ومعارفه. إن هذه المركزية التي تمتعت بها البلاغة العربية بين العلوم اللغوية لم يجعلها مقتصرة على هذا فقط، بل جعلها تحتل مكانة بارزة بين العلوم الأخرى المحايثة للعلوم اللغوية العربية، وهي العلوم الشرعية وباقي العلوم العربية الأخرى، مما جعلها تحظى بصلات بتلك العلوم سواء منها النقلية أو العقلية، كونها تتعامل مع أهم مكون من مكونات الرسالة اللغوية؛ إنه المعنى، وكما هو معلوم أن هذا المكون هو الجزء المقصود من الكلام في العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، لكن شاع في الأذهان أن البلاغة العربية إنما تعنى بالجانب

الجمالي والإمتاعي، ولهذا شاع البحث عن وجوه الحسن ووجوه القبح بالقواعد البلاغية العربية، وبل وامتد الأمر إلى أن جعل بعضهم الفكر العربي كله فكراً قائماً على البيانية والجمالية، بعيداً نوعاً ما عن الحجة العقلية والبرهان الحجائي<sup>(1)</sup>!!؟  
وفي العصر الحديث ظهرت علوماً لسانية كثيرة حاولت أن تعيد صياغة العلوم اللغوية القديمة صياغة تتلاءم مع بعض الأغراض البحثية الأخرى؛ لسانية وحجاجية وتداولية وسيميائية، فظهر عند الغرب اتجاه بلاغي يدعو إلى أحياء البلاغة اليونانية القديمة القائمة على الحجة والبرهان، فظهر إثر ذلك اتجاه بلاغي يتجاوز دراسة الإطار اللساني إلى دراسة الأنساق الحجاجية في الخطاب، على اعتبار أن المتكلم إنما يتكلم ليقنع غيره بالكلام. وقد بدأ هذا الاتجاه من منتصف القرن العشرين مع (شايم بيرلمان) و(لوسي تيتيكا)، على اعتبار أن مهمة البلاغة "وصف الخطاب وصفا علمياً يبين مضمراته ويستخلص بنياته ووظائفه التداولية والحجاجية"، فصار هذا النوع من الاهتمام البلاغي يشكل رافداً من الروافد "البلاغة الجديدة"

وإذا كان الأمر على هذه الصورة فإننا نتساءل عن مدى صدق عناية البلاغة العربية بالجمالية وخلوها من المنطق الحجائي؟! هل خلت الصور البلاغية التي حددها البلاغة العربية من الطابع الحجائي والإقناعي، أم أن الأمر على العكس من ذلك تماماً، فنجد أن البلاغة العربية إنما ركزت على ما هو جمالي في الأساليب الإقناعية، لتستخرج مما الحجة القوية موطن الجمال فيها؟  
لمعالجة هذه القضية فإننا حولنا التركيز على صورة من الصور البلاغية، التي كان لها حضور قوي في الدرس البلاغي؛ ألا وهي الكناية، ثم عرضنا لشرح مباحثها وتفصيلها في الدرس البلاغي العربي، ثم النظر إليها مرة ثانية لكن من منظور نظرية الحجاج في البلاغة الجديدة، للكشف عن المكون الحجائي الكامن في هذه الصورة البيانية، ومنه فتح الباب نحو إمكانية قراءة البلاغة العربية قراءة جديدة في ضوء البلاغة الجديدة، لتوسيع من دائرة الاهتمام في البلاغة العربية، وفتح آفاقها وأبوابها لاستيعاب أكبر لمكونات النصوص، دون إهمال أي جانب فيها.

2- الكناية في البلاغة العربية: ينبغي أن نعلم أولاً: أن الكناية في التراث اللغوي العربي لم تستقر على مفهوم اصطلاحى قار متميز خاص بها إلا عند عبد القاهر الجرجاني (471هـ)<sup>(2)</sup>، أما قبل ذلك فقد كانت تتراوح بين:

أ- الدلالة اللغوية: وهي في العموم يدور حول ما أشار إليه ابن فارس بقوله: "الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره. يقال: كنييت عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه. وكنوت أيضاً"<sup>(3)</sup>. وشرح الكناية هنا بالتورية أيضاً لا يقصد منها المعنى الاصطلاحي للتورية، إنما يريد بها المعنى اللغوي أيضاً<sup>(4)</sup>، وهو ما أشار إليه بعده بقوله: "يقال: كنييت عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه". وقد تكررت هذه العبارة عند غير واحد من أصحاب المعاجم<sup>(5)</sup>. إلا صاحب الصحاح فإنه قال عبارة أوضح من هذا المعنى حيث يقول: "الكناية: أن تتكلم بشئ وتريد به غيره. وقد كنييت بكذا عن كذا وكنوت"<sup>(6)</sup>.  
مما يمكن أن يستفاد من هذه المفاهيم اللغوية أن: الكناية هي عدول عن التعبير بلفظ إلى لفظ آخر دال عليه<sup>(7)</sup>، ويبقى سبب هذا العدول مجهولاً على مستوى التعريف اللغوي.

هذا المعنى اللغوي هو الذي ساد على ألسنة بعض كبار اللغويين ردحا من الزمن<sup>(1)</sup>: من أمثال سيبويه، وأبي عبيدة، والجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد ... فكانت الكناية تطلق عندهم على: الضمائر، وعلى ما لا يمكن التصريح فيه كالرسائل المراد ستر مرادها، .... فبدأ

<sup>(1)</sup> هذه الفكرة جاء بها محمد عابد الجابري في كتابه اللذين بدأ بهما نقد العقل العربي، وهما: تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي، خاصة الثاني منهما، لأن الأول بمثابة مقدمة للكتاب الثاني الذي جاءت فيه شرح بيانية العقل العربي.

<sup>(2)</sup> ينظر في هذا: محمود شاكر القطان، الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، دار الكتب-مصر، 1993م. عدة قادة، تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة هيران) السنة الجامعية: 2008-2009.

<sup>(3)</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ - 1979م، (ج5، ص139).

<sup>(4)</sup> ينظر في هذا: محمود شاكر القطان، الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، (ص9).

<sup>(5)</sup> ينظر في هذا: الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين (ج5، ص411)، الفيومي، المصباح المنير ().

<sup>(6)</sup> الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1987م (ج6، ص2477).

<sup>(7)</sup> ينظر: محمد جابر فياض، الكناية ويبله نظم النثر أثر الحديث النبوي فيه، دار المنارة- جدة، السعودية، ط1، 1989 (ص10).

بذلك خيوط فائدة هذا الاستعمال اللغوي يبرز وتظهر، وهي هنا وصف الحال على ما هي عليه أو الهروب من التصريح لغايات متعددة يرومها المتكلم.

ب- امتزاج مفهوم الكناية بمفاهيم بلاغية أخرى: وفي هذه المرحلة التي يمكن أن نقول عنها بأنها تبدأ من القرن 3هـ، وبدأت معها معالم المصطلح تسيير نحو المنحى التخصصي، لكننا نجد ذلك يتم تحت امتزاج هذا المصطلح بمصطلحات أخرى<sup>(2)</sup>؛ كالتعريض عند ابن المعتز، والإرداف عند قدامة ابن جعفر وأبي هلال العسكري، والمماثلة عند أبي هلال أيضاً، والتلويح والتعمية والتورية والتتبع عند ابن رشيق، وكذا عند ابن سنان فقد جعلها قسماً مستقلاً مرة وجعلها تحت الإرداف والتتبع.

إن ما يميز هذه المرحلة -من خلال تبني لعرضها عند الباحثين- أنها كانت مرحلة تقوم على تتبع الشواهد وتحليلها، للكشف عن بنية الكناية، مما جعلهم يمزجون بين بعض الأنواع البلاغية مع الكناية، أي أن بنية وهيكل الصورة الكنائية ما زال في مرحلة البحث والتنظير له، ولهذا فإننا نجد الحديث عن وظيفة الكناية غائبا غير مشار إليه في الغالب، اللهم إلا بعض الإشارات إلى أن الكناية تأتي فيها اللفظ معوضاً عما يستقبح ذكره.

ومن جانب آخر فإن هذا العرض للصورة الكنائية نستشف منه أن الدارسين العرب قد كشفوا لنا عن السياق المعرفي الذي تكون فيه الكناية، وأن هذه الصورة البلاغية في الدراسة البلاغية تحفها مجموعة من الصور البيانية التي قد تتقاطع معها في التشكل العام لكن قد تفارقها من ناحية أو من بعض نواحيها، ولهذا وجدناهم ربطوها بالمفهوم العام: وهو الإشارة والرمز والتلويح والتجاوز واللغز واللحن ... وهو الإطار المفهومي العام الذي يندرج ضمنه الكناية، كما ربطوها بما يساويها معنى وإن خالفها في شرط من الشروط، وذلك عندما ساووها ب: التعريض والإرداف والتتبع، وكذا ميزوا مفهومها عندما ذكروها مع ما يضادها ويخالفها وهو التصريح. فعندئذ تكون هذه المرحلة إنما هي بحث في المجال المفهومي الذي تدخل تحته الكناية بأبعاده العامة أو المماثلة أو المناقضة، وهذه المرحلة هي التي هيأت ظهور المرحلة الثالثة، وهي بروز وتبلور المفهوم الاصطلاحي.

ج- المفهوم الاصطلاحي للكناية:

3- طبيعة الحجاج في الكناية:

4- صور الحجاج في الكناية:

5- خاتمة: (أهم النتائج المتوصل إليها)

1- إن مما يتوصل إليه من دراسة الصورة الكنائية في هذا البحث أن أبرز بأن البلاغة العربية، قد حوت إلى جانب الإقناع، وإلى جانب التصوير والتشكيل الخطابي الجانب الحجاجي والإقناعي، بما يؤكد عدم نفي الجانب الحجاجي للجانب الإقناعي، والجانب العقلي للجانب الجمالي. ولا غرابة في هذا لأن التواصل ذو طابع أدائي تداولي سياقي تجتمع فيه كل هذه الآليات. والبلاغة العربية إنما هي مقارنة سياقية تداولية للكلام فهي مرتبطة بكل آلياته المستعملة فيه. فعلا: البلاغة العربية كانت قديماً -كما أوضحنا- ملكة العلوم اللغوية والشعرية، وهي اليوم بنفس المكانة لانفتاحها على مجموع العلوم والمعارف، وهذا كله راجع إلى أن التقنيات التي تستعملها البلاغة العربية لها الأهلية الكافية لأن تفتح على كل هذه الاتجاهات والفهوم.

-2

(1) ينظر: محمود شاكر القطان، الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، (من ص: 19 إلى ص: 50). عدة قادة، تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009 (من ص: 3... 9) ومن (ص: 35... 39).

(2) ينظر: محمود شاكر القطان، الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، (من ص: 53 إلى ص: 102) (ص: عدة قادة، تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009 (من ص: 40 إلى ص: 50).

## تلقي البلاغة العربية الجديدة في الدراسات العربية الحديثة

ط. د : نجوى جدي

التخصص: النقد العربي الحديث والمعاصر

د. بلال محي الدين

جامعة الشيخ العربي التبسي- تبسة

ملخص:

عرفت الدِّراسات اللُّغوية العربية الحديثة تطوُّراً كبيراً من خلال انفتاحها على الفكر الفلسفي من ناحية ، وإحياء التراث البلاغي العربي من ناحية أخرى ، وكان لهذه الدِّراسات دور أساسي في التَّنْظير للبلاغة الجديدة وفق أسس حديثة ، ونجد من الرواد العرب الذين تلقوا البلاغة الجديدة : حمادي صمود، و محمد العمري، و احمد يوسف،... وغيرهم .

ولذا نسعى من خلال هذه الدراسة إلى استعراض بعض آراء بعض الكتاب العرب الذين تلقوا البلاغة الجديدة في كتبهم.

الكلمات المفتاحية:

الدراسات ، لغوية ، بلاغة ، جديدة ، فلسفة.

### Abstract :

Modern Arabic linguistic studies have witnessed a great development through their openness to philosophical thought on the one hand, and the revival of the Arab rhetorical heritage on the other hand. Muhammad Al-Omari, and Ahmed Youssef,... and others.

Therefore, we seek through this study to review some of the opinions of some Arab writers who received the new rhetoric in their books.

### Key words:

Studies, linguistic, rhetoric, new, philosophy.

شهد العصر الحديث تطورا ملحوظا في مختلف المجالات والميادين والعلوم والآداب والفنون ، لذا سعى بعض الباحثين العرب إلى تطوير البلاغة القديمة وتجديدها ، وذلك من خلال استثمار علوم أخرى لتواكب حركات التغيير الجذرية في مختلف الخطابات الحديثة وتصبح علما وصفيا يتيح لجميع الخطابات المتخلية عن الروح المعيارية التي جمدت طموحها الإبداعي ، فكيف تلقى الباحثون العرب البلاغة الجديدة؟ ، وهل تلقي البلاغة الجديدة يستلزم بالضرورة التخلي عن البلاغة القديمة أم أنها جاءت لتجديد البلاغة القديمة والحفاظ عليها؟

(1) تلقي البلاغة الجديدة عند حمادي صمود:

جعل حمادي صمود من البلاغة العربية والغربية القديمة والحديثة موضوعاً لبحوثه منذ فترة السبعينيات، أي منذ ظهور أطروحته المعنونة بـ: (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس)، وتعد هذه الأطروحة مشروعاً لقراءة البلاغة العربية القديمة بطريقة حديثة، ولم يقتصر عمل الباحث على العرض التاريخي لمضامين البلاغة القديمة بل حاول إصدار أحكاماً تقييمية وتقييمية، بتوظيفه لحسه النقدي الناتج عن خلفيته الفكرية واللغوية والأدبية الواسعة.

كما اهتم حمادي صمود في أطروحته بنظرية الحجاج والجدل المنطقي، وأولى المتكلم اهتماماً بالغاً، وقد اهتم أيضاً بالحدث الكلامي، وقام بتصنيف معطيات التفكير البلاغي عند العرب قديماً وحديثاً إلى ثلاثة أصناف وهي: المفاهيم والمنهج والإجراء. ويقصد بالمفاهيم أنها "جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري والمتمخض عن تحسس العلم وماهيته وسعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها، وأدق إبعادها الأصولية"<sup>1</sup> (صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، 1981).

أما المنهج يعني به "الأسس و الطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية ، والوقوف على أسباب تلك البلاغة وأسرارها"<sup>2</sup> (صمود، التفكير البلاغي)

أما الإجراء فقد تناول فيه المقاييس التطبيقية التي حددت بها بلاغة النص وجودته من جهة الشكل والمضمون .

وقد تحول اهتمام حمادي صمود منذ منتصف التسعينيات إلى الاهتمام بالبلاغة الجديدة أو ما يعرف بنظرية الحجاج، إذ قام بنشر أول أعماله بعنوان ( أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) فهو يعتبر بلاغة الحجاج من أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إليه<sup>3</sup> (صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، 1999) أهمية بالنسبة إليه، لأن البلاغة الجديدة تتداخل فيها حقول معرفية متعددة، إذ يتم توظيف فيها كل السياقات المحيطة بالقول وهي: المتكلم، والمتلقي، والسياق الاجتماعي، والسياق اللغوي. والسياق التاريخي، من أجل فهمها وتأويلها.

نستخلص أن تلقي حمادي صمود للبلاغة الجديدة بأنه تلقي فعال وإيجابي، إذ عمل على استخدام مضامين الحجاج كوسيلة لاستنطاق البلاغة العربية القديمة، ثم استخلاص مقولاتها التي من شأنها أن تثرى الدراسات اللغوية والنقدية العربية المعاصرة على صعيد التنظير والتطبيق من جهة ، وأن يستشرف و اقع الخطاب الأدبي و آفاقه من جهة أخرى.

ولم يقف نظرية الحجاج في نظر حمادي صمود على دراسة آليات التأثير والتأثر فقط، بل تجاوز ذلك إلى دراسة التغييرات الجديدة التي تحدث على مستوى المعنى والخطاب الأدبي.

## 2) تلقي البلاغة الجديدة عند محمد العمري:

يعد محمد العمري من أكثر النقاد العرب اهتماماً بالدرس البلاغي العربي في علاقته بمستجدات النقد الحديث والمعاصر، ولذا عمل الناقد على تبني مشروع علمي يستهدف من خلاله تحرير البلاغة العربية من الدراسات المعيارية التي يرى أنها، التي يرى أنها قضت فيها أزمنة طويلة جداً.

وقد انطلق محمد العمري في مشروعه العلمي من خلال سعيه إلى تعميق الاتصال بين البلاغة العربية والنحو والعروض، عن طريق مساءلة المنجز في التراث النقد العربي، ولتجسيد مشروعه النقدي وضع إستراتيجية منهجية، يقوم على تحديث البلاغة العربية، وذلك ضمن إطار العناية بالبلاغة العربية القديمة.

عمل محمد العمري على القراءة لاستعاب المرجعية اللسانية والفلسفية الكامنة في التراث النقدي، وذلك عن طري جبهتين، الجبهة الأولى خصصها للبحث في التراث بالوسائل المتاحة، أما الجبهة الثانية فخصصها للاطلاع على المناهج الحديثة.

وقد قام محمد العمري بترجمة كتاب (بنية اللغة الشعرية) لجون كوهن بالاشتراك مع زميله محمد الوالي، معتقدا أن هذا الكتاب هو عبارة عن كتاب شامل يضم كل المحاولات التجديدية في قراءة الشعر من وجهة نظر بنيوية لسانية في الثقافة الغربية قبل العربية.

و شرع محمد العمري في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة، مستعينا بالأبحاث الغربية في هذا المجال والتي كانت قد لاقت ترحيبا في الثقافة العربية، سعيًا منه "لبناء بلاغة جديدة تستوعب انجازات البلاغة القديمة، وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة، محاولة تجاوز جوانب النقص فيهما ، باقتراح نموذج سيميائي يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول"<sup>4</sup> (هنريتش، 1990).

وقام محمد العمري بتأليف كتاب بعنوان ( في بلاغة الخطاب الإقناعي)، الذي كان الهدف منه التنبيه إلى أهمية البعد الإقناعي في البلاغة العربية، لذا يقول محمد العمري: "اعتاد الدارسون العرب المحدثون، وتبعهم في ذلك المدرسون في الثانويات والجامعات معاملة النص الخطابي الإقناعي نفس معاملتهم للنص الشعري... وهذا يجافي في الروح المنهجية التي تقتضي اخذ طبيعة الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله"<sup>5</sup> (العمري).

حاول محمد العمري إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقًا من تصور لساني بنائي، يراعي فيه البعد التاريخي منطلقًا من المستوى الصوتي، حيث ألف كتاب بعنوان (تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية) تناول فيه مدى ثراء التراث البلاغي العربي، وقدرته على توفير المادة اللسانية الواصفة للنص الشعري.

يهدف محمد العمري من خلال أبحاثه إلى تحقيق هدفين وهما :

الهدف الأول: يسعى إلى التأكيد على وجود بلاغتين متميزتين في تاريخ النقد العربي ، الأولى بلاغة نثرية خطابية ، و الثانية بلاغة شعرية.

وأما الهدف الثاني: العمل على إبراز الثراء النقدي التأويلي الناتج عن تفاعل وتداخل خصائص ومفاهيم البلاغتين النثرية والشعرية.

وقد تناول محمد العمري العلاقة القائمة بين البلاغة والحجاج، معتمدا في ذلك على آراء بعض اللسانيين التداوليين مثل (روث اموسي) التي قد تحدثت عن موقفين من هذه العلاقة وهما : الموقف الأول يفصل بين البلاغة والحجاج، أما الموقف الثاني فيدمج بينهما إذ تقول روث اموسي : "وعموما فان المواقف فيما يخص العلاقة بين البلاغة والحجاج تمتد من المطالبة بقطيعة جذرية، إلى القول بوجود توازن بين ما اعتبر مبحثين متميزين ومتكاملين إلى حد ما، وصولا إلى اقتراح دمجهما في نشاط لغوي واحد" (العمري ر.، 2012)<sup>6</sup>.

يرتكز محمد العمري في حديثه عن إشكالية درجات الحجاجية، على رؤية اللسانيين التداوليين (روث اموسي) و

(كرستيان بلاتيان)، إذ تقول روث اموسي: " في مقابل إشكالية النص الحجاجي وغير الحجاجي نطرح مفهوم درجات

الحجاجية كما طورها ( كرستيان بلاتيان ) ، فهنا يحسن التفريق بين الخطابات التي تستهدف الحجاج والإقناع والخطابات التي لا تستهدف ذلك، ولكنها لا تخلو من بعد حجاجي ناتج عن السياقات الموجهة للخطاب"<sup>7</sup> (العمري ن.).

### (3) تلقي البلاغة الجديدة عند أحمد يوسف:

قد عمل أحمد يوسف على دراسة الفلسفة بصفة عامة والسيمياثيات الحديثة بصفة خاصة واكتشف ثراءهما بالمعرفة البلاغية بوصفها إنتاجا فكريا إنسانيا حيويا مفتوحا على عوالم اللغة سواء على الصعيد الطرح النظري ، أو على صعيد الطرح التطبيقي ، مما حررها من قيود ثنائية المنطق والجدل وميلها للشعر ، وأصبحت نظرية الخطاب بمثابة قوام أساسي تقوم عليه البلاغة الجديدة التي حاولت لن تستثمر السيمياثيات التداولية وكذلك التأويليات التي تركز على الفلسفة الفينومينولوجية. ويقول أحمد يوسف "أن لكل فلسفة بلاغتها الخاصة من حيث هي خطاب مرتبط بشرط الوضعيات الاجتماعية والتراكمات المعرفية"<sup>8</sup> (يوسف، السيمياثيات والبلاغة الجديدة، 2008)

ويرى أحمد يوسف "أن التيار البلاغي الجديد وجد ضالته أول مرة في العصر الحديث لدى فلاسفة القانون، إذ أراد أن يحقق ما عجز عنه المنطق"<sup>9</sup> (يوسف ا.)، وهكذا أصبحت البلاغة تقتحم تخصصات جديدة وتتداخل مع سائر فروع العلوم الإنسانية مثل: التحليل النفسي و الأنثروبولوجيا والفلسفة واللسانيات.

يسعى أحمد يوسف إلى الوصول إلى حجاج يكون "سندا قويا للحوار ضمن قيم بلاغة تمجد الحرية ، وتتطلع إلى أفاق الإبداع المفتوح ، ولها إيمان راسخ بالعمل وقدرة الكائن الإنساني على استكشاف خامات الخير في عالم القيم الروحية"<sup>10</sup> (يوسف ا.)، السيمياثيات والبلاغة الجديدة)

لذا أصبحت البلاغة تتطلع إلى أن تكون لغة واصفة لخطابات متعددة ومستعينة في ذلك بانجازات الثورة اللسانية المعاصرة.

كما يسعى أحمد يوسف إلى "تجديد شبكة المفاهيم البلاغة العربية، وتحديث جهازها الاصطلاحي حتى تستوعب الأشكال المختلفة للخطاب مثل الخطابات التربوية والسياسية والصحفية والتجارية والاشهارية والمرافعات القضائية ، كما أنها تمتد إلى الإحاطة بأشكال التعبير الأيقوني بدءا من الكتابة إلى عالم الصورة والوقوف على تحولاتها الاجتماعية والجمالية ضمن حضارة الصورة التي فرضت أدبيات جديدة في الحوار"<sup>11</sup> (يوسف ا.)، السيمياثيات والبلاغة الجديدة)

ويرى أحمد يوسف أن "الحجاج لم يعد يكتفي بالوسائل التقليدية في بسط حججه ، فاستعان بالأسنن التي توفرها عوالم الصورة، إذ انخرطت ثقافة العين انخرطا بصريا في آداب الإقناع ، وفي ظل شفوية جديدة بسطها مجتمع ما بعد الحداثة."<sup>12</sup> (يوسف ا.)، السيمياثيات والبلاغة الجديدة)

ومن هنا ظهرت بلاغة السيمياثيات التي أحدثت تحولات عميقة في خطاب العلوم الاجتماعية والإنسانية، خاصة في ظل التطور الحاصل في مجالات التقنيات الرقمية الحداثية .

ونصل في الأخير إلى أن تلقي الباحثين العرب للبلاغة الجديدة, كان تلقيا فعالا وايجابيا , لأنهم انطلقوا من البلاغة الجديدة التي تقوم على الثقافة المتجددة التي تتسم باستيعابها لكل الخطابات المتنوعة , في انتشار وسائل الاتصال الحديثة.



- (1) حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981، ص392.
- (2) حمادي صمود: التفكير البلاغي، ص 433
- (3) حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، تونس، ط1، 1999، ص8.
- (4) هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص11
- (5) محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص9
- (6) روث اموسي نقلا عن محمد العمري، البلاغة والحجاج أو بلاغة الحجاج، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة، مج 40، ع4، 2012، ص272
- (7) روث اموسي نقلا عن محمد العمري: البلاغة والحجاج أو بلاغة الحجاج، ص 273
- (8) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ج 67، مج 17، ص110
- (9) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة مجلة علامات، ص 110.
- (10) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ص 111
- (11) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ص 112
- (12) احمد يوسف: السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، ص 112

## الحجاج من المنظور الخطابي إلى المنظور التداولي في البلاغة الجديدة

د/ حمدي منصور جودي

جامعة محمد خيضر

بسكرة

الملخص:

يعدّ الحجاج من أهم المجالات البحثية التي شغلت الدارسين قديما وحديثا، سعيا إلى الإحاطة بمنظومته المفاهيمية التي تشكّل الأطر التأسيسية لنظرياته اللغوية واللسانية والتداولية. وقد ارتبط مفهوم الحجاج منذ القديم بالخطابة ارتباطا وثيقا، إلا أنّ التطور الحاصل في مختلف العلوم اللغوية واللسانية والبلاغية جعله ينحنا منحنا جديدا، يعيد فيه تشكيل منظومته المفاهيمية الكلاسيكية بعيدا عن المنطق الأرسطي.

واعتبارا لهذا تسعى هذه الورقة البحثية إلى الإحاطة بمفهوم الحجاج وتتبع تطورات أهم نظرياته بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة، وذلك التحول الحاصل بين الحجاج الخطابي والحجاج التداولي.

1- توطئة:

شبه حازم القرطاجني من يظن إمكان تحصيل البلاغة والاستفادة منها في وقت وجيز، بحال الرجل الذي قضى ليلته في تصفح كتب الطب، ثم أصبح وهو يحرق وصفة طبية لإسعاف صديقه المريض، فعجّل بنهايته. إن بوسع إنسان ذكي -كما قال- أن يحصل بالاجتهاد في علم من العلوم، خلال شهر أو عام، شيئا يعتدّ به في ذلك العلم، وليس ذلك ممكنا في علم البلاغة؛ إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضيع، فالبلاغة -كما قال- علم كلي، يقتضي ضبطه الإحاطة بعلم اللسان وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب<sup>1</sup>.

ولا تطرح كلمة البلاغة في السياق العربي إشكالا في كونها علم الخطاب الاجتماعي بنوعيه التخيلي والتداولي، وذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخ البلاغة العربية كل من عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ثم السكاكي وحازم

القرطاجي، وذلك بعد المحاولة التليفقية التي قام بها العسكري في كتاب "الصناعتين". فبالرغم مما أدت إليه هذه العملية من إقصاء واختزال أحيانا، ومن تحويل المركز أحيانا أخرى (من التخيل إلى التداول خاصة)، فقد ظل شعار الوحدة البلاغية مرفوعا.

أما في الثقافة الغربية فإن الكلمة المطابقة لكلمة (بلاغة) العربية حاليا، هي "ريطوريك Rhétorique" التي تتردد بين ثلاثة مفاهيم كبرى:

1-المفهوم الأرسطي: الذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته في المقامات الخطابية المعروفة (المشاوره، والمشاجرة، والمفاضلة)، وهي بهذا المفهوم تقابل "بوييتيك Poétique" التي تُعنى وتهتم بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصرا. وهذا هو المفهوم الذي أعاد "بيرلمان" وآخرون صياغته في اتجاه بناء نموذج منطقي للإقناع.

2-المفهوم الأدبي: الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب، وهذا المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش، إذ رسم "رولان بارت" خطوته العامة في محاضراته المشهورة في تاريخ البلاغة القديمة، وقد أعيدت صياغة هذا الاتجاه حديثا باعتباره بلاغة عامة أحيانا.

3-المفهوم النسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخيل والحجاج معا، أي: يستوعب المفهومين الأولين من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، موسعا هذه المنطقة أقصى ما يمكن التوسيع، فقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة، وتوسع البعد الأسلوبي حيث صار الموضوع الوحيد لها، فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي (حيث يهيمن التخيل)، والمجال الفلسفي المنطقي واللساني (حيث يهيمن التداول).

## 2- مفهوم الحجاج وعلاقته بالإقناع:

الحجاج استراتيجية لغوية تكتسب أبعادها من الأحوال المصاحبة للخطاب، كون اللغة "نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق"<sup>2</sup>، فالمتكلم أثناء العملية التخاطبية ينقل تصورات ومدركاته الموجودة في واقعه إلى المستمع، قاصدا بذلك التبليغ أو الإخبار أو التأثير في هذا المستمع. وبالتالي يعمد المتكلم إلى إقناع الطرف الآخر، أو التغيير في بعض معارفه وأفكاره، وبخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما، فيستعمل المتكلم خطابا حجاجيا لتلك الغاية "فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"<sup>3</sup>، هذا التلازم هو الموجّه الأساس لكل هدف من أهداف التواصل، مما يترتب عن ذلك أن كل خطاب موجّه إلى الطرف الآخر "ويهدف إلى الإقناع، يكون له بالضرورة بعد حجاجي"<sup>4</sup>. وعلى هذا الأساس فإن الحجاج "جنس خاص من الخطاب، يبني على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيًا، قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"<sup>5</sup>.

إن القضية أو الفرضية الخلافية التي تكون بين طرفي الخطاب، هي المحور الرئيس الذي تدور حوله العملية التخاطبية، فحضور الحجج داخل الخطاب راجع إلى دور المستمع المتلقي في قبول أو رفض ما يوجّهه المتكلم، وإذا ما تعلّق الأمر بنقل المدركات والمعلومات الحقيقية التي يمكن أن تدرج ضمن البديهيات أو المسلّمات، فإن المتكلم لا يميل إلى التبرير أو التدعيم، ولكن قد يجعل من تلك البديهيات أو المسلّمات قاعدة لتبرير دعواه؛ فالحجج ينطلق مما هو بديهي ومعروف ولا خلاف فيه بين المتكلم و المستمع، لتبني على منواله دعوات مقاصد المتكلم، وبهذا فإن "الخطاب الحججى موجّه للتأثير على آراء وسلوكات المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أيّ قول مدعّم صالحاً أو مقبولاً كنتيجة، بمختلف الوسائل"<sup>6</sup>، وبخاصة المنطقية في ربط المسلّمات والبديهيات بالتبريرات، والتدعيمات التي يستعملها المتكلم أثناء حججه، بهدف استمالة وإقناع المستمع، وهذه التبريرات والتدعيمات تمثل مجموع الأدلة التي يقدمها المتكلم لطرح رأيه أو دعواه، لتبني على منوالها مقاصد الحجج.

إن الأدلة التي يقدمها المتكلم أثناء حججه "ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي"<sup>7</sup>، فالنتائج المتوصل إليها من كل خطاب حججى ليست يقينية لا تقبل الشك أو الردّ، لأن المستمع بإمكانه رفض هذا الحجج، وحتى الردّ عليه (الحجج العكسي). وهذا واحد من الفروق بين الحجج والبرهان والاستنتاج؛ ففي الحجج يُترك المجال للمستمع "لاستخلاص النتائج وربط الأمور بعضها ببعض، على حسب مستواه ومدى استيعابه للحجج المستعملة من قبل المتكلم"<sup>8</sup>، وكذا المنزلة التي يملكها هذا المتكلم عنده، ومدى تعلّق موضوع الحجج به، وردود أفعاله الممكنة تجاه الأدلة والحجج المقدّمة إليه، لأن غاية الحجج "ليست الصدق الدقيق ولا البرهنة القاطعة، وإنما هي الإقناع والإقناع"<sup>9</sup>. أما البرهان والاستنتاج فإن نتائجهما في الغالب تأخذ صبغة الموضوعية التي توجب الإلزام، فهي أقرب إلى المنطق الرياضي الذي يسعى إلى اليقينية العلمية القطعية. وعلى هذا الأساس فغاية الحجج الإقناع والاستمالة، أما البرهان والاستنتاج فغايتهما الإلزام والوجوب، علماً أن الاستمالة في الحجج تتحقق "باستدلال منطقي قابل للاختيار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره اختياراً واعياً وعاقلاً"<sup>10</sup>، هدفه إنساني يتمثل في "تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل"<sup>11</sup> بالنسبة للمتلقى.

إن الإقناع آلية معتمدة في كل خطاب، لأن المتكلم "إنما يريد في كل الأحوال أن يقول شيئاً ما ويحرص على ألا يقول ما لم يقل، أو يُفهم منه ما لا يريد قوله، لأنه يعلم علم اليقين أنه متى تمّ الأمر على النحو الذي لا يريد، فقدّ خطابه قدرته على الفعل والتأثير"<sup>12</sup>، مما يعني أن الإقناع عملية كلامية وآلية منهجية تستهدف التأثير العقلي والعاطفي في المتلقي، لاستمالاته لفعل معين، ويتحقق هذا باعتماد البراهين والأدلة والحجج التي تتلاءم مع سياق الخطاب ومع طبيعة هذا المتلقي، فيتحقق بالتالي اقتناعه بمقاصد المتكلم. لأن الاقتناع فعل الأثر الناجم عن عملية الإقناع، وبين الإقناع والاقتناع ينشأ انسجام بين الرغبة الذاتية للمتكلم وبين الإمكانيات المتاحة والمتوفرة لتحقيق المقاصد، لأن غاية الوظيفة الحججية هي "حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا

الاقتناع"<sup>13</sup>. وهذا ما يجعل الإقناع جهدا لسانيا اتصاليا مؤسسا على مقاصد محضرة مسبقا، تعتمد مخططا يهدف استمالة المتلقي والتأثير فيه تبعا للسياق المحيط بالخطاب الحجاجي.

ومحصول الكلام: إن الحجاج والإقناع متلازمان، إلا أن الفاصل بينهما يكمن في طبيعة نتائجهما؛ فالحجاج هو محاولة المتكلم إقناع المتلقي. أما الإقناع فهو محاولة المتكلم إقناع نفسه بما يعتقد، لينقله إلى المتلقي ويثبتته في ذهنه أو معتقده أو سلوكه. ويتأتى ذلك من خلال اللغة التخاطبية المدرجة، لأن "اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة؛ فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما، تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث"<sup>14</sup>، فلغة الحجاج لا ترمي إلى إثارة المشاعر والانفعالات لدى المتلقي، وإنما تسهم في تقديم الحجج والأدلة، وفق منهج منطقي يستميل ذلك المتلقي ويجعله فاعلا موجها في بناء استراتيجية الحجاج بوصفه "عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم"<sup>15</sup> في مختلف المواقف التواصلية.

### 3- التوجه البلاغي اللساني:

تأسست البلاغة الجديدة ذات الطابع اللساني ما بين سنوات الخمسين والستين من القرن العشرين، وتعنى بنظرية الأدب، ودراسة الصور البلاغية<sup>16</sup>، وقد مثل هذا التوجه مجموعة من الباحثين مثل: رولان بارت، وجيرار جينيت، ورومان جاكبسون. ويسعى هذا الاتجاه إلى تصنيف الصور البلاغية ضمن إطار منهجي محدد، إذ صنّف بعضها "في ضوء المعيار الصوتي أو الخطي، وصنّف صورا أخرى في ضوء المورفيم (الزوائد واللواحق والمقاطع)، أو حسب طبيعة الكلمة أو المركب Syntagme أو التركيب Syntaxe، وصنّف أخرى حسب طبيعة الدلالة أو السياق التداولي"<sup>17</sup>، وهذا التصنيف أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة ضمن تحولات البلاغة، منها: صورة السخرية المرتبطة بالمحور الاستبدالي، وصورة الاستعارة المرتبطة بالمحور التأليفي.

وقد دعم هذا التوجه اللساني الجديد مجموعة من علماء الغرب، منهم جماعة ليبج (جان دوبوا وآخرون)، إذ يرون وجود صور منطقية تساهم في الدراسات البلاغية الحديثة؛ منها: صور الوصل والربط، وصور الحذف، وصور التعويض، وصور الاستبدال. كما رأَت هذه الجماعة أن "الاستعارة في الحقيقة ليست سوى مجاز مرسل ثان"<sup>18</sup>، وأن تلك الصور السابقة الذكر يمكن تصنيفها أيضا إلى صور الفكر، وصور الدلالة، وصور النطق والتعبير...، وتجتمع هذه الصور بشكل من الأشكال في النصوص الشعرية والسردية والحجاجية<sup>19</sup>.

وقد أسهمت نظرة رومان جاكبسون في توسيع هذا الاتجاه البلاغي اللساني، من خلال تحديد عناصر العملية التواصلية، ووظائف اللغة أثناء التواصل؛ فعناصر العملية التواصلية عنده هي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة. أما وظائف اللغة فتتمثل في<sup>20</sup>:

- 1- الوظيفة المرجعية (السياقية): وتعلق بالسياق الذي تتم فيه عملية التواصل.
- 2- الوظيفة التعبيرية (الانفعالية): تحدد أثر المرسل وتعبيره المباشر أثناء التواصل.
- 3- الوظيفة الانتباهية: تمثل الآليات المعتمدة لشدّ انتباه المرسل إليه أثناء التخاطب.
- 4- الوظيفة الإفهامية: وتعلق بالمرسل إليه وقدرته على تحديد فحوى رسالة التخاطب.
- 5- الوظيفة ما وراء لغوية: تبرز وعي المرسل إليه في استعمال قانون الخطاب.
- 6- الوظيفة الشعرية (الإنشائية): تمثل الملفوظ في بنيته المادية وهي أهم وظيفة في التواصل، وقد اعتبرها جاكبسون نص الخطاب.

وهو هنا يولي أهمية كبيرة للوظيفتين التعبيرية والإفهامية، لأنهما محورا التخاطب في نظره؛ فالعملية التواصلية محورها المتكلم والمتلقي، والهدف من التواصل هو إقناع المتلقي والتأثير فيه.

وعليه فإن الحجاج يقوم هنا على سند لساني لغوي، هدفه التأثير في المتلقي، وهو توجه جديد من شأنه جعل المتكلم يركز في بناء حججه على اللغة وعلى أدواتها لإنشاء الحجج المدعمة.

#### 4- التوجه البلاغي الحجاجي:

يعد كتاب "بيرلمان" و "تيتيكا" (مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة) من أهم الكتب التي سعت إلى ضبط العلاقة بين الحجاج والبلاغة، هذه العلاقة تأخذ مسارين اثنين هما:

أ/ الحجاج هو البلاغة الجديدة.

ب/ الحجاج جزء من البلاغة الجديدة.

وإذا ما وُضع ذلك الكتاب في السياق المعرفي العام، جاز ترجيح المسار الأول: الحجاج هو البلاغة الجديدة، إذ ما ليس حجاجا بالمعنى الذي يرتضيه مؤلفا الكتاب السابق سينتهي إلى أحد القطبين: السفسطة أو البرهان.

وقد حاول بيرلمان إثبات عجز المنطق الصوري والفلسفة الوضعية في المجال القيمي بقدر ما حرص على إبعاد الأحكام الانفعالية والاعتباطية عن البلاغة، فهي صالحة عنده لأن تكون منطقا لأحكام القيمة، أي للفلسفة، على شرط التخلي عن التعارض التبسيطي بين منطق مختزل في البرهنة الشكلية وبلاغة مختزلة في إجراءات إقناعية غير عقلية. وباختصار الفلسفة يمكن أن تظل عقلية حتى وهي تؤسس أحكامها القيمية على البلاغة.

يقول بيرلمان: "إن نظرية للحجاج من هذا القبيل توجه ذهن - حين النظر إلى موضوعها- إلى البلاغة القديمة، ولكنني إذ أعالجها من زاوية هموم عالم المنطق سأضطر لتقليص مباحثي من جانب وتوسيعها من جانب آخر"<sup>21</sup>. ومن الجوانب التي تتضمن توسيعا وتضييقا إهمال خصوصيات الخطاب الشفوي، واستيعاب الخطاب المكتوب اقتصارا على الحجج المقنعة فهما معا الموصلة إلى الإقناع. ويكمن وراء هذا الإجراء عدم إيلاء أهمية كبيرة للمحافل الخطابية في مقابل الامتداد إلى المحاجة الخاصة، مع شخص واحد أو حتى مع الذات، يتداول المرء مع نفسه حول ال(مَع) و (الضِدّ) لاختبار مدى قيمة أطروحة وصلابة حجة<sup>22</sup>.

وبهذا التوجه تقترب نظرية الحجاج الحديثة من مبحث الجدل أكثر من قربها من مبحث البلاغة ببعديها الشعري والتداولي، وذلك بالرغم من اختيار الانتماء لما سمي بلاغة جديدة. يقول بيرلمان: "من هنا احتلت الطوبىقات الأرسطية، (باعتبارها صياغة للجدل السوقيراطي القائم على السؤال والجواب والنقد والدحض)، حيزا من النظرية الفلسفية للحجاج. فمن الملاحظ أن فن الحجاج (كما نما وتطور مع جورجياس، وبروطاغوراس، وزينون) يهتم دائما بإحداث التسليم بأطروحات توجد في حالة تعارض"<sup>23</sup>، فيقوى هذا التسليم أو ينقص من قوته بواسطة حجج متنوعة، إذ يعتمد التأثير في الشخص في كليلته ليدفعه نحو الفعل، ففي الحجاج لا يفرق بين الإرادة والفعل، ولا بين النظرية والتطبيق.

#### 5- التوجه البلاغي التداولي:

لقد تغيرت النظرة إلى النص في العصر الحديث "فالنص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية: أفعال ولا تفعل"<sup>24</sup>، وهذا عين الإقناع في الحجاج؛ إذ الغاية من الخطاب الحجاجي هي التأثير في المتلقي، ودفعه إلى فعل شيء ما، وهذه الغاية من أهم مرتكزات نظرية أفعال الكلام في الدرس التداولي الحديث.

فالتداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، وما ينجز من أفعال من خلال هذه اللغة، وهذا ما يعرف بنظرية الأفعال الكلامية، التي أسس لها أوستين ثم سيريل. ونظرية أفعال الكلام في مجمل فلسفتها التداولية "تنبني على ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: أولا: فعل القول، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة...، وثانيا: الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الذي يحدد الغرض المقصود بالقول...، وثالثا: الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول"<sup>25</sup>.

وبالنظر إلى مكونات الحجاج، فهو يبني على جملة من الحجج والأدلة تهدف إلى نتائج معينة مقصودة، غايتها إقناع المتلقي والتأثير فيه، وبالتالي لم يعد الحجاج نصا أو خطابا تتراس فيه الحجج والنتائج، وإنما له مقاصد ضمنية يسعى المتكلم إليها، ويستنتجها المتلقي بمعية سياق التواصل. ففعل القول في الحجاج هو الملفوظ أو التلفظ، والفعل المتضمن في القول هو مقصد المتكلم ومراده من

الحجاج، أما الفعل الناتج عن القول فهو ظهور مقاصد الحجاج في سلوك المتلقي، من خلال استخلاصه للأفعال الكلامية أو الجمل الإنشائية أو الخبرية، ثم تصنيفها إلى جملة أفعال الكلام التي أقرها سيريل<sup>26</sup>. إلى جانب أفعال الكلام فإن الحجاج قد استقى مفهومًا جديدًا أثبتته الدرس التداولي الحديث، وهو مفهوم الاستلزام الحواري الذي يتعلق بالدلالات البلاغية الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي؛ إذ "ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، ويتحكم فيه المقام أو السياق التداولي"<sup>27</sup>.

لقد أضحى الخطاب الحجاجي وفق هذا الطرح خطابًا تداوليًا، يسعى من خلاله المتكلم إلى استعمال اللغة لأجل دفع المتلقي إلى إنجاز فعل معين في واقعه أو في سلوكه، عن طريق إقناعه بما يقدمه المتكلم من حجج وأدلة في شكل أقوال، تؤدي إلى استنتاج نتائج معينة ومقصودة في ذاتها، تظهر في حياة وواقع المتلقي. وعليه أصبح الخطاب الحجاجي وسيلة تغيير وتأثير أكثر منه وسيلة تعبير، وهذا هو المنعَى التَّطوُّري للحجاج من مجال الخطابة والتعبير إلى مجال التداول والتغيير، وهو ما يعرف بالدرس البلاغي الجديد أو البلاغة الجديدة.

## الهوامش:

- 1- ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص 5.
- 2- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2003، ص 120.
- 3- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2001، عدد 01، مجلد 30، ص 100.
- 4- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النحل نموذجًا)، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وأدائها، جامعة الجزائر، ديسمبر 1997، عدد 12، ص 330.
- 5- محمد العبد، النص الحجاجي العربي - دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف، 2002، عدد 60، ص 44.
- 6- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص 106.
- 7 \_ المرجع نفسه، ص 106.
- 8 \_ الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، ص 330.
- 9 \_ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 127.
- 10 \_ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 109.
- 11 \_ المرجع نفسه، ص 110.
- 12- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 01، 2008، ص 87.
- 13- المرجع نفسه، ص 21.
- 14 \_ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 118.



- 
- 15\_ المرجع نفسه، ص105.
- 16- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص70.
- 17- المرجع نفسه، ص71.
- 18- نقلا عن: المرجع نفسه، ص71.
- 19- المرجع نفسه، ص71.
- 20- نقلا عن: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 138 و 139.
- 21- نقلا عن: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص70.
- 22- المرجع نفسه، ص70.
- 23\_ المرجع نفسه، ص70.
- 24- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص93.
- 25- المرجع نفسه، ص94.
- 26- ينظر: المرجع نفسه، ص95 و96.
- 27- المرجع نفسه، ص96.

جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

يومي: 09 – 10 ماي 2022

استمارة المشاركة

الاسم واللقب: عباس حشاني

الصفة: أستاذ محاضر صنف –أ-

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل-

الهاتف والبريد الالكتروني: [abbachachani@yahoo.fr](mailto:abbachachani@yahoo.fr)

07.71.90.43.15/////05.51.87.32.70

محور المداخلة : البلاغة العربية الجديدة -نظرية وتأسيس-

عنوان المداخلة :جهاز المتكلم لدى الجاحظ – دراسة تداولية اجتماعية-

رمز المداخلة : ( بلا – جد 07 )

الملخص :

يتغى الجاحظ من خلال بيانه إلى تجهيز المتكلم وجعل خطابه هادف محققا لمقاصده ؛ إذ يتحقق الخطاب بوفرة عناصر و الالتزام بشروط التي أوردها الجاحظ في معالجته للخطاب ، حين نسقط مفهوم البيان على مفهوم الخطاب أو النص نجده يعدد تجهيزات تخص المتكلم، وأخرى تُعنى بالمتلقي وغيرها تهتم بالخطاب شروطا و جماليات وأهداف ... تَطْرُقُ هذه الورقة البحثية إلى تأسيس الجاحظ لصرح لساني تداولي، بتطويره عناصر العملية التواصلية خاصة المتكلم حين يُجَهِّزُه نطقا وهنداما ...وعليه تُعدّ جهود الجاحظ مُؤَسَّسَة في بناء محور ومُحَدِّث التّواصل، وهذا ما تهدف هذه الورقة إلى بيانه.

## المداخلة: جهاز المتكلم لدى الجاحظ - دراسة تداولية اجتماعية-

احتفل البلاغيون العرب القدامى بالتداولية عبر مباحث ومصطلحات ذات علاقات نسب بالبلاغة الجديدة، و يُعدّ كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ ترسيخ للذهن العربي على أنه مؤسسة تداولية في مجمله، وأول محطة تداولية في هذا الكتاب هو الاهتمام البالغ بعناصر العملية التواصلية، فقد ذكر الجاحظ: شروط الخطاب الناجح، صفات الخطيب (المتكلم) وسلامته من العيوب النطقية، وهيئته الخارجية هنادا وإشارات، وقعد لوظيفتين هما الفهم والإفهام...

يُؤسس الجاحظ للتداولية حين يُجيز المتكلم ويجعله في حل عن فشل إبلاغ خطابه ومقاصده، فتداولية الجاحظ فحوها في اهتمامه بأقطاب العملية التواصلية، وهدف الخطاب، و طرائق تحقيق الأهداف.

حين يُعرّف الجاحظ "البيان"، وهو عندنا يوافق مصطلح الخطاب، إذ يقول: البيان « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك لحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.»<sup>(1)</sup>

(1)

الكشف عن المعنى وإزالة اللثام وظيفية المتكلم، وهذا يستدعي المتلقي الذي نسعى إلى تبليغه ببيان الخطاب والمقاصد، وعليه تترتب على قطبي العملية التواصلية الإفهام والفهم، ومنه تتجلى العلاقة بين التداول و "البيان" في علاقة تكاملية؛ إذ البيان « ذو علاقة بالخطاب، حيث يُعنى بالإبانة والإرسال والإبلاغ المبين الذي يتم عبر اللغة وغيرها.»<sup>(2)</sup>

ويحدد الجاحظ وسائل تداولية للبيان، وهي وسائل الخطاب وجمالياته وأهدافه؛ إذ الخطاب: « يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكبر ما تُستمال إليه القلوب، وتُثني به الأعناق، وتُزَيّن به المعاني»<sup>(3)</sup>، شروط البيان توافق تداولية الخطاب في مقصديته وإبلاغيته فجعل للخطاب شروطا وجماليات وأهداف... ويدخل كل هذا ضمن تجهيز المتكلم، وتسهيل طرائق تأدية الخطاب نحو متلق مقصود.

أما الأولى فهي جهاز المتكلم من وسائل خطابية تداولية عبر ثنائيات (تمييز وسياسة)، وهي توافق الفطنة وسرعة البديهة، فالمتكلم عليه تصنيف متلقيه وجمهور مستمعيه، فإن بدا منهم ما يحول بينه وبين مقصده يسوس حالهم وينتهج مجرى خطابي غيره في (ترتيب ورياضة)؛ إذ يرتب المتكلم خطابه وله أن يُغيّر هذا الترتيب بأن وصفه رياضيا؛ لأنّ حالة المتلقي تُلزم صانع الخطاب بهذه الوسائل... ولا ينال تحقيق ذلك إلا بتفعيل (الآلة والصنعة) ومفادها تطويع الوسائل اللغوية للإبلاغ والإيصال.

أمّا الثانية فهي جهاز المتكلم صوتيا فونولوجيا ، إذ تتعلق بمخارج الأصوات واعتماد الوحدات اللغوية في تلفظ سهل النطق فلا يعتمد غريب اللفظ ولا أصعبه ، وأن يكون منطقته مسموعا جهوريا ، وحرّفه تام وكامل في خطاب نَظْمُهُ يقع على الأذن موقعا حسنا موزونا ، فيمتد ذلك التأثير للقلب والعقل معا ، فيحصل المتكلم على مراده في قالب جمالي يصفه الجاحظ بالحلاوة... كما يعزز هذا الجمال الخطابيّ (الجزالة والفخامة) فلا يُطنّب فَيَمَلّ السامعون ولا يركك في أسلوبه فيسخرّون.

المتكلم بهذه التجهيزات الخطابية والصوتية والجمالية تخوله لتحقيق أهدافه وقصوده إن استماله أو تأثر أو إقناعا .

نذكر لصاحب البيان بحثا أخرججهز فيها المتكلم ويجعله مُؤهلا إن التزم بها « في الاتّصال الخطابي خاصة ، والخطاب الجدلي على نحو أخص»<sup>(4)</sup> ، ثم يوفّر للمتكلم تجهيزات غير لغوية منها : الإشارة ، وعلاقتها باللفظ ، فهما عنده شريكان ، إذ يقول: « نعم العون هي له ، ونعم التّرجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغني عن الخط.»<sup>(5)</sup> ، هذه تداوليّة تجاوز فيها الجاحظ اللّغة إلى الإشارة وإسنادها وسيلة في تبليغ المعنى والقصد.

يُنظر الجاحظ لتداولية الخطابوعلى نحو أخص الإقناعي ، ويصنع متكلما ناجحا بتجهيزات لغوية وغير لغوية ، وهي أبواب تمثّل متن كتاب "البيان والتبيين" ، حيث يرى "محمد العمري" أنّ مادة "البيان والتبيين" لها ثلاث محاور: وظيفة البيان وقيّمته ، العملية البيانيّة وأدواتها، البيان العربي<sup>(6)</sup> ، وعليه تظهر وظيفتين للبيان: وهي وظائف تداولية تتجاوز وظيفة التواصل للّغة وهما: الوظيفة الخطابيّة وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، والثانية هي الفهم والإفهام ، ومنه فالبيان له وظيفتان تداوليتان وهما: وظيفة إفهاميّة، ووظيفة إقناعيّة.<sup>(7)</sup>

كلّ هذا تأسيس لتداوليّة عربيّة، ثم لوظائف تداوليّة، وتظهر هذه الوظائف التداوليّة في البلاغة؛ إذ « البلاغة إظهار ما غمض من الحق»<sup>(8)</sup> ، بهذا يُعدّ الجاحظ مؤسس التداوليّة الخطابيّة، ونظريّة متكاملة اعتنت بالاتصال الخطابي، وبموامل أخرى غير لغويّة كالسياق الخارجي والمقام، ووسائل غير لغويّة كالإشارة وغيرها... « وتحتل الوظيفة -وهي في مصطلحه الغايّة ومدار الأمر- حجر الزاويّة في هذا البناء لأنّها مولد اللّحمة، والهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.»<sup>(9)</sup>

إنّ تجهيز المتكلم ضمن التداوليّة في مصطلح الجاحظ "البيان" ، ووظائفها تكمن في الوظيفة الإفهاميّة والوظيفة الإقناعيّة، وهذه محاولة بناء نظريّة تداوليّة بلاغيّة إقناعيّة، تهتم بكلّ ما يحفّ العملية التواصليّة من أقطاب مشاركة في التواصل (متكلم، متلق) ومقام وظروف خارجيّة وقصد وهدف من الخطاب، فالمتكلم ضمن مجموعته اللّغوية يحاول إيصال مقصده بالتعبير عن غرضه وإرسال أفكاره وبث أحاسيسه، ومنه وجب أن يختار التركيب المناسب وأن يحترز الصّحة الدلاليّة في تراكيبه؛ إذ المتكلم يقوم: « بنظم كلامه بكيفية خاصة ، وعلى منوال معين ترتبط فيه الكلمات بعلاقة نحويّة معينة ؛ كي يتسنى له أن يعبر عن غرضه ويُمكن سامعه من فهمه اعتمادا على القرائن التي تُعينه على الإفصاح عن مقصوده.»<sup>(10)</sup>

ومردّ ذلك اللّغة، أنواع التّركيب وعلاقاته الدلاليّة والنّحويّة ووظائفه التداوليّة كامنّة في اللّغة ، ومنه تداوليّة التّركيب اللّغويّ في شقّيه: الخطابيّ والجماليّ، ووظائفه المقصودة التي تؤدّي بقرائن ومنها تحقيق الغرض وبلوغ المقصد.

ويمكن أن نبين العلاقة بين التواصل ومفهوم الغرض أو الفائدة، في تداوليّة الخطاب الإيصالي، فكل خطاب له وظيفة تداولية يتوخاها ومقصد يرمي إليه وغرض يسعى إليه، ولا يتحقق هذا إلا بائتلاف الكلام وضم بعضه إلى بعض على وجه من الوجوه النحوية المألوفة.<sup>(11)</sup>

ينشئ المتكلم من لغته ما يشاء من خطابات من خلالها يفهم ويبلغ ويحقق فائدة، وهذا لا يتأتى إلا بالصّحة الدلاليّة والصّحة النّحويّة، فتُنال الوظيفة التداوليّة وتحصل فائدتها، وفي هذا يقول الجرجاني: «واعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخلّ بشيء منها.»<sup>(12)</sup>

النحو جهاز المتكلم، ومن شأن الزّيع النّحوي في الخطاب أن يميل به عن تاديّة الوظيفة، وينحرف عن المقصود، وفي هذا يجب أن يتظافر النّحو والدلالة؛ لأنّهما الأصل في الفائدة فيقدّم «العنصر النّحوي الدلالي بالمعنى الأساس في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمد العنصر الدلالي العنصر النّحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده.»<sup>(13)</sup>

الخطاب في عمومته يتأثر بثلاث عناصر: الصّحة النّحويّة وهي السلامة التركيبية، من شأنها أن تقيم المعنى وما يهدف إليه، والصّحة الدلاليّة وهي المعاني المتوخاة، والأهداف المرجوة من التّركيب والدلالة التركيبية تستلزم القواعد النّحوية التركيبية؛ لأنّ «الصّحة القواعدية هي واحدة من عوامل عدّة لكي تتخذ القبول»<sup>(14)</sup>، ومنه تأتي الدلالات في قالب نحوي صحيح فتقبل من المتلقي وتسير نحو المقصد، وفي هذا يقول الجرجاني: «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»<sup>(15)</sup>، ومعنى الوجه الذي يقتضيه العقل هو الاستعمال التّداولي؛ فالمتكلم لا يُحقق مبتغاه من خطابه إلا إذا استعمله ضمن جماعته اللّغوية؛ إذ التداوليّة تكمن وظيفتها «في استخلاص العمليّات التي تُمكن الكلام من التّجذر في إطاره الذي يُشكل الثلاثيّة الآتية: المرسل، والمتلقي والوضعية التبليغيّة، إنّ أيّ تحليل تداوليّ يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تُؤوّل فيه الجملة»<sup>(16)</sup>، والجملة والسيّاق يخضعان للصّحة الدلاليّة والنّحويّة.

الخطاب المحقق لوظائفه التداوليّة، يُشترط فيه أن يشمل في تركيبه صحّة نحوية وصّحة دلاليّة وتداوليّة في الاستعمال، ووظيفة اللّغة أنها أداة المتكلم وجهازه، فهي تحقق اللّغة أغراضا متعددة كالّتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات، والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه... كل هذه الأغراض تتحدّد في وظيفة التواصل<sup>(17)</sup>، إضافة لذلك للّغة استعمال في «كون نسق الاستعمال يُحدّد حالات كثيرة قواعد النّسق اللّغوي المعجميّة والدلاليّة والصرفيّة، التركيبية الصوتيّة، وهو ما يعني به فرع اللّسانيات المسمى «اللّغويات الاجتماعيّة»<sup>(18)</sup>؛ إذ لا يستعمل المتكلم «نفس النّمط من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة.»<sup>(19)</sup>

يتربط السّياق بنوعيّة المكوّن الداخلي والخارجي، وأن يُطابق الخطاب بالمنتخب السّياق المستعمل له، وهو سياقان: سّياق مقالي وسّياق مقامي<sup>(20)</sup>، ولّغة استعمالات تفرضها الظروف الاجتماعية مفادها أنّ الخطاب الوظيفي له عناصر أساسية تشكله وتجسده، وهي "الفحوى القضيوي"، "والقصد من إنتاج الخطاب"، "وموقف المتكلم من هذا الإيصال"؛ وهذا يعني أنّ المتكلم حين استعماله لخطاب معين يُراعي فيه الوظيفة وفحواه، ثمّ القصد منه، ثمّ موقفه من هذا الاستعمال.<sup>(21)</sup>

البيان والتبيين في عمومته نظريّة للتّواصل النّفعيّ، وهي عمدة النّظريات؛ إذ تتّسم هذه النّظريّة بالشمول، وتعدّد علاقات بعلم النّفس، والاجتماع... وتعدّد هي السّنند الذي يدعم نظريّة الوظيفة التّداولية، فالمتكلم هو المحدّث والمكوّن الأوّل لعملية التّواصل، والصورة الوظيفيّة هنا تتجلى في نيته وفي قصده وفي كميّة إنتاجه للخطاب، والمتلقي الذي من أجله، أُحدثت هذه العمليّة التّخاطبيّة تتجلى علاقته بالإيصال في حالته، ومستواه، والمقام الذي هو فيه؛ لأنّ من شأن هذا - تشخيص حالته - تحقيق القصد، فيحصل الفهم والإفهام.

أمّا الخطاب وهو الوسيلة التّواصلية، به يحدث التّواصل والإيصال بين المتكلم والمتلقي، وصورته الوظيفية تكمن في أنّه نوال من التّراكيب والجمل وترابط بنيات بطبيعة وظيفية التي تربط الخطاب كونه حدث تواصلية، وهذا التّواصل يقوم بعقد تضافر وظائف تجعله مستمرا .

نظريّة التّواصل وظيفيّة في جوهرها ؛ لأنّها جعلت التّواصل أو الاتّصال والوظيفة متلازمين، بل جعلت التّواصل وظيفة كبرى للّغة - من جهة أخرى - ونجد اللّغة غالبا ما تُؤدي التّواصل باعتباره وظيفة الفهم والإفهام.

يجب أن يكون التّواصل أساس الوظيفة التّداوليّة، وأن تكون الوظائف اللّغوية التّداولية التّواصلية هي غايّة التّواصل، وإذا جُعِل التّواصل أساسا للوظيفية - وهو الأصل - فإنّ نظريّة التّواصل تتحقق وتزدان قيمتها، بأن تتحقق نفعيّة الخطاب في استعمالها للّغة، وفي وظيفة اللّغة الاجتماعيّة لا تقتصر على إيصال الأفكار والتّعبير عنها فحسب بل تتعداه لأشكال وسلوكات كلاميّة.

تبرز أهمية المتكلم وجهازه بنظريّة التّواصل في نظرتها إلى اللّغة « على أنّها "وظيفة اجتماعية"، وعلى أنّها "طريقة من العمل"... مما يُعيننا على فهم طبيعة اللّغة وجوهرها حق الفهم، أن ننظر إلى الدّور الذي تقوم به في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة التي يُؤلّف بين أفرادها الحديث بلغة مشتركة، وفي حياة النّوع الإنساني بعامّة.»<sup>(22)</sup>

ويرتبط الإيصال والاتّصال بنفعيّة اللّغة، لأنّك « لا تجد وسيلة للاتّصال أنجح في هذا الباب من اللّغة»<sup>(23)</sup>، واللّغة من منظور تواصلية وظيفية تقوم بخدمة ثلاثة أغراض: وسيلة للاتّصال، ومساعد ميكانيكي للفكرة، ووسيلة للتسجيل والرجوع إليها.

يتحكم في تحقيق وظيفة التّواصل المقام، فإنّه إذا فقد هذا العنصر الفعّال في التحليل، فسوف نقع في سوء الفهم، وتحتّم الرسالة حينئذ عدة احتمالات وكذا طبقات من المعاني<sup>(24)</sup>، فاللّغة والسّياق، والمتكلم والمتلقي والرسالة، تربطهم وظائف وترتبط بينهم « قناة تواصل تسمح بربط فيزيائي ونفسي للتّواصل والإبقاء عليه أو قطعه.»<sup>(25)</sup>

غاية الجاحظ من تجهيز المتكلم بقوى لغوية وأخرى اجتماعية -هنداما وحركات وإشارات- هو نجاح الخطاب في بلوغ مقاصده وتحقيق أهدافه فالمتكلمون يختلفون «اختلافا واسعا في مقدرتهم الخطابية...إن لكل مقدرته وكفايته الخاصة، ولكن كثيرا ما تجد شخصا قليل الميزات الكلامية يؤثر في سامعيه ويفيدهم أكثر ممن هو أكثر مقدرة وأفصح لسانا...»<sup>(26)</sup>

البيان والتبيين مدرسة في إعداد وتجهيز المتكلم بوسائل وآليات تواصلية واتصالية من رحم اللغة (داخلها)، وتقنيات وهندسة إيصالية تُستوحى من عباءة اللّغة (خارجها) اجتماعية وتداولية.

- الهوامش:

-

---

<sup>(1)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق محمد هارون عبد السلام، الطبعة السابعة، الجزء الأول، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص: 76.

<sup>(2)</sup> جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص: 143، 144.

<sup>(3)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 14.

<sup>(4)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار إفريقيقا الشرق، المغرب، 1996، ص: 144.

<sup>(5)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 78.

<sup>(6)</sup> ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 193.

<sup>(7)</sup> ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص: 211، 212، 213.

<sup>(8)</sup> جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص: 150.

<sup>(9)</sup> حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص: 185.

<sup>(10)</sup> محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية- دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2007، ص: 317، 318.

<sup>(11)</sup> محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية- ص: 315.

<sup>(12)</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص: 64.

<sup>(13)</sup> محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي- دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص: 113.

---

<sup>(14)</sup> نعوم تشومسكي، جوانبمن نظرية النَّحو ، ترجمة: مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، 1985، ص: 34.

<sup>(15)</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 40، 41.

<sup>(16)</sup> فان دايك، علم النص - مدخل متداخل الاختصاصات- ترجمة: سعيد بحيري، الطبعة الأولى، مصر، 2001، دار القاهرة للكتاب، ص: 114.

<sup>(17)</sup> ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص: 19.

<sup>(18)</sup> أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 21.

<sup>(19)</sup> نفسه، ص: 21.

<sup>(20)</sup> نفسه، ص: 22.

<sup>(21)</sup> أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي ، ص: 24، 25.

<sup>(22)</sup> محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، 1963، الطبعة الثانية، ص: 23، 24.

<sup>(23)</sup> تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1990، ص: 01.

<sup>(24)</sup> رايص نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، الطبعة الأولى، 2007، ص: 260.

<sup>(25)</sup> عمر أوكان، اللغة والخطاب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001، ص: 18، 19.

<sup>(26)</sup> عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981، ص: 28.



-بوسكين مجاهد  
-قسم اللغة العربية وآدابها  
-جامعة مصطفى اسطمبولي/معسكر  
-أستاذ محاضر(أ)  
-البريد الإلكتروني: [boucekinemojahed@yahoo.fr](mailto:boucekinemojahed@yahoo.fr)  
-رقم الهاتف: 0698 16 51 50  
-عنوان المداخلة:

"بلاغة السرد بين جمالية التلقي وشعرية الخطاب"  
(قراءة في المفاهيم النظرية للبلاغة القديمة والجديدة)

مقدمة:

لئن كان للبلاغة الجديدة مفاهيم عدة، بعضها فضفاض وبعضها الآخر زئبقي يتمدد ويتقلص بين خطاب وخطاب وموضع وآخر، فإنّ البلاغة العربية القديمة لم تغادر مفهومي اثنين؛ أولهما: الوصف الذي يطلق على الكلام/الخطاب الذي يبلغ مقاصده أو مرامييه ويجلّمها بشكل واضح وصريح لا تشوبه شائبة، فيؤثر في المتلقي ويؤدي المقصدية المتوخاة منه(الفراهيدي، خالد بن صفوان..)، وثانيهما: العلم الذي يضطلع بالحكم على بلاغة الخطاب/القول، ويحدد قيمته الجمالية وفق المعايير القاعدية للبلاغة العربية القديمة (السكاكي، الجرجاني، الجاحظ..)، ومن المعلوم أن القاعدة البلاغية العربية قوامها الفكرة المحورية، "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، التي تحيل على السياق والتلقي، ممّا يعني أن المفهوم الأول يلتقي مع الثاني في مسألة احترام قواعد التلقي التي يمكن اختزالها في جملة "كيفية إقناع المتلقي"، وهي عينها القاعدة التي تتغنى بها البلاغة الجديدة، وتتردد باستمرار على ألسنتنا لأنها منطبعة في أذهاننا حول تصورنا للبلاغة، ومن ذلك قولنا: "إن فلانا بليغ" للإشارة إلى قدرته على إيصال المعنى إلى مستقبل الخطاب، ونردد العبارة مع إدراك مسبق أن المعنى لا يصل إلى المستمع إلا إذا استوفى شروط الإقناع (الحجاج في البلاغة الجديدة)، وتحلى بالجمالية الأدبية(الشعرية في البلاغة الجديدة)، ونخلص من هذا أن مرمى تهديف البلاغة الجديدة كما القديمة هو: الإحاطة بطرائق إرسال وتلقي الخطاب سواء كان شفويا أو مكتوبا؛ أي الوقوف على القيمة التواصلية الحجاجية والبيانية والشعرية والمقامية السياقية له، وهو ما يعني الوقوف على أطراف عملية التواصل ككل: المتكلم/الباط، الخطاب/الملفوظ، والمتلقي/المستمع.

وهي الوضعية البلاغية التي تطالعنا بأنصع صورها ومختلف تجلياتها وتمظهراتها الخطابية السردية، لاعتمادها على عناصر الاستهواء والاستقطاب والتخييل واحترام مقامات المسرود له، والبحث الدؤوب عن السبل الكفيلة بإقناعه، حتى تكون هناك فعالية للاتصال بمعبيته من ناحية، وأخرى شعرية لاستدراجه من ناحية ثانية.. على شاكلة النصوص السردية التاريخية الخالدة من قبيل "الإمتاع والمؤانسة" للتوحيدي، الذي زاوجت بلاغته بين

السرد والحوار والحجاج والتصوير، ونص "حي بن يقضان" لابن طفيل و"كليلا ودمنة" لابن المقفع .. أين تتراءى الوظيفة البلاغية بشكل واضح وصریح.

وما يجعل الأعمال السردية تنهض بالوظيفة البلاغية ممثلة في المزوجة بين عوالم التخيل وأدوات الحجاج والجدل أن طبيعتها الأدبية تقتضي ذلك، فهيتنماز عن غيرها من النصوص الأدبية، لا من حيث البناء فقط، بل من حيث القيمة كذلك، كونها تنهض في الأساس على خاصية التراسل التي يدير أطوارها الثالث المتكامل-السارد والمسرود والمسرود له- وبتفسير أدق العمل الروائي هو خطاب موجه من مرسل إلى متلقٍ يتضمن جملة من الرسائل، كما يتفرد بمجموعة من الخصائص تيسر عملية التواصل، حيث تقوم هذه الخصائص بتحديد وظائف الرسالة/الخطاب.

وبشكل عام تروم هذه الورقة الوقوف على مفهوم بلاغة النص بشكل عام وبلاغة السرد بشكل خاص بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة في مضمار البعدين اللذين تتغنى بهما البلاغة الجديدة ألا وهما:

➤ البعد الحجاجي الإقناعي التداولي

➤ البعد التعبيري الشعري الأسلوبي

1. بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة:

1.1 البلاغة العربية، المفهوم والماهية:

جاء في المعجم المفصل أن مفردة بلاغة تعني في مجمل ما تعنيه "الانتهاء والوصول، (وهي من الفعل) بلغ الشيء؛ أي وصل وانتهى"<sup>1</sup> إليه، وأورد لسان العرب أن قولنا "رجل بليغ، وبلغ حسن الكلام فصيح، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه"<sup>2</sup>، وسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وهي البلاغ كذلك ومؤدى هذا أن البلاغة هي الحرص على إيصال دلالة الملفوظ/الخطاب كاملة غير منقوصة إلى ذهن المتلقي.

والمعنى اللغوي للبلاغة يكاد لا يبتعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي، فهي علم من علوم اللغة العربية يتدارس جمالية الخطاب ويستعرض مكوناته الفنية، ولهذا يسميها البعض بـ"فن الخطاب الجيد"، ويرى آخرون بأنها علم الخطاب الاحتمالي التخيلي والتداولي معا، إذ ألحق علماء اللغة العربية الجانبين تحت مظلة البلاغة مثلما هو الشأن مع "ابن سينا" و"الخفاجي" و"الجرجاني" و"السكاكي" و"القرطاجني"، ولم يشذ عن مفهوم "البلاغة الجامعة" (التخيل، التداول) إلا العسكري في مفهوم الصناعتين، ولكن مع ذلك لا نعثر على مفهوم واحد موحد للبلاغة والسبب الرئيس في هذا أن المفهوم تجاذبه الفلاسفة والمفكرون واللغويون، وتعاطت معه حقول معرفية متنوعة، وانفتاح البلاغة نفسها على جملة من المعارف والتخصصات، وعلى هذا الأساس لانحصي مفهومها واحدا للبلاغة وإنما مجموعة مفاهيم، ولكنها تتقاطع في حيثية الاضطلاع بالخطاب وفعاليتها.

2.1 نظرية البلاغة العربية القديمة:

تطالعنا مفاهيم البلاغة العربية القديمة مجتمعة أن الرؤية البلاغية التي تبناها علماء اللغة العربية على اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافتهم وعصورهم، مؤداها أن البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي بشقيه التداولي والتخييلي؛ أي أنها تضطلع بالجانبين معا ضمن رؤية موحدة لا تفصل هذا عن ذاك، مما جعل للبلاغة العربية

مسارين اثنين، أحدهما علم البديع ومرجعياته القاعدية هي الشعر، والأخر علم البيان ومرجعياته هي الخطابة، وظل العلمان يسيران جنباً إلى جنب ويتقاطعان في الكثير من التفاصيل، بسبب العلاقة الوطيدة والنقاط المشتركة الكثيرة الموجودة بين الشعر والخطابة، ولكون البلاغة ارتبطت باللغة العربية بشكل فطري وعفوي كملكة كامنة وقدرة ملازمة، تستميت بحضورها في الكلام العربي، توارثتها الأجيال بوتيرة فطرية وعفوية كذلك، أو بتقدير ابن خلدون: "المتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم"<sup>3</sup>.

ولقد أشار "ابن خلدون" بوضوح إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أن جوهر البلاغة عند العرب يتمثل في إفادة المتحدث للمخاطب وإبلاغه فحوى الرسالة، وهو ما لا يتم إلا باستيفاء شروط التواصل اللساني المتمثلة في الكفاية اللغوية في الأساس التي تلم بقواعد التأليف، يقول "ابن خلدون": "اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطابق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"<sup>4</sup>، ويستفاد من كلام "ابن خلدون" أن أساس البلاغة العربية هو الكفاية اللغوية التي تمكن من التعبير عن المعاني، وتوصل الخطاب إلى مبتغاه ومبلغه، وهذه الكفاية لا تعتمد على امتلاك الكلمات فقط، بل تستوجب إدراك حسن الصياغة والتركيب الذي يعي تمام الوعي بقواعد التأليف، ويعلم تمام العلم أبجديات المقامات ومقتضيات الأحوال وكذا المقاصد، العناصر المعبر عنها في الحاضر بالسياق التداولي.

ومن هنا فإن البلاغة العربية لغة واصطلاحاً تعني في صميم ما تعنيه امتلاك القدرة وناصية التعبير لبلوغ النهاية والتواصل التام في الخطاب/الملفوظ؛ أي تحقيق عنصرين أساسيين في الخطاب/الكلام هما: الإبلاغ والقدرة على التعبير لتحقيق الإبلاغ، مما يفيد أن الإبلاغ أو التوصيل الخطابي بمعنى الكفاية التعبيرية هما وجهان لعملة واحدة، ملازمان لبعضهما البعض في البلاغة العربية، وأكثر من ذلك هما كوحدة (ثنائية) أصل في الخطاب/الملفوظ، وليس فرعاً أجزئية بسيطة يمكن إلحاقها بنص الكلام، وبعبارة أوضح هما الوحدة التي تبين الخطاب تأليفاً ومقصدية، وليس جمالية فقط كما يتوهم البعض.

وعليه إذا جاز تحديد البلاغة العربية القديمة بشكل موجز، فبوسعنا القول إنها تهتم "بالتواصل والإقناع والإمتاع"، وهو التعدد الذي وفر لها فسحة الاشتغال لاحتضان الشعر والنثر معاً، أو بالأحرى الشعر والخطابة من خلال العلوم الثلاثة "علم البيان"، "علم البديع"، و"علم المعاني"<sup>5</sup>، بمثل ما تطالعنا به مؤلفات "جواهر البلاغة"، "علم البلاغة"، "البلاغة الواضحة"، ويضطلع علم البيان بوظيفة الاحتراز عن الخطأ في التركيب مما دللته غير وافية بتمام المراد من وضوح الدلالة أو إخفاؤها"<sup>6</sup>، بينما ينهض علم المعاني بوظيفة "الاحتراز عن الخطأ في كيفية التراكيب في الإفادة لتمام المراد من المعنى، وفي دلالة المركب على قيد من قيودها"<sup>7</sup>، أما علم البديع فيقوم باقتفاء

"توابع البلاغة من طرق الفصاحة"، أو بتعبير "القزويني": "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"<sup>8</sup>.

وواضح من الأقسام الثلاثة التي تظلمها البلاغة العربية، أنها تحرص كل الحرص على حال السامع أو بالأحرى مقتضى الحال؛ أي هي تتوخى الإبلاغ بالدرجة الأولى، والمعنى التام بالدرجة الثانية، والجمالية بالدرجة الثالثة، ولهذا يربط معظم العرب البلاغة بجملة من المقولات المأثورة، يتأتى في صدارتها مقولة "البلاغة الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل"، ومقولة "صحار العبدى": "البلاغة أن تجيب فلا تبطن، وتقول فلا تخطئ"، ومقولة عبد الحميد الكاتب: "البلاغة ما فهمته العامة ورضته الخاصة"، وأشهرها على الإطلاق هي عبارة البلاغة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال": أي مراعاة حال السامع أو مقامه. وقد حدد "السكاكي" المقامات في مواضع بعينها، كل منها يختلف عن الآخر، "فمقام التشكريباين مقام الشكاية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل"<sup>9</sup>، والكلام عينه أورده "الجاحظ" بأسلوب آخر في البيان والتبيين لدى قوله: "إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيها شيء"<sup>10</sup>، والمقام الذي أسأل الكثير من حبر علماء اللغة العربية يأتي في صميم اهتمام البلاغة الجديدة ودرس التداولية، وهو نفسه ما يصطلح عليه المحدثون بـ"سياق الحال" أو "سياق المقام"، ويربطونه "بما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق، فتعطي اللفظ دلالته وتوجهه باتجاه معين، فهو إذا مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه التي تعين على فهمه وتفسيره"<sup>11</sup>، أو بتحديد "ديكرو": "نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ الخطاب في وسطها.. وإنما لنعرف التداولية بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"<sup>12</sup>.

وإلى جانب المقام تشترط البلاغة العربية شرط سلامة التبليغ والتوصيل، لأنه في تقديرها "ليس كل كلام صحيح صحة لغوية مطلقة صالحا لمقامة، أو موفقا في أداء رسالته في ظروفه وحاله، ففي هذه الحالة ينقص ضرب آخر من الصحة، وهي صحة الإيصال والتوصيل على وجه معين يقابل أغراض الكلام، ويعنى بمقاصده"<sup>13</sup>، ويشي هذا بأن البلاغة العربية في جميع الحالات وكل الأحوال تركز على استيفاء شروط التواصل بين المتكلم والمخاطب، وفي مقدمتها المقام والسلامة وتحديد الغرض، ويكون ذلك بشكل متواتر على النحو التالي:

#### المتكلم الغرض المقام

1- المتكلم: يحدد الدلالة والمقصدية في الذهن، ويتحرى سلامتها ووضوحها.

2- الغرض: يحدد الغرض الذي يستقيم معه الكلام.

3- المقام: يحدد المقام الذي يستوعب الكلام.

وقد نبّه "القرطاجني" في هذا الإطار إلى أن "ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها، وحسن موقع في النفس يكون بالنظر إلى ما للمعنى عليه في نفسه، وبالنظر إلى ما يقترن به الكلام، وتكون له به علاقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام منقولاً فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلق به القول"<sup>14</sup>.

وهكذا اتجه الدرس البلاغي إلى الإحاطة بملازمات الخطاب وصيرورته، يؤسس لبلاغة عامة كلية تستوعب مجموع علوم اللغة العربية، وتحتضن الشعري بمعية الخطابي على نحو ما نشأت عليه تقريبا، باعتبارها ملكة تواصل إمتاعا وإقناعا، لها حضور في المقامات الخاصة كما العامة، الشأن الذي جعلها تتمتع بإمكانات جمّة لا نكاد نعتزلها في البلاغة الغربية القائمة على المفاهيم الإقناعية الحجاجية فقط.

## 2. البلاغة الجديدة المفهوم والماهية:

اتجهت الدراسات الغربية اللغوية والأدبية منذ الخمسينيات والستينيات -مستعينة بالإرث البلاغي الأرسطي- إلى التأريخ للبلاغة الغربية وإعادة تلقها بغية الإحاطة بماهيتها وتمفصلاتها وفروعها وقوانينها، لتخلص إلى مفهوم "البلاغة الجديدة"، جاعلة منه تخصصا مستقلا ينهض بدراسة الجوانب الحجاجية في الخطابات وتبنت الجامعة البلجيكية المشروع مع كل من "برلمان" (Perlman) و"تيتكا" (Tyteca)، ثم اتسعت رقعته لاحقا مع نخبة من الباحثين تكتفي نفسها "جماعة ليج" البلجيكية، التي اقترحت مسمى آخر بعنوان "البلاغة العامة"، تقوم في نطاقه البلاغة مقام نظرية الخطاب مستعينة بالأدوات المنهجية والإجرائية للأسلوبية واللسانيات والسيميائيات في دراسة الخطابات والظاهرة الأدبية.

وهذا الشكل أمست البلاغة الجديدة حجاجية المفهوم والمنطلق القرآني، عمومية الدراسة والتصورات المنهجية، قوامها مبحثان أساسيان، منفصلان من حيث الشكل والمنهج والقوانين والأهداف، متكاملان من حيث التوجه العام والغاية الأسمى، وهي الإحاطة بكل جوانب الخطاب.

المبحث الأول: يقتفي دلالة الخطاب الشعري (دراسة أسلوبية)

المبحث الثاني: يقتفي أثر الدلالة الحجاجية الإقناعية (دراسة تداولية)

ويعني هذا أن البلاغة الجديدة تدارس الخطاب في بعده الاثنين، البعد الأدبي الجمالي الذي تسميه جماعة "مو" البلجيكية "بلاغة الصورة"، وبعده الحجاجي التواصلي من خلال فعاليته الإقناعية العملية. لنكون بذلك أمام بلاغتين، إحداهما "بلاغة حجاجية"، والأخرى "بلاغة شعرية"، الأولى تتقصى المشترك في الخطاب؛ أي ما يجعله يستوفي القواعد المتعارف عليها ولا يحدد عنها، والثانية تتقصى الشاذ والاستثنائي في الخطاب؛ أي ما يجعله يشذ عن القواعد الشعرية السابقة من قبيل الانزياحات والخروج عن الأعراف التخيلية<sup>15</sup>.

وخلاصة القول أن البلاغة الجديدة تهض بدراسة آليات الخطاب وفعاليتها التوصيلية، وبمفهوم آخر أوضح وأدق البلاغة الجديدة موضوعها تأثير الخطاب/الكلام في المتلقي أثناء التواصل، تأثيرا علميا تتوخى في مضماره الوقوف على الوسائل التي تحقق الإقناع بما تتضمنه من عناصر الحجاج والتأثير والإفادة والإمتاع<sup>16</sup>، أو بالتعبير المختزل "للعمرى": "البلاغة علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال"<sup>17</sup>، وهذا الأخير يتمفصل إلى قسمين اثنين:

الأول: الخطاب التداولي الحجاجي

الثاني: الخطاب الشعري التخيلي

وهو المفهوم العربي -حسب العمري- الذي يطابق مفهوم البلاغة الغربية الجديدة (rhétorique) لأن التصور العربي الموروث للبلاغة يحددها على أساس "بلاغة عامة" تستوعب جميع الخطابات، وكذا البلاغات الفرعية الخاصة<sup>18</sup>.

ومن هنا فالبلاغة الجديدة، هي العلم الذي يتدارس الخطابين التخيلي والتداولي، الأول هو الذي يسمى الشعرية، والثاني الخطابية بالاصطلاح الغربي الذي حافظ على المفهوم الأرسطي، وللتمييز بين البلاغة القديمة والجديدة، يمكن القول إن الأولى بلاغة تهتم بالبيان وآلياته وقواعده، ومجمل المعايير التي تحدد سلامة الخطاب وصحة تركيبه؛ أي هي بلاغة تعليمية تهندس أبجديات وأدوات امتلاك ناصية الفصاحة وملكة البيان، أما الثانية فهي بلاغة قراءاتية تضطلع بتوصيف الخطابات بمختلف أشكالها والظاهرة الأدبية بشكل خاص، وتقوم في خضم ذلك بإحصاء الصور البيانية واستقراء الأسلوب وعناصر الخطاب، والوقوف على قواعد الحجج والتداول، ويكون هذا غالباً تحت مضلة الاتجاهات والنظريات النقدية المعاصرة، من قبيل اللسانيات والبنوية والسميائية والتداولية، ولهذا تجدنا في الدراسات اللغوية أمام بلاغات جديدة وليست بلاغة واحدة مثلما هو الشأن لبلاغة الحجاجية: التي تعنى بالخطابات السياسية والفلسفية والقانونية مع كل من "بيرلمان" (C.Perelman) و"لوسي أولبريخت تيتكا" (L, olbrechts. tyteca)، وبلاغة سيميائية مع كل من جماعة "موبلجيكية" (GroupU) و"رولان بارت"، تعنى بدراسة العلامات والأنساق السيميائية للخطاب/الكلام، ومجمل الإشارات البصرية التي تؤدي غرضاً تواصلياً، وبهذا الشكل امتدت مساحة البلاغة إلى جملة من المعارف والتخصصات الأخرى، كما انفتحت على المجالات العلمية والثقافية والفنية، واعتمدت مدخلاً رسمياً للكثير من الحقول المعرفية بتعبير الفيلسوف الألماني "والتر جيتز": "لقد أصبحت البلاغة ملكة العلوم الإنسانية قديماً وحديثاً"، كما أنها أحدثت نقلة نوعية بانتقالها من بلاغة تعليمية معيارية تلقن كيفية اكتساب الفصاحة وملكة البيان، إلى بلاغة علمية توصيفية تتدارس الخطابات وتستقرئ تراكيها، وتهتم بمختلف التخصصات والمجالات، وبلاغة حجاجية تعنى بعناصر التأثير والإقناع في الخطاب الموجه إلى المتلقي الذي يتحقق بموجب ثلاثة شروط هي:

-اللوجوس: آليات الإقناع (الحجج والبراهين)

-الإيتوس: القيم التي يثيرها المتكلم

-الباتوس: الأثر الذي يتركه الخطاب في المتلقي، أو الصدى/الانفعال؛ أي أن البلاغة الجديدة هي "بلاغة إقناع وإمتاع".

3. بلاغة السرد:

أول الأمر ينبغي الإشارة إلى شيء على درجة كبيرة من الأهمية يتعلق بمصطلح "بلاغة السرد" في حد ذاته وما يثيره على مستواه، إذ البلاغة حيزها الفضاء العام، وعلاقة الخطاب بالمقامات والأسئلة المتعارف عليها، والفكر المشترك، والنماذج المعروفة، والخطاب الفاعل، وأدبية الأسلوب وجماليته، بينما السرد حيزه التخيل والدراما وهو يؤشر على الذاتية والخصوصية "وإلى كل ما هو انزياح وانقطاع وإنكار وتفجير وتدمير للمثل، هذا التعارض الصارخ بين مجالين يحيل أحدهما إلى التطابق، والآخر إلى الاختلاف، نشأ في سياق تجاهل الأدب الحديث للوظيفة



الاجتماعية، ووجد صداه في تقلص البلاغة إلى نظرية الصور، والابتعاد عن البعد الحجاجي، على هذا النحو حدث فصل البلاغة الأدبية عن البلاغة الإقناعية ابتداء من القرن الثامن عشر<sup>19</sup>.

وإذا كان دعاة الفصل يملكون كل المبررات التي تسند توجههم وتدعم آراءهم، فإنهم بالمقابل لا يحوزون على أدلة قطعية ودامغة، كما أن الأدب بقدر ما يحيل على الاختلاف يحيل على الائتلاف، فالفضاء التخيلي الذي يشيده هو يمتح في الأساس من الواقع والعناصر التي يعرفها ويشترك فيها معظم الناس، ويتوجه إلى متلقي بغاية استنارته أو إقناعه بمسائل وقضايا عامة ومشتركة، إذ لا يمكن التواصل مع القارئ بواسطة التخيل دون الرهان على ما هو غير تخيلي؛ أي على الاتفاق والمسلمات والمعايير. سيظل النص الأدبي مستغلقا من دون خلفية مشتركة، ولا يمكن إدراك الاختلاف وتحديده إلا على أساس التطابق الذي استند إليه<sup>20</sup>، مما يعني أن إشكال التباين أو بالأحرى الالتباس الموجود في المفهوم لا يمنع البلاغة من الإحاطة بالخطاب السرد في ضوء "البلاغة العامة" التي تعنى بالتخيلي والإقناعي معا، بالرغم من المشاكل التي تطرح على مستوى النص السرد المعاصروفي مقدمتها انفتاحه على عوالم لا حصر لها، وخلخلته للأساليب الكلاسيكية، واحتفاله بالنص المتعدد الخواص الذي يتضمن فضاؤه القصة والمسرحية والشعر والحكاية الشعبية، ويمزج الأسطورة بالاستشراف بالواقع.. وغيرها من الأمور التي لم تخض فيها البلاغة، ومن ثم فالبلاغة مطالبة بتوسيع دائرة اشتغالها لتهتم ببني ووقائع ومواصفات سردية جمالية.. معاصرة تتجاوز التمظهرات والتراكيب الأسلوبية الكلاسيكية المعتادة، بلاغة تضطلع بكل الأنواع السردية، وتنتفح على جميع الخطابات التي تسيجها (أسطورة، حكاية شعبية، مسرح، شعر)، وكذا التراكيب التي تبينها هذه الخطابات (زخارف لسانية، أسلوبية، سردية، حجاجية..)، وحتى تستوعب كل هذا بوسعها الاستعانة بالأدوات والبرامج التطبيقية من المناهج النقدية المعاصرة، والشعرية، وتحليل الخطاب، واللسانيات التداولية.. وسواها. وبهذه الوتيرة تخرج البلاغة من الحيز المغلق، المتمثل في التجليات الأسلوبية بمفردها أو العناصر الحجاجية إلى الفضاء الرحب المنفتح الذي يستوعب كل الأجناس الخطابية والأدبية، ويستثمر في السياق النصي، والحجاج والتأثير والتخيل والجمالية دفعة واحدة.

### 1.3 بلاغة السرد في النظرية العربية:

يطالعنا الموروث العربي القديم بنماذج سردية تطفح بالأساليب والخطابات والمواقف والظروف المقامية، التي تمتع من تفاصيل البلاغة العربية في تمفصلاتها الشعرية والتخيلية، ومن هذه النماذج -على سبيل المثال لا الحصر- "نص الخبر" الذي يعتبر جنسا سرديا في الأدب العربي القديم، وإن كان النقد الحديث والمعاصر يصنفه تارة في قائمة الأجناس الأدبية النثرية<sup>21</sup>، وتارة أخرى في قائمة "فنون القول"<sup>22</sup>، فهذا الشكل الأدبي تراءى نصوصه في العينات التي أوردها الجاحظ، ينهض من زاوية على الإفادة والإمتاع، ومن زاوية أخرى على تخيل الواقع أو بالأحرى "مزج الواقع بالخيال"<sup>23</sup> سواء الخبر كجنس قائم بذاته أو النوع الذي خرج من رحمه وتحول إلى شكل أدبي قائم بذاته، ونعني بذلك نص "النادرة" الذي يتقاطع مع الخبر في حيثيات جملة من العناصر، منها (السرد، النثر، اللغة الأدبية العادية، الاتصال بالواقع، الحجاج، القصر)، ويختلف عنه في سمة الهزل التي تعد خاصية في النادرة لاتبارحها، بها تعرف وبها تأخذ الخصوصية الذاتية، و"تقدم لنا مصنفات النثر العربي أصنافا متعددة، للخبر

والنادرة؛ هناك أخبار العشاق والشعراء، والمجانين والحمقى، والزهاد والأذكياء وهناك نوادر البخلاء والظرفاء والفساق واللصوص وغيرها من الأصناف، أو التوزيعات التي يتحلى بها كل من الخبر والنادرة<sup>24</sup> كيفما اتفق، ولكن بالرغم من تنوع المواضيع واختلاف الأغراض التي تتناولها، نجدتها مجتمعة تشترك في جزئيتين اثنتين، هما استفزاز المتلقي بالتهكم المضحك، واستثارته بعنصر العجائبية، مما يعني أن الخبر بوصفه شكلاً أدبياً سردياً أو نمطاً تعبيرياً يقوم بوظيفتين بلاغيتين أساسيتين، إحداهما إبلاغ الحدث الطريف أو العجيب إلى المستمع أو القارئ بغية إفادته وإثارته في نفس الوقت، وأخرهما إحداث المتعة الأدبية لديه، عبر مزج الواقع بالخيال بأسلوب الوصف المشوق والحوار الجذاب المحيل على الشخصية، والخبر على بساطته يحمل في طياته أبعاداً تعليمية تتغياً لفت نظر المتلقي إلى السلوكات الإيجابية والسلبية الموجودة في الواقع، وكذا القيم المجتمعية المحمودة والمرفوضة بغية جعله يميز بين هذا وذاك في شكل دعوة ضمنية مبطننة تستهدف توجيه سلوكه لكي يتبنى هذه القيمة ويتخلى عن الأخرى، ذلك أن القدرة على التمييز بين الإيجابي والسلبي وتحديد قيمة الأشياء، "لا تتهياً إلا في عالم نستطيع فيه دائماً التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر"<sup>25</sup>.

ومجمل النصوص التي أوردها الجاحظ في متن "الحيوان"، من قبيل "عبد الله سوار وإلحاح الذباب" و"علمه حيلة فوق في أسرها" و"وفاء الكلب"<sup>26</sup>، تؤشر على وظائف بلاغية لا غبار عليها، يمكن إجمالها في الآتي:  
أولاً: إثارة المتلقي وإفادته على ما ذكرنا (التأثير في المتلقي والتعليم)

ثانياً: النصوص تهض بوظيفة الإبلاغ والتواصل، إذ فضلاً عن المتعة التي تدخلها على القارئ عبر إضحائه وموضعيته في عوالم البهجة والسرور، هي بالمقابل تؤدي غرض التواصل بمعينته، كونها تقدم له أخباراً ومعطيات ومعلومات عن حوادث وشخصيات بعينها، وحقائق عن مواضع وسلوكات قيمة وعلمية إنسانية ومجتمعية، بغاية إفادته بالمعلومة وكذا التأثير فيه من خلال توجيه أفعاله وسلوكاته، ومن ثم يعمَل على إبلاغ رسائل محددة إلى المتلقي، تنطوي على وظيفة تداولية ومقصدية متوخاة، تارة تعليمية، وتارة إقناعية بشيء معين، وتارة دفعه إلى تغيير رأيه أو سلوكه .. وما إلى ذلك من القيم التي يزخر بها كتاب "البخلاء" و"البيان والتبيين"، التي يسوقها الجاحظ بأسلوب سردي سلس، عبر نماذج شخصية وأحداث تدعو المتلقي بشكل ضمني إلى أفعال التكافل وإعمال العقل والفكر، وقيم الجود والكرم والتشبث بالثقافة العربية الأصلية ضمن التحولات الثقافية والاقتصادية الكبيرة التي يعرفها المجتمع العباسي، وعلى هذا النحو وظف الجاحظ السرد بلاغياً لخدمة أغراض محددة وتمير رسائل معينة، على شكلة المسائل الكلامية التي كانت تتبناها المعتزلة ويرفضها قطاع عريض من المجتمع العباسي، كدور المعرفة العقلية المجردة في الاطلاع على الحقائق ومعرفة كنه الأشياء، وتفسير الشرع.. الخ، ولأن هذه النصوص أداة بلاغية تؤدي غرضاً تواصلية، ينبغي تلقيها في أسبقها ومقاماتها، عن طريق الوقوف على وظائف النص والأثر الذي تركه في المتلقي، بدل الاكتفاء بدراسة أساليبها وتصنيف جمالية معانها، إنها نصوص تواصلية بامتياز لا تُحدد قيمتها إلا أثناء تحديد آثارها في نفسية متلقيها، وكشف مقاصدها الخلفية والفلسفية والإيديولوجية والتعليمية والتهكمية، وأدواتها الحجاجية المعتمدة في عملية الإبلاغ.



ثالثاً: وظيفة التشخيص والتصوير: أو مايسمى في البلاغة العربية بالتمثيل، وهو انتقال الصورة الأدبية من الحالة المجردة إلى الحالة الحسية، ويتأتى في مضمار التخيل عبر تفعيل التشخيص الحسي والمشابهة والوصف والمبالغة.. وتنطوي بلاغته على الإمتاع والإفادة، وتزواج بين التخيل والإقناع، وتيسير المعنى وتجسير المفاهيم بين الصورة المجردة والصورة الحسية فيما يوظفه من تشبهات واستعارات وانزياحات أسلوبية، ويتفرد التمثيل في كونه يحقق الغاية الجمالية عندما ينقل الفكرة من العقل المجرد إلى عقل المحسوسات، وبالمقابل يؤثر في النفس لأن الأثر الجمالي يكون له وقع على النفس وينطبع بسهولة في الذاكرة، وهكذا يؤدي الوظيفة الحجاجية، "إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أهمة.. وضاعف قواها في تحريك النفوس لها"<sup>27</sup>، ويفيد كلام الجرجاني أن التمثيل ليس أداة جمالية فقط، بل أداة حجاجية تواصلية، فهو يترك أثراً في النفس، ويأتي الكلام الواصف والسرد في طبيعة الأشكال التعبيرية والصيغ الأدبية التي تنزاح بالصورة من المضمون العقلي المجرد إلى المضمون الحسي، فالسرد تؤثته الأفعال والأحداث والشخصيات الفاعلة في الأحداث والأمكنة.. وهي العناصر التي توفر له إمكانات التشخيص والتصوير، وبالتالي إيصال المعنى المبدئي إلى المتلقي والتأثير فيه باعتبارها مؤشرات حسية، والتمثيل وفق هذه الطريقة هو عينه الذي تطلعنا به نصوص الجاحظ في اعتمادها المزوجة بين التخيل وتمير الرسائل المبطنة مدعومة بالحجاج والتشخيص الحسي الجمالي، والنتيجة هي أن التمثيل صيغة بلاغية عربية قديمة تتضمن التصوير والحجاج، مما يعني أن النصوص السردية تتيح إمكانية اجتماع الوظيفة التخيلية مع الوظيفة الحجاجية، لأن التشخيص الفني يعد: "وسيلة معرفية تقرب المعاني المجردة التي يصعب على المرء استيعابها عقلاً دون معاونة الحس. وهذا التصوير الحسي مرتبط بطبيعة الحال بغايات أبعد من مجرد الافهام، ربما تكون أخلاقية، أو تربوية تهذيبية أو للتأثير فقط"<sup>28</sup>.

### 2.3. تجليات البلاغة الجديدة في النص السردى القديم:

إذا كانت خلاصة البلاغة الجديدة لا تخرج عن المعنيين الأساسيين المتمثلين في: المعنى الحجاجي الإقناعي، التداولي في المفهوم المعاصر، والمعنى الشعري التخيلي الذي يصب في التصوير والتعبير الجمالي، فإن النص السردى العربى القديم يزواج بين المعنيين، فهو من ناحية يسعى إلى التأثير في نفسية المتلقي بطريقة أو بأخرى، كاستثارة عواطفه أو توجيه سلوكاته أو تغيير مواقفه حيال قضايا ومسائل معينة، مستخدماً وسائل الإقناع والحجاج المختلفة، ومن ناحية أخرى نجد يبت سلمات المتعة وعناصر الجمالية، ويحفز مخياله من خلال التصوير الحسي ومشاهد الغرابة والتمثيل الاستعاري.. وتتفرد النصوص السردية العربية القديمة بميزتين بلاغيتين أساسيتين، كلاهما تتغيا التأثير في المتلقي واستقطابه، تتمثل الأولى: في التأثير المباشر في القارئ بتوظيف الأسلوب الذي يقدم المعنى جاهزاً له دونما حاجة إلى إعمال الفكر والخيال بغية التأويل، والثانية: تستفزه وتستثيره بأدوات خاصة وعلامات لسانية على التفاعل المنتج مع النص، وتعمل على تفعيل مخياله للتجاوب مع الأثر الأدبي.

ومن الأمثلة التي تنسحب على الميزة الأولى، نصوص مقامات "الهمداني" و"الحريري"، فهي تتوجه إلى القارئ بشكل مباشر، مفصحة عن فحواها ومحددة مبتغاها بغية التأثير فيه كي يتلقاها تداولياً، باعتبارها قصصاً أو أخباراً تنطوي على وقائع أخلاقية وتعليمية وتوعوية يكتفي المتلقي بمعيتها بدور الاستجابة والتقبل، وما يقال هنا عن

المقامات يقال عن جزء معتبر من قصص ألف ليلة وليلة، وأخبار ونوادر الجاحظ، إذ تبادرنا بأنها تقدم أفكارا بواسطة السرد مسندة بالأدلة وأدوات الإقناع والشواهد، وتستعرض الوقائع بطريقة واضحة إذ لا تتجاوز بلاغتها المعاني البسيطة والأسئلة المتداولة والمحصورة.

أما الشواهد التي يمكن أن نسوقها عن الميزة الثانية، بخصوص النصوص التي تشغل ذهن القارئ وتستفزه، وتدعوه إلى المشاركة في تأويلها بشكل مبطن، فعديدة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر الكثير من قصص "ألف ليلة وليلة" المضمنة بداخل القصة الإطار، كقصة "الصيد والعفريت" التي تحيل في المعنى الظاهر على أن الصغير بإمكانه أن يتغلب على الكبير إذا استخدم ذكاه وعقله، وأن الخير يتغلب على الشر.. بينما معناها الباطني المضمرة خلف جملة من العلامات الاستعارية يهجس بدلالة أخرى مغايرة تماما، تتمثل في أن "المخلوقات المدججة لا يرتجى منها شر"<sup>29</sup>، فضلا عن ذلك تطالعنا عديد القصص في "ألف ليلة وليلة" باحتفالها بالفضاء الغرائبي والعجائبي، من قبيل قصة "السندباد البحري"، وقصة "البساط السحري" .. وغيرها، ولعل الغرابة تتضاعف أكثر فأكثر في كتاب "كليلا ودمنة" المترجم إلى اللغة العربية عن الفارسية، الذي يطالعنا بقصصه على لسان الحيوانات، تقوم في أفعالها وتصرفاتها بما يقوم به البشر، إذ أسند كاتبها سمات إنسانية وواقعية إلى كائنات حيوانية غير بشرية، ليؤثث فضاءً قصصيا كله غرابة وعجائبية، تمارس فيه الشخصيات السردية الحيوانية وظائف الإنسان والحيوان معا، متقصدا إصابة مرامٍ بعينها وتمير رسائل مشفرة حول مسائل سياسية واجتماعية وثقافية سادت عصر ظهور القصص، حيث استخدم المؤلف الأسلوب العجائبي للتعبير عن الواقع وأحداث المجتمع، لدواعٍ تتعلق به أو بواقعه، كأن ينتشل نفسه من المساءلة، أو درءا لخطر محقق، أو توظيف التلميح بدل التصريح للتأشير على متلقي ضمني مقصود.. وأشياء من هذا القبيل.

وما يقال هذه النصوص يقال عن الكثير من أخبار ونوادر الجاحظ كقصة "المرأة المذنبية" التي تواجهها حية وهي في طريقها لأداة فريضة الحج وقصة "الأعرابية الفقيرة" التي تسمى "غنية"، وقصة "ليلى الناعطية" وغيرها من القصص التي تنطوي على معنى ظاهري، وآخر ضمني يحتاج إلى مشاركة القارئ.. الذي يعمل على ربط الأخبار القصصية بأسبقتهما وبنصوص أخرى في عهدهما، ليصل إلى معناها الخفي الذي أضمره السارد لحاجة في نفسه، أو بغية استثارة متلقيه.

ونخلص من هذا إلى أن السرد العربي القديم وظف آليات الحجاج كما وظف أدوات التخيل في استثارة المتلقي واستقطابه، ودلل بشكل واضح لا تشوبه شائبة بأن التصوير موجود في الفنون النثرية كما الشعرية، مما يعني أنه خاصية أدبية بلاغية عربية، تنهض بتجسير المسافة بين المعنى المجرد والمعنى الواقعي، من خلال تقديمه بصيغة حسية بصرية، تجعل ما لاتراه ولا تدركه الحواس مرثيا ومدركا، على طريقة الرسم والتجسيم.

ويأخذ التصوير في السرد العربي القديم طابع "التشخيص" أو "الأنسنة" بإضفاء الطابع الإنسانية على الجماد أو الحيوانات، مثلما أشرنا مع "كليلا ودمنة"، وهو نمط تصوير "يقوم على خلع ماهو في الواقع إنساني، أو إضفاء الخصال البشرية على أشياء أو كائنات غير إنسانية، سواء كانت حية أو جامدة، معنوية أو غير معنوية"<sup>30</sup>، بطريقة تستدرج القارئ بشكل وبآخر إلى قراءة النص وإعادة قراءته، لأن المسرود يدهشه ويؤثر فيه.

#### 4. بلاغة الرواية/السرد في النظرية الغربية:

تأسست بلاغة الرواية في النظرية الغربية انطلاقاً من السؤال المحوري والإشكالي التالي: لماذا لا يتم صياغة بلاغة خاصة بكل الأجناس الأدبية، طالما هناك إجماع حول بلاغة عامة لكل الخطابات؟ وللإجابة على الإشكالية قام مجموعة من النقاد والمفكرين بموضعة العوالم الروائية تحت ضوء البلاغة المنفتحة، التي بإمكانها أن تستعين بأليات المناهج والمباحث القراءاتية الأخرى في مقاربتها للرواية، بدل الاكتفاء ببرامج البلاغة الكلاسيكية، ومن الباحثين الأوائل الذين لفتوا الانتباه إلى ضرورة الاهتمام ببلاغة الرواية "ميخائيل باختين" في كتابه "الكلمة في الرواية"، عندما أقرّ بالعبارة والحرف أنه "لم يظهر حتى القرن العشرين طرح واحد بقضايا أسلوبية الرواية، ينطلق من الاعتراف بالأصالة الأسلوبية للكلمة الروائية، الكلمة النثرية الفنية، إذ ظلت الرواية ردحا طويلا من الزمن موضع دراسة إيديولوجية مجردة، وتقويم اجتماعي دعائي فقط، في حين أن المسائل التي تشخص أسلوبيتها مهمة إهمالا تاما، أو تدرس عرضا وبدون مبدئية"<sup>31</sup>، وكلام باختين في هذا المقام لا تشوبه شائبة، إذ لا يختلف اثنان أن نقاد الغرب تعاملوا مع النصوص الروائية في كنف المناهج السياقية الخارجية الإيديولوجية، أو في كنف المقاربة البلاغية الكلاسيكية، بدليل أن النقد الغربي ظل "إلى حدود القرن الثامن عشر أسير البلاغة الكلاسيكية، ولهذا كان عاجزا عن فهم الخصوصية الأسلوبية للرواية، مما جعل أحد النقاد المعاصرين يلاحظ أن البلاغة الكلاسيكية، بقدر ما كانت تتميز بالحذق في تناول لغة الشعر، فإنها تتميز بالابتذال عندما يتعلق الأمر بمشاكل السرد"<sup>32</sup>.

ولقد وقف جيرار جينيت (Gérard Genette) على هذه الحقيقة في مقال له انتقد فيه هيمنة الشعرية على البلاغة في مطلع السبعينيات، داعيا في ثناياه إلى نقل الاهتمام من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص، ومن البلاغة العامة إلى صورة التعبير<sup>33</sup> أو بتعبيره: "عرفت الفترة الممتدة بين (1969\_1970) ظهور ثلاثة نصوص تكاد تكون متزامنة، مع اختلاف احجامها فإن عناوينها تشي بأمر ذي اعتبار، نقصد بذلك البلاغة العامة (Rhétorique Générale) لمجموعة "لييج" (Liège Groupe) الذي نعلم أن عنوانه الأصلي هو: البلاغة المعممة (Rhétorique Généralisée) ونقصد ثانيا، مقال ميشيل دوكي (Deguy Michel) نحو بلاغة لصورة معمة (pour Un Rhétorique De la Figurée) ونقصد (Généralisée) ونقصد ثالثا، مقال "جاك سوشر" (Jaques Soycher) الاستعارة المعممة (La Métaphore Généralisée) هكذا يتقلص الموضوع، من البلاغة إلى صورة التعبير، ثم إلى الاستعارة"<sup>34</sup>، كما أنه في متنه "صور" (Figures) لم يتدارس "الصورة الشعرية فقط ولكن (كان يبحث) في كيفية تشكل الحكى فيها أيضا"<sup>35</sup>.

وإلى جانب "جيرار جينيت" يعد الناقد الفرنسي "جون إيف تادي" (Jean-yves Tadie) من الباحثين الذين طالبوا بتلقي جديد للنصوص الأدبية في كتابه "المحكي الشعري" (Le Récit poétique) الذي ذهب فيه إلى أن النص الشعري بدوره ليس إلا تعبيرا محكيا في الأصل، سوى أنه يأتي بوتيرة متدرجة<sup>36</sup> ومتقطعة، وشيئا فشيئا بدأت الدراسات الغربية تنقل الاهتمام من بلاغة العبارة أو الجملة إلى الاصطلاح بالبناء الكلي للنص، ضمن محورا أوسع هو "بلاغة الخطاب"، من قبيل ما قام به "ريتشاردز" في دعوته إلى تحديث البلاغة لدى إقراره بأن "الحجر الأساس الذي يقوم عليه سوء الفهم، هو ما يسميه بخرافة المعنى الخاص؛ أي الاعتقاد بأن للكلمة أو المفردة معنى ثابتا مستقرا، بصرف النظر عن السياق أو الاستعمال عامة، كما أن لكل إنسان اسمه الخاص الملازم له"<sup>37</sup>، وفضلا عن

"ريتشاردز" اعتبر "جورج لاكوف" (George Lakoff) أن الدرس ينبغي أن يتوجه صوب التظاهرات الخيالية للعقل كالكناية والاستعارة والتخييل بشكل عام، لأن هذه الأخيرة هي مركز أبنية التفكير وهي التي تستوعب معاني تجاربنا الشخصية، وإدراكنا الحسي الذي هو في الأصل تخييلي.

ومن الدراسات الهامة التي أولت العناية بالدرس البلاغي عامة وبلاغة الرواية بشكل خاص مقدمة مقاربات أدبية، نجد كتاب "شعرية دوستفسكي" لمخائيل باختين (Mikhail Bakhtine)، و"لغة الرواية" لـ"دافيد لودج" (David Lodge)، و"الأسلوب في الرواية الفرنسية" وكذا "الصورة في الرواية الفرنسية الحديثة" لـ"ستيفن أولمان" و" (Stephen Ullman) و"بلاغة التخييل" لـ"واين بوث" (Wayne Booth) .. وعلى هذا النحو أسمى اهتمام الدراسات السردية الغربية ليس الجوانب الإيديولوجية والتقويم الاجتماعي، وصورة الكلمة، وإنما الصورة الروائية الكلية، والمجاز السردى وعلاقة الشعرية بالحكي .. لتعرف البلاغة الغربية نقلة نوعية من شكل الأسلوب إلى "الأسلوبية المعاصرة"، إلى "الصورة الروائية" كإجراء نقدي ينهض بتحليل الأعمال الروائية في نطاق رصد فنيات التصوير اللغوي في تمفصلات السرد، ثم يتدارس الصور الحكائية في إطارها العام الكلي.

5. مفهوم بلاغة الرواية وإجراء الصورة الروائية:

على الرغم من أن النص الروائي تجاذبته العديد من المناهج النقدية والمقاربات القرآنية، ظل يعلن عن نفسه كمادة خام بوسعها أن تستقطب تجارب أخرى وقراءات جديدة، لينفتح على عوالم البلاغة الجديدة وقد تبلورت في شكل "أسلوبية معاصرة"، تتعاطى بلاغيا مع النص السردى كما الشعرى، مسلطة الضوء على بلاغة الرواية وأسلوبيتها في مضمار نسيجها المعقد وتمفصلات أسيقته الخارجية والداخلية، بغية رصد الصور الروائية البلاغية وانزياحاتها الأدبية وعلاقة ذلك ببلاغة الواقع، تحت عنوان "الرواية استعارة كبرى" مثخنة بالتشخيص المجازي والتصوير الاستعاري، والأساليب الحوارية الحجاجية التي تعتمد على الإقناع والتأثير في المتلقي، إنها تجليات صريحة للعلاقة الصورية بين المشاعر الإنسانية والفضاء التمثيلي التخيلي البليغ، وعلى هذا الأساس تستوجب الضرورة القرآنية الإحاطة بما ينطوي عليه هذا الفضاء من مكونات بلاغية، على شاكلة المجاز السردى، والصورة السردية، والتركيب الحجاجية، والتجاذبات بين السردى والشعرى.. ذلك أن الحديث عن بلاغة الرواية -بتعبير "حميد لحميداني"- يعني جعلها "متصلة بميدان أوسع، وهو الأسلوبية بمعناها الوظيفي .. الرواية ككل يمكن النظر إليها، هي نفسها باعتبارها استعارة تمثيلية كبرى .. إن الطابع الأسلوبى للرواية يتحدد بزواياة نظر الروائي، مما يكون له أثر مباشرة على تحديد هوية الرواية"<sup>38</sup>، كما أن الرواية هي من زاوية تمتع من الخيال، وهذا الأخير يتشكل من الصورة الأدبية بمختلف أشكالها وألوانها، ومن زاوية ثانية هي مسار لتجليات الواقع، والطابوهات والمحظورات، تطالعنا تارة بالأشياء الجميلة والمشاعر المتدفقة، وتجعلنا تارة أخرى وجها لوجه أمام حقائق الواقع على بشاعتها ومرارتها، وفي جميع الحالات يأخذ التشخيص مجراه محلقا في أبعاد لا متناهية، لا شيء يوقف حريته التعبيرية ولا رادع يكبح جماحه التخيلي.

وفي غمرة ذلك تتجلى الصورة البلاغية في لغة السرد بحمولتها الرمزية ودلالاتها الإيحائية، مسيجة أساليب متنوعة، وفضاءات جمالية وعوالم شخوصية بمواقف وظروف مختلفة، وأشكال خطابية تطفح بالدلالة

الاستعارية، فاتحة بذلك أبواب التأويل على مصراعها، ومعلنة أن الرواية صورة بلاغية كبرى، لا ترتبط بالمكونات الشكلية والدلالية فقط، بل ترتبط بالأبعاد الحسية والذهنية الإدراكية، تتطلب التفاعل والانخراط التام بمعنى الفضاءات التخيلية وحضور الحس التأويلي.

إن البلاغة الروائية تبحث في الصورة السردية الموسعة، التي يؤتممها التشخيص اللغوي التخيلي والبناء السردى الجمالي، بخصائصه الفنية الإنسانية، وأسيقته المتنوعة، النصية والذهنية والتعبيرية والبلاغية والأجناسية، وهي كل ذلك لأنها "وسيلة للتعبير الفني والجمالي عن قضايا إنسانية خالدة، مثل الحياة والموت، والحب والكراهة، والسعادة والشقاء، والسلم والحرب.. فهي طريقة للتشكيل والتصوير والوصف، وغايتها الوظيفة الفنية والجمالية.. ومن ثم فالصورة الروائية هي مركز التفاوض ومعتك الاختيارات الفكرية والفنية التي صدر عنها الروائي، على اعتبار أن الصورة إجراء لغوي ووسيلة فنية وغاية"<sup>39</sup>.

وبشكل مختزل نقول إن بلاغة الصورة الروائية الموسعة تتفرع إلى ثلاثة جوانب أساسية هي: المكونات والسميات، والصور الفرعية، ولذلك تستدعي المقاربة البلاغية تدارس جملة من الأسيقة للقبض على الصورة السردية الموسعة وفق خطوات منهجية مرحلية ومستويات تحليلية متتابعة. يمكن إيجازها في النقاط الأساسية التالية:

أولاً: السياق النصي: ويتم فيه بحث المكونات الثابتة التالية:

أ- المكونات السردية: (الأحداث، الشخصيات، الفضاء، الوصف، اللغة، الرؤية السردية)

ب- السيمات الثانوية: سمة الواقعية، سمة العجائبية، سمة الخرافة، سمة التوتر.

ثانياً: المستوى الأجناسي: وفيه ينبغي الوقوف على مكونات الجنس الأدبي داخل الصورة الروائية، عبر إلحاق الصورة بسياقها النوعي لاستخلاص ميزات التحسينية والنوعية، لأن الصورة الروائية شأنها شأن الصورة الشعرية تتعالق بشكل أو بآخر مع عناصر الفضاء الروائي. ثم يأتي الدور على السياق الذهني (التفاعل بين المتلقي والصورة) وعناصر الحجاج، فالسياق اللغوي (تدارس الأساليب والتراكيب اللغوية)، لتتوقف العملية عند السياق البلاغي، أين ينبغي رصد الصورة الروائية الكبرى، وتحديد سيماتها الجمالية بمعزل عن بلاغة الشعر؛ أي دراسة "الصورة الروائية، من حيث هي مظهر أسلوبى، تعبير نسقي عن التماثل البلاغي المتجذر في السياق الكلي للمتن. ومن هنا افتراقها عن الصورة البلاغية التزينية التي قد تندرج في إطار السرد إلا أنها تظل فيه في وضعية افتقار إلى سمات التكوين الروائي"<sup>40</sup>، وبمعنى من المعاني يتطلع البرنامج الإجرائي للصورة البلاغية الكبرى إلى الإحاطة بالصورة السردية فنيا وجمالياً وبلاغياً، بعيداً عن بلاغة الشعرو عن البرامج التي يوظفها علم السرد في تطبيقاته النقدية المعاصرة.

وبهذا الشكل يتسنى لملمة بلاغة الرواية في مضمار مكوناتها الفنية والجمالية والإنسانية، وذلك باستيفاء الشروط البلاغية المتصلة بالبنية، والدلالة، والوظيفة، باعتبارها العناصر المؤطرة للسرد الروائيلى جانب الصورة الأدبية ذات الطابع السردى، ونخلص من هذا أن البلاغة الروائية هي بلاغة سردية في المقام الأول، إنها "مجموع الطرائق والوسائل الفنية والأسلوبية والفكرية؛ أي الحجاجية التي تجعل القارئ يقتنع بأنه بصدد حكاية وليس بصدد فكرة"<sup>41</sup>، يحاور ساردا ويتفاعل مع المسرود ضمن فضاء زمني ومكاني متخيل، تؤثته لغة سردية شعرية

خاصة، وتيمة تتوهج بالإيحاء والإمتاع تبين أفقا نصيا يتطلع إلى أفق قارئ مميز يتفاعل معه، وينهض بفعل التحيين والتأويل البلاغي الروائي، ذلك أن بلاغة الرواية هي "بلاغة نوعية، من خلال بحثها الدائم عن الصورة الكلية والجزئية التي يحفل بها النص، باعتبارها محكيات لها طابع خاص على المستويين البنائي والدلالي"<sup>42</sup>، وتتماز بشعرية خاصة أيضا، لاتسيجها البلاغة اللغوية والزخارف اللسانية فقط، بل بلاغة وشعرية التفاصيل السردية كذلك التي تنهض باستدراج المتلقي واستقطابه وشد انتباهه وإيمامه بحقيقة الخيال.. وما إلى ذلك.

#### هوامش البحث:

- <sup>1</sup>-أنعام فوال عكاوي، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص: 15
- <sup>2</sup>-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مادة بلغ، الجزء الأول، القاهرة، مصر، ص: 346
- <sup>3</sup>-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص: 622
- <sup>4</sup>-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص: 622
- لقد ظل احتضان البلاغة لهذه العلوم الثلاث في مجمل الدراسات العربية وبالرغم من خروج السليمانى وابن البناء عنه، وبالرغم كذلك من أن<sup>5</sup> الجاحظ وحد البلاغة تحت مظلة البيان، وابن المعتز تحت مظلة البديع.
- <sup>6</sup>-ابن الناظم ، المصباح في المعاني، والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل، مكتبة الأدب، القاهرة، 1989، ص: 5
- <sup>7</sup>-نفس المرجع السابق، ص: 3
- <sup>8</sup>-الخطيب جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص: 255
- <sup>9</sup>-السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص: 162
- <sup>10</sup>-الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، 116/1
- <sup>11</sup>-حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، لبنان، 2005، ط1، ص: 128
- أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايغر، مقام الخطاب، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب،<sup>12</sup> 2007، ص: 677
- <sup>13</sup>-كمال بشر، فن الكلام، دار غريب، (د. ط)، 2003، ص: 80.
- <sup>14</sup>-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط3، 1986، ص 130
- <sup>15</sup>- groupe urhétorique générale, paris, Editions du seuil, coll, points, 1970,p: 127
- <sup>16</sup>-Tzvetan Todorov, splendeur, et misère de la rhétorique in Théories du symbole, ed seuil, 1977,p: 59.
- <sup>17</sup>-محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص: 18
- <sup>18</sup>-محمد مشبال، البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014، ص: 42.
- <sup>19</sup>-محمد مشبال، الرواية والبلاغة، دار كتارا للنشر، الدوحة، قطر، 2019، ص: 14، 15
- <sup>20</sup>-محمد مشبال، الرواية والبلاغة، دار كتارا للنشر، الدوحة، قطر، 2019، ص: 15
- <sup>21</sup>-كالمقامة، والخطابة، الحكاية، الرسالة، الوصية.. الخ
- <sup>22</sup>-فروج بن رمضان، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط1، 2001، ص: 99
- <sup>23</sup>-شكري عباد، القصة القصيرة في مصر، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1979، ص: 24
- <sup>24</sup>-محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، مطبعة الخليج العربي، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، 2010، (ب. ط)، ص: 101

- <sup>25</sup>-سوزان ريين سليمان، عن المرجع السابق، ص: 12
- <sup>26</sup>-الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (ج2، ج3)، (د، ط)، ص: 343، 122، 171
- <sup>27</sup>-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة. تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1991، ص 115
- ألفت الروي، التمثيل في التراث النقدي والبلاغي حتى نهاية القرن الخامس عشر الهجري، كتاب مشترك، المجاز والتمثيل في العصور الوسطى،  
<sup>28</sup>مجلة ألف الدار البيضاء، ط2، 1993، ص: 90
- أنظر كتاب عبد الفاتح كيليطو، الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص:  
<sup>29</sup>32.
- <sup>30</sup>-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الكتاب المصري، ط1، 2003، ص: 265
- <sup>31</sup>-ميخائيل باخين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاف، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1988، ص: 08
- <sup>32</sup>-حميد حميداني، أسلوبية الرواية، مدخل نظري، منشورات دراسة سال، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1989، ص: 6
- <sup>33</sup>-رولان بارت، لذة النص، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص: 34
- <sup>34</sup>-نفس المرجع السابق، ص: 34
- <sup>35</sup>-عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينات من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف الجزائر، 2008،  
ص 24
- <sup>36</sup>-Jean Yves Tadie, *Lerécit poétique*, PUF, 1978, p: 06
- <sup>37</sup>-أيفور أرمسترونغ، ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الفاغي وناصر الخلاوي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص: 05
- <sup>38</sup>-حميد حميداني، أسلوبية الرواية، مدخل نظري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص: 51
- <sup>39</sup>-جميل حمداوي، بلاغة الصورة السردية في القصة القصيرة، (نحو مقارنة بلاغية جديدة للصورة السردية) مطبعة بني أزناسن سلا، المغرب،  
سلسلة شرفات، العدد 41، ط1، 2014، ص: 08
- <sup>40</sup>-محمد أنقار، صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي، تطوان، المغرب، ط1، 1994، ص: 45
- <sup>41</sup>-عبد الحميد عقار، بلاغة الرواية، مجلة بلاغات، عدد: 1، المجلس البلدي لمدينة القصر الكبير، المغرب، 2011، ص: 141
- <sup>42</sup>-أحمد البيوري، في الرواية العربية، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص: 61



- جامعة محمد لخضر - بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني

البلاغة الجديدة ( المصطلح والفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوية الحديث

يومي 09-10 ماي 2022

الاسم واللقب : محمد عليوة

الصفة : دكتور

مؤسسة الانتماء : جامعة الجزائر 2

الهاتف : 0774 87 89 46 البريد الإلكتروني : [mzjhsmith@gmail.com](mailto:mzjhsmith@gmail.com)

محور المداخلة : البلاغة الجديدة في التراث

عنوان المداخلة : تجليات معالم البلاغة الجديدة في التراث العربي-من خلال آراء الجاحظ -

لا يزال الدرس البلاغي غير مستقر ، وفي حركية وتجديد دائم سواء من حيث مسائله ومناهج دراسته . ويروم هذا البحث إبراز مركزية الجاحظ في النظرية البلاغية العربية ، وتقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية القديمة ، في ظل تبني عدد من النقاد والبلاغيين نظرية الحجاج بديلا لها .

عرف الدرس اللغوي العربي تطورا كبيرا ونضجا واضحا خلال القرن الثاني للهجرة ويرجع ذلك أساسا إلى ما توصلت إليه العلوم المعرفية من حقائق ونظريات استفاد منها النقد الأدبي الحديث ، إذ إن العلماء والمفكرين والبلاغيين العرب أبدعوا وأسهموا بشكل وافر في إنتاج المعرفة ، فأسسوا حركة فكرية مسيرة للمشهد الثقافي عملت على تجاوزها بعض النظريات طارحة في الوقت ذاته البديل ، بفضل لغويين وبلاغيين ومفكرين متمرسين يضعون كل شيء موضع المساءلة والحوار . وفي غمرة اللغويين والمفكرين العرب آنذاك يبرز الجاحظ قامة واضحة في خارطة الفكر العربي التراثي فلسفيا ، لغويا ، أدبيا وبلاغيا من خلال ما خلفه من مؤلفات تجلي بوضوح خصوصية فكره ، العقلاني واللساني انطلاقا من قاعدة معرفية زاخرة بمستجدات المشهد الثقافي في العصر الذهبي - العصر العباسي - فأحدث إنجازاته نقلة نوعية في مسار الحركة النقدية والبلاغية واللغوية العربية القديمة .

وانطلاقا من هذا شكلت رؤيته للنظريات اللغوية أسئلة القضايا اللسانية وامتدادات النظريات اللغوية الحديثة المنسوبة إلى روادها مكونا رئيسا من مكونات الدرس اللساني عند الجاحظ . كما تثير بعض التساؤلات جدلا معرفيا حول أثره في تطوير النظرية البلاغية الحديثة ، وتتمحور إشكالية هذه التساؤلات في : - المرجعيات الثقافية التي تشبع بها الجاحظ - الحديث عن منهجيته المتبعة وكيفية تعامله مع مختلف القضايا البلاغية - علاقة ماضي الدراسات البلاغية بحاضرها .



ولرسم معالم هذه القراءة النقدية ، لن أركز على الجانب التاريخي التطوري ، بل على الحدث الجاحظي وما بعده باعتباره محورا للبحث محاولا إبراز مدى تقاطعه مع المكتسبات البلاغية والخطابية المعاصرة ، وهل الدرس البلاغي القديم محصور في البيان والبديع والمعاني ؟ وما هي خصائص البلاغة الجديدة ؟ وما مدى صمود التفكير البلاغي العربي ضمن حركة التفاعل بين التراث والحداثة ؟

يدور الحديث اليوم عن بلاغتين : كلاسيكية وجديدة ، فالبلاغة الكلاسيكية هي بلاغة بيانية معيارية وتعليمية تساعد الكاتب أو الخطيب على كيفية الكتابة والإنشاء والخطابة ، أي أنّها أداة للإبداع ووسيلة للتفنن في الكتابة بغية الوصول إلى تأليف راق ، وأداة ناجعة لاكتساب ملكة الفصاحة والبيان .

ومع منتصف القرن العشرين ، أصبحت البلاغة في ثوب جديد ، لأنها كانت تعنى بوصف قواعد الخطابات والأجناس الأدبية وتصنيف الصور البلاغية والمحسنات البديعية وبيان وظائفها في ضوء مناهج معاصرة لسانية وبنوية وسيميائية وشعرية . ولم تقتصر البلاغة الجديدة على ما هو لساني في دراسة الصور والخطابات الأدبية ، بل كانت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية والقانونية والسياسية مع ( شاييم بيرلمان C.Perelman ) و( لوسي أولبريخت تيديكا L.Olbrechts-Tydeca )

وقد تجلت في كتابات الجاحظ مفاهيم كثيرة تشكل أساسيات الدرس اللساني التداولي المعاصر الذي يدرّس في جامعاتنا اليوم وكان للمفاهيم التداولية تأثير واضح في علوم أخرى تقترب منها وتتقاطع معها ، ومن بينها البلاغة .

فقد أفاد الجاحظ من ينابيع سوق البصرة التي كانت ملتقى العلماء والأدباء ، وأسهم في تكوين شخصيته العلمية والأدبية ( كثرة قراءته لكل ما وقع تحت يده من كتب ، حتى إنه كان يستأجر دكاكين الوراقين فيبيت فيها للنظر ، وكذا العصر العلمي المزدهي بأشهر علماء الأمة في كل فرع من فروع المعرفة ، وهكذا أخذ الجاحظ اللغة عن أشياخها الكبار: الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصار ، وأخذ النحو عن الأخفش الأوسط ، وأخذ الحكمة عن صالح بن جناح اللخمي ، وتفقه في الاعتزال على شيخ المعتزلة في ذلك العصر: أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، فقد قيّض للجاحظ أن يعيش في عصر عاش فيه كبار الشعراء والكتاب<sup>(1)</sup> )

أثرت هذه المعلومات في حياة الجاحظ وفي مؤلفاته المختلفة التي لم يترك فيها بابا من أبواب العلم والأدب إلا طرقه ، وصار بذلك أعجوبة الزمان وينبوع الافتنان ، إذ ذكر الباحثون أنه ترك ما يزيد على مائة وسبعين كتابا ومن أشهر كتبه الكبيرة: "كتاب البيان والتبيين" الذي يعدّ واحدا من الكتب الكثيرة التي ألفها الجاحظ ، بث فيها الجاحظ آراءه البلاغية والنقدية في مسائل شتى كالبيان ، البلاغة ، الخطابة ، الكلام الجيد ، خطبة أو جدلا أو حوارا أو قصصا حتى عدّت آراؤه من الأصول الأدبية واللغوية عموما . ويمكن تصنيفه مؤلفا في البلاغة ، لتضمينه عديد المقاييس البلاغية من بيان وبديع غير أن منهج الجاحظ فيه جعل هذه المقاييس لا تدرك إلا بحسن التأمل ، حتى قال أبو هلال العسكري عنه ( إن أنواع البيان والبلاغة مبنوثة في تضاعيفه ومنتشرة ، لا توجد إلا بالتأمل)<sup>2</sup> ، كما أنه يمزج بين القضايا والأفكار .

(1) - الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1998 .

(2) - عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط:5 ، 2006 .

وتضمن كتاب البيان والتبيين بابين كبيرين هما:

-باب الكلام: وضمّنه الجاحظ مجموعة من الفصول تتعلق باللسان وما يتصل به من مخارج الحروف وعيوب الكلام ، واختلاف طرق الأداء، واللحن والفصاحة. ( الذي يحمل كثيرا المفاهيم المتداولة في الدرس اللساني الحديث )

-باب البلاغة: وتعرّض للحديث عن البيان ، والبلاغة ، والخطابة آدابها وشروطها ، كما تحدث الجاحظ عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال والعناية بأقدار السامعين في نقله لحديث بشر بن المعتمر في صحيفته هـ، في قوله ( والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال)<sup>(1)</sup> ، و( المتكلم ينبغي أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما )<sup>(2)</sup> .

ومن أقوال الجاحظ في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال قوله ( إذا أعطيت لكل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد و العدو فإنه لا يرضيهما شيء )<sup>(3)</sup> .

وعدّ العناية بأقدار السامعين من شروط البلاغة فقال ( لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملك بكلام السوق، ولا يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفى كل التصفية، ولا يهذبها كل التهذيب، ولا يقبل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا عليمًا )<sup>(4)</sup> ، فالمطابقة لدى الجاحظ أن يكون الكلام وفقا لأحوال السامعين بمراعاة الخصوصيات واللطائف والأسرار من بسط أو إيجاز أو حذف أو تكرار . فعلى الرغم من أن الجاحظ اعتبر المعاني مطروحة في الطريق يستوي فيها الخاصة والعامة إلا أنه لم يهمل جانب المعنى ودلالة اللفظ ، فقد تعرّض إلى دلالات الألفاظ ومعانيها .

ويمكن القول أنّ البلاغة لا تخرج عن دائرة العلوم الأخرى ، فكلّ العلوم الإنسانية والتجريبية تعمل بمبدأ الأخذ من منطلقات السابقين ، إذ يعمل اللاحق على تطوير الفكرة السابقة ويشير إلى ما فيها من خطأ أو خلل أو نقص مع إظهار مكامن حسناتها فترقى إلى صورة ونتيجة أحسن ، فمن الطبيعي أن يستفيد اللاحق من السابق ، ولولا أخذ العلوم بهذا المبدأ لما تطوّرت وما وصلت إلى هذه الدرجة من الرقي والابتكار الذي نشهده اليوم .

وكان لابدّ للبلاغة أن تخضع لهذا المبدأ أيضا ( ومن حقّ كلّ طبقة أن تستغلّ نشاط سابقتها وتضيف إليه ما يمثّل شخصيتها وتاريخها الخاصّ تمثيلا موضوعيا أو شكليا ، وبذلك تتحقّق هذه المشاركة العامّة في عناصر الحياة

(1)- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 ، ص 136.

(2)- المرجع نفسه ، ص 136.

(3) - المرجع نفسه ، ص 116.

(4)- المرجع نفسه ، ص 92.

إذ ينهض الممتازون بالابتكار والإبداع غير مستأثرين بما عملوا ، ولكثّم يفيضون منه على النَّاس جميعا . هذا قانون يسري على الحياة الأدبية باعتبارها ظاهرة إنسانية<sup>(1)</sup>

وباستقراء آراء الدعاة إلى تجديد البلاغة ، نجدهم يتجهون في شبه إجماع إلى تخليص البلاغة مما شابهها من مسائل المنطق والفلسفة ، ومباحث الأصوليين وما إليها ، فرأى بعض منهم الاعتماد على تراثنا في البلاغة ، وجعله أساسا للتجديد ، وأن التجديد يجب أن يكون نابعا من روحنا ومجتمعنا ، وتكويننا وفطرتنا وذوقنا وبعض آخري أن الكتب القديمة يجب أن تلغى ويحل محلها كتب أخرى مؤلفه على منهج حديث مستقل ، مبني على أساس من الدراسات الغربية الحديثة وبعض ثالث يرون المزج بين البلاغة العربية بالدراسات البلاغية الحديثة في شتى اللغات الأوروبية ، وأنه من الخير الجمع بين ما يصلح من تراثنا ، وما يصلح من بلاغة الغرب ، وأن التعايش بين القديم والحديث أفضل نتاجا وأقوى أثرا ، فالفكر البلاغي العربي القديم حافل بالنظريات والإجراءات التطبيقية التي تعتبر أصلا لكثير من النظريات الغربية التي تثير إعجابنا لما اكتسبته من ثوب حدائي ترجع أصولها في حقيقة الأمر إلى تراثنا القديم ، وقد لا يكمن الاختلاف سوى في المصطلح أو المناهج . ويمكن اتخاذ مسألة السرقات الأدبية نموذجا حيا لذلك .

وقد برزت مسألة السرقات الأدبية واعتبرت من أهم القضايا التي أثارت اهتمام النقاد العرب القدامى فأدلوا بأرائهم المختلفة وتقسيماتهم المتعددة كما سبق الإشارة إلى ذلك . فهل يمكن اعتبارها أساسا لنظرية بلاغية ؟ وهل يمكن اعتبارها معادلا لما يصطلح عليه البلاغيون المحدثون بـ "التنّاص" ، وما العلاقة بين التنّاص والسرقات إن لم تكن معادلا لها بمصطلح ومفهوم حديث .

وبالنظر إلى كيفية نظر النقاد العرب المعاصرين إلى هاتين الفكرتين هناك من رأى أن التنّاص كان موجودا في أغلب الدراسات النقدية لدى القدامى غير أنه لم يكن تحت هذا المصطلح ، بل ورد تحت عدّة مسميات أخرى . أما بعضهم الآخر فرأى أنّ ( مفهوم التنّاص لم يُعرف في الدراسات النقدية العربية إلا في العقود الأخيرة بالرغم من وعي النقاد العرب القدامى بعلاقات النصوص بعضها مع البعض الآخر)<sup>(2)</sup> وأنّ تلك الدراسات لم تستخدم مصطلح التنّاص وحده الذي هو ترجمة لمصطلح "Intertextualité" بل استخدمت مصطلحات مرادفة مثل "التنّاصية والنصوصية"<sup>(3)</sup> و"التعالق النصّي"<sup>(4)</sup> و"تداخل النصوص" و"الحوارية"<sup>(5)</sup> والنص الغائب ومع اختلاف هذه المصطلحات إلا أن هناك جامعاً يجمعها ويربطها وهو الكشف عن حالة من العلاقات القائمة بين نصّ ونصوص أخرى .

(1) - أحمد شايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة- مصر ، 1994م ، ص 261 .

(2) - انظر: عبد الواحد لؤلؤة ، التنّاص مع الشعر العربي ، الأقلام - بغداد ، الأعداد 10-11-12 ، 1994 ، ص 27.

(2) - انظر: آفاق التنّاصية المفهوم والمنظور ، تر: محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص 60 وانظر: أحمد محمد قدور ،

اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، 2001م ، ص 118 وما بعدها وانظر: عبد الملك مرتاض ، في نظرية النص

الأدبي ، مجلة الموقف الأدبي - دمشق ، العدد 201 ، السنة 1988م ، ص 55 .

(4) - انظر: علوي الهاشمي ، ظاهرة التعالق النصّي في الشعر السعودي الحديث ، كتاب الرياض مؤسسة اليمامة الصحفية - الرياض ، ص 21.

(5) - ينظر: الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2006م ، ط 6 ، ص 288 وما بعدها.

( ورغم أنّ السرقة ليست مرادفاً للتناص ، إلا أنّ أشكالها الموظفة تعدّ ضمن الحالات التي يتضمنها هذا المصطلح الحديث ، فهو أعمّ وهي أخصّ )<sup>(1)</sup> ويمكن ملاحظة هذا التداخل بإلقاء نظرة قرآنية على التراث النقدي العربي القديم . فيقودنا هذا التعدد في المفهوم وكثرة المصطلحات إلى طرح عديد من التساؤلات حول تقارب المصطلحات الغربية والعربية المتداولة وتطوّراتها ، فهل من الصائب أنّ التناص هو السرقة بأشكالها المختلفة والمصطلحات المنضوية تحتها والتي تتقارب في دلالاتها من نسخ وسلخ وإغارة و... في حلّة جديدة ؟ أم أنه "اللاقتباس والتضمين" ؟

إذ تعدّ مسألة السرقات الأدبية من أهمّ القضايا النقديّة التي أثارت اهتمام العرب القدماء فاختلفت آراؤهم وتعدّدت تقسيماتهم ، إلا أنّنا نشهد في عصرنا الحديث ما اصطلح عليه الغربيون المحدثون بـ "التناص" ، فما هي العلاقة بين التناص والسرقات ؟ وهل يمكن مقابلة هذا المصطلح بذلك ؟ وكيف تعامل العرب المعاصرون مع هذين المصطلحين باعتبار أحدهما تراثياً والآخر يمثل جزءاً من الدرس البلاغي المعاصر بما يصبّ في خدمة البلاغة الجديدة؟

وقد تحدّث الجاحظ عن صميم مفهوم التناص وذلك في قوله ( لا نعلم في الأرض شاعراً تقدّم في تشبيه تامّ ، وفي معنى عجيب غريب ، أو في معنى شريف ... ، وإلا وكلّ ما جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه ، كالمعنى الذي يتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم ، وأعاريض أشعارهم ، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه )<sup>(2)</sup>

يرجع عبد المالك مرتاض من خلال قول الجاحظ الأصل في السرقات الأدبية أو الشعريّة إلى إعجاب المتأخّرين بالمتقدّمين ، فيقع استحواذ الأواخر على أفكار الأوائل ، وعندما استعمل لفظة ( التنازع ) رفضاً منه لمصطلح ( السرقات الأدبية ) .

لقد تناول الجاحظ موضوع السرقات دون تفصيل فيها ولكنّه ترك بصماته عليها حسب رأي عبد الملك مرتاض ، ولذلك نجد في كتاباته بعض الإشارات تدور حول السرقة ، ومن ذلك تلك الإشارة التي وردت في " رسالة التّربيع والتّدوير " وهو يخاطب أحمد بن عبد الوهّاب على سبيل الاستهزاء به عن معنى كان يتحدّث عنه الشّيخ فيقول : (... فإنّ ذلك معنى مسروق منّي في وصفك ، ومأخوذ من كتي في مدحك )<sup>(3)</sup> . كما نجده تناول السرقة في بعض المواضع ( مثل موضوع العصا وكيف وردت فيها أبيات من الشعر متفرقة كثيرة )<sup>(4)</sup>

لقد تناول الجاحظ مسألة التناص من خلال أفكار ثبوتها للعرب وإثباتها للأمم الأجنبية مثل الفرس والهند والروم ، فهو يثبت التناثر والمحاكاة والمثاقفة للأمم الأعجميّة ويرفض ذلك كلّ للعرب ظلماً منه أنّه منقصة من بلاغة العرب ولأنّه من جهة أخرى يرى أنّ كلام العرب إلهامهم وألفاظهم تأتي دفقا وإرسالا ، وذلك لأنّه يؤمن بفكرته (

(1) - مصطفى السعدني ، التناص قراءة أخرى للسرقات الشعرية ، منشأة المعارف الإسكندرية - مصر ، 1991م ، ص 8 .

(2) - الجاحظ ، الحيوان ، ج 3 ، ص 313 .

(3) - الجاحظ ، رسالة التّربيع والتّحرير ، ج 3 ، ص 58 .

(4) - عبد المالك مرتاض ، نظرية النّص الأدبي ، ص 222 .

المعاني مطروحة في الطَّرِيق وإنَّما العبرة باللفظ<sup>(1)</sup> ، ونجده يرفض فكرة التَّنَاص لدى العرب في غير ما موقع في مؤلفاته .

ويرى مرتاض أنَّ الجاحظ وقع دون أن يشعر فيما فرَّ منه أوَّل الأمر فقد أثبت التَّنَاصِيَّة في كلام العرب مع من سبقوهم وذلك من خلال قوله ( لم يحفظوا إلَّا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتَّصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفُّظ ولا طلب )<sup>(2)</sup> وهذا هو التَّنَاص بعينه ، أي أنَّ الشَّاعر يدخل في تناص مع غيره ممن عاصروه أو سبقوه دون أيِّ قصد أيَّ أنَّه يستبدل النصوص بعضها ببعض على حدِّ تعبير جوليا كريستيفا ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى مفهوم التَّنَاص الحديث .

ومن خلال ما قاله الجاحظ بأنَّ الشَّعراء ( لم يحفظوا إلَّا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم دون قصد )<sup>(3)</sup> نجد أنَّه فرق بين مفهوم السَّرقة الذي كان سائداً آنذاك ومفهوم التَّنَاص الذي يقوم على عدم التكلّف في حين أنَّ السَّرقة تعتمد إلى القصد كأن تسرق قصيدة بأكملها أو معنى بلفظه وتنسبها لنفسك .

فأهمية البلاغة البنوية تكمن في الخروج عن التقسيم الذي سنته البلاغة المدرسية ، وكذلك في عدم حصر البديع والمحسنات ، بل الرجوع به إلى دلالته الأولى عند العرب ، حيث البديع هو البلاغة عموماً . ومن هنا فالبديع يرجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود ولذلك ارتبطت بالمقاصد وأساليب الخطاب ، واهتمت بإعطاء القوانين الكلية للشعر التي تنضبط بها المندرجة تحتها .

وقد أثمرت هذه المحاولات إنجاز آراء بلاغية إجرائية قائمة على الشبيه أو المماثل اصطلاحياً لتلك الرؤى النقدية من مصادرها المختلفة ، وهي مصادر لم تكن كتب الأدب العربي القديم سوى الجانب اليسير منها . ذلك ما يتجلى بوضوح لدى سير أغوار التراث العربي ، إذ يتكشف مدى اشتغال هذا المورد على ملامح تظهر أنَّ العرب كانوا على وعي بجزئيات هذه الظاهرة التي عنوا بها في الدرس القديم .

فقد قسم البلاغيون المعاصرون التَّنَاص إلى تضمين و اقتباس وهما مصطلحان معروفان في الدرس البلاغي العربي منذ القديم ، إلا أنَّهما عرفا تطوراً كغيرهما من المصطلحات النقدية .

فالاقْتِباس يعني بصورة مختصرة أخذ الشاعر أو الناثر نصاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ليوضع في شعر الشاعر أو نثر الناثر ، ومن البلاغيين والنقاد من جعل الاقتباس يشمل الأخذ من بعض العلوم والمعارف الأخرى ، كالنحو والصرف والفقه والعروض ، وغير ذلك . أما التضمين فيعني أخذ الشاعر بيتاً أو جزءاً من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره ، على أن يكون ذلك علناً من دون أن يخفي ذلك ، وإلا فالأمر يعد سرقة أدبية .

#### 1- الاقتباس :

(1) - ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج3 ، ص 25 .

(2) - عبد المالك مرتاض ، نظرية النَّص الأدبي ، ص 225 .

(3) - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج2 ، ص 268 .

( فوجد عبد الهادي الفكيكي في كتابه " الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي " يربط الحديث عن الاقتباس بالحديث عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وأدائها. )<sup>(1)</sup>

وقد تطرق من خلال كتابه إلى الأغراض الشعرية التي مسها الاقتباس مقدما نماذج في الزهد والوعظ ، المدائح النبوية ، المدح والهجاء ، الفخر ، الاستعفاف ، الرثاء ، الغزل والعتاب .

وقد ورد الاقتباس بمعنى الاستعارة والاستفادة في حديث : ابن عباس رضي الله عنه ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد )<sup>(2)</sup> ، ومنه قوله تعالى في سورة الحديد ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾<sup>(3)</sup>

ومنه جاء اصطلاح الاقتباس عند البلاغيين : ( أن يُضَمَّنَ الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ، لا على أنه منه ، والكلام هنا يشمل المنظوم والمنثور )<sup>(4)</sup> ومنهم من قصر الاقتباس على القرآن لا غير ، فقيل : ( الاقتباس أن يَضْمَنَ المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله )<sup>(5)</sup> ومنهم من لم يكتفِ بذلك ، فزاد على القرآن والحديث الاقتباس من مختلف الكتب المقدسة .

( فلم يقصر ناجي علوش في تعليقه على الاقتباس على الأخذ من القرآن الكريم فقط بل جعلها متعلقة بالكتب المقدسة السابقة ، فأشار إلى اقتباس بعض الشعراء في بداية القرن 20 من كتاب النصرى المقدس ، مستحضرا مؤلفا لعيسى اسكندر المعلوف تحت عنوان " اقتباس الشعراء من الكتاب المقدس " الذي يضم 5 دراسات تبين تأثير الشعراء العرب بكتاب النصرى المقدس )<sup>(6)</sup>

( ومن البلاغيين من وضع الاقتباس في مكانة مرموقة في الصناعة البلاغية ، ليس فوّه من الكلام ما هو أعلى درجة منه ، لأنه ممزوج بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به )<sup>(7)</sup>

## 2- التضمين :

( التضمين في الاصطلاح البلاغي هو أن يُضَمَّنَ الشعر شيئا من شعر الغير ، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهورا عند البلاغ )<sup>(8)</sup> ولم يقصر بعض البلاغيين التضمين على الشعر ، بل شمل النثر أيضًا ، فقيل عن التضمين

(1) - الفكيكي عبد الهادي ، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، دار معد دمشق - سوريا ، 1996م ، ص 7 .

(2) - رواه أبو داود في سننه والنسائي ، الحديث 793 .

(3) - سورة الحديد ، الآية 13 .

(4) - جلال الدين القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط 4 ، 1998م ، ص 381 . وعلي بن محمد الجرجاني ،

التعريفات ، تح : ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، 1405هـ ، ط 1 ، ص 49 .

(5) - تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي ، خزائن الأدب ، تح : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ، 1987م ، ج 2 ، ص 455 .

(6) - عبد الهادي الفكيكي ، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر ، دار معد ، دمشق - سوريا ، 1996م ، ص 4 .

(7) - ضياء الدين الموصلي ، المثل السائر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية - بيروت ، 1995م ، ج 1 ، ص 137 .

(8) - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 385 .

بأنه ( تضمين الشاعر شعره والناثر نثره كلاً ما آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود )<sup>(1)</sup> وقد ذكرت سابقاً أن بعض البلاغيين لم يفرق بين الاقتباس والتضمين ، وذلك عائد إلى التشابه الحاصل في المعنى ، وعلى هذا نجد من قال ( إن الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمّن ، أما الناثر فهو الذي يقتبس كالمُنثي والخطيب)<sup>(2)</sup> وكأن التفريق بين الاقتباس والتضمين قائم على أساس تقسيم الكلام إلى شعرونث، لا على أساس النص المقتبس ، ولكن الذي عليه أغلب البلاغيين أن الاقتباس ما ذكرناه سابقاً من تضمين الكلام نصوصاً من القرآن أو الحديث ، أما التضمين فما كان من غيرهما من سائر قول البشر .

وقد انضوت تحت مصطلح التضمين مصطلحات أخرى ، كالإيداع والاستعانة ، إذ لا فارق كبير بين هذه المصطلحات ، ( فعرفَ الإيداع بأنه أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له - فلا فرق واضح بين هذا التعريف وتعريف التضمين المذكور آنفاً - ، والأمر كذلك بين التضمين والإيداع ، وربما تطابقا عند بعض البلاغيين ومعهما الاستعانة أيضاً حتى قيل : وربما سمي تضمينا لبيت فما زاد استعانة ، وتضمين ، المصارع فما دونه إيداعاً )<sup>(3)</sup> ، وحتى هذا المعنى لا يتوافق مع ما ورد من أمثلة الإيداع في كتب البلاغة ، إذ ضمّن بعضهم شعره بيتاً أو أكثر وسمّاه البلاغيون إيداعاً ، ( ومن ذلك قول جمال الدين بن نباتة :

أتاني علي البانياسي منشداً فيا لك من شعر ثقيل مطوّل  
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطّه السيل من عل

إذ سمّاه صاحب الخازنة إيداعاً )<sup>(4)</sup> وعلى هذا الأساس يكون مصطلح التضمين أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى ، ويعني إيراده عن بقية المصطلحات ، والإطلاع على النماذج الشعرية التي أطلق عليها البلاغيون مصطلح الإيداع يدل على أن التضمين لا يختلف عن الإيداع إلا في أمر رئيسي واحد ، وهو أن التضمين شمل الشعر والنثر ، أما الإيداع فقد اقتصر على الشعر فحسب ، وتكمن أهمية هذا الاختلاف في أن مادة هذا البحث هي نصوص شعرية وتأسيساً على ذلك كلّه فإن الأمثلة الواردة في كتب البلاغة على أنها إيداع أو استعانة يمكن النظر إليها على أنها أمثلة للتضمين ما دامت نافعة للغرض الرئيسي من هذا البحث ، ولا سيّما إذا تذكرنا أن علماء البلاغة قد أفاضوا في التدقيق وإعطاء كل معنى مصطلحاً خاصاً به حتى وإن تقاربت معاني تلك المصطلحات بصورة كبيرة ، هذا فضلاً عن أن المصطلحات البلاغية مرت بمارحل لم تكن قد استقرت بصورة نهائية ، ومن هنا نجد التباين - وإن كان يسيراً - بين المعاني التي أعطاها البلاغيون لتلك المصطلحات .

وختاماً :

(1) - الموصلي ، المثل السائر ، ج 2 ، ص 326 .

(2) - المرجع نفسه ، ص 459 .

(3) - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 380-381 .

(4) - الحموي ، خزنة الأدب ، ج 2 ، ص 311 .

يمكن اعتبار هذا البحث مشروعاً يدعو إلى النظرة الشمولية في قراءته التراث ، مع التحذير من مشكلة التبعية للنقد الغربي. والتنبيه إلى ضرورة تجاوز الجدل القائم بين الاتجاهين التقليدي والحداثي . ولا ندعي بذلك أو نسلم بكمال المكتسبات التراثية إلا أننا نرفض استبدالها بشكل كامل وضرب وجودها وأسبقيتها .

فمما سبق في هذه القراءة الموجزة يتأكد لدينا أنّ الجاحظ كان بحق المؤسس الفعلي للبلاغة العربية ( رفقة مجموعة من البلاغيين – ورد ذكر بعض منهم ) ، وذلك من خلال ما جمع من آراء وملاحظات وشواهد تضمّنتها أفكاره ، محاولاً الإلمام بمفاهيمها تأصيلاً وتقعيداً ، فوضع حدوداً للبيان والبدیع ولم يحصر علوم البلاغة في هذين الشقّين بل عالج كثيراً المسائل في علم المعاني واللفظ والكلام والخطاب مما يعدّ مضمّاراً خصباً للبلاغة الجديدة القائمة على الحجاج ومراعاة المقال للمقام .

كما يمكن القول أنّ البلاغة لا تخرج عن دائرة العلوم الأخرى ، وتقع تحت طائلة مبدأ الأخذ من منطلقات السابقين ، إذ من حقّ اللاحق أن يعمل على تطوير الفكرة السابقة ويشير إلى ما فيها من خطأ أو خلل أو نقص مع إظهار مكان حسنها فترقى إلى صورة ونتيجة أحسن ، ومن الطبيعي بل من الواجب أحياناً أن يستفيد اللاحق من السابق ، ولولا أخذ العلوم بهذا المبدأ لما تطوّرت وما وصلت إلى درجة الرقي والابتكار الذي نشهده اليوم .



الملخص:

د/أسيا جريوي

محور المداخلة : ...تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : .....نظرية البلاغة في الدراسات العربية بين التراث والمعاصرة

الملخص :

إن الحديث عن البلاغة العربية يقودنا إلى الغوص في التراث العربي القديم وتتبع المسار التاريخي لبداية الاهتمام بهذا العلم من طرف العلماء العرب والدارسين القدامى ، وما عوامل ظهور هذا العلم هو اهتمام العرب بالقرآن الكريم محاولين تفسيره والبحث عن معانيه والكشف عن الاعجاز القرآني ، فكان للبلاغة دورا كبيرا في ابراز قوة البيان وجزالة اللفظ، هذا لأن القرآن الكريم أمهر العرب وأعجزهم بفصاحته وبلاغته ، ولعل التأثير البلاغي القرآني كان جليا لدى العرب حيث كان للخطاب القرآني التأثير القوي على العرب والبشرية فأدى إلى التغيير من الظلمات إلى النور ومن عبادة الأصنام إلى التوحيد.

وعلى هذا الأساس نطرح الاشكالية الآتية :

-ما مفهوم البلاغة العربية بين القدامى والمحدثين؟

-ماهي عوامل تأسيس نظرية البلاغة ؟

-كيف يتجلى التأثير البلاغي في تلقي الخطاب القرآني؟

## نظرية البلاغة في الدراسات العربية بين التراث والمعاصرة

د/آسيا جريوي

تمهيد:

تعد البلاغة العربية من العلوم المعرفية في التراث العربي، مثل علم الأصوات وعلم النحو والفقه... وغيره، ارتبط بالجانب الديني.. فالبلاغة تهتم بنظم الكلم وبراعة ابداعه تستلم وجود ثلاثة أركان في العملية التواصلية ( المتكلم (المخاطب)، والمخاطب، و المتلقي (المخاطب له) ) ويبرز التأثير البلاغي لدى المتلقي من خلال الاستماع أو القراءة للنص، ويحدث بعد ذلك الانفعال من طرف المتلقي ويكون رد فعل بالاعجاب أو النفور وهذا الأمر يعود إلى مدى جودة الخطاب أو رداثته، وهنا يأتي دور البلاغة لدى المتكلم أو المنتج للنص لجعل النص أكثر جمالية وتأثير لدى المتلقي وعلى هذا الأساس نقف على مفهوم البلاغة العربية في الدراسات القديمة والحديثة كالآتي:

1- مفهوم البلاغة العربية بين القدامى والمحدثين:

1-1- البلاغة العربية بحث في الجذور:

لقد نظر المفكرين إلى البلاغة العربية من زوايا مختلفة، فكل منظوره تصور معين في تحديد مفهوم البلاغة العربية وعليه نقف على أهم المفكرين كالآتي:

يرد مفهوم البلاغة عند (أبو هلال العسكري) نحو قوله: ((وقد علمنا أن الانسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حُسن التأليف وبراعة التركيب)) (1).

وقد عرف (المبرد) البلاغة بأنها: ((إحاطة القول بالمعنى. واختيار الكلام. وحُسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها. وأن يقرب بها البعيد. ويُحذف منها الفضول)) (2).

وينظر (الجاحظ) للبلاغة إلى من خلال عنصري: (اللفظة والجملة)، وهو حديث المعنى، والشكل، والصورة فيعني به أن المعنى واحد، ولكن طريقة عرضه تتعدد وتختلف، أما عن وصفه نفسه لتوجهه قال في كتابه البيان والتبيين: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك". فالمعاني عنده فسيحة وواسعة إنما الألفاظ عكس كذلك، فيقول: "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ، أن الخطب الرائعة، والأشعار الرائقة، ما عملت لإفهام المعاني فقط لأن الرديء، من اللفظ، يقوم مقام الجيد منها في الأفهام" (3).

ويعتبر كتاب البيان والتبيين للجاحظ كتابا في البلاغة العربية لما يحتويه من عناصر جوهرية في البيان والبديع وغيره، يقول عنه العسكري: (إن أنواع البيان والبلاغة مبنوثة في تضاعيفه ومنتشرة، لا توجد إلا بالتأمل) (4).

تطرقت الجاحظ في كتابه لمفاهيم البلاغة عند الفرس والروم والهنديين والعلماء العرب، وارتبط مفهومه بالديمها بالفصاحة والمطابفة، أي مطابفة الكلام لمتضباتها المعنوية حتى يوحس نسبيته بوجوده رصفه، مع إعطاء كلمته مقامه ومراعاة أحوال السامعين بمراعاة الخصوصيات واللطائف والأسرار من بسط وإيجاز أو حذف وتكرار. وعبر الجاحظ عند ذلك حين قال: (( لا يكون الكلام مستحقاً للبلاغة حتى يسبق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه بالسمع كما سبق معناه إلى القلب )) (5).

فالخطاب البليغ له أثر على نفوس السامعين مثل خطب الحرب والسياسة والدين وغيرها. التي تحرك المستمع وتمزج فيه كيانه ، ولكل خطاب أسلوبه وموضوعه ومقامه كما للمتكم أو الخطيب طريقته في الأداء وفي التأثير. مثلاً: خطبة (الوداع) للرسول صلى الله عليه وسلم ، بما امتازت به من بلاغة راقية في السبك من جهة وقيم دينية وأخلاقية وأهداف من جهة أخرى.

2- البلاغة عند المحدثين :

يرى المعاصرون في تراثنا البلاغي أن العناية فيه مركزة على الجملة الخبرية والجملة الانشائية دون العناية بالنص الأدبي كاملاً، أي دون أن يعنوا بالشمول والإحاطة في دراسة النص الأدبي، ويعللون ذلك بأن الشعراء والنقاد القدامى لم يعرفوا الوحدة العضوية والفنية ، إذ كان البيت وحدة القصيدة ، كما عللوه بأن البلاغة نشأت في أحضان الدراسات التي تدور حول إعجاز القرآن الكريم، وكانت تلك الدراسات تتناول الجمل القرآنية وهذا الذي نبه إليه ابن طباطبا ، فقال : (ينبغي أن يُنظر إلى النص كُله كأنه فكرةٌ واحدةٌ وصورةٌ فنيةٌ كاملةٌ ) (6).

وهذا افتتات على البلاغة التي أدت دورها كاملاً غير منقوص في خدمة القرآن الكريم وحراسته، على أن البلاغة لم تهمل الفهم الكلي للنصوص ، فكتب التفسير حافلةً بالربط بين الآيات ، بل بين السور تستعين بنص على فهم نص حتى أنها تنظر إلى الكلمة في جملتها ، والجملة في آيتها، والآية في ضوء سابقها ولاحقها وسياقها، وسبب نزولها ومعناها وموضوعها، حتى كأن القرآن كله سورة واحدة (7) .

وهذا الجانب الديني كان هدفاً من أهداف البلاغة العربية لدى العلماء القدامى ، غير أن الدراسات الحديثة نظرت إلى قضية الحجاج ودور المتكلم والمتلقي من خلال الاقتناع والاقتناع.

ويرى (حمادي صمود) في ذلك أن البلاغة العربية انحسرت في قسم واحد من أقسام بناء المرافعة وهو قسم العبارة ، حيث اهتم البلاغيون بالمجاز وصور البيان والشكل الظاهري الممتع في الظاهرة البلاغية وعلى هذا الأساس أجرت بعض الدراسات مصطلح الخطابة على ما هو قسم من أقسامها. من خلال الدافع الديني (البحث في سر إعجاز القرآن الكريم) الذي يعد الدافع الأساس لقيام البلاغة العربية وسائر العلوم اللغوية، فالخطابة ترسم معالم الإقناع بينما البلاغة تنشداً للإمتاع والإطراب ويعزز (حمادي صمود) ذلك إلى أن بلاغة العرب تجلّت في شعرهم فهو ديوانهم وموطن تنافسهم وتفاضلهم (8).

### 3- تأسيس نظرية البلاغة العربية:

عرفت علم البلاغة في تأسيسه تطوراً حيث (مر بمراحل أثناء عبر الأزمان ، فكانت أولها مرحلة النشأة بمصاحبة العلوم الأخرى بجانبه ، ثم مرحلة تكامله مع هذه العلوم ، وحتى الوصول إلى المرحلة الأخيرة التي تفرّد فيها علم البلاغة مع استقراره عن العلوم الأخرى ، وعند العودة إلى نشأة هذا العلم يجب التّركيز على أنّ علم البلاغة لم يملك وجوداً واضحاً بين العلوم الأخرى ، إنّما كان على هيئة أفكار، وملاحظات ضمن المؤلفات التي وجدت حينها ، ومن الجدير بالذكر أنّ نشأة البلاغة في المشرق تفوّق على نشأته في المغرب-بحسب ما ذكر في كتاب (العبر) لابن خلدون – كما أورد معللاً ذلك " أنّ من توافر في بلادهم العُمران، كانوا للعلوم اللّسانية والصّانع الكمالية أقوم وأكثر قدرة ، وكان أهل المشرق حينها أكثر عمراناً من المغرب " (9).

ولقد ارتبط علم البلاغة في بداياته بالشعر حيث كان النقاد العرب القدامى يهتمون بالفصاحة وبجودة الشعر في العصر الجاهلي ، ولعل من أسس علم البلاغة : (10)

1-(الذوق الفطري): وهو المرجع الأول في الحكم على الفنون الأدبية .

2-(البصيرة النفاذة): وهي القدرة على الموازنة والمفاضلة لبناء أحكام يطمئن العقل إلى جدارتها .

ولعل من أهداف البلاغة ، نذكر: (11)

-هدف ديني: ويركز على تفسير وتذوق بلاغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

-هدف أدبي:ويتمثل ذلك في تأليف الشعر والنثر والقدرة على بناء الأدب .

-هدف نقدي : ويعرف بالهدف البلاغي وهو عبارة عن القدرة على معرفة كلام العرب سواء كان صالحا أو طالحا.بمعنى جيدا أو سيئا .

ويُعد أول ما ألف ودون في علوم البلاغة ، كان كتاب (مجاز القرآن)لأبي عبيدة تلميذ الخليل بن أحمد الفراهدي ، وقد عُني هذا الكتاب بدراسة علم البيان وتفصيله، أما علم المعاني فكان فيه شهرة للجاحظالذي ألف كتاب (إعجاز القرآن)؛ وتطرق للمعاني في معظم كتبه الأخرى ،أما علم البديع فكان ابن المعتز صاحب هذا العلم ولا يُنازعه فيه أحد من خلال كتابه ( البديع في البديع) ، وتم تتويج هذه المجهودات مع عالم البلاغة عبد القاهرالجزجاني ، بعد تأليفه كتاب (دلائل الاعجاز) في المعاني ، وألف كتابه (أسرار البلاغة). ليكتمل العقد بالجوهره الوسطى (مفتاح العلوم) للعلامة السكاكي (12).

وبفضل جهود العلماء القدامى تم تأسيسنظرية البلاغة بأقسامها: (علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع) ولكل علم يحتوي على عناصر في التحليل والدراسة ولقد كان هذا التأسيس والارث القديم بداية لميلاد البلاغة الجديدة أو ماتعرف الآن بالأسلوبية في الدراسات الحديثة والمعاصرة .

تلقي الخطاب القرآني والتأثير البلاغي :

يتميز الخطاب القرآني بأنه أفصح وأبلغ كلام نزل على سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، (فهومن أعظم الخطاباتعلوجها للأرض، يتميزباتساقألفاظهااتساقا محكماينزهةعنأيلغوأوخطأ، ويتفردبقديسية خاصة فقد استخدمالله عزوجل- الخطابفيآياتالقرآنالكريم، والمتأملفيجدبلاغةالخالقعزوجل) (13)، عجزت قريش أمام فصاحته وقوة بيانه.

وفي الحديث عن التأثير البلاغي في الخطاب القرآني ومدى وقَع ذلك على نفسية المتلقي واقتناعه من خلال الاستماع إلى السور والآيات الكريمة من القرآن الكريم أو قراءته وكذا قوة الحجج في الخطاب القرآني التي أعجزت العرب وأبهرتهم . أمام فصاحة وقوة البيان في لغة القرآن الكريم . (وبما أن اللغوي يكفي في عمله تصوّر المفهوم، وحتى لا تتلاشى كينونة النص في حدود التركيبة النحوية والنفسية للغتها ( كينونة النص)، فلا بدّ من ربط التأويل بالإمكانات التي يُوفرها المجال الاستقبالي للسانِ ما، وهذا الرّبط هو ما يُؤدّي إلى التأويل والطّريق التي بها التي بها

يمكن القبض على المعنى وتحصيله باللفظ المعبر (...)، وهذا ما يُهيء استقبالية هذا المعنى الذي يتأسس وجودا عندما تتعين ألفاظه في السياق اللساني لخطاب ما (14)

ولقد اهتم البلاغيون والعلماء في تفسير القرآن الكريم كما قاموا بدراسات حوله مثل الزمخشري في كتابه ( تفسير الكشّاف) والجاحظ في كتابة (إعجاز القرآن) وغيرهم من الذين اهتموا بالقرآن الكريم من زوايا مختلفة في بحوثهم ومؤلفاتهم .

والخطاب القرآني له ثلاث زوايا (المرسل /المخاطب ، والخطاب / النص، والمرسل إليه / المخاطب له)، وفي التوجيه القرآني ( نجد المفسرين والأصوليين تناولوا أوجه الخطاب القرآني بكلّ دقّة، فعلى سبيل المثال : يقسم السيوطي وجوه مخاطبات الخطاب القرآني على ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي (صلى)، وقسم لا يصلح إلا لغيره ، وقسم يصلح لهما ، وهناك من وسّع في الموضوع كابن الجوزي في كتابه (النفيس) وجعل الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها ، وذهب آخرون إلى جعله أكثر من ثلاثين وجها ، ومن المحدثين ، نجد طه جابر العلواني في كتابه (النص القرآني من الجملة إلى العالم) يميّز نوعين رئيسيين من المتلقين : الأول هو المتلقي الأول وهو الرسول (صلى) والثاني هو المتلقي الثاني أو المخاطبين ( 15) ، بمعنى أي انسان يستمع أويقرأ القرآن الكريم هو المتلقي الثاني له .

إن هذا التوسّع في التعامل مع المتلقي ، وجعل الخطاب يشمل الكلّ (كل متلقى يتلقى القرآن) له أهميته الدلالية ، والجمالية ، والفكرية العميقة للبناء النص القرآني ، لأنه كلما كان مقام المتلقي شفافا ، وكلما كان ذكره في الحكاية صامتا ، كان تماهي كل قارئ حقيقي مع ذلك المقام الضمني أو حلوله محلّه أكثر سهولة على الأرجح ، وهذا السبب من الأسباب التي جعلت الخطاب القرآني قادرا على أن يخاطب كلّ واحد، وأن يحسب كل واحد نفسه المُخاطب له والمقصود بالخطاب (16).

ومن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَمْحَسِبْتُنَّا أَنْصَحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا يَاتِنَاعَجَبًا ﴾ [ سورة الكهف: الآية 9]

وفي تفسير ابن كثير نجاه يقول: هذا إخبار عن قصة أصحاب الكهف [ والرقيم ] على سبيل الإجمال والاختصار ، ثم بسطها بعد ذلك فقال : ( أم حسبت ) يعني : يا محمد ( أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا ) ؛ أي : ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا ، فإن خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر

والكواكب ، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى ، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف [والرقيم] (17)

وإن في قوله تعالى: (أم حسبت) وهي صيغة التوجه الله تعالى بخطابه إلى المتلقي وهو خطاب لسيد المخاطبين (الرسول محمد صلى) والمقصود غيره كما ذهب إليه غير واحد.

وأن هناك ما هو أكثر عجائبية من سرد قصة أهل الكهف.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: الآية 10)

و يرد توضيح الآية الكريمة في تفسير الميسر ؛ بمعنى : اذكر -أيها الرسول-

حينلجأ الشبان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية منفتنة قومهم لهم، وإرغامهم لعلعبادة الأصنام، فقالوا:

ربنا أعطنا من عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر، ويسر لنا الطريق للصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي نتحب، فنكون نراشد  
ينغيرضالين (18).

وأما في التأثير البلاغي نجد أن جمالية السبك في اللغة والتركيب تشد انتباه المتلقي لوجود خبر لو اقعة وقصة ستسرد له. مع الإيجاز والاختصار وقوة البيان والفصاحة. وبفواصله التي تجعل للنص إيقاعا داخليا معجزا ، والقرآن الكريم هو اعجاز بكل سوره وآياته . حافل بالقصص والعبر وحجج لا قناع السامع واعجازه . كما يحمل كثير من القيم والمعاني والدلالات المتضمنة فهو منهج البشرية في الحياة.

ويتجلى التأثير البلاغي من خلال استخدام الصيغ التركيبية المختلفة في القرآن الكريم والأساليب التعبيرية (علم المعاني والبيان والبديع) ، مثل استخدام : الأمر والنهي والنداء والاستفهام والجمل الانشائية والتصاد والمفارقة والكناية والمجاز...إلخ.

خاتمة:

عرفت البلاغة العربية تطورا في مراحلها وكان للقرآن الكريم دورا بارزا في تجلي علوم معرفية مختلفة في التراث العربي القديم ، وكما كان للدراسات الحديثة نصيبا في الاهتمام بعلم البلاغة متاثرين بالدراسات الغربية حول نظرية

الحجاج وكذا مفاهيم الأسلوبية ، ولقد كان لتلقي الخطاب القرآني تأثيراً قوياً لما يحمله من أساليب لغوية تعبيرية وبلاغية جمالية .

### الهوامش:

- 1- عبد الله ابن أحمد العطاس ، دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج15، ع26، صفر1424هـ ، ص 781.
- 2- المرجع نفسه، ص ن.
- 3- ينظر: سهير الهواوشة ، تعريف البلاغة عند الجاحظ، من الموقع: <https://mawdoo3.com> 2022/4/2
- 4- ينظر: أحمد ملياني ، مصطلحات البلاغة للجاحظ . قراءة في كتاب البيان والتبيين، مجلة موازين ، المجلد3، ع1 ، ذو القعدة 1442هـ / جوان 2021م، ص50.
- 5- المرجع نفسه، ص 52.
- 6- عبد الله ابن أحمد العطاس ، دراسة البلاغة العربية في ضوء النص الأدبي للناطقين بغير العربية ، ص 782.
- 7- المرجع نفسه ، ص ن.
- 8- ينظر: رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة(حمادي صمود ومحمد العمري نموذجاً) ، مجلة التعليمية ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس ، الجزائر، المجلد4، العدد9، جانفي 2017، ص 07.
- 9- ينظر، آيات سعيد نواورة ، ماهو علم البلاغة ؟ ، من الموقع : <https://mawdoo3.com> 2022/04/06
- 10- ايمان سامي ، نشأة علم البلاغة ، من الموقع: <https://www.almrsl.com> 06//04/2022
- 11- المرجع نفسه ، الموقع نفسه.
- 12- ينظر: مليكة فكون، بلاغة وحجاج (أقسام البلاغة) من الموقع: <https://bilarabiya.net/06/04/2022>
- 13- صابرين صبيحي ، مفهوم الخطاب القرآني ، من الموقع: <https://wikiarab.com/2022/04/06/>
- 14- محمد هرام ، بلاغة الخطاب القرآني وفعل التأويل عند الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف ، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية ، المجلد 03، العدد09، مارس 2019، ص68، <https://www.asjp.cerist.dz/>
- 15- يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا، ط1، 2010، ص 359.
- 16- المرجع نفسه، ص360.
- 17- أمحسبتاً أن أصحاب الكهف الرقيم كانوا من آياتنا عجباً - القرآن الكريم، من الموقع:

<https://surahquran.com/2022/04/07/>

18- تفسير الآية رقم (10) - منسورة الكهف - القرآن الكريم، من الموقع: <https://equran.me/07/04/2022>



الاسم واللقب: خديجة كلاتمة

الصفة: أستاذ محاضر قسم أ

مؤسسة الانتماء: جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي

الهاتف والبريد الإلكتروني: 0698886172/

Khadijakelatma@gmail.com

محور المداخلة: المحور الأول بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

عنوان المداخلة: الاستعارة بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة

- دراسة في المفهوم وآليات التحليل -

## الملخص

ترتبط الاستعارة في البلاغة العربية بالخيال الشعري والزخرف البلاغي وبالاستعمالات اللغوية غير العادية، وهذا ما أكدته بحوث العلماء العرب القدامى وهي تحلل الأقاويل الشعرية العربية عبر مختلف العصور، كما كشفت بحوثهم حجية وقوة هذه الاستعارة لبلوغ المعنى وتحقيق الأغراض. ويكاد الناظر في المباحث البلاغية القديمة التي عنت بتحليل الأساليب البيانية يلاحظ التقارب في تناول موضوع الاستعارة وآليات تحليلها من حيث المبني والمعنى، ومن حيث حجيتها وقوتها في تحقيق الأغراض الشعرية والخطابية. إلا أننا نجد تحليلاً مختلفاً وخصوصاً للاستعارة مع ظهور تيار غربي جديد اطلق على نفسه صفة البلاغة الجديدة فصار للاستعارة مفهوماً جديداً ومجالاً آخر لاشتغالها وهو كما ذهب "جورج لايكوف" و"مارك جونسن" أنها حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية وتوجد في التفكير وفي الأعمال التي نقوم بها، ونموذجها في هذا ما قدمه علماء النفس التربوي خاصة منهم "جان بياجيه" حيث انتهى إلى أن اكتساب الطفل للغة ينطلق من سلسلة من عمليات استعارية تفرضه عليه معرفته المحدودة؛ وإدراكه للموجودات هو الذي يدفعه إلى بناء علاقات بين الأسماء الحاصلة في رصيده اللغوي.

## تمهيد:

من العلاقات التي تجمع الألفاظ والمعاني والموجودات التي بحث فيها علماءنا البلاغيون القدامى العلاقة الاستعارية فحاجة اللغة الدائمة إلى التوسع والتجديد فرضت على مستعملي اللغة هذا النمط من التركيب بين اللفظ والعقل والأشياء؛ فنتج عن ذلك انساق خطابية متنوعة من بينها "الاستعارة"؛ حيث «تحيد الألفاظ عن معناها الأصلي إلى معانٍ استعارية جديدة تصبح ملتصقة بها، بل تصبح في الغالب معاً، حقيقية»<sup>1</sup>، واشتغال علمائنا على هذا النسق الخطابي كان مزدوجاً؛ حيث عمل هؤلاء على تناوله من جانبين لا أقول متضادين وإنما متقابلين هما التخيل والإقناع، فكلاهما جعل من "الاستعارة" تقنية إما جمالية إمتاعية تهزّ النفوس وتطرب لها، وإما خطابية حجاجية إقناعية تستميل جمهور المتلقين فتؤثر فيها لتحقيق أغراض شتى.

ولقد أخذ مفهوم الاستعارة في البلاغة العربية القديمة توجهها عقليا خاصة مع "الجرجاني" و"السكاكي" و"حازم القرطاجني"؛ حيث أظهر تحليلهم لنماذج القول التي تنتهي إلى هذا النسق الاستعاري البنية المنطقية والاستدلالية التي تخضع لها الاستعارة وهذا ما نراه جليا في مفهوم "عبد القاهر الجرجاني" لها.

## 1. الاستعارة في البلاغة العربية القديمة (المفهوم وآليات التحليل)

### 1.1 الاستعارة عند الجرجاني :

في معرض حديثه عن الاستعارة يرى بأنها « ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان»<sup>2</sup>، ولقد جعل الجرجاني الاستعارة ضربا من التشبيه :لأنها وضعت من أجل التشبيه، وهو كالغرض فيها، أو كالعلة والسبب في فعلها<sup>3</sup>؛ بمعنى أن الهدف منها هو الوصول إلى درجة من درجات المبالغة في التشبيه قصد التأثير، ويعني ذلك أن البنية الاستدلالية للاستعارة مركبة من طرفين هما المشبه والمشبه به، أو المقيس والمقيس عليه، والفرق بينهما يكمن في درجات الاهتمام بإظهار أو إضمار عناصر هذه البنية، وقوله ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، فقد خصّها بالتشبيه من حيث البناء اللفظي، أما التمثيل فمن حيث بناؤها العقلي إذ التمثيل يهتم بدرجات التصوير التي تتم على مستوى الإدراك والذهن.

وقد قابل التشبيه بالقياس وجعل من البنية التركيبية للاستعارة بنية قياسية استدلالية تتكون من مقيس ومقيس عليه تجمعهما علة مشتركة وهي وجه الشبه، وقد تبني "طه عبد الرحمن" هذا الطرح حديثا لما اعتبر القياس « البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي حقيقة كان أو مجازا، فإما أنه استعاري أو غير استعاري، فإن كان استعاريا فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية التي تتقوم بها الاستعارة، وإن كان الثاني فمرده إلى (دلالة المفهوم) المعتبر في القياس»<sup>4</sup> وللإستعارة عند الجرجاني ضروب ومراتب تتفاوت حجيتها ومدى إقناعها حسب درجات القرب والبعد بين طرفي التشبيه :

- الضرب الأول: الاستعارة القريبة من الحقيقة (المرتبة الأدنى للاستعارة) ك «استعارة الطيران لغير ذي الجناح، إذا أردت السرعة، وانقضاض الكواكب للفرس إذا أسرع في حركته من علوّ، والسباحة له إذا عدا عدواً كان حاله فيه شبيها بحال السابح في الماء. ومعلوم أن الطيران والانقضاض والسباحة كلها من جنس واحد من حيث الحركة على الإطلاق»<sup>5</sup>
- الضرب الثاني :

في هذا الضرب من الاستعارة تتحدد العلاقة بين طرفي التشبيه من خلال القرب والبعد ويرى "عبد القاهر الجرجاني" أن هذا الضرب يشبه الذي مضى، وإن لم يكن يطابقه؛ وذلك «أن يكون الشبه مأخوذا من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار منه على الحقيقة. وذلك قولك رأيت شمسا، تريد إنسانا يتهلل وجهه كالشمس»<sup>6</sup>

### - الضرب الثالث:

وهو الصميم الخالص من الاستعارة وحده «أن يكون الشبه مأخوذا من الصور العقلية، وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق»<sup>7</sup>.

### 2.1 الاستعارة عند السكاكي:

في قسم علم البيان وما يندرج تحته من مباحث أثار السكاكي مسألة مهمة « وهذا أوان أن نثني عنان القلم إلى تحقيق ما عسك تنتظر منذ افتتحنا الكلام في هذه التكلمة أن نحققه، أو علّ صبرك قد عيل له، وهو: أن صاحب التشبيه، أو الكناية أو الاستعارة، كيف يسلك في شأن

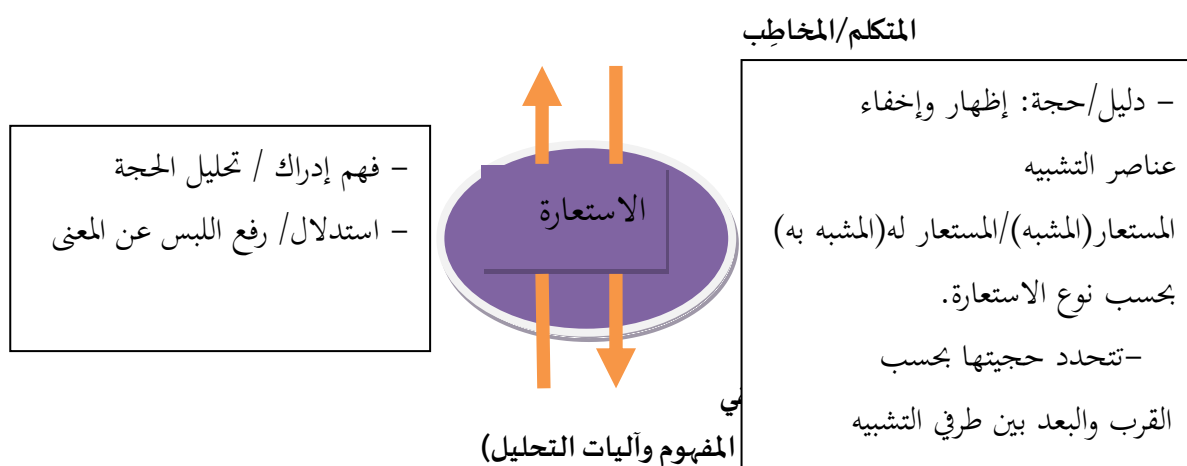
متوخاه مسلك صاحب الاستدلال،... إلى ضروب أربعة بل إلى اثنين محصولهما إذا أنت وقّيت النظر إلى المطلوب حقه، إلزام شيء يستلزم شيئا، فيتوصل بذلك إلى الإثبات، أو يعاند شيئا فيتوصل بذلك إلى النفي»<sup>8</sup>.

يكشف لنا نص "السكاكي" توجهه العقلي والحجاجي في طرح مسائل البلاغة العربية ومعالجتها، وهو يجعل من الاستعارة والتشبيه والكناية دليلا حجاجيا يتوصل به إلى تحقيق المطلوب، وقد كشف كذلك عن بعض المصطلحات التي تربط بين علم البلاغة بالمنطق والاستدلال وهي النظر، والمطلوب، واللزوم، الإثبات، والنفي وهي مصطلحات نجدها تدخل في مفهوم الاستدلال والمنطق لتضمينهما معنى القول، والطلب، والانتقال، واللزوم.

ويرى "السكاكي" أنه إذا كان حاصل الاستدلال إنما هو اقتضاء صفة لازمة في شيء لشيء آخر كقول القائل: (خدها وردة)، فهو يلزم الخد ما يعرفه يستلزم الحمرة الصافية، فيتوصل بذلك إلى وصف الخد بها، أو كالاستعارة في قول القائل: في الحمام أسد، تريد أن تبرز من هو في الحمام في معرض من سداه ولحمته شدة البطش، وجراءة المقدم مع كمال الهيئة، ويكشف في النهاية عن طرق الاستدلال فأحدها يتم عن طريق التصريح فيتمم الدلالة، وأخرى طريق الكناية.<sup>9</sup>

ومهذا يمكننا ان نلخص ماجاء في مفهوم وتحليل الاستعارة عند الجرجاني والسكاكي فيما يأتي:

- الاستعارة ذات بنية لغوية وعقلية قياسية.
  - ارتباط الاستعارة بالقياس والاستدلال جعلها دليلا لغويا حجاجيا .
  - اعتبارها دليلا حجاجيا جعلها خطابا موجها للفهم والإدراك وليس للأسماع والأذان.
- وبالتالي فإن تحليل مثل هذا النسق الخطابي يستدعي استحضار مجموعة عناصر لغوية وغير لغوية يلخصها الشكل الآتي:



مصطلح البلاغة الجديدة في العصر الحديث يعني بعث لبلاغة أرسطو من جديد في مصنفات المحدثين من الغربيين أمثال: بيرلمان وتيتكاه<sup>10</sup>: لتكون البلاغة قائمة على العقل والعاطفة معا؛ وتتفق البلاغة الغربية والبلاغة العربية القديمة على مدى فترة تطورهما الزمني أن كليهما وضعتا لتحقيق وظائف منها الإقناع والإمتاع.<sup>11</sup> وقد أخذت البلاغة الغربية في المرحلة الحديثة تسير في توجيهين يختلفان عما سبق، الأول هو

المنحى الجدلي المستند إلى مبادئ التحليل الرياضي وتكون نتائجه مقنعة للمتلقي، والمنحى الثاني ربط البلاغة بالأسلوب فزاد الاهتمام بالبحث عن جماليات الصورة والأساليب المجازية. هذه المنطلقات المختلفة وسمت البلاغة الغربية بسمات مختلفة، فكان عقلية في مرحلة، وجمالية احتمالية ذاتية، وقولية واستدلالية منطقية، في مراحل أخرى وهذا التعدد يعط توجهها حقيقيا للبلاغة الغربية الجديدة<sup>12</sup>.

كما أدى هذا الاختلاف إلى عدم الاتفاق في ترجمة المصطلح فدارسون ذهبوا إلى ترجمة المصطلح بالبلاغة، ومنهم ترجمه بالخطابة، ومنهم من دمج بينهما (البلاغة والخطابة)، ومنهم من أضاف كلمة جديدة للبلاغة.<sup>13</sup> ومن النظريات التي تعنى بها البلاغة الجديدة نظرية الحجاج اللغوي.

#### 1.2 نظرية الحجاج اللغوي:

من ضمن النظريات الدلالية الحديثة تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وتقتصر مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية، وتتجاوز مجموعة من المشاكل المنطقية الكلاسيكية. كما تركز على الوظيفة الأساسية للغة وهي الوظيفة الحجاجية، وتنطلق هذه النظرية من تصورات أزلود ديكر، كما بينها بشكل واضح في نظريته الحجاجية سنة 1973 م، وهي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، وتسعى لرصد تأثيرها التداولي على المتلقي<sup>14</sup>.

#### 2.2 الاستعارة الحجاجية:

تتميز الاستعارة الحجاجية برغبة المتكلم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرا أو إقناعا، وهي من أهم الوسائل اللغوية التي تعتمد عليها النظريات الحجاجية الحديثة في تحليلها للخطاب، وباعتبارها آلية لغوية فقد ينطبق عليها تحليل القدامى للاستعارة بمفهومها القديم فتصبح حجة في الخطاب التداولي، واستعمالها من قبل المحاجج المتكلم يكون لغاية مقصودة لأجل التأثير في المتلقي ويفترض "طه عبد الرحمن" عدة فرضيات لبناء النظرية التعارضية للاستعارة في الحجاج<sup>15</sup>:

- أن القول الاستعاري قول حوارى، وحواريته صفة ذاتية له
- أن القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي.
- القول الاستعاري قول عملي، يلزم كلاً من الظاهر البياني والتخييلي.

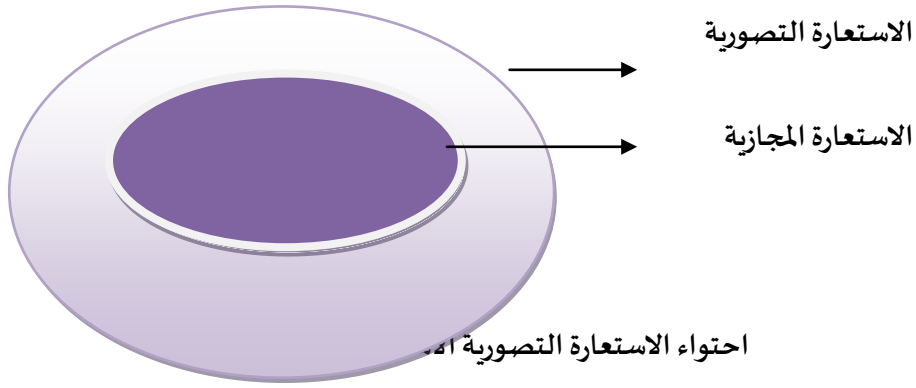
كثيرا ما يعتمد المحاجج لاعتماد الاستعارة بدل الالفاظ الحقيقية، لإدراكه القوة الحجاجية التي تمتلكها الاستعارة، فالقوة الحجاجية تكون في المفردات التي تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما هو في المفردة في معناها الحقيقي<sup>16</sup>، وهذا ما جعل القوة الحجاجية للاستعارة ترتبط بالسلم الحجاجي الذي يعد احد اهمد عامت النظرية الحجاجية، فمثلا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾<sup>17</sup> ففي قوله تعالى: (اشترؤا الحياة الدنيا بالآخرة) قوة حجاجية في كلمة اشترؤا إذ استعار هذه الصفة لبيّن أن الذين كفروا كمن باع إيمانه ثمنا لخلوده في هذه الدنيا وملذاتها وابتعادا من الله وتعاليم دينه، فهي تقابل في المعنى (أولئك الذين تخلؤا إيمانهم وعبادتهم لله ثمنا لبقائهم وخلودهم في الدنيا)، فإذا مثلنا لهذا القول الاستعاري بالسلم الحجاجي سيكون كالآتي:

- القول الاستعاري - أولئك الذين اشترؤوا الحياة الدنيا بالآخرة

- القول الحقيقي - تخلوا عن عبادة الله وزهدوا فيها مقابل  
ملذات الدنيا وما فيها

كما أن هناك مجالا حجاجيا آخر تشتغل وفقه الاستعارة يكسبها بعدا حجاجيا آخر ألا وهو البعد اللساني العرفاني.

### 3.2 الاستعارة التصويرية:



لم تعد الاستعارة تعني تلك العبارات التي تتم « عبر محور الاستبدال، وهو اختيار شيء لوضعه في موضع شيء آخر<sup>18</sup> ». ولم يعد هناك نقل لمعاني الكلمات، ولا استعارة صفات ولالوازم مجازية تربط بين المشبه والمشبه به ولم تعد مرتبطة بالتخييل ومادة الشعر، بل اتسع مفهومها ليشمل جميع مستويات الخطاب الطبيعي، الخطاب اليومي والاجتماعي والسياسي والفلسفي.. الخ. بل أصبح هناك تصور استعاري للعالم وتعرفه "ماريا تيريزاه كابرية" Maria Tirizah على أنه «بناء ذهني يكون الفرد أو المجموعة عن شيء من الأشياء دون أن يكون ذلك موجودا على الحقيقة»<sup>19</sup>

إننا نوظف في خطاباتنا العادية استعارات ننقل بها تجاربنا الحياتية وتصوراتنا وإدراكاتنا لعالمنا الخارجي، وعملية نقلنا لتجاربنا وواقعا وفق هذه المستويات من الخطاب هي عملية نقل غير أمين يشوبها الغموض والالتباس، ودعما لكلامنا ما أشار إليه "طه عبد الرحمن" في قوله: «فكل استدلال ينشئه اللسان الطبيعي واقع لمحالة في الالتباس إن قليلا أو كثيرا، هذا الالتباس الذي أن الأوان أن نتخلى عن انتقاص شأنه، وأن نرى فيه قوة ومزية تكسب اللغة الطبيعية الطواعية أو المرونة الكفيلة بجعلها تستجيب لأغراض التبليغ الإنساني التي لا تحصى»<sup>20</sup>. وفي نص آخر يقول «بالنسبة لعملية اللبس الخطابي (أو الإنشاء)، يقوم المتكلم بنقل الأعيان إلى مدلولات أي إن المتكلم يجوز من عالم إلى آخر هذا الجواز الذي لا يمكن أن يكون نقلا آمينا بحيث يهتدي المستمع إلى نفس الأعيان التي انطلق منها المتكلم في إنشاء خطابه، وإنما هو بناء مدلولات تبقى أعيانها غير محددة أي ((ملتبسة)) يتصرف المستمع في تعيينها بحسب وضعه التداولي<sup>21</sup>؛ فالاستعارات إذن تتكون وفق هذا النمط من الاستعمال اللغوي، وليست فقط تلك المرتبطة باستعمال اللفظ في غير موضعه

من هذا المنطلق جاء ما يعرف بالاستعارة التصويرية؛ لأنه منذ ما يقارب الثلاثين عاما برزت وجهة نظر مهمة حول الوظائف الطبيعية للغة، وقد شهدت العلوم العرفانية خاصة اللسانيات مثل هذا لتطور، ويذهب هذا النهج للقول إن بعض الخطابات مبنية على أساس إطارات أو أنساق تصويرية، وهذه الإطارات هي إنتاج الاستعارات، وقد دافع عن هذا الطرح "لايكوف" وفريقه وبين كيف يرى الناس ويفكرون في العالم من خلال اللغة الطبيعية،<sup>22</sup> ومن أمثلة الاستعارات التصويرية بعض النماذج كقول القائل:

- ( لاأعتقد أن هذه العلاقة ستتجه إلى مكان ما )

- ( انظر إلى أي مدى وصلنا )

تدل هذه العبارات على أن علاقة شخصية كالحب، تفهم على أنها (رحلة) فهذا التصور هو الذي يصدر معناها، ويؤكد الشرح من زاوية لسانية عرفانية أن الإدراك البشري يتكون من التقابلات؛ مجال المصدر وهو (رحلة أ) ومجال العلاقة الشخصية أو (الحب ب) ويكون تناسب بين المجالين ويطلق على هذا التناسب بالإسقاط،<sup>23</sup>

إن الاستعارة جزء لا يتجزأ من خطاباتنا اليومية وهي موجودة في تجاربنا وترجمها أقوالنا، والبحث فيها يستوجب البحث في مستويين مستوى الأقوال المجازية والأقوال غير المجازية لأن مجالها واسع كما سبق أن ذكرنا.

## الهامش:

<sup>1</sup> حجاجية الاستعارة في الشعر العربي، ص 136.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 20

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، ميسر عقاد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1428، هـ1-2007م، ص174.

<sup>4</sup> طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص115.

<sup>5</sup> اسرار البلاغة، ص47.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، 51.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، 53.

<sup>8</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص504.

<sup>9</sup> المصدر نفسه، ص505.

<sup>10</sup> الحجاج مبحث بلاغي 1/ ص 119. البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثوابت ومتغيرات، مجلة الخطاب:

المجلد14، العدد 2، ص88

<sup>11</sup> الحجاج ومجالاته البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة1/132 البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثوابت

ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص90

<sup>12</sup> البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثوابت ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص92

<sup>13</sup> البلاغة الجديدة- مشروع التجديد المعاصر- ثوابت ومتغيرات، مجلة الخطاب: المجلد14، العدد 2، ص90.

- 
- 14 جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق، المغرب، 2014م، .....ص36
- 15 طه عبد الرحمن : اللسان والميزان او التكوثر العقلي، الدار البيضاء ، المغرب، ط1998، ص1، ص229.
- 16 الساكر مسعودة" الاستعارة وبعدها الحجاجي في الخطاب الإقناعي"، جامعة وادي سوف، ص 359.
- 17 البقرة /الآية، 86.
- 18 ابراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1997م، ص 98.
- 18 نقلا عن صالح بن الهادي رمضان: النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي " الاستعارة أمودجا"، ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، ص849.
- 19 الرجوع نفسه، ص849.
- 20 طه عبد الرحمن:"رسالة في منطق الاستدلال الاحتجاجي والطبيعي ونماذجه" مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد12، 1986م، الرباط، ص127.
- 21 الرجوع نفسه ، ص129.
- 22 كريستيان سانتينيبيث :تر ، مصطفى العاشق الاستعارة والحجاج" مكانة الاستعارات التصويرية ووظيفتها في العمل الحجاجي"،مجلة في الترجمة، المجلد 6، العدد1.2018م جامعة محمد الخامس ، المغرب ص 192
- 23 المرجع نفسه، 193.

قراءة في كتاب " التشبيه والاستعارة " منظور مستأنف ، ليوسف أبو العدوس

د/ سامية بوعجاجة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية والآداب

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

الملخص :

تتناول الدراسة كتابا بلاغيا لكاتب معاصر؛ وهو كتاب ( التشبيه والاستعارة) منظور مستأنف ليوسف أبو العدوس ، حاولت الباحثة تقديم قراءة لمحتويات الكتاب ، وأهم ما ورد فيه من آراء و أفكار. الباب الأول ذكر فيه التشبيه دلالاته ومباحثه ، أما الباب الثاني الاستعارة من منظور الفكر العربي والفكر الغربي ، ثم خلاصة لأهم الأفكار.

مقدمة :

من الألوان البلاغية البديعة ، التي تزين النص الأدبي وتجليه وتزيده بيانا وبهاء ، التشبيه والاستعارة . فقلما نجد نصا أدبيا أو قصيدة شعرية ، أو مقالة نثرية ، تخلو من هذا الفن البليغ ؛ ولذلك أعطى البلاغيون أهمية وأولوية بالغة لهذين الفنين ، وأبرزوا مكانتهما السامية في ميدان التصوير الشعري والفني .

وهما كثيرا الورود في كتاب الله وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا صاحب الطراز يبرز دور التشبيه في الكلام ، فيقول : " والمختار عندنا : كونه معدودا في علوم البلاغة ، لما فيه من الدقة واللطافة ، ولما يكتسب به اللفظ من الرونق والرشاقة ، ولاشتماله على إخراج الخفي إلى الجليّ ، وإدناؤه البعيد من القريب " <sup>1</sup>

ويزيد البليغ أو الشاعر المعنى جمالا وخلابة ، إذا جاء بتشبيه جميل ، أما إذا شبّه صورة بصورة أقيح منها ، فهو يزيد المعنى قبحا ، تنفر منه النفس والعقل " وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به ، أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه .

ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها ، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقيح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها " <sup>2</sup>

أما الاستعارة فهي أبلغ من التشبيه ، كما أنها تجمع بين المجاز والتشبيه ، ولها دورها في التشكيل ، وتوليد المعنى ، وإضفاء مسحة جمالية وتخيلية على الأسلوب ؛ وقد أبدى عبد القاهر الجرجاني إعجابه بها ، فقال في هذا السياق : " وهي أمدّ ميدانا ، وأشدّ افتنانا وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا وإحسانا ، وأوسع سعة ، وأبعد غورا ، وأذهب نجدا في



الصناعة وغورا ، من أن تجمع شعبيها وشعورها.. فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام  
الخرس مبينة والمعاني الخفية ، بادية جلية ."<sup>3</sup>

وبين أيدينا كتاب ( التشبيه والاستعارة) ليوسف أبو العدوس ، الذي حاول أن يقدم قراءة جديدة لهذين الفنين ،  
مزوجا بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة ، ولذلك نسأل :

1 – هل استطاع الباحث تقديم رؤية مغايرة للبلاغيين القدامى ؟

2 – أين تكمن ملامح الجدة في بحثه ؟

1/ قراءة في كتاب ( التشبيه والاستعارة ) ليوسف أبو العدوس:

من الباحثين المعاصرين ، المتخصصين في البلاغة العربية والنقد ، الكاتب الأردني يوسف أبو العدوس (مواليد  
1956) ، أستاذ البلاغة والنقد بكلية الآداب ، جامعة اليرموك ( الأردن )

ألف الكاتب مؤلفه " التشبيه والاستعارة " سنة 2007 الموافق ل:1427هـ ، طارقا موضوعا بلاغيا قديما وحديثا ،  
ولذلك قسّم كتابه إلى باين.

الباب الأول وعنوانه : التشبيه ، قسّمه إلى ثلاثة فصول :

– الفصل الأول : مفهوم التشبيه في بحوث النقاد والبلاغيين العرب القدامى

– الفصل الثاني : الأشكال البنيوية للتشبيه

– الفصل الثالث : جماليات التشبيه

الباب الثاني : عنوانه : أربعة مداخل للاستعارة

– الفصل الأول : المدخل النحوي

– الفصل الثاني : المدخل الفلسفي

– الفصل الثالث : المدخل الانثربولوجي

– الفصل الرابع : المدخل الجشتالتي<sup>1</sup>

يقع الكتاب في 318 صفحة ، وكما هو موضح في الفهرس وفي المتن ، فقد طرق الباحث البلاغي موضوعا قديما قدم  
الدرس البلاغي في العربية ، ومزج التناول من خلال الدراسة الحدائية ، والغربية المعاصرة لهذين اللونين البلاغيين.

قسم البلاغيون علم البلاغة إلى ثلاثة علوم وهي :

1/ علم المعاني

2/ علم البيان

3/ علم البديع

وفيما يخص ( التشبيه والاستعارة فهما من مباحث علم البيان ) ولا يكاد كتاب نقدي بلاغي منذ أقدم العصور إلى يوم الناس هذا يخلو من دراستهما وذكر أنواعهما وأغراضهما ، وبيان فضلتهما في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأدب والشعر.

جاء في مقدمة الكاتب ، بيان لفضلتهما وسبب التأليف فيهما ، فقال : " حظي التشبيه والاستعارة بعناية البلاغيين والنقاد والفلاسفة على اختلاف مشاربهم ، واللسانيين ، علماء دلالة وسيميائية ، وبرغماتية وتركيب ، لهذا فقد ظهرت تصنيفات وتقسيمات متعددة للتشبيه والاستعارة ، تعكس في جلّها التوجهات المعرفية التي يستند إليها هؤلاء العلماء في بحثهم هذين الموضوعين. وكان شأنهما عظيما عند الشعراء كذلك ، ومن هذا المنطلق اتخذ البلاغيون والنقاد العرب القدامى من التشبيه والاستعارة مقياسا للمفاضلة بين الشعراء." <sup>2</sup> فالتشبيه والاستعارة ضروريان للشاعر ، وجودة الشعر وتفرده ، وبراعة الشاعر وتفتنه في البوح عن مكنون أحاسيسه ودقة مشاعره ، تتجلى في طريقة تصويره وقوة تخيله.

إنّ الكاتب ملّم بأهمية هذا الموضوع ، الذي شغل على مرّ القرون والحقب فكر أرباب البلاغة والبيان والعلماء المتخصصين ، ولذلك حرص على تقديم إضافة من خلال المزج بين الدرس البلاغي القديم والبلاغة الغربية المعاصرة ، يقول : " وتعنى هذه الدراسة بتبين اهتمام البلاغيين والنقاد بالتشبيه والاستعارة وفق رؤية مستأنفة مبنية على دراسات البلاغيين العرب القدامى ، والبلاغيين الغرب المحدثين الذين أفادوا من دراسات أرسطو وكونتليان وغيرهما.. " <sup>3</sup>

2/ مباحث الكتاب :

الباب الأول : خصصه الباحث للتشبيه ، وقسمه إلى 3 فصول كما سبق القول .

الفصل الأول : عنوانه بمفهوم التشبيه في بحوث النقاد والبلاغيين العرب القدامى.

في هذا الفصل قدّم الكاتب تعريفا للتشبيه ، من حيث المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، وأركان التشبيه

استعرض بعد ذلك مفهوم التشبيه ، وتعليق علماء اللغة على آيات قرآنية ورد فيها التشبيه ، أو أبيات شعرية ، بدأها بسيبويه (م 180هـ) والفراء (207هـ) وأبو عبيدة (210هـ) والجاحظ (255هـ) وابن قتيبة (276هـ) في كتابه : عيون الأخبار ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمبرد (286هـ) عرّف التشبيه في كتابه " الكامل " وذكر تقسيماته للتشبيه ، وبين دوره في التعبير الفني ، من خلال نماذج من آيات قرآنية وأبيات شعرية ، وابن المعتز

(296هـ) في كتابه البديع ، وابن طباطبا العلوي (322هـ) في كتابه "عيار الشعر" ، وابن أبي عون (322هـ) في كتابه " كتاب التشبيهات" وقدامة بن جعفر (337) ، والقاضي عبد العزيز الجرجاني

(366هـ) إذ وقف عند تشبيهات عدد من الشعراء في الوساطة ، وابن وهب الكاتب في مؤلفه " البرهان في وجوه البيان " والرّماني (386هـ) في " النكت في إعجاز القرآن" وابن جنيّ (392) في الخصائص ، وأبو هلال العسكري (395هـ) والباقلاني (403هـ) والشريف الرضي (406هـ) وعبد الجبار المعتزلي (415هـ) والثعالبي (423هـ) وابن رشيق القيرواني (456هـ) وابن سنان الخفاجي (466هـ) وعبد القاهر الجرجاني (471هـ).. وصولاً إلى ابن معصوم المدني (1120هـ)<sup>4</sup> فالقائمة طويلة لما يربو عن 52 علم من أعلام البلاغة والنقد واللغة ، وفيها ذكر التشبيه وتحديدات العلماء له ، وأهميته في النص الأدبي مع التمثيل بنماذج منتقاة ، من القرآن الكريم ومن شعر العرب وخاصة الشعر الجاهلي .

#### الفصل الثاني : عنونه : الأشكال البنيوية للتشبيه

قدم الكاتب في هذا الفصل ستة مباحث وهي : أدوات التشبيه ، أقسام التشبيه باعتباروجه الشبه والأداة ، تقسيم الطرفين من حيث الحسية والعقلية ، تقسيم الطرفين من حيث إفرادهما وتركيبهما ، تقسيم الطرفين من حيث تعددهما أو تعدد أحدهما ، التشبيه المركب والمتعدد .

الملاحظ هنا جاء الشرح وافيًا ضافياً لأنواع التشبيهات ، كما تنوعت الشواهد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وأشعار جاهلية وإسلامية ومعاصرة كأبيات لبدر شاكر السياب وتوفيق زياد.

#### الفصل الثالث عنونه : جماليات التشبيه

أظهر الكاتب براعته في هذا الفصل ، فتجلت معرفته بالبلاغة وفنونها ، وإلمامه الواسع بالبلاغة القديمة واطلاعه على البلاغة المعاصرة .

تحدث الكاتب في البداية على أهمية وجه الشبه في دراسة التشبيه " من حيث هو مدخل تكسير الفاصل القائم بين المقولات المختلفة في الموجودات العينية أو الذهنية ، ويلاحظ أن كل واحد من الحيوان والنبات والجماد تمثل قسماً مطلق التجريد من الموجودات ينضوي تحته عدد آخر من الفصول أو الفصائل "<sup>8</sup>

وفي مبحث آخر تعرض لأغراض التشبيه من منظور القدامى ، مبينا فوائده وهي : بيان حال المشبه ، بيان إمكان حال المشبه ، بيان مقدار حال المشبه ، تزيين المشبه وتقبيحه ، وتقدير صفة المشبه . كما يذكر التشبيه التمثيلي ودوره في الكشف عن النفس الإنسانية بكل ما تعج به من انفعالات وتخوضه من تجارب شعورية.

إنّ جمالية التشبيه ؛ تكمن في إيضاح المعاني ، ونقل النفس من الخفيّ إلى الجليّ ، ومن المعقول إلى المحسوس ، أو كما ذكر الكاتب : " إن المعرفة الجديدة التي يكتسبها المتلقي من الصور التشبيهية النادرة البعيدة القائمة على الخلق والإبداع والابتكار تزيد المعنى المراد نقله وضوحاً... والوضوح في وجه الشبه لا يعني أن يكون المعنى مبتدلاً ، وإنما

يعني ذلك الإيضاح الذي تفيده المعرفة الجديدة المكتسبة ، التي يصل إليها المتلقي عن طريق العلاقة المبتكرة والوجه المكتشف ، الذي أدركه المبدع بيقظته الفعلية وتأمله الدقيق لعناصر الصورة ، حتى تمكن من تنسيقها تنسيقاً جديداً يتوافق مع ذاته ومشاعرها " <sup>9</sup>

يقف الكاتب في هذا الفصل على عديد الفضائل والمزايا التي يختص بها التشبيه ، فمن خلال الأمثلة التي ساقها : من آيات قرآنية وأشعار عربية ، يطرق موضوع التفاعل بين طرفي الصورة التشبيهية وملاءمتها لحال الخطاب ، يقول الكاتب : " لكي يكون التشبيه صادقا في التعبير عن المشاعر الوجدانية ، متفاعلا معها ، وجب أن يتفاعل طرفاه ، بأن يكون المعنى المراد التشبيه به – حسيا كان أم مجردا – صادقا في التعبير عن المعنى المراد تشبيهه ، ومرآة تعكس بصدق أبعاده النفسية ، ومشاعره الوجدانية ، و آفاقه النفسية ، حتى يتمكن من التأثير في نفس المتلقي " <sup>10</sup>

يلج أيضا على أهمية المغايرة بين المشبه والمشبه به ، فيتحقق الغموض ، مما يتطلب من المتلقي جهدا ومثابرة ، كي يتلمس نقاط الالتقاء بين طرفي التشبيه.

وهذا الأمر ينجم عنه صورة فنية موحية " ومن هنا يقوم المتلقي بتأويل تلك الصور.. وأبرع تلك الصوري التي تستطيع أن توحى بأكبر قدر ممكن من الدلالات الإيحائية والإثارات التخيلية عند المتلقي وفق تركيب بنائه النفسي وخبرته المكتسبة " <sup>11</sup>

إنّ جمالية التشبيه تقوم على الابتكار والجدّة والغرابة والظرافة . وللتشخيص دوره في تشكيل ملامح الصورة ، وهو عملية نفسية محضّة ، وظيفته التأثير في المتلقّي ، عن طريق تشخيص المعاني إلى صور حسية <sup>12</sup>

إضافة إلى توكيد المعنى في نفس المتلقي ، وتحقيق المعادل الموضوعي بواسطة الصورة التشبيهية الناجحة.

#### الباب الثاني : يختص بالاستعارة ومباحثها

فبالنسبة للفصل الأول ، وهو عبارة عن مدخل نحوي ، استهل الكاتب بالحديث عن الاستعارة وأهميتها لدى البلاغيين وغيرهم ، يقول : " حظيت الاستعارة باهتمام الفلاسفة والمناطق ، والبلاغيين ، والنقاد على اختلاف مشاربهم ، واللسانيين : علماء دلالة وسميائية ، وبرغماتية وتركيب . لهذا فقد ظهرت تصنيفات وتقسيمات متعددة للاستعارة ، تعكس في جلّها التوجّهات المعرفية التي يستند إليها هؤلاء العلماء في بحثهم الاستعارة " <sup>13</sup>

وهنا بيان للاستعارة بمنظور التركيب النحوي ؛ من خلال ثلاثة مباحث : الاستعارة في الأسماء ، والاستعارة في الأفعال ، والاستعارة في الحروف.

أما الفصل الثاني ، المدخل الفلسفي.

استعرض الكاتب آراء فلاسفة غربيين حول مفهوم الاستعارة وأهميتها ، من فترة الحضارة الإغريقية إلى وقتنا المعاصر . فهذا أرسطو من أوائل الفلاسفة الذين خاضوا في هذا المجال ، يقول أبو العدوس : " وأدرك أنها تعد

وسيلة قوية في التعبير عن المكنونات ، وذات قيمة عالية إذا استخدمت بشكل مناسب . ومن هنا يجب ألا تكون الاستعارات بعيدة أو سخيفة ، أو فضفاضة.. والاستعارات الجيدة تضع الأشياء تحت منظار جديد ، يمكننا من رؤيتها بشكل لم نرها به من قبل.<sup>14</sup>

كما درس الاستعارة عند الفلاسفة المسلمين مركزا على الفلاسفة : الفارابي وابن سينا وابن رشد ، كما خاض في كيفية عمل الاستعارة ، والاستعارة من منظور الاتجاه البرغماتي ، وقيمة الاستعارة ومنزلتها المعرفية وزيادة الاستقصاء حول وظيفة اللغة ، والاستعارة مبدأ أساسيا للتفكير والعمل .

### الفصل الثالث : المدخل الانثروبولوجي

يناقش الكاتب مفهوم الاستعارة من منظور انثروبولوجي ، فاللغة وليدة بيئة ما ، وللمجتمع بثقافته وعاداته أثره في استخدام الفرد للغة والتعبير عن كل ما يحيط به " فالمتحدث من لغة ما في إفريقيا مثلا يرى العالم من خلال عدسة لغته الخاصة ، وذلك العالم يختلف جوهريا ، عن ذلك الذي يراه متكلم لغة أخرى ، في بقعة ثانية من الكرة الأرضية ، وهكذا فإن اللغة ونظام المفاهيم الذي تنقله هو نتاج التعاون الجمعي ، وما تعبر عنه هو الطريقة التي يقدمها المجتمع ككل "<sup>15</sup>

كما استعرض الكاتب الاستعارة عند ليفي شتراوس وصلتها بقوانين النباتات والحيوانات ، والاستعارة الخارجية وتفاعلها بالاستعارة الداخلية ، وتحدث عن استعارة الأسماء بين الناس ، والحيوانات والنباتات ، وحديث عن التمثيل المكاني للاستعارة .

### الفصل الرابع : المدخل الجشتالتي

يناقش قضايا العلم المعرفي عند لاكوف ، هذا الأخير يرى التفكير خاصية جشتالتية ذات بنية إيكولوجية ، وجسم الإنسان مصدر التفاعل مع محيطه " فعن طريق تفاعل الجسم مع محيطه يرى الإنسان الصور المختلفة ، ويسبر أغوارها ، ويتعرف على مواقع أجزائها ، وعن طريق القوى الإبداعية والخيالية يصوغ مخططات ، ويبعد المجازات ، والاستعارات والكنيات "<sup>16</sup>

وتحدث لاكوف في موضوع القدرة المفاهيمية ، والتخطيط ، والاستعارة الشائعة  
أما بالمرفق شرح معنى الاستعارة ووظيفتها.

الخلاصة :

اهتم الكاتب بالبحث في فني التشبيه والاستعارة وهما من مباحث علم البيان ، فالتشبيه حليّ وبيان ، ينقل النفس من الخفي إلى الجلي ، ومن المعقول إلى المحسوس ، فيه إيضاح للمعنى وجلاء للمبني ، والشاعر المتمرس من يأتي بصور دقيقة طريفة فيها جدّة وابتكار.

أما الاستعارة فهي ميدان الإجداد وموضع الشاعرية والمهارة ، وهي في الفكر الغربي تنمّ عن اقتدار فني، ومقدرة لغوية وثقافية ، في التعبير عن جوانب الواقع الفيزيائي والاجتماعي.

ومن خلال الفكر الانثربولوجي ، تتضح صلة الاستعارة بالثقافة والحياة الاجتماعية ، والمنظومة الفكرية والعلمية ككل.

الهوامش :

- 1/ يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تعيق: الشريبي شريفة ، ج1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1431هـ، 2010، ص208
- 2/ ابن الأثير، المثل السائر، تحقق: أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة ، ط2، ص 123
- 3/ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة، تصحيح وتعليق: محمد عبده ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ص 22
- 4/ ينظر: يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان (الأردن) ، ط1 ، 2007 ، 1427هـ ، ص 5
- 5/ نفس المصدر، ص 7
- 6/ نفسه ، ص 7
- 7/ ينظر: نفسه ، ص 15-42 .
- 8/ نفسه ، ص 81
- 9/ نفسه ، ص 88
- 10/ نفسه ، ص 93
- 11/ نفسه ، ص 97
- 12/ ينظر: نفسه ، ص 113
- 13/ نفسه ، ص 139
- 14/ نفسه ، ص 189
- 15/ نفسه ، ص 214
- 16/ نفسه ، ص 238

الأستاذة: سامية شودار.

جامعة محمد خيضر – بسكرة.

كلية: الآداب واللغات.

قسم: الآداب واللغة العربية.

رقم الهاتف: 06 98 96 34 71

البريد الإلكتروني: [samiasho10@gmail.com](mailto:samiasho10@gmail.com)

## عنوان المقال:

### البلاغة الجديدة في التراث الأصولي

#### حجاجة القياس أنموذجا.

## الملخص:

تعد نظرية الحجاج أو البلاغة الجديدة من أهم المواضيع التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي، إلا أننا لو نظرنا إلى ذلك الطرح لوجدناه مبثوثا في مصنفات علماء الأصول، فقد اعتنى علماء الأصول بتعريف الحجاج وبيان موضوعه وأهميته، وفصلوا القول في أركانه وشروطه، وأساليبه وتقنياته.

ويعد القياس من تقنيات الحجاج وآلية أساس من آليات التداول الحجاجي التي اهتم بها المحذون والأصوليون على حد سواء، إلا أن علماء الأصول قد انفردوا بالدراسة المستفيضة لمفهوم القياس وخصائصه وأنواعه، كما وصفوا البنية القياسية وحددوا عناصرها، وهذا يقودنا إلى القول إن مؤلفات علماء الأصول في الحجاج والجدل وإن كانت موضوعة في الأصل لخدمة أصول الفقه، إلا أن واقعها ومحتواها يشهد بأنها أهم مصادر الجانب النظري والتطبيقي لنظرية الحجاج، وهذا ما سيحاول المقال إثباته من خلال تقنية القياس.

## تقديم:

يعد الحجاج أحد المباحث التداولية التي استقطبت اهتمام الدارسين؛ لأن الخطاب الحجاجي يختلف عن غيره من الخطابات، كونه يعتمد على تقنيات حجاجية توظف لغرض التأثير في أفكار المتلقي، وحثه على قبول شيء معين أو القيام به، ومن بين هذه التقنيات القياس، وهو من أهم التقنيات الحجاجية التي يعتمد المتكلم لتوظيفها في خطابه، لقوته الإقناعية والتأثيرية في المتلقي.

ولما كان علم الأصول يبحث في القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، فقد ثبت أن هذه القواعد الشرعية تعتمد- إلى جانب القرآن الكريم والسنة الشريفة- على القياس الاستدلالي، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال.

## أولا - الحجج (البلاغة الجديدة):

1 - مفهوم الحجج: تشير مادة " حَجَجَ " في المعاجم اللغوية إلى عدد من الدلالات اللغوية ، يمكن إجمالها في:

حَاجَجْتُهُ : أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحُجَّةُ : البرهان ، أو ما دوفع به الخصم ، وجمعها حُجَجٌ وحِجَاجٌ .  
ويقال : حَاجَّهَ مَحَاجَّةً وحِجَاجًا : أي نازعه الحجة. والتَّحَاجُّ : هو التخاصم . ويقال : رجلٌ مَحِجَّاجٌ : أي جَدِلٌ .

والاحتجاج : من احتج بالشيء؛ أي اتخذ حجة . ويقال : أنا حاججته ، فأنا محاجة وحجيجه ؛ أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان<sup>(1)</sup> .

نلاحظ من خلال هذه التحديدات المعجمية أن لفظ الحجج يدور حول: التنازع، والتخاصم، والجدل، والغلبة، والوسيلة المتمثلة في الأدلة والبراهين.

وبحسب استعمالات القرآن الكريم لهذه الكلمة، نجد أنها لا تكاد تخرج عن معارضة الخصم بالخطاب، وإقامة الحجج والبراهين لتغيير القناعات والمفاهيم التي عنده، وإمالته عنها إلى ضدها، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ ( الأنعام / 150). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ( البقرة / 257)، وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (الشورى / 14)، وبهذا يتبين بأن الحجج في الاستعمالات القرآنية لم يخرج عن معناه اللغوي، بمعنى أن ليس له معنى اصطلاحيا زائدا أو مغايرا للمعنى اللغوي<sup>(2)</sup> .

- اصطلاحا: الحجج هو تلك « الخطوات التي يحاول بها الفرد أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبني موقف معين، وذلك بالاعتماد على تمثيلات [ ذهنية مجردة أو حسية ملموسة ] Representation ، أو على قضايا جازمة Assertions- حجيات Arguments – تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته»<sup>(3)</sup> .

وقد عرفه "شاييم بيرلمان" (CH.perelman) "وتيتيكا" (L.O.Tytéca) بقولهما: «موضوع الحجج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»<sup>(4)</sup> .

وحري بنا أن نشير إلى أن الحجج قد ورد بمعناه الحديث عند علمائنا الأجلاء، ولكن بتسميات اختلفت باختلاف مطلقها وتوجهاتهم، فنجد أن "الجاحظ" قد أطلق عليه اسم "البيان" في قوله: « مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم و الإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>(5)</sup> .



أما الحجاج عند علماء الأصول فلا يخفى على من له أدنى صلة بعلم أصول الفقه أن هذا العلم من أكثر العلوم الإسلامية توظيفاً للحجاج والجدل، وأن علماء الأصول من أكثر أرباب العلوم الإسلامية براعة في استثمار قوانين هذا العلم في تقرير القواعد الأصولية واستنباط الأحكام الشرعية، والاحتجاج لها، والدفاع عنها، ونقض شبه المخالفين، ودحض آرائهم، وما يتبع ذلك من ضبط الحدود والمصطلحات والمفاهيم، والمبادئ التي لا يستغنى عنها في هذا العلم، وما ذاك إلا لأن أصول الفقه يقوم على المزاجية بين العقل والسمع<sup>(6)</sup>؛ لأن أشرف العلوم كما يقول "الغزالي" ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع<sup>(7)</sup>.

بهذا الطرح تكون المسائل الأصولية والقواعد الشرعية ذات طبيعة حجاجية استدلالية؛ لأنها تستنبط الحكم وتثبت الدليل على ذلك، « ومن طريف ما أتوا به، أنهم قابلوا بين القياس التمثيلي في أصنافه ومبادئه وبين الاستدلال البرهاني والصورى في ضروبه وقوانينه، وخلصوا بعد تقلب النظر فيهما إلى وجوب الأخذ بقياس التمثيل في تحليل الخطاب الطبيعي، الذي يمثله في أجلى مظاهره المصدران الإسلاميان القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك لما ينطوي عليه هذا الخطاب من خصوصيات تعبيرية ومميزات مضمونية تقصر عن آدائها إمكانات البرهان الصورى<sup>(8)</sup> ».

بالإضافة إلى ذلك فإن المتأمل في كتب علماء الأصول يدرك توظيف آليات الحجاج بوضوح، من خلال عناية الأصوليين بترتيب المادة الأصولية على وجه الإجمال والتفصيل، وبناء القواعد على أسس منهجية سليمة، مع الحرص على إقامة الحجج و البراهين على كل قاعدة بما يناسبها من الدلائل الشرعية، أو العقلية أو اللغوية، وبيان حجج المخالفين<sup>(9)</sup>.

ولنستدل على أن علماء الأصول قد أفاضوا في البحث الحجاجي، نذكر المثال الآتي من كتاب "المستصطفى من علم الأصول" للغزالي:

يقول "الغزالي": « حجاج من قَدَّم العموم ثلاث:

الحجة الأولى: أن القياس فرع والعموم أصل فكيف يقدم فرع على أصل.

الاعتراض: من وجوه الأول، أن القياس فرع نص آخر لا فرع النص المخصوص به.

الثاني: أنه يلزم أن لا يخصص القرآن بخبر واحد لأنه فرع، فإنه يثبت بأصل من كتاب وسنة فيكون فرعاً له.

الحجة الثانية: أنه إنما يطلب بالقياس حكم ما ليس منطوقاً به، فما هو منطوق به كيف يثبت بالقياس؟

الاعتراض: أنه ليس منطوقاً به كالتنطق بالعين الواحدة؛ لأن زياداً في قوله: « فاقتلوا المشركين » ليس كقوله: اقتلوا زياداً.

وحجاج القائلين بتقديم القياس اثنتان:

الحجة الأولى: أن العموم يحتمل المجاز والخصوص والاستعمال في غير ما وضع له، والقياس لا يحتمل شيئاً من ذلك.

الاعتراض: أن احتمال الغلط في القياس ليس بأقل من احتمال ما ذكر في العموم من احتمال الخصوص والمجاز.

الحجة الثانية: قولهم تخصيص العموم بالقياس جمع بين القياس وبين الكتاب، فهو أولى من تعطيل أحدهما أو تعطيلهما.

وهذا فاسد، لأن القدر الذي وقع فيه التقابل ليس فيه جمع، بل هو رفع للعموم، وتجريد للعمل بالقياس.

حجة الواقفية: قالوا: إذا بطل كلام المرجحين، فهل يبقى إلا التوقف؛ لأن الترجيح إما أن يدرك بعقل أو نقل.

حجة من فرق بين جلي القياس وخفيه، وهو أن جلي القياس قوي وهو أقوى من العموم، والخفي ضعيف<sup>(10)</sup>.

وهكذا منهج علماء الأصول في جل مواضعهم وقضاياهم ومسائلهم جاءت على هذا المنوال، وهذا يدل على الوعي الأصولي بنظرية الحجاج، فقد تعرضوا لمصطلحات من قبيل البرهان والحجاج، وقياس الشبه، وحجج المخالفين والاعتراض عليهم بالأدلة، وألفاظ التعليل، والشواهد، فهذه كلها تمثل إرهابات لبحث لغوي ألا وهو البحث الحجاجي في الدرس الأصولي.

وحري بنا أن نشير إلى أن الحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونين خطابيين، هما: «خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل وفيما بين النحاة والمناطقة، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين، والخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك»<sup>(11)</sup>.

#### ثانيا-القياس:

1- مفهوم القياس: يعد القياس المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم والسنة الشريفة والإجماع والتي اتفق عليها علماء الفقه و الأصول، وهو في اللغة: التقدير والمساواة؛ أي تقدير شيء على مثال شيء آخر، وتسويته به، ولذلك سمي المكيال مقياسا وما يقدر به النعال مقياسا، ويقال فلان لا يقاس بفلان؛ أي لا يساويه<sup>(12)</sup>.

وأما في الاصطلاح فقد عرف علماء الأصول القياس بتعريفات كثيرة مختلفة العبارات، إلا أنهم أجمعوا على أن القياس إلحاق ما لم يرد فيه نص على حكمه في الحكم، لاشتراكهما في علة ذلك الحكم.

وقد عرفه "القاضي أبو بكر الباقلاني" بقوله: «وحد القياس أنه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو صفة أو نفيهما عنهما»<sup>(13)</sup>.

وقال "أبو الحسن البصري": «هو تحصيل حكم الأصل في الفرع، لاشتباهما في علة الحكم عند المجتهد»<sup>(14)</sup>.

فالقياس إذن هو إثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر؛ لأجل اشتباهما في علة الحكم، ولهذا «لا بد في كل قياس من فرع، وأصل، وعلة، وحكم»<sup>(15)</sup>، كقياس النبيذ على الخمر في التحريم للإسكار في كل.

فالركن الأول:الأصل، ويسمى المقيس عليه كالخمر.

الركن الثاني: الفرع، ويسمى المقيس كالنبيذ.

الركن الثالث: العلة، وهي القدر المشترك بين الأصل والفرع وهي الإسكار.

الركن الرابع: حكم الأصل وهو التحريم.

وثمره القياس انتقال حكم الأصل إلى الفرع لاشتراكهما في العلة<sup>(16)</sup>.

كما يتألف كل قياس من مقدمتين؛ مقدمة كبرى، ومقدمة صغرى، يقودان إلى نتيجة، يقول "الغزالي": «لا ينتظم القياس إلا بمقدمتين معلومتين، تؤلف تأليفا مخصوصا بشرط مخصوص، فيتولد بينهما نتيجة»<sup>(17)</sup>، فالمقدمة الكبرى هي من المسلمات عند المتلقي، وتعتبر هي منطلق المحاجج، وبإضافة الاستدلال نحصل على نتيجة القياس وهذا راجع لمقاصد المحاجج، فقد يغير أو يقدم حسب ما يقتضيه المخاطب أو الخطاب<sup>(18)</sup>، يقول " ويليام برانت " « إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجج - إذ ذاك - سدى»<sup>(19)</sup>.

2 - تقسيمات القياس: إن هذا له علاقة قوية بحجية القياس من حيث معرفة مراتبه التي ينشأ عنها اختلاف في قوة الاحتجاج به تبعا لاختلاف تلك المراتب من جهة القوة والضعف، لذلك نجد تقسيمات عديدة للقياس عند الأصوليين، نذكر منها:

أ- التقسيم الأول: ينقسم القياس من حيث القوة والضعف إلى قسمين: القياس الجلي والقياس الخفي.

-القياس الجلي: هو ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة؛ كقياس تحريم ضرب الوالدين على تحريم التأفيف بجامع الأذى في كل منهما، في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (الإسراء/23)<sup>(20)</sup>.

-القياس الخفي: هو القياس الذي يكون نفي الفارق فيه بين الأصل والفرع مضمونا، ويحتاج فيه إلى اجتهاد ونظر، كقياس تحريم النبيذ على تحريم الخمر في الحرمة بجامع الإسكار في كل منهما، ومن الوارد أن يكون تحريم الخمر الذي ورد فيه نص صريح بسبب وجود خصوصية أخرى سوى الإسكار في الخمر، وربما لا توجد تلك الخصوصية في النبيذ، ولذلك فإن إلحاق النبيذ بالخمر، ينفي وجود فارق بينهما، أمر مضمون ويحتاج القائل إلى إثبات ذلك<sup>(21)</sup>.

وحري بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن هذا التقسيم للقياس-الجلي والخفي- نجده في البلاغة الجديدة ضمن تقنيات السلم الحجاجي، نظرا لما يتسم به من مبدأ التدرج، وذلك بالاستناد إلى قوة الحجة أو ضعفها، يقول "الغزالي": «حجة من فرق بين جلي القياس وخفيته، وهو أن جلي القياس قوي وهو أقوى من العموم، والخفي ضعيف»<sup>(22)</sup>، منشئة بذلك سلما حجاجيا، يقول "ديكرو": «إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (الحجج) نسميه سلما حجاجيا»<sup>(23)</sup>.

ب- التقسيم الثاني: ينقسم القياس إلى " قياس أولى " و " قياس المساواة " و " قياس أدنى ".

- القياس الأول: هو ما كان فيه ثبوت الحكم في الفرع أولى من ثبوته في الأصل؛ كتحريم ضرب الوالدين أولى بالمنع من التأفيف.

- قياس المساواة: هو ما كان حكم الفرع فيه مثل حكم الأصل؛ كقياس إحراق مال اليتيم أو إغراقه على تحريم أكله بجامع الإلتاف من الكل من غير وجه حق.

- قياس الأدنى: وهو ما كان ثبوت الفرع فيه أضعف منه في الأصل؛ كقياس النبيذ على الخمر في التحريم بجامع الإسكار في كل<sup>(24)</sup>.

### 3- حجاجية القياس:

يعد القياس آلية أساس من آليات التداول الحجاجي، باعتباره قائم على توليد الخطاب الطبيعي، انطلاقاً من مهمته المتمثلة في الربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما، للوصول إلى استنتاج ما<sup>(25)</sup>.

والذي يظهر قوة القياس في الخطاب الحجاجي عند من يحسن استعماله تحقيق الإقناع، نظراً للمكانة التي يحتلها القياس بكل أنواعه في نجاعة الخطاب الحجاجي، بل هناك من يرجع حجاجية الخطاب لاعتماده على القياس؛ لأن المحاجج الذي يوظف القياس لا ينفي الحكم، بل يزيد الحكم إثباتاً أو نفيًا على حسب الخطاب<sup>(26)</sup>.

ومن المعلوم أن علماء أصول الفقه «انفردوا بالدراسة المستفيضة لمفهوم القياس وخصائصه، فقد وصفوا البنية القياسية، وحددوا عناصرها، وبينوا مسالك الوصف الجامع بين المقيس والمقيس عليه، وصنفوا أشكال هذه المسالك، ورتبوا خصائص كل صنف منها، ورسوموا مختلف وجوه الاعتراض عليها، ووجود دفع هذا الاعتراض، كما وصفوا شروطها وأحكامها تفصيلياً»<sup>(27)</sup>.

وبذلك يعتبر القياس أبرز وسيلة حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين،

وهو من أقوى الحجج والبراهين التي يلجأ إليها المخاطب؛ لأنه يضطلع بدور مهم في التأثير والإقناع والتسليم للفكرة، التي هي موضوع القياس، ونجاح هذا القياس إنما يرجع إلى ما في مكنة المتكلم به، من ذكاء ذهني، وحيل عقلية يستطيع أن يربط من خلالها بين (المقيس؛ الفكرة التي يدافع عنها، والمقيس عليه؛ التي هي الشاهد أو النموذج أو الفكرة التي استنداعها) وأراد الاستعانة بها في نجاعة خطابه ونفاذه، سواء كانت من فضاء افتراضي أو فضاء واقعي<sup>(28)</sup>.

ولهذا اعتبره "برلمان" من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد في قوتها الإقناعية على بعض البنى المنطقية ومن قوانينه قانون التعدية، ومن أهم علاقات التعدية ذات الصبغة الحجاجية شبه المنطقية علاقة التضمن؛ وهي العلاقة المنطقية التي تُبين أن قضية ما تتضمن قضية أخرى، ويبدو هذا خاصة في الاستدلال القياسي القائم أساساً على التعدية في القياس الخطابي الذي يسميه "أرسطو" ضميراً، ويسميه قياساً ظنياً، فالضمير ليس من بعض الوجوه حسب "برلمان" إلا حجة أو دليلاً شبه منطقي يقدم في شكل قياس، ويؤدي إلى ظهور علاقة التعدية<sup>(29)</sup>.

وعليه فإن القياس عند "برلمان" هو آلية منطقية حجاجية، يمكن للمحاجج أن يعتمد عليها في إقناع المعارض عن كلامه<sup>(30)</sup>، ولهذا سماه "طه عبد الرحمن" بـ"الاستدلال الكلامي"؛ لأنه -في نظره- يحتوي الآليات التي يتوالد بها كل خطاب طبيعي وتتكاثر بها أجزاءه، وتتماسك فيما بينها<sup>(31)</sup>.

كما يرى "طه عبد الرحمن" أن النتائج التي أفضت إليها مختلف وسائل أصحاب النزعة الحجاجية -بعد طول تمحيص وإمعان نظر- أنها في جزء كبير منها، يمكن استحصالها بوسائل القياس التمثيلي والقياس الأصولي خاصة، يقول: «ولم تنكشف لي الصبغة القياسية للنتائج التي توصل إليها منظرو الاستدلال الطبيعي فقط، بل تكشف لي حقيقة أبعاد

وأخطر، وهي أن تنظير أصحاب القياس، من أصوليين وأهل المناظرة، للاستدلال الطبيعي كان أقوى وأتم من تصور المعاصرين له»<sup>(32)</sup>، وهذا يدل على الوعي الأصولي بحجاجية القياس ودوره الإقناعي في الخطاب.

#### خلاصة القول:

بعد رحلة طيبة مع البلاغة الجديدة في التراث الأصولي، حجاجية القياس أنموذجاً، توصلت إلى النتائج الآتية:  
- يُعرف الحجاج في الفكر الغربي بأنه تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تؤدي إلى نتيجة معينة، والتي يكون القصد منها التأثير في المتلقي، وإقناعه بخصوص موضوع ما.  
- علم الأصول من أكثر العلوم الإسلامية استئماراً للحجاج وقوانينه في تقرير القواعد الأصولية، واستنباط الأحكام الشرعية.

- أستخدم مصطلح الحجاج بكثرة في المصنفات الأصولية إلى جانب الاستدلال والبرهان والإقناع.
- القياس هو إطلاق حكم الأصل على الفرع لاشتراكهما في العلة، وهو تقنية من تقنيات الحجاج، اهتم بها الأصوليون والتداوليون على حد سواء.
- يعد القياس من أقوى الحجج التي تؤدي إلى الإقناع، وقد أدت هذه التقنية نجاعتها الحجاجية في الخطاب، ويبني على مقدمتين؛ مقدمة كبرى (الأصل)، ومقدمة صغرى (الفرع)، ثم النتيجة المستلزمة من القياس (الحكم)، و الحجة التي أدت إلى هذه النتيجة ( العلة الجامعة).
- يعتبر القياس أبرز آلية استدلالية حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين.
- القياس عند أصحاب النظرية الحجاجية أمثال "بيرلمان" هو من التقنيات الحجاجية شبه المنطقية.
- تبرز ملامح السلم الحجاجي الذي يتسم بالتدرج من حيث قوة الحجة وضعفها عند الأصوليين من خلال تقسيمهم للقياس من حيث القوة والضعف إلى القياس الجلي والقياس الخفي، وهذا ما جعله في البلاغة الجديدة كتقنية من تقنيات السلم الحجاجي.
- أفاض علماء الأصول في دراسة القياس فحددوا عناصر البنية القياسية وأركانها وشروطها، وهذا يدل على الوعي العميق بحجاجية القياس وبشكل يقارب - إن لم نقل يفوق - النموذج التداولي .
- إن لعلماء الأصول فضل السبق في كثير من البحوث التي قام عليها الدرس التداولي وإن اختلفت المصطلحات، كبحت الحجاج وتقناته كتقنية القياس الاستدلالي.

#### الهوامش:

(1) ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، لبنان، م 2، مادة حجج، ص 27، 28.

(2) عبد المنعم سمارة، التأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلامياً، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص36.

(3) بنعيسى أزيبيط، مداخلات لسانية "مناهج ونماذج"، سلسلة دراسات وأبحاث، مطبعة مكناس، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2008، رقم 26، ص 78.

- (4) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص 299.
- (5) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، م 1، ص 60.
- (6) أحمد بن عبد الله بن محمد الضويحي، العلاقة بين علم الحجاج وعلم أصول الفقه، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436 هـ، ص 11.
- (7) الغزالي (أبو حامد)، المستقصى من علم الأصول، دارصادر، بيروت، لبنان، ط 2، 2010، ج 1، ص 8.
- (8) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 285.
- (9) أحمد بن عبد الله بن محمد الضويحي، العلاقة بين علم الحجاج وعلم أصول الفقه، ص 11.
- (10) الغزالي، المستقصى من علم الأصول، ج 2، ص 64-65.
- (11) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دارغريب، مصر، 2000، ص 126.
- (12) الشوكاني (محمد بن علي)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دارالفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص 839.
- (13) المصدر نفسه، ص 840..
- (14) المصدر نفسه، ص 841.
- (15) الغزالي، المستقصى من علم الأصول، ص 106.
- (16) زكريا عبد الرزاق المصري، طريق الوصول إلى علم الأصول، دارلبنان، بيروت، لبنان، ط 1، 2012، ص 73.
- (17) المصدر، نفسه، ص 48.
- (18) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2014، ص 188.
- (19) محمد العيد، النص الحجاجي العربي، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 4، ص 24-25.
- (20) عبد الكريم النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشد، السعودية، ط 1، 1999، ص 1921-1922.
- (21) قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، دارالفكر، سوريا، ط 1، 2000، ص 350.
- (22) الغزالي، المستقصى من علم الأصول، ج 2، ص 65.
- (23) خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 4، ص 335.
- (24) زكريا عبد الرزاق المصري، طريق الوصول إلى علم الأصول، ص 72.
- (25) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2000، ص 98-99.
- (26) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج بن باديس الأدبي، ص 188.
- (27) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 97.
- (28) محمد بن سعد الدكان، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، مركز نماء، لبنان، ط 1، 2014، ص 222.
- (29) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دارالجنوب، تونس، ط 1، 2011، ص 47.
- (30) عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع، 2013، ص 282.
- (31) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 115.
- (32) طه عبد الرحمن، منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، العدد 12، 1986، ص 123-133.

الاسم واللقب: سهيلة بوطيب

المؤهل العلمي: دكتوراه تخصص لسانيات تطبيقية.

المؤسسة الأصلية: جامعة تيسمسيلت .

البريد الإلكتروني: souhielamama@gmail.com

رقم الهاتف: 0671979520

نوع المشاركة: مداخلة في الملتقى الوطني الموسوم بـ: البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث .

عنوان البحث: البلاغة العربية الجديدة بين الحجج المنطقي أم الحجج اللساني – من خلال جهود جابر عصفور نموذجاً - .

محور المشاركة: المحور الثالث: تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية .

المقدمة :

إنّ البلاغة العربية موعلة منذ القدم، على اعتبارها البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار، إذ ترجع إلى عصر اليونان وما جاء من مؤلفات أرسطو وأفلاطون، فضلاً عن ظهورها في الدراسات المعاصرة مع شايبم و بيرلمان و زميلته تيتكا في أعمالهم المسماة "البلاغة الجديدة"، ولا شك أنّ فكرة وضع تصور جديد للبلاغة العربية في العصر الحديث جاء منطلقه من تلك الاستفسارات و الإشكالات التي طرحها النقاد بخصوص التراث البلاغي، وقدرته على استيعاب المعطيات اللسانية الجديدة، إذ كان ذلك دافعاً لتقويم هذا التراث من خلال النّظر من جديد في مراحل تكوينه أو مرحلة تقنين هذا العلم وأهم منطلقات تجديده وموقف أصحابها من البلاغة القديمة في ظلّ البلاغة الجديدة، حيث خطلت الدّراسات البلاغية العربية مؤخراً في الوطن العربي خطوات هامة، فقد أعيد النّظر في البلاغة العربية من منظورٍ جديدٍ .

سأحاول من خلال المداخلة الموسومة بـ: البلاغة العربية الجديدة بين الحجج المنطقي أم الحجج اللساني – من

خلال جهود جابر عصفور نموذجاً- الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ما هي الجوانب التي تم الكشف عنها في البلاغة العربية في ضوء الدّرس البلاغي الجديد من خلال جهود جابر عصفور؟ ومنها نطرح عدّة إشكالاتٍ فرعية نجيب عنها من خلال هذه الورقة البحثية: ما مفهوم البلاغة العربية الجديدة؟، و ما مفهوم الحجج؟ وما علاقته بالبلاغة الجديدة؟ و أين تكمن طبيعة العلاقة بين الحجج المنطقي والحجج اللساني في البلاغة العربية الجديدة؟

1- مفهوم البلاغة العربية الجديدة ( La nouvelle rhétorique ) :

إن مصطلح "البلاغة الجديدة" من المصطلحات التي أصبحت على اتصالٍ دائمٍ بالتّيار التّداولي في الدّرس العربي، وخاصة مدراس الحجج التي ساهمت في إعادة مفهوم البلاغة في السّاحة تحت مسمى "البلاغة الجديدة" أو "الحجاج". حيث تقوم البلاغة الجديدة بعملية فحص لكل الحجج و البراهين الواردة داخل الخطابات سواء كانت تلك الخطابات موجهة إلى ذاتنا الشخصية التي تتطلب في العديد من المرات تقديم أدلة عقلية منطقية لاتخاذ موقف أو تنفيذ فعل معين .

وهذا ما يُشير إليه النّاقِد "محمد مشبال" في كتابه "البلاغة والأصول" بأنّ البلاغة الجديدة بلاغات متعددة لا يعني تنازعها أو تنافر أقطابها، بل عكس ذلك نجد تداخلاً و تعاضداً بين هذه البلاغات لتأسيس صرح بلاغة عامة مؤهلة لتشكل الخلفية النّظرية، و العدة التّطبيقية لتزويد الدّراسة التّقديمية بما تحتاج إليه لمقارنة الخطاب التّداولي و التّخيلي،

ويذكر محمد مشبال بأن المنجزات الشكلائية و الدراسات الأسلوبية لا يمكن أن تحل محل البلاغة بل تعتبر داخلية في دائرة البلاغات المتشكلة على مدى تاريخ الإنسانية<sup>ii</sup>.

ويزيد قائلا: "فالبلاغة – يرى معظم المفكرين البلاغيين المعاصرين – ماثلة في كل النصوص ، بل إنها مكون طبيعي في أشكال التواصل الإنساني ... هذا هو موضوع البلاغة ، الذي قد يتجسد أحيانا في مجموعة من البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية) ، و أحيانا في مجموعة من الصور و الوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية ( بلاغة المحسنات ) و أحيانا أخرى قد يتجسد في مجموعة من الصيغ التعبيرية و التصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس و الأنواع و الأشكال و النصوص الأدبية (البلاغة الأدبية)"<sup>iii</sup>.

ومن خلال التعريف الذي قدمه محمد مشبال يبين لنا أن البلاغة الجديدة ماهي إلا استنطاق النصوص الواردة و سياقاتها التي جاءت فيها ، فهي مزيج لغوي بين الجانب الفني و الجانب اللساني لتحقيق بلاغة جديدة تهتم بالعملية التواصلية بكل زواياها .

فالدراسات المعاصرة المتأخرة أولت اهتماما بعدة بلاغات خاصة، مثل بلاغة السرد ، و بلاغة الرواية و بلاغة المسرح وكانت تحت مسمى البلاغة الجديدة و تسهم كلها في بناء كليات البلاغة كعلم كلي شامل يُسمى علم الإنسان و اللسان<sup>iv</sup> .

و تُعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية ، وتسعى إلى إثارة النفوس، و كسب العقول عبر عرض الحجج ، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ، ثم يتطور، كما تفحص تلك الآثار الناجمة عن ذلك التطور<sup>v</sup>.

ومن خلال هذا التعريف ندرك أن البلاغة الجديدة ماهي إلا امتداد للبلاغة الكلاسيكية، لكنها تختلف عنها في التقنيات الخطابية و عرض الحجج .

فضلا عن ذلك، ينبغي الإشارة إلى تعارض البلاغة الجديدة مع تقليد البلاغة الحديثة، وهي بلاغة أدبية صرفة، من الأفضل أن تُدعى أسلوبية. إنها تختزل البلاغة في دراسة الوجوه الأسلوبية، فالبلاغة الجديدة على عكس البلاغة الحديثة غير معنوية بشكل الخطاب أو الزخرف أو القيمة الجمالية ، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع ، وخاصة وسيلة للإبداع أي "الحضور" ، (أي جلب أشياء إلى ذهن السامع ليست حاضرة في ذلك الحين) ، وذلك عبر تقنيات التمثيل<sup>vi</sup> .

## 2- مفهوم الحجج :

كثرت الحقول المعرفية التي تناولت الحجج و يختلف مفهومه من حقل لآخر، فنجد مفاهيم فلسفية منطقية، و أخرى قانونية، و أخرى بلاغية وتداولية، وهذا ما جعل دلالة الحجج تختلف من دراسة إلى أخرى، فقد ورد تعريفه في معجم تحليل الخطاب على أنه: >> نشاط لغوي و اجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولة و جهة نظر متنازع فيها لدى مستمع أو قارئ، وذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير أو دحض هذه الوجهة أمام قاض عقلائي >><sup>vii</sup> فهذا التعريف تعريف قانوني للحجاج حيث يشترط وجود طرفين متنازعين أمام قاض يعرض عليه كل طرف مبررات تخدم وجهة نظره .

ويُعرفه أوتس ماس (UTZ Maas) بكونه: >> سياق من الفعل اللغوي تُعرض فيه فرضيات أو مقدمات و ادعاءات مُختلفة في شأنها، هذه الفرضيات المقدمة في الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي >><sup>viii</sup>

أما عند ديورا شيفرين (Deborah Schiffrin): >> جنس الخطاب ، تبني فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة ، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم >><sup>ix</sup>.

ومن خلال تعريف ديورا شيفرين أن الحجج جنس من الخطاب يقوم على غرض الإقناع و الإفهام و الدفاع عن موقف شخصي .



أما لشاييمبيرلمان (1912- 1984) (ChaimPerelmen): >> حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه ، أو زيادة في حجم هذا الإقناع>><sup>x</sup>.

وهنالشاييمبيرلمان قدم هذا التعريف مركزاً على وظيفة الحجج في تبني موقف معيّن وإقناعه و التأثير فيه باللجوء إلى حجج (Arguments) تبرز صحّة هذا الموقف .

أما أبو بكر العزاوي فقد عرّفه على أنّه: >> تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، و بعبارة أخرى يتمثل الحجج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الأخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها >> .

يوضح أبو بكر العزاوي أن الحجج عبارة عن تسلسل قولي يبدأ بتقديم حجة ويخلص إلى نتيجة .

#### العلاقة بين البلاغة الجديدة والحجاج :

ثمة تداخل كبير في التعريفات بينهما عند الكثير من الباحثين، ذلك لأنّ المجددين للبلاغة الغربية، أمثال رولان بارت وغيره، أرادوا أن تنتعش البلاغة بما تحويه من خاصية إقناعية يتسم بها الخطاب الحجاجي، فلا يكون النصّ حجاجياً، من وجهة نظر البلاغة الجديدة، إلا حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصداً تأثيرياً مضمراً أو معلناً، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب، أو حملته على مزيد من الموافقة داخل مسار تواصل غير إلزامي<sup>xi</sup> .

لهذا فإنّ بلاغة الحجج تتصف بالبنية إذ نجدتها في الأدب بجميع أنواعه، وفي الفن بجميع مظهراته الجمالية، مثلما نجدتها في علم النفس والاجتماع والقانون والإعلام وغيرها، لأنّها تتسم بإقناعية استطاعت أن تتوغل إلى جميع العلوم والمعارف، وهذه الخاصية الإقناعية في البلاغة الجديدة جعلت اختيار الحجج بتحديد بعنصرين هما :

- الانطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج .
- مراعاة المقام، وذلك لأنّ المحاجة لا تُؤتي أكلها إلا إذا اعتمدنا على حجج مضادة للحجج التي يركز عليها الخصم في بناء خطابه.

ولهذا ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطاً لا انفصام له، وذلك باعتماد تقنيات البلاغة في عملية الإقناع، كما أنّ العوامل والروابط تُعتبر في نظرية الحجج والبلاغة الجديدة عنصرين من العناصر التي تساعد على انسجام الخطاب حتى يصل إلى مبتغاه من توجيه المتلقي إلى النتيجة المرادة أو ما يُسمى بالوجهة الحجاجية<sup>xii</sup> .

والحديث عن البلاغة وحجاجياتها خاصة بعد انتقالها من لغة موضوع إلى لغة واصفة، يجعلنا ننظر إليها أنها أضحت "تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب والأسلوبية والقراءة" وغيرها، وهذا يجعلنا ننظر إلى البلاغة على أنّها "ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم ، بل تنزع إلى أن تُصبح علماً واسعاً للمجتمع"<sup>xiii</sup> .

وهنا ندرك أنّ البلاغة تسعى للتوغل في مختلف العلوم المعرفية والإنسانية من أجل رونقها ببعدها الجمالي وتحقيق خاصيتي التّواصل والتأثير وإقناع المتلقي .

فيشير "صابرالحباشة" في كتابه "التداولية والحجاج" إلى أنّ الحجج ماهو إلا وظيفة من وظائف البلاغة، وعليه فليس "الحجاج علماً/فنّاً يُوازي البلاغة : بل هو ترسانة من الأساليب والأصوات يتم افتراضها من البلاغة (ومن غيرها ، كالمناطق واللغة العادية ...) ولذلك فمن اليسير اندماج الحجج مع البلاغة في كثير من الأساليب"<sup>xiv</sup> .

ويبين صابر الحباشة أنّالحجاج يُوازي البلاغة من حيث الأساليب والأصوات -البعد الجمالي - فعليه فإنّ التداخل بين البلاغة والحجاج أمرٌ جائزٌ .

كما يقول "صابر الحباشة" : وفي هذا الإطار وجدنا البلاغة الجديدة في علاقتها بالحجاج "تهدف إلى التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضاً بالشروط التي تسمح للحجاج بأنّ ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التّصور"<sup>xv</sup> .

وفي هذا الصدد يُرجح أنّ البلاغة الجديدة لها علاقة وطيدة بالحجاج باعتبار كليهما يهدفان إلى التقنيّات الخطابية من أجل إثارة نفس المتلقي و كسب العقول من خلال عرض الحجّة، فالبلاغة هي الوعاء الذي تسكب فيه الوظائف الحجاجية خطابها .

وخلاصة القول أن البلاغة و الحجاج هما علمان قائمان أحدهما يكمل الآخر، ويظهر جلياً من خلال التقنيّات الخطابيّة لإثارة النفس و إقناع المتلقي و عرض الحجج للمرسل، وعليه فإنّ البلاغة و الحجاج وجهان لعملة واحدة.  
-نشأة البلاغة العربية الجديدة :

اقتصرت مهمة الدارسين في العصر الحديث على التعريف بالتراث البلاغي، من خلال كتابة تاريخه، حيث كان همّ الطلاب في تلك الفترة أن يضع الباحثون كتباً، تجمع مراحل هذا العلم، وهو ما دفع أحمد مصطفى المراغي إلى تحقيق ذلك من خلال عمله الموسوم بـ "تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها" الذي صدر سنة 1950، وتقوم خطة الكتاب على شرح الأطوار التي مرّت بها البلاغة العربية منذ بدء التصنيف، حين كانت بحوثاً مبعثرة في كتب النّقد و الموازنات و إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني<sup>xvi</sup>.

ومن الدّراسات الرائدة في تلقي هذا التراث البلاغي من خلال الكتابة التّاريخيّة، كتاب شوقي ضيف (1910-2005): "البلاغة تطوّر و تاريخ"، الذي يُعدُّ أهم الأعمال التي فتحت الباب أمام الباحثين للتهووس بهذا التراث من خلال التعريف به و كتابة تاريخه، وتعدى الأمر إلى تفسيره و تأويله، لم يكن العمل الذي قدّمه شوقي ضيف سرداً تاريخياً فحسب، بل حاول بوعي أن يبحث عن حلقة وصل بين مرحلة تاريخيّة و أخرى، و أن يربط بين الجانب البلاغي و الجانب الأدبي<sup>xvii</sup>.  
مادام موضوعنا يدور حول الكيفية التي تمّ بها تلقي التراث البلاغي بشموليته، فإننا نذكر بعض الدّراسات التي كان هدفها دراسة مشكلات البحث البلاغي في العصر الحديث، سواء من خلال جزئية الأرسطي في البلاغة حيث نجده في عمل طه حسين (1889 – 1973 م) عندما شملت دراسته التّفكير البلاغي العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني أو عند اللّذين اشتغلوا على بلاغة السّكاكي، كذلك الدّراسة التي قدمها بدوي طبانة (1914-2000 م) ونشرها سنة 1956 م، حاول من خلالها دراسة تطور فكرة البلاغية عند العرب و الوقوف على مناهجها ومصادرها الكبرى، و حاول البحث عن مفهوم للبيان العربي عند واضع اللّغة، وكيف تطوّر مفهومه في أذهان العلماء<sup>xviii</sup>.

ومن الكتابات التي نظنّ أنّها قدّمت كتاباً جديدة لتاريخ البلاغة العربية، العمل الذي قدّمه علي عشري الزايد، الموسوم بـ "البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها" ونُشر عام 1977 م، وكان موضوع كتابه البحث عن منهج التّأليف البلاغي عند العرب، وخلص إلى أنّ البلاغة عرفت في تطورها أربع مراحل وهي: المنهج التّجميعي (أثار البيان و التّبيين)، و المنهج الانطباعي (الكامل للمبرد)، و المنهج التحليلي الفني (كتابات عبد القاهر الجرجاني)، و المنهج التقني المنطقي (مفتاح العلوم للسّكاكي)<sup>xix</sup>،

إنّ فكرة تصنيف الكتابات البلاغية وفق مناهج معينة استلهمها باحثون آخرون بعد علي عشري الزايد، إذ نرى أحمد مطلوب قد اشتغل لفكرة "مناهج"، وبحث في الدّراسات البلاغية المختلفة.

وتأثر بهذا النوع من قراءة التراث عبد السلام عبد الحفيظ، في كتابه الموسوم بـ "مناهج البحث البلاغي في الدّراسات العربية" الذي صدر سنة 1978 م في القاهرة، حيث تناول فيه مباحث البلاغة في الدّراسات الغير بلاغية كاللغوية العامة و النحوية، و الدّراسات القرآنية ككتب المجاز القرآن و إعجازه، وفي الدّراسات النّقديّة و الأدبية<sup>xx</sup>.  
و الحق أنّ الدارسين اتسمت كتابتهم بالسرد التّاريخي في تلقي هذا التراث، ولا يسمح المجال بعرضها كلّها، و تُعتبر دراسات قيّمة نجحت في تقديم تاريخ البلاغة العربية، وفتحت المجال للباحثين في تقديم دراسات حول موضوعات جديدة نذكر منها الصّورة الأدبية لمصطفى ناصف و الصّورة الفنيّة في التراث النّقدي و البلاغي لجابر عصفور.

ومن هنا ابتدأ البحث عن قراءة جديدة للتراث البلاغي وفق مقولات الدرس اللساني متأخرا مقارنة مع القراءة الممارسة في التراث النحوي العربي، وهذا النوع من القراءة يرتكز على منهجية بنيوية لسانية تختلف عن المناهج الخارجية التي لاحظنا بخصوصها سيطرة المنهج التاريخي عند من حاولوا قراءة البلاغة القديمة أمثال شوقي ضيف و بدوي طبانة و عشري الزايد وغيرهم ممن سلك هذا المنهج<sup>xxi</sup>.

ومن ثم فإنّ هذا النوع من القراءة فتح المجال أمام الباحثين العرب للنظر من جديد في التراث البلاغي وفق مقولات علم اللغة الحديث بغية البحث عن علمية البلاغة لتكون مشاركة في صناعة أدبية الأدب ، إذ ظهرت بعد ذلك بعض المحاولات التي حاول أصحابها الوصول إلى تقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية ، على غرار محاولات حمادي صمود و محمد عمري و محمد عبد المطلب و جابر عصفور و غيرهم<sup>xxii</sup>.

اهتم الدارسون في العصر الحديث و المعاصر بالتراث البلاغي، و أسهم ذلك في ظهور العديد من الدراسات و الأبحاث العربية لأجل استنطاق الموروث البلاغي، وتصنيف مراحل تطوره انطلاقاً من مرحلة النشأة ثم التطور و النضج و استكمالاً بمرحلة الاستقرار ، وهي الكتابة التي تغيرت ملامحها بين جيل تبني المنهج التاريخي عند الرواد المحدثين أمثال شوقي ضيف و أحمد مصطفى المراغي ..... وغيرهم، و آخرين استعاروا الأدوات اللسانية و قدموا تاريخ البلاغة بصورة معاصرة مختلفة أمثال حمادي صمود و محمد العمري .... وغيرهم .

#### 4-البلاغة العربية الجديدة بين الحجاج المنطقي و اللساني :

هناك من يعتقد أن البلاغة لم يعد يفهم منها سوى وظيفتها في تنميق الخطاب وزخرفته وجماليته ولا علاقة لها بالإقناع يقول محمد الولي : << وفي هذه الحالة مادامت نواة البلاغة الحجاجية قد ألحقت بالمنطق فقد اختزلت البلاغة العامة في صيغتها الأرسطية... إلى بلاغة محسنات و زخارف >><sup>xxiii</sup>

وهنا يبين محمد الولي بأنّ البلاغة الجديدة قد انحصرت في دائرة المنطق و بعدها الجمالي من محسنات و زخارف و اختزالها للبلاغة التي كانت آنفاً.

إن البلاغة من هذا المنظور أصبحت بلاغة محسنات و زخارف و استعارات جمالية، والبلاغة على عكس ذلك فهي ذات صلة وثقى بالحجاج، ووسيلة للإقناع، كما أنّها تبحث في استعمال الخطاب من أجل أن يكون مقنعاً؛ كما أن علاقة الحجاج أشكال

مثير و معقد منذ القدم، فقد اهتم القدماء مقبلاً لمحدثين، و نعين بالقدماء فلاسفة اليونان و بالتحديد أرسطو و البلاغيين العرب<sup>xxiv</sup>. نجد البلاغة الأرسطية قد خصصها أرسطو لمجال الإقناع و آلياته حيث تشتغل على النصّ الخطابي في المقامات الثلاثة (المشاورة ، المشاجرة و المفاضلة) فخطابة أرسطو تضمنت عناصر حجاجية و أسلوبية كما أن أجناسها الثلاثة قابلة لاحتواء أصناف الخطاب الاحتمالي المؤثر، و يُمكن أن نعتبر خطابة أرسطو هي البلاغة العامة بالمفهوم الجديد، التي أصبحت مجالاً خصباً للبحث في الدراسات البلاغية الحديثة<sup>xxv</sup>.

كما نجد المنطلقات و المصادر و مسارات البحث قد تعددت في الدرس البلاغي العربي قديمه و حديثه، وهذا ما جعل البلاغة العربية تستجيب لكل المقاربات الحديثة ، حيث نجد الحجاج جاء في عدّة صيغ كالبيان ، و المقام .... و قد استخلص "محمد العمري" في كتابه "البلاغة العربية و أصولها و امتداداتها"، إلى أن البيان عند الجاحظ قد اهتم بالفهم و الإفهام، فيقول : << مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي : أي أنّه العملية الموصولة إلى الفهم و الإفهام في حالة اشتغالها ... فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان و التبیین هما الفهم و الإفهام بالوسائل المختلفة : الوسائل اللغوية و الإشارية خاصة >><sup>xxvi</sup> ، و بذلك يشير محمد العمري في كتابه إلى أن مشروع البيان يرتكز على نظريتين أساسيتين هما : نظرية المعرفة و نظرية الإقناع و الإفهام، و من هنا فإنّ البيان هو كل ما يهدف إلى الإقناع و التأثير و الاستمالة بما هو معرفي و إقناعي.

كما نستخلص أن كلمة "بلاغة" بالمعنى العربي وكلمة "خطابة" بالمعنى الإغريقي، ظهرت عند الغرب و العرب في حقل واحد وهو الإقناع .

كما تحدث البلاغيون العرب عن المقام و مقتضى الحال، إذ تناولوه " أبو هلال العسكري (920 م- 1005 م) " في كتابه " الصِّناعتين " حيث ربط المقام بتغيير الغرض المنشود، فباختلاف الغرض المنشود يختلف المقام، ففي هذه الحالة خطابيًا يتمثل الخطيب والمخاطبين ، أما إذا كان المقام شعريًا فغرضه يتمثل في الاستمالة و الإثارة ، ولكن يجب أن يستعمل كل من الخطيب والشاعر وسيلة للتأثير واقتناع المتلقي، فالمقام يهتم بالمتلقي كونه العنصر الأساسي الذي يتوجه إليه الخطاب أو الشعر ...<sup>xxvii</sup>

كما نجد فكرة المقام عند " السَّكَّاي (1160 – 1229 م) " في مؤلفه " مفتاح العلوم " حيث وردت المقامات عنده مختلفة ، كما أن أشكال الاستعمال اللُّغوي في مختلف العلاقات الاتصاليَّة تنوع و تختلف بحسب مقتضيات هذا الاتصال ، فمقام المتكلم يختلف على مقام السَّماع ، كذلك مقام الكلام يتغير من واحد إلى الآخر، فمثلا الكلام مع الذكي يتطلب مقامًا معينًا ومع الغبي يتطلب مقامًا آخر ، لذلك قال " فإذا شَرَعْتَ في الكلام فلكلِّ كلمة مع صاحبها مقام <sup>xxviii</sup> فإن المقام يلعب دورًا فعالاً في الدرس البلاغي لكونه يُمارس الخطاب الإقناعي ويُحاول مراعاة الألفاظ للأغراض والمقاصد الحجاجية الكلامية من أجل تحقيق هدف الإقناع .

و هنا لا بد من الإشارة إلى ما قام به الكاتب "أحمد حسن الزيات(1885 – 1968)" في صحيفته الرائدة "الرسالة"، من خلال مقالاته الأدبية وما أتاحه للأدباء و الكتاب والباحثين من التجديد في أمور الأدب و الفن عمومًا، و الأساليب البلاغية و البيانية على وجه الخصوص، ويُعد كتابه "دفاع عن البلاغة" أحدث نقلةً نوعيَّةً في البلاغة و البيان حيث قام بالاعتناء بتجويد الأسلوب والاقتدار على إبداع الجمال، وتُعد البلاغة عنده بالعقل و الذوق معًا، ويقوم عملها على الجمع بين الفكرة و الكلمة و ممارسة الإقناع عن طريق التأثير في عقول النَّاس و قلوبهم و إمتاعهم عن طريق التَّشويق و التَّربيع <sup>xxix</sup> .

كما أنَّ " حمادي صمود" ارتكز في أطروحته على رؤية الجاحظ لبلاغة البيان، حيث اهتم بالحجاج و الجدل المنطقي، وأولى المتكلم (منشئ الخطاب) مكانةً كبيرةً إلى جانب اهتمامه بالحدث الكلامي <sup>xxx</sup> ، ومن هذا المنطلق قد شكل الدرس البلاغي نقطة تحول تجاوز فيها تناول المدرسي للبلاغة العربية القديمة، وحسب تعبير أحمد الشايب تجاوزت فلك المنهج القديم، وانفتحت على معطيات عصرها ومنجزاته المعرفية و المنهجية و الثقافية، فإنَّها في الآن نفسه بثت روحًا جديدة في تناول النقدي للبلاغة العربية، نهض بها نقاد باحثون استطاعوا بناء وتشكيل نظريات بلاغية جديدة استوعبت الدرس البلاغي في أصوله وتاريخه، وانفتحت على مناهج القراءة في الفكر المعاصر اللسانيَّة والسيميائية والفلسفيَّة <sup>xxxi</sup> .

وقد استثمر صمود في هذه القراءة الجديدة التي قدمت رؤية شاملة للبلاغة العربية، المكتسبات المستجدة في المناهج المعاصرة، خصوصًا اللسانيات، و الأسلوبية و الشعريَّة، وعرفت المقاربة النَّقدية و المناهجية لصمود تطورًا لافتًا من شعريَّة الخطاب إلى نظريات الحجاج وتحليل الخطاب، حيث تحول البحث من النظر إلى البلاغة بوصفها معطى إبداعيًا وتخييليًا، إلى البحث فيها باعتبارها حجاجًا وتداوليًا، وقد استثمر صمود في هذا التَّحول المعرفي والمنهجي المنجزات الكبيرة في مجال العلوم الفلسفية و اللسانيَّة والسيميائية وفلسفة اللُّغة .

ومن خلال هذه العلوم نهضت قراءته الجديدة للبلاغة العربية التي من أهم تجلياتها إنتاج المفاهيم، و التَّنظير لأسس القراءة و التَّأويل للنص البلاغي خصوصًا، ونصوص الثقافة العربية الإسلامية عمومًا وفتح الآفاق المشرعة للولوج إلى عالم البلاغة الجديدة، كما أنَّ محمد العمري شغل شغله الشاغل في إنشاء بلاغة عامة، انطلاقًا من التراث البلاغي العربي وأنساقه الكبرى، بحيث اعتمد على أمهات الكتب البلاغية من البلاغيين القدامى أمثال "عبد القاهر الجرجاني" في

كتابه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" و "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم"، ووضع يده على مفاسل البلاغة العربية، وفسر خلفيات مشاريعها ومنجزاتها، مستكشفا مساراتها الكبرى، في ضوء أسئلة العصر الحاضر مستفيداً من الدراسات المعاصرة في الشعرية و نظرية الأدب و المعرفة الجديدة .

وخلص إلى أنّ البلاغة تجمع بين البعدين التخيلي الشعري، و التداولي الخطابي مستفيداً من النظريات الحديثة والمعاصرة على الاحتمال و التأثير، فيشمل الاحتمال التخيل و التداول، أي الخطاب التداولي الحجاجي والخطاب التخيلي الشعري، مع إمكان تداخل الحجاجي و الخطاب التخيلي الشعري، و تداخل الجنسين في جنس واحد بنسب متقاربة أو متفاوتة، أما التأثير أو التأثير في نفوس المتلقين وعقولهم من أجل استمالتها، فهو الصفة التواصلية الحوارية لكل نص بلاغي في ارتباطه بالمقام .

وانطلاقاً من هذه الرؤية المستوعبة للمنجزات البلاغية - قديماً وحديثاً- تجاوز العمري تعريفات البلاغة - التي لا تنتهي- بخلفياتها المعرفية و الإجرائية المختلفة، وقدم تعريفاً موحداً لها بقوله: >> هي العلم الذي يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر، تخيلاً وتداولاً، أو هما معاً << .

فقامت بلاغته الجديدة على مثل هذه التعريفات الجامعة، وما تحمل من مصطلحات شبكية دقيقة، مثل الاحتمالو التأثير و التخيل و التداول، وغيرها من المصطلحات التي تسلحت بها هذه البلاغة الجديدة لتشييد معارمها، وتأييد فضاءاتها .

ومن الاتجاهات البلاغية الحديثة و المتطورة للبلاغة العربية الاتجاه الذي بلوره الناقد و الروائي الجزائري "حبيمونسي" في كتابه " بلاغة الكتابة المشهية نحو رؤية جديدة للبلاغة العربية"، وقد خصصه للتعامل مع النصوص الأدبية تعاملًا و صفيًا يتجاوز معيارية البلاغة التقليدية، حيث ركز على الإبداعية و الجمالية و الأساليب البيانية العربية واستعرض تعريفات البلاغيين العرب لهذه الأساليب، ووجه نقدًا لادعًا للطابع العقلي و المنطقي وانفتح على القراءات المعاصرة مركزًا على التفسيرات النفسية و الجمالية للشعر<sup>xxxii</sup> .

هذه بعض المشاريع العلمية التي اعتمدت التراث البلاغي العربي في قراءتها التجديدية، ووقفت في تشييد أنساق بلاغية، مستفيدة من الدراسات البلاغية الغربية في علاقتها الحيوية بقضايا البلاغة الجديدة، وطرق تحليل الخطاب. ولعل هذه الروح الاستمولوجية العالية في التعامل مع أصول البلاغة العربية القديمة ومناهج النقد الحديث، هو ما جسد طموح هؤلاء الرواد لتجديد الدرس البلاغي العربي، وبناء أنساقه الجديدة .

ومع منتصف القرن العشرين أصبحت البلاغة في ثوب جديد، لأنها كانت تعنى بوصف قواعد الخطابات والأجناس الأدبية، وتصنيف الصور البلاغية والمحسنات البديعية، وتبيان وظائفها في ضوء مناهج معاصرة لسانية وبنوية وسمائية و شعرية، ولم تقتصر البلاغة الجديدة على ماهو لساني في دراسة الصور و الخطابات الأدبية، بل كانت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية و الأخلاقية و الاجتماعية و القانونية و السياسية، فبعضهم يرى الاعتماد على تراثنا في البلاغة و جعله أساساً للتجديد، و أنّ التجديد يجب أن يكون نابغاً من رُوحنا ومجتمعنا وتكويننا و فطرتنا ودوقنا<sup>xxxiii</sup> .

ومن هنا ابتدأ البحث عن قراءة جديدة للتراث البلاغي وفق مقولات الدرس اللساني متأخراً مقارنة مع القراءة الممارسة في التراث النحوي العربي، وهذا النوع يرتكز منهجية بنوية لسانية تختلف عن المناهج الخارجية التي لاحظنا بخصوصها سيطرة المنهج التاريخي عند من حاولوا قراءة البلاغة القديمة أمثال شوقي ضيف، وبدوي طبانة، وعشري الزايد، ومن سلك هذا المنهج فهو يأخذ من اللسانيات ويقوم على نقد و تقويم التراث البلاغي، و يأخذ شكل النقد البنيوي الذي >> يرتكز في دراسة الأدب باعتباره ظاهرة لغوية قائمة في لحظة معينة تُمثل نظاماً شاملاً، و الأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات نظم، و تحليلها يعني إدراك علاقتها الداخلية، ودرجة ترابطها و العناصر المنهجية فيها و تركيبها بهذا النمط الذي تؤدي به وظائفها الجمالية المتعددة <<<sup>xxxiv</sup>

نبذة عن حياة جابر عصفور:

-نشأته:

جابر أحمد عصفور ولد في محله الكبرى ( 25 مارس 1944 م - 31 ديسمبر 2021 م)، كاتب ومفكر وباحث أكاديمي مصري، كان رئيس المجلس القومي للترجمة، وأميناً عاماً بالمجلس الأعلى للثقافة العربية في مصر ووزيراً للثقافة فيها منذ 2007 م<sup>xxxv</sup> والمكتب التنفيذي في " المجلس القومي للمرأة " وسكرتير عام لـ " الرابطة المصرية لاتحاد كُتاب آسيا و أفريقيا"، كما شغل عضوية لجان تحكيم كل من " جوائز الدولة التشجيعية في مصر"، وجائزة "مؤسسة التقدم العلمي" في الكويت، وجائزة "سلطان العويس"، كما شغل منصب وزير الثقافة، ومدير "المركز القومي للترجمة" بين 2007 و 2011، و الأمين العام لـ "المجلس الأعلى" بين 1933 و 2007، كما تولى عدة مناصب في "جامعة القاهرة"، منها عميد ومدرس مساعد ومدرس وأستاذ مساعد، و أستاذ في النقد الأدبي، كما أنه تولى عدة مناصب مختلفة كأستاذ و مستشار و رئيس تحرير وغيرها، وحاصل على عدة شهادات كالليسانس والماجستير والدكتوراه في جامعة القاهرة بمصر، كما كانت له عدة مشاركات في عشرات المؤتمرات و الندوات التخصصية داخل و خارج الوطن العربي، متحصلاً على عدة جوائز وطنية و دولية نذكر منها:

- جائزة أفضل كتاب للدراسة النقدية، من وزارة الثقافة المصرية -القاهرة -.
- جائزة أفضل كتاب في الدراسات الأدبية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي -الكويت -.
- جائزة أفضل كتاب في الدراسات الإنسانية، معرض الكتاب الدولي -القاهرة -.
- الوسام الثقافي التونسي من رئيس الجمهورية التونسية<sup>xxxvi</sup>.

-مؤلفاته:

سنذكر أهم مؤلفاته التي تتمثل في :

- الصّورة الفنيّة في التّراث النّقدي و البلاغي.
- مفهوم الشّعور و دراسة التراث النقدي.
- المرايا المتجاوزة (دراسة في نقد طه حسين).
- قراءة التّراث النقدي.
- التّنوير يواجه الإظلام.
- محنة التّنوير.
- النّظرة الأدبية المعاصر.
- آفاق العصر.
- الترجمة : عصر البنيوية.

وهناك العديد من المؤلفات للكاتب جابر عصفور ذكرنا أهمها تداولاً في الأدب العربي عمومًا<sup>xxxvii</sup>.

إسهامات جابر عصفور في الدّرس البلاغي الجديد :

انكب الدّارسون المحدثون على قراءة التراث العربي في البلاغة العربية الجديدة إيماناً منهم بما يتضمنه هذا التّراث من مؤلفات ذات أهمية قصوى ومن أفكار و تصورات جعلتها محل اهتمام الباحثين العرب، ويندرج هذا البحث في قراءة المحدثين للتّراث البلاغي و دراسة تصوراتهم ومناهجهم، واخترنا قراءة جابر عصفور نموذجاً لهذه الدّراسة، نظراً لقيّمته و مكانته في الثقافة العربية بصفة عامة، و البلاغة العربية بصفة خاصة، و لاهتمامه بقضايا التراث النقدي و البلاغي و

لغزارة كتابته بهذا المجال، ولأنَّ الرجل منفتحٌ على النظريات النَّقدية المعاصرة ترجمةً وتأييماً، وتتأكد هذه القيمة أكثر، بالنظر إلى رجوع عدد من المؤلفين البارزين و الباحثين المهتمين بقضايا التراث إلى كتاباته و دراساته .  
لقد اتسمت قراءة جابر عصفور لهذا التُّراث بالنسقية و الإحاطة الشُّمولية التي أفرزت تلك نصوص و أنتجته، وهكذا نجد قراءته تربط النُّصوص بمختلف الأنساق المعرفية، في محاولة جريئة لا تتوقف عند حدود التلقي المباشر السلبي أو عند حدود الاجترار و الإبلاغ، بل تُساهم في إنتاج وجهة النظر و إنتاج تفسيرات تسعى إلى إعادة بناء ذلك الخطاب، وكشف المسكوت عنه .

تُعد هذه الدِّراسة من الدِّراسات السابقة في مقاربتها للتُّراث النقدي و البلاغي مقارنةً نسقية، حيث تأخذ هذه الدِّراسة لتسليط الضوء على (الصُّورة الفنية) في تراثنا النقدي و البلاغي ، و تعامل مع هذا الموضوع من خلال النظر في علاقاته المتفاعلة مع باقي العلوم و المعارف، و التي ساهمت في إغناء هذا الموضوع مثل ربطه بالفلسفة و علم الكلام و اللُّغة و التفسير، و يقول في هذا الصِّدد: >>ومما حتم ذلك التَّعامل أن المنظرين الأساسيين للنقد و البلاغة العربيَّة كانوا من المتكلمين و الصلة بين المتكلمين و الفلاسفة صلة وثيقة، فضلاً على أنَّهم كانوا علماء لغة أو تفسير بارزين ، و لا أدل على ذلك من الجاحظ و الرِّماني و الزمخشري المعتزليين و عبد القاهر الجرجاني و الباقلاني الأشعريين ... << ، وهنا جابر عصفور يُسلط الضوء على مفهوم الصُّورة الفنية و التَّعرف على أصولها و امتداداتها بالنظر إلى التراث العربي<sup>xxxviii</sup> .  
نجد في ثنايا هذه الدِّراسة بعض الحقول المعرفية الأخرى التي استعان بها جابر لمعالجته لهذا الموضوع ، من ذلك :

#### علم النفس :

وقد تطرق لهذا العلم في معرض حديثه عن التخيل ، و أشار على أن هذه الكلمة كانت تستخدم للإشارة إلى بعض الظواهر النَّفسية التي يُمكن إدراجها تحت ما نسميه الآن بـ"سيكولوجية الإدراك، و ذلك لأنَّ الكلمة كانت تستخدم للإشارة إلى عمليات التَّوهم، و ما يتصل بها من تشكُّل الأوهام الكاذبة في النفس بفعل مخادعة الأشخاص، أو بتأثير الخوف أو المرض<sup>xxxix</sup> .

#### التَّصوف :

قدم المتصوفة أفكاراً مهمةً وهي بدورها أحدثت انقلاباً في التَّفكير البلاغي و غيرت من طبيعة النظرة العدائية إلى الخيال الشعري، ويُشير جابر في هذا الصِّدد لما قدمه ابن عربي في الموضوع، في النظرة المتصوفة للخيال عمومًا، ساهمت في إغناء الحقل البلاغي وفتحت آفاقاً رحبة في كشف عمق تلك العلاقات<sup>xl</sup> .  
وفي كتابه "البلاغة العربية" رجَّح الكفة الثانية للبلاغة، وهي الخطابية، انطلاقاً من تاريخية البلاغة العربية، بدءاً من التَّوجه المعرفي للجاحظ في رسم بلاغة عربية تنهض على الفهم و الإفهام إلى القرطاجني في مزاجته بين الشِّعرية والخطابية .

وبتأصيله لهذين البعدين للبلاغة العربية، وكشفه عن معاملها، وبيانه للإشكالات المعرفية والمنهجية التي يطرحها، بحيث قدم تصوره وسماه بـ "البلاغة العربية"<sup>xli</sup> .

لقد اتسمت قراءة جابر عصفور لهذا التُّراث البلاغي بالنسقية و الإحاطة الشُّمولية التي أفرزت تلك النصوص و أنتجته، وهكذا نجد أنَّ قراءته تربط هذه النُّصوص بمختلف الأنساق المعرفية ، في محاولة جريئة لا تتوقف عند حدود التلقي المباشر السلبي أو عند حدود الاجترار و الإبلاغ ، بل تُساهم في إنتاج وجهة النَّظر و إنتاج تفسيرات، تسعى إلى إعادة بناء ذلك الخطاب و كشف المسكوت عنه<sup>xlii</sup> .

لقد ختم جابر عصفور كتابه "الصورة الفنية" بقوله: >> لقد حاولت أن أتعامل مع التراث النقدي و البلاغي على أساس النظر إلى علاقته المتفاعلة بغيره من العلوم و المعارف التي ساهمت في تراثه أو توجيه مسار قضاياها الأساسية المرتبطة

بمبحث الصورة، مثل الفلسفة و علم الكلام و اللّغة و التّفسير، مما حتّم ذلك التّعامل أن المنظرين الأساسيين للنقد و البلاغة العربية كانوا من المتكلمين و الفلاسفة صلة وثيقة، فضلاً على أنّهم كانوا علماء لغة أو تفسير بارزين . <<<sup>xliii</sup>.  
وعيه فإن جابر عصفور من خلال حديثه عن البلاغة العربية يُقر بأن إسهاماته كانت قائمة في الأساس على التراث البلاغي، مع الأخذ بعين الاعتبار تداخلها مع باقي العلوم المعرفية و الإنسانية و الاجتماعية، لأنها تحمل في طياتها الجانب الجمالي و الفني في تقنياتها الخطابية و هذا ما جعلها تتداخل مع نظرية الحجاج .  
خاتمة :

وفي ختام بحثنا يمكن تلخيص ما جاء فيه بجملة من التّائج، تُعد بمثابة استنتاجات توصلنا إليها من خلال هذا العرض، نُوردها على النحو التّالي :

تُعد البلاغة سمة بارزة في اللّغة، وعلى هذا الأساس وجدنا الفلاسفة و اللّسانيين و البلاغيين على شتى مشاربهم يُركزون بحثهم عليها، بوصفها أداة وظيفية للحجاج ووسيلة الإقناع و التأثير على المتلقي .  
إنّ التّراث البلاغي شكّل وجهاً من أوجه الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، فإن معاودة البحث فيه وسبر أغواره من أجل الحصول على إجابات لا تزال تشجذ همّة الباحثين و المتخصصين و تجعلها قادرة على استيعاب المعطيات العلمية الجديدة .

تبلورت البلاغة العربية الجديدة في مزيج بين الحجاج المنطقي و الّذي مثل الجانب التراثي البلاغي في تقديم التّصورات و المعطيات المعرفية، و الحجاج اللّساني الذي قام بدور إقناعي تأثري للبلاغة العربية الجديدة حاملاً بين طياته التقنيات الخطابية للولوج إلى نفس و ذهن المتلقي .  
إنّ البلاغة العربية الجديدة فتحت المجال أمام الباحثين العرب للنظر من جديد في التّراث البلاغي وفق مقولات علم اللّغة الحديث بغية تقديم قراءة جديدة للبلاغة العربية.

الملاحظ أن التّصورات المختلفة الّتي قدّمها الباحثون العرب لتجديد البلاغة العربية نظرت إلى التّراث البلاغي جزئياً، و غابت النّظرة الشّمولية الّتي من شأنها أن تعطي ثماراً تُفيد البلاغة العربية في الوقت الرّاهن.  
اتسمت قراءة جابر عصفور للتّراث البلاغي بالنّسقية و علاقة هذا التراث ببقية الحقول المعرفية الأخرى، فالنص التراثي عنده ليس بنية مغلقة منعزلة عن نفسها، بل هو بنية مفتوحة تستحضر مختلف الأنساق الّتي ساهمت في إنتاج تلك النّصوص، فهي نشأت و تطورت وفق نسيج من العلاقات المعرفية و التّاريخية و اللّسانية في سياق ثقافي و فكري و سياسي .

يُعد جابر عصفور من الأدباء العرب الّذين ركزوا على التراث البلاغي بصفة خاصة وربطه مع مختلف العلوم المعرفية بصفة عامة، وهذا ما شهدناه في تنوع دراساته في مختلف الميادين الأدبية و العلمية ، نظراً لتطلعاته على الدّراسات العربية القديمة و الغربية الحديثة ، مما مكنته في إثراء التراث البلاغي و النقدي و تركيزه على الصّورة الفنيّة و إسهامه في إحياء التراث البلاغي العربي و دمجه مع العلوم المعرفية و اللّسانية و الحجاجية.



## قائمة المصادر والمراجع :

- <sup>i</sup> يُنظر: طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان والتكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2 ، 2006 ، ص: 230
- <sup>ii</sup> يُنظر: محمد مشبال ، البلاغة والأصول أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 ، د/ط ، ص: 07
- <sup>iii</sup> يُنظر: المرجع نفسه ص: 08 .
- <sup>iv</sup> يُنظر: المرجع نفسه ص: 08
- <sup>v</sup> صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر ، ط1 ، 2008 ، ص: 15
- <sup>vi</sup> المرجع نفسه : ص: 16
- <sup>vii</sup> باتريك شارودو ودومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب ، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، دار سيناترا، تونس د/ط ، 2008 ، ص: 70.
- <sup>viii</sup> يُنظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، د/ط ، القاهرة ، مصر، 2014 ، ص: 147 .
- <sup>ix</sup> يُنظر: محمد العبد ، المرجع السابق ، ص: 147 .
- <sup>x</sup> عباس حشاني ، مصطلح الحجاج وأنزاعه وتقنياته ، مجلة المخبر، قسم الآداب واللغة العربية ، بسكرة ، الجزائر، عدد 9 ، 2013 ، ص: 44 .
- <sup>xi</sup> حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج ، ناعوس بن يحيى ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، العدد 47 ، المركز الجامعي بغليزان – الجزائر - ، ص: 09
- <sup>xii</sup> يُنظر: المرجع نفسه ، ص: 09.
- <sup>xiii</sup> يُنظر: المرجع نفسه ، ص: 09.
- <sup>xiv</sup> صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص . صفحات للدراسات والنشر ، ط1 ، 2008 ، ص: 50 .
- <sup>xv</sup> المرجع نفسه : ص: 15 .
- <sup>xvi</sup> أحمد مصطفى المرآغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، 1950، ص: 07 .
- <sup>xvii</sup> يُنظر: شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ دار المعارف ، القاهرة ، ط9، د/ت ، ص: 09 .
- <sup>xviii</sup> يُنظر: بدوي طبانة ، البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة العربية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، دار المنارة ، جدة ، ط7 ، 1988 ، ص: 7 .
- <sup>xix</sup> يُنظر: علي عشرى الزايد، البلاغة العربية: تاريخها ومصادرها ومناهجها ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط7 ، 2009 ، ص: 06-07 .
- <sup>xx</sup> عبد السلام عبد الحفيظ ، مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية ، دار الآداب ، القاهرة 1984 ، ص: 05 .
- <sup>xxi</sup> صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، د/ط ، 2002 ، ص: 91 .
- <sup>xxii</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع القراءة) دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط4 ، 2010 ، ص: 11-12 .
- <sup>xxiii</sup> تكتك إكرام، الحجاج والبلاغة الجديدة، مجلة الحقيقة، العدد 31 ، ص: 32.
- <sup>xxiv</sup> المرجع نفسه : ص: 33.
- <sup>xxv</sup> يُنظر: المرجع نفسه : ص: 33-34 .
- <sup>xxvi</sup> يُنظر: المرجع نفسه : ص: 35 .
- <sup>xxvii</sup> يُنظر: تكتك إكرام ، الحجاج والبلاغة الجديدة ، ص: 35
- <sup>xxviii</sup> يُنظر: المرجع نفسه : ص: 36 .
- <sup>xxix</sup> مركز ضياء للمؤتمرات والأبحاث ، مصطفى بورشاشن ، البلاغة العربية بين المشاركة والمغاربة أصالة وامتداد ، <https://www.diae.events/postid=125107> ، على الساعة : 14:25 .

xxx رمضان يوسف ، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة ، مجلة التعليمية ، المجلد الرابع ، العدد التاسع ، جانفي 2017 ،

ص: 04

xxxii مركز ضياء للمؤتمر اتوالأبحاث، البلاغة العربية بيناالمشاركةوالمغاربةأصالةوامتداد، [https://](https://www.diae.events/postid=125107)

[www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107)، عليالساعة : 14:25 .

xxxiii مركز ضياء للمؤتمر اتوالأبحاث، مصطفيبورشاشن، البلاغة العربية بيناالمشاركةوالمغاربةأصالةوامتداد، [https://](https://www.diae.events/postid=125107)

[www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107)، عليالساعة : 14:25 .

xxxiii مركز ضياء للمؤتمر اتوالأبحاث، مصطفيبورشاشن، البلاغة العربية بيناالمشاركةوالمغاربةأصالةوامتداد، [https://](https://www.diae.events/postid=125107)

[www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107)، عليالساعة : 14:25 .

xxxiv صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، 2002 ، ص: 91 .

xxxv موقع ويكيبيديا، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>، عليالساعة : 20:52 .

xxxvi مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، <https://www.alowais.com/jabrasfor/>، عليالساعة : 18:23 .

xxxvii مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، <https://www.alowais.com/jabrasfor/>، عليالساعة : 18:23 .

xxxviii عبد الرحمان أكدير، القراءة النّسقية للتراث النقدي والبلاغي – جابر عصفور نموذجاً -، جامعة قاضي عياض مراكش، المغرب، ص: 7 .

xxxix المرجع نفسه: ص: 7-8 .

xl عبد الرحمان أكدير، القراءة النّسقية للتراث النقدي والبلاغي – جابر عصفور نموذجاً -، جامعة قاضي عياض مراكش، المغرب، ص: 7 .

xli مركز ضياء للمؤتمر اتوالأبحاث، مصطفيبورشاشن، البلاغة العربية بيناالمشاركةوالمغاربةأصالةوامتداد، [https://](https://www.diae.events/postid=125107)

[www.diae.events/postid=125107](https://www.diae.events/postid=125107)، عليالساعة : 09:18 .

xlii رؤية العالم " في قراءة التراث البلاغي عند جابر عصفور، عبد الرحمان إكدر، مجلة قراءات، جامعة بسكرة – الجزائر، العدد 9 ،

2016 ، ص: 93

xliii جابر عصفور، الصّورة الفنّيّة في التّراث النّقدي والبلاغي ، المركز الثقافي العربي ، ط 3 ، 1992 ، ص: 407

البعد الإقناعي للبلاغة العربية ، أساليبه وتقنياته من منظور محمد العمري

الدكتورة : صفية طبني

قسم الآداب واللغة العربية

جامعة محمد خيضر بسكرة

كانت البلاغة العربية تؤسس جسور التواصل بين الشعر والخطابة، بين التخيل والإقناع. وهو موضوع مهم لم ينل إلا القليل من الاهتمام في الدرس البلاغي المعاصر فلم يتناوله المعاصرون بالتوضيح إلا في بعض البحوث القليلة النادرة

فإمعان النظر في الخطاب الإنساني يبرز لنا أن غالب أقوالنا تسعى إلى التأثير في سلوك المخاطبين، بل إن خطاباً قد يظهر بريئاً من أي مسعى حجاجي، قد ينكشف أمامنا باعتباره منطويًا على طاقات حجاجية جبارة<sup>1</sup>

فقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدرس البلاغي تتطور وتظهر مرحلة جديدة في القرن الثالث الهجري مع كل من الجاحظ (ت522هـ) و ابن المعتز (ت592هـ)، تشكل فيها علم البلاغة علما مستقلا له أصوله وقواعده، ثم نحا الدرس البلاغي نحو التعليل والتفسير والقياس والبرهان ذلك أن للبلاغة مكانةً مهمّةً في العالم الذي نعيش فيه؛ فهي حاضرة في كل تفاصيل الحياة؛ هي موجودة في المؤسسات الثقافية، والمنابر الإعلامية، فلا يكاد أي خطاب يخلو منها. وقد نشأت البلاغة في أحضان الخطابة، التي تتميز بمراعاة المقام والمتخاطبين؛ محاولة التأثير فيهم بأساليبها اللغوية وتقنياتها الاستدلالية؛ قصد دفعهم للاقتناع بما يقوله الخطيب<sup>2</sup>

يعتبر البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي من المباحث التي تعنى باهتمام الدارسين والباحثين، وذلك لما يلعبه عنصر الإقناع من دور بارز وأساس في شتى مجالات التخاطب الأدبية والعلمية، وحتى اليومية منها، لأن الإقناع هو عملية تهدف إلى تغيير موقف أو سلوك شخص (أو مجموعة) تجاه حدث معين، فكرة، شيء، أو أي شخص أو أشخاص آخرين، يتم ذلك باستخدام كلمات مكتوبة أو منطوقة لنقل المعلومات، والمشاعر، أو للاستدلال، أو مزيج منها. وهذا ما دفع بالباحث "محمد العمري" إلى عقد دراسة خاصة حول الخطاب الإقناعي، بالعودة إلى مضانه وربطه بالبلاغة العربية التي كانت ولا تزال ملتقى لعلوم مختلفة، ومن جملتها الخطاب الذي بات يمثل مرجعا لا غنى عنه في إحداث التواصل، ولغة لا بديل عنها في حصول الفهم والإفهام، فكانت عناية العمري منصبه حول بلاغة

<sup>1</sup>. ينظر محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، ص15 -  
<sup>2</sup>.- رضوان الرقبي، ، "الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله"، مجلة عالم الفكر، المجلد40، ص 82 -

الإقناع وما يؤديه المقام ضمن دائرة التخاطب<sup>1</sup> ، طبعا العمري لم ينطلق من الفراغ، بل وصف وصفا دقيقا لما جاء به القدماء، خاصة أرسطو مع البلاغة اليونانية ، والجاحظ مع علم البلاغة العربية

يتساءل العمري: لماذا البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي؟ ليقول: فقد اعتاد الدارسون العرب المحدثون وتبعهم في ذلك المدرسون في الثانويات والجامعات ، معاملة النص الخطابي الإقناعي نفس معاملتهم للنص الشعري أو أي نص انشائي آخر، وهذا يجافي الروح المنهجية التي تقتضي أخذ الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله

2

إذن فيجب مراعاة المنهج في التعامل مع النص لأن النص اشكال مختلفة تستدعي لكل منها المنهج الخاص بها

يركز العمري في الخطابة على عنصر التأثير والإقناع ، فهذا الأخير صنعة يجب على الخطيب أن يحسنها وهي عند أرسطو القوة التي يجب التحلي بها

والبلاغة هي مراعاة مقتضى الحال والبحث في بلاغتنا العربية يحيلنا مباشرة على قطب من أقطابها الأفاذ وهو الجاحظ ولا سبيل للكلام عن الإقناع عند البلاغيين القدامى إلا بالولوج الى البيان والتبيين للجاحظ الذي أرسى فيه دعائم علم البلاغة وسبل الإقناع

وعلى ضوء مراعاة مقتضى الحال صنفت البلاغة العربية فيما بعد المخاطبين الذين يلقى إليهم الخبر إلى ثلاثة أصناف:

1 مخاطب خالي الذهن

2 مخاطب شاك متردد

3 مخاطب جاحد منكر<sup>2</sup>

وفي كل هذا تراعى مقامات الكلام ،

تظهر مراعاة المقام عند "الجاحظ" في حديثه عن الخطيب وما يجب أن يراعيه أثناء

التخاطب، ليظل الإقناع مرتبطا بطبيعة المقام، وهذا الذي أكده "العمري" على طبيعة الإقناع فهي تتحدد حسب المقامات والأحوال. وذلك في كتاب البيان والتبيين والذي أوضح فيه أن الخطاب الإقناعي نوعان: خطاب اقناعي شفوي وهو الذي تتقدم فيه الغاية على الوسيلة وهي اللغة أي الاهتمام بالإقناع على الاهتمام باللغة ، فينتج عندنا

<sup>1</sup> عبدالباسط ضيف ، بلاغة الخطاب الإقناعي عند محمد العمري ، مجلة اشكالات في اللغة والأدب العربي ، مجلد 9 عدد 2 السنة 2020 ، ص 500

<sup>2</sup> محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، الطبعة الثانية 2000 ، ص 7

<sup>2</sup> محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 35

خطاب اقناعي حسب المقامات والأحوال ، والبعد الاقناعي حاضروبقوة في بلاغتنا العربية ، والخطابة جزء من حياة العربي

إذن فالجاحظ هو الوجهة الأولى التي نتوجه اليها في قراءتنا للبلاغة ، والإقناع ينطلق من الخطاب الشفوي لأنه يظهر فيه سياقات المقام وتراعى هذه السياقات في تبيان أهمية الإقناع ، والعمري وصف لنا وصفا دقيقا هذه السياقات والمقامات انطلاقا مما جاء به القدماء وذلك من أرسطو حتى الجاحظ أسس بلاغة الخطاب الاقناعي عند محمد العمري :

تعتبر عناصر بناء الخطابة عند العمري نفسها منذ أرسطو ، وهي لا تختلف عن غيره سواء البلاغيين العرب أو الغربيين ، فعناصر بناء الخطابة ثلاثة وهي :

1 وسائل الاقناع أو البراهين

2 والاسلوب أو البناء اللغوي

3 وترتيب أجزاء القول ، ثم هناك أسلوب الالقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو ، ومنهم البلاغيون العرب عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة والصوت

وهذه العناصر لا يختص بها الخطاب عند اليونان واللاتين دون العرب ، ولا القديم دون الحديث ، إنما الاختلاف في العنصر المهيمن فيها من حضارة إلى أخرى<sup>1</sup>

فاليونان يهتمون بالمنطق ، فتكون عندهم الحجة هي الغالبة على الخطابة ، في حين يغلب الاسلوب والعبارة عند العرب نظرا لاهتمامهم بالشعروبكلام العرب والجزالة في القول

إذن فالبلاغة مرتبطة أيما ارتباط بالخطابة ، فتمتد أسسها الاقناعية منها والاسلوب والحجة فيصل في الحكم على الخطاب ،

---

<sup>1</sup> محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي ، ص 20

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

الاسم واللقب: غنية تومي

الصفة: أستاذ محاضراً

مؤسسة الانتماء: جامعة محمد خيضر بسكرة

الهاتف والبريد الإلكتروني: 0794649005 [ghania.toumi@univ-biskra.dz](mailto:ghania.toumi@univ-biskra.dz)

محور المداخلة: محور 5: "البلاغة العربية الجديدة- نظرية وتأسيس"

عنوان المداخلة: بلاغة الجمهور- التأسيس والامتداد

رمز المداخلة: ( بلا – جد 22 )

بلاغة الجمهور- التأسيس والامتداد

مقدمة:

نسعى في هذه الورقة البحثية إلى التعريف بتوجه بلاغي عربي جديد، ظهر في السنوات الأخيرة، هو "بلاغة الجمهور": إذ إن المعارف بأنواعها تنشأ تلبية لحاجات عملية ومتطلبات مجتمع يعيش فيه الفرد الذي يتفاعل مع حركية ذلك المجتمع، ومختلف التغيرات التي تعتوره، وكانت البلاغة أحد المجالات التي شأها تحرك طفيف بعد أن عاشت الرتابة والركود لزمان طويل، فنادت أصوات بعض المشتغلين بالبلاغة إلى ضرورة تجاوز الاهتمام بالنص لوحده والمتكلم بوصفه صانع الخطاب إلى الاهتمام بالمتلقين أيضاً، والهدف هو خدمة المخاطب/الجمهور، بتوسل

العلامات اللغوية وغير اللغوية التي ينتجها الجمهور مادة للدراسة. ومن أجل ذلك سنستعمل بالتعريف بهذا الاتجاه وبدايات ظهوره، ثم الحديث عن الجمهور وعلاقته بالبلاغتين التقليديّة والحديثة (البلاغة الجديدة) التي نقف عندها هي أيضا بوصفها حاضنة هذا الاتجاه، يليها الحديث عن عصر استجابات الجمهور الذي يركّز فيه الدارسون على خطابات الجمهور المتنوع كمدونة ذات طابع خاص، ثم بلاغة الجمهور وعلاقتها بعلم البلاغة الاجتماعي، وننتهي إلى تقديم نموذج تطبيقي هو الاحتجاجات الشعبيّة كصورة من صور بلاغة الجمهور واستجاباته المعاصرة في إطار علاقته بالمجتمع الذي يعيش في كنفه، والإشكاليّات التي تفرض نفسها هي: ما المقصود ببلاغة الجمهور؟ وكيف تجلّى الفعل التأسيسي لها؟ وما مساحة تناولها وبحثها في الدراسات البلاغيّة المعاصرة؟.

التأسيس:

إنّ بلاغة الجمهور أحد أوجه عصرنة البلاغة التي تدرس استجابات الجماهير لأعمال فنيّة وأدبيّة وتواصلية (أعمال روائية، وسير شعبية، وخطب سياسية، ووعظ ديني، وتعليقات في مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها)، أي لمختلف أنواع الخطاب. وتعدّ كتابات الباحثين البلاغيين: عماد عبد اللطيف، وصلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صديقي وغيرهم محاولات مهمّة في هذا المسلك الجديد، ويظهر فيها صهر البلاغتين القديمة والجديدة في مظهر مختلف يشكّل لبنة في صرح بلاغة المستقبل، وهذا ما سيتمّ بحثه من أجل تقديمه للمتلقّي العربيّ الذي ظلّ لسنوات عديدة حبيس بلاغة التقسيم الثلاثي: بيان وبديع ومعان.

ولعلّ أولى المحاولات التجديديّة المطالبة بتجاوز الخطاب وصاحبه إلى العناية بالمخاطب، والدّاعية إلى ربط البلاغة بالمجتمع، أعمال أمين الخولي في كتابه "مناهج التجديد" و"فنّ القول"، وسلامة موسى في "البلاغة العصريّة واللغة العربيّة" ومصطفى ناصف في "دنيا من المجاز"، ومحمد العمري في كتاباته عن التداولية/ الإقناعيّة وغيرهم. وكلّها لم تولّ تحليل الخطابات اليوميّة والحياة العاديّة، أو خطابات الجمهور عامّة، تلك العناية المستحقّة، ليقوم الباحث المتخصّص في البلاغة وقضاياها عماد عبد اللطيف سنة 2005م بنشر دراسة جادة بعنوان "البلاغة العربيّة من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته" داعيا عبره إلى تأسيس اتّجاه بلاغي جديد مستقل سمّاه في البداية "بلاغة المخاطب"، ليعرف فيما بعد بـ "بلاغة الجمهور".

بلاغة الجمهور والجمهور البليغ:

إنّ قولنا إنّ هناك بلاغة جمهور معناها أنّ هناك جمهورا بليغا، فما قصدنا بهذه العبارة؟ ورد في اللسان: "الجمهور: الرمل المتراكم الواسع (...). والجمهور: الأرض المشرفة على ما حولها (...). وجمهور الناس: جلّهم، وجماهير القوم: أشرفهم"<sup>1</sup>، أمّا الجمهور البليغ فعلى ما ذهب إليه أصحاب هذا الاتّجاه هو من يقوم بإنتاج استجابات بليغة، والبليغة ليست من البلاغة بمعنى الفصاحة وعلوّ الأسلوب، وإنّما بليغة أي فعّالة، تؤدّي الغرض المطلوب، وهذه الاستجابات تكون لفظية أو غير لفظية، ومباشرة أو غير مباشر، وخطابيّة أو غير خطابيّة، ينتجها الجمهور وتصدر منه في سياقات التّواصل العمومي، بغية دعم الخطابات التّحرّرية، والتّصدّي للخطابات السلطويّة التي تمارس تلاعبا أو هيمنة أو تمييزا أو إقصاء أو قهرا أو عنصريّة أو كراهيّة وغير ذلك، فالاستجابة البليغة للجمهور

هي نوع خاص من الخطابات الإيجابية الفعّالة التي لها تأثير ووقع على المخاطب الأول وعلى كل المتلقين لها. يقول عماد عبد اللطيف رائد هذا التوجّه عن بلاغة الجمهور بأنّها: "مدوّنة الاستجابات اللغويّة وغير اللغويّة التي ينتجها الجمهور في سياقات التّواصل العمومي، ويعنى باستكشاف العلاقة بين الخطاب وتشكّله وأدائه من ناحية، واستجابات الجمهور الفعلي له من ناحية أخرى"<sup>2</sup>.

الجمهوريين بلاغتين:

كانت البلاغة عند العرب في العصر الجاهلي ملكةً فطريّة متّصلة بفعالية الاتّصال ملازمة له، تبرز في إنتاج الكلام إمتاعاً وإقناعاً (أو الدّفع نحو الفعل)<sup>3</sup>، سواء بالشّعور أو بالخطابة؛ فهامو الباحث محمد العمري يقسم البلاغة العربيّة إلى بلاغتين رئيسيتين؛ الأولى بوصفها كفاءة تعبيرية، يقول: "من البديهي أنّ أوّل تفكير في اللغة كان تفكيراً بلاغياً؛ فقد ظهرت الملاحظات الأسلوبية قبل ظهور العروض والنحو والمنطق، (...) أي قبل ظهور المصطلح البلاغي كنسق لعلم"<sup>4</sup>، والثانية بوصفها علماً واصفاً لهذه الكفاءة<sup>5</sup>؛ حيث ارتبط بتقعيد اللغة من جهة وبيان الانسجام الخطابي للنص القرآني، وما أثير حول ذلك من إشكالات اقتضى التحوار حولها الاستعانة بالمنطق اليونانيّ والبلاغة الأرسطية<sup>6</sup>، فبعد مجيء الإسلام، ومعجزته الخالدة القرآن الكريم، بلغته التي أهدت العرب قبل العجم، وإن كان يلتقي وأساليهم إلا أنّه يتجاوزها إلى حدّ العجز عن إتيان ولو آية من مثله، وأمام هذا الانهيار ظهر الفحص والتّدقيق والوصف والمقارنة، لا بين شاعرين أو خطيبين كما في الجاهلية، بل بين نصّين من نصّين مختلفين. أمّا البلاغة الجديدة فهي البلاغة التي ظهرت في العصر الحديث، وتعددت آراء الباحثين تجاهها، فمنهم من يرى أنّ الأسلوبية هي بلاغة جديدة، أي هي بديل عن البلاغة القديمة، وهو رأي عبد السلام المسدي<sup>7</sup>، ومحمد عبد المطلب<sup>8</sup> مثلاً، في حين اعتبر عبد الله صولة أنّ البلاغة الجديدة هي نظرية الحجاج؛ أي تلك التي أتى بها بيرلمان وتيتيكا، وإن صرح أنها بلاغات متعدّدة<sup>9</sup>، بيد أنّ الواضح والأكيد أنّ البلاغة الجديدة بلاغات متعدّدة، وأنّ أكثر فروعها نضجاً هي بلاغة الحجاج، وبلاغة الصّور (أو بلاغة الشّعور)، وبلاغة التّلقي، والبلاغة المقارنة، والبلاغة المرئية، وبلاغة الجمهور وغيرها<sup>10</sup>.

الآن نعود للحديث عن الجمهور، فهو مصطلح أساس في مشروع بلاغة الجمهور، ويقابله مصطلح "المستمع" في مشروع البلاغة العامّة، وهما مشروعان كبيران يمثلان صورة واضحة لاجتهادات البلاغيين المعاصرة في الثقافة العربيّة.

لقد برز مفهوم الجمهور في الجهود التراثية البلاغية الغربيّة والعربيّة؛ فهامو في فكر أفلاطون يرتبط بنظرته العدائيّة للبلاغة، والنظرة السلبية للجمهور الذي يتلقّى الخطابات البلاغية؛ فكان يتصوّر البلاغة أداة تؤثر في الجماهير أو الحشود التي في نظره لا تعرف الحقيقة التي يعرفها الفلاسفة، ومنه يرى " أنّ التّخلّص من الخداع والتّضليل اللّذين يمارسهما البلاغيون للاستحواذ على السّلطة يتحقّق عن طريق التّخلّص من البلاغيين، وإحلال الفلاسفة محلّهم"<sup>11</sup>، فنظر لجمهور الخطابات نظرة سلبية؛ إذ إنّ "فنّ الخطابة بأكمله هو فنّ قيادة النفوس



بواسطة الأحاديث<sup>12</sup>، والقيادة هنا معناها افتقاده الكفاءة النقدية، وانصياعه وإذعانه للخطباء في البلاغتين السياسية والقضائية بالخصوص.

لقد كان تركيزه على التلاعبات الواردة في الخطابات الجماهيرية في أثينا القديمة التي كان التواصل الجماهيري فيها محدودا بضوابط الإمكانيات الفيزيائية للصوت البشري، في مجتمع بسيط آنذ، وتصديه للتلاعبات الخطابية السياسية، وفي إطار مقاومة التلاعب بعقول البشر.<sup>13</sup>

أما أرسطو فتشرح نظرتة للجمهور من خلال تعريفه للخطابة التي هي في تصوّره "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كلّ واحدة من الأمور المفردة"<sup>14</sup>، ويكون الهدف الأسى هو التأثير في المخاطب وإقناعه بالحجج المنطقية التي يتضمنها الخطاب (اللوغرس)، وتخاطب العقل، وإما إقناعه بأخلاق الخطيب وهيئته (الإيتوس)، وإما إقناعه بالأهواء التي يهدف الخطيب إلى إثارتها في المخاطب (الباتوس)<sup>15</sup>.

بلاغة الجمهور العهد الجديد:

قلنا إنّ "بلاغة الجمهور" ظهرت كتوجه بلاغي عربي جديد يرنو إلى توجيه البحث البلاغي صوب استجابات الجمهور في مواقف تواصلية عامة، ودراسة طرق إنتاج الخطاب الذي يستجيب له، وأشكال أدائه وتداوله، مادته هي الخطابات الجماهيرية، وموضوعه دراسة الكيفية التي تستعمل بها هذه الخطابات اللغة، وأثر ذلك في استجابة المخاطب، وسبل تعديلها وتطويرها لتحقيق اتصال حر<sup>16</sup>، ومن أجل ذلك اقترح عماد عبد اللطيف مشروعاً جديداً سعى فيه إلى تطوير البلاغة العربية المعاصرة، فقسّم البلاغة، بدءاً، إلى ثلاث شعب هي<sup>17</sup>:

- 1- البلاغة القرآنية، مادتها القرآن الكريم، وموضوعها الأبعاد البلاغية له، ووظيفتها: تفسير إعجازها البلاغي، والمساهمة في تفسير.
- 2- البلاغة الأدبية: مادتها النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، وموضوعها الخصائص الجمالية لها، ووظيفتها استنباط تلك الخصائص وتحليلها.
- 3- البلاغة الإنشائية: مادتها اللغة الموظفة في الحياة اليومية، لتحقيق الإقناع أو التأثير، وموضوعها إنتاج الكلام البليغ، ووظيفتها وضع معايير له، وتقديم إرشادات تمكّن المتكلم من إنتاجه، وهي "معنىة بالمخاطب بوصفه الغرض الذي تستهدف السيطرة عليه، لكنها بوصفها ممارسة علمية لا تقوم بخدمة المخاطب، بل تهدف، أولاً وأخيراً، إلى خدمة المتكلم الذي يرغب في التأثير في المخاطب أو التغلب عليه"<sup>18</sup>. وبالتالي، فالبلاغة الإنشائية تركّز في الواقع على المتكلم وكلامه، أي هي أداة تدعم سلطوية المتكلم، وتمكّنه من إنجاز السيطرة على المخاطب والهيمنة عليه في كثير من الصّور.

إنّ "المعارف تستمدّ شرفها من شرف المادة التي تدرسها، فلم يغامر علماء البلاغة العرب بتعرض علمهم للتدنيس بدراسة كلام الغوغاء والعامّة ونصوصهم، ولم يُغنّ الدرس البلاغي بخطابات الحياة اليومية ونصوصه،

ناهيك عن الاهتمام بالأدب الشعبي<sup>19</sup>، وعليه أضاف عماد عبد اللطيف قسما رابعا، في إطار مشروعه التنويري الجديد، فسمّاه بلاغة المخاطب، ليعدل عنه لاحقا إلى مسعى: "بلاغة الجمهور".

إنّ الجمهور طرف فاعل في العملية التّواصلية، من خلال مشاركته في عملية إنتاج معنى نصّ المتكلّم بوساطة التّفسير والتّأويل، كما له القدرة على إدخال تغييرات جوهرية على النصّ من خلال استجاباته له، أي إدخال تعديلات على نصّ المتكلّم الذي يمكن أن يكون خطابا سلطويا يستهدف السيطرة على المخاطب، في نطاق التّسليم المطلق، وقد يكون خطابا غير سلطويّ يستهدف تحريره، في نطاق الحقّ في المساءلة، وهي استجابة فعّالة ومؤثّرة، لها وقعها في ساحة الخطاب العامّ.

إنّ الفرق بين البلاغتين: بلاغة الجمهور و البلاغة الإنشائية (بلاغة المتكلّم) تكمن في أنّ الأولى "تحاول ارتياد طريق معاكس للدّرس البلاغي التّقليدي، من زاوية التّركيز على استجابات جماهيرية مجهولة المؤلّف، متعدّدة العلامات، متداولة في فضاءات عامّة مفتوحة، بواسطة مقارنة نقدية تسعى لتعرية التّلاعب"<sup>20</sup>.

عصر استجابات الجمهور:

لا غرو أنّ التّغييرات الهائلة والمتسارعة، في ظلّ العولمة والتّطوّر التّكنولوجي، وانفتاح العالم على مصراعيه، أثّرت كثيرا وبشكل قويّ على العملية التّواصلية بين الأفراد والجماعات؛ إذ تحوّل الجمهور من مجرد متلقّ سلبّي لوسائل الإعلام الجبّارة، إلى جمهور فاعل وطرف محوري، ولم يعد مستمع الإذاعة أو قارئ الجريدة، أو مشاهد التلفزيون، أو متصفّح الانترنت، متلقّ مفسّر وحسب، بل تجاوزه إلى حيازة القدرة على نشر رأيه، وتبيين موقفه، في صورة استجابات خطابية مباشرة آنية، أو موازية له، فتضيف إليه أو تغيّره، أو تكون على هامش فتقدّم خطابها الخاصّ الذي قد لا يكون له علاقة بالخطاب الأصلي<sup>21</sup>.

فمن قبيل الاستجابات اللفظية: الهتاف، والأناشيد، والأغاني، والنكت، والتعليقات، ومن قبيل اللفظية: التّصفيق، والصّفير، والهمهمات، وتجمّع الحشود، ورسوم الجدران، ومنها ما يجمع بين التّمطين مثل: اللافعات، والمقاطع المصوّرة، وغيرها من أنماط الاستجابات غير المحصورة، لحدّثة هذا الاتّجاه البلاغي المعاصر.

بلاغة الجمهور وعلم البلاغة الاجتماعي:

بلاغة الجمهور هو مشروع يساهم في تشكيل وعي نظري وإجرائي يعمل ولو جزئيّا على تأسيس ما يعرف بـ "علم البلاغة الاجتماعي" الذي يهتمّ بتحليل الظّاهرة الاجتماعية، وتأثيرها في المجتمع؛ يقول صلاح حسن حاوي: إنّ "إهمال بعض الخطابات المؤثّرة في المجتمع يعدّ عيبا في منظومة القراءة، حتّى وإن كانت تلك الخطابات غير مندرجة في قائمة النّخبة، لكنها مندرجة في قائمة التأثير شئنا أم أبينا"<sup>22</sup>، وهي دعوة أخرى من باحث متخصص آخر إلى إبراز الوظيفة الاجتماعية للبلاغة والعناية بها؛ فهناك علاقة وطيدة بين البلاغة والمجتمع، وما ينتج من خطابات معاصرة تسعى إلى تغيير واقع المجتمع، والحاضن لهذه العلاقة هو العلم المقترح "علم البلاغة الاجتماعي" الذي ينسجم مع طبيعة الخطابات، ووعي المخاطب. يقول صلاح حسن حاوي: "وقد وجدنا في بلاغة الجمهور اتّجاها بلاغيا معاصرا

يسهم في تعزيز تلك العلاقة، ويدعم هذا الاقتراح<sup>23</sup>. يعرّف بأنه فرع معاصر من فروع علم البلاغة، وظيفته دراسة البنيات البلاغية المتحكّمة بالمجتمع، والمتسرّبة في نظمها وأنساقها الاجتماعية والثقافية<sup>24</sup>.

إنّ تحسّس وظيفة اجتماعية للبلاغة، والدّعوة إلى هذا التّوجّه الاجتماعي أو البلاغي الجديد يتمظهر في صور عدّة؛ كحاجة الإنسان للبلاغة اجتماعيًا بوصفه فردًا مشاركًا في مجتمعه؛ فالبلاغة أداة للتّوجيه الاجتماعي للأمة، كما يقول سلامة موسى<sup>25</sup>. وإنّ بلاغة الجمهور بما هي ممتدّة وشاملة لخطابات واسعة التّداول، لتعضّد التّواشج القوي بين تلك الخطابات، وقدراتها البلاغية في المجتمع، فلنأخذ مثلاً صورة الاحتجاجات الشعبيّة نموذجًا؛ فهي تصنّف في بلاغة الجمهور كفعل بلاغي اجتماعي، وليس كفعل بلاغي جمالي تخييلي؛ حيث إنّ الرّفص والتّمرد والاحتشاد المناهض للسلطة، مفاهيم اجتماعية يمكن أن تُمارس من منظور سياسي أو ديني أو فكري أو غيرها، ليتأكد أنّ البعد الاجتماعي هو البعد الأظهر في كل أنماط الاحتجاجات وأشكالها، وكنموذج عن الاحتجاجات العربيّة المعاصرة نجد ما يسمّى بالرّبيع العربي الذي مسّ عدّة دول عربيّة، بدءًا من أواخر سنة 2010م، ولجِدّة الخطابات فيها، مع بعض التّفاوت بينها من دولة لأخرى، ولعلّوَسقف المطالب (التّنجي)، ولطول مدّتها، نسبيًا، صاحب هذه الاحتجاجات الجماهيرية خطابات على أرض الواقع، وخطابات افتراضية، فتنوّعت الوسائط بين وسائط تقليدية كالّتواصل المباشر، والمنشورات، والمطبوعات، والإذاعات، والقنوات المسموعة والمرئية، ووسائط جديدة هي فضاءات افتراضية تصدر الاحتجاجات السياسيّة والأفعال السياسيّة.

وكان أن هيمنت في أحيان كثيرة على الوسائط التّقليدية الأخرى، حتى وُصِفَت بـ: ثورات الفيسبوك، والرّبيع الرّقي. كلّ هذه المادّة الضّخمة من الخطابات لعبت دور المدوّنة العصريّة التي وجد الباحثون والمشتغلون بتحليل الخطاب والبلاغة السياسيّة، واللسانيات السياسيّة وغيرها، صعوبات جمّة في تطويقها وحصرها نظرًا للكّم الهائل من البيانات والشّعارات والخطابات ذات الصّلة، للحدّ الذي أظهر عراقيل كثيرة وتحديات معرفية كبيرة لأولئك الباحثين ومحلّي الخطاب العرب، ويعلّق عماد عبد اللطيف على القضية بقوله: "لم تقتصر على صعوبات متابعة هذا الطوفان من الخطابات العموميّة، وتحليله، واستخلاص نتائجه، لكنّها تعدّت ذلك إلى الأبعاد المنهجية المتعلّقة بكفاءة أدوات التّحليل، وعملياته، وإجراءاته المستعملة في تحليل هذه الخطابات..."<sup>26</sup>. إضافة إلى صعوبات أخرى كالتنوّع العلاماتي الهائل، وتمازج الكلمة مع الصورة والموسيقا والحركة واللون والرّمز والصّوت. وهذا التّنوع العلاماتي فرض على المحلّلين والدّارسين لهذا الخطاب تنوعًا مماثلاً في أدوات التّحليل.

لقد سعت بلاغة الجمهور إلى تمكين الجمهور من مقاومة الخطابات السلطوية التي تهدف بالأساس إلى خدمة المتكلم (فرض هيمنته أو سيطرته أو تلاعبه) والوصول به إلى تفعيل الإقناع والتأثير، وتحولت بالتالي النّظرة للجمهور من النّظرة السّلبية والطرف الأضعف في التّواصل الجماهيري، وهذا منذ القديم (الجماهير هي حشود من الغوغاء، والفوضى، وسلوك القطيع في الإذعان، الميل للعبودية، افتقاد العقلانية والرّجاحة)، ومنه لاسبيل لتوقّع استجابات بليغة فعّالة عاقلة من هذه الجماهير وفق هذا التّصوّر.

لقد ساهمت بلاغة الجمهور في توجيه أنظار الدارسين، خاصة الأكاديميين، نحو هذا النسق من المدونات، فمتحما الأدوات والمنهجية لتحليلها، لاسيما الجوانب التي لم تعد بحثها ك: التصفيق، والصّفير، والتهافت، والتشويش...<sup>27</sup>.

إجراءات بلاغة الجمهور (حشود المحتجين) وأدواتها:

إنّ مثل هذه المقاربة تفترض أكثر من منهج، وتتطلب أكثر من أداة، وتنفّح على أكثر من حقل معرفي؛ فمثلا عند دراسة لافتة في ميدان الاحتجاجات نحتاج إلى أدوات تحليل من البلاغة المرئية، ومنهجيات تحليل الخطابات متعدّدة العلامات (كتابة ورسوم وأشكال ورموز...)، وعند دراسة صور الصّراع بين الخطابات الصّادرة من المحتجين، نحتاج إلى أدوات ومفاهيم من صميم علم اللغة الاجتماعي، ونتائج الدّراسات السردية، (كمفاهيم باختين عن الانتقاد المضمّر والمظهر)<sup>28</sup>.

الخاتمة:

في الأخير نقول إنّ البحث في هذا النسق البلاغي الجديد هو إسهام في تاريخ البلاغة الرّاهنة، وهو لا يزال في حاجة إلى تضافر جهود أهل الاختصاص، ليستوي علما ناضجا مكتمل الأركان، واضح الزوايا والأدوات، وإنّ بلاغة الجمهور أقامت وشائج معرفية طيبة وعميقة مع كثير من العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأظهرت مرونة وليونة في انسجامها والتّغيّرات المتسارعة الحاصلة في العالم اليوم في عصر استجابات الجماهير، كما توصي الدّراسة بضرورة الولوج والتعمّق أكثر في البلاغات الجديدة الأخرى التي لم تأخذ حقّها بعد من البحث والاستزادة فيها، مثل البلاغة المعرفية، وبلاغة العلم، وبلاغة الاقتصاد، والبلاغة الحاسوبية، واتّجاهات بلاغة الأنواع غير الأدبية المستحدثة، كرسوم الجدران، والمختصرات الإعلانية، والتّغريدات، والمدوّمات وغيرها.

الهوامش والإحالات:

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، تح. عبد الله علي الكبير آخرون، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، مادة [ج م ه ر]، 6/690.

<sup>2</sup> - عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة - مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، ط2، 1442هـ/2021م، ص389.

<sup>3</sup> - ينظر: بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة - قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، فسنطينة - الجزائر، (د.ط)، 2018م، ص29.

<sup>4</sup> - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ط2، 2012م، ص28.

<sup>5</sup> - ينظر: محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2013م، ص18.

<sup>6</sup> - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص28-29.

- 7- ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1977م، ص48
- 8- ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1994م، ص354.
- 9- ينظر: عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2010م، 28/1.
- 10- ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة، ص610.
- 11- عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج:05، ع:03، 1429هـ/2008م، ص237.
- 12- أفلاطون، محاوره فايدروس، تر. أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع والطبع، القاهرة-مشر، (د.ط)، 2000م، ص85.
- 13- ينظر: عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج:05، ع:03، 1429هـ/2008م، ص240-244.
- 14- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1989م، ص9.
- 15- ينظر: عادل المجداي، (مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور")، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ع:06، 2019م، ص183.
- 16- ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة، ص373.
- 17- ينظر: نفسه، ص369
- 18- نفسه، ص372.
- 19- عماد عبد اللطيف، (ماذا تقدّم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟)، ضمن كتاب: بلاغة الجمهور - مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صديقي، دار شهباز، العراق، ط1، 2017م، ص19.
- 20- عماد عبد اللطيف، (بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي - بحث في البلاغة المهمّشة)، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع:07-08، 2015م، ص200.
- 21- ينظر: الحسّاني علي حسين، (بلاغة الجمهور المفهوم والإجراء)، مجلة العلامة، الجزائر، مج:06، ع:02(خاص)، 2021م، ص147.
- 22- صلاح حسن حاوي، (تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة إلى تحليل الخطاب)، مجلة فصول، محور: آفاق البلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج:26/4، ع:104، 2018م، ص221.
- 23- صلاح حاوي، (الخطاب والمجتمع: نحو وظيفة اجتماعية للبلاغة)، مشروع مقترح منه لتأسيس علم البلاغة الاجتماعي منشور على موقع : <https://www.researchgate.net/project/altasys-ilm-blaghy-ajtmay> ، ص1. تاريخ الولوج: 2022/04/20، 21:00
- 24- ينظر: نفسه، ص15.
- 25- ينظر: سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، منشورات سلامة موسى، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1964م، ص54.
- 26- عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، ص530.
- 27- ينظر: نفسه، ص533-534.
- 28- ينظر: نفسه، ص536.
- المصادر والمراجع:

1. أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1989م.
2. أفلاطون، محاوره فايدروس، تر. أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع والطبع، القاهرة-مشر، (د.ط)، 2000م.
3. الحسانى علي حسين، (بلاغة الجمهور المفهوم والإجراء)، مجلة العلامة، الجزائر، مج: 06، ع: 02 (خاص)، 2021م.
4. سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، منشورات سلامة موسى، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1964م.
5. صلاح حاوي، (الخطاب والمجتمع: نحو وظيفة اجتماعية للبلاغة)، مشروع مقترح منه لتأسيس علم البلاغة الاجتماعي منشور على موقع: <https://www.researchgate.net/project/altasys-Ilm-blaghy-ajtmay> . تاريخ الولوج: 2022/04/20م، 21:00
6. صلاح حسن حاوي، (تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة إلى تحليل الخطاب)، مجلة فصول، محور: آفاق البلاغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 26/4، ع: 104، 2018م.
7. عادل المجداوي، (مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور")، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ع: 06، 2019م.
8. بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة - قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، (د.ط)، 2018م.
9. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1977م.
10. عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2010م.
11. عماد عبد اللطيف، (بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي- بحث في البلاغة المهمشة)، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع: 07-08، 2015م.
12. عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج: 05، ع: 03، 1429هـ/2008م.
13. عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة- مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط2، 1442هـ/2021م.
14. عماد عبد اللطيف، (ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟)، ضمن كتاب: بلاغة الجمهور - مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صديقي، دار شهريار، العراق، ط1، 2017م.
15. عماد عبد اللطيف، (موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات، مج: 05، ع: 03، 1429هـ/2008م.
16. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1994م.
17. محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2013م.
18. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2012م.
19. ابن منظور، لسان العرب، تح. عبد الله علي الكبير آخرون، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).



الاسم واللقب : ليلى جغام

الصفة : أستاذ محاضر "أ"

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد خيضر – بسكرة

الهاتف والبريد الإلكتروني : 0657563784 – [l.djegham@univ-biskra.dz](mailto:l.djegham@univ-biskra.dz)

محور المداخلة : المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : المفاهيم المحددة للبلاغة الجديدة – قراءة في كتاب "الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة" لأمينة الدهري

الملخص :

يتحدّد مضمون المداخلة التي نسعى إلى تقديمها في هذا الملتقى في الحديث عن المفاهيم المحددة للبلاغة الجديدة من خلال قراءة تقوم بها لأحد المصنّفات الحديثة الذي عقد موضوعه معنونا بـ " الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة لأمينة الدهري"، وذلك لهدف معرفة المزيد عن مضامين هذا العلم ومصطلحاته عند أهم من تناوله بالبحث والدراسة .

ولتحقيق ذلك عمدنا إلى تناول هذا الكتاب بالقراءة والتفحص لبيان أهم ما ورد فيه، من خلال مجموعة من العناوين التي نستبين تفصيلها في نص المداخلة .

مقدمة :

تتناول هذه المداخلة المحددات الأساسية المكوّنة لمفهوم البلاغة الجديدة التي قدّمها أمينة الدهري من خلال قراءة في كتابها الموسوم "الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة"، وهو موضوع يندرج تحت محور من محاور هذا الملتقى هو محور ( تلقي البلاغة الجديدة في الدرس اللغوي الحديث )، لأنّ صاحبة الكتاب اتخذت من عناصر ( الخطيب، الجمهور، الخطاب ) أو ما أسماه أرسطو ( الإيتوس، الباتوس، اللوغوس ) بوصفها وسائط تخدم المقاصد الخطابية، بالتالي لها دور في إذعان المتلقي لرأي ما أو توجيهه وجهة ما .

وتتحدّد عناصر هذه المداخلة في عدد من المفاهيم نضّمها في ما يأتي من المداخلة لتصل إلى فكرة مفادها تحديد المكونات الأساسية لمفهوم هذا العلم ( البلاغة الجديدة ) .

1 – مضمون الكتاب :



إذا تصقّحنا الكتاب وجدنا أنّ صاحبه قد قسّمته باعتبار العناصر الأنفة الذكر إلى ثلاثة فصول صدّرتها بمدخل نظري عنوانته بـ " الحجاج البلاغي : تحديدات أولية "، أمّا الفصول، فوسمت الفصل الأول بـ " الخطاب "، والفصل الثاني بـ " الخطيب "، والفصل الثالث بـ " المخاطب " .

وكانت في كل فصل تبدأ بتعريف مصطلحه المحوري، ثمّ تمثّل له بنموذج من التراث العربي بما يناسب مفاهيمه، ففي الفصل الأول مثلاً تعرّف الخطاب، ثمّ تتخذ من الخطاب الساخر نموذجاً، تعرّف به وبمكوناته الفلسفية، والبلاغية، والتداولية، والحجاجية، تدريجاً، لأنّ كلاً منها يوصل إلى الآخر، ثمّ تتخذ من الجاحظ وأبي حيّان التوحيدي مثالين لهذا النوع من الخطاب فصّلت فيهما .

وجعلت الفصل الثاني موسوماً بـ " الخطيب " أو الإيتوس، وبعد أن عرّفت بالمصطلح، مثّلت له من كتاب " طوق الحمامة " لابن حزم، وأشارت في ذلك إلى أنّ ابن حزم في هذا الكتاب اتّخذ من الحب قضية جدل لفقهاء عصره، من حيث التمثيل بنماذج من الذاكرة الشعرية العربية وكذا التعالق بين أجزاء الخطاب، ثم خصّص الفصل الثالث للمخاطب، ومثّل من خلاله لنص الرؤيا للمختار السوسي كنوع خطابي تتكامل عناصره ( الرائي والمرئي وخطاب الرؤيا )، ويقرن ذلك بفعل الحجاج بعدّ الرؤيا تتضمن الأطروحة والأطروحة المضادة في علاقة تقابل كما هو حال العملية الحجاجية، لأنّ الأشياء بأضدادها تتّضح وتفهم .

وتختتم أمينة الدهري كتابها بخلاصة في شكل تركيب واستشراق، فهي من جهة تركّب عناصر بلاغة الحجاج ( البلاغة الجديدة )، في علاقة تراها بين الخطيب بكل استعداداته المعرفية والأخلاقية، وبين المخاطب بعدّه مكن تحريك الانفعالات وبين الخطاب مصدر الحجج وطرق بسطها، فهذه العلاقة الثلاثية تتضمن كل المفاهيم التي تعجّ بها البلاغة الجديدة وترسم حدودها<sup>(1)</sup>

وبتحديدها الأنف تستشرف صاحبة الكتاب علاقات عدّة يربطها هذا المجال المعرفي مع علوم أخرى تستوضح ارتباطها ذلك من الفعل التأتيري للبلاغة، الذي يجعل من المخاطب منتجا آخر لخطاب جديد يستمدّ شرعيته من سابقه، ويؤدي هذا التداخل الخطابي بدوره إلى تداخل شبكة من العلاقات تربط البلاغة الجديدة مع أطر معرفية وعلوم مختلفة مثل السيميائيات وتحليل الخطاب وغيرها، وتشير أمينة الدهري أنّه على الرغم من ذلك تبقى البلاغة الجديدة تفتقر عن غيرها من الحقول المعرفية رغم اتصالها بهم وإفادتها منهم .

## 2 - أهمية الكتاب :

إن أهمية كتاب " أمينة الدهري " تكمن في كونه يندرج ضمن غاية تغيير النظرة إلى البلاغة وعدم ربطها بالجانب الفني والزخرف اللفظي فحسب، ومحاولة فتحها على آفاق جديدة/قديمة بحيث تتحول إلى آلية لتحليل مختلف الخطابات، كم يطرح الكتاب عدداً من المفاهيم المعلقة بالبلاغة الجديدة والعمل على توظيفها في تحليل عربية تراثية وحديثة .

وهذا الكتاب يمكن اعتباره قد جاء في أوانه لأن مجتمعاتنا العربية كانت في حاجة إلى هذه الأدوات التي توفرها البلاغة الجديدة وغيرها من المقاربات التداولية التي تتقاطع معها لاكتساب القدرة على تحليل الخطابات التي تغمرنا يوميا والإمساك بآلياتها وفهم خلفياتها، بالتالي بيان حدودها .

### 3 - خلاصة عامة :

نخلص من هذا التفحص السريع لكتاب أمينة الدهري إلى أن الباحثة قد تلقت معارفها البلاغية من خلال اطلاعها على مضامين بلاغة أرسطو، وربما طعمتها ببعض ما جاء به بيرلمان وتيتيكا وغيرهما ممن تناولوا هذا الحقل المعرفي، وحاولت أن ترسم حدودا مفاهيمية للبلاغة الجديدة حصرتها في علاقة ثلاثية تضمن بحسب رأيها تحقق مضمون هذا العلم، الذي يسعى إلى إذعان المخاطب لرأي أو حكم يريده الخطيب أو منتج الخطاب بشكل عام، إذ العناصر الثلاثة التي دلّ عليها أرسطو بتسميات (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس) يرتبط كل منها بالآخر في علاقة يبذل فيها كل عنصر ما أوتي لتحقيق الغرض المنوط به، لتصل إلى أنّ البلاغة الجديدة هي علم قديم جديد، قدمه متعلق بمضمونه ومادته وجدّته متعلقة بمصطلحاته وتسمياته .

فكتاب أمينة الدهري هذا هو شكل من أشكال تلقي البلاغة الغربية الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، مع أنّ جهدها هذا يحسب لها، لأنّه قد يكون منطلقا للبلاغة العربية الجديدة، خاصة إذا ربطناها بالتراث العربي القديم الذي يعج بعديد المفاهيم التي تتداخل مع ذلك كثيرا .

وأمانة الدهري في كتابها تقول بعبارة ما أنّ البلاغة الجديدة تتحدّد مفاهيمها الرئيسية على عناصر الخطاب الثلاثة التي أشار إليها أرسطو في حديثه عن البلاغة، وجاء ذلك متقاطعا مع ما راعاه بلغاء العرب من مستويات الكلام وطبقات المتكلمين والمتلقين، وقد ورد ذلك عند الجاحظ في كتاب " البيان والتبيين " في قوله : ( ومدار الأمر على الفهم والإفهام )، إذا الفهم مربوط بالمتلقي والإفهام مربوط بالمتكلم وكلاهما مربوط بالنص أو الرسالة .

---

(1) - ينظر : مجلة القدس : كتاب " الحجاج وبناء الخطاب " لأمانة الدهري : النص وآليات البلاغة الجديدة alquds.co.uk 24 أكتوبر

## بلاغة الارتياب عند إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي

المحور الثاني: البلاغة الجديدة في التراث

الدكتورة: ليلي غضبان<sup>\*1</sup>

<sup>1</sup> قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب واللغات والفنون/ جامعة زيان عاشور/ الجلفة/  
الجزائر.

[l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz](mailto:l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz)

معرف أوركيد:

<https://orcid.org/0000-0002-6096-8000>

### ملخص:

يقدم هذا البحث رؤيا جديدة؛

تقوم علما البلاغة لمتنولتتموت؛ لأنموتالبلاغة يعنيفةناء الإنسان، ويدعو اللفتحةرؤ جديدة لدراسة البلاغة، فقد قدمتم  
ساهماتفيتجديدها نحو: بلاغة الحجاج، البلاغة التداولية، بلاغة السرد، تحتمظلة البلاغات الجديدة،  
لكهذا البحثيدرسالبلاغة منزاوية مغايرة، حيثيطرح مجموعة إشكاليات.

لكنالبحثيربأناالوحدة بينالصورتهاالأصل)

مثالالجنينيدأعلقة، فمضغة، ثم تيدأ الأعضاء والأجهزة فيالتخلق)، فليسمنالمعقولأنفريقبينهاالأعضاء والأجهزة؛ بلهيد  
متلاحةمتكاملة معبعضها)

والصورالبينانية نفسالنسق؛ والدليلأننا نجد الاستعارة المكنية، المجاز المركببالاستعارة التمثيلية. يستند البحثالنظرية الـ  
كوانتموفلسفتها الجديدة فيحقلا لمعرفة، ويستثمرها لإعادة تجديد البلاغة. مع التركيز على مفهوم الطفرة والارتياب  
عند النظام.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الكوانتم، اللغة بيتا الوجود، الاستعارة، رؤية العالم.

### مقدمة:

<sup>\*</sup> المؤلف المرسل: الدكتورة ليلي غضبان، [l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz](mailto:l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz)

تعلق البيان

(البلاغة)

بكينونة الإنسان؛ فلا إنسان بلا بلاغة ولا بلاغة بلا إنسان، فهيجوهر إنسانيته، هنا تكمن أهمية الدراسات بلاغية؛ فأبحاث هذا الحقل لمعرفة بوجوه فيجوهرا الإنسان.

قد لقيت البلاغة اهتماما كبيرا من مختلف الدراسات الإنسانية

أدب، فلسفة اللغة، علم النفس، علماء الاجتماع، علوم الدين...، لكنها وصلت إلى المرحلة التي تهتم بالموت. يقدم هذا البحث رؤيا جديدة؛ تقوم على أن البلاغة لم تنموت؛ لأن موت البلاغة يعني فناء الإنسان، ويدعو إلى فتح رؤيا جديدة لدراسة البلاغة، فقد قدمت مساهمات في تجديد هانحو:

بلاغة الحجاج، البلاغة التداولية، بلاغة السرد، تحتملة البلاغات الجديدة.

لكن هذا البحث يدرس البلاغة من زاوية مغايرة، حيث يطرء مجموعة إشكاليات:

- أليسموت البلاغة المزعوم نتيجة إبعاد بلاغة الحياة اليومية عند إثارة الاهتمام؟
- أليست البلاغة مرتبطة بوعيا الإنسان، وكلماته ووعيه تطورت بالبلاغة فتنتعش وتنبؤ بالانتموت؟
- 

إذا كانت البلاغة جوهر كينونة الإنسان، لماذا لا ندرسها وفق رؤية قريبة من جوهر الإنسان: أي أنا لاص

ورالبينانية (التشبيها بالاستعارة، الكناية، المجاز) في أصلها ووجوه متعددة لشيء واحد؟

• تعودنا على الفصل بين الصور البيانية والتفريقيينها فنجد مثلا:

التشبيها بالحسيو التشبيها العقلي، التشبيها المفردو التشبيها المركب، المجاز المرسلو المجاز العقلي، الاستعارة التصريحية والاستعارة المكني....

يرى البحث أن الوحدة بين الصور هي الأصل

مثلا لجنينيبدأ علقه، فمضغفة ثم تبدأ الأعضاء والأجهزة في التخلق، فليس من المعقول أن نفرق بين هذه الأعضاء والأجهزة؛ بل هي متكاملة مع بعضها

والصور البيانية نفسها المبدأ؛ والدليل أن نجد الاستعارة المكنية، المجاز المركب الاستعارة التمثيلية.

يستند البحث إلى النظرية الكوانتمو فلسفتها الجديدة في حقل المعرفة، ويستثمرها لإعادة تجديد البلا

لاغة. كما يعتمد البحث على عينة بحث بلاغية من الحياة اليومية والنصوص الأدبية. المنهج المتبع هو

المقاربة الظاهرية.

## أولاً: البلاغة:

### 1معجمياً:

«ورد في لسان العرب " بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، (....) والبلاغة: الفصاحة، والبُلُغُ والبُلُغُ: البليغ من الرجال. ورجل بليغٌ وبلغٌ وبلغٌ: حسن الكلام فصيحاً يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، ....» (ابن منظور، صفحة 347/345) للبلاغة هنا تستلزم حضور: الانتقال، اللسان، القلب، التفاعل. فكلمة البلاغة لها أبعاد مختلفة (احتمالات).

### 2اصطلاحاً:

يقول حازم القرطاجي: «وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في زمن القريب. وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها! وإنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه (...). إذا كانت هذه الصناعة تنتشعب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة. فقلما يتأتى تحصيلها كله أو أجله. وليس هذا تفضيلاً لصناعة البلاغة على غيرها من العلوم» (القرطاجي، 1986، صفحة 88) هذا التعريف للقرطاجي يؤكد الجوهر النسبي الاحتمالي للبلاغة.

### 3البلاغة رؤياً العالم:

لا يمكن فهم جوهر البلاغة بعيداً عن اللغة، يقول هـمبولت: «اللغة في جوهرها، شيء يختفي في كل لحظة باستمرار (...). إنها ليست عملاً، وليست نتاجاً ميتاً، بل نشاط، أي أنها عملية الإنتاج نفسه (بوتينييا، 2020، صفحة 57/56) فاللغة احتمالية نسبية، وهي إنتاج فعال كما أنه يرى «أن الفرق بين لغة وأخرى، لا يمكن في الصوت أو في العلامة، ولكن فرق في رؤية العالم أو آفاق العالم أو النظرة إلى العالم (...). إن الكلمات والقواعد تخضع للحس العام أو الحس المشترك...» (زواوي، 2005، صفحة 72) رؤية العالم يقصد بها الوعي ومادام الخيال يختلف، فالمجاز سيختلف، والبلاغة ستختلف، فالخيال «نشاط نفسي لدى الإنسان، تتولد أثناءه، عبر

تحويل ما لديه من تجربة، صور حسية وذهنية جديدة، وبفضل الخيال لا يتمكن الإنسان من تصور ما هو موجود فعليا فحسب، بل وحتى ما يستحيل وجوده على أرضية الواقع (حسية، المعجم الفلسفي، 2009، صفحة 214)، فجوهر البلاغة نابع من جوهر الخيال، إنها غير محددة.

#### ثانيا: الفينومينولوجيا:

استعمل هيغل (الفينومينولوجيا) في كتابه (فينومينولوجيا الروح) للتعبير عن تجليات الروح المختلفة في الوجود. تتكون (فينومينولوجيا) من كلمتين: "فينومين" و"لوغوس"، ويعني حرفيا علم الظواهر و"الفينومين" في معناه الإغريقي يفيد الظهور (...). أما "اللغوس" فهو عنده الكلام الذي يقوم بعملية الإظهار، فالفينومينولوجي يستجيب لمطلب إظهار المستتر في كنهه، أي إظهار المنسحب أو المنسي أو المقنع (لاند، 2001، صفحة 970)، والظاهرة هي ما يتراءى للوعي، فالفينومينولوجيا تسعى إلى كشف الجوهر من خلال الوقائع العملية (اكتناه دلالات فكرية عن طريق الحدس) بوصفها نسقا.

يقول هرسل: «السمة الفارقة للفينومينولوجيا أنها تحليل للماهية وبحث في الماهية في نطاق اعتبار نظري محض، وفي نطاق انعطاء بالنفس مطلق. تلك هي صفتها الضرورية، فهي تعترم أن تكون علما ومنهجيا بين الممكنات: ممكنات المعرفة، وممكنات التقويم، ويبينها انطلاقا من أسس الماهية التي لها، إنما هي ممكنات مشكلة عموما، ومباحثها هي تبعا لذلك مباحث مهمة في الماهية» (هوسرل، 2007، صفحة 98) فالماهية هي محور الفينومينولوجيا من خلال الرؤيا، وكل معرفة تبدأ بالتجربة.

تحظى اللغة بمكانة مهمة في الفينومينولوجيا، يقول ميرلوبونتي: «إن كان الأمر يتعلق بشخص مجهول لم ينطق بعد اتجاها بكلمة واحدة، يبقى أن أعتبره يعيش في عالم آخر غير عالمي، لكن يكفي أن ينطق بكلمة (...) تلك صورته وأفكاره» (ponty, 1945, p. 414) فاللغة شرط التواصل مع الآخر (التدوات).

«إن حدسي لذاتي على هذا النحو، هو الذي حولني إلى موجود في العالم (...) وبفضل تحول الأنا إلى موجود "في العالم" يصبح كل ما يخص الأنا، بل كل ما يخص هذه "الأنية"، متضمنا على شكل نفسي في روعي...» (Husserl, 1996, p. 159) هذا الكلام قريب من كلام هـمبولت، فاللغة ومنه البلاغة هي حكمة الوعي الإنساني. إن اللغة من أكثر المعطيات الإنسانية بعدا عن الآلية، فهي ليست بالشيء المتحقق كلية، وليس بإمكانها أن تحقق شيئا ما بشكل كامل، إنها ترمز وتشير أكثر مما تنجر وتجسد، فضمن الفضاء الممكن والمفتوح وانطلاقا من أفق الاحتمال والصدفة يمكنها أن تبلور أكثر المعاني إحياء في مسيرة الكينونة والوجود، وبذلك فإن اللغة لا يمكن أن تكون إبداعا إلا إذا توقفنا عن مطالبها بتقديم تبريرات قبل أن نلحق بها، بل يجب علينا ترك الكلمات وكل طرق التعبير تكتسي تلك المعاني الجديدة حسب السياق» (ponty، 1945، صفحة 204) اللغة احتمالية متجددة، وكذا الأمر للبلاغة، فنحن لا نعبر لتواصل مع الآخر، بل لنعبر عن وجودنا، أنا بليغ أنا موجود.

يحيل ميرلو بونتي في كتابه (فينومينولوجيا الإدراك) أن اللغة تحمل معاني متعددة، وهي لا تفرض التفكير إنها تعمل على تحقيقه ولا وجود بالتالي لفكر بلا كلمات (...) فالإنسان يمكن أن يتكلم تماما بمثل الطريقة التي تجعل المصباح الكهربائي يتوهج» (Pontu, 1960, p. 97) هنا ربط بين اللغة/الفكر والضوء، وهذا ما سيتم شرحه لاحقا في نظرية الكوانتم والاستعارة.

ثالثا: البلاغة فلسفة:

### 1 العلاقة بين البلاغة والفلسفة:

كانت العلاقة بين البلاغة والفلسفة وطيدة دائما، في التراث العربي تجلت هذه العلاقة في علم الكلام من خلال دراسة الإعجاز القرآني الذي محوره بلاغة القرآن «والحق أن البلاغة إذا انتزعت منها الأبعاد الفكرية والفلسفية، فإنها لا يبقى منها سوى مهارة التقاط الوجوه البلاغية التي ربما لا يشعر كثير من قراء الأدب بأنها مهمة (...) إن لم نقل إنه يعوقه عن الاستغراق في النص وفهمه، ويمنعه من أن يثير الأسئلة الأهم حول تجاوب النص مع خبرات الحياة واهتمامها» (توفيق، 2013، صفحة 50) وهذه نقطة يراها المقال مهمة جدا، فعدم تفاعل الباحثين في البلاغة مع

خبرات الحياة والمعارف المتجددة، سيضعف الدرس البلاغي، لهذا كانت دعوة المقال إلى استثمار نظرية الكوانتم كرؤيا جديدة للبلاغة.

عند مقارنة آراء المتكلمين نجدتها مختلفة، صحيح أنهم «اتفقوا على بلاغية الإعجاز، ولكنهم لم يتفقوا أو يستقروا على بعض المبادئ الفرعية التي تقوم البلاغة على دراستها، ومن أهمها وأخطرها مبدأ المجاز، ذلك أن المجاز كان مفهوما ضروريا لمن يطالب بتأويل النص القرآني، شأن المعتزلة (...) ورأى خصومهم أن ينكروا المجاز إنكارا حتى يسقطوا النهج المعتزلي بأكمله» (توفيق، 2013، صفحة 52/51) نفي المجاز هو نفي للبلاغة، فالخيال ينتج المجاز، والبلاغة تدرس هذا المجاز، ومنه فإن نفي المجاز نفي للإعجاز البلاغي. ومن جهة ثانية هذا تأكيد لفكرة نسبية واحتمالية البلاغة، فهي علم احتمالي.

البلاغة ليست تلك القوالب الجاهزة، وإنما البلاغة إحساس باللغة وإدراك (عقلي/حسي) متجدد لها «وما إن يعني الدارس أن البلاغة تنبئ له حواسه، تدرجها، تنمي تبصره بها ويعملها، حتى يجد السؤال الإنساني عن طبيعة علمنا وإحساسنا سؤالا فكريا تحمله تقنيات البلاغة كلها في رحمها (...) ولعل دارسي البلاغة يعون جيدا أن البلاغة في بعض مستوياتها، تأمل لوجود الإنسان، بقدر ماهي تأمل للغة التي يصوغ بلاغته بها، وبقدر ماهي تأمل لأشكال الاتصال الإنساني الفعال» (توفيق، 2013، صفحة 54) ومنه فإن البلاغة وعي بالوجود، أنا بليغ إذن أنا موجود.

ليس شاذاً أن تدرس البلاغة من منظور فلسفة الكوانتم، وإنما هذا هو المنطقي والطبيعي، لأن نظرية الكوانتم في عصرنا الحالي تشكل الوعي الإنساني، ف «الوعي كلمة تعبر عن حالة عقلية يكون فيها العقل بحالة إدراك وعلى تواصل مباشر مع محيطه الخارجي عن طريق منافذ الوعي التي تتمثل عادة بحواس الانسان الخمس. كما يمثل الوعي عند العديد من علماء النفس الحالة العقلية التي يتميز بها الإنسان بملكات المحاكمة المنطقية، الذاتية (الإحساس بالذات) (subjectivity) والإدراك الذاتي (self-awareness)، والشعورية (sentience)، والحكمة أو العقلانية (sentience)، والقدرة على الإدراك الحسي (perception) للعلاقة بين الكيان الشخصي



والمحيط الطبيعي له«(حسية، المعجم الفلسفي، 2009، صفحة 694) فالمعارف الإنسانية، هي تغيرات على مستوى الوعي.

## 2 استثمار لفلسفة ليبنتز:

يرى هذا المقال أن فلسفة ليبنتز قريبة لتوضيح الرؤيا إلى بلاغة الكوانتم، «... العقل الإنساني، فهو بسيط لا يقبل القسمة، وهو غير مادي، (...) والذي يميز مواندة العقل الإنساني عن سائر المواندات هو طبيعة إدراكاتها، وهناك جزء من هذه الإدراكات يدخل في شعورنا، ويطلق ليبنتز على هذا الشعور أو هذه المعرفة التي تحصل لنا من إدراكاتنا اسم (الوعي) apperception...»(ليبنتز، 1978، صفحة 35).

العقل هو المبدأ الأعلى لحياة الإنسان، ونجد ليبنتز يعتمد (التناسق الأزلي pre-established harmony) «... إذا كانت هذه الذرات الروحية التي يتألف منها الكون بأسره عبارة عن عوالم صغيرة مستقلة، لا يؤثر بعضها في بعض، فبماذا تعلق هذا النظام الدقيق الذي يشمل الوجود إن لم يكن بين جزئياته تألف وانسجام؟ يجب "ليبنتز" على ذلك بأنه قانون التناسق الأزلي، فقد ركبت تلك الذرات منذ الأزل، بحيث تسير الواحدة موازية للأخرى. وعلى الرغم من تفرقتها وانفصالها فهي تعمل جميعا في توافق دقيق، حتى لتبدو كأن بعضها يعتمد على بعض (...). وبهذه النظرة نفسها عالج "ليبنتز" العلاقة بين العقل والمادة أي بين الروح والجسد. فالروح يتبع قوانينه الخاصة، والجسد كذلك يتبع ماله من قوانين، دون أن يؤثر أحدهما في سير الآخر، فهما يتلاقيان في تناسق بلغ من الدقة حدا بعيدا يستحيل معه الخطأ»(محمود و أمين، 2017، صفحة 103/102) هذا التناسق يستثمره المقال في جانب (اللفظ/المعنى) والصور البلاغية، خاصة الاستعارة التي ستكون محور التطبيق.

نجد هذه الفكرة أيضا عند محيي الدين بن عربي؛ حيث يقول: «فإني نظرت إلى الكون وتكوينه.. وإلى المكنون وتدوينه.. فرأيت الكون كله شجرة»(ابن العربي، 1985، صفحة 42/41) فالكون متعلق مع بعضه البعض، وكذا المعرف الإنسانية.

" theunity of being

Treedifferentapproashes are necessary for under standing the unity of being. Theris a unity of essence a unity of attributes and unityofaction"(Ibn Arabi, 2012, p. 58)

فمواضعالشجرةالمختلفةضروريةلفهموحدةالوجود،إنوحدةالجوهرهيوحدةالصفاتووحدة الفعل، هذه الاستعارة تنطبق على البلاغة فالبلاغة كالشجرة المتفرعة، لها جوهر واحد.

#### رابعاً: نظرية الكوانتم وفلسفتها:

نظرية الكوانتم من أهم النظريات العلمية المعاصرة التي أبرزت رؤى جديدة عن أسرار المادة، وكان رائدها الألماني (ماكس بلانك) «فقد شهد عام 1900م ظهور كشف بلانك لكم (الكوانتم)، وكانت هذه المصادفة أوضح الأمثلة تعبيراً عن التغير الجذري الذي طرأ على فهمنا للواقع الفيزيائي في القرن العشرين. فلكي يفسر بلانك القوانين التي تم الاهتداء إليها تجريبياً بالنسبة إلى صدور الإشعاع، وضمنه الضوء، يخضع لتحكم أعداد صحيحة، أي أنه يسير تبعاً لأعداد صحيحة لوحدة أولية للطاقة، أطلق عليها اسم الكم (الكوانتم quantum). فتبعاً لرأيه تكون الطاقة مؤلفة من وحدات أولية، هي الكمات quanta، وحيثما تنبعث الطاقة أو تستوعب ينقل كوانتم واحد أو اثنان أو مائة كوانتم، ولكن لا يكون هناك أبداً جزء أو كسر من الكوانتم، فالكوانتم هو ذرة الطاقة، ولكن مع ملاحظة أن حجم هذه الذرة، أي كمية وحدة الطاقة، تتوقف على طول موجة الإشعاع الذي ينقل به الكوانتم، فكلما كان طول الموجة أقصر كان الكوانتم أطول...» (ريشباخ، 2017، صفحة 155/154) وهكذا تتابعت الأبحاث في نظرية الكوانتم من قبل مجموعة من العلماء « فأصبح من المعترف به أن الحادث الذري المنفرد لا يتحدد بقانون سببي، بل يخضع لقانون احتمالي فحسب، واستعيض عن فكرة "إذا كان...فإن" التي عرفتها الفيزياء الكلاسيكية، بفكرة «...إذا كان...فإن... في نسبة مئوية معينة» (ريشباخ، 2017، صفحة 158).

ومنه نطرح السؤال: هل تحديد صورة بلاغية معينة هو تحديد نهائي؟ ألا يمكن أن تكون صورة مزيجاً بين صورتين (استعارة/كناية... إلخ)؟ هذا ما سيدرسه المقال في الاستعارة الكوانتية، بمعنى لا توجد صورة صافية حتمية، بل مزيج (نسبية).

كانت نقطة التحول في تطور نظريات الضوء والمادة؛ هي فكرة تقدم بها العالم الفيزيائي الفرنسي لويس دي بروغلي Louis de Broglie في الوقت الذي كان فيه علماء الفيزياء يكافحون من أجل حل مشكلة ما إذا كان الضوء مؤلفاً من جزيئات ومن موجات معاً، بل لقد بلغت به الجرأة إلى حد نقل هذه الفكرة إلى ذرات نظرية رياضية يكون فيها كل جزيء صغير من المادة مقترناً بموجة. وهكذا حل محل «إما ... وإما...» "فكرة (معاً)" (ريشنباخ، 2017، صفحة 156) هنا نطرح نظرة جديدة للفظ والمعنى؛ الألفاظ عبارة عن أصوات (أمواج صوتية) مركبة مع بعضها (جزيئات)، ومنه ألا يمكن أن تكون المعاني ذات طبيعة موجية؟ وهنا يقصد (الصور البيانية)، وتركيبية (تراكم المعاني مع بعضها البعض)؟ وأن الفكر ذو طبيعة موجية؟ لأن المعرفة ارتبطت بالضوء أسطورياً (بروميثيوس وسرقة النار)، (العلم والنور) لدى مختلف الحضارات الإنسانية؟ ومنه ألا يمكن أن تدرس الصور البيانية من هذه الزاوية الكوانتية، فهي تراكيب (جزيئات) وأمواج (طاقة)؟ فنعيد النظر في نظرية النظم البلاغية من هذا المنظور الموجي، خاصة وأن الشعر العربي ينطلق من سرديّة الموجة (الماء، الضوء، الصوت، الهواء).

#### خامساً: الأمواج في الكون:

##### 1 الصوت:

يعرفها ابن جني: «أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها» (ابن جني، 1955، صفحة 33) والآن من باب مبدأ التناسق الأزلي، وحفظ الطاقة، ولكل فعل ردة فعل فإننا نستنتج: الأصوات = الأغراض (المعاني).

ومنه فإن طبيعة الأصوات = طبيعة المعاني، فما هي طبيعة الأصوات؟

«إن الموجات الصوتية في الهواء هي عبارة عن سلسلة من التغيرات في ضغط الهواء يمكن للأذن البشرية أن تلتقطها كصوت، والمقصود بضغط الهواء هو الضغط الجوي الموضعي ويكون عادة ثابتاً...» (كرجية، 2000، صفحة 34).

فما نسمعه عبارة عن موجات، وما نراه عبارة عن موجات، والشمس لها أمواج طاقة «وعلى الرغم من التباين الظاهر بين مختلف أنواع الموجات، إلا أن جميعها تشترك بسمة أساسية واحدة وهي أنها وسيلة لانتقال الطاقة (...). تنتقل الطاقة في الطبيعة من موقع إلى آخر بطريقتين: الأولى: تتم بواسطة انتقال المادة والثانية تتم بواسطة انتقال الموجة (أو الحركة الموجية)» (كرجية، 2000، صفحة 13) فالصوت طاقة تعبر عن طاقة أخرى (المعنى)، ومنه فإن الصور البلاغية طاقة يمكنك مقاربتها من منظور الموجة.

## 2 ماهي الحركة الموجية؟

تعرف الحركة الموجية أنها «شكل من الاضطراب ينتقل من نقطة إلى أخرى عبر وسط مادي أو فراغ، والمقصود بالاضطراب هو نمط لحالة فيزيائية يولده مصدر متحرك...» (كرجية، 2000، صفحة 14) وهذا يتوافق مع تعريف البلاغة بمعنى (الوصول والانتهاج)، والأمواج الصوتية تندرج ضمن الحركة الموجية الميكانيكية. توجد خواص أساسية لحدوث وانتقال الحركة الموجية الصوتية، وهما خاصيتان أساسيتان: (خاصية المرونة) و (خاصية القصور الذاتي).

### \*خاصية المرونة:

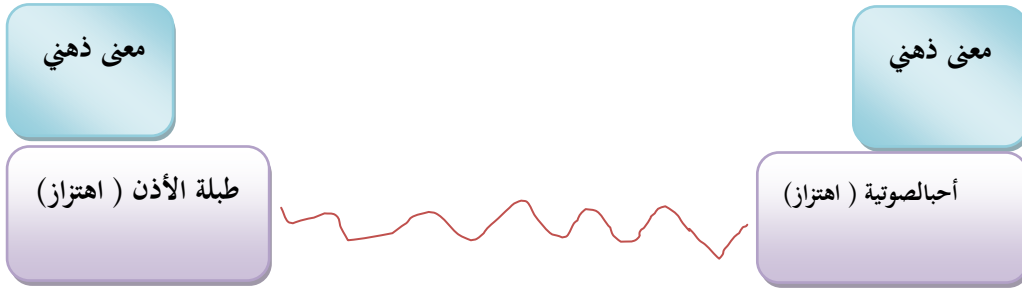
يقصد بالمرونة «مرونة الوسط وهي خاصيته على مقاومة أي تشوه فيه وقابليته على استعادة شكله أو حجمه أو وضعه بعد زوال القوة المشوهة المؤثرة عليه» (كرجية، 2000، صفحة 16) هذه المرونة نجدها في الخيال والمجاز والبلاغة.

### \*خاصية القصور الذاتي:

تمثل صفة القصور الذاتي «صفة استمرارية الجسم أو أجزاء الوسط المادي على البقاء في حالة حركية ثابتة ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغير تلك الحالة» (كرجية، 2000، صفحة 23) وهذا ينطبق على الصور البلاغية المتوارثة إلى يومنا وكذا على مستوى الشخص والنص.

#### سادسا: الإستعارة الكوانتمية:

الاستعارة أداة المعنى، اهتمت بدراستها مجموعة من الحقول المعرفية. وهذا دليل على قوتها وسلطتها الفعالة، يعرفها الجاحظ: «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» (الجاحظ، دون تاريخ، صفحة 153) فالصوت (الأمواج الصوتية) تقوم مقام (المعنى في ذهن المرسل) فهي استعارة؛ فهي إذن تتضمن تشابها (الأمواج الصوتية والمعنى)، والاستعارة تتضمن (معنى إعادة المعار) وهذا ما يحدث أثناء التواصل البلاغي.



يعرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله: «أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان» (الجرجاني، 1988، صفحة 15) ويقدم تعريفها مكتملا «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية» (الجرجاني، 1988، صفحة 22)

ومنه فإن مقارنة الاستعارة من رؤيا كوانتية يطابق مفهومها عند الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، من حيث: التشبيه، التمثيل، القياس، الوعي، الإدراك، الذهن. رغم أن الجرجاني يستبعد (الأسماع والأذان)، لكن هذا المقال يضمه إلى الاستعارة؛ لأن لا وجود لاستعارة بلا سماع وأذان أو مشاهدة وعين.

«تمثل الاستعارة بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي. إنها تتعلق في نظرهم، بالاستعارات اللغوية غير عادية (...) يعتقد الناس أن الاستعارة خاصة لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة (...) إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس» (لايكوف و جونسون، 2009، صفحة 21) ومنه فإن هذا النسق سيكون فيه تناسق مع اللغة باعتبارها أصواتا (أمواج)، وتراكيبا لغوية (جزيئات) في نفس الوقت.

### 1 نظرية الاهتزاز الحر:

يمتلك كل جسم في الطبيعة القدرة على الاهتزاز، قد يهتز كقطعة واحدة وقد تهتز مختلف أجزائه بطرق مختلفة. «إن أي جسم يمتلك خاصتي المرونة والقصور الذاتي له القابلية على الاهتزاز إذا ما أستثير (...) والسمة الجوهرية في جميع الظواهر الاهتزازية هي صفة الدورية؛ أي أن هناك نمطا من الحركة يتكرر بفترات زمنية منتظمة...» (كرجية، 2000، صفحة 63/64) فإذا كانت الأوتار الصوتية تهتز وإذا كانت طبلة الأذن تهتز، فإن الصور البلاغية ستكون ذات طبيعة اهتزازية. وهذه الظواهر الاهتزازية لها صفة جوهرية هي صفة (الدورية)، وهذا ما نجده في البحور الشعرية العربية. الكوانتم قديما هو الجوهر، وتقوم نظرية الكوانتم على أن الضوء عبارة عن جزيئات، أي متقطعة كميات محددة كما ذكر عند بلانك. ومنه فإن الضوء عبارة عن جزيئات وموجات وهذا ما نجده في اللغة في أصوات (كلمات) وأمواج (صوتية)، وهذه الكلمات عبارة عن طاقة، تتفاعل مع بعضها البعض. ونفس التصور نطبقه على الاستعارة، فهي تركيب وأمواج للمعنى.

كما أن لهذه الاستعارة طاقاتها الممكنة عندما توضع ضمن جملة، فنحن نقوم بتحديد طاقتها، ولكنها تهتز ضمن هذه الجملة وفق احتمالات؛ فكلما أردنا تحديد المعنى بدقة زاد الارتياح، لأنني إذا أردت أن أحدد المعنى المحدد بدقة فأنا أتعامل مع الاستعارة كجسيم (معجميا).

كذلك الاستعارة تملك طاقة اختراق الحواجز بطاقة قليلة؛ بفعل الانصهار الداخلي للاستعارة، وهذا ما يتجلى في العبارة غير الاستعارية والعبارة الاستعارية، وتختلف هذه الطاقة ضمن مستويات (الاستعارة التصريحية، الاستعارة المكنية، الاستعارة التمثيلية).

## 2 نموذج من الشارع الجزائري:

لكل شارع كلامه الخاص المتداول الذي يميزه، فيجعل الخارج عن نسقه الثقافي لا يفهم شيئا، أو يغضب أو يضحك، يذكر البحث أمثلة من الشارع الجزائري:

"أفونسيلا ريار خويا": فيها كلمات دخيلة من الفرنسية، وتعني حرفيا (تقدم إلى الوراء قليلا أخي)؛ لكن الجزائري يفهمها (عد للوراء أكثر)؛ هنا دالين مختلفين مدلولين متناقضين، ولكن في اللهجة الجزائرية المدلولين المتناقضين صارا متطابقين، إنها فوضى المفاهيم. لكن البحث ينظر أنها استعارة ذات طبيعة كوانتية؛ فما هو وراءك قد يكون أمامي، ومنه حدث الجمع بين المتكلم (تقدم) والمخاطب (لاريار) كما أن الذهن يستحضر الشيء ونقيضه.

- "أقعد واقف": ومعناها ابقى واقفا، فالوقوف استحضر الجلوس.

- "طاح الليل": بمعنى حل المساء، استعارة لحركة الشمس، فغروبها يشبه السقوط.

الدارجة الجزائرية تؤرخ للإنساق الثقافية المضمرة، فاللهجة الجزائرية تأثرت بالأمازيغية، العربية، الإسبانية، العثمانية، الإيطالية، الفرنسية، الإنجليزية. من الكلمات التركية: طابونة (موقد نار)، شاربات (عصير الليمون مع النعناع)، طورشي (الفلل الحلو)، كواغط (الورق)، الخزناجي (مسؤول المالية والضرائب)، سبيطار (مستشفى)، سباط (حذاء)، زوالي (فقيس)، باشماق (نعل خفيف)، طبسي (صحن)، تشينة (البرتقال)، بالطو (معطف)، فنار (قنديل)، أزرب (أسرع)، بالاك (حذاري).

السؤال كيف استطاعت هذه الكلمات البقاء إلى اليوم والتفاعل مع بعضها لتقدم استعارات ( طاقة) خاصة؟ الجواب: لأنها هامش (كلام الشارع) وليست كلام الكتب، لأنها شعبية وليست نخبوية، لأنها هامش حي فعال وليست مركزا جامدا محنطا، إضافة للتركيبية توجد الإسبانية والإيطالية والفرنسية وغيرها.

يتجلى الإبداع البلاغي لدى شريحة الشباب(بلقايد، 2013)؛ لأن الشارع الجزائري شارع شاب، فيتكلم بمصطلحاتهم المبتكرة، و من بلاغة كلام الشارع الشاب ما يلي:

- (خرجت حطبة): تدل على الإفلاس ، هنا استعارة وجودية بين الشاب والحطب، الحطب لا اخضرار ولا إنتاج فيه، وهذا افلاس والشاب بلا مال هو كذلك، فالمال من يبعث الحياة في الشباب.

- (راني على الحديدية): نفس الأمر الحديد مادة جامدة لا حياة فيها، وهذه استعارة لحالة الشاب بلا مال فهو بلا حياة (جامد).

- (كعبة): يقصد به الشخص الغريب عن المدن الكبرى، وهذه استعارة للكعبة التي بناها سيدنا إبراهيم في مكان خال بعيدة عن الحضارة.

- شبرق: شخص غير أنيق والأجانب عن العاصمة. وأصلها الثياب المقطعة.

- فور و بزور: سلوك أو أمر جيد يثير اهتمامهم.

- خرج صحرا: بمعنى الخسارة، فاستعيرت الصحراء لذلك.

- هارب: الشخص المثقف، لأنه بعيد عن المجتمع فوصف بهذا، وهو انتقاد للمثقفين والنخبة البعيدين عن الشارع.

- تباشوميش: شخص أنيق.

- شريك: الصديق الذي يعيش معك تفاصيل الحياة اليومية.



هكذا ينشئ الشباب بلاغتهم، التي لا يفهمها الآباء، لتكون لهم هويتهم الخاصة، فيلقب الأب بـ (الشيخ)، والأم بـ (العجوز)؛ إنه الشارع ينتج الترياق والسم، لتكون هناك بلاغة قاتلة حيث يسعى النسق الشاب إلى محاولة تهميش نسق الأبوة والأمومة، ليكون هو المركز.

من جهة أخرى يطلق عليهم اسم (البركة) و(الخير) و(الرسعي)، (الكل في الكل)، إقرارا لهم بمكانتهم ومحبتهم (الأنساق تتفاعل)، لماذا نحارب نسق الأب والأم، لماذا لا نتركه ليكمل مهامه من جهة ونقوم نحن بمهامنا من جهة ليكون التكامل والتقدم؟ السم في حقيقته غير قاتل لكن نسبة السم هي التي تقتل، بلاغة الشارع هي خثارة اشتغال هذه الأنساق الثقافية وتفاعلا.

بلاغة الشارع لها (غريزة الحرية) بتعبير تشومسكي في مقال له بعنوان "اللغة والحرية" "لا نستطيع أن ننكر وجود بنية فطرية في الدماغ تسمح لنا بتلقي المعلومات والخبرة من البيئة المحيطة بنا (...). على أن تشومسكي يعتقد أننا لم نبلغ بعد المرحلة التي نستطيع فيها أن نفهم هذه البنية (...). لذلك، يقول إننا يجب أن نؤمن بوجود غريزة الحرية" (الزعيبي والنشار، 2017، صفحة 10)، بلاغة الشارع بلاغة حرة، بلاغة الشارع بلاغة تحتاج منظورا جديدا.

#### سابعاً: الخاتمة

اتهام البلاغة بالضعف والموت، هذا راجع إلى محدودية نظر الباحثين. وإبقاء البلاغة جامدة ضمن المعارف القديمة، فالبلاغة تتطور وتتطور معارف الانسان. تعد فيزياء الكوانتم في نظرية المعنى بمنظور جديد. فإذا كان الصوت أمواجاً، والضوء أمواجاً، والماء أمواجاً، والهواء أمواجاً، والجاذبية أمواجاً فيمكن القول استقراء أن المعنى وتشكله يكون بشكل أمواج.

القواعد البلاغية تجعل من البلاغة قواعد حتمية صارمة تفرض فرضاً، وتضمن غياباً فكرياً. لكن استثمار نظرية الكوانتم يقودنا إلى نسبية هذه القواعد وأن الاحتمال هو السيد لا الحتمية.

## CONCLUSION

Accusing rhetoric of weakness and death, this is due to the limited view of researchers. Keeping rhetoric rigid within the ancient knowledge, rhetoric develops and develops human knowledge. Quantum physics promises a new perspective in the theory of meaning. If sound is waves, light waves, water waves, air waves, and gravity waves, then it can be said extrapolating that the meaning and its formation are in the form of waves.

Rhetorical rules make rhetoric a strict imperative that imposes an imposition, and guarantees an intellectual absence. But the investment of quantum theory leads us to the relativity of these rules and that probability is the master, not determinism.

## المراجع

### المراجع العربية:

- (1) إدموند هوسرل. (2007). *الفينومينولوجيا*. (فتحي إنقزو، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- (2) ألكسندر أفانا سيفيتش بوتيبنيا. (2020). *الفكر واللغة*. (تحسين رزاق عزيز، المترجمون) (الجزائر، بيروت، الجزائر)، الجزائر، لبنان: ابن النديم، دار الرافد، ناشرون.
- (3) *الموقع الرسمي حمود بوعلام*. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 07 08, 2017، من [.HTTPS://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q](https://www.google.dz/search?q)
- (4) أمجد عبد الرزاق كرجية. (2000). *فيزياء الصوت والحركة الموجية*. العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- (5) أندري لالاند. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. (خليل أحمد خليل، المترجمون) باريس، بيروت، فرنسا، لبنان: منشورات عويدات.

- 6) بغورة زواوي. (2005). *الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة)*. بيروت: دار الطبيعة.
- 7) جوتفريد فيلهلم ليبنتز. (1978). *المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي*. (عبد الغفار مكاوي، المترجمون) القاهرة، مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر.
- 8) جورج ومارك لايكوف و جونسون. (2009). *الاستعارات التي نحيا بها*. (عبد المجيد جحفة، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.
- 9) حازم القرطاجني. (1986). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. (محمد الحبيب ابن الخوجة، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 10) دعاء خضر. (2017, 03 05). *بين الثقافة والهوية*. تم الاسترداد من academia.edu.
- 11) رابع أوكيل. (بلا تاريخ). *التغليف المتميز للمنتج وتأثيره على قرار الشراء*. (دراسة مقارنة بين مؤسسات المشروعات الغازية: كوكاكولا، بيبسي، حمود بوعلام. أطروحة دكتوراة. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بومرداس، الجزائر: جامعة أمحمد بوقرة.
- 12) رتيبة بلقايد. (2013, 06 17). *كلمات غريبة تغزو البيوت الجزائرية لكبة ، حطبة ، ... مفريني*. تاريخ الاسترداد 2020, 09 05، من [www.djazair.com](http://www.djazair.com).
- 13) زكرياء أحمد عزام. (2008). *مبادئ التسويق الحديث*. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- 14) زكي نجيب و أحمد محمود و أمين. (2017). *قصة الفلسفة الحديثة*. المملكة المتحدة: هندواي.
- 15) عبد القاهر الجرجاني. (1988). *أسرار البلاغة في علم البيان*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 16) عثمان ابن جني. (1955). *الخصائص (المجلد 1)*. دار الكتب المصرية.
- 17) غريزة الحرية ( مقالات في الفلسفة و الفوضوية و الطبيعة البشرية ). (2017). (عدي ومؤيد الزعبي والنشار، المترجمون) دمشق، سوريا: دار عدوان للنشر و التوزيع.
- 18) عمر صخري. (2003). *اقتصاد المؤسسة (الإصدار ط 3)*. ديوان المطبوعات الجامعية.

19 عمرو الجاحظ. (دون تاريخ). *البيان والتبيين* (المجلد 1). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

20 فضيل دليو. (2003). *اتصال المؤسسة إشهار، علاقات عامة، علاقات مع الصحافة*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

21 مجدي أحمد توفيق. (2013). *ما البلاغة؟ (دراسة)*. القاهرة: سندباد للنشر والإعلام. محيى الدين ابنا العربي. (1985). *شجرة الكون*. (رياضا لعبدالله، المحرر) بيروت، لبنان: القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

22 محمد ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب* (المجلد 1). دار المعارف.

23 مصطفى حسبية. (2009). *المعجم الفلسفي*. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

24 هانز ريشنياخ. (2017). *نشأة الفلسفة العلمية*. (فؤاد زكريا، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي.

#### المراجع العربية مترجمة للإنجليزية:

- 1) Abd al-Qaher al-Jurjani. (1988). *The secrets of rhetoric in the science of rhetoric*. Beirut, Lebanon: Scientific Books House.
- 2) Alexander Avana Sevich Potipnya. (2020). *Thought and language*. (Tahseen Razak Aziz, translators) (Algeria, Beirut, Algeria), Algeria, Lebanon: Ibn Al-Nadim, Dar Al-Rafid, publishers.
- 3) Amjad Abdul Razzaq Karjeh. (2000). *Physics of sound and wave motion*. Iraq: Ministry of Higher Education and Scientific Research.
- 4) Amr Al-Jahiz. (no date). *Manifest and Tabib* (Volume 1). (Abdul Salam Muhammad Haroun, editor) Cairo, Egypt: Al-Khanji Library.
- 5) Andre Lalande. (2001). *Laland's Philosophical Encyclopedia*. (Khalil Ahmed Khalil, translators) Paris, Beirut, France, Lebanon: Oweidat Publications.

- 6) Bhoreh Zawawi. (2005). *Philosophy and Language (Criticism of the Linguistic Turn in Contemporary Philosophy)*. Beirut: Dar Al-Tali'a.
- 7) Edmund Husserl. (2007). *Phenomenology*. (Fatehi Enqzu, The Translators) Beirut: The Arab Organization for Translation.
- 8) Fadil Deliu. (2003). *Communication of the institution Advertising, public relations, relations with the press*. Cairo: Dar Al-Fajr for Publishing and Distribution.
- 9) George, Mark Lykoff and Johnson. (2009). *The metaphors we live by*. (Abdul Majid Jehfa, translators) Morocco: Dar Toubkal Publishing.
- 10) Gottfried Wilhelm Leibniz. (1978). *Monadology and rational principles of nature and divine grace*. (Abdul Ghaffar Makkawi, translators) Cairo, Egypt: House of Culture for Printing and Publishing.
- 11) Hamoud Boualem's official website. (No date). Retrieved 08 07, 2017, from <https://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q>.
- 12) Hans Reichenbach. (2017). *The genesis of scientific philosophy*. (Fouad Zakaria, translators) United Kingdom: Hendawy Foundation.
- 13) Hazem Al-Qirtagni. (1986). *Platform rhetoricians and Siraj writers*. (Muhammad al-Habib Ibn al-Khoja, editor) Beirut, Lebanon: Dar al-Gharb al-Islami.
- 14) Khidr's supplication. (05 03, 2017). *between culture and identity*. Retrieved from [academia.edu](http://academia.edu).
- 15) Magdy Ahmed Tawfik. (2013). *What is rhetoric? (study)*. Cairo: Sinbad Publishing and Media.
- 16) Mohieddin Ibn al-Arabi. (1985). *Universe tree*. (Riyad Al-Abdullah, editor) Beirut, Lebanon: Al-Qalam for printing, publishing and distribution.
- 17) Muhammad Ibn Manzur. (No date). *Lisan Al Arab (Volume 1)*. Knowledge House.
- 18) Mustafa Hassiba. (2009). *Philosophical Dictionary*. Amman, Jordan: Osama House for Publishing and Distribution.
- 18) Okil winner. (No date). *Distinguished product packaging and its impact on the purchase decision. (A comparative study between soft drink establishments: Coca-*

- Cola, Pepsi, Hammoud Boualem. PhD thesis. Faculty of Economics, Commercial and Management Sciences, Boumerdes, Algeria: University of M'hamed Bougara.
- 19) Omar Sakhri. (2003). Enterprise Economics (Version 3rd Edition). University Press.
- 20) Othman Ibn Jinni. (1955). Characteristics (Volume 1). Egyptian Book House.
- 21) Ratiba Belkaid. (17 06, 2013). Strange words invade the Algerian homes of Kebbeh, Hataba, ... Mafrini. Retrieved date 05 09, 2020, from [www.djazairiss.com](http://www.djazairiss.com).
- 22) The Freedom Instinct (Articles on Philosophy, Anarchism, and Human Nature). (2017). (Uday and Muayyad Al-Zoubi and Al-Nashar, translators) Damascus, Syria: Adwan Publishing and Distribution House.
- 23) Zakaria Ahmed Azzam. (2008). Principles of modern marketing. Amman: Dar Al Masirah for publishing, distribution and printing.
- 24) Zaki Najib, Ahmed Mahmoud and Amin. (2017). The story of modern philosophy. United Kingdom: Hindawi.

#### المراجع الأجنبية:

- 1) E Husserl. (1996). médikation cartésiennes introduction à la phènomènologie. ،G. PEIFFER et E. livinas. j. vlin.
- 2) Ibn Arabi. (2012). The tree of being. (shaykh tosun rayrak.) publishedby archetype chetwynd house bartlow cambridge.
- 3) Maerleau Pontu. (1960). sidines. paris: grallimard.
- 4) Merleau ponty. (1945). phènomènologie de la perception. paris: Gallimard.

التوثيق:

**quantum rhetoric**

**leyla ghodbane<sup>1</sup>**

<sup>1</sup>Department of Arabic Language and Literature/ Faculty of Letters, Languages and Arts/ University of Djelfa/ Algeria

Email address, [l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz](mailto:l.ghodbane@mail.univ-djelfa.dz)

<https://orcid.org/0000-0002-6096-8000>

**Abstract:**

This research provides a new insight; It is based on the fact that rhetoric has not died and will not die; Because the death of rhetoric means the annihilation of man, and calls for the opening of new visions for the study of rhetoric, contributions have been made in its renewal towards: the rhetoric of pilgrims, the pragmatic rhetoric, the eloquence of narration, under the umbrella of new rhetoric.

But the research sees that the unity between the forms is the origin (like the fetus begins as a clot, then it becomes a lump, then the organs and systems begin to be created, so it is not reasonable to differentiate between these organs and systems; The evidence is that we find the metaphor of the metaphor, the compound metaphor of the representative metaphor. The research is based on the quantum theory and its new philosophy in the field of knowledge, and exploits it to renew rhetoric.  
keywords; Quantum rhetoric; the home of existence; metaphor ; worldview.

## البلاغة الجديدة (المفهوم وإشكالية المصطلح)

أ. نادية ويدير

جامعة بومرداس

لقد شاع في التداولين البلاغي والتّقدي اقتصار مفهوم مصطلح «البلاغة الجديدة» (Nouvelle Rhétorique) على بلاغة الحجاج البرمانيّة ذات الأصول اليونانيّة الأرسطيّة، غير أنّ المتتبع للمسار البلاغي الغربي من كلاسيكيّة البلاغة الأرسطيّة – الخطابيّة والشّعريّة- إلى حجاجيتها مع بيرلمان وتيتكا وما يحيط بهما من بلاغات، يكشف العديد من الحمولات المفاهيميّة لمصطلح «البلاغة الجديدة»، تتماثل أحيانا وتختلف أحيانا أخرى إلى درجة التّعارض، وعليه يطرح هذا المصطلح إشكاليّة كبيرة في السّاحتين البلاغيّة والنّقديّة، الغربيّة والعربيّة على حد سواء، تتعلّق بمفهومه وحدوده المعرفيّة وتوجّهاته البلاغيّة، ما يجعل الباحث – خصوصا في الحقل البلاغي- في ارتباك مفهومي إزاء انفتاح دلالة مصطلح «البلاغة الجديدة» على عدّة مدلولات تُشكّل في مجملها رؤى بلاغيّة جديدة ومختلفة أفرزتها مقتضيات العصر، من بينها الثّورة اللّسانيّة التي أحدثها العالم التّمساوي فرديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure)، وما بعدها من تحولات إبستمولوجيّة فرضت كل منها توجّها بلاغيّا جديدا كالخطابيّة، والأسلوبيّة، والسيميولوجيّة، والتّداوليّة، وغيرها. لذلك ارتأينا، في هذه الورقة البحثيّة، تسليط الضّوء على إشكاليّة مصطلح «البلاغة الجديدة» بهدف توجيه أذهان الدّارسين في الحقل البلاغي – والباحثين عموما- إلى فوضى المصطلح الذي يعترى هذا الحقل.

- الكلمات المفتاحيّة: أرسطو، البلاغة الكلاسيكيّة، شايم بيرلمان، البلاغة الجديدة، موت البلاغة، إحياء البلاغة، الحجاج، البرهان، البلاغة المُعمّمة، الأسلوبيّة، السيميولوجيا، التّداوليّة، بلاغة الخطاب.

1- كرونولوجيا البلاغة الكلاسيكيّة (من الميلاد إلى الموت):

تفرض القاعدة المنطقيّة «وبأضدادها تُعرف الأشياء» أن يكون مفهوم «البلاغة الجديدة» مناقض لمفهوم «البلاغة القديمة» - أي التقليديّة أو الكلاسيكيّة حسب الاختلافات في التّسمية- والبلاغة الكلاسيكيّة (القديمة) هي البلاغة التي يُورّخ لها تنظيريا – أمّا ممارساتها فهي موجودة بوجود الإنسان ومحاولته الدّفاع عن نفسه بالكلمة، بدءا من الفيلسوف اليوناني سقراط (Socrate) إلى بداية القرن 19، وعليه تطرح «البلاغة الجديدة» عودة إلى قديم ما عرفته البلاغة الكلاسيكيّة من منعطفات كبرى خلال تاريخها الطّويل، تغيّر على امتداد مفهومها بفعل ما أملتته ضرورات مجتمعيّة وسياقات فكريّة وثقافيّة. وتصورات فلسفيّة للكائن في علاقته الإشكاليّة بذاته، وباللغة إحدى طرائق تواصله مع العالم<sup>1</sup>.

اتّسمت البلاغة اليونانيّة بنقاشات فلسفيّة حول طبيعة البلاغة ووظيفتها المجتمعيّة حيث وقف أفلاطون – وقبله نظر سقراط إلى البلاغة نظرة ريب- موقف الرّفص من البلاغة السّفسطائيّة وأقصاها من صرحه الفلسفي، باعتبارها من الخطابات المُضلّلة للعقول، وحصرها – بالتّالي- في إثارة أهواء المخاطبين وتحريك انفعالاتهم والإيقاع بهم وأسمائها بلاغة «الحدث» كما هو مثبت في محاوره جورجياس (Gorgias)، أمّا في محاوره فيدر (Phèdre) فقد ضمّ أفلاطون البلاغة إلى الفلسفة عبر مظهر الجدل وأسمائها «بلاغة الحق» وهي بلاغة حقيقيّة جدليّة تهدف إلى تحقيق المعرفة.

<sup>1</sup> - أنظر: أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص.4.



عرفت البلاغة مع أرسطو (Aristote) منحيين اثنين أحدهما حجاجي والآخر أسلوبى، فقد "أدرك أرسطو، بعد أستاذه أفلاطون، أن "البلاغة حقيقتها الخاصة، التي غصّ الطرف عنها شيخه في جورجياس، والتي ليست بالعلمية ولا باليقينية بقدر ما هي احتمالية تحكم العلاقات الإنسانية"<sup>1</sup>، فاصطبغ مؤلفه «الخطابة» (Rhétorique) بصبغة حجاجية تناول فيه أرسطو موضوع الخطابة ووسائل الإقناع فيها - الإيثوس (Ithos)، واللوغوس (Logos) والباثوس (Pathos)- ومضمون الخطبة وخصائص الخطيب وغيرها، وعليه فالبلاغة الأرسطوية، إذن، احتمالية، تبني عملية الإقناع على عقلنة الخطاب لذلك شملت مختلف أنماط الخطابات (القانوني، والاستشاري، والاحتفالي) وأعطت الأولوية للوغوس<sup>2</sup>، في حين أعطى أرسطو الأهمية في مؤلفه الشعريّة (Poétique) للأسلوب وأسند للصور البلاغية وظائف شكلية تنميّة للخطاب الشعري. بعد البلاغة اليونانية شهدت المحطّة البلاغية الرومانية الانتقال من عالم بلاغي متمركز حول اللّغة عند الإغريق إلى عالم متحوّر حول الخطيب مع الرومان، ولعل الفرق واضح بين التّصوّرين فإذا كانت البلاغة عند أرسطو نتاج فكر حرّ لا يُلزم الجمهور بتلقي خطابات وقبولها، إلّا بقدر تلاؤمها واعتقاداته وأفكاره، فإنّ البلاغة الرومانية ظلّت رهينة «المؤسّسة الخطابية» التي تحكمها علاقة الإرسال بالتلقي، في مقابل سابقتها التي أشكل عليها أمر اللوغوس<sup>3</sup> ما أسفر على صعود نظرية الأسلوب مع ماركوس تاليوس شيشرون (Cicéron) وبداغوجيا البلاغة مع ماركوس فابيوس كينتيليانوس (Quintilianus).

كان شيشرون خطيبا عظيما وسياسيا محافظا. يكتب حوارات عن البلاغة والفلسفة هدفها تعريف القراء الرومانيين بالموضوعات كما ناقشها المدارس اليونانية، وقد اكتسب شيشرون الجزء الأعظم من شهرته من عمله كمحامي في المحاكم التي كانت غالبا ما يقوم فيها بدور الدّفاع، كما اشتهر أيضا بالخطب التي كان يلقيها ومنها الخطب الأربع التي ألقاها سنة 69 (ق.م)، وقد بقيت حوالي ثمان وخمسين خطبة من خطب شيشرون تمت دراستها لاحقا كنماذج للخطابة المؤثّرة. وأهم أعمال شيشرون البلاغية هي محاورته العظيمة "عن الخطابة" 55 ق.م و"زمن المحاوره"، ويرى شيشرون أنّ المواطن، لكي يكون على قدر من المثالية، يحتاج إلى معرفة واسعة وعميقة بالفلسفة والقانون والبلاغة وفنون أخرى. يقول: «إنّ نظرية الكلام كلّها تعتمد على ثلاثة مصادر للإقناع: إثبات أنّ ما ندافع عنه صحيح وإقناع المستمع برأينا، وأنّ نثير في الأذهان العاطفة التي تتطلّبها الحالة». وقتئذ كان كتاب أرسطو "فن الخطابة" قد ظهر مؤخّرا. فقام شيشرون بأخذ بعض الأفكار منه، ومن بينها هذا الشّرح لفكرة طرق الإقناع الثلاثة لأرسطو، كما تحدّث شيشرون عن الأسلوب الذي يرى أنّه مبني على المزايا الأربع: السّلامة والوضوح والزّخرفة والمواءمة<sup>4</sup>. وانطلاقا من شيشرون بدأ الاهتمام أكثر بالأسلوب مقابل إهمال الخطابة.

أمّا البلاغي كنتيليان فقد عينه الإمبراطور فيسباسيان (Vespasian) في وظيفة أستاذ يتلقى مرّتا لتدريس البلاغة اللاتينية بالمدينة. وقد شغل كنتيليان هذا المنصب الرّسمي لمدة عشرين عاما، وكان أيضا يترافع نيابة عن المؤكّلين في المحاكم، كتب رسالة ضاعت عنونها "عن أسباب فساد الفصاحة" وبعد تقاعده بفترة وجيزة شرع في البحث من أجل إنجاز عمله العظيم الذي يُعرف به اليوم، وهو كتاب يُترجم عنوانه عادة بـ "تعليم الخطيب" يوضّح كنتيليان فيه توصياته لتعليم

<sup>1</sup> - أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص.4.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص.5.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> - أنظر: جورج كندي، البلاغة الكلاسيكية، ص. 342-343. ضمن: موسوعة البلاغة، ج.1.

المواطن الروماني أولاً اللغة والتحوُّم التدريبات على نظريات البلاغة والإلقاء<sup>1</sup>. ويضمّ عمل كنتليان عن المؤسسة الخطابية (institutions oratoire) اثني عشر كتاباً تعليمياً للخطيب منذ طفولته: إنّه تصميم كامل لتكوين البيداغوجي، وهذا هو معنى المؤسسة. فهذا الكتاب الأوّل يتعرّض للبداية الأولى من التدريس (معايشة النحوي وبعد ذلك البلاغي). ويعرف الكتاب الثّاني البلاغة، فائدها، أمّا الكتاب الثّالث وحتى الكتاب السّابع فتتعرّض للابتكار والترتيب. ويدرس الكتاب الثّامن وحتى الكتاب العاشر الصّياغة حيث يُعطي هذا الكتاب نصائح تقنية للكتابة، في حين يتناول الكتاب الحادي عشر الأجزاء الصّغرى للبلاغة: الفعل (الإخراج التّمثيلي للخطاب) والذّكرة، وأخيراً يذكر الكتاب الثّاني عشر المزايا الأخلاقية لدى الخطيب<sup>2</sup>، وعلى الرّغم من أنّ كنتليان كان متخصصاً يحظى باحترام كبير من الكتاب اللاحقين عن البلاغة فإنّ كتابه كان أطول وأكثر تفصيلاً ممّا يتطلّبه الكثير من القراء، كما أنّ فكرته على الخطيب التّموجي كانت تبدو وبمرور الوقت أقلّ قابليّة للتحقيق<sup>3</sup>.

عرفت البلاغة بعد المحطّة الرومانية عدّة منعطفات بدءاً من البلاغة المسيحية مع سانت أوغستين (Augustin) إلى القرن 16 حيث حُدِثت البلاغة من المقرّرات الفرنسية الدّراسية، وبعدها إلى القرن السّابع عشر ودخول شعريّة أرسطو إلى فرنسا (1630) مع برنارد لامي (Bernard lamy) ومؤلّفه «البلاغة وفن الكلام»، يقول الباحث المغربي محمد مشبال: "تمّ اختزال البلاغة القديمة منذ القرن السّادس عشر في مجموعة من الوجوه الأسلوبية المفصولة عن وظائفها وتأثيراتها الفعّالة في المتلقّي. وفي هذا الاتجاه يجب أن نذكر أنّ البلاغة الفرنسية التي نشطت طوال قرن من الزّمن (1730 - 1830) لم تكن سوى إعلان عن موت البلاغة بمعناها القديم. لأنّها لم تكن معنيّة أساساً بالخطاب الفعّال والمؤثّر؛ فقد انصبّ معظم اهتمامها على تصنيف الصّور وتحديد دلالاتها الداخليّة بمعزل عن سياقاتها، وكانت لغة الشّعْر التّموج المأسوي الذي استوحى منه أصحابها مقولاتهم البلاغية"<sup>4</sup>. وفي القرن الثّامن عشر تواصل التّأليف البلاغي مع دومارسيه (Dumarsais) ومُصنّفه «المجازات» (Trope)، وبعدها مع آخر مصنّف في البلاغة الكلاسيكية وهو «محسنات الخطاب» (les figures de discours) للبلاغي الفرنسي بيير فونطانيي (P. Fantanier) سنة 1820، وفي نهاية القرن التّاسع عشر "عرفت البلاغة انقراضاً تدريجيّاً لمصنّفاتها وتدهوراً الاستخدام الفلسفي لكلمة «البلاغة» حتى أصبحت مهجورة، بحيث لم يرد ذكرها مثلاً في معجم لالاند (Laland) الفلسفي"<sup>5</sup> وتمّ الإعلان عن موتها. وتعود أسباب موت البلاغة إلى جملة من الخصائص اتّسمت بها البلاغة الكلاسيكية – أشرنا إلى بعضها آنفاً- أهمّها:

- تطابق البلاغة ونظريّة الأسلوب:

يقول الفيلسوف الفرنسي رولان بارت (Roland Barthes): "نجم أقول البلاغة عن صعود قيمة جديدة هي وضوح (الأحداث، والأفكار، والعواطف)"<sup>6</sup>، أي الأسلوب. بدأ انحطاط البلاغة، إذن، في القرن التّاسع عشر ويتمثّل السياق العام الذي أدى إلى موت البلاغة في صعود نظريّة الأسلوب مقابل تراجع الخطابة، يقول الفيلسوف الفرنسي البلغاري تزفيتان

<sup>1</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 354.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 40.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 356.

<sup>4</sup> - محمد مشبال، البلاغة والأصول - دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، ص. 6-7.

<sup>5</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 75.

<sup>6</sup> - فليب بروطون، الحجاج في التّواصل، ص. 20.

تودوروف (Tzvetan Todorov): "بدأت الجماليات في اللحظة عينها التي انتهت فيها الخطابة"<sup>1</sup>، ولقد بدأ هذا التراجع مع البلاغة الرومانية، يقول المؤرخ اللاتيني تاكيتوس (Tacitus) في كتابه الشهير «حوار الخطباء»: "ازدهرت الأعصر السوالف بما لا يُحصى من الخطباء الأعلام، ذوي المواهب الشهيرة؛ أما عصرنا فمن عقمه وخلوه من ذلك المجد الحطابي كاد اسم الخطيب يطويه النسيان"<sup>2</sup>، وقد كان شيشرون – كما ذكرنا سابقا- أول من اعتنى بالأسلوب، يقول تاكيتوس: "نعم، كان شيشرون أول من اعتنى بالأسلوب؛ وأول من جعل وكده في انتقال الألفاظ، وفي صناعة نظمها"<sup>3</sup>. والنتيجة الضرورية لتلك العناية بالأسلوب أنّ الخطب صارت أحسن فأحسن، مع أنّها لم تكن أجود قيتاسا بوظيفتها القديمة، وهي الإقناع، والفعل؛ وذلك ما ردّ به على آخر مخاطبه قائلا: "هذا الذي بلغناه من فائق العناية بالدقائق في الشكّل، تفيدنا الخبرة أنّه لا محالة منقلب علينا"<sup>4</sup>. وقد أسفر عن الاهتمام المفرط بالأسلوب اختزال البلاغة الكلاسيكية إلى دراسة الصّور البلاغية في شقّها المحسناتي والتغاضي عن بعدها الحطابي (كأدوات للإقناع).

- حصر البلاغة في الوظيفة البيداغوجية:

ابتداء من القرن التاسع عشر، لم تعد البلاغة مادة من موادّ التعليم كما أنّها لم تعد معرفة قائمة في المقرّرات المدرسية والجامعية. وحتى هذه اللحظة، كما يذكر أنطوان كومبيان (Antoine Compagnon)، كان لأستاذ البلاغة اليد العليا في الثأوية لأنّه كان يلقن فن الخطب الرّاقى<sup>5</sup>، لذلك يرى رولان بارت أنّ انتصار البلاغة يتمثّل في هيمنتها على التعليم، أمّا احتضارها فيتجلّى في اختزالها ضمن هذا القطاع، إنّها تسقط شيئا فشيئا في زوال نفوذ ثقافي<sup>6</sup>.

- انحصار الأشكال البلاغية:

يعزو البلاغيون البنيويون السبب في الانحصار التدريجي للمجال البلاغي إلى انحصار الأشكال البلاغية، فمنذ الإغريق أخذت البلاغة في الواقع تنحصر قليلا قليلا في مجال بعض الخواص اللغوية للنصوص وذلك بتر جناحها الرئيسيين – كما يقول- وهما الاستدلال والترتيب، وفي نطاق هذه الخصائص اللغوية فإنّ الأمر ما لبث أن اقتصر في نهاية الأمر على مجرد تصنيف الأشكال البلاغية، وأخذت نفس هذه الأشكال تضيق حتى انحصرت في مرحلة تالية في الصيغ المجازية فحسب. ثم لم تلبث أن ركزت على ثنائية الاستعارة والكناية قبل أن تضع الاستعارة وحدها في بؤرة الضوء المركزية وربّما كان هذا يعود إلى أنّ مصطلح الاستعارة هو الذي كان قد تبقى من مجموعة المصطلحات البلاغية الأخرى التي ابتلعها الزمن حتى بداية القرن الحالي. وكان هذا الانحصار مؤذنا بانتهاء عصر البلاغة القديمة التي كرسّت الاستعارة كصورة مركزية للبلاغة بأكملها<sup>7</sup>، يقول أوليفي ريبول (Olivier Reboul): "لقد أصبحت الخطابة المعاصرة تُعنى بالأسلوب أو فن العبارة، بل بجزء من الأسلوب هو الاستعارة، حتى صارت نظرية في الأدب لانظرية في الخطاب الإقناعي"<sup>8</sup>.

- تضيق الأجناس الخطابية:

<sup>1</sup> - تيزفيتان تودوروف، نظريات في الرّمز، ص. 197.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص. 87.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> - تيزفيتان تودوروف، نظريات في الرّمز، ص. 96.

<sup>5</sup> - أنظر: فليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص. 20.

<sup>6</sup> - أنظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص. 19.

<sup>7</sup> - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 180 - 181.

<sup>8</sup> - أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص. 6.

لقد حصر أرسطو البلاغة عبر تلخيص الأجناس الخطابية إلى أنماط ثلاثة (القضائية، والاستشارية، والاحتفالية)، وهذا الحصر للبلاغة هو الذي أدى بالبلاغيين اللاحقين إلى اعتبار صانفة أرسطو أول محاولة لاختزال البلاغة.

## 2- إحياء البلاغة وولادة المصطلح:

يرى بعض البلاغيين الجدد أنّ تاريخ الأفكار مثل التاريخ السياسي، يتضمن لحظات الانكسار والانتصار، لحظات النسيان والعبث، فإنّه منذ سنوات قليلة لم يكن أحد يتصوّر أنّ البلاغة ستعود لتحتلّ المقام الأول، أو لتأخذ مكانها مرة أخرى في الصّف الأول من العلوم الإنسانية، ولم يكن الأمر ليتعدى الإشارة إلى ملاحظة عابرة لناقد نفاذ مثل بول فاليري (P. Valery) عن الدّور الذي يقع من الأهميّة في الدّرجة القصوى، والذي تقوم به الظواهر البلاغية في الشّعْر مع أنّ بعض ذوي البصيرة المرهفة كانوا يُدركون بأنّه من بين جميع العلوم القديمة، ربما كانت البلاغة هي التي تستحق أن تسترد وصف العلميّة. إلاّ أنّه لم يكن هناك أمل كبير في بعثها للحياة مرة أخرى. إذ أنّ البلاغة التأمليّة القديمة كانت على حد تعبيرهم أكثر من ميتة، ويُشيرون في هذا الصّد إلى ما كان يتردّد منذ القرن الماضي في الثّقافة الغربيّة أنّ حماية القوانين التّعليميّة لها هي التي عاقت دفنها نهائيًا وإن لم تمنع تعفّفها<sup>1</sup>، غير أنّ رولان بارت لم يؤمن بالموت الحقيقي للبلاغة بقدر ما اعتقد بنومها وإمكانية عودتها للحياة مجدّدًا، يقول: "إنّ موت البلاغة لم يكن موتًا حقيقيًا، وإنّما «نصف موت» أو بعبارة أدقّ «نوما»<sup>2</sup> ويشير بارت في قوله هذا إلى أن البلاغة، وإن تمّ الاستغناء عنها لعدم جدوتها، فإنّها تحمل في ثناياها أسباب عودتها إلى الحياة مرة أخرى، وفي ذلك يقول تودوروف: "ماتت الخطابة القديمة منذ القرن التاسع عشر؛ غير أنّها قبل اختفائها أنتجت؛ بجهد أخير يفوق الجهود التي سبقتها، كأنّها تجتهد في صدّ موت وشيك، جملة من التأمّلات لا نظير لدقّتها ولطاققتها"<sup>3</sup>، ولعل ما ساعد في بداية الاهتمام بالبلاغة في فترة الستينات من القرن العشرين بداية الوعي بأهميّة تقنيات التّأثير والإقناع وقوّتها طوال القرن، كما شهدت هذه الفترة أيضًا بداية هيمنة الإشهار بقوّة في المشهد الثّقافي.

تزامن ميلاد مصطلح «البلاغة الجديدة» مع محاولات إحياء البلاغة في النّصف الثّاني من القرن العشرين - الثّورة اللسانيّة مع فرديناند دي سوسور وما بعدها من الشّكلانيّة (Formalisme) والبنويّة (Structuralisme) والسميائيّة (Sémiotique) وغيرها- وتمّت ولادة المصطلح ذاته رسميًا عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشّهيرة التي وضعها الفيلسوف التشيكي القانوني شاييم بيرلمان (Chaim Perlman) وعالمة السّوسولوجيا البلجيكيّة لوسي ألبريخت تيتكا (Lucy Albrecht Titka) تحت اسم (Traité de l'argumentation : La nouvelle Rhétorique) ترجمه الدّارسين العرب إلى عدّة ترجمات منها: "مصنّف في الحجاج: البلاغة الجديدة"، أو "نظريّة في الحجاج: البلاغة الجديدة"، أو "مقال في البرهان: البلاغة الجديدة" وغيرها. لُخص عام 1970 إلى كتاب مُصغّر بعنوان «إمبراطوريّة البلاغة» (l'empire rhétorique).

يعتمد مؤلّف بيرلمان وتيتكا على محاولة بعث ماضي البلاغة الفلسفي، يقول بيرلمان: "نأمل أن تؤدّي محاولتنا إلى بعث ماضي البلاغة الفلسفي من جديد"<sup>4</sup>، ومحاولة إحياء المقوم الحجاجي في بلاغة أرسطو؛ لهذا يُمثّل "مصنّف في الحجاج:

<sup>1</sup> - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 197-180.

<sup>2</sup> - رولان بارت، قراءة جديدة في البلاغة القديمة، ص. 7-8.

<sup>3</sup> - ترفيتان تودوروف، نظريّات في الرّمز، ص. 125.

<sup>4</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 75.

البلاغة الجديدة" أول محاولة في القرن العشرين لردم الهوة التي تفصل البلاغة الغربية عن أصلها الخطابي الأرسطي في صورة بلاغة برهانية جديدة تتجاوز بعض جوانب البلاغة الكلاسيكية كالجانب الأسلوبى، لهذا تُعدّ البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتكا خطاباً أرسطية في ثوب جديد. يقول بيرلمان في تحدبد موضوع مؤلفه: "إذا كانت القرون الثلاثة الأخيرة قد شهدت أعمالاً كبرى تدور المشكلات الفلسفية والإيديولوجية، واتسم هذا القرن الأخير بازدهار الدعاية والإعلان، فإنّ المناطق المحدثين قد أغفلوا هذا الجانب، ما يجعل نظريتنا تقترب مرة أخرى مبدئياً من شواغل عصر النهضة. ولذا فإننا نقدمها على أنّها بلاغة جديدة"<sup>1</sup>. وقد قامت البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتكا على جملة من الأسس، من بينها:

- القطيعة مع ديكرت:

تُبين السطور الأولى، من كتاب بيرلمان، حسب فيليب بروتون، القطيعة التي يُحاول بيرلمان تحقيقها مع تصوّر العقل والاستدلال عند ديكرت، والذي يجعله من الوضوح دليل العقل، لم يعد يعتبر العقلانية إلاّ في البرهان الذي ينطلق من أفكار جلية ومغايرة لينشر وضوح المسلمات المقررة على كل القضايا المطلوب إثباتها، وعليه يرفض بيرلمان من البداية الخيار غير الصائب الذي يحيل ما يُمكن إحصاؤه إلى العقل البرهاني، وما لا يُمكن إحصاؤه، أي كل ما يُتبع من القيم ومما يحتمل الصواب، إلى القوة غير العقلانية، وإلى غرائزنا، وإلى الإيحاء، أو إلى القهر؛ لهذا، فإنّه يفتح، أو يعيد فتح، نموذج، منطلقاً من المبدأ البسيط والجذري القائل: إنّ فكرة الوضوح، التي تعتبر صفة العقل، هي التي يجب مناقشتها، إذا أردنا أن نقيم مكاناً لنظرية الحجج تقرأ استخدام العقل من أجل التّحكم في فعلنا، ومن أجل ممارسة التأثير على أفعال الآخرين<sup>2</sup>. ولا يختلف رأي أوليفي روبول وبيرلمان عن رأي رولان بارت في كون العقلانية ورفضها للمحتمل، شكّلت مصدراً للصعوبة التي واجهتها البلاغة في الاحتفاظ بموقع مركزي في أنظمة الفكر الحديثة ويُمكننا، بشكل أعم من وصف هذه المرحلة بأنّها مرحلو المواجهة بين ثقافة الوضوح التي استفادت من إنجازات النّزعة العلمية والنّزعة الوضعيّة، وبين ثقافة الحجج التي ترى أنّ صعودها يُعرقله أفول لا يتعلّق في المحصلة النهائيّة سوى بالمظهر الجمالي للخطاب وليس بالمظهر الحجاجي<sup>3</sup>.

- رفض بلاغة المحسنات:

يقدّم بيرلمان تعريفه للوجوه البلاغية، ويُدقق الفرق بين الحججية منها وبين التي لا تكون سوى زخرفة وتزيين. وهو بهذا التمييز يضع، في الآن نفسه، ترابعية بين الوجه البلاغي الحجاجي وبين المحسن الفارع من الحجج؛ فالثاني ليس إلاّ زخرفة لا فعالية لها في الخطاب، فهو يُشبه «زهوراً ذابلة في مرّج مُعشّب»<sup>4</sup>.

- الجمع بين الخطابة والجدل:

يرفض بيرلمان التّعارض الذي أقامه أرسطو بين الجدل والخطابة. فقد اعتبر الفيلسوف أنّ الجدل يهتم بالحجج المستخدمة في المناظرات أو في الحوار مع مخاطب واحد، بينما تتعلّق الخطابة بالحجج المستخدمة في الخطب التي تُلقى في ساحة عمومية أمام حشد من النّاس غير مختصين وعاجزين عن تتبّع استدلالات معقدة. لكن بيرلمان يُعتبر أنّ هذا الفصل

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

<sup>2</sup> - أنظر: فيليب بروتون، تاريخ نظريات الحجج، ص. 44.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 21.

<sup>4</sup> - أنظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجج عند شايم بيرلمان، ص. 32.

بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي فصل مصطنع<sup>1</sup>، وعليه فالجمع بين الخطابة والجدل هو أهم إنجاز قام به بيرلمان في بلاغته الجديدة.

- تثوير مفهوم المستمع:

تمكّن بيرلمان من تثوير مفهوم المستمع الذي يعني عنده مجموع من يريد الخطيب أن يُؤثّر فيهم بواسطة حجاجه. وهذا المجموع يذهب من الشّخص ذاته حين يحاور نفسه إلى الإنسانية جمعاء. وتبعاً لذلك قسّم المستمع إلى مستمع خاص (يتكوّن من شخص الخطيب وهو يحاور نفسه أو من جمع محدّد العدد في مقام معيّن) ومستمع كوني (يشمل الإنسانية جمعاء، مروراً بتشكيلات لانهائية من المُستمعات الخاصة، أي كل كائن ذي عقل)<sup>2</sup>.

- توسيع الأجناس الخطابية:

لقد أصبحت الخطابة عند شايم بيرلمان غير خاصة بالخطاب الشّفوي فحسب، كما كان عليه الأمر في الخطابة القديمة، بل كذلك بالخطاب الكتابي. بل إنّ بيرلمان لا يهتم بخصوصيات الخطاب الشّفوي، فأكثر النصوص التي يستشهد بها هي من الخطابات الكتابية. وعليه أطلق الفيلسوف القانوني الخطابة من عقابها لتنتفتح على جميع الخطابات الإنسانية<sup>3</sup>، وهو بذلك لا يلتزم بتقسيم أرسطو الثلاثي للأجناس الخطابية أي القضائي (Judiciaire)، والاستشاري (Délibératif)، والاحتفالي (Épidictique).

- الفصل بين الشّكل والمضمون:

من أهم المبادئ التي تعيننا كذلك في هذه البلاغة الجديدة -يقول بيرلمان- ربط الشّكل بالمادة ومقاومة الاتّجاه القائل بالفصل بينهما. على أساس أنّ تقنيات العرض والتّقديم قد لقيت نجاحاً واضحاً في اتجاه معيّن أدى بها إلى أن تنحصر في المجالات البلاغية. اعتماداً على تصوّرها باعتبارها فن الكلام والكتابة الجيدين؛ أي فن عرض الفكر بطريقة شكلية محضة. ويرى في تدهور البلاغة وعقمها واحتفائها بالجانب اللفظي، ممّا يرفض أي نوع من الفصل في الخطاب بين الشّكل والمضمون. وعدم دراسة الأبنية والأشكال الأسلوبية بمعزل عن الهدف الذي ينبغي أن تؤدّيه في عمليّات البرهان<sup>4</sup>.

3- مصطلح "البلاغة الجديدة" في السّياق البلاغي الغربي:

عرفت البلاغة الغربية نشاط تجديد قبل مشروع بيرلمان النهضوي الحجاجي وكان ذلك في المنتصف الأوّل من القرن العشرين مع الفيلسوف الإنجليزي آيفور أرمسترونغ ريتشاردز (Ivor Armstrong Richards) وقد كانت وجهة الفيلسوف تداولية - تواصلية. فإذا كان التأسيس الأوّل للبلاغة الغربية قد قام لدى أرسطو على فكرة الإقناع والتأثير، فإنّ التأسيس الثّاني لها، عند ريتشاردز، في كتابه «فلسفة البلاغة» سنة 1936، قد قام على نقض هذه الفكرة، والاعتقاد بأنّ وظيفتها - أي البلاغة- ينبغي أن تكون دراسة لطرق سوء الفهم في التّوصيل اللغوي. وبذلك قرّر ريتشاردز أن يكون في قطيعة مع المقاربات البلاغية القديمة التي انتعشت منذ القرن السّابع عشر، ليدشّن أوّل مشروع لتحديث البلاغة سيتأثّر بعد عقود

<sup>1</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 35.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 36 - 38.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 37 - 38.

<sup>4</sup> - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 77-78.

باهتمام الباحثين في اللسانيات والسيما والاتصال. وقد كان ريتشاردز يرى أنّ الحجر الأساس الذي يقوم عليه سوء الفهم هو ما يسميه بخرافة المعنى الخاص، أي الاعتقاد بأنّ للكلمة أو المفردة معنى ثابتا مستقرًا بصرف النظر عن السياق أو الاستعمال<sup>1</sup>، وعليه فـ «البلاغة الجديدة» عند ريتشاردز هي البلاغة التي تهتم بدراسة الفهم اللفظي أو سوء الفهم، وهي بلاغة تأخذ على نفسها البحث في أنماط المعاني، لا على الصّعيد الإجمالي، إذ تناقش تأثير الأنماط التنظيمية لأقسام الخطاب الواسعة، كما تفعل البلاغة القديمة، ولكن على الصّعيد التفصيلي وعلاقتها المتداخلة المتشابكة والشروط التي بواسطتها تظهر<sup>2</sup>. وهذا ربط ريتشاردز «البلاغة الجديدة» بالسياق التداولي والوظيفة التواصليّة.

أمّا رولان بارت فقد ربط مصطلح «البلاغة الجديدة» بالشّق التداولي الحجاجي لذلك يرى أنّ تراجع البلاغة يعود بالأساس إلى اختزالها في «نظرية الصياغة» التي قيّدها بالبحث في الصّور، والوجوه، والزخارف، وبالإجمال في الأسلوب، وهو ما جعل نوفاليس (Novalis) – يقول بارت- يعتبر البلاغة أسلوبية قديمة. وقد جنى هذا الاختزال كثيرا على البلاغة إذ جعلنا ننسى جانبها التداولي المرتبط بـ «المحاجة»، و«المخاصمة»، و«المجادلة»، و«المنازعة»، و«المناقشة»، و«المحاورة»، و«المناظرة»، وغيرها<sup>3</sup>. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعود بارت إلى بلاغة جديدة كانت متواجدة في المحطّة البلاغية الرومانيّة حيث يُسمّى البلاغة الجديدة بالسّفسة الثّانيّة، الجماليّة (البلاغة الشعريّة والتقد) التي سادت في العالم الإغريقي – روماني الموحد، خلال القرن الثّاني والقرن الثّالث بعد الميلاد، ولقد أصبحت البلاغة الجديدة فعلا توحيدية؛ نفس الوجوه أصبحت مأخوذة من قبل سانت أوغسطين في إفريقيا اللاتينية، من قبل الوثني ليبانيوس، ومن قبل سانت غريغوار من نازيانز في اليونان الشّرقية. وقد تشيّدت هذه الإمبراطورية الأدبيّة – حسب رولان بارت- من خلال مرجعيّة مزدوجة، وهي<sup>4</sup>:

- السّفسة: إنّ خطباء آسيا الصّغرى، يريدون استعارة اسم السوفسطائيين (Sophiste) الذين يعتقدون أنّهم يحاكيهم.  
- البلاغة: لم تعد البلاغة تقنية خاصّة، وإنّما ثقافة عامة وهي أكثر من ذلك تربية أمميّة (على مستوى المدارس) إنّ السوفسطائي هو مدير مدرسة، والمعلّم الذي هو تابعه، هو البلاغي.

ظهر مصطلح «البلاغة الجديدة» أيضا كمقابل لـ «البلاغة العامة» عند جماعة مو (Groupe Mu) وتأسس هذا الاتجاه في الخمسينيات والستينيات في القرن العشرين، فانصرف إلى الاهتمام بنظرية الأدب، ودراسة التّصويرات الخطابيّة، والبحث في أدبيات النّصوص والخطابات مسترسلا مناهج الشعريّة والبنويّة والسيمايّة، ومرتكزا على فنّ الشعر الأرسطي، مثلما هو الأمر مع دراسات رولان بارت، وجون كوهن، وجماعة مو. وقد احتلت التّصويرات الخطابيّة مكانة هامة في الدّراسات الأدبيّة والنقدية البنويّة والسيمايّة، ما دامت التّصويرة هي جوهر الأدب وبورته الفنيّة والجماليّة<sup>5</sup>، وقد وُلدت هذه «البلاغة الجديدة» (البلاغة الجديدة العامة) في حضان البنويّة النقدية ذات التّزوع الشّكلاني الواضح. وتتمثّل جدتها في أنّها تقوم في مقابل التّقاليد المدرسيّة للبلاغة الكلاسيكيّة، ويُمثّلها جماعة ممن أطلق عليهم البلاغيون الجدد، معظمهم في فرنسا مثل "جيرار جنيت" و"جون كوهن" في كتابيه «بنية اللغة الشعريّة» و«اللغة العليا» وتودوروف وجماعة

<sup>1</sup> - أنظر: أيفور آرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص. 5.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 32.

<sup>3</sup> - رولان بارت، قراءة جديدة في البلاغة القديمة، ص. 6-7.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص. 20.

<sup>5</sup> - جميل حدادي، من الحجاج إل البلاغة الجديدة، ص. 70-71.

مو (أو جماعة لياج Groupe de liège) في كتابهم (La Rhétorique générale) أو «البلاغة العامة» يستمدون أفقهم المعرفي من تيارات تحديتية تتزامن مع حركات تجديد أخرى مثل النقد الجديد والرواية الجديدة وغيرها<sup>1</sup>.

تتميز «البلاغة الجديدة العامة» بعدد من السمات. من أهمها قطعيتها الفعلية مع التقاليد البلاغية القديمة، وغلبة الطابع غير التاريخي عليها، وارتباطها الوثيق بالتجربة الشكلية. واتخاذ مبادئها وسيلة لإضفاء الطابع العلمي، لا الإيديولوجي على بحوثها<sup>2</sup>. ومن مفرزاتهم أيضا نظرية الانزياح أو التغيير الدلالي حيث ضخم أنصار هذا الاتجاه البلاغي الجديد الانزياح حتى جعلوه يعني الخطابة. وقد انشغلت جماعة مومثالا بالخطابة العامة لما هي انفتحت على ثلثة من المقاربات: اللسانيات، وسوسولوجيا الثقافة، والفلسفة، والبيو كيمياء، وعلم الجمال، وتاريخ السينما، كما اهتمت أيضا بدراسة مختلف التصويرات الخطابية داخل نصوص لغوية معينة، وخطابات بصرية متعددة. إن هدف جماعة موهو تأسيس سيميوطيقا خطابية عامة لأجل معرفة أنظمة اللغة والكلام معرفيا ولسانيا<sup>3</sup>.

أما فيليب بروتون (Philip Brotonne) فمصطلح «البلاغة الجديدة» عنده يقترن بنظرية الحجاج البلاغي عند شايم بيرلمان، يقول في كتابه «الحجاج والتواصل»: «الخطابة الجديدة مرتبطة بالتقليد الخطابي الأرسطي، تروغ تحديته وتصويره مبحثا خاصا مستقلا، يقطع في ذات الوقت مع المنطق البرهاني وفلسفة البداهة الديكارتية، ويفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي<sup>4</sup> حيث يرى بروتون أن بيرلمان تعهد بالاضطلاع والعمل على استثمار الموروث البلاغي، وجعل «البلاغة الجديدة» تشق طريقها. وقد حقق كتابه - مُصنّف في الحجاج - البلاغة الجديدة- منعطفا في الحقل البلاغي، ويتمثل الاكتشاف الأكبر لمُصنّف عن الحجاج - حسب بروتون- في أنه بين البرهان العلمي واعتباطية الاعتقادات، يوجد منطق المحتمل، يدعوانه -بيرلمان وتيتكا- الحجاج ويربطانه بالخطابة القديمة. وقد وجد بيرلمان نفسه وهو يبحث عن خطابة جديدة في موقف معارض للخطابة الكلاسيكية، تلك التي تطورت في القرن السابع عشر وتقلّصت لتصبح، كما يقول بروتون، خطابة التصويرات الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف<sup>5</sup>.

وفي الباب الثاني من كتابه المشترك مع جيل جوتيه، الموسوم بـ «تاريخ نظريات الحجاج» يربط بروتون أيضا مصطلح «البلاغة الجديدة» بالهضة الحجاجية المعاصرة على يد بيرلمان وتيتكا في كتابهما المشترك واستيفان تومن (Stephen Toulmin) في كتابه «استخدامات الحجّة»، يقول: «إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة تُدين بالكثير إلى كتابات بيرلمان وتيتكا حيث ترتبط «البلاغة الجديدة» - العنوان الفرعي لكتاب لبيرلمان - بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديته. هذه «البلاغة الجديدة» تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح على الطريقة الديكارتية، وذلك لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي<sup>6</sup>. ويعرض بروتون أيضا في مؤلفه المشترك أساسيات «البلاغة الجديدة»، منها<sup>7</sup>:

- إن البلاغة الجديدة تختلف عن أي نظرية بلاغية غير حجاجية.

- تختلف «البلاغة الجديدة» مع التراث الديكارتية الذي لا يرى العقلانية إلا في البرهان المنطقي.

<sup>1</sup> -أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 83- 84.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 82- 83.

<sup>3</sup> - أنظر: جميل حمداي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص. 92.

<sup>4</sup> - فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص. 41- 42.

<sup>5</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 42.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص. 41- 42.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص. 42.



- تُمثّل «البلاغة الجديدة» عند بيرلمان استعادة للمحاولة التي شرع فيها أرسطو في بحثه عن قواعد بناء المعرفة المشتركة.

- اعتمد بيرلمان في «بلاغته الجديدة» على البلاغة التي جدّد فيها تصنيف الحجج.

كما تتفرّع «البلاغة الجديدة» عند أوليفي ريبول في مؤلفه «مدخل إلى الخطابة» إلى بلاغتين – أو خطابتين حسب اصطلاح مترجم كتاب ريبول – هما: الخطابة الحجاجيّة والخطابة البلاغيّة، أي الاتّجاه الحجاجي والاتّجاه اللساني، يجوز القول عنهما – حسب ريبول- خطابة جديدة ضد خطابة جديدة. تهدف الخطابة في رأي ريبول، عند الاتّجاه الأوّل، إلى الإقناع، وبالنّسبة للثاني، إنّها تُشكّل ما يجعل النّص أدبيّاً وتبحث «في معرفة طرق اللغة المميّزة للأدب». ويقول ريبول مستفهما عنهما متردداً: "لسنا نعلم جيّداً المشترك بين الموقفين"<sup>1</sup>، ويستدرك مفترضاً أنّ الأمر المشترك بينهما إنّما هو "تمفصل الحجج والأسلوب في الوظيفة نفسها"<sup>2</sup>.

ويرى ريبول أنّ خطباء الاتّجاه الخطابي اللساني (أو الخطابة البلاغيّة) حصروا الخطابة في دراسة التّصويرات الأسلوبيّة، التي عزفوها بأنّها انزياح في علاقته بالمعيار، بـ «الدرجة الصّفر»، واختزلوا بالتّالي الخطابة في الانزياح، وعليه تروم الخطابة البلاغيّة أن تكون أدبيّة محضة دونما علاقة مع المقانعة. لقد نُسي بالتّالي – يقول ريبول- كثيراً معنى كلمة «خطابة» حتى صارت سمة كل شيء آخر<sup>3</sup>. وقد اتّجهت هذه الحركة -حسب ريبول- والتي تشمل جون كوهن، وجماعة مو، وجيرار جنيت، ورولان بارت، بالخطابة إلى معرفة طرق اللغة المميّزة للأدب، واختزلت هذه الطرق في التّصويرات الأسلوبيّة، المعرفة نفسها باعتبارها كل واحدة منها انزياحاً بالنّسبة إلى الدرجة الصّفر التي ستكون في النّثر غير الأدبي، دون المواضيع، والترتيب. انحصرت هذه «الخطابة الجديدة»، إذن، في البلاغة، وما احتفظت من البلاغة إلاّ بالتّصويرات. ومجمل القول إنّها خطابة دونما غاية<sup>4</sup>.

وفي المقابل يُعارض الخطابة الأدبيّة – يقول ريبول- تيار آخر، يدخل في التّقليد الكبير لأرسطو، إنّما هو حقا نظريّة الخطاب المقانعي. انطلق مؤلّفاه – بيرلمان وتيتكا- من شكل فلسفي لا لساني وأدبي: كيف نوّس أحكام القيمة؟ وما الذي يسمح لنا بأنّ نؤكّد أنّ هذا عادل، أو أنّ هذا غير جميل؟ فبحثا بالتّالي عن منطق قيمة؟ مواز لمنطق العلم، وانتهيا إلى العثور عليه في الخطابة القديمة، مُكَمّل كما ينبغي بالجدل. إنّ كتابهما هو أساساً دراسة لمختلف أصناف الحجج، وعليه فهي خطابة تُركّز على الإبداع لا على البلاغة<sup>5</sup>.

وإزاء هذه المنافرة الخطابيّة، يتوجّه أوليفي ريبول توجّهًا تركيبياً يسعى من خلاله إلى التّوليف بين الاتّجاهين السّالفين، حيث يرفض ريبول الفصل الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا من جهة، والخطابة الجديدة لجماعة مو وبارت وجنيت من جهة أخرى. فالاتّجاه الأوّل – حسب ريبول- غير مكتمل؛ فإذا كان مُصنّف عن الحجج يصف أحسن الوصف مخططات الحجج، فإنّه يتنكّر ويتجاهل الجوانب الانفعاليّة للخطابة، أقصد الإمتاع والتهيبج، والجمال والعاطفة، الأساسيّة

<sup>1</sup> - أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص.75.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص.116.

<sup>4</sup> - أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها،

<sup>5</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص.117.

للمقابلة<sup>1</sup>. والاتجاه الثاني أيضا ناقص قاصر، مادامت انحصرت هذه «الخطابة الجديدة» في البلاغة، وما احتفظت من البلاغة إلا بالتصوّرات، فأهملت الإبداع في الجزء الحجاجي في الخطابة. ومجمل القول إنّها خطابة دونما غاية<sup>2</sup>.

ينبغي على الخطابة إذن أن تؤلّف بين الحجاج والأسلوب، أو قل، بلغة روبول. بين «الحجاجي والخطابي»، لأداء وظيفة واحدة، ووظيفة الإقناع، يقول روبول: "يتضمّن مقانعي الخطاب مظهرين اثنين: الأول سندعوه «الحجاجي»، والثاني «الخطبي». مظهرين ليس سهل دائما التّمييز بينهما"<sup>3</sup> ويقصد بالخطبي "حركات الخطيب ونبرته وتغيّرات صوته"<sup>4</sup> والتّصويرات الأسلوبية، أي الإيثوس والباثوس. ثم يقفي على هذا القول بقول آخر أفاد أنّ الخطابة نفسها تتألّف "من عنصرين: الحجاجي والخطبي"، ويكتب في موضع آخر من الكتاب: "تمّ التّأكيد على أنّ الخطابة هي التّوحيد الحميمي بين الأسلوب والحجاج"<sup>5</sup>، ويقول أيضا "تبحث القراءة الخطابية عن الرّباط الحميمي بين الحجاجي والخطبي"، ثمّ يُعلّق "وللوصول إلى ذلك، وجب رفض الاختيار القاتل بين خطابة حجاجية وخطابة أسلوبية. ليست تستقيم الواحدة منهما دون الأخرى"<sup>6</sup>. وللوصول إلى ذلك، وجب - في طرح روبول- رفض الاختيار القاتل بالفصل بين خطابة حجاجية وخطابة أسلوبية. وعلاوة على روبول يحمل مصطلح "البلاغة الجديدة" عند اللساني والسيميائي البلجيكي جون ماري كليكنبرغ ( Jean Klinkenberg Marie) أيضا أثر توجّهين، لدينا إذن -يقول- بلاغتان جديدتان<sup>7</sup>:

- تختصّ البلاغة الجديدة الأولى بدراسة أليّات الخطاب الاجتماعي العام، إنّها تتداخل بشكل واسع مع التّداولية. بما أنّها وُلدت عند فلاسفة القانون، ويقصد كليكنبرغ هنا البلاغة الحجاجية البيرومانية، يقول: "حين يُراد الإقناع فإنّ الأمر لا يتعلّق بالاستنتاج والحساب ولكن أيضا بالحجاج"<sup>8</sup>، وعليه فحقول تطبيق البلاغة «الجديدة الأولى» كانت إذا في البدء الدعاية السياسيّة أو التّجاريّة، والمناقشات أو المجادلات القانونيّة وأيضا الحوار الفلسفي.

أمّا البلاغة الجديدة الثّانية فقد تطوّرت عند اللسانيين الذين دفعوا إلى ذلك بالبحث عن البنيات اللسانية التي تكون خاصّة بالأدب، سُميت هذه البلاغة الجديدة بالشّعريّة وعادة ما عُرِضت هذه البلاغة الجديدة الثّانية كبلغة ضيقة: ضيقة بالمقارنة مع البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة الأولى (البلاغة الحجاجية) بما أنّها تبدو منشغلة فقط بوقائع التّعبير أي بالجانب الشّكلي للخطاب<sup>9</sup>.

#### 4- مصطلح "البلاغة الجديدة" في السّياق البلاغي العربي:

يعرض النّاقد المصري صلاح فضل في كتابه «بلاغة الخطاب وعلم النّص» أربع حمولات مفاهيمية لمصطلح "البلاغة الجديدة" تحت مسمى «بلاغة الخطاب. الاتّجاهات الجديدة من القاعدة إلى الظّاهرة»، يقول: "أخذت بحوث البلاغة الجديدة تنمو منذ نهاية عقد الخمسينات حتى الآن، عبر عدّة أفاق متجاورة ومتتاليّة، وإن كانت متباينة في أهدافها

<sup>1</sup> - أنظر: أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص. 98.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 9.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه ص. 7.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص. 8.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص. 226.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص. 98.

<sup>7</sup> - أنظر: جون ماري كليكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، ص. 322.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>9</sup> - أنظر: جون ماري كليكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، ص. 322-323.

وبرامجها. ولا تتعلق هذه الأفاق بالاتجاهات الدأخلية للدراسات البلاغية فحسب، وإنما تمثل طرائق مختلفة في منظور التجديد وأدواته المنهجية<sup>1</sup>، ولعل أول منظور بلاغي جديد يتناوله الباحث بالعرض والتشرح والتفسير هو البلاغة الجديدة ذات الطابع البرهاني عند بيرلمان وتيتكا والتي تُعد - حسب - محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتبارها تحديدا منطقيًا بالمفهوم الواسع، كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد وامتداداتها إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر. وقد عُرفت هذه البلاغة البرهانية فيما بعد بمدرسة «بروكسل» وتفرعت إلى تيارات عديدة متخالفة في الأعوام التالية؛ إذ انبثقت من دراسة المنطق القضائي لكنها لم تلبث أن تجاوزته إلى الفلسفة والأيدولوجيا، بصفة عامة، ويُلاحظ عموما على مبادئها أنها تدور حول وظيفة اللغة التواصلية، وأنها ليست منبته الصلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية، على اعتبار أن مُنظر الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية كأدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان<sup>2</sup>.

إن الخاصية الأساسية لهذه البلاغة الجديدة - يقول صلاح فضل - أنها منطقية وليست تجريبية. فنظرية البرهان التي تهدف إلى بحث سبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعال في الأشخاص كان يُمكن أن تُدرس كفرع من علم النفس، وعندئذ تتحول إلى موضوع يتصل بعلم النفس التجريبي؛ حيث توضع موضع الاختبار مختلف البراهين أمام مجموعات متنوعة من المتلقين الذين يتم اختيارهم بطريقة منظمة، كي يتم استخلاص بعض النتائج الهامة من هذه التجارب. كما أن أبرز إنجازات هذه البلاغة الجديدة البرهانية - حسب الناقد - هورذ الاعتبار الفلسفي لكلمة بلاغة والإسهام في العودة إلى إثارة قضاياها الجوهرية من منظور أفاد من تطوّر معطيات المنطق الحديث وشارف أفق علوم الاتصال الجديدة<sup>3</sup>.

يعرض صلاح فضل أيضا، وكخطوة ثانية، البلاغة الجديدة بمفهومها البنيوي العام من خلال مفهومها، وتاريخ نشأتها، وأعلامها، وأهم سماتها، وحاول بسط بعض مبادئ هذا الاتجاه البنيوي للبلاغة الجديدة في سياق عرض نظرياتهم بتركيز، وشرح منظورهم في أهم قضايا الخطاب البلاغي خاصة فيما يتعلق بأبنية الأشكال البلاغية وتصنيفاتها المحدثة، من بينها<sup>4</sup>:

- يؤكّد البلاغيون البنيويون الجدد حقيقة هامة وهي أن المجاز الشعري انحراف ظاهر له علامته، ولكي يكون هناك انحراف لابد أن يقوم توتر في الخطاب أو تباعد بين الوحدات الدلالية، بين وحدتين على وجه الخصوص.

- يرى البلاغيون الجدد أن علم الدلالة البنيوي الحديث هو الذي يُعدّ أصلح أساس لتنظيم مسائل مشكلة المعنى في المجاز - عملت البلاغة البنيوية العامة على وصف العمليات البلاغية في جملتها على أسس جديدة باعتبارها تحولات أو انحرافات.
- تعمل البلاغة البنيوية العامة على تقنين المجاز وتحديد مداها.

- يرى البلاغيون البنيويون الجدد أن الشكل المجازي لا يُمكن إدراكه إلا في جملة أو في سلسلة قولية.

- يؤمن البلاغيون البنيويون الجدد بوجود الدرجة الصفر للغة وهي الحد الأدنى من الجملة التامة.

كما يُنهي الدّارس حديثه عن البلاغة الجديدة ذات المنحى البنيوي بعرض وجه القصور في هذه البلاغة إذ أن الكثير من ممثلي هذا الاتجاه - حسب - قد خرجوا عليه واتهموه بالقصور والنقص، والنموذج الواضح لذلك هو جيرار جنييت الذي أعلن نقده لهذا الاتجاه الحصري للبلاغة، بحيث ظلّت في تقديره تدور حول "العبارة" فحسب، أو بتعبير أدق حول بعض

<sup>1</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 73.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 77-82.

<sup>4</sup> - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص. 82-97.

أشكالها التّصويريّة، كما كاد أن ينتهي بها إلى أن تنحصر في مجرّد نظريّة للاستعارة تقوم في صلبها على تحديد الانحرافات وطرائق تصويبها، وقد حدا ببعض الباحثين الآخرين، مثل الفيلسوف الفرنسي بول ريكور، إلى الحديث عن الخداع الذي ينطوي عليه تقديمها باعتبارها بلاغة عامة تدّعي أنّها تريد هز المبنى البلاغيّ بأكمله، في الوقت الذي لا يتجاوز فيه إنجازها الفعليّ مجرّد مراجعة قوائم الأشكال البلاغيّة التّقليديّة وملازمة مشكلات المعنى والمجاز دون حلول جذريّة لها<sup>1</sup>.

أمّا المفهوم الثالث الذي أورده صلاح فضل لمصطلح «البلاغة الجديدة» فهو البلاغة الجديدة التّداوليّة وهو اتّجاه يعمد إلى تحليل الخطاب بمنهج وظيفيّ مجاوز للاتّجاه البنيويّ ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية والتّداوليّة من ناحية أخرى، وقد تحوّل إليه في نهاية السّبعينات بعض أنصار التّيّار الثّاني كما فعل تودوروف الذي اعترف عام 1979 بأنّ السيميولوجيا يُمكن أن تُفهم بوصفها بلاغة معاصرة، وقد اتّضح أنّ مفهوم بلاغة الخطاب مرهون بالاعتداد بها، أي البلاغة كعلم لكل أنواع الخطاب<sup>2</sup>.

يرى أنصار الاتّجاه التّداولي للخطاب أنّ المهمة الأولى لتحديد علاقة البلاغة بالتّداوليّة (Pragmatique) هي تعريف مجال كل منهما. خاصّة لأنّ هناك بعض التّعريفات الموسّعة المريحة التي لا تُساعد على التّحديد العلمي الدّقيق، وذلك مثل من يُعرفون البلاغة بأنّها «فن القول بشكل عام»، أو «فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ»، مما يجعلها مجرّد أداة نفعيّة ذرائعيّة، يقول الباحث الألمانيّ لوسبيرج (H. Lausberg): "إنّ البلاغة نظام له بنيّة من الأشكال التّصويريّة واللّغويّة؛ يصلح لإحداث التأثير الذي يُنشده المتكلّم في موقف مُحدّد. وبنفس الطريقة يرى ليتش (Leitch.v) أنّ البلاغة تداوليّة في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلّم والسّامع بحيث يجلّان إشكاليّة علاقتهما مستخدمين وسائل مُحدّدة للتأثير على بعضهما. ولذلك فإنّ البلاغة والتّداوليّة البرجماتيّة تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي؛ على أساس أنّ النّص اللّغوي في جملته إنّما هو «نص في موقف»<sup>3</sup>، غير أنّ داري التّداوليّة يرون أنّه من المناسب تضيق مجال دلالة البلاغة باعتبارها أداة ذرائعيّة، وإلاّ أصبح من الممكن اعتبار كل شيء بلاغة، تأسيساً على أنّ لكلّ شيء أهدافه النّفعيّة، وأنّ كل رسالة لها قصدها وموقفها وظروف تلقّيها.

يقول صلاح فضل: "أمّا الاتّجاه الأخير الذي نودّ تحليله في البلاغة اليوم فهو الذي يُمثّل علم النّص"<sup>4</sup> فما هي علاقة علم النّص بالبلاغة، خاصّة في تجلّيّاتها القديمة والحديثة؟ هل أصبحت البلاغة الجديدة هي ذاتها علم النّص، أم أنّ هناك فوارق لاتزال قائمة بينهما؟

يرى النّاقِد أنّ المنتبِع لنمو الاتّجاهات البلاغيّة الجديدة وتخلّفها في العقود الأخيرة يُلاحظ ترايد الاعتراف بعدم كفاية مشروعاتها التّخطيطيّة واتّجاهاتها الشّكليّة حتى الآن. مما يجعلها تمضي في تكوين مشروع البلاغة النّصيّة الذي يصبّ بدوره في مجال التّوحيد بينها وبين علم النّص، وهناك عدد من العوامل التي تجعل هذا الطّرح النّصي للبلاغة ضرورة ملحّة من أهمّها<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 98.

<sup>2</sup> - أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 74.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص. 97-98.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص. 204.

<sup>5</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 250-251.

- أنّ البلاغة الجديدة، بتجليّاتها المختلفة، لا مفرّ لها من أن تقوم بدور الأفق المُحدّد لتداخل الاختصاصات في العلوم الإنسانية في تطوّرها الحديث؛ مثلما كانت تتداخل فيها - منذ البلاغة الأرسطية- علوم المنطق والأخلاق والفلسفة والشعر.

- طبيعة تطوّر الدّراسات اللغويّة ذاتها في الآونة الأخيرة. فانتقال الاهتمام من الألسنيّة التي تتركز على اللغة، إلى ألسنيّة الكلام، وبروز ظواهر العلاقة بين المرسل والمتلقي في مجال التّداوليّة قد حدا بكثير من علماء اللغة إلى العودة إلى البلاغة.

وتكمن نقطة انطلاق هذا الاتّجاه - حسب صلاح فضل- في اهتمام الفلاسفة المحدثين بمشكلة اللغة وعلاقتها بالفكر. ما وصل لنتائج هامة عند المناطقة الجدد. وبلغ ذروته لدى مجموعة أبحاث الأنثروبولوجيا الأدبيّة واللغويّة والاجتماعيّة حيث أجمع الباحثون على أنّ البلاغة هي الأفق المنشود والمتلقى الضّروري للتداوليّة وعلم النّص والسّمبولوجيا. وهي النّمودج المؤمل عليه للعلم الإنساني في إطاره الشّامل الجديد. وكان فان ديك في هذه الآونة قد بشرّ في بحوثه عن علم اللغة النّصي منذ مطلع السّبعينات بتحويل البلاغة إلى نظريّة النّص. حتى وصل هذا الباحث الهولندي ومدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النّصيّة الكبرى وتماهيا مع البحوث البلاغيّة. على أنّ تحوّل البلاغة الجديدة في الواقع إلى علم النّص - يقول صلاح فضل- يرتبط بمدى قدرة البلاغة في الثّقافات المختلفة على تكوين نموذج جديد لإنتاج الخطاب بكل أنماطه، دون الاقتصار على نوع واحد منه، كما كانت تفعل البلاغة القديمة. فهناك من بعيد قراءة البلاغة ليجعل منها علما وصفياّ بحثا، في مقابل اتّجاه آخر يعيد قراءتها ليقوم منها علما توليديا يبحث في كفيّة الإنتاج الخلاق للنصوص، كما يفرضي بها عندئذ إلى أن تصب في علم النّص<sup>1</sup>.

أمّا الباحث المغربي جميل حمداوي فمصطلح "البلاغة الجديدة" عنده ينفّح على عدّة سياقات جديدة من بينها الحجاجيّة واللسانيّة والأسلوبية والتّداوليّة وغيرها، يقول في كتابه «من الحجاج إلى البلاغة الجديدة»: "سيتناول هذا الكتاب في الفصل الثّاني البلاغة في مرحلتين: مرحلة البلاغة الكلاسيكيّة ومرحلة البلاغة الجديدة، وإذا كانت البلاغة التّقليديّة بلاغة معيارية تعليميّة تربط فن البلاغة بالخطابة والإقناع والإمتاع والبيان، فإنّ البلاغة الجديدة قد تعاملت مع الخطابات النّصيّة المختلفة منذ منتصف القرن العشرين تعاملًا علميًا وصفياّ جديدا، ضمن مجموعة من الاتجاهات: لسانيّة، وأسلوبية، وحجاجيّة، وتداوليّة، وسيميائيّة. وأكثر من هذا، فقد أصبحت للبلاغة اليوم إمراضيّة واسعة وامتدادات شاسعة"<sup>2</sup>. يتّضح من قول حمداوي أنّ البلاغة عرفت مرحلتين:

1- مرحلة البلاغة الكلاسيكيّة ذات الطّابع المعياري التّعليمي.

2- مرحلة البلاغة الجديدة التي اتّخذت طابعا وصفياّ

وقد اتّخذت البلاغة طابعا وصفياّ - حسب الدّارس- في منتصف القرن العشرين، وذلك من خلال ثوب جديد اهتمت فيه بوصف قواعد الخطابات والأجناس الأدبيّة، وتصنيف الصّور البلاغيّة والمحسنات البديعيّة، وتبيان وظائفها في ضوء مناهج معاصرة لسانيّة وبنويّة وسيميائيّة وشعريّة (poétique). ولم تقتصر البلاغة الجديدة على ما هو لساني في دراسة الصّور والخطابات الأدبيّة، بل كانت تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفيّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة، والقانونيّة، والسياسيّة مع شاييم بيرلمان وألبرخت تيتكا. وأكثر من هذا يُمكن الحديث أيضا - يقول حمداوي- عن بلاغة سيميائيّة مع

<sup>1</sup>- أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص. 251.

<sup>2</sup>- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص. 5.

رولان بارت وجماعة مو، وهدفها دراسة العوالم والأنظمة والأنساق السيميائية، سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، ضمن ما يُسمى بالسيميائية المرئية أو البصرية (La sémiotique visuelle)<sup>1</sup>

ومن ثمّ يفتح مصطلح "البلاغة الجديدة" عند جميل حمداوي على عدّة مفاهيم<sup>2</sup>:

- البلاغة الجديدة/البلاغة الكلاسيكية: كان ههما الوحيد هو دراسة الصّور البلاغية وتصنيف الخطابات والأجناس الأدبية وفق مقولات بنيوية ولسانية عند جماعة مو وغيرهم.

- البلاغة الجديدة/البلاغة الأسلوبية: مرتكزها هو دراسة الأسلوب ووصفه في مختلف تجلياته الفنية والجمالية عند هنريش بليث ومن نحى نحوه.

- البلاغة الجديدة/البلاغة الحجاجية: استهدفت دراسة الخطابات السياسية والقضائية والاجتماعية والفلسفية والأخلاقية وفق رؤية حجاجية أرسطوية جديدة وهذا ما قام به شايم بيرلمان وألبرخت تيتكا.

- البلاغة الجديدة/البلاغة السيميائية: استخدمت آليات البلاغة في التّعامل مع مجموعة من الأنساق السيميائية البصرية والمرئية والاجتماعية كالموضحة والصّورة والطبخ والأزياء والإشهار، ومن أهمّ أعلام هذا الاتجاه رولان بارت وجماعة ملاحقا.

- البلاغة الجديدة/البلاغة التّداولية: وهدفها هو دراسة مبحث الإنشاء والخبر وفق رؤية لغوية تداولية وظيفية، قائمة على نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحوارية.

- البلاغة الجديدة/بلاغة التّواصل: كما يشير الدّارس أيضا إلى أن "البلاغة الجديدة" هي أيضا بلاغة التّواصل وهذا ما ورد -حسبه- عند أوليفيه ريبول.

وفي مؤلّف آخر عنوانه جميل حمداوي بـ «نحو بلاغة جديدة: البلاغة الرّحبة أو الموسّعة» يُقرن الباحث المغربي مصطلح "البلاغة الجديدة" ببلاغة السّرد، يقول: "يتناول كتابنا هذا البلاغة بمفهومها الجديد والرّحب والموسّع، متجاوزين البلاغة الضيقة والمختزلة في صورتها المشابهة (التّشبيه والاستعارة) والمجاورة (المجاز المرسل والكناية)"<sup>3</sup>، بمعنى أنّ البلاغة الضيقة كانت تنصب على الشّعور دون الأجناس الأدبية الأخرى، بينما تسعى البلاغة الرّحبة الجديدة إلى مقارنة جميع النّصوص السردية وغير السردية وفق بلاغة المكونات والسّمات، أو وفق البلاغة التّوعية، أو وفق الصّورة السردية الموسّعة التي تُنصت إلى النّصوص من الدّاخل فنيا وجماليّا. ومن هنا، فلقد أعادت البلاغة الرّحبة النّظر في مفهوم الصّورة، فوسّعت مدلولاتها وأنواعها وفق السّياق النّصي، والسّياق الجنسي، والسّياق الذهني. ثم، درستها وفق طاقتها اللغوية والبلاغية<sup>4</sup>.

ومن ثمّ يتبنى كتاب جميل حمداوي المقاربة البلاغية الجديدة، أو نظرية البلاغة الرّحبة، في دراسة الصّور الأدبية، وخاصة الصّور السردية بمختلف أنواعها القديمة والجديدة أخذا في الاعتبار مصطلح البلاغة الجديدة بوصفه مرادفا للبلاغة الرّحبة، أو البلاغة الموسّعة، أو بلاغة الصّورة، أو بلاغة المكونات والسّمات<sup>5</sup>. يقول: "يُعرف كتابنا هذا بالبلاغة الرّحبة أو الموسّعة بصفة عامة، والصّورة السردية بصفة خاصة"<sup>6</sup>. يتّضح ممّا ورد حول البلاغة الجديدة واقتراها ببلاغة السّرد أنّ

<sup>1</sup> - أنظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص. 65-66.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 70-93.

<sup>3</sup> - جميل حمداوي، نحو بلاغة جديدة (البلاغة الرّحبة أو الموسّعة)، ص. 6.

<sup>4</sup> - أنظر: جميل حمداوي، نحو بلاغة جديدة (البلاغة الرّحبة أو الموسّعة)، ص. 6.

<sup>5</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 9-12.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص. 7.

ما يقصده جميل حمداوي من مصطلح "البلاغة الجديدة" في مؤلفه الأنف الذّكر هو "الصّورة البلاغية الجديدة" وهي الصّورة السردية الموسّعة (أو الرّحبة) التي تتجاوز معيارية الصّورة البلاغية التّقليدية.

وفي كتاب مشترك مع الباحث بلال داوود، موسوم بـ «بلاغة الحجج» صدرت طبعته الأولى سنة 2022 يُعيد جميل حمداوي ربط مصطلح "البلاغة الجديدة" ببلاغة الحجج، ويعني ببلاغة الحجج (La Rhétorique des Arguments) تلك البلاغة التي تُعنى بدراسة الحجج والأدلة والبراهين المستخدمة في الخطابات والنصوص، سواء أكانت أدبية أم علمية أم فلسفية أم سياسية أم غيرها. وتستعين هذه البلاغة بالمقاربة الحججية في دراسة الحجج بنية ودلالة، ووظيفة. وفي ذلك يقول: "لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجج ارتباطا وثيقا، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان وتيكا في كتابهما «مصنف في الحجج: البلاغة الجديدة»<sup>1</sup>.

يعرض الباحث البلاغي المغربي محمد مشبال وجهة أبحاثه البلاغية الجديدة بوصفها نظرية للحجج مسائل، في سياق دراساته الحججية، نظرية الأسلوب التي شاع اعتبارها الوريث الشّرعي للبلاغة، والبلاغة البنيوية العامة التي تتعارض وبلاغة الحجج البرلمانية.

شكّلت الأسلوبية – حسب محمد مشبال- لحظة من لحظات تاريخ حياة البلاغة المتألق حتى يومنا هذا؛ فالدراسات الأسلوبية والشكلانية التي تبلورت في بداية القرن العشرين لا يُمكن إخراجها من دائرة البلاغات المتشكّلة على مدى تاريخ الإنسانية، بدعوى انشغالها بالنص واحتفائها بعلاماته الدّاخلية في انفصال تام عن أي سياق، فالأسلوبية التي برزت باعتبارها علما معاصرا ووريثا جديدا للبلاغة القديمة العجوز، لم تفلح – حسب مشبال- في أن تكون بديلا معاصرا عنها أو تحل محلّها كما روّج لذلك الدّارسون في حماسهم الرّائد والمدافع للحدثة التّقديّة. وبينما نشهد اليوم – يقول مشبال- على النّجاحات الباهرة التي تحقّقها البلاغة والدراسات البلاغية، فإنّ الأسلوبية ومناهج الدّراسات الأسلوبية لم تعد تحظى بوجود فعلي يثير الاهتمام سوى في أوساط أكاديمية محدودة غير متّصلة بمجرى الحياة الثّقافية المندفق. ولا أروم بحديثي هذا – يضيف الدّارس- التّقليل من قيمة أسماء عظيمة أمثال ليوسبتزر وميكائيل ريفاتير وغيرهم ممن اتّصلت أبحاثهم – بشكل او بآخر- بالأسلوبية. فالقصد من هذا الحديث ليس ما أنتجه الفكر الأسلوبي، ولكن الأسلوبية من حيث هي حقل بديل للبلاغة؛ هذا هو الافتراض الذي أريد أن أنبّه إلى فساده – يقول- فليست الأسلوبية سوى جزء من حقل البلاغة الرّحب. وإذا كان الأسلوبيون قد عمدوا إلى بناء أنظارتهم بالاستفادة من المناهج اللسانية والنفسية والسوسيولوجية، فإنّ ذلك لا يقوم دليلا على تجاوزها للبلاغة التي لم يكن الأسلوب بمدلوله اللغوي سوى جزء من مساحتها الواسعة. ولاشك أنّ ادّعاء التّجاوز يحمل كثيرا من المغالطات؛ فالبلاغة القديمة لا يُمكن مطابقتها بالأسلوبية، لأنّ اهتمامها بالخطاب لم ينحصر في الجزء المتعلّق بوجوهه بالأسلوبية، بل شمل أجزاء الأخرى التي تمّ إسقاطها من دائرة اهتمام «البلاغيين الأسلوبيين» الذين كانوا يحملون تصوّرا مثاليّا للنص الأدبي انحدر إليهم من القيم الرّومانية التي غالت في دعوتها إلى أدب خالص من شوائب الخطابة<sup>2</sup>.

وفي المقابل يرى ذات البلاغي المغربي أنّ الصّمت التّقيل الذي خيم على مصنّف بيرلمان الذي بعث بلاغة الحجج من جديد في الوعي الثّقافي المعاصر؛ لم يُقدّر له أن يتبدّد إلاّ بعد ظهور الكتاب بثلاثة عقود من الرّمن، وتحديدًا منذ بدايات التّسعينات من خلال محاولات كيببيدي فارغا (1970) ورولان بارت (1970) وكتاب مارك أنجينو (1982) وغيرها، لأنّها تظل

<sup>1</sup> - جميل حمداوي وبلال داوود، بلاغة الحجج، ص. 19.

<sup>2</sup> - محمد مشبال، البلاغة والأصول – دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، ص. 5-7.

محاولات معزولة وغير مؤثرة، ولا يُمكن أن تلتفت النَّظَر في سياق مفتون بالنَّظَرِيَّة الأدبيَّة وبمناهج النَّقْد الأدبي التي بلغت ذروة تطورها في الستينات والسبعينات، فبعد صعود النَّمُودَج اللساني البنيوي وتنامي نظريَّات النَّص التي استلهمته في مجال تنظيراتها الأدبيَّة، مثل الشَّعْرِيَّة البوليفونيَّة عند باختين ونظريَّة التَّلقي وتداوليَّة النَّص ومناهج تحليل الخطاب ولسانيَّات النَّص، لم تعد بلاغة الحجاج ذات الماضي المجيد والحاضر المُبشِّر قادرة على الاستمرار في الاختفاء أو الظهور المُحتشم؛ فما أن أُطلت التَّسعينات حتى حدث الانفجار المتوقَّع للكتابات في بلاغة الحجاج. ورغم ذلك ينبغي أن نفهم - يقول مشبال- لماذا أُصرت جماعة موعلي تأسيس بلاغة جديدة غير عابئة بالبلاغة الجديدة الأخرى التي كان بيرلمان قد أعلن ميلادها الجديد قبل ذلك بأزيد من عقدين من الزَّمن؛ فلم يكن منظورها البلاغي المشبَّع بالأدب، ليساعدها على رؤية الأمور كما يجب أن تُرى؛ فبلاغة بيرلمان بالنَّسبة إليها لا تتعدى أن تكون سلاحا من الجدل، أنشأها صاحبها في سياق فلسفي اقتضى منه مناقضة تصوُّر العقلانيَّة التجريبيَّة للحقيقة الذي قاد إلى إدانة البلاغة، ووضع تصوُّر عقلاني بديل يقوم على مفهوم الاحتمال لا اليقين؛ أمَّا البلاغة الجديدة التي حملتها جماعة موعلي عاتقها، فإنَّها تندرج في سياق مختلف؛ إنَّه سياق النَّظَرِيَّة الأدبيَّة واللغة الشَّعْرِيَّة والبحث عن بديل جديد للأسلوبية؛ فموضوع بلاغتها الجديدة الأدب أو الأدبيَّة، وموضوع بلاغة الحجاج الجدل، إلا أنَّ جماعة موعلي أثرت وضع بلاغة بيرلمان في زاوية ضيقة حتى يسهل عليها تجاوزها لتأسيس مشروعها الذي اعتقدت أنَّه يُشاكل عصرا مأخوذا بفتنة النَّظَرِيَّة الأدبيَّة، كان مشروعها أضيق من أن يرسخ مكانا له في سياق كان يؤذن بتحوُّلات نظريَّة عميقة؛ سواء في النَّظَرِيَّة الأدبيَّة نفسها، أو في اللسانيَّات، أو في حقول مجاورة<sup>1</sup>.

وابتداء من كتاب «البلاغة والأدب» (2010) سيشير مشبال سؤال بلاغة الحجاج، قبل أن يعمد إلى تطبيق منظورها في تحليل نصوص من السَّرد العربي القديم في كتاب «البلاغة والسَّرد: جدل الحجاج والتَّخييل في أخبار الجاحظ»، وفي تحليل نصوص من النَّثر العربي في كتاب «خطاب الأخلاق والهويَّة في رسائل الجاحظ: مقارنة بلاغيَّة حجاجيَّة لرسائل الجاحظ» (2015)، وفي هذا الكتاب يُحاول مشبال أن يُقدِّم بلاغة الحجاج باعتبارها منهجا أو مقارنة في تحليل النصوص الحجاجيَّة؛ هذه المقاربة التي تتكى على أسس نظريَّة أرسطيَّة الجذور، وتقنيات إجرائيَّة تبلورت في البلاغة الجديدة وفي غيرها من الاجتهادات البلاغيَّة الحجاجيَّة المعاصرة<sup>2</sup>.

يُفرق الباحث التَّونسيسابور الحباشة بدوره بين مصطلحين يبدوان للوهلة الأولى شيئا واحدا هما: "البلاغة الجديدة" و"البلاغة الحديثة"، فالبلاغة الجديدة هي البلاغة الحجاجيَّة، أمَّا البلاغة الحديثة فهي البلاغة الأسلوبية، يقول في مؤلِّفه «التَّداوليَّة والحجاج»: "يتناول هذا البحث منزلة الحجاج في التَّداوليَّة بوصفه أهم أركان التَّداوليَّة إلى جانب نظريَّة الأعمال اللغويَّة، وقد مهدنا للحديث عن الحجاج في التَّداوليَّة - يقول- بتعريف «البلاغة الجديدة» (La nouvelle Rhétorique) تعريفا يُميِّزها من «البلاغة الحديثة» (La Rhétorique moderne)<sup>3</sup>.

تُعرف البلاغة الجديدة، عند الحباشة، بأنَّها نظريَّة الحجاج التي تهدف إلى دراسة التَّقنيات الخطابية، وتُسعى إلى إثارة النَّفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشُّروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطوَّر، كما تفحص الآثار النَّاجمة عن ذلك التَّطوُّر، وهذا التَّعريف يُبيِّن إلى أيِّ مدى تُمثِّل البلاغة الجديدة استمرارا للبلاغة الكلاسيكيَّة، وإلى أيِّ مدى تختلف عنها في التَّقاليد الغربيَّة ولعلَّ أبرز من أشار إلى ذلك جيرار جينيت في فصل

<sup>1</sup> - أنظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطاب، ص. 7-9.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 10-12.

<sup>3</sup> - أنظر: صابر الحباشة، التَّداوليَّة والحجاج (مدخل ونصوص)، ص. 15.



بعنوان: «البلاغة المقيّدة» ضمن كتاب «مجازات» (Figures) وكذلك أوليفيه ريبول في كتابه «البلاغة» (La Rhétorique). إن البلاغة الجديدة تُواصل بلاغة أرسطو من حيث توجّها إلى جميع أنواع السّامعين، إنّها تحتضن ما يسميه القُدّامى عند الجدل (طريقة النقاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة، المهتمّة خاصّة بالمسائل الطّنيّة)، وهو ما حدّده أرسطو في كتابه «الطوبيقا» الذي يعرض التّفكير الدّي وسمه أرسطو بالجدلي، والذي يُميّزه عن التّفكير التحليلي للمنطق الصّوري. نظريّة الحجاج هذه سُمّيت بلاغة جديدة لأنّ أرسطو، ورغم الصّلة التي يعقدها بين البلاغة والجدل، قد طوّر الأولى فقط على أساس المستمعين/ المخاطبين<sup>1</sup>.

فضلا عن ذلك ينبغي الإشارة - حسب ما أورده الباحث- إلى تعارض البلاغة الجديدة مع تقليد البلاغة الحديثة، وهي بلاغة أدبيّة صرف، من الأفضل أن تُدعى أسلوبيّة، فالبلاغة الجديدة على عكس البلاغة الحديثة، غير معنيّة بشكل الخطاب من أجل الزّخرف أو القيمة الجماليّة، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع، وخاصّة وسيلة للإبداع أي «الحضور» (أي جلب الأشياء إلى ذهن السّامع ليست حاضرة في ذلك الحين)، وذلك عبر تقنيات التّمثّل<sup>2</sup>.

ومن جهتها ترى الباحثة المغربيّة أمينة الدّهري أنّ البلاغة نَمّ حجمها حتى منتصف القرن العشرين، حيث سُنّبت في السّنوات الخمسين من رماد تراكم المقاربات اللغويّة، وعلى رأسها الإسهامات البلجيكيّة لكل من بيرلمان وجماعة مو، وهي الأعمال التي كان لها الأثر في تجديد البلاغة وعلى حساب شطرها شطرين، باعتبارها مسارا حجاجيا معقول من ناحية، وإجراء أسلوبيا من ناحية ثانية، فالبلاغة الجديد عند بيرلمان ليست قصيرا على الصّور المجازيّة بقدر ما هي احتماليّة هدفها «دراسة التّقنيات الخطابية، التي من شأنها إحداث أوزيادة مو افقة الآخرين على الأطروحات المقدّمة إليهم بقصد قبولها»، إنّ بيرلمان يُعيد اللغة في شقّها الجدلي إلى قطب تصوّره، ويجعلها محط مشروع تأملي مفصل يعتبر الحجاج خطبا ذا استدلال مُنظّم باحث عن منطق للقيم، متوجّه إلى مستمع كوني إذ ثمة في مستهل كتاب بيرلمان المُنجز بمعنيّة ألبرخت تينكا إجابة صريحة من مؤلفيه تصل بحثهما في الحجاج بتقليد قديم إن هو إلاّ الجدل والبلاغة الإغريقيان. فيما اقترحت جماعة مومقاربة بنيويّة أسمتها «بلاغة عامة» ومحورت مشروعها حول نوعيّة اللغة الأدبيّة، وجعلتها موضوع دراسة كاملة. ومع أنّها عمدت في اتّجاه إعادة الصّلة بالتقليد البلاغي الفرنسي لدومارسيه وفونتانييه، فقد ظلّت من أكبر البلاغات التي جدّدت البحث في الأسلوب بدمجه داخل إشكالات اللسانيّات الحديثة<sup>3</sup>.

وأمام هذا الانشطار البلاغي تكمن جدّة البلاغة - من منظور أمينة الدّهري- في ملمة أطراف العلاقة البلاغيّة المتشظيّة من جهة (إقناع + امتاع)، ومساءلتها من موقع حملتها الفلسفيّة من جهة أخرى، يُصبح الخطيب وفقها ممثلا للقيم، والمستمع عديلا للآخر العارف المُشارك، والخطاب مرآة للعالم<sup>4</sup>. إنّ البلاغة الجديدة إذا بلغت شموليّة المنظور بمراعاتها لهذه المكوّنات مجتمعة، فإنّها تطمح إلى مبدأ تعميم مقارباتها على كلّ أنواع الخطاب ليس فقط المعروفة منها في التّقليد البلاغي الغربي الكلاسيكي، وإنّما الأدبيّة والإشهارية وغيرها، وصولا إلى الأحاديث اليوميّة التي لا تخلو من إقناع واستمّواء. وعلى هذا يكون تجديد البلاغة الجديدة جامعا للأسلوب والحجاج على حد سواء وإذا كان من البديهي - تقول أمينة الدّهري- أنّ لكل مرحلة بلاغتها، فإنّها من المؤكّد، أنّه لا وجود لبلاغة بمعزل عن صورة معيّنة للإنسان وللتاريخ ولنوع

<sup>1</sup> - أنظر: صابر الحباشة، التداوليّة والحجاج (مدخل ونصوص)، ص. 15-16.

<sup>2</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 16.

<sup>3</sup> - أنظر: أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص. 6-7.

<sup>4</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 11.

المسافات بين الكلمات والأشياء، بين المتزاح من الكلام ومعقوله؛ ومن ثمة ضرورة إعادة مساءلة هذه العلاقات، بل إن إحياء البلاغة رهين بانمحاء نموذج تفكير وحلول آخر محله<sup>1</sup>.

ونحنم مداخلتنا هذه بماهية «البلاغة الجديدة» عند البلاغي المصري عماد عبد اللطيف الذي سلط الضوء في مؤلفه «البلاغة العربية الجديدة - مسارات ومقاربات» على إشكالية ماهية البلاغة الجديدة متسائلاً: "ما البلاغة الجديدة؟". يرى عماد عبد اللطيف أنّ البلاغة الجديدة تعبير رائج بين الباحثين البلاغيين المعاصرين يتراوح استعماله بين أن يكون صفةً، أو اسماً. أما كونه صفة فهو الشائع في أدبيات العلم، ويعني وصف مسارات ومقاربات ومناهج وتوجهات بلاغية بالجدّة، مقارنة بأخرى سابقة عليها، أما إذا استعمل تعبير «البلاغة الجديدة» اسماً، فإنه غالباً ما يُشير إلى إسهام مُحدّد من إسهامات دراسات الحجاج في النصف الثاني من القرن العشرين، أي كتاب بيرلمان وتيتكا عن الحجاج. لكن ما قدّمه بيرلمان ليس البلاغة الجديدة بإطلاق القول. فالبلاغة لا تقتصر على دراسة الحجاج وحده، ودراسات الحجاج نفسها تطوّرت عبر العقود الأخيرة تطوّراً هائلاً متجاوزة ما قدّمه بيرلمان، وبمعزل عن إسهامه في كثير من الأحيان حيث أسهمت العقود الأخيرة في إنشاء بلاغات جديدة، تتسم بخصائص مختلفة. وقد أدّت وسائل التواصل العمومية الافتراضية إلى ظهور بلاغات هجينة، تجمع علامات متنوّعة في حدث تواصل واحد مثل اللون والصورة والحركة والكلمة والرمز، وتدشين صيغ جديدة للعلاقة بين أطراف الموقف البلاغي، يحظى الجمهور فيها بقدرات غير تقليدية، وابتكار أنواع بلاغية فرضتها تقنيات جديدة، مثل التّغريدات والمنشورات والتعليقات وشرائط الأخبار وغيرها. ومن هذه الزاوية فإنّ البلاغة الجديدة - حسب الباحث- تعبير يصف أنواعاً، وخطابات، وخصائص، وسياقات بلاغية معاصرة متنوّعة<sup>2</sup>.

ومن ناحية أخرى - حسب قناعة الدّارس- يُستعمل تعبير البلاغة الجديدة وصفاً لمنجز معرفي هائل، يمتد عبر عقود طويلة، أسهم في إنجاز مئات الباحثين متنوعي المشارب والثّقافات؛ إذ يوصف بالبلاغة الجديدة حشد كبير من التّوجهات البلاغية، أصبح يُشكّل حقولاً معرفية فرعية في إطار علم البلاغة؛ مثل بلاغة المقارنة، والبلاغة الرّقمية، والبلاغة الإدراكية، وبلاغة المرئي، والبلاغة الفاحصة، والبلاغة عبر الثّقافات، والبلاغة النّقديّة، وبلاغة الجمهور وغيرها<sup>3</sup>.

يظهر مما أوردناه أعلاه، فيما يتعلّق باختلاف المحطات التعريفية لمصطلح «البلاغة الجديدة» في السياقين البلاغيين الغربي والعربي، أن تعدّد أوجه توظيف مصطلح "البلاغة الجديدة" في السياقات المعرفية مختلف ما يؤكّد عدم وجود بلاغة جديدة فريدة القصد والغاية إنّما يزخر الحقل البلاغي بعدّة صّور للبلاغة الجديدة (أي بلاغات جديدة) جاءت كلّها كمحاولات تجديد، بدءاً من المنتصف الثاني للقرن العشرين إلى يومنا هذا، وعليه فإنّ الإلحاح على أنّ البلاغة الجديدة لا تقتصر على تطوير دراسة الحجاج - من منظور عماد عبد اللطيف- أمراً بديهياً لا يحتاج إلى تأكيد إلا أنّ الإشكال يكمن في الخلط بين عنوان مؤلّف بيرلمان وتيتكا - الذي يتضمّن مصطلح البلاغة الجديدة- ومسارات التّجديد البلاغي التي تفرضها - ولا تزال- مستجدات العصر، يقول: "... حتى يزول الوهم الذي يُؤدّي إلى الخلط بين اسم كتاب بعينه، يهدف إلى تطوير موضوع بعينه من موضوعات البلاغة، وبين تغيّرات جذريّة شملت كل ما يُمكن أن يكون بلاغياً، سواء أكان مادة بلاغية أم علماً يدرسها"<sup>4</sup>، واستناداً على قناعة عماد عبد اللطيف البلاغية نرى أنّ الضّروة الاصطلاحية تقتضي التفريق بين

<sup>1</sup> - أنظر: أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص. 7- 11.

<sup>2</sup> - أنظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، ص. 21.

<sup>3</sup> - أنظر: المرجع نفسه، ص. 22.

<sup>4</sup> - عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، ص. 21.

«البلاغات الجديدة» بكل ألوانها وأشكالها و«الخطابة الجديدة» التي بعثها بيرلمان وتيتكا من أصلها الأرسطي حيث تتضمن الأولى (البلاغة الجديدة أو البلاغات الجديدة)، وبصفة آية، الثنائية (أي الخطابة الجديدة) وفق المعادلة الآتية:

البلاغة الجديدة = الخطابة الجديدة (بيرلمان وتيتكا) + بلاغات أخرى

#### - قائمة المراجع:

- 1- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، 2014.
- 2- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، ط1، 2010.
- 3- أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2017.
- 4- أيفورا أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
- 5- تيزفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، ترجمة: محمد الزكراوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.
- 6- جميل حمداوي، من الحجاج إل البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ص. 2014.
- 7- جميل حمداوي، نحو بلاغة جديدة (البلاغة الزحبة أو الموسعة)، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، المملكة السعودية، ط1، 2019.
- 8- جميل حمداوي وبلال داوود، بلاغة الحجج، سلسلة دراسات أكاديمية محكمة، المملكة المغربية، ط1، 2002.
- 9- جورج كندي، البلاغة الكلاسيكية، ترجمة: مها عبد الرازق. ضمن: موسوعة البلاغة، ج1، إشراف: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016.
- 10- جون ماري كليكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، ترجمة: جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2015.
- 11- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، 1994.
- 12- صابر الحباشة، التداولية والحجاج (مدخل ونصوص)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008.
- 13- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار المعرفة، الكويت، 1992.
- 14- عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط2، 2021.
- 15- فليب بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.
- 16- فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي (جامعة الملك عبد العزيز)، ط1، جدة، 2011.
- 17- محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي (نموذج ابن جني)، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007.
- 18- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.

الاسم واللقب: داودي وسيلة

مؤسسة الانتماء: جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2.

الرتبة: دكتوراه تخصص: معجمية وقضايا الدلالة.

الوظيفة: أستاذة لغة عربية.

البريد الإلكتروني: wassiladaoudi@yahoo.com

رقم الهاتف: 0781049514 .

محور المدخل: المحور الرابع: تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية.

عنوان المدخل: البلاغة الجديدة وخلفيات القراءة في مشروع محمد مشبال.

الملخص:

نقدم هذه الورقة البحثية في إطار فعاليات الملتقى الوطني حول: البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث، وفق دراسة وصفية تحليلية نروم فيها مناقشة إحدى أهمّ قراءات البلاغة العربية في ضوء الدرس الجديد، وهي رؤية محمد مشبال، من خلال الوقوف على مفهوم وموضوع البلاغة عند محمد مشبال؟ وماهي الخلفيات التي تقف وراء تعامله مع التراث البلاغي، وما المقاصد التي يريد تحقيقها، الأمر الذي من شأنه أن يكشف الرؤية الجديدة لنظريته البلاغية، وانطلاقا من المقولات البلاغية في تحليل الشعر تبلورت أسئلة شائكة حاول الباحث الإجابة عنها، بوصف البلاغة ليست قواعد مقننة ووصفات جاهزة، حيث توسّل بالمقاربة البلاغية في تحليل النص والخطاب لتنبسط وتتسع ولا يمكن حصرها بعد ذلك، فتكون بذلك بلاغة رحبة وموسّعة لتشمل الشعر والخطابة والنادرة والرسالة والمقامة والرواية، فتنتقل البلاغة بهذا المفهوم وتنسلك من التقييد والجفاف والجمود والتجبر من إمكانات ووسائل ضيقة إلى إمكانات ووسائل فسيحة ومن ثمّ إعادة الروح التأمّلية إلى البلاغة، وبين الحفظ والانفتاح نحت محمد مشبال مشروعه الذي اتّفق واختلف فيه مع مشاريع ورؤى بلاغية أخرى.

الكلمات المفتاحية: البلاغة الجديدة – البلاغة الرّحبة – مقولات بلاغية - محمد مشبال.

البلاغة الجديدة وخلفيات القراءة في مشروع محمد مشبال.

إنّ الحديث عن الباحث محمد مشبال حديث عن صرح كبير ساهم في تجديد الدّرس البلاغي وتطويره بشكل مميّز وملفت للنّظر، وقد استلهم لبنات هذا الصرح انطلاقاً من الإرث البلاغي القديم الذي تركه كبار البلاغيين العرب وعلى رأسهم "عبد القاهر الجرجاني"، ومنفتحا على التراث البلاغي الغربي بداية من بلاغة أرسطو ووصولاً إلى رولان بارت وتودوروف وجيرار جنيت ومرورا برواد البلاغة الجديدة وعلى رأسهم "بيرلمان".

ومن خلال مشروعه في البلاغة الجديدة حاول محمد مشبال تصحيح علاقتنا بالمناهج الحدائثية من جهة و التراث من جهة أخرى والتي كان أساسها الاحتذاء والتقليد، وبين فشل في تثبيت الأقدام وتوسيع مساحة التأثير في التراث وخذلان في ترسيخ الأفكار وترويج نماذج الحدائث النقدية غاب جوهر الإبداع والابتكار، ولهذا سعى محمد مشبال إلى بلورة تصوّر نقدي يقوم على التقريب والاتّصال بين المناهج النقدية قديما وحديثا، وقوام ذلك أنّ الغاية الحقيقية لأيّ ممارسة نقدية هي التّواصل مع العمل الأدبي وقارئة، ومن شأن ذلك إزالة الكثير من الأوهام التي ترسّبت في تفكيرنا النقديّ المعاصر<sup>1</sup>.

وعليه فـ«إنّ النقد العربي الحديث لن يتمتّع بوجود حقيقيّ فاعل ما لم يشارك في صنع هذه الحدائث وإغنائها بإبداع أفكار وابتكار مفهومات؛ فهذا النقد ليس ما كتبه قدامة بن جعفر والجرجاني وحازم القرطاجيّ، أو ما كتبه باختين وتودوروف ورولان بارت منقولاً إلى العربيّة، ولكنّه ما ينتجه اليوم نقاد عرب يبدعون في قراءاتهم لتراثهم، كما يبدعون في قراءاتهم للنّقد الغربي؛ فمن حقّ هؤلاء أن يكون لهم فكرهم النقديّ الخاص يشاركون به في الثقافة الإنسانيّة»<sup>2</sup>.

يرى محمد مشبال أنّ "بيرلمان" على الرّغم من دعوته لفتح البلاغة وتوسيع مجال انشغالها لتتفتح على أنواع من الخطابات المختلفة والجديدة المكتوبة والمرئية، فإنّه لم يراع في تنظيره للحجاج مقتضيات الخطابات، فالنصوص التي اعتمدها كانت من قبيل الشواهد، في حين أنّ أرسطو ومن خلال بناء بلاغته المستقاة من أنواع من الخطاب فإنّه أنتج لنا مفاهيم جديدة كمفهوم الإيثوس والباتوس واللوجوس لنظرية متماسكة لأنواع الخطاب الحجاجي<sup>3</sup>، وعليه محمد مشبال يقرّ بأنّ البلاغة النوعية كانت غائبة تماما عند البلاغيين القدامى وأيضا "بيرلمان"، وعلى أساس ذلك حاول استشراف مقارنة بلاغية بمفهوم النوع الخطابي مستلهما ذلك ممّا صنعه "مارك أنجو" في دراسته للخطاب الهجائي في فرنسا، والتي سعى من خلالها تقديم وصف بلاغيّ نوعي؛ أي الصور التي تستدعيها وظيفة هذا النوع الخطابي بوصفها سمات وخصائص أفرزها هذا النوع دون غيره، وما لفت نظره في هذا المقام مراعاة الباحث لخصائص النوع الخطابي في دراسته لمختلف السمات البلاغية الحجاجية خارج فنّ العبارة<sup>4</sup>.

بهذا الحديث نهبنا مشبال إلى أنّ البلاغة القديمة لم تكن إلا مجرد أداة لوصف العبارة، ولم تكن أبداً منهجا لتحليل النصوص فكانت بذلك بلاغة عامة مجردة، وانطلاقاً من ذلك انبرى لتكريس تحليل يتجاوز البلاغة بالمفهوم السابق والتي تهتمّ فيه بملفوظات معزولة عن سياقها الخطابي إلى مقارنة بلاغية تفاعلية مع الخطابات تفتح أبوابها لتتسع لأدوات جديدة من حقول أخرى لإغنائها، ومن شأن ذلك أن يفتح آفاقاً جديدة في قراءة التراث.

كان كتاب "مقولات بلاغية في تحليل الشعر" لمحمد مشبال حجر الزاوية في مشروعه العلمي والذي أراد من خلاله استثمار مقولات بلاغية قديمة « في تحليل نماذج من الشعر المعاصر، بل حتى في تحليل أنواع أخرى من القول»<sup>5</sup> أي مقارنة النصوص بلاغياً، مدقّقاً النظر في جملة من التفاصيل والمعايير الجمالية من قبيل "الغرض" و"الصورة" و"المكوّن الصوتي" ثمّ اعتكافه على قياس فاعليتها في مصادرها التراثية ثمّ في الشعر المعاصر.

وقد أشار "محمد أنقار" في مقدّمة الكتاب أنّه يدفع الباحث إلى الانشغال بتساؤلات مركّبة منها:<sup>6</sup>

- أيّ نهج يمكن الاستنارة به لاختبار إمكانات بلاغتنا والوقوف على فعاليتها في تحليل الأدب المعاصر بمفهومه الكوني؟

- ماهو وضع البلاغة الشعرية بإزاء التجديد؟

بعد طرح هذه التساؤلات المهمة يكشف محمد مشبال أنّ هيمنة جنس الشعر في مرحلة الانتقال من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة أحالتها إلى أن تكون ضرباً من الأسلوبية الشعرية التي لا تملك طاقة استيعاب أساليب التصوير في الرواية والأنواع الأدبية النثرية الأخرى. وهذا من شأنه جعل البحث البلاغي المعاصر سجين سلطة النوع الواحد هو الشعر وسيظلّ النثريحتلّ موقعا ثانويّاً في النظرية الأدبية الحديثة.<sup>7</sup>

يشير محمد مشبال في الفصل الأول من كتابه مقولات بلاغية في تحليل الشعر أنّ "الوظيفة الشعرية" هي تصوّر ضيقّ للشعر حيث تترجم قصور مفهوم الوظيفة الجمالية في النظرية الأدبية الحديثة في استيعاب رحابة الشعر وعمقه الإنساني، ويكشف عن افتقاره إلى ضبط إمكانات التصوير في النثر، ليقترح بعد ذلك جنس الرواية والذي يراه أنّه يتضمّن مكوّنات وسمات تميّزها عن الشعر، فالتصوير الموجود في البلاغة يتجاوز بلاغة الشعر نحو أفق سردي، وتصبح الوظيفة الجمالية في جنس الرواية ذات أبعاد أخرى.<sup>8</sup>

تأسيس الوظيفة الجمالية في النثر كالرواية مثلاً ينبغي أن تراعي الخصوصية الفنية لها، ولهذا عدّ محمد مشبال دراسة الصورة أو التكرار الصوتي السائدان في نقد الشعر من خلال المشابهات بينهما وبين ما يوجد في الرواية

هي ممارسة غير علمية ونهج فاسد لم يراع السياق النوعي، وعموما ينطبق ذلك على جميع أنواع الأجناس الأدبية، وهذا تصريح واضح يربط الوجوه الأسلوبية بالأجناس والأنواع، أي ضرورة استحضر فاعلية النوع الأدبي في صياغة المكوّن الجمالي وهو ما خلص إليه في حديثه عن مقولة النوع واختزال الصور البلاغية<sup>9</sup>. ولعلّها صرخة واضحة تدعو إلى ضرورة الربط بين الصور التخيلية ونوع الجنس الأدبي وهو ما تفرّد به محمّد مشبال حيث استلهم ذلك من الثقافة العربية ومن مختلف التجارب البلاغية.

أبرز ما يذهب إليه محمّد مشبال أنّ ما يميّز المقاربة البلاغية عن غيرها من المقاربات النصية هو أنّها «تنظر إلى النص من زاوية تأثيره في المتلقّي؛ تتحرك البلاغة في هذه المسافة بين النص والمتلقّي؛ تتساءل عن كيفية التأثير فيه جمالياً وتداولياً»<sup>10</sup>، وعلى هذا الأساس فهو يقسم البلاغة إلى بلاغتين: بلاغة الأدب (الأسلوب) والتي تبحث عن كيفية التأثير التخيلي الجمالي وبلاغة الحجاج التي تبحث عن كيفية التأثير الإقناعي وهو ما حاول أرسطو إبرازه غير أنّه لم يبيّن كيفية حدوث ذلك، وحاول البلاغيون بعده تحليل هذا التأثير الحاصل في الخطاب.

يذهب أصحاب النظرية الغربية إلى أنّ البلاغة عبر التاريخ أصبحت مرادفة للشعرية أو الأسلوبية وهو الأمر الذي أفقدها أهمّ مكوّن لها وهو اعتبارها نظرية في الخطاب الفعّال من جزاء ربطها بالأدب، وهي نظرة مغلقة للأدب، ولكي تسوّغ درسها للأدب لابدّ لها أن تقوم على تصوّر تواصل وظيفي للنص الأدبي يقوم على المقصدية الواضحة والمعنى الوحيد والإقناع<sup>11</sup>.

ولهذا حاول فارس بحثنا الوقوف على جوهر البلاغة الذي يضمّ ويستوعب كلا من الخطاب الأدبي التخيلي والخطاب التداولي، فلم يكن في بادئ الأمر مشتغلا بالحجاج بل كان جلّ اهتمامه بالأدب، وتوجهه إلى النصوص البلاغية القديمة والتي تعجّ بالمقولات الحجاجية فرضت عليه جانبا آخر من الاهتمام منذ كتابه "البلاغة والأدب" والذي حاول فيه الوقوف على جوهر البلاغة انطلاقا من افتراضه الذي يقضي بالتباس في استخدامات لفظ البلاغة سواء قديما أم حديثا خاصة بعد اقترانه بالأجناس الأدبية السردية وبأنماط التعبيرية المستحدثة ممّا أسهم في التباس المدلول وفي غناه أيضا، فكانت هذه الفرضية بوابة فتحها محمّد مشبال ليحوّل الغموض من نقطة ارتكاز هشة إلى أرض خصبة ثرية بمزيج من الإمكانيات الواسعة.

وانطلاقا من جوهر البلاغة والذي يتمثّل في التصرّواتواصل للأعمال الأدبية والتي كانت تتّصف بالطبيعة المزدوجة (الشعر والنثر) قديما، حامت الشكوك حولها في قدرتها على الوصف والتأويل للخطابات الجمالية والتي لا تتوجّه للمتلقّي بأيّ رسالة واضحة، وتراصفت بعد ذلك الأسئلة من قبيل:<sup>12</sup>

- هل يوجد بالفعل خطاب مستقل بذاته بشكل مطلق؟
- هل نصف ارتباط البلاغة بالكلام الجميل غير الفعال سواء كان شعرا أم نثرا بالخطأ التاريخي والانحراف والشذوذ؟

- هل نحصر موضوع البلاغة في دراسة الصور البلاغية المعدودة أو المقننة؟
- هل كان سعي النماذج البلاغية إلى ضبط الكليات في صالح بلاغات النصوص والأنواع الأدبية؟
- هل يمكن الحديث عن مشروعية وجود بلاغة كلية قادرة على النمذجة الصارمة للبلاغات النوعية المختلفة؟

ولذلك سعى كتاب "البلاغة والأدب" إلى الكشف عن وجود بلاغة كلية قادرة على استوعاب بلاغات نوعية مختلفة. ولم يفند محمد مشبال توسله بمفهوم البلاغة عند أرسطو في حين أنه حاول توسيع إمكاناتها وجعلها بلاغة رحبة موسعة، ومن شأن طرح هذا المفهوم الموسع للبلاغة أن يطرح إشكالات أخرى منها: ماهو موضوع البلاغة؟ وعلى ماذا تشتغل؟ وهل الإمكانيات التي تمتلكها البلاغة محصورة ومحددة أم أنها واسعة بحسب اتساع أنواع الخطاب المعروفة سواء أسلوبا أم إقناعا؟.

وعلى أساس هذه الرؤية للبلاغة أصبح من غير الممكن حصرها في نوع أدبي واحد، فكان كتاب "البلاغة والسرد" محطة أخرى تتقاطع فيه إشكالات متعددة؛ منها وصف الأجناس الأدبية السردية القديمة وكيفية قراءتها وتأويلها، وعلاقة الأدب القديم بالأدب الحديث، ومفهوم البلاغة في علاقته بالسرد الأدبي في ظل التعارض السائد اليوم بين مفهومي الحجاج والتصوير.

يظهر بين ثنايا الكتاب محاولة محمد مشبال الدؤوبية في فهم جنس أدبي قديم من خلال أخبار الجاحظ، حيث شهدنا المزوجة بين التفكير في جنس أدبي سردي وخصوصيته من جهة، وبين تأويل نصوصه وخصوصيتها ودلالاتها من جهة أخرى. فقد كانت الغاية المتوخاة الكشف عن الطبيعة البلاغية للجاحظ وفي الوقت ذاته التواصل مع تجربته الجمالية والإنسانية التاريخية في عصره مستخدما كل الوسائل المنهجية المتاحة من الحقول المختلفة للاستفادة وتعميق المعرفة بالإنسان وسلوكه وأهوائه، ورفع محمد مشبال أي حرج أو عائق بل جؤز لنفسه كل الحرية في توسله بمفاهيم ومناهج والنظريات الحديثة في صياغة أفكاره كنظرية التلقي والأسلوبيات والسرديات والتداولية والبلاغة الحجاجية والبلاغة الأدبية. وقد نحت بذلك إرثا قديما بمعاول ووسائل حديثة<sup>13</sup>.



فرض الجاحظ بلاغته السردية على الفكر البلاغي والتي «وسّع الجاحظ دنيها لتشمّل الحياة والخطاب أو العالم واللغة؛ فالبليغ عنده ليس المتكلم الذي استجاب في إنجاز كلامه لمقاييس الرؤية البلاغية فقط، لكنّه الإنسان الذي امتثل في سلوكه وتصرفاته وتفكيره لجوهر هذه الرؤية أيضا»<sup>14</sup>.

فكرة الكتاب وهي العلاقة بين البلاغة والسرد كما أشار إليها صاحبه فرضتها الاتجاهات السائدة بين من يميل إلى حصر البلاغة في دراسة البنيات الحجاجية في النص، ويغيّرها في دراسة المكونات السردية والتخييلية، ومن يقرن البلاغة بدراسة البنيات الأسلوبية والسردية ويؤجل الأولوية الحجاجية، وعليه فإنّ مشبال يقرّ بوجود تلازم بين التصوير والحجاج، ولا يخصّ أدب الجاحظ فقط بل في مطلق النصوص الأدبية، وبغضّ النظر عن نفعيّة أو جماليّة العلاقة التي تنشأ بين النص والملتقى فهي من موضوعات البلاغة<sup>15</sup>.

سعى الكتاب أيضا إلى الإقرار بأنّ الجاحظ أحد مؤسّسي بلاغة السرد بمفهومها الجمالي الإنساني، لقد أسهم في تغيير مفهوم البلاغة في تراثنا الأدبي حيث كانت مولعة بالشعر فغيّر مبدأها إلى الوصف والسرد والحياة الإنسانية الواقعية في وجهها الأخر كقيم النقص والشذوذ والسخرية التي جسّدتها المقامة قديما، والقصة والرواية حديثا.

بهذه الرؤية اتّسعت البلاغة من مجردّ الإمكانات والوسائل الضيقة إلى إمكانات فسيحة شملت أنواع النصوص المختلفة في أزمان مختلفة، حقيقة محمّد مشبال أخرج البلاغة من عنق الزجاجة في الوقت الذي قد حصرها البعض في قواعد تعليمية جافّة، وقد توسّل في مشروعه بالعديد من أفكار الفلاسفة والبلاغيين على مرّ الزمن، لقد نحا في تقويم البلاغة منحى سبقه إليه غيره في الجزء الذي وافقهم عليه، وسبقهم إليه هو في الجزء الذي قد خالفهم فيه فسار في طريقه متفردا من خلال الاستفادة بأدوات منقولة جسّدتها أعمال غريبة وأدوات مألوفة جسّدتها أعمال تراثنا الأدبي.

نحا محمّد مشبال في كتاباته طريقا كان يركّز فيه في بداية الأمر على الأدب وعلاقته بالبلاغة، غير أنّه انعطف بعد ذلك طريقا حجاجيا من خلال كتابه "البلاغة والأدب" ثمّ "البلاغة والسرد" انطلاقا من دراسته المعمّقة للنصوص النثرية القديمة، ممّا يوضّح أنّ هذه الأخيرة فرضت نفسها عليه من خلال توسّله بأفكارها التي طفت بصورة واضحة في مشروعه البلاغي.

ومن خلال كتابه "الرواية والبلاغة: نحو مقارنة بلاغية موسعة للرواية العربية" سنة 2019م، يرى مصطفى رجوان أنّ ماجاء في الكتاب يعدّ المحاولة الحقيقية الأولى في بلاغة الرواية العربية، فمجرد تجاوز المصطلحين يثير الكثير من التساؤلات ولعلّ أبرزها:

- كيف تحلل البلاغة الرواية جماليًا دون المساس باختصاص السرديات والاختلاط بالشعرية؟ حيث عالج محمّد مشبال التمثّل غير السليم لمفهوم البلاغة لأولئك الذين يحاولون مقارنة الرواية بلاغيا مع الإشارة إلى بعض الدراسات التي لامست أفق بلاغة الرواية والتي اعتمد عليها شخصيًا، ويمكن القول أنّ هذا العمل انطلاقة فعلية للبحث في بلاغة الرواية العربية والتي يكشف فيها جماليات جديدة ويستوعب التخيلي والحجائي التداولي داخل عوالمها الممكنة، ولعلّ الدافع الأكبر في هذا الكتاب إحياء البلاغة العربية باشتغالها على الأجناس العصرية وإيجاد الجمال فيها عن طريق الانفتاح على الحقول الأخرى كالسيمائيات والشعرية والتداولية والاستفادة ممّا حقّقه في ميدانها. لذلك فعبارة "البلاغة الموسعة" هي مبدأ والركيزة الأساس في المشروع البلاغي والذي يُطلق عليه مشروع "البلاغة الرّحية"، وهذا الكتاب هو نتاج تفكير طويل في موضوع بلاغة الرواية ونتيجة تجربة كبيرة وخبرة واسعة بالمقارنة البلاغية<sup>16</sup>.

تشكّلت الهوية البلاغية لمحمّد مشبال من خلال النظرة التكاملية بين التخيل والحجاج، فقد التقى مشروعه مع الكثير من البلاغيين الغرب والعرب، فلم يكن بيرمانيا بالكامل ولا جاحظيًا بالكامل، ومزج بين البلاغات جميعها حتى كانت بلاغة كليّة. ولا نملك إلا أن نقول أنّ مشروع محمّد مشبال في البلاغة الجديدة هو مشروع إحياء البلاغة.

- <sup>1</sup> - ينظر: محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي-مقالات في النقد والتواصل، مطبعة الخليج العربي، تطوان- المغرب، ط1، 2002م، ص 06.
- <sup>2</sup> - ينظر: نفسه.
- <sup>3</sup> - ينظر: محمد مشبال، البلاغة وأنواع الخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، دبلد، ط1، 2017م، المقدمة.
- <sup>4</sup> - ينظر: نفسه.
- <sup>5</sup> - محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر المعاصر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط – المغرب، ط1، 1993م، ص 11.
- <sup>6</sup> - ينظر: نفسه.
- <sup>7</sup> - ينظر: نفسه، ص 19-24.
- <sup>8</sup> - ينظر: محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ص 17.
- <sup>9</sup> - ينظر، نفسه، ص 26.
- <sup>10</sup> - محمد مشبال، البلاغة والأدب – من صور البلاغة إلى صور الخطاب، دار العين للنشر، الاسكندرية- مصر، دط، 2010م، لمقدمة.
- <sup>11</sup> - نفسه.
- <sup>12</sup> - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأدب- مصور اللغة إلى صور الخطاب، ص 11- 13.
- <sup>13</sup> - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والسرد، ص 5-6
- <sup>14</sup> - نفسه، ص 6.
- <sup>15</sup> - ينظر: نفسه.
- <sup>16</sup> - ينظر: مصطفى رجوان، الرواية والبلاغة" للباحث محمد مشبال : من عصر الرواية إلى عصر بلاغة الرواية، [20/https://www.alquds.co.uk](https://www.alquds.co.uk) أبريل 2022م، السادسة صباحا.

## تصور بلاغة الحجاج عند محمد العمري:

- إن لمن القول الرائع والفصاحة التعبيرية الجميلة لبلاغة لصاحبها ويزيد هذه البلاغة ذوقا وصدقا وصحة إذا كانت متضافرة بالحجج الدامغة والإقناع المؤثر الكلام البين

### 1- مفهوم البلاغة الجديدة:

وحتى نفهم الحجاج وأصوله ومعالله لابد أولا أن نطل أولا على مفهوم البلاغة الجديدة بحكم كون هذا الأخير الحجاج إحدى مفهوم البطون الأساسية المتفرعة عن البلاغة الحديثة وعمودها على حد تعبير إين ريشد والذي يرى « أن عمود البلاغة يعتمد على المنطق، وهو الحجج القائمة في الأقبسة الخطابية بلاغة أو ضمائر احتمالية، وهذا المنحى في تخليق صناعة الخطابة ومنطقية موجودة في البلاغية الجديدة، ونظرية الحجج عند بيرلمان في العصر الحديث، ومن حاد عن هذا الطريق. طريق عمود البلاغة الذي يربط البلاغة بالمنطق صرف اهتمامه للجوانب الأسلوبية المقامية أي للأمور الخارجية غير الجوهرية»<sup>1</sup>

مما تقدم وحسب نظر العمري إن البلاغة بصفة عامة لا تقف عند ذلك التزيين والتنميق اللغوي الموجود أيضا في الشعر وإنما البلاغة الحقة تلك التي تركز على الجوهر الداخلي الحجاجي الذي يقوم على الأساليب والوسائل الحجاجية الإقناعية التي تؤثر في المتلقي، وتزيد كلام القائل إقناعا وتأثير.

لذا نجد العمري في غير موضع من كتاباته النظرية ومعالجاته التطبيقية يرفض البلاغة المبتذلة التي تدرس في المناهج التعليمية المبرمجة والتي تختزل كل المعلومات البلاغية في المعاني والبيان والبديع، كما يرفض الدراسات الحديثة القائلة بأن البلاغة هي أسلوبية حديثة بل يرى أن البلاغة الحديثة هي التي تجمع بين النظرة القديمة والحديثة وبذلك تجمع البلاغة بين جناحين « جناح نصي لغوي، وجناح تداولي مقامي ومنه الحديث عن بلاغة عامة، وبلاغات خاصة، بلاغة الشعر، وبلاغة الحجج وتحولت البلاغة إلى لغة للتواصل بين الاختصاصات العلمية»<sup>2</sup>

### 2- بلاغة الحجاج:

إذا ما وقفنا عند مفهوم الحجاج على حد نظرة الغربيين وعلى رأسهم بيرلمان وتيتيكاه بأن هو ذلك العلم الذي موضوعه « تقنيات الخطاب التي تؤدي إلى بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات وأن تزيد في درجة التسليم أو محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار أو يزيد في ذلك إلى درجة تبعث على العمل المطلوب»<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2005، ص51-52.

<sup>2</sup> سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي والتلقي العربي - محمد العمري نموذجا، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد السابع، جوان، 2013، ص11.

<sup>3</sup> عبد الله صولة: الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج الخطابية الجديدة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، تونس، منوبة، د.ت، ص297.

مما تقدم يفهم أن بلاغة الحجاج الحديثة تركز على الوقوف عند تحليل ودراسة أهم التقنيات والآليات التي تساعد الكاتب في أي نص سواء أكان شعريا أو نثريا على إقناع المتلقي وتحديد مدى التأثير فيه.

### 3- الحجاج عند محمد العمري:

يؤكد العمري في دراساته البلاغية على محاولاته البارزة في التأصل بنظرية الحجاجية في البلاغة العربية القديمة وذلك بحسب ما ورد في كتابه الموسوم بالبلاغة العربية أصولها وامتداداتها» « إعادة الاعتبار للبعد التداولي الحجاجي مستثمرا نظرية البيان عند الجاحظ ومشروع حازم القرطاجي الذي دعا مبكرا لقيام بلاغة عامة تستوعب الأجناس الأدبية المختلفة وقد حاول تطبيق أفكاره ودراساته النظرية حول بلاغة الحجاج»<sup>1</sup> عل العديد من النصوص الحديثة والتراثية، وذلك من اجل إثبات وتأكيد تصوره للنظرية الحجاجية، وقد وقف على ذلك في مؤلفه الموسوم بـ «في بلاغة الخطاب الإقناعي»

إذ حاول في دراسته التي تأثر فيها بأرسطو في تحليله الحجاجي لمختلف النصوص الحديثة وخاصة منها التراثية:

بحيث حصر مكونات الخطابية في ثلاثة عناصر:

« - وسائل الإقناع أو البراهين

- الأسلوب أو البناء اللغوي

- ترتيب أجزاء القول

ثم دعا إلى عدم إهمال عنصر الإلقاء في التقسيم لأن الخطاب الناجحة قائمة على الصوت والحركة»<sup>2</sup>

نلاحظ هنا أن العمري يركز في تصوره الحجاجي على الخطاب أكثر من تركيزه على النص، لكون هذا الأخير الخطاب يركز في بنائه على المنطوق والمكتوب بينما ينفرد النص بما هو مكتوب، ومن وسائل الإقناع والتأثير كما أشار إليها في خضم حديثه على وسائل الإقناع في تحليله الحجاجي على الصوت والحركة إلى جانب الفنيات اللغوية من مستويات الكلام إلى الأدلة والبراهين المستمد من النصوص الاستدلالية ( القرآن، الحديث، الشعر، النثر)

### 4- آليات الحجاج عند محمد العمري:

اعتمد محمد العمري في تحليله للخطاب الأدبي ووقوفه على صور الحجاج على آليات حددها فيما يأتي:

#### 1- القياس الخطابي:

يعتمد هذا النوع من القياس على الاحتمال والترجيح والخروج عن صرامة الاستدلال وقد استدلل على وجوده في الدراسات القديمة بما ورد في خطبة الحجاج: « يا أهل العراق بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال: « من ملك على عشر رقاب من المسلمين جيئ به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه ، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور، وأيم الله إني لأحب إلي أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا، من أن أحشر معكم مطلقا»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، ط1، (2013)، ص21.

<sup>2</sup> ينظر: محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، ط2، 2002، ص20.

<sup>3</sup> أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت، ج2، ص287.

والأدلة القياسية المضمرة في هذا النص هي من خلال التعبير اللفظي هي:

- أبو بكر، عمر بن الخطاب

- لم يوبق الحكم هذين الرجلين

- الحكم لا يوبق أحدا<sup>1</sup>

2- المثل: يعتبر المثل من الأدلة الدامغة في البلاغة العربية ومن أكثر الشواهد المعتمد عليها في اللغة العربية،

ويقوم المثل على مماثلة قصة بقصة أخرى، أو حادثة تاريخية تماثلها حادثة أخرى مستحدثة جيئ بها التمثيل والإقناع

3- الشاهد: « وهو ما أطلق عليه أرسطو بالحجة الجاهرة ويرى العمري أن هذا النوع من صور الحجاج يرد في

الخطابة العربية من خلال الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وتضمن الحكم والأمثال والأبيات الشعرية»<sup>2</sup>

تلك هي أهم الآليات الحجاجية التي حددها محمد العمري في تنظيراته وطبقها في دراساته حتى يصل بها إلى

الأساليب الحجاجية التي يعتمد عليها المؤلف في نصوصه لتحقيق الإقناع والتأثير.

ملتقى مفدي زكرياء:

ملامح الثورة الجزائرية في شعر مفدي زكرياء

مفدي زكرياء من أبرز شعراء الجزائر المعروفين بنشاطهم السياسي والثقافي، عرف بانضمامه إلى هذا المجال منذ

انخراطه في صفوف الجمعيات المناهضة والمدافعة على الصوت الجزائري كجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وعضوا

أساسيا في حزب نجم شمال إفريقيا، عضوا في حزب الشعب، عضو في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأخير

انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، كل هذه الجمعيات والأحزاب أهلتها إلى بداية نشاطه الذي مثله في نشاطه الأدبي.

أعماله الأدبية كانت اللسان الصارخ والقلم المسجل للتاريخ الجزائري وأضحت الثورة الجزائرية مادة خصبة

للإبداع الأدبي مكنت مفدي زكرياء وغيره من الشعراء الجزائريين من التعبير عن نضالهم ووقوفهم وتأييدهم لهذا الحدث

التاريخي.

وعلى هذا الأساس يعد مفدي زكرياء من أكثر الشعراء العرب عموما والجزائريين على وجه الخصوص التزاما بهذا

اللون الإبداعي وقد أثبت ذلك من خلال آثاره الأدبية.

شعر الثورة عند مفدي زكرياء:

إن المتتبع لتاريخ الأدب الجزائري وبالذات الجانب الشعري منه يرى أن مفدي زكريا جسد لنا الثورة بكافة تعاليمه

بداية من المكان إذ تجاوز في شعره القيمة الطبيعية للمكان لتصويره في صورته الثورية مجسدا ذلك بالعناصر الجمالية

والإيقاع والدلالة معبرا بذلك على الحالة النفسية التي كان عليها الكاتب ان ذلك وهذا ما يدعونا للوقوف عند قول أحمد

---

<sup>1</sup> ينظر: عالم عبد الصمد: بلاغة الحجاج في النص الخطابي عند محمد العمري، مجلة اللغة العربية، المجلد 24، العدد

4، 2021، ص320.

<sup>2</sup> ينظر: عالم عبد الصمد: بلاغة الحجاج في النص الخطابي عند محمد العمري، مجلة اللغة العربية، المجلد 24، العدد

4، 2021، ص 321.

حيدوش فيقول المكان هو الذي ثار على الظلم والطغيان قبل الإنسان وأنه هو الذي مارس الفعل والواقع ان الإنسان هو الذي ثار على الوضع وكان المكان حاميا له، بيد أن الشاعر لم يفرق بين المكان والإنسان في أغلب الأحيان فالمكان إنسان والإنسان مكان ولذلك فهجاء المستعمر يتم من خلال المكان ومدح أبطال الثورة يتم عبره أيضا

الجبال قصيد اقرأ كتابك

السجن قضى 7 سنوات متراوحة عل على خمس مرات ما بين 1937-1959م فتحول عنده من رمز للآخر المدينة

إلى رمز الأنا

أبعاد تصويره للمكان

البعد الديني

البعد السياسي

البعد الثوري

جامعة محمد خيضر\_بسكرة\_

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث.

يومي: 09\_10 ماي 2022.

اسم ولقب المشارك الأول: زينب علاوة.

الصفة: طالبة دكتوراه.

اسم ولقب المشارك الثاني: راوية حمزة.

الصفة: دكتورة.

مؤسسة الانتماء جامعة محمد خيضر\_بسكرة\_

الهاتف والبريد الإلكتروني المشارك الأول: [zineb.allaoua@univ-biskra.dz](mailto:zineb.allaoua@univ-biskra.dz) / 0675839869

الهاتف والبريد الإلكتروني للمشارك الثاني: [0667117721/rawiahamza2016@outlook.com](mailto:0667117721/rawiahamza2016@outlook.com)

محور المداخلة: المحور الأول بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة.

عنوان المداخلة: أثر كتاب بيرلمان "رسالة في الحجاج" في التأصيل لنظرية الحجاج في الفكر اللغوي الغربي الحديث.

الملخص:

إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة الجديدة تدين بالكثير إلى كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي الأستاذ في جامعة "بروكسل" شاييم بيرلمان (1912\_1984) الذي نشر في عام 1958 ثم في عام 1970 بمشاركة لوسي أولبرشتس تيتيكا كتاب "رسالة في الحجاج" والذي أعيد نشره وترجمته أكثر من مرة، ترتبط "البلاغة الجديدة" العنوان الفرعي للكتاب" بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديثه..وقد تركت أعماله أثرا كبيرا في الكثير من البحوث في مجال الحجاج.



تدرس المدرسة البييرلمانية التي موقعها "بروكسل" الخطابية من وجهة نظر الإقناع والحجاج، إذ يأخذ بيرلمان بالغايات الحجاجية إذ يقول: وبالنسبة إلينا نحن الذين نهتم أقل اهتمام بشريعة الطريقة الأدبية في التعبير وتهتم بالأساس بتقنيات الخطاب الإقناعي، يبدو لنا مهما ليس دراسة مسألة المحسنات في مجموعها وإنما بيان كيف أن استعمال ومكان بعض المحسنات المحددة تفسر بالحاجات الحجاجية.<sup>1</sup>

في عام 1958 وعن طريق الصدفة اللافتة للنظر تم نشر الكتابين المؤسسين للعودة المعاصرة للاهتمام النظري بالحجاج وهما: "رسالة في الحجاج" البلاغة الجديدة "لشاييم بيرلمان" و"لوسي أولبرشتس تيتيكا" وكتاب "استخدامات الحجّة" لستيفان تولمن.<sup>2</sup>

الخطابة (البلاغة الجديدة):

الخطابة (البلاغة الجديدة) هو العنوان الفرعي للكتاب الذي اختاره بيرلمان وتيتيكا اهتم فيه صاحبا بتصنيف آليات الحجاج باعتباره تقنية خاصة ومميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد، وسيصبح هذا العنوان الفرعي عنوانا أصليا للكتاب نفسه في طبعة لاحقة.

إن صفة التجديد التي تحدث عنها المؤلفان تعني ضمنا أن هناك خطابة (بلاغة قديمة)، فإذا كانت الخطابة (البلاغة) الجديدة مطابقة في منظرهما فإن مرامي هذه التسمية لا يمكن أن يتأتى إلا بالوقوف وقفة متأنية على المقصود بالخطابة (البلاغة) القديمة التي حاولنا من خلال مصنفهما إخراجها من دائرة الحجاج.

نشأت الخطابة (البلاغة) بحسب ما يذهب إليه رولان بارت من المحاكمات حول الملكية، فحوالي سنة 485 ق.م قام الطاغيتان "جيلون" "Gelon" و"هيرون" "Hieron" من صقلية بتهجير السكان ونقلهم ومصادرة الملكية من أجل إعمار سيراكوزة وتمليك المرتزقة، وبعد أن أطاحت بهما انتفاضة ديمقراطية وأريدت العودة إلى الوضع السابق حدثت نزاعات قضائية لا تحصى، فقد كانت حقوق الملكية غير واضحة تماما، فكانت تلك المحاكمات من نمط جديد كانت تعنى هيئات شعبية كبرى من المحلفين كان يلزم لإقناعها بالفضاحة؛ هذه الفصاحة المتضمنة في

<sup>1</sup> أبو بكر عزاوي، الحجاج بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، الأردن، 2020، ص ص 40\_50.

<sup>2</sup> فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي، م ع السعودية، 2011، ص 41.

آن معا للديمقراطية والديماغوجية وللقضائي والسياسي (ما سمي بعد ذلك بالمشوري) سرعان ما أصبحت موضوعا للتدريس، وكان أول أساتذة هذه المادة الجديدة "أمباذقليدس الأغرجنطي Empédocle d'grigente وكوراكس Corax تلميذه في سيراكوزة (وأول من أخذ أجره مقابل دروسه) وتيسياس Tisias وانتثل هذا التدريس بالسرعة ذاتها إلى آتيكا (بعد الحروب الميديّة) بفضل منازعات التجار الذين كانوا يترافعون في سيراكوزة وأثينا في الوقت نفسه ومنذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد صارت الخطابة (البلاغة) جزئيا أثينية.<sup>1</sup>

الخطابة (البلاغة) الجديدة عود على بدء:

لا يمكن إدراك تصور بيرلمان للخطابة إلا بربطه بسياق ظهوره فقد ظهر الكتاب بداية النصف الثاني من القرن العشرين هذا السياق الذي عرف المجتمع الأوروبي خلاله تحولات جذرية عميقة شملت مجالات السياسة والاقتصاد والإيديولوجيا... وكان من النتائج المباشرة لهذا التحول، سيادة ثقافة ديمقراطية تركز التنوع والاختلاف، وتنبذ العنف والإقماع وتستهجنهما فكانت الحاجة ماسة إلى نمط جديد من الخطابة تمام كما حدث في السياق الأثيني.<sup>2</sup>

وتبقى أهم سمة وسمت خطابة بيرلمان توكيد أهمية المتلقي الذي لم يعد سلبيًا، بل أصبح متلقيا فاعلا، وأصبح الحجاج بذلك وفاقا وتشاركا وحواربعيدا عن كل أشكال الضغط صحيح أن المتلقي كان حاضرا في البلاغة القديمة أيضا، لكن المتلقي في الخطابة (البلاغة) الجديدة لم يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم لينتقل من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، فالطرفان يتبادلان فيام بينهما المواقع، ويدعم لينتقل من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، فالطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع ومن جهة ثانية، فإن المتلقي في الخطابة القديمة بحكم سلبيته كان في درجة أدنى درجة الخطيب× ومن ثم كان يتلقى الخطبة من عل، فالعلاقة بينهما رأسية أما المتلقي في الخطابة الجديدة فهو يحكم بإيجابيته يقف في درجة موازية لدرجة المرسل، ومن ثم يتلقى الخطبة من مقابل مواز، فالعلاقة بينهما أفقية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، 2010، بيروت، لبنان، ص 6.

<sup>2</sup> حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 9.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ص 10.

باختصار شديد فإن الغلبة أو الاقتناع في الخطابة الجديدة لا يتأتى لمن يمتلك سحر الخطابة، بل لمن يمتلك إلى جانب ذلك فن الجدل وقوة الإقناع والتأثير وسلطة الحجاج...

تشارك نظريتنا الحجاج عند بيرلمان وتولمن في أشياء وأخرى مهمة بالتأكيد كخلفيتهما الحقوقية، إلا أن اختلافهما بل وتباعدهما يبدو أكثر وضوحاً، وجزء مهم من هذا الاختلاف يعود إلى تباين تصورهما الأساسي للحجاج ففي الوقت الذي طور فيه بيرلمان نظريته البلاغية ضد العقلانية (الديكارتية) وذلك بمحاولة إعطاء قابلية الصواب قيمة في مواجهة ما هو لازم، وبتوضيح أهمية الآراء بمقارنتها بالوقائع، نجد أن نظرية الحجاج لدى "تولمن" تنخرط في معارضة لبعض أساليب المنطق مع الرغبة في إصلاحه بهدف جعله أكثر قابلية للتطبيق في مواقف الحياة اليومية وفي النقاش العقلاني، فالحجة عند "بيرلمان" تتعلق بعقلانية تختلف عن البرهان الرياضي، أما بالنسبة لتولمن فإنها أقرب لأن تكون نوعاً من الاستدلال أكثر عمومية وتعقيداً من القياس المؤلف.

أساسيات البلاغة الجديدة:

يبحثه عن منطق القيم "Valeurs" وجد بيرلمان في طريقة البلاغة القديمة بلاغة أرسطو وبلاغية العصور القديمة، التي وضعها في موقف معارض للبلاغة الكلاسيكية التي تطورت في القرن السابع عشر وتقلصت لتصبح كما يقول: "بلاغة الصور الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف، وكانت دراسات البلاغة العامة، التي كتب فيها "بارت وجينات" وباحثون معها عنده تنتهي لهذه البلاغة الكلاسيكية أكثر من انتمائها للبلاغة القديمة إذ تهتم الأولى بالأسلوب وجماليات الخطاب فيما تهتم الثانية بالوظيفة الإقناعية فيه.

إن البلاغة الجديدة بالنسبة لبيرلمان ننوجه لكل أنواع المتلقين بل وتتعلق حتى بالحالة الخاصة التي يتشاور فيها الإنسان مع نفسه، ولا يكون الحجاج دقيقاً أبداً، وفقاً لبيرلمان إلا إذا توجه إلى متلق عام، أما موضوعه فهو دراسة الخطاب غير البرهاني، وبالتالي فهو يغطي كل حقل "الخطاب الهادف إلى الإفحام أو الإقناع"، هذه البلاغة يمكن أن تكملها منهجيات متخصصة تتناسب مع نوع المتلقي ونوع المادة المطروحة على الرغم من هذه النظرة الضيقة فيما يخص البلاغة فإن نظريته في الحجاج تضع هذه الإشكالية بوضوح في بعد تواصلية وهي ذاتها التي كانت مركز اهتمام البلاغيين القدماء الذين كانوا لا يفصلون نهائياً مسألة تشكل الأفكار ومسألة انتقالها، والسبب في ذلك كما يقول

بيرلمان: "إن هدف الحجج ليس استنباط نتائج لبعض المقدمات، وإنما إثارة وزيادة قبول المتلقي للأطروحات المقدمة ليقبل بها.<sup>1</sup>

القطيعة مع ديكارت:

تبين السطور الأولى من كتاب "رسالة في الحجج" بجلاء القطيعة التي يحاول بيرلمان تحقيقها مع تصور العقل والاستدلال عند ديكارت" والذي يجعله دليل العقل، لم يعد يعتبر العقلانية إلا في البرهان الذي ينطلق من أفكار جلية ومغايرة لينتشر وضوح المسلمات المقررة على كل القضايا المطلوب إثباتها يقول: إن فكرة الوضوح التي تعتبر صفة العقل هي التي يجب مناقشتها إذا أردنا أن نقيم مكانا لنظرية الحجج تقرأ استخدام العقل من أجل التحكم في فعلنا ومن أجل ممارسة التأثير في أفعال الآخرين" بهذا فإن طموح بيرلمان وكل أولئك الذين سيتبعونه في ذات الطريق خاصة "ميشيل ماير" M.Mayer في بروكسل هو إظهار وبناء المبادئ العقلانية تتعلق بالأمور الإنسانية التي لا تنتهي للوضوح البرهاني الذي لا يتناسب كثيرا معها، ولا لعدم عقلانية اللجوء إلى العواطف.

مسألة تلقي الحججة:

يطرح "بيرلمان" مسألة المتلقي على مستويين: الأول: هو احتمالية فعل الحجج ذاته، فيقول مؤكدا: لكي يحدث حجج يجب أن تتحقق في لحظة معينة مجموعة من العقول، ويجب أن نكون مثقفين قبل أي شيء، ومن حيث المبدأ على تشكل هذه المجموعة المستشيرة، ثم بعد ذلك على عملية المناقشة الجماعية لمسألة بعينها والواقع أن هذه ليس من البديهيات.<sup>2</sup>

وبعد ذلك يضع مسألة المتلقي على مستوى آخر، هو "بناؤه من قبل الخطيب، وهنا يتقاطع "بيرلمان" مع إحدى القضايا الأساسية في البلاغة القديمة التي يمكن بهذا المنحى، أن تتلاقى مع بعض الإشكاليات في النظريات الحالية للتلقي والتي اشتهرت في أوساط علوم التواصل.

<sup>1</sup> فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجج، المرجع السابق، ص 43.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 45.

إن همة بسيط وجوهري:" إن معرفة أولئك الذين تنوي إقناعهم شرط مسبق لأي حجاج فعال بمعنى آخر يجب على المرسل أن يتوقع كيفية تلقي رسالته الإقناعية، وأن يدمج هذا التوقع في تصور الرسالة ذاتها وهذا موقف اكتشفه أرسطو مسبقا وذلك بقوله إننا لا نحاجج إلا انطلاقا من آراء مقررة سلفا...ومن هذا الحضور للتلقي في مقدمة فعل الحجاج، استطاع أن يستنبط أن (الثقافة الشخصية لكل متلق تظهر عبر الخطابات الموجهة إليه، وذلك بطريقة تبين أن من هذه الخطابات نفسها وإلى حد كبير، ونعتمد أن لنا الحق في استنباط بعض المعلومات المتعلقة بالحضارات البائدة وبإمكاننا أن نضيف والمتعلقة بحضاراتنا كذلك.

خاتمة:

إن عودة الاهتمام الحالي بالبلاغة الجديدة تدين بالكثير إلى كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي الأستاذ في جامعة بروكسل "شاييم بيرلمان" (1912\_1984)، الذي نشر في عام 1958 ثم في عام 1970 بمشاركة لوسي أولبيرشتس تيتيكا كتاب "رسالة في الحجاج والذي أعيد نشره وترجمته أكثر من مرة، ترتبط "البلاغة الجديدة" العنوان الفرعي للكتاب بالتقليد البلاغي الأرسطي وتقوم بتحديثه. هذه البلاغة الجديدة تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح على الطريقة الديكارتية وذلك لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي، وعليه يعرف بيرلمان الحجاج بأنه "دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن نقبلها" وقد تركت أعماله أثرا كبيرا في الكثير من البحوث الحالية في مجال الحجاج والتي تجسد اتجاهها مهما جعل البعض مثل "لامبرور" 1999 "L'empereur" يتحدث عن مدرسة بروكسل.

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني: البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث.

الاسم واللقب: عبد المطلب عبد الحي.

الصفة: طالب دكتوراه سنة ثانية تخصص لسانيات الخطاب.

مؤسسة الانتماء: جامعة الدكتور يحي فارس المدية / كلية الآداب واللغات بعين الذهب..

مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية.

الهاتف: 07.99.12.98.28

البريد الإلكتروني: Abdelhaiabdelmotaleb@gmail.com

محور المداخلة: بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة.

عنوان المداخلة: بلاغة الحجاج من مثالية أرسطو إلى حوارية بيرلمان وتيتكا.

الملخص:

إنّ البلاغة الجديدة هي بلاغة الحجاج، وقد وصفت بهذه الصفة في قبال البلاغة الأرسطية (القديمة) التي كان غرضها بيان مكوّنات فنّ الإقناع والتأثير في الخطاب وجعله مثاليًا في أبعاده الثلاث (مخاطب، مخاطب، وظروف محيطة بالخطاب)، وقد أسهم ظهور كتاب: مصنّف في الحجاج لمؤلفيه "بيرلمان" و"تيتكا" (perelman) و (tyteca) في تطوّر الدرس الحجاجي وكذا التأي به من مثالية أرسطو إلى معقوليّة حوارية توالف بين أطرافه.

وبالتالي الخروج به \_ الحجاج \_ من حتمية التسليم إلى معقوليّة القبول والإذعان عبر حوارية لا إلزامية وكذا بعيدة عن المنطقية الصارمة. وتجدر الإشارة \_ ها هنا \_ إلى أنّ البلاغة في مرحلة ما بين "أرسطو" و"تيتكا" (القرنين 19/18م) ركزت على جمالية التّعابير وعدت وسيلةً لدراسة التّعميق اللّغوي.

وركّحاً على ما تقدّم تنبثق الإشكالية الآتية: ما الفوارق بين بلاغة "أرسطو" وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا"؟ وما الجديد المضاف في فهم الحجاج حسيهما؟

وهذا ما سنحاول طرّقه عبر صفحات هذا البحث.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج، البلاغة القديمة، البلاغة الجديدة، الحوارية.

مقدمة:

لقد مرّ الدرس الحجاجي بمراحل تخللتها انكسارات وركود في مرحلة كانت فيها البلاغة \_ التي ترعرع في أحضانها \_ تتسم بالمعيارية والتعلّيمية وترى في الخطاب رسالة تحمل أساليب تجميلية وتنميقية غايتها فنية صرفة، إلّا أنّها ارتبطت عند "أرسطو" في الوقت ذاته بالحجاج، لما له من أهمية بالغّة في فنّ التحدّث والإقناع، فنظر إليه \_ إلى الحجاج \_ بعدّه مكوّنًا من

مكوّنات الخطاب يتشكّل بتشكّله، وتتغيّر وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيّره، فشهدت بدا البلاغة بعد "أرسطو" انحطاطاً وزيحاً عن الفكرة الأرسطوية لتدور في فلك الأسلوبيات والصّور البيانية والمحسنات البديعية، إلى أن أُعيد بعثها وإحيائها في الدّراسات الحديثة، أين اصطبغت البلاغة بصبغة حجاجية، فأصبح للحجاج مجالٌ خاصٌّ بآليات وتقنيات مكنته من بلوغ منزلة النظريّة اللّغويّة القائمة على أسسٍ علميةٍ دقيقةٍ، أباها وأرسي دعائمها العالمان "بيرلمان" و"تيتكا" من خلال مؤلّفهما (مصنّف في الحجاج)، مستندين في انطلاقتهم إلى أفكار "أرسطو" الحجاجية مع إضافاتٍ وتحويراتٍ ميّزت فكرهما عنه.

وتأسيساً على ما سبق انبثقت إشكاليةٌ مفادها:

\_ ما الفوارق بين بلاغة أرسطو وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا"؟ وما الجديد المضاف في فهم الحجاج حسيهما؟

وللإجابة عن هاته الإشكالية شقّ البحث طريقه عبر العناصر الآتية:

\_ مفهوم الحجاج.

\_ معالم بلاغة "أرسطو".

\_ البلاغة الجديدة لـ "بيرلمان" و"تيتكا".

\_ أساسيات بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" الحجاجية.

\_ نقاط الاختلاف بين بلاغة "أرسطو" وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا".

ليُختتم البحث في نهايته بخاتمةٍ أوجزنا فيها أهمّ النقاط المستنتجة والمتوصّل إليها.

معتمدين المنهج الوصفي في تقصي نظرية الحجاج عند كلّ من "أرسطو" و"بيرلمان" و"تيتكا"، مستعينين بالمنهج

المقارن في الكشف عن الفوارق الكامنة بينهما وكشف اللثام عن الجديد المضاف حديثاً.

أولاً: مفهوم الحجاج:

الحجاج في المعجمات العربية من (حاج يحاجج حجاجاً) وقد رده "ابن فارس" في مقاييسه إلى الجذر الثنائي (ح ج)

قائلاً: «الحاء والجيم أصولٌ أربعةٌ، فالأول القصد (...) وممكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا، لأنّها تُقصد أو يُقصد بها

الحقّ المطلوب، يقال: حَاجَجْتُ فلاناً فَحَجَجْتُهُ؛ أي: غلبته بالحجة... والجمع حججٌ، والمصدر الحجاجُ»<sup>1</sup>

نستشف من هذا التّأصيل اللّغوي لمصدر الحجاج مفهوماً يحصره في تلك الخطابات التي يهدف بها المتكلم إقناع

المتلقّي بفكرته والتّأثير فيه، فيدفعه إلى الإقدام أو الإحجام عن أمرٍ ما، وهنا الغلبة بالحجة.

أمّا في الاصطلاح فهو «جملة الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفةٍ هي حمل المتلقّي على الاقتناع بما تعرضه

عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع»<sup>2</sup> وهو بهذا المعنى آليةٌ تعمل على عرض الحجج وتوظيفها من جهة، وكيفيةٌ تؤدّي إلى

بناء الأساليب اللّغوية ذات الأبعاد البلاغية من جهةٍ أخرى، دون أن تهمل في خضم ذلك شخصيّة المتكلم وطبيعة السّامع



المستهدف، لأن الغرض التّواصلِي متعلّقُ بهما، ويكمن في مدى مناسبة المتكلم بين المعطيات الحجاجيّة وظروف المقام عامّة، ومدى قدرته على استغلال هذه المعطيات لإقناع المستمع بخاصّة، إضافةً إلى مدى استثمار النّواحي النّفسيّة والجوانب الوجدانيّة من أجل حتميّة هذا التّأثير.<sup>3</sup>

ثانياً: معالم بلاغة "أرسطو":

يعدّ فكر "أرسطو" (Aristote) (384 ق.م/ 322 ق.م) الوعاء الذي تصبّ فيه البلاغة الكلاسيكيّة الغربيّة. فقد حملت أفكاره حقبةً طويلةً من الزّمن، والبلاغة عند "أرسطو" خطابٌ حجاجيٌّ بالأساس يقوم على وظيفتي التّأثير والإقناع، ويتوجّه إلى الجمهور السّامع قصد توجيهه وإقناعه إيجاباً أو سلباً «ويحصل الإقناع حين يهيأ المستمعون ويستميلهم للقول الخطابي، حوى يشعروا بانفعالٍ ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نوعٍ واحدٍ حسبما نحسّ باللذّة أو الألم، بالحبّ والكراهيّة...»<sup>4</sup> ولما كانت بلاغة "أرسطو" تكمن في «الكشف عن الطّرق الممكنة للإقناع»<sup>5</sup> توقّف هذا الإقناع\_ عنده على ثلاثة أركان (حجج) هي:

• حجّة الإيتوس (Ethos): وهي المتعلّقة بأخلاق القائل أو الخطيب؛ فالخطيب «يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقى على نحوٍ يجعله خليقاً بالثّقة، لأننا نستشعر الثّقة على درجةٍ أكبرٍ وباستعدادٍ أوسعٍ بأشخاصٍ معتمدين في كلّ الأمور وبوجهٍ عامٍ (...) وهذا الضّرب من الإقناع ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنّه النّاس من خلقه قبل أن يتكلم، وليس صحيحاً أنّ الطّيبة الشّخصيّة التي يكشف عنها المتكلم لا تُسهّم بشيءٍ في قدرته على الإقناع بل على العكس ينبغي أن يُعدّ خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه.»<sup>6</sup>

• حجّة الباتوس (Pathos): ويُقصد بها تصدير السّامع في حالةٍ نفسيّةٍ ما، ف«الإقناع يمكن أن يتمّ بواسطة السّامعين إذا كانت الخطبة مثيرةً لمشاعرهم، فأحكامنا حين نكون مسرورين ودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمومين معادين، ونعتقد أنّ معظم الذين يصنّفون الخطابة اليوم يريغون إلى توجيه كلّ جهودهم نحو إحداث هذه الآثار.»<sup>7</sup> وعلى هذا يشترط "أرسطو" في الخطيب أن يكون قادراً على «أن يفهم الانفعالات، أعني أن يسمها ويصفها ويعرف أسبابها والطّرق التي بها ستثار.»<sup>8</sup> ولهذا فإنّ حجّتي (الپاتوس) و(الإيتوس) يجعلان البلاغة فرعاً من علم الأخلاق على حدّ اعتبار "أرسطو".

• حجّة اللّوغوس (Logos): وهو الكلام أو «القول نفسه من حيث هو يُثبت أو يبدو أنّه يثبت»<sup>9</sup> فالإقناع «يحدث في الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقةً أو شبه حقيقةً بواسطة حججٍ مقنعةٍ، مناسبةٍ للحالة المطلوبة.»<sup>10</sup> ومن يملك هذه الحجّة أو الوسيلة في الإقناع يكون قادراً على التّفكير المنطقي.

تناسب كلّ واحدةٍ من هذه الحجج الثلاثة حسب "أرسطو" مع نوعٍ من أنواع الخطابة:<sup>11</sup>

• الخطبة المشوريّة: وغايتها بيان النّافع والضّار والتّوصية باتّباع أقوم المسالك واجتناب أسوأها، وتناسبها حجّة (الإيتوس)، فعلى الخطيب في الخطبة المشوريّة أن يتزَيّن بحسن الخلق فيما يتوجّه به إلى السّامعين حتّى وإن كان على غير ذلك الخلق في الواقع.

● الخطبة التثبيتيّة: وقوامها المدح والذمّ؛ مدح الشّريف وذمّ الخسيس، وتناسبها حجّة (الباتوس)؛ والباتوس إنّما هو مجمل الانفعالات والأهواء والمشاعر التي ينبغي على الخطيب أن يثيرها في نفوس السّامعين محققاً بذلك الإقناع، وهذا يقتضي على الخطيب أن يكون عالماً بالنّفس فيعرف كيف يثير مشاعر جمهوره، ومن أين يأتيهم.

● الخطبة المشاجريّة: التي غايتها بيان العدل والظلم، وقوامها الاتّهام والدّفاع، فتناسبها حجّة (اللّوغوس) \_ الكلام نفسه \_ فهنا يكمن المظهر الجدلي بحقّ في بلاغة "أرسطو".

وفي هذا نلاحظ تركيز "أرسطو" على عناصر بناء الخطاب \_ الأطراف الثلاثة المكوّنة له (السّامع/ المستمع/ الخطبة) والمُسهِمة في تحقيق الإقناع، فالحجاج إذن حسب "أرسطو" يتحقّق بمجموعةٍ من الوسائل الأدائيّة؛ إمّا يتحقّق عبر اللّوغوس الذي يعني الكلام والحجج والأدلة، ويظهر ذلك جلياً في نسق الرّسالة التّواصلية، وإمّا يتحقّق عبر الإيتوس الذي يمثّل جملة القيم الأخلاقيّة والفضائل العليا الواجب على الخطيب التّحلي بها، وإمّا يتجسّد في الباتوس الذي يتعلّق بالمخاطب ويكون في شكل انفعالات «هاته الرّؤية البلاغيّة قد بزغت في خضم استقصائه عن الحجج والأدلة الخطابيّة»<sup>12</sup>

كما ميّزت بلاغة "أرسطو" بين نوعين من الحجج؛ حجج صناعيّة وغير صناعيّة وهنا يقول: «... وقد أعني بالتي غير صناعيّة تلك اللاتي تكون ليست بحيلةٍ منا، ولكن بأمرٍ متقدّمة (...) وأمّا اللاتي بالصّناعيّة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا»<sup>13</sup> والتّصديق الحاصل من الخطبة إذاً ناتجٌ عن تلك الحجّة الإقناعيّة التي تستمدّ قوتها من الأدلة والحجج، وهذا يعني أنّها تعدّ عاملاً أساساً في تحقيق الإقناع.

والحجاج عند "أرسطو" قائمٌ على الاستدلال؛ وهو «تفكيرٌ عقليّ بواسطته يتمّ إنتاج العلم»<sup>14</sup>، وبالتالي قد أولاه أهميّةً عظيمةً في الممارسة الحجاجيّة، وحرص على دراسة القواعد المنتجة للقول الخطابي لما له من دورٍ في إقناع المتلقّي وإيصال الفكرة له، وذلك عن طريق ربط النتائج بالمقدّمات بعلاقاتٍ منطقيّةٍ عقليّةٍ، فالاستدلال طلب الدليل «وهو قولٌ مؤلّفٌ من أقوالٍ إذا سلّم بها لزم عنها بالضرّورة قولٌ آخرٌ»<sup>15</sup> فالاستدلال بالنّسبة لـ"أرسطو" أصبح يمثّل أنموذجاً في الخطاب الحجاجي كونه يساعد في الحكم على الأقاويل المختلفة سواءً تلك التي ننتجها أو التي تُعرض علينا.

ثالثاً: البلاغة الجديدة لـ"بيرلمان" و"تيتكا":

بُعِثت البلاغة؛ وكانت بعثتها تجديداً مع بداية النّصف الثّاني من القرن العشرين بالضّبط عام 1958م، مع "شايم بيرلمان" (Chaïm Perelman) و"أولبيريتشس تيتكا" (Olbrechts Tyteca) في كتابهما (مصنّف في الحجاج) مرتكزين على بلاغة "أرسطو" الحجاجيّة لبناء نظريّتهما «فنقطة انطلاق البلاغة الجديدة، هو التّمييز الذي أقامه "أرسطو" بين الاستدلال التّحليلي والاستدلال الديالكتي، الأوّل مرتبطٌ بالصّواب والمنطق، أمّا الثّاني فينطلق من المقدّمات التي تشكّل من الآراء المقبولة عموماً والقابلة للصّواب، وذلك بهدف استنباط أو قبول أطروحات أخرى، إمّا هذه الجدليّة التي يريد "بيرلمان" توسيعها وتجديدها»<sup>16</sup> لذا فقد عدّ كتابه الباعث الرّئيس لثورة البلاغة الجديدة التي قادها رفقة زملائه.

ولقد تمثّل "بيرلمان" المنهج الأرسطي في التّعامل مع البلاغة في ضوء رؤيةٍ حجاجيّةٍ إقناعيّةٍ، انطلق من أفكار "أرسطو" حول البلاغة شرحاً، توسيعاً، ومناقشةً في مجال يؤمن فيه \_ "بيرلمان" \_ بحريّة الحجاج والافتناع «ويحدّد "بيرلمان" ظروف التّفائه مع البلاغة الأرسطيّة في مقدّمة كتابه (إمبراطوريّة البلاغة)»<sup>17</sup> واسم الكتاب في ذاته يُنبئ عن ارتكاز تأسيسي،

فقد وجد "بيرلمان" في بلاغة "أرسطو" أرضية خصبة مكنته من الانطلاق في بناء نظرية حجاجية أدارها ما كان معهوداً في الفترة ما بينه وبين "أرسطو" تلك الفترة التي شهدت فيها البلاغة مساراً جمالياً أسلوبياً، فكان كل نتاجها يصب في زاوية تحسين الخطاب بالصّور والبيديّات.

وبالتالي فإنّ البلاغة الجديدة هي بلاغة حجاجية؛ يمكن عدّها بلاغةً أرسطويةً جديدةً ذلك أنّ "بيرلمان" و"تيتكا" اشتغلا على القضايا الحجاجية ذاتها التي اشتغل عليها "أرسطو"، لكن برؤية جديدة يمكن حصر أبرز ملامحها في كون الحجاج حسياً \_ "بيرلمان" و"تيتكا" \_ «معقوليّة وحرية، وهو حوار من أجل حصول التسليم برأي أجنبيّ عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادةً وبعيداً عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك كلّه أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره»<sup>18</sup> وبالتالي فقد أعاد "بيرلمان" و"تيتكا" توجيه مسار الحجاج من الجدل والمنطق والخطابة إلى الحوار والحرية والعقل دون اعتماد العنف أو التّضليل أو التّوهيم.

رابعاً: أساسيات بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" الحجاجية:

قبل الحديث عن أساسيات علمٍ معيّن لابدّ وأن نبيّن موضوعه والغاية منه، لتتضح بعد ذلك الأعمدة التي قام عليها، وكما أشرنا سابقاً أنّ البلاغة الجديدة التي أرسى دعائمها "بيرلمان" و"تيتكا" هي بلاغة الحجاج؛ فموضوعه عندهما هو «دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات وأن تزيد في درجة ذلك التسليم»<sup>19</sup> والغاية منه \_ الحجاج \_ «أن يجعل العقول تدعن لما يُطرح عليها ويزيد من درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها عند السامعين بشكلٍ يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه»<sup>20</sup>

وارتكازاً على ما تمّ إيرادُه سلفاً فإنّ البلاغة الجديدة مرتبطةً بالتقليد البلاغي الأرسطي محدثةً إيّاه؛ وهي بالتالي تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح الديكارتية، لتفتح المجال أمام منطقي حجاجي غير رياضيّات ينادى عن بلاغة الصّور الأسلوبية الهادفة للإعجاب وتحريك العواطف، ويهتمّ بالوظيفة الإقناعية فيه بدرجة أولى، فيكون لبّ العمليّة التّخاطبية بناء علاقةٍ مع الآخر قصد التّبليغ والإقناع على حدٍ سواء وبذا «يصبح المتكلم مبلّغاً أكثر من كونه ناقلاً»<sup>21</sup>.

وبالعودة لتبيان أساسيات بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" نقف بهذا على أساسين هما:

\_ الانتماء للنظرية الأرسطوية؛ فعملهما يندرج بالكامل في الإرث الأرسطي مع محاولة التّجديد والتّوسيع.

\_ القطيعة مع الفكر الديكارتّي المتعلّق بالمنطق البرهاني وفلسفة الوضوح؛ وبالتالي فهما يعيدان فتح نموذج انطلاقاً من المبدأ البسيط والجذري القائل: «إنّ فكرة الوضوح التي تعتبر صفةً للعقل، هي التي يجب مناقشتها إذا أردنا أن نقيم مكاناً لنظرية الحجاج تقرّ استخدام العقل من أجل التّحكّم في فعلنا ومن أجل ممارسة التّأثير على أفعال الآخرين، ومنه السّعي إلى بناء مبادئ عقلانية تتعلّق بالأمور الإنسانيّة التي لا تنتهي للوضوح البرهاني الذي لا يتناسب كثيرًا معها»<sup>22</sup>

كما وقد استبعد "بيرلمان" و"تيتكا" تصوّرات "أفلاطون" والسّوفسطائيين أيضاً؛ لأنّها تقوم على الجدل والسّفسطة والمنهج المغالطي والمناورة الواهمة واعتماد المثل العليا المطلقة.<sup>23</sup>

ومن أهم الأفكار التي أسس عليها "بيرلمان" و"تيتكا" نظريتهما الحجاجية أتهما يعتبران الإقناع الوظيفية الأساسية للبلاغة وليس التأثير، كما أنّ الصّور البلاغية في نظرهما ليست صوراً فنيةً وجماليةً وتزيينيةً، وظيفتها الإمتاع فقط كما هو سائد في البلاغة التّقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز، هذا ويُعدّ الحجاج عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر: المرسل، الرسالة، السّامع، ويُعدّ الآخر السّامع أهمّ من المتكلم الخطيب لأنّ الهدف من الرّسالة التّواصلية هو إقناع الآخر ومحااجته برهانياً وعقلانياً عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة والحلّ الرّاجح، واستكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج... فالغرض من توظيف اللّوغوس الحجاجي هو إقناع الآخر ودفعه للتّسليم والرضى عن الحجّة.<sup>24</sup> وبالتالي يسعى حجاج "بيرلمان" و"تيتكا" إلى تحقيق الاقتناع الواقع في منطقة وسطى بين الاستدلال والإقناع، فيحصل أنّ السّامع في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة ما يدع له مجالاً لحرية الاختيار وإعمال العقل، فالإدعان بذلك يكون بواسطة الاقتناع. ومن هنا يتحدّد الملفوظ الحجاجي بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإدعان، لأنّ «الحجاج غير الملزم وغير الاعتباري هو وحده القمين بأن تكون له الحرّية الإنسانيّة من حيث هي ممارسةً لاختيارٍ عاقلٍ، فإن تكون الحرّية تسليمياً اضطرارياً إلزامياً بنظامٍ طبيعيٍ مُعطى سلفاً معناه انعدام كلّ إمكان للاختيار، فإذا لن تكن ممارسة الحرّية مبنية على العقل فإنّ كلّ اختيارٍ يكون ضرباً من الخور، ويستحيل إلى حكم اعتباري يسبح في فراغٍ فكريّ.»<sup>25</sup>

وبناءً على ما سبق قد يكون هذا الآخر المخاطب فرداً أو جماعةً حاضراً أو غائباً، افتراضياً أو محدداً، وقد يكون المتلقّي شخصاً معيّناً في الواقع أو سامعاً كونياً مجرداً عن الزّمان والمكان حسب ثقافة كلّ عصرٍ على حدة.

فضلاً عن ذلك لابدّ حجاجياً من مراعاة المقام ومقتضى الحال، ولا بدّ من تكييف الخطاب مع مقامات المخاطبين والإحاطة بمجموع المعارف الخاصة بموضوع المحاجة المتعاقد عليها ضمناً، مع تغيير موجّهات الخطاب بتغيير أنماط مخاطبيه، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ الخطبة مرتبطة بالإيتوس الذي يمتلك الكفاءة المعرفية ويتّصف بالفضائل والقيم الأخلاقية النبيلة ويستعمل اللّوغوس اللّغوي في رسالته التّواصلية في شكل موجّهات وتقنيات حجاجية وإقناعية، أمّا السّامع فيرتبط بالباتوس أو بثنائية التّريغيب والتّرهيب أو بعالم الأهواء والانفعالات.<sup>26</sup>

تتمحور بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" أساساً حول تحليل تقنيات الحجاج، وهذه التقنيات يتمّ بسطها على محورين كبيرين: من جهة محور الخطاب ذاته، خاصة بنيات الحجاج الموضوعية موضع التّنفيذ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقّي، وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب؛ ففي الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثّانية تتمّ دراسة الموقف التّواصلية الذي يمثّل الحجاج.<sup>27</sup>

خامساً: نقاط الاختلاف بين بلاغة "أرسطو" وبلاغة "بيرلمان" و"تيتكا":

لقد اتّضحت معالم البلاغة الحجاجية مع "أرسطو" من خلال مؤلّفه (الخطابة) والذي أحدث ثورةً حقيقيةً في وقت كانت البلاغة مصطبغةً بصبغة الزّخرفة والتّنميق، فكان مؤلّفه هذا أهمّ نقلة حدثت، جمع فيه كلّ ما يتعلّق بالحجاج الخطابي مركزاً على الوظيفة الإقناعية التي لابد وأن يتوقّفها الخطاب تحقيقاً للتّبليغ في إطار تواصلية اللّغة، فوضع "أرسطو" أسس الدّرس الحجاجي وضعاً دقيقاً محكماً، ما جعل "بيرلمان" ينعتّه بأب الحجاج معترفاً بفضلته ومكانته، وقد

وقف "بيرلمان" - وقفة متمعني مخصص للتراث الذي خلفه "أرسطو"، فاستقى منه ما استقى مرتكزاً عليه تأسيساً، محوراً بعض المفاهيم التي سارت بالدرس الحجاجي مساراً مختلفاً له نمط خاص في التحليل ومنهجية وأهداف مختلفة «وهو ما يدعمه قولهما منذ فاتحة كتابهما بأن حججهما أو خطابتهما الجديدة مرتبطة بالجدل والخطابة عند اليونان ولكنه ارتباط تجاوز الأتباع إلى الإبداع في رأينا»<sup>28</sup> ولنتلمس الإبداع في حجج "بيرلمان" و"تيتكا" ونرصد الجديد الذي جاء به، كان لزاماً علينا عقد مقارنة بين حججهما وحجاج "أرسطو" المتجسد في بلاغته الكلاسيكية لاستنباط الفروق الكامنة بينهما، وسنورد منها ما يأتي:

إن أهم ميزة ميّزت البلاغة الكلاسيكية المعيارية الخالصة؛ فقد سعت حسب "هنريش بليت" إلى تقديس القواعد التي كُتبت زمنياً طويلاً، يقول في هذا الصدد «... مع أن هذا النسق بقي عبر 2500 سنة من عمره غير كامل، وتعرض لتغيرات متوالية، فإن وظيفته الأولى بقيت مع ذلك واحدة وهي إنتاج نصوص حسب قواعد فن معين»<sup>29</sup> فقد امتازت بطابعها المعياري التعلّيمي، فقد كان هدفها الأساس تزويد المبدع أو الكاتب المنثني بجملة من الأدوات التي يحتاجها في مجال الكتابة الجمالية والفنية بغية اكتساب الفصاحة والبلاغة.

وهو الهدف الذي نأت عنه البلاغة الجديدة مع "بيرلمان" و"تيتكا" «إذ لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج النصوص بل تحليلها»<sup>30</sup>

هاته الانتقالية الهدفية المتمثلة في الاهتمام بتحليل النصوص وتأويلها والبحث في مقاصدها ومتضمناتها، جعلت البلاغة الحديثة همزة وصل بين علوم شتى كتحليل الخطاب، القراءة، التلقي، التداول... وشهدت تطوراً سمح لها بمنافسه مجالات أخرى كالأسلوبية وتحليل الخطاب، لسانيات النص، التداولية... فهي قد «تخلت عن نزعتها المعيارية المتمثلة في فرض القواعد لتهتم برصد الوقائع، فهي تتحول من لغة موضوع، إلى لغة واصفة»<sup>31</sup>

إن موضوع النظرية الحجاجية لـ"بيرلمان" و"تيتكا" تتخذ من دراسة الخطاب غير البرهاني ومن تحليل الاستدلالات التي لا تقف عند حدود الاستدلالات الصورية موضوعاً لها، ذلك أن هذه المقاربات الصورية عاجزة عن استيعاب الاستدلالات اليومية التي تدخل في حيز اهتمامات الحجاج<sup>32</sup> فكانت النظرية بدا شاملة لكل خطابٍ غرضه تحصيل الاقتناع لدى المتلقي، وبتميز بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" بالتوصيف والتحليل والتقويم ورصد مختلف آليات الخطاب الاجتماعي والتثبت من فاعليته التطبيقية جعلها تركّز على الخطاب بصفة عامة.

وإذا كان "أرسطو" يميّز بين الإقناع والتأثير؛ على أساس أن الإقناع يُخاطب العقل مستعملاً الأدلة والبراهين المنطقية والعقلية للمحاجة، فإن حجج التأثير يدغدغ العواطف مستملاً النفوس وهو قائم على المناورة والمخادعة. أمّا "بيرلمان" و"تيتكا" فيرفضان هذا التقسيم ويحتفظان بحجاج الإقناع؛ وهو ما يؤكده "عبد الله صوله" قائلاً: «إن قيمة تعريفي "بيرلمان" و"تيتكا" للحجاج تكمن في القضاء على هذه الثنائية في مفهوم الحجاج، فعندهما أن العمل الحاصل بواسطة الحجاج على صعيد العقل هو عمل التأثير النظري والإذعان والتسليم [وهو غاية الجدل عادة] مؤد إلى العمل السلوكي الذي كانت من جملة مصادره في منظور الخطابة العاطفة الملهبة والمشاعر الجياشة؛ ومعنى ذلك أن العمل المترتب على الحجاج ليس متوسطاً إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، إنما هو عمل هيا له العقل والتدبر والنظر، وهكذا

تكون قوى الإنسان (العقل والهوى) عندهما قوى متضامنة متفاعلة لا قوى منعزلاً بعضها عن بعض.<sup>33</sup> وهذا ما يكشف لنا ارتباط الحجاج بالعقل في بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" فهما يبعدانه عن الهوى والمغالطات والتأثير العاطفي.

نستشفّ مما طُرح أنفاً أنّ قوام الحجاج بل وهدفه عند "أرسطو" تحقيق الإقناع، وهذا ما لا يرومُ حجاجُ البلاغة الجديدة تحقيقه، فهو «يسعى للحصول على الاقتناع»<sup>34</sup> ويكمن الفرق بينهما \_ الإقناع/الاقتناع \_ أنّ الإقناع يحملُ نوعاً من الإرغام؛ فالمتكلم يعتمد الفرض والإجبار بتقديم حججٍ قطعيةٍ وهو ما يقود بالحجاج إلى مثاليةٍ صرفةٍ، في حين نتلمس في الاقتناع مشاركة الآخر في العملية التخاطبية عن طريق حواريةٍ له مجال النقاش فيها، فيحصل الاقتناع عن طيب خاطر، فبإشراك المتلقي المتكلم في خطابه عارضاً وباسطاً حججه يقوده إلى اقتناعٍ وتسليمٍ فتكون العملية التخاطبية مجالاً حراً وأوسع من تضيقها بالزامية ومنطقيةٍ لا مناص منها.

حصر "أرسطو" مجال الحجاج في أجناسٍ ثلاثة: القضائية، الاستشارية، الاحتفالية، استناداً إلى مقام المخاطب الذي لا يكونُ إمّا قاضياً، أو سياسياً أو جمهوراً حاضراً في ساحةٍ عمومية.<sup>35</sup>

أما "بيرلمان" و"تيتكا" فقد وسعا الحجاج، ليشمل الفلسفة والنقد، والقانون، واللسانيات... وحتى الحياة اليومية فهي نظريةٌ عالميةٌ شاملة.<sup>36</sup> وبالتالي فهي تستمد حيويتها من علومٍ شتى.

ثم إنَّ المخاطب في حجاج "أرسطو" يشترط حضوره وهو ما تعداه "بيرلمان" ولم يعده شرطاً موسعاً دائرة المتلقي الذي قد يكون جمهوراً، قارئاً، وذهب إلى أبعد من ذلك فقد يكون متلقياً (مخاطباً) يستخلص من ذاته ذاتاً أخراً تحاوره، وذلك انطلاقاً من عمومية وشمولية فكرة المستمع.

ولئن كانت البلاغة الأرسطوية تستهدف مستمعاً كونياً لأنَّ مجالها اليقينية التي لا تختلف قيمتها من شخصٍ لآخر \_ بل هي سواءٌ عند كافة الناس \_ فإنَّ الحجاج يستهدف مستمعاً خاصاً مرتبطاً بزمانٍ ومكانٍ محددين، إلا أنّ ذلك لا يمنعه من جعل المستمع الكوني في دائرة الاستهداف في أشكاله الرّاقية.<sup>37</sup>

ومنه فالبلاغة الجديدة على خلاف البلاغة الكلاسيكية حقلٌ يُعنى بدراسة الخطاب الموجة نحو المخاطب المتلقي \_ الجمهور بمختلف أشكاله المتعددة \_ سواءً كان حشداً متجمعاً في ساحةٍ عامةٍ أو في اجتماعٍ لمختصين، أو كان خطاباً موجهاً نحو فردٍ واحدٍ ونحو البشرية جمعاء، إنّه حقلٌ يفحص حتّى الحجج التي نوجهها إلى ذاتنا في حوارٍ خاصٍ بيننا وبين أنفسنا.

وهو ما يُحيلنا إلى الفكرة المركزية في بلاغة "بيرلمان" و"تيتكا" وهي تركيزها على المتلقي وإيلانه أهميةً خاصةً؛ فأصبح متلقياً إيجابياً يتلقى الخطاب الحجاجي ويفكر فيه ويقبله على أوجهه المختلفة مكتشفاً زيفه من صدقه، منتقلاً إلى فعل الإرسال مفنداً أو مدعماً، مرتقياً بذلك إلى منزلة المرسل، وهذا بخلاف «المتلقي في الخطابة القديمة بحكم سلبته كان في درجةٍ أدنى من درجة الخطيب، ومن ثمّ كان يتلقى الخطبة من علٍ، فالعلاقة بينهما رأسية، أما المتلقي في الخطابة الجديدة فهو بحكم إيجابيته يقف في درجةٍ موازيةٍ لدرجة المرسل، ومن ثمّ يتلقى الخطبة من مقابلٍ موازٍ، فالعلاقة بينهما أفقية»<sup>38</sup>

ولما كان جديد "بيرلمان" و"تيتكا" ربط الحجاج بالمخاطب أكثر من ربطه بالمتكلم واللّوغوس، فإنَّ البلاغة الحجاجية هي بلاغةٌ غير شكليةٍ مقارنةً ببلاغة "أرسطو" المتجسدة في المنطق الصّوري الاستدلالي، وهذا يعني أنّ الفكر الإنساني ليس

دائماً برهانياً استدلالياً فقد نجد أفكاراً لامنطقية تحمل في طياتها بُعداً حجاجياً كما هو حال الجمالي والفني الذي يقوم على وظائف حجاجية بامتياز خارقاً معيار المؤلف والمنطقي، وبالتالي فحجاجية "بيرلمان" و"تيتكا" حجاجية ذاتية متغيرة مقارنة مع حجاجية "أرسطو" الموضوعية الثابتة المستندة إلى قانون منطقي صارم.

لم تعد الصورة البلاغية بصفة عامة والصورة الاستعارية بخاصة مجرد صورة بلاغية جمالية وزخرفية وتنميقية إمتاعية ذات وظيفة أسلوبية فحسب، بل هي صورة إحالية ومرجعية ذات طبيعة حجاجية بامتياز، إذ تسهم في توضيح الواقع وتأسيسه وتحويله إلى حجج إقناعية أو تأثيرية أو اقتناعية باستدعاء السامع المخاطب، سواء كان حقيقياً أم افتراضياً، من أجل إشراكه في بناء الواقع بشكل إيجابي ومثمر، ومن ثم تُعدّ الصورة البلاغية والاستعارية أقوى الحجج في الاستمالة والتّمثيل والمقارنة والجذب، والحوار، والإقناع، والاقتناع ولكن ليست كلّها في خدمة الدّفاع عن الرّأي، ومن ثمّ تكون الاستعارة حجّة عندما تخدم الإقناع؛ أي عندما تستخدم في الدّفاع عن أطروحة أو عن رأي ما.<sup>39</sup>

ليست الحقيقة في الحجاج مضمونة بل متعدّدة وجهات النّظر، مادام الحجاج مبنياً على اللّغة الطّبيعية التي تتعدّد فيها التّأويلات والدّلالات، في حين ينفرد الاستدلال الأرسطي بأحادية المعنى، وفي هذا الصّد يقول "عبد الله صوله": «ليس الحجاج من هذا القبيل، فالحقيقة فيه ليست مضمونة لا، ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة أو متعالية أو موضوعية شأنها شأن الاستدلال، وأنّ الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية، لكن لا إلى غير حدّ، وهي مرتبطة بالمقام ولا تكون إلاّ تحت أنظار الجمهور، سواء كونياً أم خاصاً أو متكوّناً من الخطيب وحده، فهو الخصم والحكم يحاجج نفسه.»<sup>40</sup>

خاتمة:

وختاماً يمكننا أن نحوّل بحثنا في جملة من النّتائج المتوصّل إليها نذكرها تالياً:

✓ قدّم "أرسطو" في كتابه (الخطابة) تصوراً جديداً للبلاغة تجاوز به ما كان مطروحاً في عصره فألبسها لباساً حجاجياً وبُعداً منطقياً استدلالياً.

- ✓ سعى "أرسطو" إلى وضع أنموذجٍ حجائيّ كان قاعدته وأساساً تُبنى عليه الممارسات الحجائية في إطار ما يُسمّى ببلاغة الخطاب الإقناعي.
- ✓ يقوم حجاج "أرسطو" على دعائم ثلاث: إيتوس، باتوس، لوغوس وكلّها تُسهم في بناء خطابٍ إقناعي معزّزة بقواعد الاستدلال المنطقي.
- ✓ يُعدّ "بيرلمان" مؤسساً لنظريّة حجائية في إطار ما وسمه بالبلاغة الجديدة، وتجسّد هذا في كتابه الذي ألفه مع "تيتكا" الموسوم بـ(مصنّف في الحجاج).
- ✓ حاول "بيرلمان" و"تيتكا" جعل لبلاغة بُعداً عقلياً يحفظها من الالتباس بالسفسطة والمغالطة، فتمثّل مشروعهما في إقامة بلاغة جديدة تهدف إلى التّأثير والحثّ على الاقتناع على أسس معقولة ومقبولة وفي آفاقٍ رحبٍ يسمح بالمناقشة بعيداً عن إلزامية قبول الحجّة والتّسليم بها قانوناً.
- ✓ إنّ أهمّ فكرة جاء بها "بيرلمان" و"تيتكا" هي عدّ الحجاج حواراً بين الخطيب وجمهوره.
- ✓ يتمثّل الجديد الذي أضفاه "بيرلمان" و"تيتكا" في الدّفاع عن المخاطب بدل المتكلم، والتّشديد على الاقتناع بدل الإقناع، وتجاوز الخطابات المعروفة من بلاغة وخطابة إلى خطابات عامة كالفلسفة، القانون، السياسة...
- ✓ أعاد "بيرلمان" و"تيتكا" الاعتبار للحجاج من خلال تخليصه من ربة الخطابة والجدل اللذين يخضعان للمتلقّي إلى حتمية وضرورة إقناعية، وأكّدا على أهميته المتلقّي في العملية التّخاطبية.
- ✓ حجاج "بيرلمان" و"تيتكا" ليس منطقاً صورياً مجرداً وليس مغالطة وإيهاماً بل هما معاً. وهو ليس إقناعاً و اقتناعاً فقط بل تأثيراً واستمالة عاطفيّة أيضاً.

#### ➤ قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، (د.ب)، (د.ط)، 1989م.
- أرسطو طاليس، الخطابة، تح/ تع: عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت/ لبنان، (د.ط)، 2011م.
- جميل حمداوي، نظريات الحجاج قراءة في نظريات معاصرة، مجلة المنهاج، العدد 70، 2013م.
- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتّصال، دار غريب، القاهرة/ مصر، (د.ط)، 2000م.
- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجائي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، مج 30، سبتمبر 2001م.
- حسان الباهي، العلم والبناء الحجائي، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته (دراسات نظريّة وتطبيقية محكّمة في الخطابة الجديدة)، ابن النّديم للنّشر والتّوزيع دار الروافد الثّقافية، ناشرون، (د.ت).
- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشّرق، المغرب، (د. ط)، 1994م.



- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2008م.
- صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، 2008م.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 1998م.
- عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج\_الخطابة الجديدة لبييرمان وتيتكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الأدب والعلوم الإنسانية منوية.
- عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط2، 2007م.
- عبد الله صوله، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، (د.ط)، 2011م.
- فرحان بدري الحري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، ط1، 2003م.
- فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011م.
- فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال وعبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/مصر، ط1، 2003م.
- محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/المغرب، ط2، 2005م.
- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1999م.

## ➤ الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ب)، (د.ط)، 1989م، ج2، ص29\_30.
- <sup>2</sup> سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني هجري بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، تونس، ط1، 2008م، ص21.
- <sup>3</sup> ينظر: صابر حياشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، 2008م، ص21.
- <sup>4</sup> أرسطو طاليس، الخطابة، تح/تع: عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت/لبنان، (د.ط)، 2011م، ص10.
- <sup>5</sup> المرجع نفسه، ص1355.
- <sup>6</sup> المرجع نفسه، ص1356.
- <sup>7</sup> المرجع نفسه.
- <sup>8</sup> المرجع نفسه.
- <sup>9</sup> المرجع نفسه، ص1355.
- <sup>10</sup> المرجع نفسه، ص1356.
- <sup>11</sup> ينظر: المرجع نفسه.
- <sup>12</sup> هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1999م، ص36.
- <sup>13</sup> أرسطو طاليس، الخطابة، ص04.
- <sup>14</sup> حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد1، مج 30، سبتمبر 2001م، ص126.
- <sup>15</sup> المرجع نفسه.
- <sup>16</sup> فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011م، ص42.
- <sup>17</sup> محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/المغرب، ط2، 2005م، ص132.
- <sup>18</sup> عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج\_الخطابة الجديدة لبيبرلمان وتيتكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الأدب والعلوم الإنسانية منوبة، ص298.
- <sup>19</sup> المرجع نفسه، ص299.
- <sup>20</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 1998م، ص216.
- <sup>21</sup> المرجع نفسه.
- <sup>22</sup> فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص44.
- <sup>23</sup> ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج قراءة في نظريات معاصرة، مجلة المنهاج، العدد 70، 2013م، ص85.
- <sup>24</sup> ينظر: المرجع نفسه، صص 87-88.
- <sup>25</sup> عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، ص301.
- <sup>26</sup> ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج قراءة في نظريات معاصرة، ص89.
- <sup>27</sup> فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص46.

- <sup>28</sup> عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت/ لبنان، ط2، 2007م، ص29.
- <sup>29</sup> هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص23.
- <sup>30</sup> المرجع نفسه.
- <sup>31</sup> رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1994م، ص08.
- <sup>32</sup> ينظر: حسان الباهي، العلم والبناء الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية، ناشرون، (د.ت)، ج1، ص196.
- <sup>33</sup> عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص29.
- <sup>34</sup> جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة/ مصر، (د.ط)، 2000م، ص110.
- <sup>35</sup> ينظر: أرسطوطاليس، الخطابة، ص1716.
- <sup>36</sup> ينظر: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، ط1، 2003م، ص32.
- <sup>37</sup> ينظر: عبد العزيز الحويديق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في البلاغة الجديدة، ج3، ص346.
- <sup>38</sup> حسان الباهي، العلم والبناء الحجاجي، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، ج1، ص10.
- <sup>39</sup> ينظر: فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال وعبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/ مصر، ط1، 2003م، صص 122\_123.
- <sup>40</sup> عبد الله صوله، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، (د.ط)، 2011م، ص14.

الاسم: عزالدين

اللقب: لخضر الزين

السنة الدراسية: الرابعة دكتوراه

التخصص: أدب حديث ومعاصر

الجامعة: جامعة لونيبي علي، البليدة2

الحجاج ودوره في إثراء البلاغة العربية ( فن الخطابة أنموذجا )

Argumentation and its role in enriching the Arabic rhetoric(the art of speech)

رمز المداخلة : ( بلا – جد 18 )

الملخص:

يمر الخطاب النقدي العربي المعاصر في اتجاه يعج بالتحديات والإشكاليات، ونجد الخطاب الحجاجي موظف بكثرة في الخطابات الأدبية العربية والفلسفية وغيرها، كونه الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وقد تعاملت البلاغة الجديدة مع الخطابات النصية المختلفة تعاملًا علميًا وصفيًا جديدًا. إذ جاءت هذه المداخلة وهي تحاول استعراض أهم مبادئ المقاربة الحجاجية على مستوى التنظير، ومدى ارتباط فن البلاغة بالخطابة والإقناع. الكلمات المفتاحية: الحجاج، التواصل، الخطبة، البلاغة، إقناع.

**Abstract: Contemporary Arab critical discourse passes in a direction teeming with challenges and problems, and we find the argumentative discourse heavily employed in Arab literary, philosophical and other discourses, being the main pillar in communicating ideas. The new rhetoric has dealt with various textual discourses in a new scientific and descriptive manner. This intervention was an attempt to review the most important principles of the argumentative approach at the level of theorizing, and the extent to which the art of rhetoric is related to rhetoric and persuasion.**

**Keywords: argumentation, communication, sermon, rhetoric, persuasion.**

تمهيد:

يعتمد الاتجاه التحليلي للبلاغة الجديدة على ضرورة إعادة قراءة النصوص المؤسسة في البلاغة القديمة، من خلال الوقوف على الأبنية الشكلية والدلالات القصديّة، وذلك بتوظيف أسلوب يجمع بين الوصف والتأويل.

كما أن الحجاج ينتهي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة ومنطق الخطاب، ومنه إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، وتعود أهميته في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يُعرف بـ: "البلاغة الجديدة".

وقد ركزت في مداخلتي هذه على أهمية إبراز إستراتيجية الحجاج عند العرب القدامى والمحدثين، وفي هذا السياق قمت بتحديد إشكالية محورية تتمثل أساساً فيما يلي:

\* كيف ساهم الحجاج في إثراء البلاغة العربية عامة، وكيف دعم فن الخطابة على وجه الخصوص؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية المحورية إشكاليات جزئية أهمها:

ما معنى الحجاج؟ وما هي أصول نظريته؟ وما علاقته بالخطاب؟

1. ماهية الحجاج:

لقد تنوعت الخطابات الحجاجية من خطاب بلاغي ولساني وسياسي وديني...، ففي اللغة يعني الحجاج الغلبة بالحجة، فقد جاء في لسان العرب: حاجته أحاجه حجاجاً وحاجة حتى حَجَّحْتُهُ أي غلبته بالجمع التي أدليت بها، وهو رجلٌ مُحَاجٍ أي جدلٌ، والتحجاج أي التخاصم... وحاجه محاجّة وحجاجا: نازعه الحجة وحجه حجا غلبه على حجته... والحجة: الدليل والبرهان.<sup>1</sup>

أما ابن فارس وجدناه يحصر مادة (حجج) في أربعة معانٍ كبرى: "الحاء والجيم أصول أربعة:

فالأول: القصد: وكل قصد حج... ثم اختص الاسم القصد إلى البيت الحرام.

والثاني: والأصل الآخر: الحِجَّةُ وهي السنة، والأصل الثالث: الحَجَّاجُ: وهو العظم المستدير حول العين، والأصل الرابع: الجَحَّجَّة: النكوص.<sup>2</sup>

فأما الدلالة الأولى معناها القصد، وأما الدلالة الثانية أي المخاصمة والمغالبة بقصد الظفر، وأما الدلالة الثالثة بمعنى الإحاطة والصلابة، وأما الدلالة الرابعة بمعنى التوقف والارتداد.

أما اصطلاحاً: فالحجاج هو: خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه، أي

الإقناع.<sup>3</sup>

كما أنا الحجاج ( ) : جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم

الحجج والاستفادة منها.<sup>4</sup>

وفي تعريف آخر: الحجاج هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"<sup>5</sup>.  
ولا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "حجاج" أو "الاحتجاج" في عدة مجالات، خصوصاً في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي، إضافة إلى علوم النحو واللغة والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام.

## 2. أصول نظرية الحجاج:

ترجع أصول نظرية الحجاج إلى العصر اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد، وتحديدًا مع ظهور السفسطائيين، وهي حركة فلسفية تميز أفرادها باستعمالهم لسلطة القول في التأثير على القضاة والجمهور في ساحات أئينا، وقد كان هؤلاء روادا لفن الخطابة نظراً لكفاءتهم اللغوية وخبرتهم الجدلية، وقد تصدى لهؤلاء مجموعة من الفلاسفة من أمثال سقراط، بدافع المغالطات التي أثارها السفسطائيون، ثم تلاه تلميذه أفلاطون الذي رأى في الخطابة: "صناعة قيادة النفوس بالقول"<sup>6</sup>، فعالج أصول هذا الفن، فالخطابة عنده قائمة على العلم لا الظن، أي انتفاع الناس بالمعرفة، وأما وظيفتها فتحقيق الخير للإنسان لا اللذة، وأما تأثيرها على المتلقي فيكمن في جمالها الناتج عن تحليقها في عالم المثل، ونُشدائها الحق والخير والجمال"<sup>7</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن أفلاطون في دعوته لهذه الخطابة المثالية لم يعالج موضوع الحجاج والطرائق الإقناعية كأساليب تتبناها وتمارسها الخطابة السفسطائية، إلا أن خطابته مهدت لمشروع تلميذه أرسطو الذي تحدت على يديه معالم النظرية الحجاجية، والذي هدف هذا الأخير إلى تخليص الخطابة من تهمة التضليل والمخادعة، كما أنه رأى في الخطابة سبيلاً للإقناع"<sup>8</sup>، وما توجي به لفضة (إقناع) من فضاء للخلاف والاختلاف.

## 3 البلاغة والإقناع:

كانت البلاغة القديمة في الدراسات العربية قد تناولت قضية الحجاج بمعزل عن أبعاده من حيث الإكتفاء بالإشارة إلى مقامات السامعين والهيئة التي على الخطيب أن يكون عليها، "أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني عامة، وفي مجالي المشافهة والكتابة، وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي"<sup>9</sup>.

فالبلاغة لغة: الوصول إلى الشيء، ومنه أخذت البلاغة التي يُمدح فيها فصيح اللسان، لأنه يبلغ بما يريد"<sup>10</sup>، ويرتبط مصطلح البلاغة عند أهل اللغة بالدلالة على حسن الكلام مع فصاحته، وأدائه للغاية المرادة منه (القصد)، فهي مأخوذة من قولنا: بلغ الشيء منتهاه، وأدرك أقصاه.

أما اصطلاحاً: هي إنهاء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، أما البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني فقد ركزت على خصائص الكلام الذي يقنع ويؤثر في الآخرين، وأصبح مفهوم البلاغة معنياً بخواص التركيب، والمقام الذي يؤدي فيه وهو ما يعرف بمقتضى الحال.

وكانت البلاغة في بداياتها مرتبطة باستعمال اللغة في الإقناع، واستنهاض الهمم لمقاومة الطغيان بقوة الكلمة، حيث كانت نشأة البلاغة الغربية مرتبطة بالخطابة<sup>11</sup>، نتيجة لجو الديموقراطية الذي ساد بعد طرد الطغاة، وارتبطت بقضايا الملكية لتصبح تقنية يختص بها المحامون ورجال السياسة. وظهرت علوم البلاغة عند قدماء اليونان والرومان، وقد أشار إ. ارتشاردز إلى أنه: "من موضوعات البلاغة القديمة ثمرة الجدل والمناظرة، وقد تطورت على أساس أنها بسط لمبادئ الدفاع والإقناع."<sup>12</sup>، كما أنها اقترنت عند اليونانيين بعلم الخطابة الذين قسموه أقساما ثلاثة: الخطابة التداولية، الخطابة القضائية، الخطابة البيانية، فأما البلاغة التداولية فهي التي يراد بها إقناع السامعين بتفضيل منهج على غيره في العمل أو الرأي، وأما الخطابة القضائية فهي تشمل وسائل الاتهام والدفاع أمام القضاء، وأما الخطابة البيانية فهي التي تشمل التقريظ والتقريع.

4 الحجاج عند العرب:

1.4 قديما:

يعنى الحجاج بالجدل الجدل المجادلة، ونجده متجذرا في الخطاب العربي ممن خلال الدور المهم الذي لعبه في الحياة العقديّة والسياسية في البيئة العربيّة الإسلاميّة، علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي، مثلما دافع الجرجاني عن اعجاز القرآن بإقناع الناس بنظية النظم. ونجد ابن وهب في كتابه ( البرهان في وجوه البيان )، قد قدم تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، إذ جعل منه خطابا تعليليا إقناعيا، وميز من خلاله بين أنواع الجدل كما أنه قسمه إلى جدل محمود وجدل مذموم، وقد اشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في المحاج، كألا يقبل قولاً إلا بالحجة ولايرده إلا لعلّة، وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، وألا يستصغر خصمه ولايتهاون فيه.<sup>13</sup>

وأما حازم القرطاجني في كتابه ( منهج البلغاء وسراج الأدباء ): فقد تحدث عن طريقتين لإقناع الخصم فيقول: " التموهيات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهينة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب واستلطاف له حتى يصير ذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول."<sup>14</sup>

وقد التفت الجاحظ إلى الحجاج متناولا قضية جوهرية في الخطاب الحجاجي، وهي قضية المقام الخطابي، إذ يرى أنه: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات."<sup>15</sup>، أراد الجاحظ أن يبين بأن لكل طبقة معينة في المجتمع حسب المستوى التعليمي أو الوظيفي يجب أن يراعى فيها المعنى المتكلم به، فلكل طبقة معجمها الخاص، والذي لابد أن يراعيه المتكلم، أما حديثه عن أقدار الحالات فيتصرف إلى مناسبات القول، فقد يكون المستمع واحدا ولكن تختلف المناسبة فتختلف لذلك المعاني.

2.4 حديثا:

يمكن البدء بالمدرسة المصرية التي لها الاسبقية التاريخية في تطوير الدرس البلاغي عامة وبلاغة الحجاج خاصة، وقد كانت لها محاولات لإعادة قراءة التراث البلاغي، ومن أهم هذه المحاولات الجادة، نجد دراسات أحمد الشايب من خلال كتابه الصادر عن مكتبة النهضة سنة 1939 المعنون بـ( الأسلوب دراسة

بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)<sup>16</sup>، وقد توالى الدراسات البلاغية والأسلوبية في الاستفادة من  
الدرس النقدي الغربي، وإعادة بعث التراث العربي القديم بدءاً بالجاحظ وصولاً إلى السكاكي والقزويني  
والسيوطي، ونجد دراسات أحمد مطلوب المتعددة حول البلاغة القديمة وعلاقتها بالأسلوبية الحديثة،  
ومن أهم كتبه: البلاغة عند السكاكي (1964) ومصطلحات بلاغية (1972)، ومناهج بلاغية (1973)<sup>17</sup>، كما  
أنه يعتبر جابر عصفور من المرحلة التأصيلية الإحيائية من خلال كتابيه الرائدتين: الصورة الفنية (1974)  
ومفهوم الشعر (1978)، إضافة إلى الدكتور صلاح فضل الذي اهتم ببلاغة الحجاج من خلال كتابه (بلاغة  
الخطاب وعلم النص) (1992)<sup>18</sup>، فيقول: "أن التحليل البلاغي الحديث يختلف جوهرياً عن البلاغة  
القديمة في رصد أشكال المختلفة كجزئيات متشذرة لاعلاقة بينها ولا تفاعل فيها، بحيث تبدأ البلاغة  
الجديدة من النص لتقوم بتحليله ورصد مكوناته ورسم درجة كثافته وأنماط توظيفه لمختلف الأشكال  
الفعلية"<sup>19</sup>، كما أنه يبين على تأكيد البلاغيين المعاصرين على ضرورة ربط الشكل بالمضمون، والانتباه إلى  
القيم البلاغية الحجاجية الكامنة في بعض الأشكال النصية"<sup>20</sup>.

تم نأتي إلى جهود المدرسة المغربية المتمثلة في محمد العمري وتركيزه على دور الحجاج في قراءة النصوص  
البلاغية والخطابية، ومن أهم مؤلفاته: (البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها) محاولاً التأصيل للبلاغة  
العربية، إضافة إلى جهود محمد مفتاح الذي يعتبر آلية منهجية حجاجية تداولية، ويقول: "البلاغة أنشئت  
لتقوم بوظائف أهمها: التواصل والإقناع والإمتاع"<sup>21</sup>، معتمداً على خاصية التأويل كونها شرط من قواعد  
الخطاب.

ونجد محمد العمري في كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي) 1986، يؤكد على دور بلاغة الحجاج في  
الخطاب الأدبي الفني المعاصر، أما في كتابه (الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية)، فقد ركز على خمس  
مستويات وهي: البديع ونقد الشعر، البيان وبلاغة الإقناع، البلاغة العامة، نظرية المعنى، نظرية الأدب.<sup>22</sup>  
ويتكلم في باب مآتى الحسن في الكلام وهو موضوع يدخل ضمن مجال بلاغة الخطاب وعلم النص بوصفهما  
عبارة عن مقومات خطابية يتم تنسيقهما حجاجياً في ضوء حسابات المبدعين لتوقعات مخاطبيهم، وبقدر  
نجاح ذلك التوقع واجابة النص عن إشكالات المتلقين يكون نجاح الخطاب ونفاذيته.<sup>23</sup>

أما المدرسة التونسية، فنجد جهود عبد السلام المسدي وحمادي صمود، هذا الأخير الذي اعتبر بلاغة  
الحجاج من أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم، فالحجاج عنده علاقة بين طرفين أو عدة أطراف تتأسس  
على اللغة والخطاب، يحاول فيها أحد الطرفين أن يؤثر في الطرف المقابل جنساً من التأثير يوجه به فعله، أو  
يثبت لديه اعتقاداً أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا.<sup>24</sup>

##### 5. علاقة الحجاج بالخطاب:

مصدر الخطاب فردي وهدفه الإقناع والتأثير، وهذه الخاصية تقرر المصدر الفردي للخطاب بكونه  
نتاجاً يلفظه الفرد، ويهدف من وراءه إلى إيصال رسالة واضحة ومؤثرة في المتلقين، "كما أن تسلسل الأقوال  
والجمل في الخطاب لا يعتمد المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد بالأساس المعنى الحجاجي أو  
القيمة الحجاجية للقول."<sup>25</sup>، باعتبار أن الخطاب تلفظ يفترض وجود متكلم ومستمع وعند الأول هدف



التأثير في الثاني، كما أن الخطاب الحجاجي الذي لا بد وأن تتوفر فيه بعض الضوابط التي تسهم في تداول عملية المحاججة، ومن ذلك ما يأتي:

توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يصوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل، أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها، وإلا انقطع الحجج بينهما، وتوقف عملية الفهم والإفهام. أن لا يقع المرسل في التناقض بقوله وفعله، وكذا موافقة الحجج لما يقبله العقل مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام لأنه هو الكفيل بتصويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها. لا بد من خلو الحجج من الإبهام والمغالطة والابتعاد عنهما، لأن الحجج لا يخلو منهما إذا كان معنى الخطاب غير محدد.

ويلخص طه عبد الرحمن العلاقة بين الخطاب والحجج في ثلاث دعاوى معتبرا إياها بالأعمدة التي بني عليها ما سماه بتكوثر الخطاب.

الدعوة الأولى هي أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية، والقصد منه ليس الكلام مجرد وحدات مرتبة بأسلوب ما، بل هو البناء ذاته الذي تقف عليه العملية التواصلية، فالمحدد للعملية الكلامية هو العلاقة التخاطبية لا اللفظة المنفردة، إذ لا يدرك المخاطب من خلال ما في المعاجم، وإنما اعتمادا على: "قصد المخاطب من عند النطق به والذي يدعو المستمع إلى الدخول في تعقبه مقاميا، ولا تحقيق حده معجميا." <sup>26</sup>

وأما الدعوة الثانية هي أن الأصل في تكوثر الخطاب هي صفته الحجاجية، إذ أنه لا خطاب بدون حجج، فالخطاب أصل في كل تعامل، ويتأسس على ذلك قصدان: قصد الادعاء وقصد الاعتراض. فأما قصد الادعاء فهو ألا يكون الخطاب خطابا حتى يكون الناطق به معتقدا بما يقوله مع الاستعداد لإقامة الحجة على ما يقول، وأما قصد الاعتراض فإنه يرتبط بالمخاطب الذي له حق مطالبة المتكلم بإيراد الدليل على ادعائه.

وأما الدعوة الثالثة والذي يعتبر فيها الأصل في تكوثر الحجج هو صفته المجازية، فهو يتجاوز التصريح الثاني القائم على الادعاء والاعتراض، إلا أن الحجج منطوق على شيء من الالتباس يميزه عن البرهان من ناحية ومن الحجج المغالطي (الدليل الفاسد) من ناحية.

6. أهم النماذج العربية التي اهتمت بالحجج داخل الخطاب:

1,6 النموذج الأول: الخطاب الساخر عند الجاحظ:

يحرك الخطاب الساخر استراتيجته الإقناعية بقضية الكاتب الحققة، ويعتمد الخطاب الحجاجي الساخر عند الجاحظ على تقنية الفصل لإحداث القطيعة بين عناصر الكلام، ونجد أيضا ذما في معرض المدح وما يسمى عنده باللعب المتزواج أثناء تجاور الكلمات المتنافرة، فقد يتخذ من الذم بما يشبه المدح للتعبير عن الحقائق المتضادة فيكون ظاهرها المدح وباطنها القدر المرهم باطراء وما هو إلا هجاء، ومثاله في ذلك: "وليس حُسنك- أبقاك الله- الذي تبقى مع توبة أو نصيح معه عقيدة ويدوم معه عهد ... ولو أدركك عمر

بن الخطاب- رضي الله عنه- لصنع بك أعظم مما صنع بنصر بن الحجاج، ولركبك بأعظم مما ركب به جعدة السلمي.<sup>27</sup>، ونجد أيضا موضع الهزل الذي يراد به الجد هو نوع من الخطاب الحجاجي الذي له تقنياته البلاغية الساخرة، كما أنها مفارقة يعتمد عليها الجاحظ بكثرة في رسائله، فالمفارقات عنده هي أشباح الحقائق.

## 2.6 النموذج الثاني: الإمام محمد الغزالي

يعتبر محمد الغزالي محاججا من خلال تناوله لأمراض الأمة وعلل التدين ساعيا إلى الدفاع عن الدين وإعادة صيغ الدرس العقدي شكلا ومضمونا، فالدرس العقدي الناتج يجمع بين خطاب العقل وتحريك القلب، فقد حرص على مخاطبة العقل والقلب في نهج واحد، فالعقيدة لا تثبت إلا بالحجة العقلية والبرهان القاطع، ولا تثمر إلا بما يحرك القلب ويمتعه، إضافة إلى توظيف الحقائق في خدمة الدرس العقدي، وتوظيف الفقه في نشر الدعوة، فالمحاجج حينما يحاجج في الفقه لا ينسى الدعوة إلى الله ولا يغفل في الحديث عن أسباب النجاح فيها، ونجده يقول: "وأثناء دعوتي للإسلام قلت لأصحابي: إن ديننا يحارب من جهات عدة، من اليمين واليسار والوسط... ومن العجزو أنا أدافع عنه أن ألتزم برأي واحد... يجب أن أنتقل بين آراء كل الأئمة.. المهم عندي هو الإسلام الجامع لا الرأي المنهبي."<sup>28</sup>

## 3.6 النموذج الثالث: محمد البشير الإبراهيمي

مكن اعتبار خطب البشير الإبراهيمي من ضمن النصوص العربية التي اعتمدت على الأشكال البنائية الحجاجية، إلى عناصر مكونة للنص الحجاجي ومن أهمها: البناء الشكلي للنصوص فالشكل الأشيع للنص الحجاجي العربي هو النص الذي يبدأ بالمقدمات فالدوى فالتبرير<sup>29</sup>، إضافة إلى مكون آخر وهو التدعيم فهو وسيلة من الوسائل المنطقية داخل النص الحجاجي، والتدعيم لا يكون إلا بالدليل، سواء كانت أدلة تاريخية ونجده عند البشير الإبراهيمي في قوله: "وفي أمه البربر وأمه فارس شاهد لا يكذب في ذلك."<sup>30</sup>

خاتمة:

ومن خلال هذه المداخلة يمكن القول بأن البلاغة انتقلت من كونها علم للخطاب إلى علم واسع للمجتمع وخطاباته السائدة، كما أن الحجاج ضرورة حتمية وآلية ومن طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلم، وقد ظهر الحجاج في التراث العربي مرادفا للجدل، كما أنه تعددت الأساليب والآليات الحجاجية من خطاب إلى آخر، إضافة إلى بين ماهو بلاغي بين ماهو لغوي ومنطقي، وإبراز الخطاب العربي على أنه طابع حجاجي بامتياز، وهذا ما يؤكد عودة فن الخطابة العربية في عصر سماه الفلاسفة والنقاد بـ عصر البلاغة والخطابة.

التهميش:

1. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، ط3، مج2، 1994، ص288.
2. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دارالفكر، دمشق، دط، ص197.
3. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دارغريب، القاهرة، دط، 2000م، ص07.
4. ينظر: جميل صايبا، المعجم الفلسفي، الشركة العلمية للكتاب، دارالكتاب العلمي، بيروت، دط، ج1، 1994م، ص446.
5. plantin.essais sur Largumentaion paris.editions kimé.1994.p146/
6. هشام الريفي، الحجاج عندأرسطو، ص77.
7. محمد الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2008، 1م، ص28.
8. هشام الريفي، المرجع نفسه، ص78.
9. محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دارالكتاب الجديد، ط1، 2008م، ص07.
10. أبو الحسين بن فارس (ت395هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دارالكتب العلمية، ج1، ص301.
11. مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1989م، ص45.
12. حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دارقرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999م، ص102.
13. حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4، ص09.
14. المرجع نفسه، ص09.
15. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادتها، افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999م، ط1، ص213.
16. محمد سالم محمد الأمين، المرجع نفسه، ص217.
17. المرجع نفسه، ص218.
18. المرجع نفسه، ص220.
19. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد164، 1992م، ص219.
20. محمد سالم محمد الأمين، المرجع نفسه، ص232.
21. محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1994م، ص38.

22. محمد سالم محمد الأمين، المرجع نفسه، ص258.
23. المرجع نفسه، ص263.
24. المرجع نفسه، ص276.
25. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، دط، 2009م، ص48.
26. عبد الرحمن طه، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص215.
27. أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ص43.
28. محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، مصر، ط5، 2003م، ص153.
29. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2014م، ص205.
30. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص63.

جامعة محمد خيضر. بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة المصطلح والمفهوم بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

يومي: 09.10 ماي 2022

اسم ولقب الباحث: بهليل عمر.

الصفة: طالب دكتوراه سنة الثالثة (ل. م. د)

مؤسسة الانتماء: جامعة الدكتور يحي فارس بالمدينة .

البريد الإلكتروني: [omarbehilil6@gmail.com](mailto:omarbehilil6@gmail.com) الهاتف النقال: 07 77 97 89 44

محور المداخلة: المحور الثاني ( البلاغة الجديدة في التراث)

عنوان المداخلة: البلاغة الجديدة . بحث في التراث وكشف عن التوجّهات .

نص المداخلة:

تُصنّف البلاغة الجديدة ضمن النظريات الحديثة الكبرى والمهمة التي تُعنى بتحليل الخطاب و تأويله، وهي في ذلك تعمل على استقراء التراث البلاغي القديم، والاستفادة منه في استحداث نقدٍ منهجيٍّ حديثٍ يُواكب حركة التطور، ويرصدُ الخطابات رصداً دقيقاً بُغية الكشف عن البنى اللغوية للأدب وكذا تحديد آليات الخطاب بشكلٍ عام. وهنا تستوقفنا الخدمات الجليلة التي تُقدمها البلاغة القديمة قصد التأسيس للمنظومة النقدية الأدبية الحديثة، إذ هي المنبع الذي ينهل منه النقد المنهجي الحديث ويستمد منه آلياته وأدواته التي تُساعده في تحليل وتأويل وفهم الخطابات الأدبية، ولعلّ ما يبرز في الساحة النقدية اليوم من رؤى ومناهج نقدية مُتعددة قد استوفى حظه من معين البلاغة

الكلاسيكية، فما هي يا تُرى المحطات التي تستوقفنا في الكشف عن هذه الحقيقة السالفة الذكر؟ وما هي المناهل الكبرى التي تشرّبت منها البلاغة الجديدة؟ وما هي التوجهات البارزة لها؟ إننا في خضم الحديث عن البلاغة الجديدة نجد أنه من الضرورة الملحة الوقوف عند مفهوم البلاغة الكلاسيكية في جانبها اللغوي والاصطلاحي

مفهوم البلاغة لغة: البلاغة لغة هي الوصول والانتفاء وقد جاء في لسان العرب: ﴿بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى. تبلغ بالشيء: وصل إلى مراده. الإبلاغ: الإيصال. بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه، و كذلك إذا شارفت عليه﴾<sup>1</sup>.

مفهوم البلاغة إصلاً: جاء على لسان ابن منظور أن البلاغة هي: ﴿(البلاغة) الفصاحة والبَلْغُ والبَلِغُ: البليغ من الرجال ورجل بليغ وبلّغ وبلغ وبلغ: حسن الكلام فصيح: يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، و الجمع بلغاء، وقد بلغ بلاغة صار بليغاً﴾<sup>2</sup>. كما أشار كذلك الدكتور أحمد مطلوب إلى معنى البلاغة بقوله: ﴿وهذا هو المعنى العام لكلمة بلاغة: فهي أولاً الانتفاء والوصول. وهي ثانياً الفصاحة وحسن القول﴾<sup>3</sup>. ويضع السكاكي مفهومًا علميًا يحدد من خلاله أسس البلاغة ويضع موضوعاتها في أبواب و فصول حين يقول: ﴿هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد التشبيه والمجاز على وجهها﴾<sup>4</sup>. كما تكلم الخطيب القزويني كذلك في باب البلاغة وقد ذكر أن البلاغة هي: ﴿مطابقة الكلام لمقتضى الحال﴾<sup>5</sup>. ويعد القزويني آخر من وضع معالم البحث البلاغي و هذه مزية أخرى تحسب لنقادنا العرب

مفهوم البلاغة الجديدة:

شهد منتصف القرن العشرين ميلاد اتجاه نقدي جديد يطلق عليه مصطلح البلاغة الجديدة، حيث يعود الفضل في ذلك إلى العمل المهم الذي قام به بيرلمان والمتمثل في دراسة تكتسي أهمية بالغة تُعنى بموضوع الحجاج وكان ذلك سنة 1958. هذا العمل تمخّض عنه ميلاد مصطلح البلاغة الجديدة وقد أصبح هذا المسلك النقدي تخصصًا مستقلًا لقي اهتمامًا من قبل العديد من الدارسين والمفكرين وقد سلكت البلاغة الجديدة اتجاهات ومقاربات نقدية متعددة ونذكر منها:

أولاً الاتجاه الأسلوبى:

تشكل الأسلوبية اتجاهاً نقدياً متميزاً شغل عقول العديد من النقاد إذ أنها عُدت لدى الكثير وريثة للبلاغة العربية وذلك لأنّ العديد من الأدوات التي توظفها الأسلوبية هي من المباحث التي اهتمت بها البلاغة في سابق عهدها وفي هذا يقول الدكتور سامي عباينة: ﴿ لقد تلقى النقاد العرب الأسلوبية منذ منتصف السبعينات تقريباً، وقدم عدد من الدراسات والنظرية أبرزها دراسة عبد السلام المسدي ( الأسلوبية والأسلوب ) ودراسة صلاح فضل ( علم الأسلوب ) كما استحوذت على جانب من هذه الدراسات مسألة ربط الأسلوبية بالبلاغة كما في دراسة محمد عبد المطلب ( البلاغة والأسلوبية). ولعل هذه الصلة بين البلاغة والأسلوبية التي عدت وريثة لها هي ما جعلت التقاء النقاد العرب بالأسلوبية غير محفوف بالرفض أو المعارضة ﴾<sup>6</sup>.

من خلال هذا التعريف تتجلى لنا العلاقة الوطيدة بين الأسلوبية كمنهج نقدي والبلاغة كعلم من العلوم الضاربة في القدم، إذ أن الأولى ما هي إلا امتداد للثانية وللكشف عن حدود كل واحدة منهما فلا نجد أحسن ممّا يذكره الدكتور نور الدين السّد في كتابه " الأسلوبية وتحليل الخطاب" إذ يقول: ﴿ إذا كانت البلاغة تنتهي في وصفها وتحليلها عند حدود الجملة ما عدا مبحث الفصل والوصل ومبحث الالتفات فإنّ الأسلوبية تتجاوز ذلك إلى وصف الخطاب وتحليل مكوناته، ولذلك نجد الأسلوبية تستعين بالبلاغة وتتجاوزها ويتجلى هذا التجاوز في مواطن كثيرة أهمها ما يتفرّع عن نظرية الانزياح و ظاهرة التناص وسوى ذلك ﴾<sup>7</sup>. يمكن القول من خلال ما جاء في هذا القول أنّ العمل الذي تقوم به الأسلوبية أوسع من العمل الموكّل إلى البلاغة ذلك أنّ البلاغة تهتم بالجملة في حين أنّ الأسلوبية تهتم بالنص والنص في حقيقة الأمر ما هو إلا مجموعة من الجمل وهذا هو ما قصده الدكتور نور الدين السّد بعبارته " الأسلوبية تستعين بالبلاغة وتتجاوزها" وهي في ذلك تستعين بها وقد اهتدى البعض إلى أنّ البلاغة هي (أسلوبية القدامى) و( الأسلوبية هي بلاغة حديثة) وهذا القول وارد في ما ذكره الدكتور يوسف وجليسي في معرض حديثه عن الأسلوبية: ﴿ تمثل الأسلوبية - في التنظيرات الغربية - جسراً يربط اللسانيات بالنقد الأدبي، كأنه تعبيد لطريق عتيق شقته البلاغة القديمة، حيث أنّ البلاغة (Rhétorique) عند غيرو- " هي أسلوبية القدامى" كما أنّ الأسلوبية " هي بلاغة حديثة تحت شكلها

المزدوج: علم التعبير، ونقد للأساليب الفردية"، وعليه فالأسلوبية هي " الوريث (Héritière) المباشر للبلاغة" <sup>8</sup>.

وتُعد البلاغة القديمة بمباحثها الثلاث: " علم البيان و علم البديع و علم المعاني " أدوات وأساسيات تعتمد عليها الأسلوبية في تحليل النص الأدبي، غير أن الدراسات الأسلوبية للنصوص الأدبية شهدت اتساعاً كبيراً وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى اتجاهاتها المتعددة، وفي هذا الصدد فقد ظهرت نظرية الحجاج التي يرى البعض أنها كذلك بلاغةً جديدةً.

ثانياً الاتجاه الحجاجي:

يظهر الاهتمام بالحجج بوضوح في قضية الاهتمام بالكلام وفن الرد والإقناع كما ظهر ذلك كثيراً في القرآن الكريم في مقام الدفاع عنه. وفي ذلك يقول محمد الأمين الطلبة: ﴿... وقد برزت أهمية الحجج خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله وقضية خلق القرآن والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية ما على غيرها <sup>9</sup>. فالمفاهيم الواردة في هذا القول توحى بأن الحجج يقوم على توظيف الخطاب الأدبي بغرض الرد على الخصم ومجاهته بالحجة والدليل قصد الانتصار لقضية من القضايا المطروقة وهذا العمل يتطلب حسن اختيار الألفاظ والتركيز على النقاط المناسبة بغية التأثير في الخصم واستضعافه بالأدلة والبراهين. وهنا يمكن القول أن البلاغة العربية القديمة لم تهتم بشكل واضح بمسألة الحجج، وحيال هذا الأمر يقول محمد الأمين طلبة: ﴿ ظلت البلاغة العربية لفترة طويلة مختزلة في باب العبارة والأسلوب ولم تعمل على توسيع وتحليل المحاولات التي تناولت الحجة والبرهان منذ الجاحظ حتى الجرجاني، لكنه يرى أن إعادة قراءة هذا التراث كقيلة بإعادة ترتيب عناصر النظرية البلاغية العربية بطريقة مختلفة عن السابق بحيث يبرز تصور واضح لبلاغة الشعور وآخر لبلاغة الحجج لأن البلاغة العربية في عصر التدوين كانت تستجيب لحاجات معينة نجمت عن سياقات فكرية و  
مذهبية واجتماعية بالغة الخصوصية <sup>10</sup>.



وبالرغم ممّا ورد في هذا القول بأنّ الإحاطة بقضية الحجة والدليل كانت متأخرة في الدرس البلاغي العربي إلا أنّ فيه بيان لجهود نقادنا العرب في مباحث البلاغة السابقة لجهود غيرهم . ومن خلال ما تقدم ذكره نقول أنّ من النقاد من يرى أن نظرية الحجّاج هي بلاغة جديدة ونذكر منهم عبد الله صولة و قد أقرّ ذلك بقوله: ﴿ البلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول روبرول لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلمان وتيتيكا هي هذه البلاغة الجديدة ﴾<sup>11</sup> . وفي هذا إشارة منه إلى نظرية الحجّاج التي تهتم بصنوف مختلفة من الخطابات الأدبيّة، بداية من الخطاب الشعري إلى الخطاب السياسي وكذا القانوني والخطاب الفلسفي وخطاب الصورة وغير ذلك من الخطابات اللغوية، حيث يتم في ذلك تحديد وظيفة البلاغة الجديدة، سواءً ما تعلق بالمعنى التعبيري الذي يأخذ الاتجاه الأسلوبى، أو المعنى الحجّاجى الإقناعى الذي يسلك الاتجاه التداولى ويعتبر كل من بيرلمان وتيتيكا علمين من أعلام الاتجاه الحجّاجى وذلك لعنايتهما الفائقة بهذا المبحث النقدي الذي يكتسي أهمية بالغة في المقاربات النقدية الحديثة التي تؤسس للنقد المنهجي حيث أنّ هذين العلمين قاما بعمل مشترك يتمثل في كتاب أطلق عليه تسمية " مصنف في الحجّاج " وقد كان ذلك عام 1960 يُعنى هذا العمل بكثير من القضايا المتعلقة بموضوع الحجّاج ، وعد هذا العمل تحديث للدرس البلاغي وكان ذلك من خلال توظيف المفاهيم البلاغية القديمة واستثمارها في بطريقة حديثة في دراسة شتى أنواع الخطابات.

ثالثاً الاتجاه السيميائي:

يأخذ هذا الاتجاه قضية الاهتمام بعلم العلامات اللغوية وغير اللغوية، وقد كان ظهور هذا الاتجاه بين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وهناك من يطلق على هذا العلم مصطلح السيميولوجيا، ويعود الفضل في بروزه إلى عالم اللسانيات السويسري فرديناند دوسوسير إذ هو الذي أشار إلى هذا العلم وعن هذا يقول الدكتور يوسف وجليسي متحدثاً عن هذا العلم: ﴿ وإذا كان دوسوسير يتحدث في الفقرة السابقة، بلغة تصويرية، تستشرف علمًا (لمّا يوجد) وتنبأ بميلاده وضرورة وجوده ﴾<sup>12</sup> . وعن علاقة هذا الاتجاه بالبلاغة تستوقفنا جهود رولان بارت الذي حاول أن يطبق البلاغة على الأنظمة السيميائية، وهو في ذلك يرى أنّ البلاغة أصبحت علمًا تعنى بكل الخطابات دون استثناء: ﴿ لم تعد - يقصد البلاغة - علمًا خاصًا بالخطاب، وإلّا صارت علمًا عامًا للخطابات كافة ﴾<sup>13</sup> . حيث قام

رولان بارت البحث عن الأنساق اللفظية وغير اللفظية في بعض الظواهر السيميولوجية منها الأساطيرو الأزياء والنصوص الأدبية وبالخصوص الصورة الإشهارية إذ أنه يرى أن الصورة الإشهارية تُصاغ بطرائق أسلوبية متعددة كالاستعارة والتشبيه والمجاز والكناية والسجع والمقابلة وغير ذلك من المباحث البلاغية وفي هذا دليل قاطع على استفادة هذا العلم من البلاغة القديمة .

رابعاً الاتجاه التداولي:

ينبني الاتجاه التداولي على رصد العلاقة القائمة بين بنية النص وقضية التواصل وهي علاقة لها أرهاصاتها الأولى في ما ذكره الخطيب القزويني كذلك في باب تعريف البلاغة على أنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وغير بعيد عن هذا التعريف يذكر الدكتور صلاح فضل في تعريفه للتداولية هذا المعنى: ﴿التداولية علم يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم وهذا ما كان يسمى في البلاغة القديمة بمقتضى الحال﴾<sup>14</sup>. وعلى العموم في كلا التعريفين تصريح بأن البلاغة هي مراعاة لمقتضى الحال أي أن المتكلم لا بد له من الاهتمام بحال المتلقي وهذا يفرض عليه بالضرورة تخيير للألفاظ ومراعاة لحال المتلقين. وقد فصل الدكتور أحمد مطلوب في مقام مقتضى الحال بقوله: ﴿مقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكيري بيان مقام التعريف ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف، ومقام القصري يبين مقام خلافه، ومقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة، وخطاب الذكي يبين خطاب الغبي، ولكل كلمة من صاحبها مقام﴾<sup>15</sup>.

ففي هذا التعريف الشامل يسرد لنا الدكتور بعض المقامات وكيف أنه لا بد على المبدع أن يراعي حال المتلقين وذلك بالأخذ في الحسبان درجات التفاوت الحاصلة بينهم في الذكاء والمستوى العلمي مثلاً فالخطاب الذي يوجه للمتعلم غير الخطاب الذي يوجه للأمي، وهكذا فلا بد من نظرة استشرافية للمتلقي قبل توجيه الخطاب وهذا ما يدعى بمراعاة مقتضى الحال. وهذا مبحث من المباحث البلاغية التي استثمرت في الاتجاه التداولي الذي يهتم بمسألة التواصل بين الملقى والمتلقي.

خامساً الاتجاه اللساني:

يُعد هذا الاتجاه من المسالك النقدي التي استفادت كثيرًا من علوم البلاغة القديمة كون المباحث الكبرى التي جيء بها في هذا الاتجاه قامت على توظيف العديد من القضايا البلاغية المطروقة قديمًا خاصة ما تعلق بمبحث الاستعارة والمجاز حيث أنّ جاكوبسون في دراسة منه للصور البلاغية يحاول تفسير قدرة المتكلم اللغوية في بعدها الحقيقي والمجازي إذ يتصور الاستعارة منطلقًا من مبدأ التركيب و الاستبدال الذي هو في حقيقة الأمر مبحث من مباحث اللسانيات، كما يعمد جاكوبسون إلى إجراء مقارنة بين المجاز والاستعارة ويرى أنّ الاستعارة لها ارتباط بالمحور الاستبدالي، أما المجاز فله ارتباط بالمحور التألّفي وهذا ما يتضح في هذا النص: ﴿ الاستعارة هي نتاج عملية استبدال وحدة دلالية بأخرى تشترك معها في سمات دلالية وتختلف معها في سمات أخرى ترتبط بالمحور الاستبدالي، بينما المجاز ذو البعد الزمني يتأتى من مقدرة المتكلم على تأليف بين الكلمات ضمن قواعد نحو اللغة التي يستعملها ﴾<sup>16</sup> . فلاشك أنّ هذا التعريف يوحى بنقاط التقاطع الحاصلة بين البلاغة العربية القديمة بعلمها الثلاث و علم اللسانيات، حيث أنّ المحور الاستبدالي وكذا المحور التركيبي يأخذ مادته الخام التي يقوم عليها من معين البلاغة القديمة فتأخذ بذلك اللسانيات صورة جديدة للبلاغة العربية القديمة.

وختامًا لا يمكن في هذه الورقة البحثية البسيطة التطرق إلى عديد الاتجاهات التي سلكتها البلاغة الجديدة، إذ أنّ هذه الاتجاهات متعددة ومتنوعة، وقد خاض فيها الباحثون والمتخصصون أشواطًا كبيرة ومعتبرة في إبراز مواطن التقاء هذه الاتجاهات النقدية بعلم البلاغة، وكيف كانت البلاغة القديمة بعلمها الثلاث مقومات أساسية قامت عليها هذه المسالك النقدية لتحليل الخطابات، في صورة وثوبٍ بلاغيّ جديدة، وفي كل ذلك بيان للسبق النقدي العربي غير الممنهج في زمنٍ متقدمٍ.

- <sup>1</sup> ينظر أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ط1، 1981، ص 7
- <sup>2</sup> المرجع نفسه، ص7
- <sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 5.
- <sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 35.
- <sup>5</sup> الخطيب القزويني، التلخيص، تحقيق عبد الرحمان البرقوقي، القاهرة، 1932، ط1، ص 33.
- سامي عباينة، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، جدارا للكتاب العالمي ، ط2 ، 2010، ص<sup>6</sup>165.
- <sup>7</sup> نور الدين السّد، الأسلوبية و تحليل الخطاب، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2010، ص 7.
- <sup>8</sup> يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص85.
- <sup>9</sup> الطلبة محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008، ص 261.
- <sup>10</sup> المرجع نفسه ص282.
- <sup>11</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ميكسيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011، ص 71.
- <sup>12</sup> يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص95.
- <sup>13</sup> رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص6.
- <sup>14</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 21.
- <sup>15</sup> أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ط1، 1981، ص 7.
- <sup>16</sup> عبد العزيز الحويديق، الاستعارة عند رومان جاكوبسون، مجلة علامات ج54، مجلد14، ديسمبر2004، ص 227.

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث .

يومي : 10-09 ماي 2022

استمارة المشاركة :

الاسم واللقب : زينة جهاد

الصفة : طالبة دكتوراه

مؤسسة الانتماء : جامعة ابن خلدون - تيارت -

الهاتف والبريد الالكتروني : 0699504029

djihadzenina@gmail.com

محور المداخلة : البلاغة الجديدة في التراث

عنوان المداخلة : الحجج في الموروث البلاغي العربي .

الملخص :

اهتم البلاغيون بالبعد الحجاجي في مدوناتهم واتخذوا من الأساليب البلاغية سبيلا لذلك ؛ فاضطلعت بالوظيفة الجمالية و الإقناعية معا، في محاولة منهم لاستمالة المتلقي والتأثير فيه قصد إحداث تغيير في فكره أو تعديل في سلوكه وهو ممارسة أملت البيئتين الفكرية والأدبية التي كانت مزيجا مختلفا من الثقافات والمرجعيات والاهتمامات مما ولد صراعا فكريا أوجت آراءه الفرق الإسلامية عن طريق المناظرات والسجلات العلمية ؛ إذ عمد كل طرف على توظيف حجج وبراهين تؤيد رأيه وقصده إلى جانب استعانتهم بالروابط المنطقية والآليات اللغوية مشكلين بذلك نسيجاً لغوياً منسجماً، فقد دافع علماء البلاغة ( العرب ) في

خطاباتهم عن الإعجاز القرآني والبيان العربي ضد الطاعنين والمشككين المناصرين للشعبوية والمتحاملين على اللغة العربية ، فاستوفت خطاباتهم جانبين : جانب حجائي يهدف للإقناع والآخر بلاغي يهتم بجمالية الأسلوب ، وهذا ما يسعى البحث لكشفه واستجلاء مكانه .

- الكلمات المفتاحية : الحجج - البلاغة العربية - المتلقي - الإقناع - الآليات الحججية .

- المدخل : -

لقد أولى البلاغيون العرب اهتماما بالغا بالحجج فتجسد في ممارساتهم الخطابية ومناظراتهم الفكرية وخاصة في تصديهم لموجات الطعن والتشكيك التي أوجع آراءها أنصار الشعبوية ، محاولين بث شهات حول الإعجاز القرآني والتقليل من شأن البيان العربي ، ما دفع الأعلام الأجلاء لدحض تلك الأفكار مستعينين بآليات حججية وجملة من التقنيات والحجج الداعمة، هدفها إقناع المتلقي وإحداث تأثير في فكره لاستمالاته وحمله على الإذعان والتسليم ؛ إذ حاول كل فريق الانتصار لمذهبه ورأيه ومواجهة خصومه ، مما ولد صراعا فكريا نمت بفعله الحركة العلمية والأدبية وازدهرت وانبثقت منها حقول معرفية شتى كالبلاغة والفلسفة والمنطق والتي اتخذها منتجو الخطاب وسائل لتبليغ آرائهم قصد تغيير معتقد أو التعديل في السلوك .

حيث أدرك البلاغيون أن غاية البلاغة لا تنحصر في الفنية والجمالية وإنما تضطلع بوظائف أخرى كالحجج والإقناع ؛ إذ " أن استعمال الظاهرة اللغوية يتفرع إلى مستويين اثنين : أحدهما استعمال عادي يخلو من كل سمة أسلوبية ... والثاني هو الاستعمال المطبوع بسمة فنية خالصة " (عبد السلام، 1976) ، وهو ما يسعى المتكلم لتضمينه في خطابه مراعيًا جميع الظروف السياقية ومازجا إياه بالصبغة الحججية .

فمعالجة البلاغة العربية للنصوص الأدبية يحكمها الوعي والقصد فقد اهتمت بالحالة النفسية والقدرات الفكرية للمخاطب إلى جانب مراعاتها للمقام " فالإنجاز الكلامي لا يكون عبثيا ، بل يرتبط بمقاصد وغايات تمثل الحبل ( الرابط ) الذي يصل المتكلم بالسامع ، مما يعني أن الكلام يقوم في الحقيقة على مفهوم الوظيفة التي تعد شرطاً لأي تبليغ لغوي " (عبد اللطيف، 2013) . فهي تهدف لإيصال المعنى إلى السامع في تركيب بياني بديع جامعة بذلك الوظيفة البلاغية الإخبارية والوظيفة الحججية أو التأثيرية .

فتمكن البلاغة من تحقيق الغاية الحججية يقتضي تلاحم الحجج واكتناه الصور البيانية دورا إقناعيا ، فهي تعد آلية حججية " قد تؤثر وتستميل وتمتع ، ولكنها لا تقنع وتفحم إلا إذا تلاحمت مع الحجج والمحاكاة ، وإذا كانت ج روس تعتقد أن الصور البلاغية هي بمثابة عملية أسلوبية تنشط الخطاب وذات وظيفة إقناعية ، فإن هذه الصور على الرغم من أهميتها لا تستطيع أن تصمد أمام العقل النفاذ والشك الوقاد ، ما لم تكن مدعومة عضويا بالحجج العقلية التي تخضع بدورها لمعيار القوة والضعف " (حبيب، 2001) ، وكأنه يشير للشحنة الحججية التي تتضمنها الصور البلاغية والتي تآثر على المتلقي وتقنعه .

## - مفهوم الحجاج :

حملت كلمة الحجاج في المعاجم العربية معنى المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي كما دلت على معنى الدليل على الرأي المرغوب إثباته حيث عرفها ابن فارس بقوله " حاججت فلانا فَحَجَّجْتَهُ أي غَلَبْتَهُ بالحجة ، وذلك الظفر فيكون عند الخصومة ، والجمع حُجَجٌ والمصدر الحجاج " (ابن فارس، 1979)

في حين عرفه ابن منظور بقوله " الحُجَّةُ : البرهان ، وقيل : الحُجَّةُ ما دُفِعَ به الخصم ؛ وقال الأزهري : الحُجَّةُ الوجه الذي يكون به الظُّفْر عند الخصومة وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جِدِلٌ والتحاجُّ : التخاصُّم ، وجمع الحُجَّةُ : حججٌ وحجاجٌ وحاجةٌ ومحاجةٌ وحجاجًا نازعة الحجة " (ابن منظور، د/ت)

فالمعنى اللغوي للحجاج حمل دلالة الخصومة والمجادلة وتقديم الحجج والأدلة لتأييد الفكرة للتمكن من الإقناع والتأثير .

أما الدلالة الاصطلاحية للحجاج فهو " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو تزيد في درجة ذلك التسليم " (عبد الله، 2011) ، فالغاية التي يصبو إليها الحجاج هي الإقناع وزيادة درجة ذلك الإذعان لدى السامعين مما يبعثهم للقيام بالعمل أو الإعراض عنه .

وعرفه طه عبد الرحمن بقوله " حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها " (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998) ، كما وسع من مفهومه في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " وأعطى للحجاج صفتين رئيسيتين هما : التداولية والجدلية فقال بأنه " فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجهها بقدر الحاجة ، وهو أيضا جدلي ، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البيانات البرهانية الضيقة " (طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 2000) .

فالعلاقة التخاطبية في الحجاج قائمة على قصدي الادعاء والاعتراض ، فالمقصود بالادعاء " ادعاء الناطق الصريح لما يقول في نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة " (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998) ، مما يعني كفاءة المحاجج وقدرته على الاستدلال لأفكاره ، في حين يقتضي الاعتراض " أن يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه " (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998، صفحة 225) ، فلا بد من إقامة الحجة القوية حتى يدعن المَخَاطَب ويستميل ويغير رأيه .

## - الحجاج عند الجاحظ :

تجلى البعد الحجاجي عند الجاحظ في دفاعه الصريح والضماني عن الإعجاز القرآن وذوده عن البيان العربي متصديا بذلك لخصومه ، إلى جانب تمسكه بمذهبه الاعتزالي وهو ما أكده محمد سالم محمد الأمين الطلبة بقوله " ومن العوامل التي جعلت الجاحظ يهتم بالنزعة الحجاجية وبالوظائف اللغوية والبلاغية ، انتمائه المذهبي إلى المعتزلة وتصدره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم ؛ وكان من شأن هذا تحفيزه على التفكير في نصوص الخصوم وفرضياتهم ، ثم البحث عن الآليات الكفيلة بمقارعتها ودحضها وعمما يتعلق بهذا الهدف من ضرورة التقدير الجيد لحسابات التوقع والاحتمال " (محمد سالم محمد الأمين، 2008)

فقد كان الجاحظ متكلماً عارفاً باللغة وتصارييف الكلام ، عالماً باللغة والنحو ومطلعاً على الثقافات ما جعله " يمتلك القدرة على الاحتجاج للشئ ونقيضه ، كأن يحتج للبخل ويظهره في صورة تديبير وإصلاح أو يحتج ضده فيخرجه في صورة شائهة ساخرة تنزل بالبخل إلى أسفل الدرجات " (محمد، 2011).

وبين أثر البيان و الفصاحة في الإبانة عن الحججة و إقناع السامع حيث استدلل بقصة موسى عليه السلام ومحاججته لفرعون فقال " وسأل الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإفصاح عن أدلته " (الجاحظ، 1998) ، ولكن موسى عليه السلام تنبه للعقدة في لسانه والحبسة في بيانه ما دفعه للاستعانة بأخيه ( هارون ) الذي كان أفصح لساناً بغية إقامة الحججة على فرعون وقومه ، فعقب الجاحظ على ذلك بقوله " رغبة منه في غاية الإفصاح بالحججة ، والمبالغة في وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع " (الجاحظ، 1998) .

كما وضح مقدرة العرب الحجاجية ومناظرتهم لخصومهم وامتلاكهم للآليات الخطابية فقال " وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ، ومن بلاغة الألسنة واللدد عند الخصومة ... ثم ذكر خلاصة ألسنتهم ، واستمالة الأسماع بحسن منطقتهم " (الجاحظ، 1998، الصفحات ج 1 ص 8-9)

فالأغراض الإقناعية عند الجاحظ تمثلت في استمالة القلوب ، وميل الأعناق ، وفهم العقول ، واسراع النفس . أما الوسائل الحجاجية التي تمكنهم من ذلك فهي الفصاحة ، وبلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام وصحة العقول .

و اتخذ الجاحظ من البيان آلية للإقناع وسلاحاً للرد على المعارضين ، فالقارئ لكتاب البيان والتبيين يدرك " أن مادته لا تخرج عن ثلاثة محاور أولها : وظيفة البيان وقيمه ، وثانيها : العملية البيانية وأدواتها أما الثالثة : فخاصة بالبيان العربي قيمه وتاريخه " (محمد ا.، 1999) .

فعرف البيان بقوله هو " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ؛



لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، وإنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 76) ، ويتضح من كلامه " أن البيان يحمل بعدا إجرائيا تداوليا يتمثل في الإفهام " (عبد اللطيف، 2013، صفحة 63)

حيث انحصرت وظيفة البيان عند الجاحظ في الإفهام والإقناع و هو ما عبر عنه محمد العمري بقوله " يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومين أو وظيفتين :

1- البيان معرفة : الوظيفة الفهمية

2- البيان إقناع : أو الوظيفة الإقناعية " (محمد ا.، 1999، صفحة 194)

ركز الجاحظ على الوظيفة الإفهامية في قوله " مدار الأمر على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهم " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص11) سعيا منه لحماية اللغة من اللحن وتوضيح أحكام الدين للمكلفين ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الفهم .

في حين اقتضت الوظيفة الحجاجية عنده فصاحة القول ومراعاة أحوال المخاطبين والمقام فقال " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص138)

فنظرته للبيان كانت شاملة لكل " وسائل التعبير الممكنة بين البشر ، ومختلف الكيفيات التي يؤديون بها المعنى ، بقطع النظر عن العلامة المستخدمة ، وهذا معنى عام يتسع للغة وغيرها " (حمادي، 1981) ، حيث تعدد أصناف الدلالة عند الجاحظ ( اللفظ ، الإشارة ، الخط ، والعقد ... ) يستعان بها في العملية الخطابية .

واهتم بالإقناع الشفوي وبلاغة الخطيب وتمكنه من أسرار اللغة وتصاريفها " فتحليل استراتيجية كتاب البيان والتبيين للجاحظ يكشف بكل وضوح أن هذا الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع ، مركزها الخطاب اللغوي الشفوي " (محمد ا.، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، 1996) ، كما أشار لبعض العيوب التي قد تضعف الخطاب الحجاجي وتبعده عن غايته ملتصقا في البلاغة جانبيين الإقناعي والتخييلي فقال " وليس ، حفظك الله ، مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة ، وعن الحصر من فوت درك الحاجة ، والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ... فإن تكلفنا مع ذلك مقامات الخطباء، وتعاطيا مناظرة البلغاء، تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب " (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص12) .

ومثل بقصة واصل بن عطاء الذي وجد منفذا لتجنب القصور ، والوقوع في الحرج أو الانحراف عن الهدف في محاجة لخصومه فقال " ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ ، فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ

كان داعية مقالة ، ورئيس نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بد من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ... وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق وتزين المعاني؛ وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن... رام أبو حذيفة إسقاط الرأى من كلامه " (الجاحظ، 1998، الصفحات ج1 ص: 14-15).

فإن تم تقرير الحجة وأذعنت العقول لما طرح عليهما من آراء حاز المتكلم بذلك فصل الخطاب " وهو نوع من القول تجتمع فيه الصنعة اللفظية والحجة المقنعة مع عدم الإثقال على السامع " (محمد عابد، 2009)

#### - الحجاج عند ابن وهب :

تحدث ابن وهب عن الجدل والمجادلة فقال " وأما الجدل والمجادلة ، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب والديانات ، وفي الحقوق والخصومات ، وفي التسؤل والاعتذارات ؛ ويدخل في الشعر والنثر " (ابن وهب، 1969) ، وقسمه إلى قسمين " أحدهما محمود ، والآخر المذموم فأما الم محمود فهو الذي يقصد به الحق ، ويستعمل فيه الصدق ، وأما المذموم فما أريد به المهارة والغلبة ، وطلب به الرياء والسمعة " (ابن وهب، 1969، صفحة 177).

وربط البيان بالعقل وقسمه إلى أربعة أصناف فقال " البيان على أربعة أوجه : فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب ، ومنه البيان باللسان ، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب " (ابن وهب، 1969، صفحة 56) ، فههدف البيان عنده هو بناء المعرفة عن طريق التصديق لا على اليقين، والحجة على معنى الإقناع لا البرهان " (ابن وهب، 1969، صفحة 87)

كما تطرق للقياس وعده آلية مهمة في الإقناع حيث قال " وليس يجب القياس إلا عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجه ، كقولنا : إذا كان الحي حساسا متحركا ، فالإنسان حي ، وربما كان ذلك في اللسان العربي مقدمة أو مقدمتين ، أو أكثر على [ قدر ] ما يتجه من إفهام المخاطب فأما أصحاب المنطق فيقولون : إنه لا يجب قياس إلا عن طريق مقدمتين لإحدهما بالأخرى تعلق ... وإنما يكتفي في لسان العرب بمقدمة واحدة على التوسع وعلم المخاطب " (ابن وهب، 1969، صفحة 68) ، مدركا البعد الحجاجي للقياس ووقوعه في الالتباس فقال " فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاجتماع عليه لأنه لا خلاف له ، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال " (ابن وهب، 1969، صفحة 65) ، فقد دعا للضرورة تقويم وسائل الحجج والانتباه للمغالطة في المقدمات التي تفرز نتائج خاطئة .

#### - الحجاج عند عبد القاهر الجرجاني :

استعان عبد القاهر بالآليات الحجاجية للكشف عن سر إعجاز القرآن الكريم و الذي تجلى في بديع نظمه ، جاعلا من الشعر العربي مصدرا للاحتجاج على بلاغته ، حيث رد الشبهات المتعلقة بالشعر والزهد عنه مفندا رأى خصومه وداعيا للإقبال عليه وحفظه .

وحسم الخصومة التي وقعت بين أنصار اللفظ والمعنى موضحاً أن المزية تكمن في حسن التركيب والصياغة القائمة على مراعاة قواعد النحو ، فاللفظ يكسب رونقه داخل السياق ؛ إذ " الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب " (عبد القاهر ، 1991).

تنظم الكلمات وفق انتظام المعاني في النفس فتشكل بذلك ضرباً خاصاً من التأليف " فالاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل " (عبد القاهر ، 1991، صفحة 05)

وكان يدفع المتلقي للاقتناع من خلال توظيف مقدمات معلومة لديه لاستدراجه وإقامة الحججة عليه ومثال ذلك قوله "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك ، علمت علماً لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها على بعض " (عبد القاهر ا.، 2003) ، ليصل إلى نتيجة مفادها أن النظم يكمن في تعليق الكلم بعضها ببعض بطريقة مخصوصة .

ووضح موقفه ممن قصر الفصاحة في التلاؤم اللفظي وحاجتهم بقوله " وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعنى جارتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا : لفظة متمكنة ومقبولة ، وفي خلافه : قلقة نابية ، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها ، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها " (عبد القاهر ا.، 2003، صفحة 98) ، فالفصاحة لا تكون للفظة المفردة المزروعة من نسقها اللغوي وإنما تتكسب تلك الخاصية داخل التركيب .

كما أدرك الجرجاني الوظيفة الحجاجية للبلاغة وأنها ليست مقصورة على الإبلاغ والفنية ، فالأسلوب البلاغي إن كان "دماً كان مسه أوجع ، ومسسه أذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد ، وأن كان حجاجاً كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهى وإن كان افتخاراً كان شأؤه أبعد ، وشرفه أجد ولسانه ألد وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أفل وفي عقد العقود أنفث ، وعلى حسن الرجوع أبعث " (عبد القاهر ا.، 1991، صفحة 115)

واعتبر الجرجاني التمثيل الحسي وسيلة للحجاج وضرب لذلك مثلاً بقوله " ولو أن رجلاً أراد أن يضرب مثلاً في تنافي الشئيين فقال: هذا وذاك لا يجتمعان ؟ وأشار إلى ماء ونار حاضرين ، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا نجده إذا أخبرك بالقول فقال : هل يجتمع الماء والنار ؟ . وذلك الذي تفعل المشاهدة من التحريك للنفس ، والذي يجيء بها من تمكن المعنى في القلب إذا كانت مستفاده من العيان ، ومتصرفه حيث تتصرف العينان " (عبد القاهر ا.، 1991، صفحة 127) ، فالصورة مأخوذة من الواقع وتدرجها الحواس لذا هي دليل مستحكم لا يمكن إنكار حقيقته .

وتفطن للبنية الاستدلالية للاستعارة فهي عنده " ضرب من التشبيه ، ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول ، وتستفيق فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع والأذان " (عبد القاهر ا.، 1991، صفحة 20)

فالصور البيانية من الآليات الحجاجية التي توظف في استجلاء المعاني والتأثير في المخاطبين واستمالتهم .

#### - الحجاج عند السكاكي :

أدمج السكاكي الحد والاستدلال في علمي البيان والمعاني فقال " ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بدا من التسمح بهما " (السكاكي، 1987) ، حيث جعل من النظام الاستدلالي محورا لتأسيس البلاغة فهي قائمة على المعرفة والإقناع وأوضح ذلك بقوله " وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها ، وشعبة فردة من دوحها ، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان " (السكاكي، 1987، صفحة 432) .

وركز على المقام والمستمع لدورهما في العملية التواصلية فقال " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم (...) ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار " (السكاكي، 1987، صفحة 168) ، فلن تتحقق الغاية الإقناعية دون مراعاة المقام الخطابي .

وقد علق عبد اللطيف عادل على رأي السكاكي بقوله " هدف البيان الحجاجي عند السكاكي يتعلق بتحصيل المطلوب مما يعني خدمته لمقصدية المتكلم ضمن سياق تخاطبي معين فالبيان يبني بالدليل وليس بالتحسين الأسلوبى " (عبد اللطيف، 2013، صفحة 78) .

فالبيان عند السكاكي ذو بعد إقناعي مرجعه علاقيتين : الأولى الانتقال من ملزوم إلى لازم والثانية الانتقال من لازم إلى ملزوم ، وبين ذلك في معرض حديثه عن الصور البيانية فقال " المجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم ، كما تقول (رعينا غيثا) والمراد لازمه ، وهو النبت ... وإن الكناية ينتقل فيه من اللازم إلى الملزوم ، كما تقول : فلان طويل النجاد ، والمراد طويل القامة الذي هو ملزوم طول النجاد فلا يصر إلى جعل النجاد طويلا أو قصيرا ، إلا لكون القامة طويلة أو قصيرة " (السكاكي، 1987، الصفحات 330-331) ، فالتنقيب عن معنى المعنى يقتضي الاستدلال والللزوم .

اتسمت البلاغة العربية بأبعاد شتى منها : التخيلي والإقناعي ؛ إذ يعد " الخطاب التداولي الإقناعي أحد وجهي البلاغة ، ووجهها الثاني التخيل فالبلاغة تضم في جانب منها كل الخطابات التخيلية من شعر وسرد وغيرهما ، كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي ... فبلاغة الخطاب الإقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخيلي وتتداخل معها " (محمد ا.، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، 2002)

- خاتمة :

خلص البحث إلى جملة من النتائج تمثلت في :

- اتخذ البلاغيون من الحجاج آلية للدفاع عن أفكارهم ومذاهبهم وتجلى ذلك في مناظراتهم وردهم على خصوصهم .

- ضمت البلاغة العربية عدة وظائف كالأسلوبية الإخبارية والتداولية الحجاجية .

- قام البيان عند الجاحظ على مفهومين: الإقناع وأكد على ضرورة مراعاة الظروف المحيطة بالخطاب.

- حدد الجاحظ الأغراض الإقناعية من البيان والتي تمثلت في استمالة القلوب وفهم العقول وتحريك النفوس ويتم ذلك من خلال وسائل لغوية وغير لغوية.

- استعان البلاغيون بالصور البيانية في محاجة الآخرين بغية إقناعه واستمالتهم .

- ربط ابن وهب البيان بالعقل وجعله أربعة وجوه تهدف لبناء المعرفة عن طريق الاستدلال والقياس .

- الأسلوب الحجاجي عند الجرجاني كان قائماً على عرض آراء المدعين ثم الاعتراض عليها و تنفيذها

- بنى السكاكي علم البيان على الاستدلال واللزوم موضحاً البنية التركيبية والإقناعية للصور البيانية .

- مراجع البحث وإحالاته :

أبو الحسين أحمد تح : عبد السلام محمد هارون ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة. دمشق: دار الفكر.

أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم تح : حفي محمد شرف ابن وهب. (1969). البرهان في وجوه البيان. القاهرة: مكتبة الشباب.

أبو عثمان عمرو بن بحر تح : عبد السلام محمد هارون الجاحظ. (1998). البيان والتبيين (المجلد 7). القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر تعليق : نعيم زرزور السكاكي. (1987). مفتاح العلوم (المجلد 2). بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية.

أعراب حبيب. (يوليو - سبتمبر، 2001). الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري. مجلة عالم الفكر ، 1ع ، المجلد 30 ، صفحة 110.

الجابري محمد عابد. (2009). بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية (المجلد 09). بيروت ، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

- الجرجاني تح : محمود محمد شاكر عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة (المجلد 1). جدة: دار المدني.
- الجرجاني تح : ياسين الأيوبي عبد القاهر. (2003). دلائل الإعجاز في علم المعاني. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.
- الطلبة محمد سالم محمد الأمين. (2008). الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر (المجلد 1). بيروت ، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- العمري محمد. (1999). البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. المغرب: أفريقيا الشرق.
- العمري محمد. (1996). المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- العمري محمد. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (المجلد 2). المغرب: أفريقيا الشرق.
- المسدي عبد السلام. (01 يناير, 1976). المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال " البيان والتبيين ". حوليات الجامعة التونسية كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفحة 157.
- جمال الدين بن كرم ابن منظور. (د/ت). لسان العرب (المجلد 01). بيروت: دار الصادر.
- صمود حمادي. (1981). التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس. المنشورات الجامعة التونسية.
- صولة عبد الله. (2011). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات (المجلد 1). مسيكياني.
- عادل عبد اللطيف. (2013). بلاغة الإقناع في المناظرة (المجلد 01). الرباط: دار الأمان.
- عبد الرحمن طه. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (المجلد 01). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمن طه. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (المجلد 2). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- مشبال محمد. (أكتوبر - ديسمبر, 2011). التصوير والحجاج : نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ . عالم الفكر ، الكويت ، صفحة العدد 2 المجلد 40 ، ص : 155.

تحولات الخطاب الاستعاري: مقارنة بينية المداخل في "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" لمحمد بازي.

باحثة دكتوراه/ بثينة بهلاي

قسم الآداب واللغة العربية

جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص:

تتغيا المقاربة تتبع تحولات النسق الاستعاري من موطنه البلاغي القديم إلى شق معرفي هو الأكثر ذيوعا في الدراسات الراهنة والمعاصرة في المخابر المتخصصة في الأبحاث العرفانية، ضمن قالب بيني تحاقلي مبني على استثمار مفاهيم وأجهزة من الحقل الإدراكي الذهنيات العصبية أو من العلوم المعرفية عامة، ودمجها وباقي معطيات تحليل الخطاب الأدبيو مقولات فلسفة اللغة أو الفلسفة اليومية، بعيدا عن التنظيرات الكلاسيكية ومفاهيم المشابهة والدلالات اللغوية المجازية، في محاولة لنمذجة نسق معرفي بشري أو بناء نموذج تصوري تمثيلي - لفهم العالم .. تتجسد فيه الذهنيات ومقدرات الإدراك الكلية في المقام الأول، ثم الانتقال إلى بلاغة موسعة يتعاقق فيها الفعل الاستعاري والوسائط الرقمية لبلورة مفهوم الاستعارات المنوالية التي تضم الاستعارة الافتراضية، وبالتالي الإجابة على جملة الإشكاليات الموالية:

✓ ما التحولات التي طرأت على النسق الاستعاري؟

✓ وما الذي جعل من الفعل الاستعاري فعلا بينيا عابرا تتحافل فيه النظريات والجيوب العرفانوتوصورية والمعارف الفلسفية وميدان الرقمية ومجالات تأويل وتلقي وتحليل الخطاب؟

كل هذه المعطيات نناقشها من خلال الطرح المقدم في: "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" لمحمد بازي.

الكلمات المفتاحية: نسق استعاري، العرفانية، المشابهة، نموذج تصوري، استعارات منوالية، استعارة افتراضية.

مقدمة:

تتعين الاستعارة كمعلم أساس للدرس البلاغي وكركيمة للاجتهادات العربية والغربية البلاغية القديمة، ولعل الجاهل بطبيعة تحولات هذا النمط الاستعاري وبما حققه في الزمن الراهن يعتقد أنه مفهوم لم يبق فيه الأوائل قولا للمتأخرين، أو أن الدهر قد أكل عليه وانقضى، وهو الأمر الذي يدفع إلى خوض غمار البحث عن حيثيات تحول النسق الاستعاري والكشف عن أبرز محطات هذا التحول، وقد ارتأيت أن أتخير نموذجا لباحث معاصر هو محمد بازي صاحب "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة"، والذي ينطلق فيه من رغبته في خلق أفق لبناء نموذج استعاري كوني موسع تستند فيه نظريات الاستعارة التقليدية المفيدة في الفهم والتحليل إلى الاجتهادات المستأنسة بالتصورات الغربية في هذا الشأن، بحيث يتوزع المصنف على ثمانية فصول، يعنى كل فصل ببناء نمط استعاري معين أو بتحليله، الأول متعلق بالاستعارة كإستراتيجية خطابية، والثاني بتوسيع مجال الاستعارات المنوالية، أما الثالث فجاء حول تحليل الاستعارة المنوالية من منظور تقابلي ومن منظور تصوري عرفاني ثم من منظور نظرية المزج والأحياز

العصبية ونقدها، ثم خصص الفصل الموالي للاستعارات الافتراضية وللجيل الجديد ولأنوال المعرفة الرقمية، والاستعارات الرمزية والهندسية وباقي امتداداتها، لتشكل استعارات التسمية والأسلوب ميدانا للحديث في الفصل الخامس هي وكل ما ارتبط بها من استعارات اشتهارية واستعارة البنى العنوانية أو الألقاب واستعارات الفلاسفة والاستعارات السياسية واستعارة الأشكال، ثم وسم الفصل السادس ب: استعارة المفاهيم والنظريات "مفهوم النص تمثيلا"، والسابع ب: استعارة الانوال القولية" وقائع تجربة تأويلية جماعية" ثم شكل الفصل الأخير بابا لتبيين دور استعارة الانوال التأويلية في بناء الثقافة، ومثل لذلك بنماذج منها منوال أهل الكلام ومنوال الرازي ثم البيضاوي والقاسمي وابن عاشور...

سيكون الوقوف في هذه الورقة البحثية عند التحولات الثلاثة الكبرى في مفهوم الخطاب الاستعاري، وانتقاله من النسق الخطابي البلاغي إلى المنوالي التصوري العرفاني ونم الافتراضي الرقمي.

1. بوادرتحول الاستعارة كإستراتيجية خطابية من بلاغة صغرى إلى بلاغة جديدة موسعة:

يقول أليفورأرمسترونغريتشاردز: "إننا لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة"<sup>1</sup>، ومما لا شك فيه أن الأصل في الاستعارة ان تحدث على مستوى الخطابات، وفي البلاغة القديمة تتحدد بوصفها "آلية لنقل معنى اللفظ مما وضع له في الأصل إلى ما لم يعرف به، لعلاقة المشابهة"<sup>2</sup>، والقول بأن الاستعارة استراتيجية خطابية يحيل إلى مقولة إن الخطاب وحدة مترابطة الأجزاء، وإنه استعارة كبرى مكونة من مجموعة استعارات جزئية متعاقبة فيما بينها داخل النظم<sup>3</sup>.

يستهل محمد بازي مصنفه "البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة" بمحاولة لإثبات أن الخطابات نتاجات لعمليات استعارية واعية وغير واعية، ذلك أن الكاتب بمجرد ما يشرع في نظم خطابه، فإنه يدخل في حالة استعارية مفتوحة الجبهات، لذلك حق لنا إطلاق صفة الاستعاري على جميع خطاباتنا المتوسلة باللغة، بدلا من صفة المجازي التي قد تضيق حدود الفعل الاستعاري<sup>4</sup>، ولا يتحرج صاحب المنوال من تحميل المصطلحات البلاغية القديمة المفرغة في مفهوم قديم هو السرقة إلى تصور ينطلق من أفق معرفي مغاير، بحيث يدرجها ضمن مسمى الاستعارة بمعناها الأداتي الموسع، فيكون موضوعها: استعارة المعاني بإخراجها من كيانها الأصلي إلى كيانات مغايرة لأهداف مغايرة<sup>5</sup>، ورغم التصورات الموسعة نجده لا يلغي الضوابط والاجتهادات المدققة في البلاغة الصغرى القديمة، ولا يرى بأنها تتجاوزها أو تحل محلها في التراكييب اللفظية الاستعارية، وإنما تغنيها وتكملها وتسندها بالنظر إلى المستويات التي لم يشملها التحليل الاستعاري داخل الجملة للانتقال إلى الاستعارة الجمالية والخطابية والمعرفية والثقافية<sup>6</sup>، وفي خضم حديثه هذا لا يغفل محمد بازي شروط صوغ الاستعارات فنلفاه يندد بوجود مناسبة أطراف العملية بعضها لبعض فيقول: "إذا حدثت استعارة غير مناسبة يتزعزع الخطاب، يتفكك ويتلاشى، فلا يحصل تقبله، لأن ذائقة التلقي الرفيعة لا تقبل الاستعارات المتعسفة، إنما تقبل الخطاب المتناغم العناصر، تناغم القصديات والأدوات المستعارة، ثم إن بلاغة الاستعارة الخطابية درجات على قدر الملكات، ومن لا ملكة له لا بلاغة كلية له"<sup>7</sup>.



ثمياًتي للتمييزين أضرب الاستعارة وأشكالها انطلاقاً من الفروقات المتعينة بينها من ناحية عناصر وأدوات البناء فتتعينكما يلي:<sup>8</sup>

• استعارات صغرى:تضم كل من الاستعارات المعجمية العادية المتعلقة باستحضار كلمة ما لبناء معجمي لغوي بسيط،والاستعارة بشكلها المكني والتصريحي ،أي ما تعلق باستعارة لفظ مما وضع له في الأصل إلى ما لم يوضع له لعلاقة المشابهة.

• استعارات كبرى/صناعية /تفاعلية:وتتعلق بالتفاعلات الحاصلة نتيجة المحاكاة أو بدافع تحقيق قوة حجاجية في الخطابات جميعاً مثل استعارة ابن رشد من العلوم والفقه والأداب والتشريع وعلم الكلام لبناء منواله الخاص وفيها يتعين الفعل الاستعاري كفعل بيئي تتشارك وتفتح فيه أبواب المعرفة،لضمان رحلات استعارية تضمن للنصوص أن تكون محفلاً للاستعارات ، وبالتاليتؤسس لطرح استعاري منوالي،ولعل من بين أبرز محاسن وفوائد توسيع مفهوم الاستعارة ما يلي:<sup>9</sup>

- الخروج من الأفق الضيق للاستعارة البلاغية.
- ربط جوهر الفعل الاستعاري بالانتقال من جوهر أصلي إلى موقع فرعي.
- إدراك قوة الملكات الاستعارية عند الإنسان،ودورها في تشكيل البنى الثقافية الكبرى،فالاستعارة لا تتيح الصورة الشعرية فحسب، وإنما تنتج النصوص وتشكل البنى الذهنية كما تصنع الكتب وتبني الثقافات،وقدتنشأعنها حروب وقد تزول بها دول كاملة وتنشأ مكانها دول أخرى بالطاقة الاستعارية والاستمداد من النصوص والمرجعيات والبنى الثقافية المستعارة قبل الثورة الرقمية وبعدها.

## 2. الاستعارة المنوالية نحو بلاغات موسعة:

الاستعارة المنوالية نسبة إلى منوال،والمنوال في الأصل:منسج خشبي ينسج عليه الثوب،وقد استعاره بازي كلفظ بغرض الحيازة الاصطلاحية أي من مجال صناعاتصلمهو:النسج والحياكة إلى مجال صناعي فرع هو:نسج الخطابات بالأدوات وبالأساليب والبنى الثقافية والأنساق التقابلية<sup>10</sup>، ويعرف محمد بازي الاستعارة المنوالية على أنها:مجموع أفعال الكتابة الصناعية من تخيل وتخير وتحيل ومحاكاة واقتباس وأخذ وتطالب، وتجاذب بين الخطابات قيد الإنجاز، أو بين المرجعيات الممكنة التي يستعيرها منتجوه.<sup>11</sup> ومن بين العمليات المحققة للفعل الاستعاري المنوالي ما يحدث على مستوى الفن المسرحي، بحيث يستعير الممثل الأدوار والحركات والوجوه والطبائع، ليس بغرض تملكها بل لأداء مقاصد معينة، فالتمثيل مجموعة استعارات من الواقع والمجتمع لأداء قصدية يدركها المتلقي عبر استحضار الخلفية المرجعية التي ينطلق منها الخطاب<sup>12</sup>، والفعل ذاته في الخطابات الاشهارية وفي غيرها من الخطابات التي توصل إليها محمد بازي للتكريس لمفاهيم وطرق اشتغال نموذج الموسع، كذلك الحال مع ما سماه باستعارة المثال:وهي من النماذج المعتمدة كثيراً في التعليم، كاستعارة قصة واقعية أو خيالية في بداية الحصص الدراسية لإثارة الانسان والتقريب من الموضوع، أو في التأليفات التوجيهية الوعظية .ولدى كبار العارفين يتم التعبير عن الحقائق والاحوال والمقامات بالامثلة.مثال ذلك الاستعارات والامثلة الدقيقة التي نجدها عندما نقرأ رسائل النورل:بديع

الزمان النورسي، والأمر ذاته نجده عند جلال الدين الرومي في المثنوي، وعند الغزالي في الأحياء<sup>13</sup>، وبالتالي فإن الفعل الاستعاري يوجد حيث يوجد الإنسان.<sup>14</sup>

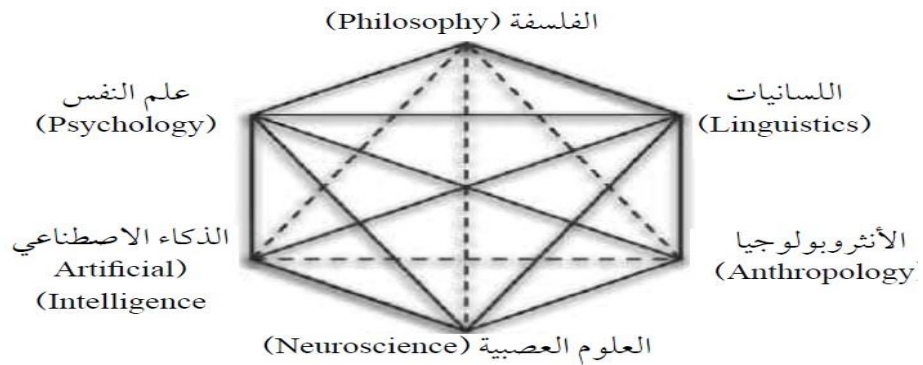
## 1.2. الاستعارات التصورية والعرفانية وفعل الجسدنة:

يشرح محمد بازي في بناء منواله الاستعاري التحليلي انطلاقاً من نماذج غربية شكلت المدخل للعرفانيات وللدراسات التصورية مع كل من ريتشاردز في "فلسفة البلاغة" ولايكوف وجونسون في "الاستعارات التي نحيا بها"، ومعفوكوني وتورنر في نظرية المزج التصوري.

حقيق بي قبل التفصيل في ما جاء به محمد بازي فبريطه للفعل الاستعاري بالعلوم المعرفية أن أتطرق إلى مفهوم العلوم المعرفية أولاً.

### • ما العلوم المعرفية:

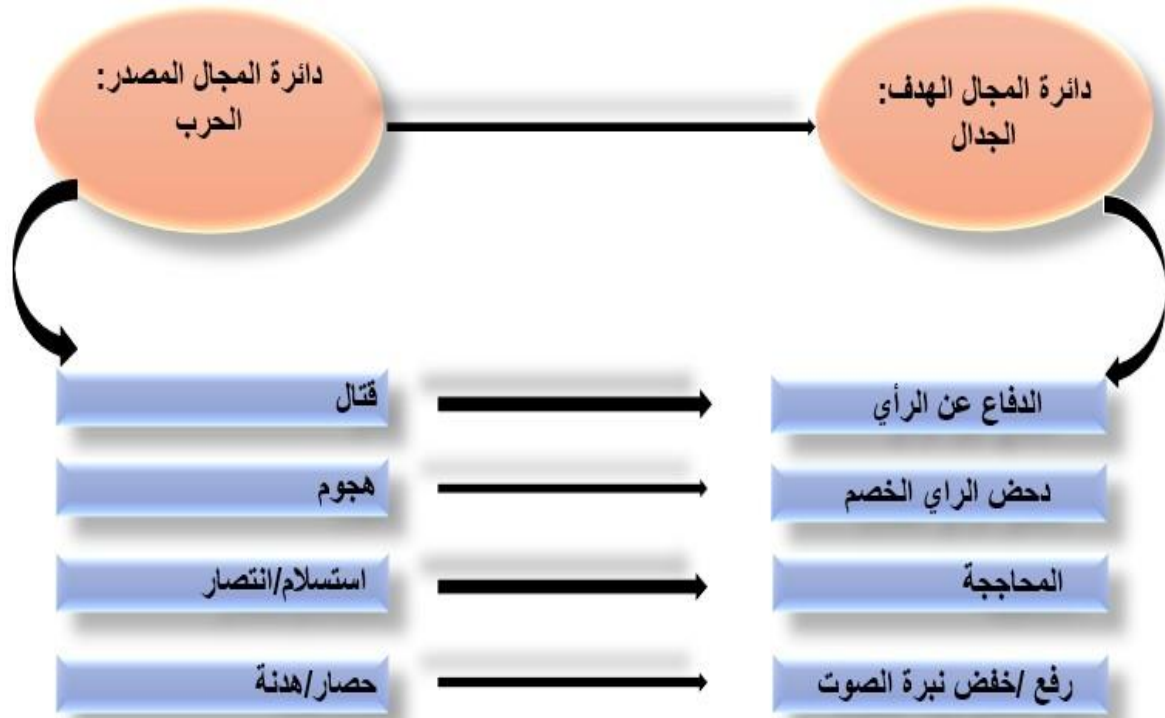
العلوم المعرفية "علوم تدرس الإدراك البشري"<sup>15</sup> وتهتم ب: معالجة المعلومات الدماغية وتمكين الفرد من السلوك الذكي، من قبيل وحل المشاكل وفهم الأشياء، وتشغل اشتغال الحاسوب حيث تشفر المعلومات في شكل تمثيلي رمزي تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزميات في لغة البرمجيات الحاسوبية<sup>16</sup>، وهي مجال نشأ ضمن مسعى بيبي تعاوني متعدد التخصصات، تتلخص أبرزها في سداسي العلاقات العرفانية البيئية الشهير الموضح في الصورة الموالية:<sup>17</sup>



سداسي العلاقات العرفانية البيئية كما في تقرير «سلون» Sloan ١٩٧٨

من خلال هذا السداسي تتعين العلوم المعرفية على انها مجال بيبي تتحافل فيه عدة تخصصات منها: الفلسفة واللسانيات و علم النفس والذكاء الصناعي والأنثروبولوجيا والعلوم العصبية. وفي سياق الفكر البيبي يسعى محمد بازي إلى إثبات أن الاستعارة فعل بيبي عابر للتخصصات وان لها خاصية العبورية لمجالات التواصل الأدبي وغير الأدبي، وهو ما جعله ينظر إليها من منظور تصوري جسداني، والجسدنة هي: جملة الآليات العصبية والعرفانية التي تمكننا من الإدراك، ومن التنقل فيما يحيط بنا، أو هي الآليات نفسها التي تنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا، ولذلك من الضروري فهم النظام البصري والنظام الحركي والنظام العصبي بترابطاته فهما دقيقا لكي يفهم الذهن<sup>18</sup>، وتقدم النظرية التصورية الجسدانية اقتراحات لتفسير كيفية حدوث الاستعارات وكيفية تشكل البنى الاستعارية التصورية في اللغة اليومية<sup>19</sup>، ولإعطاء فكرة عما يجعل تصورا ما تصورا استعاريا، يقدم

صاحباً "الاستعارات التي نحيا بها" مثلاً<sup>20</sup> بسيطاً يتعلق بتصوير مفهوم الجدل على أنه حرب، عبر استعمالنا اليومية بجملة التعابير في الشكل 01، والتي يتضح من خلالها كيف اننا قد ننتصر أو نهزم فعلاً في الجدل، فالشخص الذي نجادله يعتبر غريماً نواجهه موافقه وندافع عن موافقنا ونريح او نخسر المواقف. ونضع استراتيجيات شغلنا، ذلك أن جزءاً كبيراً من الأشياء التي نقوم بها حين الجدل يبينها تصور الحرب، ومهتكشكلتاستعارة الجدل/حرب من بين الاستعارات التي نحيا بها، والتي تبين الأنشطة التي نجزها عندنا نتجادل.



الشكل 01: نموذج استعاري تصوري الجدل/الحرب

## 2.2. الاستعارة الافتراضية:

تتبع استعارة الأسماء والصور والصفات في العالم الرقمي كأبسط تمثيلات النمط الاستعاري الافتراضي، حيث يعتبرها محمد بازي بمثابة البحث عن الانتماء إلى عالم تواصل يسمي بالتواري، ولا يهتم فيه المتواصلين بالأقنعة المستعارة، وبذلك تضمن الاستعارة في هذه الحالة التخفي والتقنع، لكنها لا تضمن بناء ذات إيجابية صريحة تعمل بشفافية وفي العلن، ومن دوافع هذا التخفي: الهرب من سلطة المجتمع وقوانينه، وكأن الجميع يجد في (النت) ملجأً للأحلام وتصريف الاهتمامات والميولات والنوازع والهروب من الذات باصطناع ذوات مأمولة أو مخادعة ماكرة أو مرضية منفصمة<sup>21</sup>.

لا يقتصر فعل الاستعارة الافتراضية على الأسماء والصور فقط بل يتحقق رقمياً بأليات كثيرة، منها:<sup>22</sup>

- التقاسم/المشاركة/partager

- القص/copier
- اللصق/coller
- التحميل/télécharger
- الرفع...

من الملاحظ أن العمل على الحاسوب والابحار الرقمي قائم على استعارات الانخراط فيها تلقائي، والأدوات فيها تتطلب مهارات الأخذ واللصق والادماج والتركيب وإدخال المؤثرات الصوتية والتحسين أو الفلتر، مما يوحي بأن الأجيال الحديثة قادرة على الاستغناء عن المعجم اللغوي لإنشاء استعاراتها مع وجود بدائل غير لغوية رقمية متكاثرة ومتطورة ناشئة عن سيمياء الاستعارات والعلامات والرموز اللامحدودة والأيقونات.

ثم إنه لا بد لأهل البلاغة التقليدية ان يعترفوا بان ادواتهم في الكشف عن الملكات البلاغية الرقمية العليا في المجال الافتراضي ستبقى معطلة نومن ثمة نشأت الحاجة إلى الاستئناس بعلوم الحاسوب والابحار في الشبكة والتصوير والتشكيل، وعلوم الأدب، وتكنولوجيا المعلومات والتواصل لضبط أدوات الاستعارة وقوانين عملها<sup>23</sup>.

يشير محمد بازي في حديثه عن الاستعارات الافتراضية إلى لا محدودية الفعل الاستعاري كتقنية منوالية بتأكيده على انه لم يعد فعلا محصورا على اهل الشعر والادب، بل اصبح كل متواصل قادر على التعبير بما يراه مناسباً من الاستعارات وبما توفره له البرمجيات الحاسوبية وبكل ما يحقق تبليغ الرسالة بقوة، ويتيح الفهم بسرعة ، إذ إننا نعيش زمنا استعاريا سريعا، تنشأ فيه الاستعارات بسرعة وتموت بسرعة استعارة اليوم قد لا تصلح غدا، إن لكل يوم استعاراته، ولكل جيل استعاراته، استعارات أبائنا ليست هي استعاراتنا واستعارات أبنائنا ستكون مخالفة لاستعاراتنا<sup>24</sup>.

أما الربط الفعلي لهذه الوسائط بالدرس البلاغي فيمكن في سحرها، وفي قدرتها على ابلاغ وتبليغ المعاني وتقريبها وفي طبيعتها الايحائية الجمالية أو الحجاجية، وفي وصف الموضوعات ووصفا ذكيا يقتصد الجهد والوقت ويؤدي الرسالة، وهذا ما يجعل الحاجة ملحة الى بناء بلاغة جديدة تناسب كل الأنماط الاستعارية الراهنة<sup>25</sup> الرمزية او الهندسية أو غيرها.

خاتمة:(رؤيا التوسيع /توسيع الرؤيا).

مما تقدم يمكن القول :

إن محمد بازي ينتقل في مصنفه البنى الاستعارية نحو نموذج بلاغي موسع إلى تقديم تصور موسّع لمفهوم الاستعارة ضمن ما سمّاه بالاستعارة المنوالية، التي تشمل الفعل الاستعاري الحاصل على مستوى الخطابين اللغوي وغير اللغوي، الأمر الذي يعزز قيام مشروع متكامل، يشق طريقه بثبات نحو نحت مصطلحات جديدة وخلق مفاهيم حديثة تستقيم و حال النظريات والعلوم المعاصرة والراهنة، بحيث تنطلق من تطوير الدرس البلاغي وإخراجه من إطاره اللغوي المجازي الضيق باستعارة الأقوال والمفاهيم من المعارف الأخرى فيجمع بذلك بين بلاغتي الامتداد

والارتداد، ويكرس لمقولة إننا نستعير لنبني ما يستعار، ثم إن ما يختزل التحول الحاصل في مفهوم الاستعارة يكمن في العلاقات المتحكمة في الفعل الاستعاري وهي كالآتي:<sup>26</sup>

- ✓ علاقة المشابهة في الاستعارات اللغوية
- ✓ علاقة التناسب في الاستعارات التصويرية
- ✓ علاقة الوظيفة المنوالية في الاستعارات الثقافية: وتقتضي منوالين، جاهز وآخر في طور التشكل، أما الجاهز فهو مزيج من منوالين سابقين، أو انتقال من طور لآخر، يحدث ذلك بالتمازج بين النماذج العلمية أو الفنية المبنية.

قائمة الإحالات والمراجع:

- <sup>1</sup> - أيفورأرمستر ونفريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانميوناصر جلاوي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002، ص 93.
- <sup>2</sup> - محمد بازي، البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، منشور اضافة، لبنان/ دار الاختلاف، الجزائر/ دار الأمان، المغرب/ كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط 12017، ص 28.
- <sup>3</sup> - ينظر: حسينخافي، البلاغة وتحليل الطاب، دار الفارابي، لبنان/ منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011، ص 14-15.
- <sup>4</sup> - ينظر: نفسه، ص 71.
- <sup>5</sup> - ينظر: محمد بازي: البنى الاستعارية، ص 33-34.
- <sup>6</sup> - ينظر: نفسه، ص 37.
- <sup>7</sup> - نفسه، ص 75.
- <sup>8</sup> - ينظر: نفسه، ص 27-28-32.
- <sup>9</sup> - ينظر: نفسه، ص 32-33.
- <sup>10</sup> - ينظر: نفسه، ص 27.
- <sup>11</sup> - ينظر: نفسه، ص 27.
- <sup>12</sup> - ينظر: نفسه، ص 35.
- <sup>13</sup> - ينظر: نفسه، ص 73.
- <sup>14</sup> - ينظر: نفسه، ص 60.
- <sup>15</sup> - عبد الرحمان بن طعمة، الكتاب الجماعي: دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، الرياض، ط 1، 2019، ص 17.
- <sup>16</sup> - ينظر: عمر بن عبد الرحمان، نظرية الاستعارة والخطاب الأدبي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2015، ص 27.
- <sup>17</sup> - ينظر: عبد الرحمان بن طعمة، دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)، ص 19.
- <sup>18</sup> - ينظر: سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014، ص 67.
- <sup>19</sup> - ينظر: محمد بازي، البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، ص 81.
- <sup>20</sup> - ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط 2، 2009، ص 92.
- <sup>21</sup> - ينظر: محمد بازي، البنى الاستعارية نحو بلاغة موسعة، ص 95.
- <sup>22</sup> - ينظر: نفسه، ص 96.
- <sup>23</sup> - ينظر: نفسه، ص 97.
- <sup>24</sup> - ينظر: نفسه، ص 100.
- <sup>25</sup> - ينظر: نفسه، ص 101.



جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح المفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

يومي : 9-10 ماي 2022

استمارة المشاركة :

الاسم واللقب : عيدة زيرق

الصفة : طالبة دكتوراه

الهاتف والبريد الإلكتروني : 06.62.16.25.33 – [ziregaida@gmail.com](mailto:ziregaida@gmail.com)

محور المداخلة : بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

عنوان المداخلة : الاستلزام الحواري بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

## ملخص المداخلة :

تسعى هذه المداخلة إلى استجلاء ظاهرة الاستلزام الحواري في كل من البلاغة القديمة ( العربية ) والبلاغة الجديدة ( الحجاج ) ، إذ أن التواصل اللغوي يقوم على المعنى المقامي ، ففي بعض الأحيان يحيد المنجز اللغوي عن دلالاته المعجمية ، ليخرج إلى دلالة أخرى يقتضها قصد المتكلم ويحدد معناها الصيغ الذي تدل قرائنه على المعنى المستلزم فيتحقق الإفهام ، ذلك أن غاية الخطاب في كل من البلاغتين هي الإقناع ، ولا يمكن للخطاب أن يكون مقنعا ما لم يكن قابلا للفهم .

وقد عنيت البلاغة القديمة ( العربية ) ببلوغ عقل المخاطب وذهنه ، وعنيت البلاغة الجديدة ( الحجاج ) بالتقنيات الخطابية التي تعمل على حث الأذهان للتسليم بالأطروحات المعروضة عليها ، لذلك شكل السياق أهم مباحثهما لدوره في ضبط المعنى المقامي ( المستلزم ) .

## مقدمة :

إن التواصل اللغوي قديم قدم البشرية ، وذلك راجع إلى ارتباطه بالحياة الاجتماعية للإنسان من أجل التفاهم واللغة وسيلة هذا التواصل ، فاللغة ظاهرة اجتماعية يعبرها الإنسان عن مقاصده ومشاعره ورغباته والمتكلم يتأثر عند بناء التراكيب بمقاصده الخاصة فضلا عن مراعاة حال المخاطب والظروف المحيطة بهما ، وكل ذلك يتفق مع الأعراف اللغوية التي درج عليها المجتمع في بيئته اللغوية حتى تؤدي الرسالة الكلامية أغراضها من أجل الوصول إلى فهم مقاصد المتكلم .

إلا أن استعمال هذه اللغة كان مدعاة للتساؤل عن القدرة على ذلك من حيث ارتباطها بأمور خارجة عن نطاق المنظومة اللسانية المتواضع عليها ، وذلك راجع إلى أن الإنسان تسيره ظروف تواجده في بيئته وعلاقاته داخل المجتمع وهو ما يعرف بالمقام أو السياق ، لذلك استدعت الحاجة إلى تسخير هذه اللغة تماشيا مع متطلبات المقام بهدف تحقيق التواصل .

ولما كانت المعاني التي يريد المتكلم نقلها وإيصالها إلى السامع مضمرة في نفسه ، احتاج في الإبانة عنها إلى وسيلة تظهرها يخترنها من دلالات وما يختلج من تصورات ، ولذلك وجدت اللغة التي تنقل بها الأفكار والرغبات والخواطر ، وهي الوسيلة التي يستطيع بها المتكلم تحويل الأغراض المضمرة في داخله إلى علامات صوتية تصل إلى المتلقي الذي يعرف عن طريقها المقاصد التي أرادها المتكلم .

وهذه العلامات قد تكون معانيها مباشرة يدل عليها ظاهر اللفظ والتركيب ، وقد تكون معانيها غير مباشرة يستلزمها السياق وهذا ما عرف في التداولية بالاستلزام الحواري ، ولم تغفل البلاغة العربية عن السياق ولا عن المعاني التي يقتضها .

ففيما تجلى الاستلزام الحواري في كل من البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة؟

الاستلزام الحواري والبلاغة العربية :

1-1- الاستلزام الحواري :



تعود نشأة نظرية الاستلزام الحوارية إلى المحاضرات التي ألقاها "بول غرايس" في جامعة هارفرد عام 1967 م ، فقد قدم فيها تصوره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها ، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات عام 1975 م في مقال بعنوان " المنطق والحوار " Logic and conversation<sup>1</sup>. أوضح فيه أن فهم الملفوظات وتأويلها أثناء عملية التخاطب لا يعتمد دائما على دلالتها الطبيعية التواضعية ، ويتأسس هذا الحكم على ملاحظة استأثرت باهتمامه تتمثل في دلالة الفعل To mean في الإنجليزية ، إذ يرد بمعنى أشار ودل مرة ، ويأتي بمعنى قصد مرة أخرى ، من هذا المنطلق عمل " غرايس " على التمييز بين نوعين من الدلالة : الدلالة الطبيعية الوضعية ، والدلالة غير الطبيعية ، والفرق بينها يتمثل في كون الكلمات في الدلالة الطبيعية تدل على ما وضعت له في أصل اللغة ، أي أنها تشير إلى الدلالة المصرح بها دون الحاجة إلى تأويل الملفوظ ، إنها عبارة عن المحتوى القضوي للجملة في قوتها الإنجازية الحرفية .

أما في الدلالة غير الطبيعية فيلاحظ أن تأويل الملفوظات لا يتوقف عند حدود الدلالة اللغوية التواضعية للكلمات ، بل يعتمد أساسا على قصد المتكلم ونواياه من جهة ، وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا من جهة ثانية ، وعلى سياق الكلام وقرائن الأحوال من جهة أخرى<sup>2</sup>. ويمكن القول إننا عندما ننجز جملة ما ، حسب المقام الذي أنجزت فيه ، نقوم بفعالين لغويين : الأول : فعل لغوي مباشر ( دلالة لغوية مباشرة ) ، الثاني : فعل لغوي غير مباشر ( دلالة لغوية غير مباشرة ) .

سمى " غرايس " هذه الظاهرة " الاستلزام الحوارية " وأصبح يميز في نظرية الأفعال اللغوية بين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة ، أما الأولى فهي القوة المدركة مقاليا ، والتي تدل عليها صيغة الفعل نحو: الأمر ، النهي ، التنغيم ، أو فعل إنجازي : نحو: سأل ، التمس ، وعد... ويراد بالقوة الإنجازية المستلزمة القوة المدركة مقاميا والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية معينة ، ولا قرائن بنوية تدل عليها في صورة الجملة<sup>3</sup>. ومن هنا يعتبر " غرايس " أن دلالة العبارة اللغوية تنقسم إلى قسمين :

- المعاني الصريحة : هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها ( معان مباشرة ) يندرج تحت هذا الصنف من المعاني :
  - المحتوى القضوي : يتمثل في معاني مفردات الجملة مضموما بعضها ببعض .
  - القوة الإنجازية الحرفية : تتمثل في القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بصيغة الاستفهام ، الأمر ، النهي ...
- المعاني الضمنية : هي المعاني التي تفهم انطلاقا من السياق الذي ترد فيه ( المعنى المستلزم ) فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها ويندرج تحتها صنفان من المعاني :
  - معاني عرفية : هي المعاني المرتبطة بالجملة والتي لا تتغير حتى ولو تغير سياق الجملة ، ويواكبها نوعان من المعاني هما : الاقتضاء والاستلزام المنطقي .
  - معاني حوارية أو سياقية : هي المعاني التي تتولد طبقا للسياقات التي تنجز فيها الجملة ، ويواكبها نوعان من المعاني هما : الاستلزام الحوارية الخاص وهو عبارة عن المعاني الناتجة عن سياق خاص ، والاستلزام الحوارية العام وهو عبارة عن المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة<sup>4</sup>.

ولتوضيح هذه المعاني نورد المثال الآتي :

- هل تساعدني في حل هذه المسألة ؟

حيث تشكل الدلالة الصريحة للجملة من محتواها القضوي الناتج عن ضم معاني مكونات الجملة ، وقوتها الإنجازية الحرفية المتمثلة في الاستفهام المؤشر له بالأداة " هل " والتنغيم وعلامة الاستفهام وتتألف الجملة الدلالية الضمنية للجملة نفسها من المعاني الآتية :

- معنيين عرفيين هما الاقتضاء ( اقتضاء وجود مسألة ) والاستلزام المنطقي ( للمسألة حل ) ، ومعنى استلزامي خاص ( التماس المتكلم للمساعدة )<sup>5</sup>

-2-1- البلاغة العربية :

تعد البلاغة من العلوم العربية التي نالت رواجاً في أوساط الباحثين والدارسين ، فقد كانت دعامة أساسية للدرس العربي القديم ، مثلت عالماً للاتصال نظراً لارتباطها باستعمال اللغة وما ينتج عنه من أساليب تخرج إلى أغراض تفهم بحسب المقام ، وما زاد من قيمتها هو ارتباطها بمقصدية الدفاع عن النص القرآني ، كونه يمثل رسالة اتصالية موجهة للبشرية صالحة لكل زمان ومكان ، لهذا فقط ارتبطت البلاغة العربية بمقولة لكل مقام مقال .

وقد نتجت من استقصاء العلماء وتبعضهم للبيئات اللسانية في اللغة العربية وما كان عند العرب من العادات الكلامية المعروضة عرضاً بليغاً وفصيحا للوصول إلى أرق المعاني وأبلغها وأجملها ، لهذا كانت البلاغة مؤسسة على ثوابت الثقافة الإسلامية والإرث العربي مع الأخذ من الثقافات الغربية نتيجة امتزاج الثقافات والتفتح على الآخر.<sup>6</sup>

من بين الأوائل الذين تحدثوا عن البلاغة ابن المقفع ( ت 143 هـ ) فقد سئل ما البلاغة ؟ قال : " البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"<sup>7</sup>.

تأسس الدرس البلاغي عند العرب على اشتراطهم موافقة الكلام لمقتضى الحال ، وقد توجه اهتمامهم إلى كيفية تشكيل السياق الخطابي استناداً إلى جميع الأوضاع المؤثرة في توجيه هذا السياق وجعله في مستوى المقام المحيط به فيكون لوضع المخاطب - الاجتماعي ، الفكري ، النفسي ، الثقافي - أثر كبير في تكوين خطابه ليصل إلى درجة تحقيق الانسجام والتوافق الذهني والموقف في الخطاب مع العناصر المساهمة في عملية التواصل ، لهذا كانت البلاغة عندهم تتمثل في إيصال المعنى إلى المخاطب عبر خطابات مختلفة تتوفر فيها السمات التعبيرية البلاغية ، مع أهمية العمليات الذهنية في تكوين المعنى إلى جانب الهيئة اللسانية التي يصاغ فيها المعنى فكل كلام توفر فيه هذين المبدئين يكون قابلاً لتحقيق سمة البلاغة فيه ، والتي تجعله مختلفاً عن الكلام العادي ، وهذا ما يؤدي إلى أن يكون لهذا الكلام أثر قوي في المخاطب ضمن العملية التخاطبية والتواصلية ، إذ لا يمكن وضوح المعنى إلا بوجود عناصر الخطاب المعروفة ومدى ملاءمة الكلام للمقام الذي ينشأ فيه للوصول إلى تحقيق عملية الإفهام والتواصل .

وقد أشار الجاحظ ( ت 255 هـ ) إلى تلك العناصر في حديثه عن صحيفة بشر بن معتمر توفي ( 210 هـ ) المشهورة والتي تعد من أهم المعالم الثقافية والبلاغية في إرساء الفكر العربي البلاغي ، فقد تنبه بشر بن معتمر إلى أهمية المقام في حصول الصواب في القول وتحقيق الإفادة والفائدة منه ، فيقول ، " ... وإنما مدار الشرق على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام مقال " . ويقول أيضا عن أهمية المتكلم ودوره في الوصول إلى المعنى : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات " <sup>8</sup>

2- البلاغة العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث :

1-2- علاقة البلاغة العربية بالتداولية :

إن المتأمل في الجهاز المفاهيمي للبلاغة الجديدة يلاحظ أنها لم تخرج عن نطاق تعريف القدماء ، والذي وسع دائرته المحذون بإيجاد مرتكزات تستند فيها على معطيات البلاغة القديمة ، هذه المرتكزات تتجلى في ( المتكلم ، المخاطب ، الخطاب ، الموقف الخارجي ، السياق ) فتتوزع هذه العناصر وتباينها في التأثير والإيصال والتواصل ساهم في عزل وفصل البلاغة من الأصول الكلامية المقننة التي لا تبلغ مستوى الكلام البليغ المؤثر ، وبهذا يمكن اعتبار بلاغة منهجا لفهم النص مرجعه التأثير. <sup>9</sup>

لقد وضع المتحدثون للبلاغة تعريفات متعددة تلتقي في إيجاد رابط بين هذه العناصر ليكون الكلام مطابقا لمقتضيات المقام وتتحقق السمة البلاغية الإبلاغية بالاستناد إلى السياق ، وهو الأمر الذي أكده الباحث صلاح فضل عن " لوسبرج " بقوله : " إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد " . ويرى " ليتش " " أن البلاغة تداولية في صميمها ، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسماع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما " <sup>10</sup> . وهو الرأي الذي أشار إليه محمد العمري في كتابه " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها " بأن البلاغة العربية قد أعيد لها الاعتبار في الدراسات المعاصرة فيما يعرف بالتداولية <sup>11</sup> . كما يرى صلاح فضل أن " البلاغة والتداولية البراجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة للممارسة الفعل على المتلقي على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف " <sup>12</sup> .

إن البلاغة والتداولية ترميان إلى النظر في أحوال المتخاطبين أثناء الحديث ضمن الترسيم التواصلي ، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها في حقل التداولية ، التي عنيت بالسياقات المتخلفة وأطراف الموقف التواصلي ، الأمر الذي عنيت به البلاغة العربية بما يعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال <sup>13</sup> .

تتداخل مباحث البلاغة العربية – إذن – بشكل كبير مع مباحث الدرس التداولي المعاصر ، كمبحث أفعال الكلام ومبحث القصيدة ، والاهتمام بأطراف العملية التخاطبية وعناصرها ( المخاطب ، المخاطب ، الخطاب ، والموقف الخارجي ) وذلك تجسيدا لقصيدة المتخاطبين والتي تنبني على التواصل الهادف . إضافة إلى مبحث الحجاج والذي يعد مرتكزا كل خطاب يصدره متكلم ما نحو مخاطب ما باستعمال آليات حجاجية خادمة للسياق التخاطبي <sup>14</sup> .

لقد تم الانتباه في الفكر العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحوارية ، ليس من حيث كونها مفهوماً وإنما باعتبارها إشكالا دلاليا يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب.<sup>15</sup> فقد كان السكاكي يؤمن يقينا بأن دلالة " خواص الكلام " تختلف عن دلالة تراكيبه بحكم خصيصة التركيب من جهة ، وبحكم السياق الذي توظف فيه من جهة ثانية ، ومن ثمة يولي أهمية كبيرة لمسألة " مطابقة الكلام لتمام المراد منه على اعتبار أن العديد من العبارات اللغوية يتغير معناها بحسب السياق الذي تستعمل فيه ، الأمر الذي يجعلها تفيد معنى إضافيا جديدا إلى الدلالة الأصلية .<sup>16</sup>

أما في الدرس اللغوي الغربي الحديث فقد قام كل من " سيرل " (searle) و غرايس (grice) بتقسيم الفعل الإنجازي إلى مباشر وغير مباشر وفقا للقوة الإنجازية كما يلي :

- القوة الإنجازية : ويقصد من قوة الإنجاز ما تم تحققها بفعل : السؤال أو الخبر أو الأمر أو التحذير ، وهذا في مستوى الفعل المتضمن في القول ، ويقصد منه كذلك الآثار المترتبة عنه لدى المخاطب ، أو التي تكون سببا في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ... ، وهي صنفان :  
- قوة إنجازية حرفية مدلول عليها بصيغة الجملة ( خبر ، أمر ، استفهام ، تعجب ، ... ) وهي ما تعرف في نظرية الأفعال اللغوية عند " سيرل " بالفعل اللغوي المباشر .  
- قوة إنجازية مستلزمة لا تعرف من صيغة الجملة الحرفية ، وإنما يستدل عليها من مقامها وهي ما تعرف بالفعل اللغوي غير المباشر.<sup>17</sup>

### 3-الاستلزام الحوارية في البلاغة العربية :

#### 3-1- المقاصد بين البلاغة العربية والاستلزام الحوارية :

لم تكن القصدية حكرا على مدرسة فكرية دون أخرى ، بل كانت مفهوما مشتركا – وإن تباينت ألفاظها واستعمالاتها – بين مدارس مختلفة سواء أقديمة كانت أم حديثة.<sup>18</sup> فالمتكلم لا يستطيع أن يقصد شيئا ما إذا لم يكن يملك الإدارة والاختيار ، إذ يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه ، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها ، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط ... وإذا كان الأمر كذلك فإن قصد المرسل بوصف إرادته يؤثر في خطابه بدرجة أقوى في إنجاز الفعل اللغوي ، لاعتماده على توفر الإرادة من عدمها وكذلك في ترتيب الخطاب للتدليل عليه . وقد يتلفظ المرء بمفردات ذات دلالات معجمية ملتزما بقواعد الصرف والنحو إلا أنها لا تعني شيئا ما لم يصاحبها قصد المتكلم وإرادته وعندئذ لا بد من إرادتين : إرادة التكلم باللفظ اختيارا ، وإرادة ما يوجبه ويقتضيه من معنى.<sup>19</sup>

وفي الفكر اللغوي العربي جعل عبد القاهر الجرجاني الكلام على ضربين " ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة (...) وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى

الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل " <sup>20</sup> . ويقول السكاكي : " نقول متى امتنع إجراء المعاني على الأصل تولد منها ما يناسب المقام " <sup>21</sup> .

وفي الفكر اللغوي الغربي الحديث ، إن الفعل الإنجازي يقوم على تفسير الإشكال الآتي : كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً ما بتركيب لغوي معين يحمل دلالة معينة متعارف عليها ، وهو في الوقت نفسه يريد أن يقول شيئاً آخر؟ وكيف يمكن أن يفهم المتلقي الفعل الكلامي غير المباشر مع أن ما يسمعه يدل على شيء آخر ، وفي هذا الصدد يشير " سيرل " إلى الفرضية الإنجازية في الأفعال الكلامية غير المباشرة : يستطيع المتكلم أن يبلغ المخاطب أكثر مما يقوله بالفعل استناداً إلى مقدرات المخاطب " <sup>22</sup> . فالفعل الإنجازي هو الفعل الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه ويرتبط بالقيمة العرفية للكلام (...) وتحديد هذه القيمة يعزى أساساً إلى قصد المتكلم أثناء عملية التلفظ ، ومع الفعل الإنجازي يتم تجاوز مستوى المقال إلى المقام إذ علاوة على معنى الجملة ، هناك القيمة التي يمنحها المتكلم لهذه الجملة ، والتي تكشف عن غرضه من الكلام ، ويؤثر لها غالباً بفعل من فصيلة الأفعال الإنجازية ، وفي حالة غياب هذا الأخير تقوم المؤشرات المقامية مقامه <sup>23</sup> . ومن هنا نستنتج أن القصد يعبر عنه في البلاغة العربية بالغرض وفي الاستلزام الحوارية بالقوة الإنجازية.

### 2-3- نماذج الاستلزام الحوارية في البلاغة العربية :

من الاستلزمات الحوارية في البلاغة العربية : قوله تعالى : " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " <sup>24</sup>

فالآية الكريمة تنجز فعلين لغويين مباشرين : الأمر والنهي ، غير أن المنجز للآية في السياق القرآني الذي وردت فيه ينجز فعلاً لغوياً غير مباشر هو الدعاء ، وهو القوة الإنجازية المستلزمة .

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) " <sup>25</sup>

القوة الإنجازية المستلزمة لسياق هذه الآية هو : الالتماس

وقوله تعالى : وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) " <sup>26</sup>

القوة المستلزمة لسياق هذه الآية هو التعجيز .

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ (282) وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ (283) " <sup>27</sup>

القوة المستلزمة لسياق هاتين الآيتين هي النصيح والإرشاد .

وقوله تعالى : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (187) " <sup>28</sup> .

القوة المستلزمة لسياق هذه الآية هي الإباحة .

## الخاتمة :

تتيح اللغة لمستعملها التعبير عن مقاصدهم بأساليب مختلفة على اعتبار أن الكلام يلجأ في كثير من الحالات إلى إجراءات الصياغة غير المباشرة ، بمعنى أن مستعملي اللغة يخرجون بملفوظاتهم عن الدلالة على المعنى الصريح الذي تدل عليه المواضع اللغوية إلى الدلالة على المعنى الضمني وهو معنى مستلزم يكون في حقيقة الأمر هو المعنى المقصود .

فالتواصل يعتمد على المستوى اللساني الذي يتجلى في كيفية إنتاج الكلام بوصفه حاملاً للمعنى ، وعلى المستوى غير اللساني الذي يتجلى في السياق ، فهو ذلك الموقف الذي ينتج فيه الخطاب بربطه بطرفي العملية التخاطبية ( المتكلم والمتلقي ) للوصول إلى الهدف من التواصل الذي يتمثل في التأثير ويتأتى ذلك بتأثير ضمني للسياق في فهم الخطاب .

وقد ركزت البلاغة العربية على تلك الأسس التي أرساها اللغويون المحدثون في ميدان الدراسات التداولية ، لأنها تشمل دراسة الخطاب ومعالجته وتحليله وصولاً إلى إبراز المعنى المقصود من إنجازه ، وهنا تبرز مواطن التلاقح بين مفهوم البلاغة ومفهوم التداولية .

ويمكننا القول أن المعنى المقصود مكن من الكشف عن نمط خاص من التواصل بنعته تواصل غير معلن ، يقوم على تفاهم خفي بين المتكلم والمتلقي . هذا المعنى تمثل في الاستلزام الحوارية بالقوة الإنجازية وفي البلاغة العربية بالعرض .

## الهوامش :

- 1- ينظر: أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دارالمعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، د.ط ، 2002 م ، ص 32.
- 2- جواد ختام ، التداولية : أصولها واتجاهاتها ، داركنوزالمعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2016، ص 100.99
- 3- ينظر: العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ودار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2011 ، ص 96.
- 4- أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، د ط ، 1987 ، ص 24 ، 25.
- 5- ينظر: أمينة لعور ، الأفعال الكلامية في سورة الكهف : دراسة تداولية ، مذكرة تخرج ماجستير ، إشراف زهيرة قروي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010-2011 ، ص 138.

- 6- حامدة تقبايث ، البلاغة والتداولية ، في كتاب دلالات الأعجاز ، الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو ، الجزائر ، دط ، 2013 ، ص 14 .
- 7- أبي عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، ج1 ، 1998 ، ص 116.115 .
- 8- حامدة تقبايث ، المرجع نفسه ، ص 16 .
- 9- هنريش بليث ، البلاغة نحو سيمائي لتحليل النص ، ترجمة : محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 199 ، ص 214 .
- 10- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1992 ، ص 89 .
- 11- محمد العمري ، البلاغة العربية : أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 ، ص 214 .
- 12- صلاح فضل ، المرجع السابق ، ص 89 .
- 13- حامدة تقبايث ، المرجع السابق ، ص 20 .
- 14- نفسه ، ص 22 .
- 15- العياشي أدراوي ، المرجع السابق ، ص 25 .
- 16- نفسه ، ص 26 .
- 17- خديجة محفوظ الشنقيطي ، المنحى التداولي في التراث اللغوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2016 ، ص 80 .
- 18- حيدر جاسم جابر الدينناوي ، القصصية ، دارالوضاح للنشر ، عمان ، الأردن ومكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، العراق ، دط ، 2015 ، ص 32 .
- 19- نفسه ، ص 35 .
- 20- عبد القادر الجرجاني دلالات الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دارالمدني ، السعودية ، 1992 ، ص 626 .
- 21- السكاكي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ضبط : نعيم زرزور ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987 ، ص 304 .
- 22- خديجة محفوظ محمد الشنقيطي ، المرجع السابق ، ص 83 .
- 23- ينظر : نفسه ، ص 57 .
- 24- سورة آل عمران ، الآية 08 .
- 25- سورة يوسف ، الآية 43 .
- 26- سورة البقرة ، الآية 23 .
- 27- سورة البقرة ، الأيتان 282 . 283 .
- 28- سورة البقرة ، الآية 187 .

جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة ( المصطلح والمفهوم ) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

الاسم واللقب : كريمة ترغيني

الصفة : طالبة دكتوراه – سنة ثالثة –

تخصص: أدب جزائري حديث ومعاصر.

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد خيضر بسكرة

البريد الإلكتروني: [karima.terghini@uni-biskra.dz](mailto:karima.terghini@uni-biskra.dz) ، الهاتف: 0658429040

محور المداخلة : المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : الفكر الحجاجي عند صابر حباشة من خلال مقارنة بين التراث والحديث

الملخص:

شهد الدرس التداولي أبحاث عدة مرت بمراحل، أسهمت في نموه وإقامته وتكوين ملامح بلاغية جديدة في ثوب التداولية المدمجة، بحثوا في هذا الحقل البلاغي الخصب الذي استدعى ملامح عربية تراثية في الفكر الغربي، حملتها دفتي الكتب لدارسين عرب أمثال: محمد العمري- ناعوس بن يحيى- وقد خصت دراستنا بالباحث صابر الحباشة، من خلال مقارنة بين القديم والحديث واستدعاء ملامح الحجاج التراثية في الفكر الغربي الحديث، تمثل أعمال الباحث صابر الحباشة، منعطفًا في الدرس المقارن في الأبحاث التي يشتغل عليها، وهو كذلك من عمد الدراسات التونسية في ميدان البلاغة الجديدة فأين يتجلى التلاقي والتفاضل بين دراسته والجهود الغربية في هذا الميدان؟

كلمات مفتاحية: صابر حباشة- التداولية المدمجة

توطئة:

شهدت الدراسات اللغوية في الحقل البلاغي قديما أو الحجاجي حديثا تلاحقا بين ملامح استدعت من جذورها قواعد لترسي عليها مبادئها وأفكارها وتقييم علما يقتات من النظيرين (العرب والغرب)وبما أن اللسانيات لها



اتجاهات عدة منها التداولية فإن هذه الأخيرة كرسست اهتمامها بالسياق وبعثت اللسانيات إلى سلة مهملات التاريخ ودراسة اللغة أثناء الإستعمال بلبوس البلاغة فكانت عتبة الدراسة بلاغة الحجاج عند الباحث صابر حباشة ورؤيته المتكاملة للفكر العربي والغربي، ومن هذا المنطلق ستناول مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا وعن الفلاسفة، رؤية صابر الحباشة تزامنيا بين الباحثين والعرب والغرب على النحو الآتي:

### أولاً: حد الحجاج في اللغة والاصطلاح:

#### 01-01- التعريف اللغوي:

ورد في معجم العين للفراهيدي تعريف الحجاج لغويا على نحو:

- (الحجاج مصدر أصلي وزنه فعال من الفعل حَجَّ أو حاجج جاء في العين الحجة وجه الظفر عند الخصومة. والفعل حاججته فحججته، احتججت عليه بكذا. وجمع الحجة: حُجج. والحجاج المصدر).<sup>1</sup>
- جاء في الصحاح الحجة: البرهان. تقول حاجه فحججه أي غلبه بالحجة والمثل لج فحج (...). والحجاج و الحجاج، بفتح العين وكسرهما: العظم الذي ينبت على الحاجب؛ والجمع أحجية.<sup>2</sup>
  - في التعريفات والحجة ما دُل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد<sup>3</sup> وهنا يساوي بالحجة الدليل وهي ما يقوى به الموقف، أما مجدي وهبة وكامل المهندس فيذهبان المذهب نفسه<sup>4</sup>، وفي قاموس مصطلحات اللسانيات لا نجد تعريفا للحجاج بل للحجة "في البلاغة نسي حجة كل وسائل الإقناع التي تحدد حسب مراجعها...، كما أن الحجة هي القيمة الوظيفية للعنصر اللغوي<sup>5</sup> أما في معجمي لروس و أكسفورد فالحجة "وسيلة للإقناع"<sup>6</sup> ومن هنا نجد أن الحجاج هو توظيف الحجج للإقناع عند التخاطب؛ كما يعرف شارودو (P.Charoudeau) الحجاج فيقول عنه "الحجاج نشاط قولي يقيم علاقة ثلاثية بين فاعل مخاطب وخبر عن العالم فاعل هدف"<sup>7</sup> أي هو ارتباط بين مصدر للمعلومة ومتملق ونجده في معجم تحليل الخطاب "الحجاج هو صلب التصور القديم للخطابة (...). وقد وضع هذا الأثر في المرتبة الأولى في التعريف الكلاسيكي الجديد الذي وضعه برلمان (Chaim Perlman) ول.أ. نيتكا (L. . Tyteca Olbracht) فموضوع النظرية الحجاجية عندها هو دراسة الفنيات الخطابية التي نمكن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو عدم موافقتها"<sup>8</sup>

#### 02-01- التّعريف الاصطلاحي:

- في التعريفات "والحجة ما دُل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"<sup>9</sup>
- وهنا يساوي بالحجة الدليل وهي ما يقوى به الموقف، أما مجدي وهبة وكامل المهندس فيذهبان المذهب نفسه<sup>10</sup>، وفي قاموس مصطلحات اللسانيات لا نجد تعريفا للحجاج بل للحجة "في البلاغة نسي حجة كل وسائل الإقناع التي تحدد حسب مراجعها...، كما أن الحجة هي القيمة الوظيفية للعنصر اللغوي"<sup>11</sup> أما في

معجمي لروس واكسفورد فالحجة "وسيلة للإقناع"<sup>12</sup> ومن هنا نجد أن الحجاج هو توظيف الحجج للإقناع عند المتخاطب؛ كما يعرف شارودو (P.Charoudeau) الحجاج فيقول عنه "الحجاج نشاط قولي يقيم علاقة ثلاثية بين فاعل مخاطب وخبر عن العالم فاعل هدف"<sup>13</sup> أي هو ارتباط بين مصدر للمعلومة ومتلقي ونجده في معجم تحليل الخطاب "الحجاج هو صلب التصور القديم للخطابة (...)) وقد وضع هذا الأثر في المرتبة الأولى في التعريف الكلاسيكي الجديد الذي وضعه برلمان (Chaim Perlman) ول.أ.تيتكا (L. . Tyteca Olbracht) فموضوع النظرية الحجاجية عندها هو دراسة الفنيات الخطابية التي نمكن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو عدم موافقتها"<sup>14</sup> فالحجاج هو منهجية إقناع العقول بدق الرؤيا المعروضة عليها في مجال محدد، كما يقول حسين العمري "إن المستوى الحجاجي في الخطاب يقوم في بنيته الفكرية على وسائل تسهم في إحداث الإقناع لدى المتلقي... لأن الإفصاح عن الحقيقة و الدفاع عنها يمثل أعلى درجات الحجاج في وجهة نظرنا على العكس من المماثلة والمراوغة بحجج واهية أو عم طريق التلاعب بالكلمات والتحريف بما يلي الحاجة الفئوية الضيقة"<sup>15</sup> أي إن الحجاج هنا يتعدى الإفصاح إلى التأثير المفضي إلى تغيير الرؤى ويعرفه ريك (Rieke) وسيلارز (Sillars) بالقول عنه إنه عملية عرض دعاوى تتعارض فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات التأسيسية بغية الحصول على الموافقة لإحدى تلك الدعاوى<sup>16</sup>. على أن كل خطاب يرجى منه تأسيسه دعائم استمالية هو الحجاج

- فالحجاج هو منهجية إقناع العقول بدق الرؤيا المعروضة عليها في مجال محدد، كما يقول حسين العمري "إن المستوى الحجاجي في الخطاب يقوم في بنيته الفكرية على وسائل تسهم في إحداث الإقناع لدى المتلقي... لأن الإفصاح عن الحقيقة و الدفاع عنها يمثل أعلى درجات الحجاج في وجهة نظرنا على العكس من المماثلة والمراوغة بحجج واهية أو عم طريق التلاعب بالكلمات والتحريف بما يلي الحاجة الفئوية الضيقة"<sup>17</sup> أي إن الحجاج هنا يتعدى الإفصاح إلى التأثير المفضي إلى تغيير الرؤى ويعرفه ريك (Rieke) وسيلارز (Sillars) بالقول عنه إنه عملية عرض دعاوى تتعارض فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات التأسيسية بغية الحصول على الموافقة لإحدى تلك الدعاوى<sup>18</sup>. على أن كل خطاب يرجى منه تأسيسه دعائم استمالية هو الحجاج.

### ثانياً: الحجاج التراث الغربي:

- عند اليونان: لقد مُهد للحجاج بالفكر اليوناني الرواقي والسفسطائي؛ الذين سدا العلم في اليونان وأثرا في الفكر العالمي الذي يجزم أنه من عمل السفسطائيين؛ حيث إن بلغاء السفسطائيين كانوا يساؤون بالحجاج الخطب حيث إن بروتاجوراس دابدير (Protagoras d'Abdère 480-408 a.c) الذي يقيس الوجود على الإنسان<sup>19</sup> إلى الموجود ما يفهمه الإنسان، أما الحجاجية عندهم فقد تمثلت عندهم في إجادة استعمال الحجة فحام الخصم لخدمة مصالح الأثرياء والسياسيين<sup>20</sup> أي أن الحجاج عندهم ما هو إلا توظيف الحجة لكسب المصالح، ثم يرد عليهم أفلاطون وقد كان له الأثر الثوري في مسار التحجاج، من خلال مناظرة مأثورة بين أفلاطون وأحد السفسطائيين وهو جورجياس<sup>21</sup> حول تفرقة الكلب عن الذئب يقول حمادي صمود "ومن

مزلة الشبه كانت خشية أفلاطون الكبرى، ولذلك بذل أوفر الجهد في محاورته، لتمييز القول الفلسفي من القول السفسطائي...<sup>22</sup> ومن هنا يظهر أن الحجج نشأ آلية يتم فيها اللجوء إلى تغليب أحد الآراء بوسائل إقناع<sup>23</sup>، ثم نجد عند سقراط نظرة أخرى إذ حججته حجاجية ذات طابع تواصلية حوارية يقوم أساساً على الإقناع من خلال التحوير الطبيعي تساؤلية يركز على أسئلة هادفة بتسلسل معين<sup>24</sup> أي أساس الإقناع عنده أساساً كيفية صياغة الأجوبة ويقوم الاحتجاج على ذكر الأسئلة المتسلسلة تسلسلاً منطقياً، يرد عليها تلميذه أرسطو وهو الذي أسس لجدل قائم على البرهان وتحويل الآراء في التخاطب توضح آثاره المخلفة وصله الوثيق بين الخطابة والحجاج حيث يقول "تعد البلاغة جزءاً متصلًا بالجدل وبدراسة القيم؛ لذا جاز وصفها بالسياسة"<sup>25</sup> إذ هو يبين قيمة التأثير الحجاجي في البلاغة ويجعلها أي البلاغة إجادة الحجج، كما يواصل أرسطو كلامه بالتأكيد على فاعلية الحجة في إقناعية الخطبة القضائية يقول العمري "فليس من الضروري فقط أن تجعل الخطبة في نفسها برهانية مقنعة فقط، بلبل من الضروري من الضروري أيضاً أن يظهر الخطيب نفسه بخلق معين، وأن يعرف القاضي في وضع نفسي معين (...). فيظن السامعون أنه متيء على نحو ما تجاههم، وأيضاً أن يكونوا هم متبهين على نحو معين".<sup>26</sup>

ثالثاً: الحجاج عند الباحثين المحدثين:

بلاغة الخطاب وعلم النص الصادر 1992م من أوائل الكتب التي فصلت القول في بلاغة الحجج وعد بيرلمان رائد البلاغة الجديدة في الغرب، وقد جاء اهتمامه بالحجاج في سياق حديثه عن الاتجاهات البلاغية الجديدة في الغرب خاصة منذ نهاية عقد الخمسينات، ورغم أن اهتمامه كان متعلقاً بإتجاه (البلاغة البنيوية) إلا أن ذلك لم يمنعه من الوقوف مطولاً مع الإتجاهين الآخرين وأقصد بذلك الإتجاه التداولي وإتجاه بلاغة الحجج والبرهان والذي يمثله بيرلمان وأطلق عليه مصطلح البلاغة الجديدة La Nouvelle Rhetorique أول مرة سنة 1950م.<sup>27</sup>

اشتمل هذا العمل على ست مقالات تخصصت كل واحدة منها في دراسة جانب مهم من جوانب النظرية الحجاجية الغربية، فكانت المقالة الأولى لحمادي صمود بعنوان (مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح) وكانت الثانية لهشام الريفي بعنوان (الحجاج عند أرسطو)، أما الثالثة فكانت لعبد الله صولة بعنوان (الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجج-الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتيكا والرابعة لشكري مبخوت بعنوان نظرية الحجج في اللغة، ثم مقال من خلال نظرية المسألة لنيشال ميار وآخر هذه المقالات كانت لمحم النويري بعنوان الاساليب المغالطية مدخلاً لنقد الحجج.<sup>28</sup>

ثالثاً: الحجاج في فكر صابر حباشة دراسة مقارنة:

طرح صابر حباشة تعريف التداولية المدمجة حسب المعجم الموسوعي للتداولية، بكونها نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في السنة اللسانية، (معجم اللسان Langue) عند دي سوسير 1968م وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تدرج في الأقوال فكيف تأويلها وفق غاية المتكلم.<sup>29</sup>

عرف صابر حباشة بين معنيين للفظ الحجاج : Agumentation

المعنى العادي	المعنى الفني /الإصطلاحي
/	الحجاج

الحجاج الفني مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية scalaire إذ قابلة للقياس بالدرجات أي أن تكون واصلة بين السلالم .

وأن مفاهيم السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية. سواء أحددت هذه العلاقة لسانيا أو اندرجت تداوليا. إنه ضمن الحجاج بمعناه الفني . نفهم امكانية الدفاع عن أطروحة أولوية الحجاج على الإخبار<sup>30</sup>

بالمقابل ذكر الفكر الغربي بقلم وتصورشارل موريس Charles W.morris ، الذي عد التداولية هي العلم الذي يدرس العلاقات بمؤوليتها وهذا التعريف الأولي للتداولية ويفرق موريس بين التداولية الخالصة والتداولية الوصفية، ونعت الخالصة يعود على تطوير لغة حيث يكون لحديث فيها عن البعد التداولي للسيميوريس Semiosis.<sup>31</sup>

مفهوم القاعدة التداولية عند موريس: أورد قاعدتين :

القاعدة التركيبية	القاعدة الدلالية
تحدد العلاقات بين الحوامل	تربط الصلة بين العلامات وأشياء أخرى

لقد توقع موريس منذ سنة 1938 م المنعطف الذي ستخذه البحوث اللاحقة المنزع العام يتمثل في البحث المتخصص سواء في التركيب أو الدلالة أو ميدان إلى أولية الأرحب لذلك لم يعد ثمة تركيزا ند على العلاقات فيما بين الهذه الاختصاصات ضمن الدلالية وغالبا، ما يقدم المعلقون تقدم البحث على أنه بناء انطلاقا من التركيب تنضاف إليه وجهة النظر الدلالية أو التداولية.<sup>32</sup>

نحو تداولية صورية برنامج صورية برنامج ستالنكير في 1972 م:

علم الدلالة هو دراسة القضايا PROPOSITIONS أي دراسة مواضيع تمثل شروط حقيقية تنطلق في العادة من العالم الواقع ولكن من الملائم مكان تقييم لا فقط الحالة الراهنة للعالم ولكن حالات ممكنة له. وهو ما سميناه (عوالم الممكنة) .

للتداولية مهمتان:

- تحديد الأعمال اللغوية المهمة وذلك هو تحليل الأعمى المتضمنة فى الأقوال.
- تعيين خصائص سياق التلفظ الذى يحدد أى القضايا يعبر عنها جملة معطاة.

وإننا نزعم محاولة توظيف بعض المقاربات فى إنارة قراءة شروح التلخيص قراءة معاصرة تركز على البعد التداولى فى هذا المتن البلاغى. ويعد مصنف فرانسوا أرمينغو محاولة لاقتناص أكثر فرص المسلك التداولى بخيلاط المشهد التداولى المهمة ، أقامت كتابها على عرض أهم المقاربات التداولية عرضا تاريخيا ما أمكنها ذلك الحال

برنامج هانس: وحد بين اجزاء التداولية توحيدا نسقيا مراعىا التمفصل بين مختلف تلك الأجزاء يميز هانس بين ثلاث درجات فى التداولية (درجات) ويمكن القول ان السياق يغتنى ويتعقد من درجة إلى أخرى

- تداولية الدرجة الأولى: الرموز الإشارية العبارات الغامضة نسقيا عبارات معناه غامض ومرجعها يتنوع نسقيا حسب ظروف استعمالها اي حسب سياق اللفظ.
- تداولية الدرجة الثانية: هي دراسة الطريقة التي تتصل فيه القضية المعبر عنها بالجملة المنطوقة ..انه سياق معلومات ومعتقدات مشتركة ومع ذلك فانه ليس سياقا ذهنيا ولكنه سياق يعبر عنه بألفاظ العوالم الممكنة .
- تداولية الدرجة الثالثة هي الأعمال اللغوية ويتعلق الأمر بمعرفة ما يتم انجازه عبر استعمال الأشكال اللسانية .

كما كتب شنال (Schanelle) منذ 1973 أن السياق هو الذى يحدد ما إذا كان الملفوظ جاد قد يتم انجازه وليس مزحا.<sup>33</sup>

### التداخل بين النحو والبلاغة:

أشار الباحثون المستعربون إلى التطابق بين التحليل البلاغى فى علم المعانى والتحليل النحوى للمبحث ذاته، إقاربوطة المنهج النحوى الذى تكرس فجعل علم المعانى اختصاصا ضيقا لا يبلغه الباحث إلا بعد ترسخ قدمه فى آليات التحليل النحوى.<sup>34</sup>

فى حين يوجد باحث عربى معاصر ارتأى أن اختلاط مسائل النحو بمسائل علم المعانى، قد أضرب بالبلاغة من جهة كونه يقيم تعارضا صميما بين البلاغة بما هي الكلام الجميل دراسة الكلام الجميل والنحو بما هو دراسة الكلام السليم .

أورد "صابر الحباشة" تصريح الباحث بقوله: (ولعلي أكون أكثر صراحة حين أدعو إلى تنحية علم المعاني عن كيان البلاغة لتحفظ البلاغة بتجانسها وصفائها ووظيفتها الجمالية التي تختلف عن وظيفة النحو القائمة على السلامة اللغوية).<sup>35</sup>

المستعربون يعتبرون البلاغيين على تقارب كبير وتوافق شديد مع النحاة، غير أن ذلك لم يطمس بعض التميز لديهم، في حين يرى د.صلاح عيد أن ارتباط البلاغة بالنحو عند عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ (دلائل الإعجاز) مروراً بفخر الدين الرازي (ت 606هـ) وصولاً إلى السكاكي (ت 626هـ) والخطيب القزويني (ت 739هـ) قد شل الأصيل في جماليات الأسلوب وذلك بتسليط منهج النحاة على مباحث البلاغة ولم تكف محاولة القرطاجني في منهج البلغاء في الفصل بين مجالي النحو والبلاغة ولا جهد ابن خلدون في المقدمة في ربط النحو بمجاله الأصلي وهو الإعراب . فكأن التداخل بين مباحث العلمين يعد خلطاً عند د.صلاح عيد لا سيما إذا تعلق الأمر باستبدال النحو بالبلاغة<sup>36</sup>

غير أن (بوهاس) وجماعته يرون أن أسباب تاريخية تكمن خلف هذه الظاهرة فقد حاولت البلاغة التخلص في سيطرة النحو بل أكثر من ذلك إذ يقرر المستعربون أن لعلم المعاني نزعة الحلول محل النحو بالقوة (لا بالفعل) في دلائل الإعجاز الجرجاني تلمح إلى ذلك تلميحاً، أن هذه النظرة ولدت في نظر بوهاس وجماعته متأخرة جداً (القرن الخامس للهجرة) وهي عاجزة على زعزعة النحو من مكانته التي ابتناها منذ أواخر القرن الثاني للهجرة.<sup>37</sup>

فرق صلاح عيد بين البلاغة وهدف النحو هو أساس دعوته إلى تنحية علم المعاني من البلاغة.

#### • مقارنة منهج البلاغيين بالنحاة:

يشير جورج بوهاس وجون بول غيوم وجمال الدين الكلغلي إلى التقاليد العربي في علم البلاغة معرجين على القزويني صاحب "تلخيص المفتاح" للسكاكي (الباب الثالث) وهو المصنف الذي فتح عهد الشروح والحواشي العزيرة في اختصاص البلاغة ويشير المستعربون إلى استقراء البلاغة علماً يتفرع إلى ثلاثة علوم:

- علم المعاني (النحوية)
- علم البيان (بلاغة الصور)
- علم البديع (علم تزيين الخطاب)

ونلاحظ التسمية التي اقترحوها للعلمين الثاني والثالث تذكرنا ببعض أقسام الريطوريقا في التقاليد الغربية، إذ يتحدث تودوروف عن أقسام البلاغة مشيراً إلى المصنفات (البلاغية/ الخطابية) تقسم إعداد كل خطاب إلى خمس فترات: الترتيب-الابتكار- الإلقاء- التذكير-النطق\* أو التلفظ\*<sup>38</sup>

تودوروف		
الإبتكار	الترتيب	الإلقاء

البيان	البديع	الجنس الأدبي/الأسلوب
--------	--------	----------------------

• **الثالث: النحو والبلاغة والتداولية:**

ورد في كتاب لنص والسياق لفان ديك: (وكان ينبغي أن نخصص أيضا كيف أن التراكيب الصرفية الشكلية ترتبط بالبنيات الدلالية السيمانطقية). يذكرنا بما أورده الزمخشري في كتابه (الكشاف) "إن زيادة في البناء زيادة في المعنى" والفرق بين المقولتين أن الإشارة التي جاء بها للتدليل على علاقة جدلية عموما بين المستوى الشكلي والدلالي في حين رؤية الزمخشري تتعلق بحمل الجذر معني أصليا يظل محفوظا في كل الصيغ التي يوضع فيها، وتنضاف إلى المعنى الأصلي معان صيغية تختلف باختلاف الصيغة،

الزمخشري	فان ديك
استقراء اللغة العربية.	إثبات القرابة / علاقة بين البنية الصرفية الشكلية ووالبنية الدلالية المعنوية.

- فكرة فان ديك حول النحو والبلاغة في قوله: إن صياغة القواعد التداولية من علم النحو تعني أن أكثر مثل هذا النحو ان يفسر ليس فقط القدرة على تركيب العبارات في بعض المواقف التواصلية استخداما مطابقا وتسمى القدرة على استخدام مثل هذه العبارات في بعض المواقف التواصلية يبدو فان ديك اعطى دورا بلاغي للنحو فانتقاء العبارات المناسبة للمقام يدخل في إظهار اهتمام بلاغي للنحو. فيما نقدر إذا مراعاة مقتضى الحال ومناسبة المقال للمقام.<sup>39</sup>
- بارية سمي الاتجاه بـ (اكساب النحو صبغة بلاغية) هو الذي ذهب إليه فرنسوا راسيتي الذي كسر الحواجز بين النحو والبلاغة يعني من جهة إكساب النحو مسحة تداولية على رأي التداولية المدمجة.
- ويبدو أن فان ديك يترواح موقفه بين النحو الضيق والنحو المنحصر فقط في علم التراكيب وبين النحو بمعناه الواسع الذي يندرج فيه المكون الدلالي وشروط التأويل الناتجة عن معرفة العالم الدلالية وكذا كلم السيمانطقيا الكلي ثم يقران يختار النحو بمعناه الواسع معللا ذلك بأنه يمكنه من تعليل عدد كبير من ضروب التعميم (في كل من الجمل والخطاب) في حدود الإطار النحوي نفسه.<sup>40</sup>
- الخاتمة:

❖ لم يحل الطابع الفلسفي للحجاج دون تحوله إلى إستراتيجية خطابية.

❖ تشير الدراسات إلى تعدد مشارب الدراسات الحجاجية وتنوعها وذلك تبعا البيئة الأصل التي نشأت فيها.

❖ قدم الباحث صابر الحباشة جهدا في الدراسات الحجاجية المقارنة.

❖ نلاحظ نزوع الحباشة إلى تأصيل الدراسات الغربية وإثبات تجذرها في علوم العربية.

## الإحالات والتمهيلات:

- <sup>1</sup> - أبو بكر الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2002، 1، ص 286
- <sup>2</sup> - أبو الحسن نصر بن حماد الجوهرى: الصحاح و تاج العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1956، 1، ج 1، ص 304.
- <sup>3</sup> - الشريف الجرجاني: التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 73.
- <sup>4</sup> - مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة، لبنان، بيروت، لبنان، ط 1984، 2، ص 144
- <sup>5</sup> - Voir: Jean du bois et autre: dictionnaire de linguistiques, Larousse bordas, Québec, Canada, Édition 1, 1992, p 107
- <sup>6</sup> - Larousse dictionnaire de français, Larousse, Malesherbes, France, s e; 2015, p 24
- <sup>7</sup> - See oxford dictionary , university published, w e, p 19
- <sup>8</sup> - ينظر باتريك شارودو: نظريات الحجاج، تر أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 2009، 1، ص 14-15
- <sup>9</sup> - باتريك شارودو وآخرون: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيبري حمود صمود، دار سنتارا لمركز الوطني للترجمة، تونس، تونس، د ط، 2008، ص 69
- <sup>10</sup> - الشريف الجرجاني: التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 73
- <sup>11</sup> - مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة، لبنان، بيروت، لبنان، ط 1984، 2، ص 144
- <sup>12</sup> - Voir: Jean du bois et autre: dictionnaire de linguistiques, Larousse bordas, Québec, Canada, Édition 1, 1992, p 107
- <sup>13</sup> - Larousse dictionnaire de français, Larousse, Malesherbes, France, s e; 2015, p 24
- <sup>14</sup> - See oxford dictionary , university published, w e, p 19
- <sup>15</sup> - ينظر باتريك شارودو: نظريات الحجاج، تر أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 2009، 1، ص 14-15
- <sup>16</sup> - باتريك شارودو وآخرون: معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيبري حمود صمود، دار سنتارا لمركز الوطني للترجمة، تونس، تونس، د ط، 2008، ص 69
- <sup>17</sup> - حسين العمري: الخطاب في نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2010، 1، ص 285-286
- <sup>18</sup> - عمارية حاكم: الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي-الحجاج بن يوسف الثقفي أنموذجا-، رسالة ماجستير، قسم اللغة و أدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، 2007، ص
- <sup>19</sup> - حسين العمري: الخطاب في نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2010، 1، ص 285-286
- <sup>20</sup> - عمارية حاكم: الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي-الحجاج بن يوسف الثقفي أنموذجا-، رسالة ماجستير، قسم اللغة و أدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، 2007، ص 135
- <sup>21</sup> - ينظر فيليب بروتون جييل جوتيبه: نظريات الحجاج، تر محمد الصالح ناحي الغامدي، مركز النشر العالمي، جدة، السعودية، ط 2011، 1، ص 20
- <sup>22</sup> - ينظر جميل حمدأوي: نظريات الحجاج، دار الألوكة، د ط، د ت، ص 11
- <sup>23</sup> - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج.. أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ع 40، م ج 2، 10-12-2011، ص 21
- <sup>24</sup> - عبد القادر الريفي: الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج تنسيق حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس، د ط، د ت، ص 51-51
- <sup>25</sup> - أمينة الدهري: الحجاج، شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 2001، 1، ص 8
- <sup>26</sup> - عبد الله الهلول: الحجاج الجدلي، د ن، د ب، ط 2013، 1، ص 42-54
- <sup>27</sup> - أمينة الدهري: الحجاج، ص 25
- <sup>28</sup> - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2002، 2، ص 33
- <sup>29</sup> - الطيب رزقي، البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق الشيخان، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في اللغويات، اشراف حسن كاتب، 2017، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، ص 59.



- 
- <sup>28</sup>- المرجع نفسه، ص 60.
- <sup>29</sup>- صابر حباشة ، الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي ، المراجعات، ثقافات ، 2011 ص 03
- <sup>30</sup>- المرجع نفسه، 03.
- <sup>31</sup>- المرجع نفسه، ص 03.
- <sup>32</sup>- المرجع نفسه، ص 04.
- <sup>33</sup>- المرجع نفسه، ص 05.
- <sup>34</sup>- المرجع نفسه، ص 06.
- <sup>35</sup>- المرجع نفسه، ص 06.
- <sup>36</sup>- المرجع نفسه، ص 06.
- <sup>37</sup>- المرجع نفسه، ص 06.
- <sup>38</sup>- المرجع نفسه، ص 07.
- <sup>39</sup>- المرجع نفسه، ص 10.
- <sup>40</sup>- المرجع نفسه، ص 10.

جامعة محمد خيضر- بسكرة-  
كلية الآداب واللغات  
قسم الأدب واللغة العربية  
مخبر اللسانيات واللغة العربية  
الملتقى الوطني :

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث  
يومي : 09 – 10 ماي 2022  
استمارة المشاركة

الاسم واللقب : هاجر عاشور

الصفة : طالبة في السنة الثانية دكتوراه ( ل م د ) تخصص اللسانيات العربية  
مؤسسة الانتماء : جامعة الدكتور يعي فارس -المدية -الجزائر

الهاتف والبريد الالكتروني : 05.41.80.29.10 lisaniyath@gmail.com

محور المداخلة : المحور الرابع : تلقي البلاغة الجديدة في الدراسات العربية

عنوان المداخلة : البلاغة الجديدة من التنظير الغربي إلى التلقي العربي -مقاربة وصفية لملايسات التلقي-  
الملخص :

لم تُعدّ اللسانيات الحديثة حكرًا على الثقافة اللغوية العربية فحسب، بل أصبحت مُنتشرة في الثقافة اللغوية العربية، لاسيما بعد تقبل مبدأ أنّ الفكر الإنساني يقوم على التراكم المعرفي وتبادل الثقافات اللغوية، فتفتن الباحثون العرب إلى أهمية الإطلاع على الأفكار اللسانية وأهميتها، إلا أنّ تلك المفاهيم لم تُعرف كلها ولم يُكتب لها الدبوع لإحتوائها على الأبعاد الفلسفية أو التمسك الشديد بالمفاهيم الأصيلة للتراث، وتُعدّ البلاغة الجديدة نموذجًا للخطابات اللسانية التي تمّ إستخلاصها من أفكار أرسطو وتمّ تطويرها من أجل تحليل الخطاب وتأويله، فعدت مرجعًا علميًا، وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة المحور الرابع من الملتقى والمتعلق بمسألة نقل الإجراءات المنهجية للبلاغة الجديدة من البيئة الغربية إلى البيئة العربية وتحديد مقاربات وملايسات تلقي آليات هذا العلم وتسلط الضوء على بعض التماذج التي ساهمت في وصول مضامينه للثقافة اللسانية والتقدية العربية.

#### Summary

Modern linguistics is no longer restricted to Western linguistic culture only, but has become widespread in the Arab linguistic culture, especially after accepting the principle that human thought is based on the accumulation of knowledge and the exchange of linguistic cultures. Not all of them were known and were not widely reported because they contain philosophical dimensions or adherence to the original concepts of heritage. The new rhetoric is a model for linguistic discourses that were extracted from Aristotle's ideas and developed in order to analyze and interpret the discourse, so it became a scientific reference, and this study aims to address the fourth axis of The forum related to the issue of transferring the methodological procedures of the new rhetoric from the Western environment to the Arab environment, defining the approaches and circumstances of receiving the mechanisms of this science and highlighting some of the models that contributed to the arrival of its contents to the Arab linguistic and critical culture.

مقدمة :

لقد هيمنت البلاغة التقليدية مدّة من الزمن وكانت مناهجها تُطبّق في تحليل مُختلف النّصوص ، وتغيّر مسار الدّراسات البلاغية منذ ستينيات القرن العشرين ، حيث ظهرت دراسات جديدة ميّزت الدرس البلاغي عن البلاغة المعيارية ، إذ شكّلت المفاهيم الأرسطية تغيّراً واضحاً وقطيعةً في تناول الخطابات وتحليلها ، وقد حدث هذا بعد إطلاع ثلّة من الباحثين على مفاهيمه وتطويرها كما سمحت أعمالهم بالكشف عن التصور الحقيقي للبلاغة وتحليل الخطابات وفق طرق مغايرة كلياً ومفاهيم مُبتكرة ، فرسموا المنحى الجديد للبلاغة يقترب إلى الجانب التداولي pragmatique والنظر في الحجاج وطرق الإقناع منه إلى الجانب المعياري normative .

ومنذ تلك اللحظة تعيش المحافل النقدية والبلاغية وحتى اللسانية على أفكار البلاغة الجديدة وتصوراتها الحديثة ، كما تشهد تطورات ملحوظة تشكّل على إثرها مجموعة من التراكمات المعرفية والمنهجية التي تدل على نجاعتها وفعاليتها . هذا وقد حاول بعض الباحثين العرب تعريف المتلقي بالبلاغة الجديدة من خلال حركة الترجمة أو النقل إلا أنه أخذ أشكالا وصور متعددة وتحكّمت فيه مرجعيات مختلفة ، وهناك من تجاوز ذلك إلى تطوير البلاغة العربية من خلال إعادة قراءة البلاغة العربية التراثية والكشف عن محاور التلاقي بينهما ، وعليه سنسلط الضوء على انتقال البلاغة الجديدة إلى الفكر العربي وتحديد ملاسبات التلقي موضوعاً ومفهوماً .

#### أولاً : مفهوم البلاغة العربية :

لا يختلف إثنان على أنّ مفهوم البلاغة من المفاهيم التي تعددت حولها التعاريف كثيراً من اللغويين والمتكلمين والنقاد ، إذ تباينت مفاهيمها بتباين اتجاهات دارسها ، فكلُّ إهتم بجانب أو زاوية معينة من البلاغة وعرفها وفق ذلك المنطلق ، بل لو بحثنا في المصطلح ذاته لوجدناه لم يسنو على سوقه من بداية الدرس البلاغي العربي ، حيث عبّر عنه باسم "علم البديع" على نحو ما فعله ابن المعتز وشمل مؤلفه مباحث علم البلاغة وخصصه لفن الشعر ، وهناك من أطلق عليه اسم "علم البيان" على نحو ابن وهب والجاحظ ، ومن بين التسميات أيضاً لفظة "الصناعة" كما هو عنوان كتاب أبي هلال العسكري "الصناعتين" .

ومهما تعددت واختلفت المفاهيم لمصطلح البلاغة إلا أنّ هناك جامعا يضم هذه التعريفات بينها ، ويتمثل هذا الرابطة في أنّ البلاغة تُعنى بدراسة استعمال اللغة في مواقف وسياقات معينة ، ومطابقة تلك الأقوال لتلك المقامات وكما تهتمّ باستعمال الكلام وعلاقته بالمتكلم والسامع معا .

فيعرفها الجاحظ بتعريفات متعددة ومختلفة ، بحيث شملت تعاريفه على مفهوم البلاغة عند مختلف الأمم فيقول في كتابه البيـان والتبيين<sup>1</sup> :

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ ، قال : معرفة الفصل والوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح أقسام واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال حسن الاقتضاب عتد البداهة والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وتُبين هذه التعريفات مدى اختلاف مفاهيم البلاغة عند مختلف الحضارات ، أمّا بالنسبة للتعريف العربي فيأخذه حين سأل أمير المؤمنين عن البلاغة فقال : " ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال الإيجاز ، قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صحار : أن تجيب فلا تبطل وتقول فلا تخطئ ، فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صحار ؟ قال : اقلني يا أمير المؤمنين ألا تبطل ولا تخطئ" <sup>2</sup> .

ويبدو أن الجاحظ يتجاوز هذا التعريف التقليدي الذي يحصر البلاغة في الإيجاز ، حيث يرى أنّ البلاغة هي إيصال المعنى بألفاظ تدل تمام الدلالة على تلك المعاني ، لذلك نجده يقول : " أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتغيير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الصيغ وجودة السبك" <sup>3</sup> .

وبالتالي أساس البلاغة عند الجاحظ ليس الإيجاز في القول ولا المعاني لأنها معلومة عند كل متكلم ، بل حسن اختيار الألفاظ وصحة نطقها واسنادها بعضها إلى بعض ، وعلى هذا الاعتبار فإنه يفضل الألفاظ على المعاني .

ويعرفها أبو هلال العسكري : "بأنها كلُّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه كتمكنك في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"<sup>4</sup> .

والواضحُ أنّ أبا هلال العسكري قد نحا نفس اتجاه الجاحظ ، فالبلاغةُ عنده تبليغ المعاني للسامع في معرض حسن وصورة مقبولة ، وهذا يعني أنّ تكون الألفاظ واضحة وبيّنة في دلالاتها على المعاني .

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه أن الجرجاني في تناوله للبلاغة لم يفضل اللفظ على المعنى ولا المعنى على اللفظ ، فقد جعل للثنائيتين { اللفظ والمعنى } وزن وقيمة في نظم الكلام ، بل يردّ على من اعتقد أنّ البلاغة تكمنُ في اللفظ وحده ويظهر ذلك في قوله : "ومن البيّن الجلي أنّ التباينَ في هذه الفضيلةِ والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة ليس مجرد اللفظ ، كيف والألفاظ لا تفيّدُ حتّى تؤلّف ضربًا خاصًا من التّأليف ويعند بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التّركيب والترتيب ، فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيف جاء وافق وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه فرغ المعنى ... أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان"<sup>5</sup> . ويتضح من هذا كله أنّ البلاغة تتم باللفظ والمعنى كلاهما معًا .

### البلاغة والفصاحة :

يحضّرُ مفهومُ الفصاحة في عددٍ من التعريفات الاصطلاحية للبلاغة ، وكثيرا ما تلتبس لفظة الفصاحة بالبلاغة عند البلاغيين فيوظفونهما بمدلولين مختلفين قد يصلان إلى حد التباين والتقابل أحيانا ، وقد يوظفونهما بمدلول واحد أحيانا أخرى ، ومن مظاهر صعوبة الفصل بين المصطلحين خاصةً في الإستعمال دخولُ أحدُ المصطلحين في تعريف المصطلح الآخر ، فيقول ابن منظور في شأن الفصاحة : "أنها البيان ، وتقول رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ ولسان فصيح أب طلق ، وفصحُ الأعجمي بالصم تكلم العربية وفُهم عنه"<sup>6</sup> ، ونستنتج من كلامه أنّ الفصاحة تقابل البيان والإفهام ، هذا وقد يحدثُ أنّ توظّف الفصاحة في شرح مفهوم البلاغة ، فقد أورد الجاحظ كلاما للعتابي يعرف فيه البلاغة أنّها كل ما أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا إستعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروقُ الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غُمض من الحق وتصويرُ الباطل في صورة الحق ، قال : فقلت له لعد عرفنا الاعادة والحبسة فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه يا هناه ، ويا هذا ويا هيه ، اسمع مني واستمع أي وافهم عني ، أولست تفهم أولست تعقل ، فهذا كلُّ ما أشبهه عيٌّ وفسادٌ<sup>7</sup> ، ويُفهم من هذا أنّ العتابي قد عرّف البلاغة بمنظور الفصاحة فهي الإفهام وإيضاح الكلام ، ولئن قصر العتابي الحكم على البلاغة والفصاحة بالترادف فإن من البلاغيين من وسع هذا الحكم وما يؤكّد هذا الرأي ما ذكره أبو هلال العسكري في سياق تعريفه للبلاغة يقول : "الفصاحةُ والبلاغةُ يرجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما لأنّ كلّ واحد منهما إنّما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له وقال بعض علمائنا الفصاحة تمام الة البيان ... والدليل على ذلك أن الألفاظ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان التهما عن إقامة الحروف ... فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفين"<sup>8</sup>

وعلى الرّغم من أنّ هذين اللفظين قد استُعْمِلَا على أنّهما نفس المدلول فإنّ هناك من البلاغيين من حاول الفصل بينهما ، حيث يذكر ابن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة : أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصف الألفاظ مع المعاني ، فلا يُقال في كلمة واحدة لا تدلّ على معنى بفضل على مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كلّ فصيح بليغ كالذي يقع فيه الاسهاب من غير موضعه<sup>9</sup> ، ويبدو من خلال هذه المقارنة التي وضعها ابن سنان الخفاجي أنّ الفصاحة متخصصة بالألفاظ أمّا البلاغة فهي خاصة بالمعاني

أمّا السكاكي فلم يشدّ على هذا الصنيع حيث يجعلُ الفصاحة في قسمين فيذكر : أمّا الفصاحة فهي قسمان راجعٌ إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وراجعٌ إلى اللفظ وهو أنّ تكون الكلمة عربيّة أصيلة وعلامة ذلك أنّ تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيّتهم أدور واستعمالهم لها أكثر مما أخذها المولّدون ولا ممّا أخطأت فيه العامة وأنّ تكون أجرى على قوانين اللّغة وأن تكون سليمة من التنافر<sup>10</sup> .

ويَتَضَحُّ من هذا كَلِّه أنَّ الفصاحة عند هؤلاء البلاغيين هي ما كانت ألفاظها سليمةً وبعيدةً عن الغموض واللبس ، وقد اهتم الجاحظ وبعض من جاء بعده بوضع شروط الفصاحة منها عدم تنافر الحروف وخلوصها من الغرابة بالموازاة مع كلام العرب إلاَّ أنَّه ما ينبغي التنبيه إليه في قضية التمييز بين هذين المصطلحين أنَّ الجرجاني قد استعمل الفصاحة بمعنى البلاغة ، فالألفاظ لا تتفاضل بينها ولا مزية لكلمة على كلمة أخرى وهذا هو الصحيح ، ويحسنُ بنا المقام بذكر ما ورد في كتابه يردُّ فيه على من وصف الألفاظ بالفصاحة : "ولم يعلموا أنَّ المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أنَّها في اللِّغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر وأنَّها أُجريت على مقاييس اللغة والقوانين التي وضعوها"<sup>11</sup> ، والواضح أنَّ الجرجاني قد حافظ على المعنى الحقيقي للفظه الفصاحة المستعمل عند النحويين والتي تدلُّ على ما كان موافقا لمجاري العرب في كلامهم ، وبالتالي مهما كانت اللفظة فهي صحيحة حتَّى ولو كانت غريبة ، فلا مزية للفظه على بقية الألفاظ ما دامت أنَّها مُستعملة ووفق مقاييس العرب ، لذلك يجعل من الفصاحة والبلاغة شيئا واحداً لأنَّها ببساطة ليس صفة للألفاظ المعزولة عن التركيب فالبلاغة تظهر في كلام القائل وكيفية نظمه للكلام .

ثانيا : نشأة البلاغة :

من المسلم به ابتداءً أنَّ العلوم مهما اختلفتْ فهي لا تنشأ من العدم ودفعة واحدة بل هي حصيلة تطور مستمر من التأملات والنظر حتَّى يتوصل إلى كنهه الشيء وبعض المفاهيم ، وعلمُ البلاغة طبعاً لم يتأسس من العدم فلا بدَّ وأن يكون سبقته بعض الإرهاسات والملاحظات الأولى ، ولاشكَّ أنَّ البلاغة قبل أن تكون علماً له ضوابطه وأصوله المعرفية كانت فناً ، فالمعروف عن العرب في الجاهلية أنَّهم أمة فصاحة وبراعة في فن القول ، وقد تنافس الشعراء في مختلف الموضوعات المتداولة آنذاك كالصُّلح والفخر والحماسة ، وتولى من شُهد له ببراعته بالحكم والفصل بين الشعراء ، وإنَّ كانت تلك الأحكام لا تستند إلى أسس علمية بقدر ما هي انطباعات عفوية تمسُّ اللِّغة والأسلوب والألفاظ والتراكيب والمعاني ، كما يحسن بنا المقام للاستشهاد بالقبصة المشهورة التي تُروى عن النابغة الذبياني الذي كان تُنصب له خيمة يحكم فيها بين الشعراء ، فحكم مرة بين الخنساء والأعشى وحسان بن ثابت ، وقال للخنساء : لولا أنَّ أبا بصير -أي الأعشى- أنشدني فبلك لقلت أنَّك أشعر الجنِّ والإنس ، فقال حسان : أنا أشعر منك ومن أبيك ، فقال النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت المنتأى عنك واسع

فخنس حسان وتراجع<sup>12</sup> . ويبدو من هذا المقتطف أن بداية البلاغة العربية اقتصرَت على الآراء الانطباعية واقتصرت على استغراق الأخطاء النحوية والأسلوبية .

وأتسعت دائرة الاجتهاد فيها لما ظهر الدين الإسلامي ، فالقرآن الكريمُ يمثلُ بحقَّ الدافع الأساسي للنهضة الفكرية الإسلامية ، وقد أعجزَ العرب ببلاغته الساحرة واستخدامه للتعابير المجازية واستعماله لصور بيانية جديدة ، ولم تعد الدراسات البلاغية مقصدا لذاتها كما كانت في العصر الجاهلي بل صار الهدف منها فهم بلاغة القرآن الكريم وسر رونقه اللفظي والأسلوبي ، ولعلَّ أقرب ما يوضح ذلك محاولة أبي عبيدة صاحب كتاب "مجاز القرآن" فقد احتوى مؤلفه هذا على المظاهر البلاغية من تشبيه واستعارة ومجاز الموجودة في الآيات القرآنية .

في حين ترجعُ المحاولات العلمية الحقيقية إلى العصر العباسي حيث اهتمَّ العلماء بقضية سرِّ الإعجاز في القرآن الكريم ويعدُّ الإمام عبد القاهر الجرجاني رائداً في هذا الميدان ، ويرجع الفضل له في تأسيس هذا العلم والذي مزج فيه بين اللفظ والمعنى وبين النحو البلاغة وذلك في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وقام بتعريف جملة من المصطلحات البلاغية كالاستعارة والكنابة والتمثيل وغيره من المفاهيم . فعلى العموم كانت نظرة الجرجاني للبلاغة نظرة كلية وشمولية فلا نراه يقيم تصنيفاً ولا تقسيماً ولم تعرف البلاغة العربية تلك التفرعات الشكلية والحدود المنطقية إلا مع أبي يعقوب السكاكي في القرن السابع هجري والذي خالف فيه الجاحظ والجرجاني وغيرهم فجعل البلاغة قسمين علم المعاني وعلم البيان ولم بدرج البديع ضمن مصافهما .

ويمكن القولُ بعد هذا العرض التاريخي الموجز أنّ البلاغة العربية في عمومها كانت بمثابة سليقة عفوية حيث تشكلت عند العرب في العصر الجاهلي باعتبارها ملكة فطرية متصلة بفعالية الإتصال ، فكانت ملكة تظهر في إنتاج الكلام إمتاعاً وإقناعاً ولما ظهر الإسلام نزل القرآن الكريم فتحوّلت هذه الملكة إلى وظيفة الوصف ، وإذا كان الحجاج في مفهومه العام طريقة صناعة اللغة وتعتمد تلك الصناعة على تقوية فكرة المتكلم بمجموعة من البراهين والحجج بغية الانتصار لفكرة معينة فقد ساعدت العوامل السياسية والاجتماعية على تطور مثل هذه الصناعة لاسيما القرآن الكريم الذي يُعتبر نصّاً حجاجياً بامتياز على اعتبار حفاظه على فكرة واحدة {التوحيد} بالإضافة إلى أنّه مشحون بأساليب بيانية وبلاغية لم يستطع العرب مضاهاتها فكل تلك الخلفيات جعلت من البلاغة علماً مستقلاً بذاته له مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة.

### ثالثاً البلاغة الجديدة :

إذا كان أرسطو الفيلسوف قد أحدث تغييراً في البلاغة اليونانية حينما اعتبر البلاغة علم ينتمي إلى مصاف العلوم الاستدلالية وموضوعها هو الإقناع ، وبالتالي جعل منها علماً له ضوابطه فإنّ الباحثين بعد منتصف القرن العشرين قد أحدثوا بما يمكن أن نعتّه بالثورة البلاغية الثانية وتتمثل تلك الثورة في وضع نظرية بلاغية تختلف في تصوراتها ومناهجها التحليلية عن البلاغة السابقة ، وتتجلى هذه النظرية الجديدة التي تم اقتراحها بوضع مناهج وأهداف جديدة حيث انتقلت البلاغة في القرن العشرين من الوصف الشكلي للخطابات الأدبية وصور البديع والبيان إلى الإهتمام بالجانب الإقناعي والحجاجي للخطابات ، ومنذ تلك اللحظة والبلاغة الجديدة تشهد مزيداً من التطور والضبط .

فالبلاغة الجديدة اليوم وبعد مرور فترة من الزمن على ظهورها تملك جملةً من المفاهيم والمناهج التحليلية للخطابات بحيث تجاوزت بعض الأمور وانتقدتها على غرار الغلوّ والإفراط في التصنع والتنميق اللفظي والجانب الجمالي الشكلي ، أمّا بعضها الآخر فيعدُّ من أساسيات البلاغة الجديدة وأهمّها التركيزُ على آلية الإقناع والحجاج .

وفي الواقع أنّ البلاغة الجديدة تقومُ على منطلقات فلسفية وفكرية تختلف عمّا انبثقت منه البلاغة الكلاسيكية ، فقد وجد أقطاب البلاغة الجديدة في الفلسفة الأرسطية ركيزةً ومنطلقاً مهماً بسبب ما تحمله تلك الأفكار من أسس فكرية يمكن استثمارها ، وبالفعل أخذ البلاغيون الجدد عن أرسطو الفكرة المرتبطة بالخطابة فأرسطو يُعدُّ المؤسس السّابق للدرس البلاغي . وفي هذا الصدد يذكر رولان بارت حول المصنفين الذي ألفهما أرسطو وهو يقصد فن الخطابة والشعر : "وقد كتب أرسطو مصنفين يتعلقان بواقع الخطاب ولكن هذين المصنفين متميزان : فالتقنية البلاغية تتناول فنا للتواصل اليومي خطاباً وسط الجمهور ، في حين أن التقنية الشعرية تتناول فنا للاستحضار التخيلي ففي الحالة الأولى يتعلق الأمر بتقعيد تطور الخطاب من فكرة إلى فكرة أما في الحالة الثانية فيتعلق الأمر بتقعيد الأثر من صورة إلى صورة إنهما بالنسبة لأرسطو طريقتان خصوصيتان تقنيان وإن تقابل هذين النسقين أحدهما بلاغي والآخر شعري هو أساساً ما يحدد جوهر البلاغة الأرسطية"<sup>13</sup> . فهذا التقابل المنهجي الذي وضعه أرسطو في التمييز بين ما هو خطابي عمّا هو شعري يحدد لنا وظيفة كلتا النسقين ، فالأول وظيفته حجاجية لأنها تمس الأفكار والثاني وظيفته جمالية لأنه يمس الخيال والإلهام .

ويُعرّف أرسطو البلاغة أنّها فنّ استخلاص من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتويها ، أو القدرة على الكشف النظري لما يُمكن أن يكون في حالة خالصة للإقناع<sup>14</sup> ، من خلال هذين التعريفين يتبيّن أنّ ما سعى إليه أرسطو هو أنّ البلاغة ما ارتبطت بالإقناع والمُحاجة ولا غرو أنّ المؤسسين الأوائل للبلاغة الجديدة أمثال بيرلمان ، تيتيكا ، رولان بارت ، تودورف ، أوستين قد أعادوا قراءة أفكار أرسطو واستلهموا منها ، فهؤلاء الباحثين كانوا واعين تمام الوعي بالمنطلق الإستمولوجي الذي انطلقت منه البلاغة الجديدة ، وقد تمكّنت هذه النظرة من تجاوز مظاهر القصور والمعيارية التي تميّزت بها البلاغة التقليدية ، ويصف عمر أوكان هذه المرحلة الانتقالية بقوله : "فهي لم تعدّ علماً خاصاً بالخطاب وإنما صارت علماً عاماً بالخطابات كافة"<sup>15</sup> . وهذا يعني أنّ البلاغة لم تعدّ تقتصر على وصف الخطاب الأدبي بل أصبحت تشمل كل أنواع الخطابات السياسية والاجتماعية والقانونية والإشهارية ... وذلك بهدف استنباط مدى كفاءتها في استعمال اليات الحجاج وسبل إقناعها . وبهذه

الكيفية لم تعد البلاغة عملية تصنيفية لمعطيات لغوية من بديع وبيان وأسلوبية في اللغة بقدر ما صارت مجموعة من العمليات الإجرائية والتحليلية لدراسات الخطابات مهما كانت .

أما مفهوم البلاغة الجديدة كمصطلح في الدراسات الغربية فهو يختلف باختلاف توجهات الباحثين أنفسهم وإن كان المنطلق نفسه، فنجد من يهتم بالجانب اللساني وهو ما نجده عند رولان بارت وتودوروف ورومان جاكسون وتركز اهتمام هذا الاتجاه على الظواهر البلاغية الفنيّة والجماليّة وحاول وضع معايير تصنيفية لها سواء من الجانب الصوتي أو الصرفي أو التركيبي، كما نجد من يهتم بوصف الأسلوب والكشف عن الخصائص الأسلوبية وانعكاسها على المتلقي، أما الاتجاه الحجاجي فقد نشأ مع بيرلمان وتيتيكا تزامنا مع نشر كتابهما "الوجيز في الحجاج البلاغة الجديدة" واهتما بالجانب الإقناعي والمقصديّة، بحيث اقتصرت البلاغة الجديدة على الحجاج وكيفية اختيار الحجج المناسبة للمواقف المناسبة وبذلك لم

تعد تهتم بالجانب الجمالي والمحسّنات اللفظية وهناك من يقتصر على الجانب السيميائي

ويُلخص محمد العمري مفهوم البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية وفق ثلاثة مفاهيم<sup>16</sup>:

المفهوم الأرسطي: الذي يخصصها لمجال الإقناع، حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة: المشاورة، المشاجرة، المفاضلة، وعلى هذا الاعتبار هي تقابل الشعرية، أعاد بيرلمان صياغتها.

المفهوم الأدبي: يبحث في صور الأسلوب ويُعد بارت من أسس خطوطه الأولى في محاضراته.

المفهوم النسقي: وهو الذي يسعى للجمع بين التخيل والحجاج أي بين المجال الأدبي الجمالي والجانب الفلسفي الحجاجي.

رابعا ملابسات تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربية:

لقد استعرضنا في الفقرات السابقة مفهوم البلاغة العربيّة والبلاغة الجديدة أو الغربيّة وظروف نشأتها، لأنه لا يُمكن فهم واقع التلقي للبلاغة الجديدة في الثقافة اللغويّة العربيّة إلا بعد معرفة الأسس الإبستمولوجية لكلا النظريّتين، فتلك الملبسات هي التي تتحكّم في صور التلقي، فالبلاغة الجديدة مُصطلح ومفهوم ينبثق من المعرفة الثقافيّة الغربيّة وأصبح بعد تأسيسه من أهمّ العلوم في مجال اللغة وأكثرها استطاعة على تحليل الخطابات الأدبية وغير الأدبية، وقد تتبع الباحثون المتخصصون النجاح الذي حققته بعد أن أعادت النظر في المفاهيم والطرق التحليلية التقليدية، فالنجاح التي توصلت إليه لدليل على كفاءتها وضبطها الدقيق. وبدأ مصطلح البلاغة الجديدة يشق طريقه في مجال الدّراسات الأدبيّة واللغويّة العربيّة حيث أسهمت بعض البحوث الأكاديمية في لفت الانتباه إلى هذا العلم الجديد، ثم حاول بعض الباحثين التعريف به للمتلقي العربي فألفوا في ذلك بعض المؤلفات والدراسات بهذا الشأن

وإنّ الحديث عن تلقي البلاغة الجديدة في البيئّة العربيّة يندرج ضمن ما يُطلق عليه "بثقافة الحوار" ومدى تقبل الذات للآخر، ومن ثم التفاعل بين الفكر اللغوي الغربي والفكر اللغوي العربي، هذا ويتخذ التلقي شكلا أو صورة تتمثل في الكتابات أو المؤلفات التي ينجزها الباحثون العرب في إطار التعريف أو وصف أو شرح مبادئ هذا العلم وتبقى استجابة ونجاعة التلقي مرهونة بالمتلقي العربي ومدى اقتناعه بفعالية تلك المناهج والآراء في تحليل الخطابات.

ومما لا جدال فيه أنّ الحضارة العربيّة تملك إرثا لغويّا ضخما في فروع اللغة المختلفة ومن دراسات معجمية ونحوية وبلاغية أيضا وهذا ما يجعل مسألة تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربيّة من المسائل التي يدور الجدل فيها وعن إمكانية تقبلها واستثمارها أو التمسك بالتراث اللغوي العربي والاكتفاء بما تركه لنا البلاغيون المتقدمون، فلا يمكن إنكار الجهود والمباحث البلاغية التي تركها العلماء لاسيما أنّها متعلقة باللغة العربيّة وبالقرآن الكريم، فقد حافظ أصحاب النزعة التقليديّة ممن تمسكوا بالمفاهيم التراثية وواصلوا الأخذ بها بنفس الطريقة، فمعظم المصنفات الحديثة والمناهج التحليلية للنصوص الأدبيّة في المدارس والجامعات لا تزال تعتمد على تلك المفاهيم.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ تلك المفاهيم مأخوذة من التقسيمات التي وضعها أبي يعقوب السكاكي ومن جاء بعده من البلاغيين كأمثال الخطيب القزويني، أي في مرحلة انتقلت فيها البلاغة عما وضعه الجاحظ والجرجاني وعرفت منعرجا آخر، فقد حافظت تلك المؤلفات الحديثة على التعريفات النمطية وأقسام علم البلاغة الموجودة في مفتاح العلوم للسكاكي(علم

البيان وعلم المعاني و البديع) ، وفي الحقيقة هذه التقسيمات والتعريفات كُيفت حسب نظرة أرسطو للعلوم في وضع الحدود والتصنيف ، وهي لا تخص المتكلم كمتكلم ولا تراعى الجانب الاستعمالي للغة أو ما يُعرف بالجانب التداولي بقدر ما هي قوانين تقيد الكلام ، وأصدق دليل على ذلك حفاظ المؤلفات الحديثة على نفس الأمثلة المضروبة في أقسام البيان أو المعاني لذلك تنعت بالمعيارية .

أما النزعة الثانية فقد اعتبرت الحديث عن البلاغة أصبح من المباحث التراثية والسبب في ذلك يرجع إلى أنّ البلاغة العربيّة قاصرة على تحليل الخطابات فهي تتقيّد بحدود الجملة أو العبارة فقط ولا تهتم بالنصوص وهذا ما يجسده عبد السلام المسدي حيث يرى أنّ الأسلوبية تتفوق على البلاغة لذلك يصح أن تكون بديلاً عنها وهذا ما نلتّمسه في قوله : " ووجه العجب أنّ بعض الباحثين العرب ممن رسخت قدمهم في معالجة النصوص وتأكدت قدرتهم على التّهلّ من النظريات وقويّ صبرهم على مدّ أنفاس البحث والاستقراء لا يسلمون معنا أنّ الأسلوبية ما لم نبتكر مُتصوراتها النظرية ومقولاتها التصنيفية حتّى تتميز كيفاً وحجماً عن تقسيمات البلاغة وصورها فإنّها تنتقض من حيث نريد أن تكون بديلاً في عصر البدائل"<sup>17</sup> ، كما يرفض في موضع آخر فكرة أن يُقام حوار فكري بين البلاغة والأسلوبية ويعتبر أنّ القطيعة بينهما أفضل من مدّ جسور التواصل ، لأنّهما ينتميان إلى فكرين متضادين الأول منهما مرهون بالآنية والثاني مرهون بالتاريخية ، ويظهر هذا في قوله : " أما الأسلوبية والبلاغة كمتصويرين فكريين متنافرين متضادين لا يستقيم لهما تواجد أيّ في تفكير أصولي موحد والسبب في ذلك يُعزى إلى تاريخه الحدث الأسلوبي في العصر الحديث وإذا تبينا مسلمات الباحثين والمنظرين وجدناها تقرر أنّ الأسلوبية قامت بديلاً عن البلاغة المفهوم الأصولي... فالأسلوبية امتداد للبلاغة ونفيّ لها في نفس الوقت وهي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة"<sup>18</sup> . ويعلل المسدي عدم إمكانية التلاقح المعرفي بين البلاغة والأسلوبية أنّ البلاغة تتميز بالجانب المعياري أمّا الأسلوبية فهي علم اختياريّ

ولعلّ وصف المسدي للبلاغة بالمعيارية صحيح ولكن هذا الوصف ينطبق على البلاغة التي ترجع إلى قرون متأخرة من الزمن كما أسلفنا الذكر سابقاً ، وهي أقرب للجانب التعليمي منه إلى الجانب العلميّ في التعامل مع الخطابات والنصوص .

هذا وقد أثبتت الدّراسات التي جاءت مع بيرلمان وتيتيكا وغيرهما في تناولهم للبلاغة الجديدة اتصالها العميق وتأثرها بالمفاهيم الفلسفية الموجودة عند أرسطو ، فالتراكم المعرفي والحركة التقويمية وإعادة البحث في التراث من أهم الممارسات التي أسهمت في تقدم المعرفة اللغوية والأدبية والنقدية عند الغرب ، ويبقى كل علم لغوي جديد وافد من البلاد الغربية يندرج في قضية التمسك بالتراث اللغوي أو الأخذ به في الثقافة اللغوية العربية وهي من أكثر العوائق الإستمولوجية في تلقي المعرفة اللغوية للفكر الغربي ، فعلى الرغم أنها نظريات غربية ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب وإنّما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والهوية والعرق . إنّ الاختلاف الواحد بين الأمم يكمن في كيفية استخدام نتائج علم من العلوم وتوظيفها في ناحية معينة وهكذا فإنّ اختلاف الاستخدامات لنتائج العلم تتبع اختلافات الإيديولوجيات في العالم ، أما قضية استخدام الوسائل والأساليب والتقنيات العلمية والتوصل إلى هدف أو غاية علمية معينة فإنّها مسألة مشتركة بين جميع الحضارات الحديثة<sup>19</sup> .

وعليه فمن الخطأ الاعتقاد أنّ التراث اللغويّ العربيّ كفيلاً لوحده بمدّ معارف ومناهج تساعد في تحليل الظواهر اللغوية ومن بينها الخطاب ، أو أنّ المناهج الغربية الحديثة قد تجاوزت المفاهيم التراثية فكم من فكرة حديثة ظهرت كان يعتقد أنّها جديدة ولكن ثبت أنها ترجع إلى الفكر الإنساني القديم ، فحتّى يتسنى لنا تأصيل البحث العربيّ يجبُ تجاوز مبدأ القطيعة الكلية أو الانغلاق المعرفيّ عن التراث ، وفي هذا الصدد يعبّرُ أحد الباحثين عن ذلك: فمقولة التراث عند عامة المفكرين العرب تستند إلى مبدأ ثقافيّ منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق الفكر العربيّ المعاصر والمتميز ، فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيساً للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب<sup>20</sup> .



إنّ عملية بناء وتأصيل البحث اللغوي والنقدي العربي لا يساهم في تطوير الإنجاز والبحث فيه ، إنّما يساهم أيضا في ترسيخ خطابات وأسس فكرية يتقبلها المتلقي وتجعله لا يتحرج من الانفتاح على الغير والعودة إلى الأصول العربيّة في الآن نفسه . ونحن نتفق مع فكرة عبد الرحمن حاج صالح الذي يرى أنّ الأصيل أو مصطلح الأصالة لا نعني بها ما يُقابل الحداثة أو المعاصرة بل هي تقابل التقليد ، حيث يقول : " فإنّ الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيّا كان المُقلد المُحتذي به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين ، إذّ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره ... فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بجديد لم يُسبق إليه مهما كان الزمن الذي يعيش فيه " <sup>21</sup> ، فالأصالة لا يقصد منها بالضرورة الرجوع إلى التراث بل قد تكون بالرجوع إلى المناهج الحديثة والاكتفاء بها ، أما التراث اللغوي العربي فيزخر بجملته من المقولات العلمية والآراء السليمة في البلاغة العربيّة والتي لا تحصرها بقيود المعيارية بل تملك من الخطاب العلمي ما يمكن تكيّفه وفق المناهج الحديثة وهذا ما نجده عند الجاحظ والجرجاني مثلا ، لذلك نرى بعض الباحثين من استندوا إلى هذا الفكر الواعي بالاختلاف الابستمولوجي وحتى الهدف من الدراسة لكلا الفكرين إلا أنه لم يمنعهم من تحقيق مشاريع وخطابات مهمّة في البلاغة العربيّة وتقديمها للمتلقى العربية وذلك بعد الاستفادة من التراث اللغوي العربي والفكر اللغوي الغربي .

نماذج تلقي البلاغة الجديدة في الثقافة العربية :

1 مشروع محمد العمري وتلقي البلاغة الجديدة :

لا يسعنا المقام هنا لحصر كل المفاهيم المنبثقة من مشروع محمد العمري حصراً جامعاً مانعاً بقدر ما يهمننا زاوية فهمه للبلاغة الجديدة وتقويمه لأراء العلماء المتقدمين وتقديمها للقارئ العربي ، بحيث يُمكن معرفة اسهاماته في إنجاح عملية التلقي العربي من خلال الاطلاع على كتاباته

وأوّل ما يُشار إليه توجّهه المعرفي والمهجي في ترسيخ المصطلحات ، فمفاتيح العلوم مصطلحاتها ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى فهي مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه ، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتّى لكأنّها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ، ونحن نعلم التأثير المترتب عن المصطلحات وتعامل العلوم بلغة متخصصة وعلمية في عملية الاستعاب والفهم الدقيق عند المتلقي ومن بين تلك المصطلحات البلاغة الجديدة ، فقد عرفت عدّة مقابلات في اللغة العربيّة على نحو الخطابة وبلاغة الحجاج والأسلوبية وغيرها من المصطلحات التي تشوش على ذهن القارئ العربي ، وعلى الرغم من أنّ ذلك يعد انعكاسا للثشتت المصطلحي الذي تعرفه الدراسات اللغويّة العربيّة إلا أنّ محمد العمري يشير إلى أنّ المصطلحات التي أطلقت على *rhétorique* قد سلّخت عن المفهوم الصحيح لها ويرجع الأمر في ذلك إلى فعل العمل التُرجمي ويظهر هذا في قوله : "أنّ المفاهيم لكلمة ريطوريك كثيرا ما خرجت عن سياقها المعرفي أو أُخرجت منه بفعل الترجمة إلى العربية لكلمة بلاغة دون تقييد ، فأدى ذلك إلى الخلط والتشويش على القراء ويقال نفس الشيء عن ترجمة مصطلح الريطورية الأرسطية بكلمة خطابة " <sup>22</sup> وفي ظل هذا المشكل المصطلحي يقترح العمري مصطلح الخطابية كمقابل لريطورية حتى تتناسب والشعرية .

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا في هذا الصدد استبداله لبعض المصطلحات التراثية بمدلولات جديدة تكيّف مع الحاجة إليها في تأسيس خطاب علمي مثل مصطلح الإنشاء فقد أصبح يدل على كل خطاب يحملُ جهدا تخيليا أو حجاجيا ، ومصطلح المستمع الذي يدل على المقام الخطابي بكلّ مكوناته الفكرية والزمانية والمكانية .

ومما له علاقة بتقديم البلاغة الجديدة للمتلقى الترجمة المتخصصة كونها تكتسي طابع الاختصاص ، ذلك أنّ مواضعها تُصنّف ضمن مجال معرفي يتّسم بخصائص مفهوميّة لا يستطيع فهمه إلاّ الباحث المنتهي إلى المجال نفسه ، والمترجم يهدف لترجمة نص لا يستطيع المتلقي فهمه بلغته ، فهو لا يُترجم كي يفهم بل يفهم لكي يُترجم <sup>23</sup> ، وهذا طبعا يتطلب إضافة عن امتلاك ناصية اللغتين معرفة واعية بالمجال العلمي ، أمّا الشق الثاني يتطلب إعادة صياغة نص بلغة تضاهي ما كانت عليه في الأصل .

وهذا ما قام به محمد العمري حين ترجم بعض الكتب المهمة في تقديم البلاغة الجديدة مثل البلاغة والأسلوبية لهيريش بليث والتي صرح في مقدمة الكتاب أنّ عمله هذا ينصبّ في الأعمال التي تساهم في فهم المتلقي والباحث المتخصص لأساسيات البلاغة ، وكان الباعث الأساسي لعمله الترجمة لهذا معرفة مشكلة الطلبة في الحوار الإيجابي بعد احتكاكه بهم لسنوات<sup>24</sup> ، يضاف إلى ذلك ترجمته لكتاب بنية اللغة الشعرية لجان كوهن .

وتدخل أعماله الترجمة هذه في إطار أكبر يتمثل في التمهيد لبناء نظرية بلاغية عامة وذلك من خلال الاطلاع على كل حيثيات الميدان البلاغيّ والأسلوبيّ والشعريّ عند الغرب ، وفي هذا السياق يذكر العمري : " ينضوي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة"<sup>25</sup> . ويُعتبر هذا العمل بحث جاد في إعادة دراسة وهيكل البلاغة العربية من خلال الاطلاع على النظريات البلاغية والأسلوبية الغربية ، كما يعكسُ بذلك استثمار التصورات الحديثة والتراثية بمنطلق المسألة والرؤية التمحيصية ، وبذلك تكون هذه المحاولات ساهمت في إغناء الدراسات عند القارئ والباحث العربيّ .

لقد تمكّن الباحثون الغربيون من وضع أسس لبلاغة جديدة وعامة تستندُ على المُنجز اللساني والمنطقي من جهة والتقريب بين التخيل والإقناع من جهة أخرى ، وعلى هذا الأساس تعتبر البلاغة طرفاً وسطاً بين نظرية الحجاج التي طورها بيرلمان عن أرسطو وهي نظرية تبحث في أساليب الحجاج والإقناع ، والنظرية الثانية هي نظرية تبحث في الأساليب والصور الجمالية والأدبية ، وبذلك تكون البلاغة الغربية قد عرفت تطوراً هاماً في تصورها العام وفي كيفية تحليلها للخطابات . على أنّ الأمر يختلف بالنسبة إلى الثقافة العربية فكثير من الكتابات إما تراثية محضة أو حديثة ، ويعتبر مشروع العمري أحد المشاريع الرائدة التي لم تركز اهتمامها على نموذج واحد دون الآخر ، فقد اعتمد في بناء نظريته التي صاغها على الأخذ من البلاغة العربية والغربية ويصف هذه الحركة في قوله : "لاشك أنّ هذا التوجه يجد سنداً له في الدراسات الغربية التي انطلقت منذ الستينيات تؤرخ للبلاغة الغربية أو تعيد قراءتها وتفسر فعاليتها مع بارت تاريخ البلاغة وجان كوهن وكيدي وفاركا وجان مولينو وطامين"<sup>26</sup> .

ونلتبسُ العمل الواعي والمنهجي عند العمري من خلال احترامه لتاريخ المفاهيم وخصوصية السياق المعرفي والتحويلات الفكرية دون إسقاط أحدهما على الآخر أو تحميله مالا يحتمل ويظهر ذلك في قوله : "لذلك كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات"<sup>27</sup> ، وهذا يعني أنّ المفاهيم المبتوثة عند علمائنا العرب لا يجب أن تكون مقتطفة ومنزوعة عن سياقها ، بل بتتبع ذلك المفهوم في كل الكتاب وإحصائه ومن ثم تبيان مفهومه فقد يكون للمصطلح الواحد مفهومين أو أكثر مثل اللفظ عند الجرجاني .

كما تظهر إفادته من البلاغة الغربية والعربية في محاولته لوضع صياغة لبلاغة عامة عربية تتصف بالشمولية وتتجاوز النظرة الضيقة أو المحدودة ، فهو يرى أنّ البلاغة العربية كانت ثنائية التكوين بين الشعر والخطاب وإن كان الشعر أسبق زماناً من الخطاب ، في حين يرجع الخطاب إلى ظهور القرآن الكريم ومحاولات سبر أغواره البلاغية ، وقد تطوراً بفعل الحركات الأدبية فنجدته يذكر في كتابه : "للبلاغة العربية إذن مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين مسار البديع يغذيه الشعر ومسار البيان تغذيه الخطابة في التراث العربي فقد ظل المساران متداخلاً وملتبسين رغم الجهود الكبيرة التي ساهم بها الفلاسفة وعم يقرؤون بلاغة أرسطو"<sup>28</sup> .

هذا وقام في مشروعه بإعادة قراءة الكتب البلاغية التراثية كأمثال الجاحظ الذي وجد عنده بلاغة الخطاب والإقناع وأبو هلال العسكري وحازم القرطاجني الذي وجد عندهما المزج بين الصناعتين الصناعة الشعرية التخيلية والصناعة الخطابية الحجاجية ، وغيرهم من العلماء على نحو السكاكي وابن سنان الخفاجي وتندرج قراءته هذه في مصاف القراءات النقدية والتمحيصية التي تحاول غرلة المفاهيم ومن ثم عقد حوار مثمر وإيجابي بين البلاغة العربية والغربية والمساهمة في تطوير البلاغة العربية ومواكبتها للركب الحضاري .

2 تلقي حمادي صمود للبلاغة الجديدة :

يُعتبر حمادي صمود نموذجا من النماذج اللسانية العربية الذي تبني منهج إعادة قراءة البلاغة العربيّة وتلقي البلاغة الجديدة ، وذلك وفق مراعاة خصوصيّة الطرفين التاريخية والسياقية والفكرية ، ويظهر مشروعه في مؤلفه "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري" ، ويعتبر هذا المشروع إعادة قراءة للبلاغة العربيّة وفق رؤية تتجاوز السرد التاريخي إلى تحليل القضايا واستخلاص مفاهيم جديدة بغية استثمارها ، وتبدأ قراءته من مؤلف الجاحظ "البيان والتبيين" وصولا إلى القرن السادس ، وقد وجهه اهتمامه إلى ثلاث مسائل : المفهوم والمنهج والإجراء .

المفهوم : لقد اهتم حمادي صمود بثنائية " الحقيقة والمجاز " و "البلاغة والفصاحة" ، فبالنسبة للحقيقة والمجاز مفهومان مُتداولان في البلاغة العربية يقتصر الأول منهما على التعبير الحقيقي في الكلام ، أمّا الثاني فيُعدّ خروجاً عن المؤلف والاستعمال الحقيقي ، وبالتالي فهو أقرب إلى الجانب الأدبي ويذكر بهذا الشأن : "لقد تضافرت جهود العلماء من بلاغيين ونقاد وفلاسفة وأصوليين لتؤكد على أنّ التوسل بالمجاز هو أبرز خاصية تميّز الأداء الفني عن غيره ، ولقد تواترت في مؤلفاتهم مقابلة بين ما سموه بالكلام المؤلف أو المعتاد أو العادي وبين الكلام المخرج مخرج العادة"<sup>29</sup> .

كما يعتبر أنّ الجرجاني هو أوّل من استطاع التمييز النظري بينهما باسم "معنى المعنى" في حين كان يُمثل للمجاز بشواهد وأمثلة قيل ذلك . أمّا ثنائية البلاغة والفصاحة فاستخدما معرفة منابع البلاغة في النص وبالتالي تحديد السمات الأسلوبية المتعلقة باللفظ والمعنى .

المنهج : وقد فُرق فيه بين الجانب الكلامي الموجود عند الجرجاني وابن وهب وهو جانب منطقي وفلسفي ، أمّا المنهج الثاني فهو أسلوبية يهتم بدراسة الأساليب والمميزات الفنية الإجراء وهو الكيفية والطريقة العملية التي وظفها البلاغيون في معرفة النصوص والأحكام التي كانت تطلق على الصور البيانية .

إلا أنّ حمادي صمود قد اتجه بعد هذا المشروع إلى الاهتمام بالحجاج وأهم نظرياته ، كما تجدر الإشارة هنا إلى رأيه في ترجمة مصطلح *rhétorique* أنّها لا تقابل مصطلح بلاغة ، ويعلل ذلك أنّ الحقل المعنوي لكلمة *rhétorique* لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة بلاغة في المتن العربية ، وإنّ كنّا نضطر دائما عن خطأ أو صواب إلى المطابقة في الترجمة بين الكلمتين والتراجمة الذين اهتموا بمؤلفات أرسطو أدركوا هذه النكتة ففضلوا على ما عرفنا عنهم في الترجمة الإبقاء على المصطلح في لغته الأصلية فقالوا ريطوريا ، ثم لما تناول الفلاسفة الكتاب بالترجمة والشرح سموه خطابة<sup>30</sup> .

ويرى أيضا أنّ البلاغة العربيّة تحمل في داخلها بؤادر الحجاج ماثورة في المؤلفات العربية والمستخرجة سواء من الشعر العربيّ أو الخطابات التي كانت تنصبّ في محاولة معرفة سرّ إعجاز القرآن الكريم فعملية إعادة ترتيب البلاغة العربية يمكن بفضلها تطويرها مع نظريات الحجاج الغربية .

#### الخاتمة :

إنّ واقع التلقي العربيّ للبلاغة الجديدة لم يسلم من ثنائية الأصالة والمعاصرة ، على الرغم من أنّ بناء نظرية بلاغية عربيّة جديدة لا تعني أبدا التخلي عن التراث اللغوي كما لا تعني أيضا التمسك الشديد به ، فهي في الحقيقة مرهونة بتجاوز الاثنين معا ومتى تم ذلك تسنى لنا التوصل إلى مفاهيم ومناهج جديدة في تحليل مختلف الخطابات ، ولعل النماذج التي سبق ذكرها ليس على سبيل الحصر إنّما هي مختارة ومقصودة والسبب في ذلك تبنيها لمنهج إعادة القراءة بطريقة نقدية وواعية وباحترام الاختلاف المفهومي والتاريخي والفكري إلا أنّها استطاعت عقد حوار مثمر وإيجابي بينهما فكان أساس التلقي عند العمري وحمادي صمود النظر إلى التراث اللغوي أنّه جزء من فكر إنساني عام وليس عربي

فينبغي لنا إعادة قراءة التراث اللغوي البلاغي قراءة موضوعية وإعادة تصنيف كل المفاهيم في مجالها الصحيح من مفاهيم أسلوبية وحجاجية ... فهذه العملية تكفل لنا وضع الأرضية الركيّزة التي ننطلق منها في الانفتاح على الآخر بطريقة فعّالة ومثمرة حينئذ يصبح واقع تلقي البلاغة العربية الجديدة أمرا متقبلا عند المتلقي ومثمرا ومساهما في البلاغة العامة .

قائمة المصادر والمراجع :

1. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 1999
2. الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط : 3
3. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، عبد الرحمن حاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2012 م
4. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 2 ، 2012 م
5. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ،
6. البلاغة تاريخ وتطور ، شوقي ضيف ن دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط : 9
7. البلاغة والأسلوبية ، هنري بليث ، تر : محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ، ط : 2 ،
8. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ط : 4
9. تجليات تحليل الخطاب ، حمادي صمود ، دار قرطاج ، تونس ، ك : 1 ، 1999
10. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره ، حمادي صمود ، دار قرطاج ، تونس ، ط : 1 ، 1999 م
11. التفكير اللساني في الحضارة العربية ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط : 2 ، 1986 م
12. الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الباري وأولاده ، مصر ، ط : 2
13. دراسات لسانية تطبيقية ، مازن الوعر ، دار دلاص للدراسات والترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط : 1 ، 1989 م
14. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر
15. سر الفصاحة ، أبو محمد بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1982
16. الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ،
17. قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، تر : عمر أوكان ، إفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 2 ، 1994 م
18. لسان العرب ، ابن منظور ، تح : عبد اللعة علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ن القاهرة ، مصر ، طبعة جديدة
19. المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، خليفة الميساوي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط : 1 ، 2013 م
20. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ن تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 2000 م

#### هوامش البحث :

- <sup>1</sup> البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ط : 4 ، ج : 1 ، ص : 88
- <sup>2</sup> المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 96
- <sup>3</sup> الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الباري وأولاده ، مصر ، ط : 2 ، 1965 ، ج : 3 ، ص : 132
- <sup>4</sup> الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ص : 15
- <sup>5</sup> أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 1991 ، ص : 4

- <sup>6</sup> ينظر: لسان العرب ، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دارالمعارف ، القاهرة ، مصر ، طبعة جديدة محققة ومشكولة ، مادة فصيح
- <sup>7</sup> ينظر: البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج : 1 ، ص : 113
- <sup>8</sup> الصناعتين ، العسكري ، ص : 7 ، 8
- <sup>9</sup> سر الفصاحة أبو محمد بن سنان الخفاجي ن دارالكتب العلمية ، ط : 1 ، 1982 ، ص : 60
- <sup>10</sup> مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 2000 م ، ص : 526
- <sup>11</sup> دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ص : 352 ، 353
- <sup>12</sup> ينظر: البلاغة تطورتاريخ ، شوقي ضيف ، دارالمعارف ، القاهرة ، مصر ، ط : 9 ، ص : 11
- <sup>13</sup> قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، تر: عمر أوكان ، إفريقيا للشرق ، 1994 ، ص : 18
- <sup>14</sup> المرجع نفسه ، ص : 19
- <sup>15</sup> المرجع نفسه ، ص : 7
- <sup>16</sup> ينظر: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 2 ، 2012 م ، ص : 12
- <sup>17</sup> الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط : 3 ، ص : 6
- <sup>18</sup> المرجع نفسه ، ص : 52
- <sup>19</sup> ينظر: دراسات لسانية تطبيقية ، مازن الوعر ، دارالاص للدراسات والترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط : 1 ، 1989 ، ص : 39
- <sup>20</sup> التفكير اللساني في الحضارة العربية ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط : 2 ، 1986 ، ص : 11 ، 12
- <sup>21</sup> ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، عبد الرحمن حاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2012 م ، ج : 1 ، ص : 11
- <sup>22</sup> البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، ص : 13
- <sup>23</sup> المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، خليفة الميساوي ، دارالأمان ، الرباط ، المغرب ، ط : 1 ، 2013 ، ص : 86
- <sup>24</sup> ينظر: البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، تر: محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ، ط : 2 ، ص : 9
- <sup>25</sup> المرجع نفسه ، ص : 11
- <sup>26</sup> البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، أفريقيا للشرق ، بيروت ، لبنان ، ص : 9
- <sup>27</sup> المرجع نفسه ، ص : 14
- <sup>28</sup> البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، محمد العمري ، ص : 29
- <sup>29</sup> التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981 ، ص : 599
- <sup>30</sup> تجليات تحليل الخطاب البلاغي ، حمادي صمود ، دارقرطاج ، تونس ، ط : 1 ، 1999 ، ص : 8

جامعة محمد خيضر\_بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مخبر اللسانيات واللغة العربية

الملتقى الوطني:

البلاغة الجديدة(المصطلح والمفهوم)بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث

يومي 09\_10 ماي 2002

استمارة المشاركة

الاسم واللقب: نور الهدى صوطي<sup>1</sup>/نجاه كعبوش<sup>2</sup>

الصفة: طالبة دكتوراه

مؤسسة الإنتماء: جامعة محمد خيضر\_بسكرة<sup>1</sup>/جامعة محمد مين دباغين\_ سطيف الهضاب<sup>2</sup>

الهاتف و البريد الالكتروني:

<sup>1</sup> [nourelhouda.saouthi@univ-biskra.dz](mailto:nourelhouda.saouthi@univ-biskra.dz) / 0666037649

<sup>2</sup> [fadwa7238@gmail.com](mailto:fadwa7238@gmail.com) / 0671470778

محور المداخلة: المحور الثالث: البلاغة الجديدة في الدرس اللغوي العربي الحديث.

عنوان المداخلة: البلاغة الجديدة ضمن المنجز العربي الحديث: الأصول المعرفية والامتدادات اللسانية العربية- محمد

العمري نموذجاً-

ترتكز هذه الدراسة على محاولة إعادة قراءة في الموروث البلاغي القديم لتحديد مظاهر التجديد في البلاغة العربية، والتي شهدت حركة مستمرة وواسعة مما أدى بها إلى تعدد وجهات النظر في ضبط مفهوماً وتحديد مرتكزاتها.

وقد كان الهدف في أسطر هذه الدراسة البحث في الأصول المعرفية للبلاغة العربية والتي بدت واضحة في أعمال باحثيها أمثال عبد الله صولة ومحمد العمري وحمادي صمود. وعليه سنحاول الإجابة على إشكالات مهمة منها: ما البلاغة الجديدة؟ وفيما تتمثل مظاهرها التجديدية في المنجز العربي الحديث خاصة ما ذهب إليه محمد العمري؟

الكلمات المفتاحية: البلاغة القديمة، البلاغة الجديدة، التجديد البلاغي، الاتجاهات، المنجز العربي.

#### أولاً/مقدمة:

لا تزال البلاغة محل نقاش واستفسار حول مكنوناتها ومفهومها وطبيعتها، وهذا نظراً لتعدد التوجهات التي جعلت مفهومها لا يستقر على مرسى واحد، سواء على الصعيد العالمي أو العربي، حيث نجد أن هناك من حاول إعادة البعث في فيها وإبراز معالم جديدة لها من خلال إعادة قراءة التراث مع ما يوافق تحديات العصر والمستقبل، هذه الدراسة تقوم بإمالة اللثام على البلاغة من خلال تتبع أهم الدارسين الذين ساهموا في هذا التجديد البلاغي "محمد العمري" الذي حاول من خلال إنجازاته قراءة التراث البلاغي، والذي جاء نتيجة دراسات حول مصطلح الإقناع في الخطابة العربية القديمة.

ثانياً: دعوات للتجديد البلاغي :

سعى اللغويون لإعادة البعث في الدرس البلاغي، إذ أنهم أعادوا قراءة التراث البلاغي وفق أسس ومناهج مضبوطة نظراً للمكانة التي تحتلها البلاغة في الدراسات الأدبية واللغوية على حدٍ سواء، وقد كانت بدايات التجديد في البلاغة العربية منذ القديم عند العلماء والباحثين العرب إذ نجد ابن قتيبة يدعو إلى التجديد في علوم اللغة والبلاغة حيث قال: "إن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره"

<sup>1</sup> ليحاول من بعده لفييف من العلماء لتوسع في علوم البلاغة والنظر فيها، إلا أن ما ذهب إليه الجرجاني وصل لمرحلة النضوج والاكتمال على حد قول الباحثين وشهادتهم في أن علم البلاغة قد استقرت أركانها، ورسخت دعائمها، ووصلت إلى ذروة نضجها وازدهارها على يديه، وبخاصة في كتابه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) لتكتمل فيهما مباحثها وتستقر ملامحها.<sup>2</sup> ليأتي بعده في عصر النهضة عدد من الباحثين وجهوا اهتمامهم في دعوة لقراءة البلاغة العربية من خلال تتبع الكتب والمؤلفات فركزوا على الجانب التطبيقي من أجل إقناع المتلقين بمصداقية هذه الدعوة وموضوعية المشروع البلاغي والتدليل على فهم الدعوة لما ينادون.<sup>3</sup> والتجديد البلاغي أو إعادة كتابة البلاغة مرّ بمرحلتين متميزتين أوضحهما العمري كالآتي:<sup>4</sup>

أ/مرحلة السرد التاريخي وتلخيص محتويات الكتب وأفضل ما يمثلها شوقي في كتابه (البلاغة تطورتاريخ).

ب/مرحلة الكتابة من منظور حدائي لساني واع باختياره ملخص له:ويمثل هذه المرحلة طرح حمادي صمود في مؤلفه(التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة)

وقد كان الهدف من مشروع القراءة ودعواتهم التجديدية في البلاغة العربية من اجل تحقيق غايات متمثلة في:<sup>5</sup>

\_التجديد في دراسة علوم البلاغة وفي الربط بينها تحت اسم الصورة البلاغية أو الصورة الفنية أو الصورة الأدبية أو الصورة الجمالية.

\_التجديد في درس تاريخ البلاغة من حيث ظواهرها و صلة هذه الظواهر بالأعلام والتيار البلاغي، وفي دراسة تيار قضايا البلاغة من خلال العصور أو من خلال الأعلام.

\_التجديد في دراسة علوم البلاغة وصلتها بالعلوم الحديثة مثل علوم الإنسان والنفس...

\_التجديد في دراسة المصطلحات البلاغية وتدرجها، وقضايا البلاغة من خلال عصورها .

\_السعي إلى تخلص البلاغة من تلك الزيادات الحواشي ومن الفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم، والاقترار على المستوى البلاغي و الفني فحسب، و لم يؤثر عن أحد أنه سعى لتلخيص البلاغة من القواعد التعريفات، إدراكاً من الباحثين و المعلمين لأهمية القاعدة و الذوق معاً.

وقد مست الدعوات التجديدية في العصر الحديث الساحة اللغوية و الأدبية نظير سعي الدارسين لمحاولة قراءة جديدة للبلاغة، إلا أن محاولاتهم و إنجازاتهم كانت بشكل و جيز وقد كانت دراساتهم استكشافية و صفيية أو تفسيرية، وقد كانت دراساتهم جزئية تتناول ظواهر أو قضايا لها أهمية أحيانا ولكنها ليست أكثر لبنات من بناء تجب إقامته على قاعدة واسعة.<sup>6</sup> وقد كانت دراساتهم تسعى للمحافظة على التراث و إعادة إحياءه و التعريف به و تقريبه من القراء، إضافةً لكونها لم تهتم بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب، و من بين هؤلاء الذين حاولوا النهوض بالبلاغة و وضع معالم جديدة لها نجد أمين الخولي(فن القول) و علي العماري( البلاغة العربية و حاجتنا إلى التجديد)مصطفى الجويني(الفكر البلاغي الحديث) مصطفى الصاوي الجويني(البلاغة العربية تأصيل و تجديد).<sup>7</sup> هذه الدعوات التجديدية التي صبّت اهتمامها بالموروث القديم و إعادة النظر في المنجزات الماضي في الحقيقة هي البوابة الرئيسية لتأسيس بلاغات جديدة، والتي لا تتحقق إلا بالرؤية للماضي من أجل الفهم العميق لاحتياجات المستقبل سواء كان ذلك في مستوى الصعيد العالمي أو الصعيد العربي.<sup>8</sup> وإذا نظرنا لكل ذلك نخلص إلى وجود بلاغتين أساسيتين: بلاغة كلاسيكية تتسم بطابعها المعياري التعليمي، و بلاغة جديدة علمية لسانية حجاجية تعنى بوصف الخطاب البلاغي، مع تبيان قواعده المضمرة، و استخلاص بنياته و دلالاته و وظائفه التداولية و الحجاجية.<sup>9</sup> حيث يرى الدارسين أن التداولية مدخلاً مناسباً لدراسة التراث البلاغي العربي لما توفره من آليات في الكشف عن المعنى و مكوناته، بحيث أنها طريقة للنظر من جديد في مادة اللسانيات و مناهجها.<sup>10</sup>



ثالثاً: مفهوم البلاغة الجديدة:

اتجهت أغلب التيارات النقدية الحديثة إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللسانيات<sup>11</sup> وكان هذا نظراً لما شهدته الدراسات الغربية تزامناً والأعمال التي قام بها بيرلمان من خلال تعرضه لنظرية الحجاج سنة 1958م والذي يرمي في دراسته إلى استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه وإقناعه، فكان على إثرها ميلاد مصطلح البلاغة الجديدة.<sup>12</sup> حيث يعد هذا المصطلح من أهم المصطلحات التي تم تداولها في الدراسات المعاصرة لبلاغة الإقناع، وهو مصطلح اضطرب مفهومه في التراث الذي انطلق منه و المفهوم الذي وصل إليه، إذ يعد عند أرسطو من وجهة نظر المعاصرين \_ مراعاة المقام والحال من خلال العلاقة القائمة بين الخطيب والمستمع من الناحية النفسية و الأخلاقية، وموجب هذه العلاقة ودراسة أحوال المخاطب قام أرسطو بتقسيم الخطابة على أساسها، على عكس العرب لم يهتموا بهذه العلاقة فحاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليها أو يراعها من أحوال المستمعين، وبذلك غياب للمستمع وحضور كبير لجهد المتكلم، في حين أن شخصية السامع تكون واضحة وله دوره الايجابي في الحوار في البلاغة الغربية القديمة والمعاصرة أيضاً.<sup>13</sup>

إن الحجاج من خلال ما ذهب إليه أرسطو عملية إتصالية قوامها الحجة المنطقية وغايتها إقناع الآخر والتأثير في حياته السلوكية. ويعتبر هذا التحديد امتداداً لمفهوم الخطابة عند أرسطو والتي أطلق عليها (الريطورية) هذه الأخيرة تعنى: قوة تتكلف الإقناع في كل واحد من الأمور المنفردة.<sup>14</sup> وبذلك يعتبر الحجاج هو البلاغة الجديدة على حد ما ذهب إليه بيرلمان إذ أنه يطابق بين البلاغة و الحجاج فلا تخرج البلاغة في نظره عن دائرة الحجاج، وهذا ما ذهب إليه أوليفي برول حيث نجده يصرح أن البلاغة لم تعد لباساً خارجياً للحجاج، بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصة. وقد أكد أن القدماء لم يخطئوا حين وحدوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية، لا مفر للبلاغة لأي حجاج دون أن يؤدي ذلك حتماً إلى التحريض.<sup>15</sup> ومنه يمكن القول أن البلاغة الجديدة هي مصطلح آخر للحجاج أو هي الحجاج نفسه بقضاياه وتقنياته وأسسها ومبادئه وهذا ما أكده عبد الله صولة إذ أنه يوازي بين المصطلحين ويعتبرهما واحد البلاغة الجديدة أو نظريات الحجاج فيقول: "البلاغة الجديدة في العصر الحديث "بلاغات" كما يقول روبرول، لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلمان وتيتكا هي هذه البلاغة الجديدة كما نص على ذلك عنوان كتابهما الفرعي مصنف في الحجاج \_ البلاغة الجديدة"<sup>16</sup> إذ عبر العنوان الفرعي ((البلاغة الجديدة)) لكتاب بيرلمان ((مصنف في الحجاج)) عن هذا التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة علماً مستقبلياً هدفه تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسفة عليها.<sup>17</sup> وقد سعى الباحثان إلى تخليص الحجاج من التهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضاً، فالحجاج عندهما معقولية وحرية، فموضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.<sup>18</sup> ولذلك أخذت البلاغة الجديدة (الحجاج) على عاتقها مهمات عدة منه تخليص الدرس البلاغي مما لحق به من تشويه يعود أساساً على التبسيطات، وذلك من أجل التوجه إلى أفاق القراء و حُججهم من جهة، والتخلي عن النزعة المعيارية من جهة ثانية.<sup>19</sup>

رابعاً: اتجاهات البلاغة الجديدة:

-الاتجاه اللساني: "ظهرت اللسانيات البنيوية نظراً لتظافر عدة تيارات من الشكلانية الروسية ومدرسة براغ والانثروبولوجيا، والبنيوية نظرية نقدية اتخذت من اللغة أساساً لها في البروز على الساحة النقدية"<sup>20</sup>.

يقول "جاكسون" أن اللسانيات هي " العلم الذي يشمل كل الأنساق والبنى اللفظية، ولكي تستوعب مختلف البنى كان لزاماً عليها ألا تختزل في الجملة أو أن تكون مرادفة للنحو في لسانيات الخطاب أو لسانيات فعل القول"<sup>21</sup>

ويرى جاكسون أن الشعرية متصلة بجذورها اللساني، فهي بنية نصية بإمكانها تحقيق المعاني والانزياحات، وقد اكتسبت الشعرية قيمتها من الدراسات اللسانية خاصة التحليل البنيوي والتحليل الأسلوبي فالشعرية هي الأدبية موضوعها علم الأدب الذي يعنى باليات الصاغة والتركيب بكل ما يجعل من كلام ما عملاً أدبياً، فالشعرية هي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق رسالة لسانية وتحكمه دون أن تثير انتباهنا.<sup>22</sup>

وقد ظهرت مجموعة دراسات لسانية تحاول تصنيف الصور البلاغية في ضوء معايير منهجية محدودة ومنها:- تصنيفها حسب المعيار الصوتي أو الخطي وأخرى في ضوء المورفيم ( الزوائد واللواحق والمقاطع) أو حسب طبيعة الكلمة أو المركب أو التركيب، وأخرى حسب طبيعة الدلالة أو السياق التداولي وبعضها صنف حسب المحاور اللسانية ومنها

المحور الاستبدال مثل صورة السخرية، وهناك صور المحور التاليفي مثل الاستعارة. وقد صنف (رومان جاكسون) الصور البلاغية في قطبي الاستعارة والمجاز المرسل أو المشابهة والمجاورة، فقد وجد الشعر مرتبطاً بالاستعارة في حين يتميز النثر بالمجاورة. وقد عنى (جيرار جينيت) كما الآخرين بالصور البلاغية كما في مقالة ( البلاغة المقصودة أو المحدودة) فقد درس فيها الصور البلاغية لاسيما الاستعارة والكناية والمجاز المرسل في ضوء رؤية بلاغية جديدة.<sup>23</sup>

الاتجاه الأسلوبي:

وتعد الأسلوبية أيضاً فرعاً حديثاً من فروع اللسانيات إلى جانب الشعرية والسيمائية والتداوليات وتهتم بوصف الأسلوب بنية ودلالة ومقصدية وهي بهذا تختلف عن البلاغة الكلاسيكية ذات الطابع المعياري التعليمي التي كانت تهتم بالكتابة والخلق والابداع وتجويد الأسلوب بياناً ودلالة وسياقاً وزخرفة، وتقدم للكتاب الناشئ مجموعة من الصفات الجاهزة في عملية الكتابة. وتنمي الأسلوب بلاغة وفصاحة وتأثيراً.<sup>24</sup>

" فالأسلوبية دراسة الأسلوب على المستويات الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبية والتداولية. دراسة الأسلوب دراسة علمية في مختلف تمثلاته اللسانية والبنيوية والسيمائية ومستوياته الصوتية والدلالية والتركيبية وهي تهتم بخصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي وتحديد مواصفاته ومميزاته الفردية واستخلاص مقوماته الجمالية وبيان ذلك على المتلقي ذهنياً ووجدانياً وحركياً. ومن القضايا التي تركزها الأسلوبية للدراسة: موضوع الكتابة والصياغة، قضية الانزياح، قضية المسافة الجمالية، أدبية النص الأدبي ودراسة الوظيفة الشعرية، ورصد الصور البلاغية، العناية باللفظ والمعنى.<sup>25</sup>

فالأسلوبية مقارنة منهجية نظرية وتطبيقية يمكن تمثيلها في الحقل الأدبي والنقدي لمقاربة الظواهر الأسلوبية البارزة التي تميز المبدع وتفردته عن غيره، تدرس الأجناس الأدبية، سرادبية النصوص والخطابات والمؤلفات، دراسة الوظيفة الشعرية، التمييز بين الأساليب حقيقة ومجازاً، وتعييننا وتضميننا، مع رصد الأشكال والبنى الأدبية والسيمائية، واستكشاف بلاغة

النص، وتحديد المستويات اللسانية للخطاب من: صوت ومقطع وكلمة ودلالة وتركيب وسياق ومقصدية، وربط ذلك بالفرد المبدع وموهبته او العمل على دراسة / الأسلوب / وفق المعطيات النفسية او الاجتماعية.

أما الأسلوبية باعتبارها بلاغة علمية جديدة نشأت في احضان الشكلانية الروسية والنقد الجديد فاستلهمت؛ حيث بحث الشكلانيون الروس في أدبية العمل الإبداعي مركزين على العبارة الشعرية نفسها، كرد فعل على الاهتمام بمكونات خارج أدبية، حيث اختزلت البلاغة (الشعرية) في صور دلالية خاصة ثم صورة واحدة (الاستعارة).<sup>26</sup>

يقول (ميشل جوكي): " إذا تعلق الأمر بإفصاح نوع من الأنواع لجنس ما، فإن الاستعارة أو صورة الصور هي المؤهلة للعب دور الجنس... الاستعارة والكناية رغم اختلافهما الثانوي إلى بعد واحد هذا البعد الذي يمكن التعبير عنه عامة بعبارة استعارية"<sup>27</sup>

ومن هنا نلاحظ أن البلاغة وقعت أسيرة الشعرية وأعطيت للاستعارة مفهوما واسعا وعمما لتستوعب كل صور التغيير الدلالي والانزياحات .

من هذا يتبين أن الأسلوبية قد ارتبطت بالتفكير حول الأسلوب، اقترنت بمقولة (بوفون) (الأسلوب هو (الكاتب نفسه) وهذا يدل على أن المبدع لابد من أن يمتاز بأسلوب شخصي أصيل يكون علامة عليه...<sup>28</sup>

الاتجاه الحجاجي: البلاغة الحجاجية:

ارتبطت البلاغة الجديدة حسب (بيرلمان) بالحجاج ارتباطاً وثيقاً فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الافهام والاقناع والتأثير، وقد اهتم (بيرلمان وتيتيكا) على مبدئين أساسيين: القصد، المقام. فهما لا يعتبران الحجاج تلاعبا بعقل المخاطب؛ بل يؤكدان على أن موضوع الحجاج هو: " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم"<sup>29</sup> و"دراسة التقنيات البلاغية الحجاجية التي تسمح بتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تطرح عليهم هي موضوع الحجاج، ذلك أن التخاطب إنما يتم من أجل ربط علاقات مع الغير بهدف التأثير فيه أو الاتفاق معه، وذلك عن طريق تبرير موقف أو الدفع إلى عمل"<sup>30</sup>

أضف بيرلمان (berelman) في نظرية البلاغة الجديدة بعدا عقليا على الحجاج؛ ورأى أن " الفعل المترتب على الحجاج ليس موصلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو فعل هيباً له العقل والتدبر والنظر"<sup>31</sup>

وبذلك بيرلمان وتيتيكا يسعيان في كتابهما المشترك إلى ضبط العلاقة بين الحجاج والبلاغة ويعطي إمكانية قراءتين:<sup>32</sup>

أ/ الحجاج هو البلاغة الجديدة.

ب/ الحجاج من البلاغة الجديدة.

فالبلاغة الجديدة عندهما حجاجية بامتياز، ذلك أن هدفها الوحيد هو الإقناع والتأثير، فنظرية الحجاج البلاغي ترى أن الحجاج هو البلاغة أما ما ليس حجاجا فهو إما سفسطة أو برهان.<sup>33</sup> فقد حرص بيرلمان على إبعاد الأحكام الانفعالية

والاعتباطية عن البلاغة، وكان منطلقه البحث عن منطق للقيم يقول: «لا يوجد منطق للقيم وما نبحت عنه عولج قديما عبر البلاغة أي « فن الإقناع والافتناع» وهي نظرية أثرت في مسار البلاغة.<sup>34</sup>

-الاتجاه السيميائي: ويعد ( رولان بارت) خير من يمثل هذا الاتجاه، لان البحث السيميولوجي لديه هو (دراسة الانظمة الدالة) عناصر سيميائية الدلالة لدى بارت،<sup>35</sup>

وقد حاول (بارت) بوساطة هذه الثنائيات اللسانية البنيوية: ثنائية (الدال والمدلول)، وثنائية (التعيين والتضمين)، وثنائيات (اللسان والكلام)، وثنائية (المحور الاستبدالي والمحور التركيبي).مقاربة الظواهر السيميولوجية، كأنظمة الموضوعة، والاساطير، والطبخ، والازياء، والصور، والإشهار، والنصوص الأدبية، والعمارة، ألخ ... واخيراً، يمكن للمقاربة النصية والخطابية في بعدها السيميوطيقي ان تستعين بثنائيات بارت اللسانية والبلاغية بغية البحث عن دلالة الأنساق اللفظية وغير اللفظية في الأنشطة البشرية والنصوص الإبداعية الأدبية والفنية.<sup>36</sup>

ويعني هذا أن رولات بارت من الدارسين الغربيين الأوائل الذين سارعوا الى تطبيق البلاغة وخاصة ثنائية التقرير والايحاء، على الانظمة السيميولوجية غير اللفظية مثل: الموضوعة، والطبخ والإشهار، والازياء، والصور، والموضوعة ... بل بعد من أهم الدارسين للصوره الإشهارية في الغرب على المستوى السيميائي والبلاغي سيما في دراسته ( بلاغة الصورة الإشهارية) وقد ارتأى أن دراسة الصورة تستوجب التركيز على دراسة الرسالة اللغوية، والصورة التقريرية، وبلاغة الصورة. والبلاغة السيميائية استخدمت البلاغة في التعامل مع الأنظمة السيميائية والاجتماعية كالموضوعة والصورة والأزياء والأشهار...<sup>37</sup> وجماعة مو (mu) فتستند على السيميائية والبلاغة معاً، وعدم إغفال آراء دوسوسير، وبرس، ورولان بارت، وغريماس، وإيكو وغيرهم، مع العلم أن السيميائية تهتم بالعلامة في المستويات الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية والتداولية والجمالية. والبعد البلاغي أحد أسس الدراسات السيميائية القائمة على البحث عن العلامة. وقد اشتغلت جماعة (مو) على البنيات التركيبية والدلالية والسياقية من خلال الجمع بين المستويات المنهجية، والانفتاح على اللسانيات اللغوية والبصرية، ودراسة علاقة النص بالصورة، والتركيز على الصورة البيانية والمحسنة البديعية والحجاج التأثري والإقناعي وخاصة عند جاكبسون، ومن هنا ندرك أن جماعة مو (mu) عملت على تأسيس سيميائية بلاغة عامة وخاصة، لمعرفة أنظمة اللغة معرفياً وسياقياً.<sup>38</sup>

ومما سبق نستنتج أن جماعة (مو) ربطت المنهج السيميائي بالبلاغة، واستثمرت العلامة السيميائية في الدراسات الحجاجية والأسلوبية، واستفادت من إشارات ورموز علم البيان، والمحسنة اللفظية والمعنوية، ودلالات علم المعاني، مثل: الاستفهام، والنفي، والتوكيد، والقصر، والنداء.<sup>39</sup>

-الاتجاه التداولي: البلاغة هي التداولية

التداولية " علم يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم وهذا ما كان يسمى في البلاغة القديمة بمقتضى الحال"<sup>40</sup>

يرى ليتش أن " البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما"<sup>41</sup>

"فالبلاغة وثيقة الصلة بالتداولية كونها تشترك معها في الاهتمام بفن الإقناع والتأثير وتدرسان كل ما له علاقة باستعمال اللغة في التواصل قصد التبليغ وتعديل رأي المتلقي، فتقوم البلاغة التداولية على دراسة مقاصد المتخاطبين هدفها دراسة

الخبر والإنشاء وفق رؤية لغوية تداولية وظيفية قائمة على نظرية أفعال الكلام والاستلزام الحوارية، وذلك عبر تصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات صريحة المعنى مع تحديد أفعالها القسوية وتبيان قوتها الإنجازية الحرفية ثم استكشاف المعاني الضمنية التي يستلزمها السياق، ثم الانتقال إلى الاستلزام الحوارية للكشف عن المعاني الإنجازية السياقية و المقامية مع التركيز على الدور الدلالي والدور التركيبي والدور التداولي، وتصنيف الأقوال حسب أغراضها الإنجازية البلاغية.<sup>42</sup>

فالبلاغة تشترك مع التداولية في كثير من الاهتمامات، مثل الاهتمام بالعناصر التواصلية: المتكلم، والمتلقي والخطاب والمقام قصد التأثير والإقناع، كما تهتمان بالإنجاز الكلامي و مقصدية المتكلم من خلال خطابه ومراعاة ظروف المتخاطبين الثقافية والاجتماعية والنفسية.<sup>43</sup>

خامساً: البلاغة الجديدة عند العمري:

يعتبر محمد العمري من البلاغيين الذي أسهموا في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي وتبين معالمه بصورة جديدة توازي إلى ما ذهب إليه الدرس الغربي من أجل تحقيق آفاق جديدة ومحاولة النهوض بالبلاغة القديمة التي ظلت مهملة لسنوات طويلة وذلك وفق منهجية جديدة. وقد أسهمت إنجازاته في تطوير آليات النظر للبلاغة. وذلك استناداً إلى ما ذهب إليه الدرس الغربي على رأسهم أرسطو الذي ربط البلاغة بالخطابة أو ما أطلق عليه (ريطورية). هذا المصطلح الذي عانت منه الدراسات العربية من أجل وضع مقابل له. فالريطورية نجدها تدل على معنيين اثنين أساسيين، وقد تدل على معانٍ ثانوية وعارضة، وهذا ما نجده في معجم ألفاظ الأسلوبية لجون مازاليفا و جورج موليني تعتبر عن ثلاث معانٍ ثالثاً ثانوي و عارض :

\_ البلاغة مبحث قديم يهتم بفن الإقناع في مكوناته وتقنياته، واستنباط الحجج ومعالجتها و بثها، ومن هذه الزوايا نجد البلاغة اليوم في ارتباط بالتداولية.

\_ البلاغة مجموعة من صور التعبير منفصلة عن نوع الخطاب الذي استعملت فيه.

\_ وقد تعني الكلمة أحياناً المقاييس المعيارية لفن الكتابة.

وعليه فإن للبلاغة معنيين كبيرين المعنى الحجاجي الإقناعي: الذي يصب في التداولية الحديثة، والمعنى التعبيري الذي يصب في الأسلوبية، وهي ثنائية تغرى باسترجاع ثنائية البيان والبديع في نشأة البلاغة العربية، فالمعنى الأول مرتبط بنشأة البلاغة في الغرب، والثاني مرتبط بعملية اختزال التي تعرضت لها البلاغة في التاريخ.<sup>44</sup> وهذا المصطلح ترجم إلى عدد من المفاهيم في الساحة العربية والتي انقسمت على إزائها إلى أربع مجامع: منهم من ذهب إلى ترجمتها بمصطلح البلاغة ومنهم صلاح فضل، رضوان الرقيبي... ومنهم من ترجمها بالخطابة أمثال علي الشعبان، وعبد العالي قادا، وآخرون ذهبوا إلى دمج المصطلحين (البلاغة و الخطابة معاً) وعلى رأسهم حافظ إسماعيل علوي ومحمد الولي، في حين ذهب فريق آخر إلى الخلط بين المصطلحين تارة البلاغة وتارة أخرى الخطابة إلا أنهم اتفقوا على أنها جديدة منهم محمد العمري، وعبد الله صولة...<sup>45</sup>

أما من الناحية المفهومية لهذا المصطلح في الدراسات العربية نجد أن محمد العمري قد عرف البلاغة بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال".<sup>46</sup> والبلاغة عنده تنصرف حسب السياق إلى أحد معنيين أو إليهما معاً:<sup>47</sup>

أولهما: الكفاءة التعبيرية، أو حسن الكلام وهما يتضمنان الفاعلية والإعجاب، فالكلام البليغ هو الكلام الفعّال أو المعجّب،  
أولهما معاً بزيادة أو نقصان

وثانها: العلم الذي يصف هذه الكفاءة وهذا الحسن، وحديثنا ينصرف إلى المعنى الثاني، لكنه يستجلب من حين لآخر المعنى الأول ويتضمنه تضمّن المنهج لموضوعه.

كما نجده أيضاً يوضح أن الخطاب نوعان: خطاب تداولي حجاجي / وخطاب تخييلي شعري والذي يمكن أن يتداخل من حيث الممارسة وذلك حسب النصوص والتيارات الخطابية عبر الأزمنة والحضارات هذا التداخل من شأنه أن يثري الساحة الفكرية والنقدية.<sup>48</sup>

ونجد العمري يضع مقابل لمصطلح ريطورية أو البلاغة الجديدة ثلاث مفاهيم كبرى ممثلة في:<sup>49</sup>

المفهوم الأرسطي: والذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته، حيث أنها تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاورة والمشاجرة والمفاضلة).

المفهوم الأدبي: والذي يبحث في صور الأسلوب.

المفهوم النسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علماً أعلى يشمل التخيل والحجاج معاً.

وقد أقدم العمري على ترجمة العديد من الأعمال التي تصب في دور في فلك البلاغة والتداولية المعاصرة، حيث ترجم لجان كوهين (1581) و هنريش بليت (1585) و كبيدي فاركا (1553) و مارسيلو داسكال (1551)، كم أنه اهتم بإحياء البلاغة العربية القديمة، وذلك بمحاولة قراءتها بالانفتاح على العلوم المعرفية الحديثة والمعاصر (اللسانيات البنيوية، علم الاجتماع الأدبي، مباحث البلاغة الجديدة، وكذلك آليات التواصل و تقنياته المتغيرة بسرعة فائقة في هذا العصر. وهي تقنيات عملت فعلا على تغير موقع الإنسان (المخاطب، المشاهد، السامع، القارئ)... وتغيير علاقته بمحيطه وبمن حوله وذلك من خلال إعادة تشكيل الأسس والمعايير التي كانت تقوم عليها تلك العلاقات.<sup>50</sup>

وتتبع العمري لبلاغة الجديدة أفرزت ثلاث تيارات كبرى، وهي:<sup>51</sup>

1/ تيار شعري بديعي: يقوم أساساً على دراسة الصورة البديعية ويمثله مجموعة لبيح

2/ تيار خطابي منطقي: يركز اهتمامه على طرائق الإقناع وبناء الحجج في الخطاب يمثله بيرلمان الذي اختزل الخطابة في البعد العقلاني الحجاجي مسaire للمناخ الثقافي والسياسي السائد.

3/ تيار خطابي (البلاغة العامة): وهو عبارة عن دمج معطيات التيارين السابقين وأبرز من يمثله هنريش بليت في دراسته البلاغة والأسلوبية الذي أعاد من خلالها الواجهة للبعد التداولي الحجاجي للبلاغة القديمة .

ليتوصل في الأخير إلى تعريف شامل للبلاغة الجديدة بقوله: البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال... والخطاب الاحتمال كما قال ريكور، وهو الخطاب الذي يمتد بين الاعتباط (أو الهذر) ، في أسفل السلم، وبين الاستدلال البرهاني في أعلاه. الخطاب الذي تستوعبه الصيغة القديمة التي انشغل بها الفلاسفة المسلمون في حديثهم عن التصديق الشعري و التخيل الخطابي. فهذا المفهوم الحديث ينسجم مع التصور العربي للبلاغة ، فقد كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعرو الخطابة<sup>52</sup>

سادساً: خاتمة:

وصفوة القول أن الدرس البلاغي دائم التجدد والتطور مع حركة الأدبية، وفق تفرضها روح العصر، وتمتدي إليها مواهب الأدباء، وهذا ما جعل البلاغة تنتقل من كونها بلاغة تقليدية كلاسيكية تتسم بطابعها المعياري التعليمي ، إلى بلاغة جديدة علمية لسانية حجاجية تعنى بوصف الخطاب البلاغي، مع تبيان قواعده المضمرة، واستخلاص بنياته ودلالاته ووظائفه التداولية والحجاجية، والتي كانت نتاج تراكم عديد من التصورات، حيث أن في إطار الاهتمام بالبلاغة وإعادة قراءة التراث وصياغة نظرية بلاغية جديدة له برزت ثلاث اتجاهات ، هذه الاتجاهات عكست خلفية أصحابها، والعمري أحد البلاغيين الذي سعوا إلى التجديد البلاغي حيث أنه يقرّ أن البلاغة تحمل معنيين كبيرين المعنى الحجاجي الإقناعي: الذي يصب في التداولية الحديثة، والمعنى التعبيري الذي يصب في الأسلوبية، وهي ثنائية تغرى باسترجاع ثنائية البيان والبديع في نشأة البلاغة العربية، فالمعنى الأول مرتبط بنشأة البلاغة في الغرب، والثاني مرتبط بعملية اختزال التي تعرضت لها البلاغة في التاريخ.

الحواشي:

<sup>1</sup> \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم، 2016، ع 16، ص 97.

<sup>2</sup> \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، ص 98، 99.

<sup>3</sup> \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، ص 99.

<sup>4</sup> \_ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، أفريقيا الشرق، لبنان، 1999، ص 8.

<sup>5</sup> \_الشارف لطروش، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، ص 99.

<sup>6</sup> \_ هدى بن عزوز، إستمولوجيا البلاغة العربية \_المقاييس العلمية و الأصول المعرفية\_ مجلة المقال، ماي 2018، ع 7، ص 341.

<sup>7</sup> \_هدى بن عزوز، إستمولوجيا البلاغة العربية \_المقاييس العلمية و الأصول المعرفية\_، ص 342.

<sup>8</sup> \_ ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة مسارات و مقاربات، دار كنوز المعرفة، عمان، ط2، 2021، ص 37.

<sup>9</sup> \_ جميل حمداوي، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، شبكة الألوكة، [www.alukah.net](http://www.alukah.net).

- 10 \_ هدى بن عزوز، إستيمولوجيا البلاغة العربية \_ المقاييس العلمية و الأصول المعرفية\_، ص342.
- 11 \_ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص 9.
- 12 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، مجلة التعليمية، جانفي 2017، مج4، ع9، ص2.
- 13 \_ هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، البلاغة الجديدة \_ مشروع التجديد المعاصر ثوابت و متغيرات، مجلة الخطاب، مج14، ع2، ص89.
- 14 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص2.
- 15 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص2.
- 16 \_ عبد الله صولة، نظرية في الحجاج دراسات و تطبيقات، دار الجنوب للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 2011، ص71.
- 17 \_ محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجدد، ط1، 2008، ص102.
- 18 \_ ينظر، عبد الله صولة :الحجاج أطره و منطلقاته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، (د،ت)، ص 289، 299.
- 19 \_ ينظر : محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص101 و 102.
- 20 \_ ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء المغرب، ط5، 200، ص 71 .
- 21 \_ رومان جاكسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، المغرب، 1988، ص78
- 22 \_ ينظر:بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الجديدة، مجلة الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مج:21، ع:1، ص 9 .
- 23 \_ شيماء محمد كاظم الزبيدي، علاقة البلاغة بالاتجاه اللساني، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية <http://humanities.uobabylon.edu.iq> 17:36:562022/04/21
- 24 \_ جميل حمداوي، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، ص13.
- 25 \_ جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 78 – 79
- 26 \_ جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014، ص 78 .
- 27 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2014 ص 74 .
- 28 \_ شيماء محمد كاظم الزبيدي، البلاغة والاتجاه الاسلوبي، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية 05:40:39، 2022/04/21 .
- 29 \_ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 107
- 30 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الجديدة، مجلة الآداب واللغات، ص 12
- 31 \_ عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم تونس، 1998 ص 299.



- 32 \_ سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي و التلقي العربي، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات ، جوان 2013، ع7،ص11.
- 33 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الجديدة، ص11.
- 34 \_ سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي و التلقي العربي،ص12.
- 35 \_ جميل حمداوي ، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة،ص22.
- 36 \_ ينظر: جميل حمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014، ص 85 .
- 37 \_ سلوم النفيعي ، على ناصية الأدب ، السيمياء والبلاغة (جماعة mu ) ، <https://alhtoon.com> ، 2022/04/21.
- 38 \_ سلوم النفيعي ، على ناصية الأدب ، السيمياء والبلاغة (جماعة mu ) .
- 39 \_ سلوم النفيعي ، على ناصية الأدب ، السيمياء والبلاغة (جماعة mu )
- 40 \_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت ، 1413هـ/ 1992م، 1992 ص 21
- 41 \_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 97 . 98
- 42 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الحديثة، ص 15.
- 43 \_ بوخشة خديجة، اتجاهات البلاغة الحديثة، ص 15.
- 44 \_ سعود فطيمة، البلاغة الجديدة بين البعد الغربي و التلقي العربي، ص 10، 11. وينظر : محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص 62.
- 45 \_ هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، البلاغة الجديدة \_ مشروع التجديد المعاصر ثوابت و متغيرات، ص 89، 90.
- 46 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 18.
- 47 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص 18.
- 48 \_ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة، ص 19.
- 49 \_ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص 11، 12.
- 50 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 8.
- 51 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 9.
- 52 \_ رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 10.